



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



عليه  
صلى  
عليه  
وآله  
وسلم

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

۶۶

۶۶

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
أَرْسَلَ فِيهِ رَسُولَهُ  
مُحَمَّدًا سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ

۶۶

۶۶



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سید المرسلین صلی اللہ علیہ و آلہ : دراسہ موضوعیہ لِحیاء الرسول الاکرم...

کاتب:

آیت اللہ العظمی جعفر سبحانی

نشرت فی الطباعة:

موسسه امام صادق ( علیه السلام )

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمپیوتریة

# الفهرس

٥	الفهرس
٢٣	سید المرسلین صلی اللہ علیہ و آلہ : دراسہ موضوعیہ لِحیاء الرسول الاکرم... المجلد ٢
٢٣	اشاره
٢٤	اشاره
٢٤	هویة الكتاب
٣١	مقدمه المؤلف
٣١	مُمیّزات النهضة الإلهیه وخصائصها
٣١	خصیصه «الخلود» والعمق فی شخصیه رسول الإسلام
٣٤	المصادر الأولى والأصیله للكتاب عن سیره النبی صلی اللہ علیہ و آلہ و سلم
٣٨	حوادث السنه الأولى من الهجره
٣٨	اشاره
٣٨	٢٧ أوّل عمل إیجابی للنبی صلی اللہ علیہ و آلہ و سلم فی المدينه
٣٨	عقد میثاق تعایش بین المسلمین و غیرهم
٤١	مع عمّار بن یاسر فی بناء المسجد النبوی
٤٤	ضنّ أراف من والده!!
٤٨	التأخی أعظم معطیات الإیمان
٤٩	منقبتان عظیمتان
٥٠	منقبه أُخری لعلی علیہ السلام
٥١	معاهده الدفاع المشترك بین المسلمین و یهود یثرب
٥٣	أعظم معاهده تاریخیه
٥٩	ممارسات الیهود الإجهاضیه
٦٠	إسلام عبداللّٰه بن سلّام
٦١	خطه یهودیه أُخری للقضاء علی الحکومه الإسلامیه
٦٥	حوادث السنه الثانیه من الهجره

- ٢٨ مناوراتٌ عسكريه واستعراضاتٌ حربيه ..... ٦٥
- اشاره ..... ٦٥
- تهديد خطوط قريش التجاريه ..... ٦٦
- النبي صلى الله عليه و آله و سلم يلاحق قريشاً بنفسه ..... ٦٩
- ما هو الهدف من المناورات العسكريه؟ ..... ٧٤
- نظريه المستشرقين ..... ٧٥
- ٢٩ تحويل القبله من بيت المقدس إلى الكعبه ..... ٨٠
- اشاره ..... ٨٠
- كرامه علميه لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ..... ٨٥
- ٣٠ معركة بدر الكبرى ..... ٨٦
- اشاره ..... ٨٦
- النبي صلى الله عليه و آله و سلم يتوجه إلى منطقه ذُفران ..... ٨٨
- المشكله التي كانت تواجهها قريش ..... ٩١
- النبي صلى الله عليه و آله و سلم يعقد شوري عسكريه ..... ٩٣
- إخفاء الحقائق و كتمانها ..... ٩٤
- قرار الشوري الحاسم أو رأى زعيم الأنصار ..... ٩٦
- جمع المعلومات حول العدو ..... ٩٧
- كيف هرب أبو سفيان؟ ..... ١٠٠
- علم المسلمين بإفلات قافله قريش ..... ١٠١
- إختلاف قريش في القتال ..... ١٠١
- «العريش» أو غرفه القيادة ..... ١٠٤
- نظره إلى مسأله «العريش» ..... ١٠٤
- تحرك قريش باتجاه بدر ..... ١٠٧
- قريش تتشاور في القتال ..... ١٠٧
- إختلاف قاده قريش في أمر القتال ..... ١٠٨
- ما هو الأمر الذي حتم القتال؟ ..... ١١١

- المبارزات الفرديه أولاً ..... ١١١
- أى القولين هو الأصح؟ ..... ١١٣
- الهجومُ العامُّ ..... ١١٤
- رعايه الحقوق ..... ١١٤
- مصرع أمّيه بن خلف ..... ١١٤
- خسائر بدر فى الأرواح والأموال ..... ١١٧
- «ما أنتم بأسمع منهم» ..... ١١٨
- الشعر يخلّد هذه القصة ..... ١١٩
- بعد معركة بدر ..... ١٢١
- قتل أسيرين فى أثناء الطريق ..... ١٢٣
- بشائر النبي صلى الله عليه و آله و سلم إلى المدينه ..... ١٢٥
- المكيون يعرفون بمقتل أسيادهم ..... ١٢٥
- اشتراك العباس عم النبي فى بدر ..... ١٢٦
- المنع من التّوج والبكاء فى مكه ..... ١٢٧
- رسول الإسلام ومكافحه الأمّيه ..... ١٢٨
- ما ورد فى السيره حول مصير الأسرى ..... ١٢٩
- كلام لابن أبى الحديد فى المقام ..... ١٣١
- القرآن يتحدّث عن معركة بدر ..... ١٣٣
- ٣١ زواج سيده النساء فاطمه بنت رسول الله ..... ١٣٨
- اشاره ..... ١٣٨
- مشاكل الزواج فى العصر الحاضر ..... ١٣٩
- رسول الإسلام يكافح هذه المشاكل عملياً ..... ١٤٠
- جهاز فاطمه ..... ١٤٤
- مراسم الزواج تقام ببساطه ..... ١٤٧
- محاولات يانسه للنيل من على وفاطمه عليهما السلام ..... ١٥٠
- العلامة الأمينى يرد على افتراءات المستشرق النصرانى الحافظ ..... ١٥١

- ١٦١ ..... العقاد والنيل من فاطمه عليها السلام
- ١٦٣ ..... جرائم «بنى قينقاع»
- ١٦٣ ..... اشاره
- ١٦٦ ..... لهيب الحرب يبدأ من شراره
- ١٧٠ ..... تقارير جديدته تصل إلى المدينه
- ١٧٤ ..... قريش تغيّر مسير تجارتها
- ١٧٦ ..... حوادث السنه الثالثه من الهجره
- ١٧٦ ..... الدفاع عن الحرّيه
- ١٧٦ ..... غزوه أحد أو الدفاع عن الحرّيه عند جبل أُحد
- ١٨٠ ..... إغتيال مفسد آخر
- ١٨٠ ..... قريش تتكفل نفقات الحرب
- ١٨٣ ..... الاستخبارات ترفع تقريراً إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم
- ١٨٣ ..... جيش قريش يتحرك باتجاه المدينه
- ١٨٥ ..... منطقهُ «أُحد»
- ١٨٦ ..... المشاوره في كيفيه الدفاع
- ١٨٧ ..... المشاورات العسكريه
- ١٨٨ ..... الاقتراع من أجل الشهاده!!
- ١٩٠ ..... حصيله الشورى
- ١٩١ ..... النبيّ يلبس لامه الحرب
- ١٩٢ ..... النبيّ يخرج من المدينه
- ١٩٣ ..... جنديان فدائيان
- ١٩٧ ..... العسكران يصطفّان
- ١٩٩ ..... رفع معنويات الجنود وتقويه عزائمهم
- ٢٠٠ ..... العدوّ ينظّم صفوفه
- ٢٠٠ ..... الإثارة النفسيه وإلهاب الحماس
- ٢٠٢ ..... بدايه القتال



- ٢٠٥ .....المقاتلون بدافع الشهوة!!
- ٢٠٦ .....الهزيمة بعد الانتصار
- ٢٠٩ .....شائعه مقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- ٢١٠ .....هل يمكن إنكار فرار بعض الصحابه من أرض المعركة؟
- ٢١٢ .....القرآن يكشف عن بعض الحقائق
- ٢١٤ .....التجارب المره
- ٢١٦ .....خمسه يتحالفون على قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- ٢٢٠ .....الدفاع الموفق أو النصر المجدد
- ٢٣١ .....بقيه أحداث واقعه «أحد»
- ٢٣٢ .....العدو يحاول استغلال الفرصه
- ٢٣٤ .....نهايه المعركه
- ٢٣٧ .....آخر ما نطق به سعد بن الربيع
- ٢٣٩ .....النبي يعود إلى المدينه
- ٢٤١ .....ذكريات مشيره عن امرأه مؤمنه
- ٢٤١ .....نموذج آخر من النسوه المجاهدات
- ٢٤٥ .....لايبد من ملاحقه العدو
- ٢٤٧ .....حمرأه الأسد
- ٢٤٩ .....لا يُخدع مؤمن مرتين
- ٢٥٠ .....ميلاد الإمام الحسن السبط
- ٢٥١ .....حوادث السنه الرابعه من الهجره
- ٢٥١ .....٣٤ فاجعه فريق المبلّغين
- ٢٥١ .....اشاره
- ٢٥٢ .....خطه ماكره للفتك بالمبلّغين
- ٢٥٤ .....الغدر بالدعاه إلى الإسلام وقتلهم
- ٢٥٨ .....جريمه بئر معونه
- ٢٦٠ .....كيد المستشرقين وجفاؤهم

- ٢٦١ ..... المؤمن لا يلدغ من جحر مزتين
- ٢٦٣ ..... ٣٥ غزوه «بنى النضير»
- ٢٦٣ ..... اشاره
- ٢٦٥ ..... بماذا يجب أن تقابل هذه الجريمة؟
- ٢٦٧ ..... المستشرقون و دموع التماسيح
- ٢٦٨ ..... دور حزب النفاق أيضاً
- ٢٧١ ..... مزارع بنى النضير تقسم بين المهاجرين فقط
- ٢٧٤ ..... ٣٦ تحريم الخمر ذات الرقاع، بدر الصغرى
- ٢٧٤ ..... تحريم الخمر
- ٢٧٩ ..... وقفه عند «البيان الشافى»
- ٢٨٠ ..... روايه مختلقه
- ٢٨٥ ..... غزوه ذات الرقاع
- ٢٨٧ ..... مواقف خالده فى هذه الغزوه
- ٢٨٧ ..... الخراس الصامدون
- ٢٨٨ ..... غزوه بدر الصغرى
- ٢٩٠ ..... ولادة السبب الأصغر لرسول الله
- ٢٩١ ..... حوادث السنه الخامسه من الهجره
- ٢٩١ ..... ٣٧ من أجل تحطيم التقاليد الخاطئه
- ٢٩١ ..... اشاره
- ٢٩٢ ..... من هو زيد بن حارثه؟
- ٢٩٣ ..... زيد يتزوج بابنه عمه النبى
- ٢٩٤ ..... زيد يطلق زوجته
- ٢٩٥ ..... زواج النبى بمطلقه متبناه لإبطال سنه جاهليه أخرى
- ٢٩٩ ..... المستشرقون وقضيه زواج النبى بزینب
- ٣٠٤ ..... توضيح عبارتين
- ٣١٠ ..... ٣٨ غزوه الأحزاب

- ٣١٠ ..... اشاره
- ٣١٠ ..... ١. غزوه دُومه الجندل
- ٣١١ ..... ٢. غزوه الخندق (الأحزاب)
- ٣١١ ..... اشاره
- ٣١٥ ..... استخبارات المسلمين ترفع تقريراً للقيادة
- ٣١٨ ..... القوله النبويه الخالده فى شأن سلمان
- ٣١٩ ..... مقاتلو العرب واليهود يحاصرون المدينه
- ٣١٩ ..... العدد الدقيق لقوات الطرفين
- ٣٢٠ ..... خطر البرد، وتناقص الغذاء والعلف
- ٣٢١ ..... حى بن أخطب يدخل حصن بنى قريظه
- ٣٢٣ ..... النبى يعرف بنقض بنى قريظه للعهد
- ٣٢٤ ..... تجاوزات بنى قريظه الأوليه
- ٣٢٤ ..... الإيمان فى مواجهه الكفر
- ٣٢٨ ..... أبطال من العرب يعبرون الخندق
- ٣٣٢ ..... تصاول البطلين
- ٣٣٣ ..... قيمه هذه الضربه
- ٣٣٤ ..... لماذا التنكر لهذا الموقف؟
- ٣٣٤ ..... مروءه على عليه السلام وشهامته
- ٣٣٧ ..... جيش العرب يتفرق فى موقفه
- ٣٣٩ ..... العوامل التى فرقت كلمه «الأحزاب»
- ٣٤١ ..... مبعوثو قريش يمشون إلى بنى قريظه
- ٣٤٢ ..... آخر العوامل لهزيمه الكفار
- ٣٤٣ ..... القرآن الكريم و معركه الأحزاب
- ٣٤٩ ..... حوادث السنه الخامسه من الهجره
- ٣٤٩ ..... ٣٩ سقوط آخر أوكار الفساد والمؤامره
- ٣٤٩ ..... اشاره

- ٣٥٠ ..... قوات الإسلام تحاصر بنى قريظه
- ٣٥١ ..... اليهودُ يتشاورون حول الموقف
- ٣٥٤ ..... خيانهُ أبي لبابه
- ٣٥٧ ..... إلى أي مدى ذهب الطابورُ الخامس في مشاغبته؟
- ٣٥٩ ..... تقييم ما استند إليه سعد في حكمه
- ٣٦٥ ..... حوادث السنه السادسه من الهجره
- ٣٦٥ ..... ٤٠ أعداء الإسلام تحت المراقبه المشدده
- ٣٦٥ ..... اشاره
- ٣٦٧ ..... أهل الرأي من قريش يهاجرون إلى الحبشه
- ٣٦٩ ..... الوقايه من تكرار التجارب المرّه
- ٣٧٠ ..... غزوه ذى قُرد
- ٣٧١ ..... النذر غير المشروع
- ٣٧٣ ..... ٤١ تمرد بنى المُصطَلِق
- ٣٧٣ ..... اشاره
- ٣٧٤ ..... غزوه بنى المُصطَلِق
- ٣٧٥ ..... أول خلاف بين المهاجرين والأنصار
- ٣٧٦ ..... منافق حاول إشعال الموقف
- ٣٧٩ ..... صراع بين الإيمان والعاطفه
- ٣٨٢ ..... الرّواج المبارك
- ٣٨٣ ..... الفاسق يفتضح
- ٣٨٤ ..... ٤٢ قسه الإفك
- ٣٨٤ ..... اشاره
- ٣٨٦ ..... المنافقون يتهمون شخصاً نقي الجيب
- ٣٨٨ ..... أبرز النقاط في آيات «الإفك»
- ٣٩٠ ..... الزيادات في هذه القسه
- ٣٩٠ ..... اشاره

- ٣٩٠ ..... ١. منافاتهما لمقام النبوة والعصمه
- ٣٩٢ ..... ٢. سعد بن معاذ توفي قبل حادثه «الإفك»
- ٣٩٤ ..... الروايه الأخرى فى سبب النزول
- ٣٩٤ ..... ٤٣ رحله سياسيه دينيه
- ٣٩٤ ..... اشاره
- ٤٠١ ..... مندوبو قريش عند النبي صلى الله عليه و آله و سلم
- ٤٠٤ ..... رسول الله يبعث مندوباً إلى قريش
- ٤٠٥ ..... النبي يبعث سفيراً آخر إلى قريش
- ٤٠٧ ..... بيعه الرضوان
- ٤٠٨ ..... سهيل بن عمرو يفاوض رسول الله
- ٤١١ ..... التاريخ يعيد نفسه
- ٤١٢ ..... نص صلح الحديبيه
- ٤١٣ ..... نشيد الحريه
- ٤١٥ ..... آخر الجهود للحفاظ على عمليه الصلح
- ٤١٨ ..... تقييم عاجل لصلح الحديبيه
- ٤٢٢ ..... قريش تصر على إلغاء أحد بنود المعاهده
- ٤٢٥ ..... النساء المسلمات لا يسلمن إلى قريش
- ٤٢٤ ..... حوادث السنه السابعه من الهجره
- ٤٢٤ ..... ٤٤ النبي صلى الله عليه و آله و سلم يعلن عن رسالته العالميه
- ٤٢٤ ..... اشاره
- ٤٢٨ ..... الرساله المحمديه كانت عالميه
- ٤٢٩ ..... آيات تدل على عالميه الرساله المحمديه
- ٤٣٠ ..... رُسل الإسلام إلى المناطق النائية
- ٤٣٢ ..... أوضاع العالم أيام إبلاغ الرساله العالميه
- ٤٣٣ ..... رسول النبي صلى الله عليه و آله و سلم فى أرض الروم
- ٤٣٥ ..... قيصر يحقق حول النبي صلى الله عليه و آله و سلم

- ٤٣٨ ..... أثر رساله النبي إلى قيصر
- ٤٣٩ ..... سفير النبي في البلاط الإيراني
- ٤٤١ ..... نظريه اليعقوبي
- ٤٤٢ ..... أوامر «خسرو» إلى واليه على اليمن
- ٤٤٥ ..... سفير النبي في أرض مصر
- ٤٤٨ ..... المقوقس يكتب كتاباً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- ٤٤٩ ..... المغيرة بن شعبه في البلاط المصري
- ٤٥١ ..... سفير النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أرض الذكريات «الحبشه»
- ٤٥٣ ..... محاوره بين سفير النبي وحاكم الحبشه
- ٤٥٤ ..... رساله النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
- ٤٥٥ ..... تقييم سريع لمراسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاده العالم
- ٤٥٨ ..... كتاب رسول الله إلى أمير الغساسنه (بالشام)
- ٤٦٠ ..... سادس السفراء في أرض اليمن
- ٤٦٢ ..... رسائل أخرى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
- ٤٦٣ ..... ٤٥ قلعه خيبر أو بؤره الخطر
- ٤٦٣ ..... اشاره
- ٤٦٨ ..... إحتلال النقاط والطرق الحثاسه ليلاً
- ٤٧٠ ..... متاريس اليهود تنهاوى
- ٤٧٣ ..... التقوى في ظروف المخصه الشديده
- ٤٧٥ ..... فتح الحصون الواحد تلو الآخر
- ٤٧٨ ..... الانتصار الكبير في خيبر
- ٤٨١ ..... تحريف الحقائق
- ٤٨٤ ..... ثلاث نقاط مشرقه في حياه على عليه السلام
- ٤٨٥ ..... عوامل الانتصار
- ٤٨٥ ..... اشاره
- ٤٨٦ ..... ١. التخطيط والتكتيك العسكري الدقيق

٢. تحصيلُ المعلومات حول العدو ..... ٤٨٧
٣. تفانى امير المؤمنين عليه السلام ..... ٤٨٩
- الرحمه في ساحه القتال ..... ٤٨٩
- مصرع كنانه بن الربيع ..... ٤٩٠
- تقسيم غنائم الحرب ..... ٤٩١
- قافله من أرض الذكريات ..... ٤٩٢
- حجم الخسائر وعدد القتلى ..... ٤٩٤
- العفو بعد الانتصار ..... ٤٩٤
- سلوك اليهود المتعجرف ..... ٤٩٧
- حيله مُجازه ..... ٥٠٠
- ٤٦ قضاة فُذِك ..... ٥٠٣
- اشاره ..... ٥٠٣
- حكم الأراضي المفتوحه بلا قتال ..... ٥٠٤
- قضاة فُذِك بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ..... ٥٠٧
- فُذِك في محكمه التاريخ ..... ٥١١
- السيطره على وادي القُرى ..... ٥١٢
- ٤٧ عمره القضاء ..... ٥١٣
- اشاره ..... ٥١٣
- النبي يدخل مَكّه ..... ٥١٦
- النبي صلى الله عليه وآله وسلم يغادر مَكّه ..... ٥١٩
- احداث السنه الثامنه من الهجره ..... ٥٢٢
- ٤٨ معركة مؤتّه ..... ٥٢٢
- اشاره ..... ٥٢٢
- حادثه أفجع من السابقه ..... ٥٢٤
- خلافٌ حول مَنْ هو الأمير الأول؟ ..... ٥٢٦
- جيشا الإسلام والروم يتواجهان ..... ٥٢٩

- ٥٣٢ ..... حيره المقاتلين المسلمين بعد مقتل القاده
- ٥٣٤ ..... الجنود يعودون إلى المدينه
- ٥٣٥ ..... أسطوره بدل التاريخ الصحيح
- ٥٣٦ ..... النبي يبكي بشده لمقتل جعفر
- ٥٣٧ ..... ٤٩ غزوه ذات السلايل
- ٥٣٧ ..... اشاره
- ٥٤٠ ..... تفاصيل هذه الغزوه
- ٥٤٢ ..... الإمام عليّ ينتدب لقياده العمليه
- ٥٤٣ ..... عوامل انتصار الإمام عليّ في هذه الموقعه
- ٥٤٥ ..... إعتراض وجواب
- ٥٤٨ ..... ٥٠ فتح مَّكَّه
- ٥٤٨ ..... اشاره
- ٥٤٩ ..... تفاصيل فتح مَّكَّه
- ٥٥٣ ..... قريشُ تتوجس خيفه من ردّ النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم
- ٥٥٦ ..... جاسوسٌ يُكتشف!
- ٥٦٣ ..... النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم يتحرّك باتجاه مَّكَّه
- ٥٦٥ ..... العفو عند المقدره
- ٥٦٨ ..... تكتيكٌ رائع لجيش الإسلام
- ٥٧٠ ..... العباس يصطحب أبا سفيان إلى خيمه النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم
- ٥٧١ ..... أبوسفيان بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم
- ٥٧٣ ..... مَّكَّه تستسلم من دون إراقه دماء
- ٥٧٧ ..... أبو سفيان يرجع إلى مَّكَّه
- ٥٧٩ ..... القواتُ الإسلاميه تدخل مَّكَّه
- ٥٨١ ..... كسرُ الأصنام و غسل الكعبه
- ٥٨٤ ..... عليّ عليه السلام على كَيْف النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم
- ٥٨٧ ..... النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم يعلنُ عن العفو العام



- ٥٨٧ ..... بلالُ يرفع الأذان على سطح الكعبة
- ٥٨٩ ..... النبي صلى الله عليه و آله و سلم يتحدث إلى أقرابه
- ٥٩٠ ..... خطابُ النبي التاريخي في المسجد الحرام
- ٥٩٠ ..... اشاره
- ٥٩١ ..... ١. التفاخر بالنسب
- ٥٩٢ ..... ٢. التفاضل بالقوميه العربيه
- ٥٩٢ ..... ٣. لجميع أبناء البشر لا لبعض دون بعض
- ٥٩٣ ..... ٤. الحروب الطويله والأحقاد القديمه
- ٥٩٤ ..... ٥. الأخوة الإسلاميه
- ٥٩٤ ..... معاقبه المجرمين
- ٥٩٤ ..... قصه عكرمه وصفوان
- ٥٩٤ ..... اشاره
- ٥٩٧ ..... ١. مبايعه النبي نساء مكّه
- ٦٠٠ ..... ٢. هدمُ بيوت الأصنام بمكّه وما حولها
- ٦٠٣ ..... جرائم أُخرى لخالد
- ٦٠٥ ..... ٥١ معركة حنين
- ٦٠٥ ..... اشاره
- ٦٠٦ ..... جيشٌ قليل النظير
- ٦٠٧ ..... الحصول على المعلومات العسكريه
- ٦٠٩ ..... تجهيزات المسلمين
- ٦١٠ ..... صمود النبي و من ثبّت من أصحابه
- ٦١٢ ..... غنائم الحرب
- ٦١٢ ..... لقطتان من الخلق النبوي العظيم
- ٦١٤ ..... ٥٢ غزوه الطائف
- ٦١٤ ..... اشاره
- ٦١٧ ..... شدحُ جدار الحصن بالمنجنيق

- ٦١٨ ..... ضغوطاً اقتصاديه ونفسيه
- ٦١٩ ..... آخر محاوله لفتح حصن الطائف
- ٦٢٠ ..... جيش الإسلام يعود إلى المدينه
- ٦٢١ ..... حوادث ما بعد الحرب
- ٦٢٥ ..... النبي صلى الله عليه و آله و سلم يلتقى الشيماء أخته من الرضاعه
- ٦٢٦ ..... ٢. اسلام مالك بن عوف
- ٦٢٧ ..... ٣. تقسيم الغنائم
- ٦٣١ ..... رسول الله يعتمر
- ٦٣٢ ..... ٥٣ لامتيه كعب بن زهير المعروفه
- ٦٣٢ ..... اشاره
- ٦٣٤ ..... قصه كعب بن زهير بن أبي سلمى
- ٦٣٧ ..... حُزْنٌ قَارِنٌ فَرِحاً
- ٦٣٩ ..... حوادث السنه التاسعه من الهجره
- ٦٣٩ ..... ٥٤ علي بن أبي طالب في أرض طي
- ٦٣٩ ..... عام الوفود
- ٦٤٢ ..... هدم بيوت الأصنام
- ٦٤٣ ..... علي في أرض طي
- ٦٤٤ ..... قصه إسلام عدى بن حاتم الطائي
- ٦٤٨ ..... ٥٤ غَزْوَةُ تَبُوك
- ٦٤٨ ..... اشاره
- ٦٥٠ ..... تعبئة المقاتلين وتهيئه نفقات الحرب
- ٦٥٠ ..... المتخلفون عن القتال
- ٦٥٢ ..... اكتشاف شَبَكِهِ جاسوسيه في المدينه
- ٦٥٤ ..... عدم مشاركه «علي» عليه السلام في غزوه تبوك
- ٦٥٦ ..... جيش الإسلام يتحرك نحو تبوك
- ٦٥٧ ..... النبي صلى الله عليه و آله و سلم يستعرض جيشه

- ٦٥٨ ..... قضا مالك بن قيس
- ٦٥٩ ..... مصاعب الطريق
- ٦٦٠ ..... تعليمات احتياطيه
- ٦٦١ ..... علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمغيبات
- ٦٦٢ ..... إخباره بمغيب آخر
- ٦٦٥ ..... جيش الإسلام فى أرض تبوك
- ٦٦٨ ..... بعث خالد إلى دومه الجندل
- ٦٦٩ ..... تقييم إجمالى لغزوه تبوك
- ٦٧١ ..... المنافقون يخططون لاغتيال النبى صلى الله عليه وآله وسلم
- ٦٧٢ ..... النيه تقوم مقام العمل
- ٦٧٤ ..... أخذ المتخلفين بالعقاب النفسى
- ٦٧٦ ..... قضا مسجد ضرار
- ٦٧٩ ..... ٥٦ وفد تقيف فى المدينه
- ٦٧٩ ..... اشاره
- ٦٨٠ ..... وقوع الفرقه والاختلاف فى قبيله تقيف
- ٦٨١ ..... وفد تقيف
- ٦٨٣ ..... شروط وفد تقيف
- ٦٨٦ ..... ٥٧ إعلان البراءه من المشركين فى منى
- ٦٨٦ ..... اشاره
- ٦٩٢ ..... تعصب بغض فى تحليل هذا الحدث
- ٦٩٥ ..... حوادث السنه العاشره من الهجره
- ٦٩٥ ..... ٥٨ فى رثاء الولد العزيز
- ٦٩٥ ..... اشاره
- ٦٩٧ ..... اعتراض غير وجيه
- ٦٩٩ ..... مكافحه الخرافات
- ٧٠١ ..... ٥٩ وفد نجران فى المدينه

- ٧٠١ ..... اشاره
- ٧٠٣ ..... مفاوضات وفد نجران مع النبي
- ٧٠٥ ..... خروج النبي صلى الله عليه و آله و سلم للمباهله
- ٧٠٧ ..... إنصراف وفد نجران عن المباهله
- ٧٠٨ ..... صورة العهد النبوى لأهل نجران
- ٧٠٩ ..... أكبر فضيله
- ٧١١ ..... ٦٠ تاريخ المباهله عاماً وشهراً ويوماً
- ٧١١ ..... اشاره
- ٧١٢ ..... عام المباهله حسب المشهور
- ٧١٢ ..... الشهر واليوم الذى وقعت فيه المباهله
- ٧١٤ ..... رأينا حول عام المباهله
- ٧١٦ ..... زمن المباهله يوماً وشهراً
- ٧٢١ ..... هل كانت قضيه المباهله فى السنه التاسعه؟
- ٧٢٤ ..... ٦١ .١ تقييم البراءه من المشركين ٢. وفود القبائل فى المدينه
- ٧٢٤ ..... اشاره
- ٧٢٥ ..... محاوله اغتيال النبي صلى الله عليه و آله و سلم
- ٧٢٧ ..... أمير المؤمنين فى ربوع اليمن
- ٧٣٠ ..... ٦٢ حجّه الوداع
- ٧٣٠ ..... اشاره
- ٧٣٤ ..... الإمام على عليه السلام يعود من اليمن
- ٧٣٦ ..... شروع مراسم الحج
- ٧٣٧ ..... خطاب النبي التاريخى فى حجّه الوداع
- ٧٤٢ ..... ٦٣ إكمال الدين الإسلامى بتعيين الخليفه
- ٧٤٢ ..... اشاره
- ٧٤٥ ..... اقتضاء المحاسبات الاجتماعيه فى مسأله الخلافه
- ٧٤٥ ..... اشاره

- ٧٤٩ ..... ١. النبوه والإمامه توأمان
- ٧٥٠ ..... ٢. قصه الغدير
- ٧٥٣ ..... واقعه الغدير خالده إلى الأبد
- ٧٥٥ ..... الدلائل الأخرى على أبعده الغدير
- ٧٦١ ..... ٦٤. ١. المنبئون كذباً
- ٧٦١ ..... اشاره
- ٧٦٣ ..... لمحاه عابره عن هويه مسيلمه
- ٧٦٥ ..... التفكير فى أمر الرؤوم
- ٧٧٠ ..... الأعداء غير المقبوله
- ٧٧١ ..... الاستغفار لأهل البقيع
- ٧٧٣ ..... حوادث السنه الحاديه عشره من الهجره
- ٧٧٣ ..... ٦٥ الكتاب الذى لم يكتب
- ٧٧٣ ..... اشاره
- ٧٧٥ ..... إبتونى بقلم وقرطاس
- ٧٧٩ ..... ماذا كان الهدف من الكتاب؟
- ٧٨٢ ..... لماذا لم يصرّ النبى على كتابه الكتاب؟
- ٧٨٢ ..... تلافى الأمر وتداركه
- ٧٨٤ ..... تقسيم الدنانير
- ٧٨٥ ..... غضب النبى من الدواء الذى سقى
- ٧٨٥ ..... وداع النبى صلى الله عليه و آله و سلم مع أصحابه
- ٧٨٨ ..... ٦٦ اللحظات الأخيره
- ٧٨٨ ..... اشاره
- ٧٨٩ ..... النبى صلى الله عليه و آله و سلم يتحدث مع ابنته الزهراء
- ٧٩١ ..... مسواك النبى قبيل وفاته
- ٧٩١ ..... وصايا النبى صلى الله عليه و آله و سلم قبيل رحيله
- ٧٩٣ ..... يوم الوفاء

٧٩٧ ----- فهرس المحتويات

٨٣٤ ----- تعريف مركز

سرشناسه: سبحانی تبریزی، جعفر، ۱۳۰۸ -

Sobhani Tabrizi, Jafar

عنوان و نام پدیدآور: سید المرسلین صلی اللہ علیہ و آلہ: دراسه موضوعیه لحياء الرسول الاكرم... / جعفر السبحانی؛ بقلم جعفر الہادی.

مشخصات نشر: قم: موسسه الامام صادق (ع)، ۱۴۴۱ق. = ۱۳۹۹.

مشخصات ظاہری: ۲ج.

شابک: دوره: ۹۷۸-۹۶۴-۳۵۷۶۴۶-۲؛ ج. ۹۷۸-۱-۹۶۴-۳۵۷۶۴۷-۹؛ ج. ۹۷۸-۲-۹۶۴-۳۵۷۶۴۸-۶

وضعیت فهرست نویسی: فیبا

یادداشت: عربی.

موضوع: محمد (ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق.

موضوع: ۶۳۲. Muhammad, Prophet, d.

موضوع: غزوات

موضوع: Ghazavat

موضوع: سنت نبوی

موضوع: \*Wonts of the Prophet

موضوع: اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۱۱ق

موضوع: ۶۳۲ To -- History -- Islam

شناسه افزوده: هادی، جعفر، ۱۳۲۵ - ۱۳۹۹.

شناسه افزوده: Hadi, Ja'far

رده بندی کنگره: BP۲۲/۹

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی: ۶۱۸۱۶۰۶

وضعیت رکورد: فیا

ص: ۱

**اشاره**



سید المرسلین صلی اللہ علیہ و آلہ: دراسہ موضوعیہ لِحیاء الرسول الاکرم...

جعفر السبحانی؛ بقلم جعفر الہادی

ص: ۲

## هويته الكتاب

سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم

دراسه موضوعيه لحياه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وما رافقها من أحداث تاريخيه ودينيه وسياسيه وعسكريه واجتماعيه

محاضرات

العلامة المحقق

الشيخ جعفر السبحاني

بقلم

جعفر الهادي

الجزء الثاني

نشر

مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

ص: ٣

سبحانی تبریزی، جعفر ۱۳۰۸ -

سید المرسلین صلی الله علیه و آله و سلم / تألیف جعفر السبحانی؛ تعریب جعفر الهادی. - قم: مؤسسه الإمام الصادق علیه السلام، ۱۳۹۹.

ج ۲. (ISBN ۹۷۸-۹۶۴-۳۵۷-۶۴۸-۶ VOL.۲)

(ISBN ۹۷۸-۹۶۴-۳۵۷-۶۴۶-۲ ۲VOL.SET)

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما.

کتابنامه به صورت زیر نویس.

۱. محمد صلی الله علیه و آله و سلم، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ ق -- سرگذشت نامه الف. هادی، جعفر، ۱۳۲۵ - مترجم. ب. مؤسسه امام صادق علیه السلام. ج. عنوان.

۹ س ۲ / ۲۲/۹ / ۹۳/۲۹۷ BP

۱۳۹۹

اسم الكتاب:.... سید المرسلین صلی الله علیه و آله و سلم / ج ۲

المؤلف:.... العلامة المحقق الشيخ جعفر السبحانی

بقلم:.... الأستاذ الشيخ جعفر الهادی

الموضوع:.... السیره النبویه

الطبعة:.... الأولى

تاریخ الطبع:.... ۱۳۹۹ هـ. ش / ۱۴۴۱ هـ ق / ۲۰۲۰ م

المطبعة:.... مؤسسه الإمام الصادق علیه السلام

الناشر:.... مؤسسه الإمام الصادق علیه السلام

القطع:.... وزیری

عدد النسخ:.... ۱۰۰۰

التنفيذ والإخراج الفني: ... مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

تسلسل النشر: ١٠٧٣ تسلسل الطبعة الأولى: ٥٠٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤسسه، فلا يجوز شرعاً استنساخ أو نشر إصدارات

المؤسسه إلا بعد التنسيق مع المؤسسه واستحصال الموافقه الرسميه

توزيع: مكتبه التوحيد

ايران - قم؛ ساحه الشهداء

٠٩١٢١٥١٩٢٧١؛ ٣٧٧٤٥٤٥٧ ?

[www.shia.ir](http://www.shia.ir)

[www.tohid.ir](http://www.tohid.ir)

<http://www.imamsadiq.org>

ص: ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص: ٥



بسم الله الرحمن الرحيم

### مميزات النهضة الإلهية وخصائصها

#### خصيصه «الخلود» والعمق في شخصيه رسول الإسلام

تُشَبَّهُ نهضه «الأنبياء» الإلهيه الّتي قام بها رسلُ الله وسفراؤه لتخليص البشريه من براثن الأوهام، والخرافات، ولإنقاذها من جور المستكبرين وظلم الظالمين أكثر شيء، بأمواج البحر الّتي تبدأ بدوائر صغيره محدوده، ولكنها كلما ابتعدت عن مركز الدائره ازدادت اتساعاً واتساعاً، واشتدّت قوتها أكثر فأكثر.

إنّ الانقلاب المعنويّ العريض والتحوّل الروحانيّ العظيم الّذي وُضِعَتْ أُسُوسُهُ في أرض مكّه على يدي رسول الإسلام العظيم، أضاء بشعاعه و نوره الباهر في اليوم الأوّل غار حراء ثم منزل خديجه وبعض البيوت المتواضعه في مكّه فقط، ولكنّه اتسع نطاقه بمرور الزمان، حتّى عمّ في مدّه ليست بالطويله شرق الأرض وغربها، ودوّى نداءً التوحيد في منطقه واسعه جداً من العالم (ابتداءً من

إن مؤسسى هذا النوع من النهضات الدينيه(٢) يتمتعون - من حيث الأخلاق والفضائل الإنسانيه - بخصيصه الخلود واللانهايه فإن الزمن يكشف

ص:٨

- ١- . كتبت هذه المقدمه وما بعده خلال تواجدى فى الصين عام ١٤٠٨ هـ، وقد جئت إليها فى مهمه استطلاعيه وتبليغيه إسلاميه، وقد زرت فى نفس الفتره التى كنت فيها مشغلاً بكتابه هذه المقدمه المسجد الجامع فى (بكين) العاصمه، والتقيت بإمام ذلك المسجد الذى رَحِبَ بى وبمَن كان معى أشدَّ ترحيب، وأتحفنى بنسخه من ترجمه القرآن الكريم باللغه الصينيه، وزرت خلال وجودى فى ذلك المسجد قبر رجلين مسلمين من إيران أحدهما تاجر، والآخر عالم جاء إلى الصين فى القرن السادس الهجرى، ونشرا الإسلام فى بكين وما حولها، وقد نصبت عند قبرهما لوحتان من المرمر نقش عليهما اسمهما، وخصوصياتهما بالأحرف العربيه. وهناك تذكرت حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اطلبوا العلم ولو بالصين». قلت فى نفسى: لعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقصد فيما يقصد فى هذا الحديث دفع المسلمين إلى نشر مبادئ الإسلام فى تلك البلاد العريضه التى تضم خمس سكان العالم. وقد قام المسلمون الغيارى على دينهم، الحريصون على نشره وبثه بهذه المهمه فيما سبق وأدوا ما كان عليهم. فماذا فعلنا نحن؟ وهل ترى يجوز أن يجهل خمس سكان العالم دين الله، ولا ينعموا بخيراته؟! أم هل ترى يجوز فى شريعته الانصاف أن يعانى ذلك الشعب الكبير من الأباطره الطغاه فى الماضى، ومن الأنظمه والآيديولوجيات الجائره الملحده فى الحاضر، هذا والنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحرص على هدايه فرد واحد، والقرآن يقول: «وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً»؟ هل خُصِّصَت نهضه الأنبياء الإلهيه برقعته صغيره من الأرض هى الجزيره العربيه، وما حولها؟ أم أنها رحمه للعالمين جميعاً؟ سؤال نظرحه على أبناء الإسلام دعاه ورعايا، حكومات و شعوباً لعلهم يتفكرون؟ (جعفر الهادى).
- ٢- . المقصود من الدين هو المنهاج الواسع الشامل الذى يتكفل سعادته البشريه فى الحياتين الدنياوالأخرى وليس مجرد سلسله من الطقوس الفارغه الخاويه كما هو الحال فى المسيحيه الحاضره.



باستمرار عن أبعاد أوسع و آفاق جديدة من شخصياتهم فهي تتسع كلما تقادم بها العهد تماماً كأمواج البحر، وكأنّ الأنبياء نسخه ثانيه من الطبيعه، فكما أنّنا كلما أمعنا النظر أكثر في الطبيعه ظهرت لنا منها حقائق أكثر، وانكشفت لنا رموز وأسرار جديده لم نعهدها من قبل فهكذا شخصيات الأنبياء والمرسلين، وسفراء الله إلى البشرية.

وتتجلى هذه الحقيقه أكثر فأكثر كلما تعاظمت شخصيه من تلك الشخصيات.

وخلصه القول: إنّنا كلما ازددنا تعمقاً وإمعاناً فيهم، اكتشفنا أسراراً كثيره، وحقائق جديده عن حياتهم.

ويدلّ على كلامنا هذا تلك المؤلّفات الكثيره الوافره التي كتبها علماء التاريخ وأصحاب السير، قديماً وحديثاً، حول رسول الإسلام العظيم صلى الله عليه وآله وسلم ولكن مع ذلك كله كلما تقادم العهد به، وكلما اتسعت النظرات وازدادت عمقاً، اكتشف المحققون مزيداً من الآفاق، وجديداً من الابعاد في هذه الشخصيه الإلهيه.

ولقد كان تعاطى السير النبويه والحديث حولها في البدايه منحصرأ (أو بالأحرى مقتصرأ) على مشاهدات أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومسموعاتهم.

ومع ظهور جيل جديد يُدعى بالتابعين بعد وفاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتّخذت الأحاديث والسنن الإسلاميه، وتفاصيل الحياه النبويه، وقصص غزواته وحروبه رونقاً جديداً، وأحسنّ الجيل الجديد برغبه شديده في أخذ الأحاديث الإسلاميه، والتعرّف على الحوادث التي وقعت في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأيام حياته من مولده إلى وفاته.

وكلما ازدادت حالات الوفاء، في أوساط الصحابه والتابعين الذين كانوا

يشكّلون المنع الأول والمصدر الأصيل لهذا النوع من العلوم الإسلاميه، اتّسع الاهتمام بالسيره وما شابهها وتعاضمت الرغبه فيها وتزايد عطش المسلمين إلى أخذ ومعرفة الأحاديث التي تتضمّن بيان خصوصيات حياه رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم، وجزئيات سيرته الطاهره. هذا من جانب.

ومن جانب آخر كان تشدّد الخليفه الثاني(١)، ومنعه عن كتابه أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أوجب أن يندثر كثير من الأحاديث الإسلاميه، التي سمعها بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتدفن تحت التراب بموتهم.

ولقد استمر منع الخليفه عن كتابه الحديث النبوي وبقى سارى المفعول لمدته طويله بعد وفاته(٢)، حتّى أتى إلى الحكم خليفه معتدل السيره من الأمويين هو: «عمر بن عبدالعزيز» فأمر - فى رساله وجهها إلى أبى بكر بن حزم حاكم المدينه وقاضيها - بكتابه أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم خوفاً من اندراس العلم وزواله(٣).

### المصادر الأولى والأصيله للكتابه عن سيره النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ومن حسن الحظ أنّ الخليفه الثاني لم يمنع إلّا من تدوين وكتابه الأحاديث النبويه، فلم يشمل هذا المنع كتابه الحوادث والوقائع التي وقعت فى عصر رساله.

ولهذا ألفت فى تلك الفتره كتبٌ كثيره عن حياه رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم، وأول من كتب حول وقائع عصر الرساله، وأرخ حوادث الصدر الأول من الإسلام هو:

ص: ١٠

١- . لاحظ: تقييد العلم للخطيب البغدادي: ٤٨-٥٣.

٢- . لم يترك نهى الخليفه أى أثر على علماء الشيعة الذين كانوا يتبعون علياً عليه السلام، فقد عمدوا فى فتره محدوده إلى تدوين وضبط الأحاديث، وحفظوا كنوزاً عظيمه من علوم أهل البيت النبوي. للتوسع فى هذا المجال راجع كتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام».

٣- . لاحظ: إرشاد السارى فى شرح صحيح البخارى: ١/١٩٥ و ١٩٦.

«عروه بن الزبير بن العوام» الصحابي المعروف الذي توفي عام ٩٢ أو ٩٦ من الهجرة(١).

ثم عمد بعده جماعه في المدينة وآخرون في البصره إلى جمع وتدوين تفاصيل سيره، وحروب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغزواته، وبيان هذا الأمر على نحو التفصيل خارج عن نطاق هذه الدراسه.

ولقد كانت هذه الكتب والمؤلفات هي المنبع والأساس للكتب التي دوّنت فيما بعد في صوره كتب سيره النبويه، أو تاريخ الإسلام.

وقد بدأ تدوين سيره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بشكل جميل وبصوره بديعه منذ أوائل المنتصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وكان من بين من قام بجهد مشرف ومشكور في هذا المجال العالم الشيعي الكبير محمد بن إسحاق (المتوفى عام ١٥١ هـ) فهو أول من استخرج تفاصيل الوقائع الإسلاميه من كتب الماضين، ومن ثانيا رواياتهم و منقولاتهم وألفها وأخرج شيئاً جامعاً حول سيره النبويه إلى عالم الكتب والمؤلفات.

كما أنّ أول من ضبط ودوّن غزوات رسول الإسلام بشكل مفصل هو الواقدي صاحب «المغازي» و «فتوح الشام» (المتوفى عام ٢٠٧ هـ)(٢).

ص: ١١

١- . تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٣٣. اختلفت الأقوال في من هو أول من صنّف في علم المغازي والسير في الإسلام. فقال السيوطي في كتاب الأوليات بأنّه عروه بن الزبير. وقال الأندلي في «كشف الظنون» إنّ محمد بن إسحاق. والحقّ إنّّه لا الأول ولا الثاني بل عبيد الله بن أبي رافع فإنّه تقدّمهما في التصنيف في السير والمغازي.

٢- . عدّ الشيخ الطوسي في رجاله ابن إسحاق من تلامذه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وتوجد نسخه

وقد لُخصت سيره ابن اسحاق على يد ابن هشام أبي محمد عبدالملك (المتوفى عام ٢١٨ هـ) و عرفت فيما بعد بسيره ابن هشام (أو السيره الهشاميه) وهو الآن معدود من مصادر التاريخ الإسلامى و سيره النبى الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم الموثقه.

ولو أننا تجاوزنا هذه الشخصيات لكان لشخصيتين آخرين سهمٌ كبيرٌ فى تدوين و تسجيل تاريخ حياه رسول الإسلام وهما:

١. محمد بن سعد الكاتب الواقدى (المتوفى عام ٢٣٠ هـ) مؤلف «الطبقات الكبرى» الذى أورد فيه سيره النبى الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم وأصحابه على نحو التفصيل.

وقد طبع هذا الكتاب فى لندن مؤخراً، كما أعيد طبعه فى لبنان فى ٩ مجلدات.

٢. محمد بن جرير الطبرى (المتوفى عام ٣١٠ هـ) مؤلف كتاب «تاريخ الأمم والملوك».

على أن تسمى جهود هذه الثله من الكتاب والمؤلفين لا يعنى بالضرورة أن كل ما أدرجه فى مؤلفاتهم هو الثابت الصحيح، بل تحتاج مؤلفاتهم - كغيرها من المؤلفات، والكتب - إلى التحقيق الواسع والتمحيص الدقيق.

ثم إن حركه التأليف حول شخصيه رسول الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم وسيرته استمرت بعد ذلك طيله القرون الإسلاميه اللاحقه. ونحن اليوم أمام مكتبه زاخره من الكتب، والدراسات، المختلفه فى أحجامها ومستوياتها، والمتنوعه فى طرائقها و أساليبها، التى ألفت حول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، وهذا إنما يدل على خصيصه العمق واللانهايه التى اتسمت بها شخصيه النبى صلى الله عليه و آله و سلم الخالده العظيمه.

وقد أراد صاحب هذه الدرّاسه أن يقدم للجيل الحاضر شرحاً ناطقاً عن حياه رسول الإسلام العظيم، في حدود ما تسمح به إمكانيّاته المحدوده، ولم يأل جهداً - لتحقيق هذا الهدف على وجه أفضل - في مراجعته كتب الفريقين المعبره، وإن اكتفى بذكر عددٍ قليل من المصادر عند التأليف، وقد بيّنا عذرنا من هذا في الجزء الأوّل من هذه الدرّاسه.

ولقد تناول الجزء الأوّل من هذا الكتاب حوادث مكّه من بدء نشأتها إلى نهايه السنوات الثلاث عشره الأولى من عصر الرساله أى ما قبل الهجره، وها هو الجزء الثاني وهو يتناول حوادث العشر سنوات للهجره الشريفه، ومن اللّهُ التوفيق.

جعفر السبحاني

قم المقدّسه - الحوزه العلميه

٢١ شعبان ١٣٩٢ هـ

ص: ١٣

حوادث السنه الأولى من الهجره (١)

## ٢٧ أول عمل إيجابي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينه

### عقد ميثاق تعايش بين المسلمين وغيرهم

حملت وجوه فتيه الأنصار المستبشره، المبتهجه، بمقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاستقبال العظيم الذى قام به أغلبه الأوسيين والخزرجيين له حملته صلى الله عليه وآله وسلم، على أن يعمد قبل أى شىء إلى تأسيس مركز عام لتجمع المسلمين فيه فى الأوقات المختلفه، وللقيام بالأعمال التربويه والتثقيفيه، والسياسيه والعسكريه فى رحابه.

كما أن عباده الله الواحد تقع فى طليعه البرامج التى جاء بها رسول الإسلام، ولذا رأى من اللازم أن يعمد قبل أى عمل آخر إلى بناء مسجد للمسلمين حتى يتسنى لهم أن يعبدوا الله ويذكروه فيه فى أوقات الصلوات.

أجل كانت الحاجه إلى مثل هذا المركز شديده فلا بد من مكان ليجمع

ص: ١٤

١- . لا بد أنك أيها القارئ الكريم تتذكر جيداً أننا قصدنا من السنه الأولى للهجره الأشهر العشره المتبقية التى قضى رسول الله شهرين منها فى مكه وحط فى الباقي من شهرها الثالث (أى ربيع الأول) على أرض يثرب، بناء على هذا تكون السنه الأولى من الهجره تسعه أشهر تقريباً، وتبدأ السنه الهجرية الثانيه من شهر محرّم الحرام (وليس من الثاني عشر من ربيع الأول).

أعضاء حزب الإسلام (حزب الله) كل أسبوع في يوم معيّن فيه، ويتشاوروا في شؤون الإسلام والمسلمين ومصالحهم، وليجتمع فيه عامّة المسلمين مضافاً إلى هذا اللقاء الأسبوعيّ مرّتين كلّ عام لأداء صلاة العيد، فكان المسجد الذي بناه كأول عمل قام به بعد قدومه المدينة.

فلم يكن المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للعبادة فقط بل كانت تلقى فيه كلّ أنواع العلوم والمعارف الإسلاميّة الشاملة للأُمور التربويّة وغيرها.

لقد كان يعلم فيه كلّ التعاليم والمواد الدينيّة والعلميّة، حتّى الأُمور المرتبطة بالقراءة والكتابة.

وقد بقيت أغلب المساجد على هذا المنوال حتّى مطلع القرن الرابع الهجريّ الإسلاميّ، فقد كانت في غير أوقات الصلاة تتحوّل إلى مراكز لتدريس العلوم المتنوّعة (١).

وربما اتّخذ مسجد المدينة صورته المركز الأدبيّ، عندما كان يُلقى فيه كبار فصحاء العرب وبلغاؤهم قصائدهم المنسجمة مع التعاليم الأخلاقيّة والمعايير الإسلاميّة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما فعل «كعب بن زهير» إذ ألقى قصيدته المعروفه بـ «البرده» عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد، وأعطاه النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم صلته جيّده، وخلع عليه بخلعه عظيمه (٢).

ص: ١٥

١- . راجع صحيح البخاري: ج ١ كتاب العلم، بل حتّى عند فصل المراكز العلميّة عن المساجد في ما بعد، بقيت المدارس تبني وتشيد إلى جانب المساجد فكان هذا العمل يجسد الصلة الوثيقه بين العلم والدين.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٩٣٩/٤ قال: أنشد كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد: بانت سعاد.

أو كما كان يفعل «حسبان بن ثابت» الذي كان يدافع بشعره عن حوزة الإسلام والمسلمين إذ كان يلقي بعض قصائده في المسجد عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد كانت مجالس الدرس والتعليم في مسجد المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تتسم بروعه كبيره بحيث عندما شاهد وفد ثقيف مشهداً من مشاهدها انبهروا به، وعجبوا بشده لاهتمام المسلمين بتعلم الأحكام واكتساب المعارف والعلوم (١).

كما أنه كانت تمارس الأمور القضائية والفصل بين الخصومات، وإصدار الحكم على المجرمين في المسجد، فكان المسجد يومذاك بمنزله محكمه (بكل معنى الكلمه) أي أنها تقوم بكل ما تقوم به المحاكم اليوم.

هذا مضافاً إلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يلقي خطبه الحماسيه والجهاديه لتعبئه المسلمين من أجل مجاهد الكفار والمشركين في المسجد.

ولعل من حكمه الاجتماع في المسجد لأجل تحصيل المعارف وتعلم العلوم هو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد بذلك أن يثبت عملياً أن العلم والدين توأمان لا ينفكان، فكلما كان هناك مركز للإيمان وجب أن يكون محلاً للعلم أيضاً.

وأما ممارسه القضاء والقيام بالخدمات الاجتماعيه، واتخاذ القرارات العسكريه في المسجد فقد كان لأجل أن يعلن للجميع بأن دينه ليس مجرد أمر معنوي لا يتصل بالأمور الدنيويه ولا تهمة قضايا الحياه وشؤون المعيشه الماديه، بل هو دين شامل كامل لا يحض الناس على التقوى، ولا يدعوهم إلى الإيمان إلا ويهتم أيضاً بشؤونهم المعيشيه وإصلاح أوضاعهم الاجتماعيه.

فليس هو بالتالي يهتم بجانب ويُغفل جانباً، بل هو دين شامل جامع يتكفل الأمور

ص: ١٦

١- . تاريخ الخميس: ١٣٦/٢.



ولقد كان هذا التلاقى والانسجام (بين العلم والإيمان) محطَّ اهتمام المسلمين ونصب أعينهم دائماً حتَّى بعدما اتَّخذت المراكزُ التعليميه والمؤسساتُ العلميه البحته شكلاً مستقلاً وصار لها محلٌّ خاصٌ تُدرّس فيه، فإنَّهم ظلُّوا يبنون الجامعات إلى جانب الجوامع ويشيّدون المعاهد إلى جانب المساجد، ليثبتوا للعالم أنّ هذين الأمرين اللذين يكفلان إسعاد الحياه والإنسان لا يمكن أن ينفصلا، ويتعد بعضهما عن بعض.

### مع عمار بن ياسر في بناء المسجد النبوي

لقد ابتاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأرض التي بركت فيها ناقته يوم قدومه المدينة، من أصحابها بعشره دنانير لإقامه مسجد فيها. واشترك كافه المسلمين في تهيئه موادّه الإنشائيه وبنائه، وعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه في تشييده أيضاً، فكان صلى الله عليه وآله وسلم ينقل معهم اللبن، والحجاره، وبينما هو صلى الله عليه وآله وسلم ذات مره ينقل حجراً على بطنه استقبله «أسيّد بن حضير» فقال: يا رسول الله إعطني أحمله عنك.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: لا، إذهب فاحمل غيره (١).

وبهذا الأسلوب العملي كشف رسول الإسلام العظيم عن جانب من برنامجه الرفيع، إذ بيّن بعمله أنّه رجل عمل وليس رجل قول، رجل فعل وليس رجل كلام، وكان لهذا الأسلوب الأثر الفعّال في نفوس أتباعه.

فقد أنشد أحد المسلمين بهذه المناسبه يقول:

ص: ١٧

لَئِن قَعَدْنَا وَالنَّبِيَّ يَعْمَلُ فَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمُضَلَّلُ (١)

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يردد وهو يبني ويعمل: لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة.

وقد كان «عثمان بن عفان» ممن يهتم بنظافته ثيابه، ويحرص على أن يمنع عنها الغبار والتراب، فلم يعمل في بناء المسجد لهذا السبب، فأخذ عمّار ينشد أبياتاً تعلمها من أمير المؤمنين علي عليه السلام، وفيها تعريض بمن لا يعمل ويحرص على ثيابه أن لا تتسخ بالغبار:

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا (٢) وقد أغضب مفاد هذه الأبيات عثمان بن عفان، فقال لعمّار مهدداً: قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سميّه، والله إنى لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك، أى أضربك بها، وفي يده عصا!!

فلما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكلام عثمان غضب وقال:

«ما لهم ولعمّار، يدعوهم إلى الجّنة، ويدعونّه إلى النار.

إنّ عماراً جلده ما بين عيني وأنفى...» (٣).

ص: ١٨

---

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٣٤٤/٢، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر مكتبه محمد علي صبيح وأولاده، مصر - ١٣٨٣ هـ.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٣٤٤/٢؛ تاريخ الخميس: ٣٤٥/١؛ والسيره الحلييه: ٧٦/٢. ومع أنّ ابن إسحاق صرح باسم عثمان بن عفان ولكن ابن هشام الذي لخص سيره ابن إسحاق امتنع عن تسميه عثمان. وقال صاحب المواهب اللدنيه: المراد في هذه الأبيات عثمان بن مظعون، راجع هامش سيره ابن هشام أيضاً.

٣- . تاريخ الخميس: ٣٤٥/١.

وكان «عمّار» فتى الإسلام القوى، يحمل قدراً كبيراً من اللبن والأحجار في بناء المسجد ولا يكتفى بحمل شيء قليل منها.

فكان البعض يستغل طيب قلبه وإخلاصه فيثقله باللبن والأحجار.

ويروى أنّ أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعل يحمل كلّ واحد لبنة لبنة وعمّار يحمل لبنتين لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم محبه منه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١).

وذات مرّه رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد حمّله ثلاث لبنات أو أحجار ثقيله، فشكا إليه عملهم وقال: يا رسول الله قتلوني يحملون عليّ ما لا يحملون فنفض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفرته (٢) وكان رجلاً جعداً وهو يقول قولته التاريخيه:

«ويح ابن سميّه ليسوا بالذين يقتلونك، إنّما تقتلك الفئه الباغيه» (٣).

وقد كان هذا الخبر الغيبي من الدلائل القويه على نبوّه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وصدق دعواه، وصحّه إخباراته، فقد وقع ما أخبره كما أخبر، فقد قتل «عمّار» وهو في التسعين من عمره في معركة صفين عندما كان يقاتل جيش الشام بين يدي على عليه السلام، فقتله حزب معاويه، وقد أحدث هذا الخبر الغيبي أثراً عجبياً في حياه المسلمين، فقد جعله المسلمون معياراً لمعرفة الحقّ، أي كانوا يعرفون حقّانيه أي جهه من الجهات وأي طرف من الأطراف في الصراعات والتراعات بانضمام عمّار إليه.

وعند ما قُتِلَ عمّار في ساحه القتال بصفين، دبّ في أهل الشام اضطراب عجب.

ص: ١٩

١- السيره الحلبيه: ٧١/٢، البدايه والنهايه: ٢١٧/٢.

٢- أي شعر رأسه.

٣- المصدران السابقان.

فالذين كانوا في شك في حقانيه علي عليه السلام وموقفه في هذه الحرب بفعل الدعايه المضاده التي كان يقوم بها معاويه ومساعده عمرو بن العاص ضد الإمام قد انتبهوا إلى خطائهم وعرفوا بمقتل «عمّار» على أيدي أنصار معاويه بأنّ علياً علي حق وأنّ معاويه وجماعته هي الفئة الباغيه التي أخير عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هؤلاء «خزيمه بن ثابت» الأنصاري الذي خرج مع الإمام علي عليه السلام لقتال معاويه، ولكنّه كان متردداً في مقاتلته، بيد أنّه جرّد سيفه بعد مقتل «عمّار» على أيدي أهل الشام، وحمل عليهم (١).

ومنهم «ذوالكلاع» الحميري الذي خرج على رأس عشرين ألف مقاتل وهم تمام رجال قبيلته، مع معاويه لمحاربه الإمام علي عليه السلام، وكان معاويه يعتمد على نصرته اعتماداً كبيراً، حتّى أنّه لم يقدم على اتّخاذ قرار الحرب إلّا بعد أن اطمأنّ إلى تأييده له، ومشاركته في قتال علي عليه السلام.

فقد صُدِمَ القائد المخدوع بشدّه عندما سمع بوجود «عمّار» في معسكر الإمام «علي».

فأرادَ رجالَ معاويه أن يمؤهُوا الأمر، ويشوشوه عليه فقالوا: ما لعمّار ولصقّين؟ فذلك ما يقوله أهل العراق وما يباليون من الكذب.

ولكن ذا الكلاع لم يقتنع بهذا فقال لعمرو بن العاص: يا أبا عبدالله أما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ عمّاراً تقتله الفئة الباغيه»؟

فقال عمرو: أجل، ولكن ليس عمّار في رجال علي.

فقال ذوالكلاع: فلا بدّ إذن أن أعرف ذلك بنفسي.

ص: ٢٠

---

١- . المستدرک علی الصحیحین: ٣/٣٨٥؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢٥٩/٣.

ثم أمر رجالاً بأن يتحققوا من الأمر. وفي هذه اللحظه الحساسه أدرك معاويه وعمرو خطوره الموقف، إذ لو تحقق ذوالكلاع من وجود عمّار في معسكر «على» أو عرف بمقتله بين يديه عليه السلام إذن لأحدث ذلك شرخاً كبيراً وتمزقاً فضيعاً في جيش الشام، من هنا تمّت تصفيه ذوالكلاع فوراً إذ قُتل بصورة غامضه(١).

إنّ اشتهاار هذا الحديث لدى محدّثي السنّه والشيعة ليغنيانا عن استعراض مصادره، واسناده.

فقد روى أحمد بن حنبل أنّه لما قُتل عمّار بن ياسر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال قُتل عمّار وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: تقتله الفئة الباغية؟ فقام عمرو بن العاص فزعاً يرجع (أى يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون) حتّى دخل على معاويه، فقال معاويه: ما شأنك؟ قال: قُتل عمّار فقال معاويه: قد قُتل عمّار فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: تقتله الفئة الباغية، فقال له معاويه:

أو نحن قتلناه إنّما قتله عليٌّ وأصحابه جاءوا به حتّى ألقوه بين رماحنا (وسيوفا) (٢).

ولكن لا يخفى أنّ هذا التأويل الباطل الّذى لجأ إليه ابن أبى سفيان لتهدئه جنود الشام، ليس مقبولاً عند الله تعالى قط، كما لا يقبل به أى عاقلٍ لبيبٍ.

فإنّ هذا هو الاجتهاد فى مقابل النص، وهو ممّا لا قيمه له أبداً، فإنّ هذا النوع من الاجتهاد فى مقابل الآيات والروايات الصريحه هو الّذى سبّب فى أن يعمد فريق من المجرمين والجنّاه إلى تبرير جرائمهم وفضائعهم بحجّه «الاجتهاد»، وتحت غطاءه.

ص: ٢١

١- . وقعه صفين: ٣٧٧.

٢- . مسند أحمد بن حنبل: ١٩٨/٤.

وإليك نموذجاً من هذا الأمر:

### ضُرُّ أَرَأْفٍ مِنَ وَالِدِهِ!!

لا يجد المرءُ عبارةً أفضلَ من هذه تعرّف حقيقته مؤرّخ القرن الثامن الهجرى (ابن كثير الشامي مؤلف البدايه والنهايه).

فقد انبرى هذا الرجل إلى الدفاع عن معاويه في كتابه إذ قال: لا يلزم من تسميه أصحاب معاويه بغاة تكفيرهم... لأنهم وإن كانوا بغاة في نفس الأمر فإنهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال، وليس كلّ مجتهدٍ مصيباً، بل المصيب له أجران، والمخطئ له أجر - ثم يقول: - وأمّا قوله: يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار، فإنّ عمّاراً وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الألفه واجتماع الكلمه، وأهل الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون من هو أحقّ به، وأن يكون الناس أوزاعاً على كلّ قطر إمام برأسه، وهذا يؤدّي إلى افتراق الكلمه واختلاف الأمه فهو لازم مذهبهم وناشئ عن مسلكهم وإن كانوا لا يقصدونه!!(١).

ونحن لم نجد اسماً يناسب هذا العمل إلّا التحريف للحقائق.

فإنّ مؤيدى الفئه الباغيه مع كلّ ما أوتوا من قدره على إخفاء الحقائق وطمسها لم يستطيعوا إنكار هذه الحقيقه، ولكن مؤرخاً مثل ابن كثير عمّد - رغم ورود هذا الحكم الغيبى فى شأن تلك الفئه - إلى تحريف بارد قد غفلت تلك الفئه هى ذاتها عنه!! روى أحمد بن حنبل فى مسنده عن حنظله بن خويلد العنبرى قال: بينما أنا عند معاويه إذ جاء رجلاً على معاويه يختصمان فى رأس عمّار يقول كلّ واحد

ص: ٢٢

منهما أنا قتلته، فقال عبدالله بن عمرو: وليطب به أحدكما نفساً لصاحبه فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: تقتله الفئة الباغية، قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال:

إن أبي شكاني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أطع أباك مادام حيّاً، ولا تعصه، فأنا معكم ولست أقاتل (١).

إن اعتذار «عبدالله بن عمرو بن العاص» يشبه تأويل ابن كثير الشامي الذي يقول: إن معاوية قاتل «عليّاً» في صفين اجتهاداً وإيماناً، وإن أخطأ في اجتهاده؛ وذلك لأن إطاعه الوالد واجبه ما لم تجر إلى مخالفه الشرع، فهذا هو القرآن الكريم يقول:

«وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا» (٢).

كما أن الاجتهاد إنما يصح إذا لم يكن في المقام نص صريح ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولهذا كان اجتهاد معاوية وعمرو بن العاص وأمثالهما باطلاً مرفوضاً، لكونه في مقابل النص النبوي.

ولو أننا فتحنا باب الاجتهاد هكذا بدون أيه ضوابط لكان جميع المشركين والمنافقين معذورين في معارضتهم، ومحاربتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما لا بد - حينئذ - أن نقول: إن يزيد والحجاج وأشباههما كانوا معذورين في سفكهم لدماء الأئمة المعصومين، والصالحين من المسلمين، بل ومأجورين في عملهم هذا.

\*\*\*

انتهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون من بناء المسجد، وظل يوسع فيه كل عام شيئاً فشيئاً.

ص: ٢٣

١- . مسند أحمد بن حنبل: ١٦٤/٢-١٦٥.

٢- . العنكبوت: ٨.

وقد بُنى إلى جانب المسجد صفه ليسكن فيها الفقراء والمهاجرون المحرومون. وكلف «عباده بن الصامت» بأن يعلمهم الكتابه، وقراءه القرآن.

## التأخي أعظم معطيات الإيمان

لقد فتح تمرکز المسلمين في المدينة فصلاً جديداً في حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم قبل دخوله المدينة لا يهتمه إلا جذب القلوب والدعوه إلى دينه، ولكنه اليوم عليه أن يعمل - كصاحب دوله محنك - على حفظ كيانه وكيان جماعته، ولا يسمح للأعداء الداخليين والخارجيين بالتسلل والنفوذ في صفوفهم، ولكنه كان يواجه في هذا السبيل ثلاث مشاكل كبرى:

١. خطر قريش وعامه الوثنيين في شبه الجزيرة العربيه.

٢. خطر يهود يثرب الذين كانوا يقطنون داخل أو خارج المدينة ويمتلكون ثروه كبيره.

٣. الاختلاف الذي كان بين أتباعه من المهاجرين وبين الأوس والخزرج.

وحيث إن المهاجرين والأنصار قد نشأوا في بيئتين مختلفتين، لهذا كان من الطبيعي أن يختلفوا في طريقه المعاشره، وآداب السلوك، وأسلوب التفكير اختلافاً كبيراً.

هذا مضافاً إلى أن الأوس والخزرج الذين كانوا يشكلون جماعه الأنصار كانوا هم يعانون من رواسب عدايه قديم وبقايا ضغائن نشأت خلال حروب دمويه طويله استغرقت مائه وعشرين سنه بلا انقطاع.

ومع وجود مثل هذه التناقضات والأخطار المحتمله لم تكن مواصله الحياه الدينيه، والسياسيه المستقره أمراً ممكناً قط.



ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تغلب على كل هذه المشكلات بطريقه حكيمة، غاية في الحنكة والإبداع.  
فبالنسبة إلى المشكلتين الأوليين فقد عالجهما بالقيام بأعمال سيأتى ذكرها فى المستقبل.

وأما بالنسبة إلى مشكله التناقضات بين فئات وأصناف جماعته فقد عالج تلك المشكله بحذق كبير، وتدبير رائع جداً.  
فقد أمر من جانب الله تعالى بأن يؤاخى بين المهاجرين والأنصار.  
فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وقال لهم:

«تآخوا فى الله أخوين أخوين»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكرت المصادر التاريخية الإسلامية، مثل «السيرة النبوية» لابن هشام<sup>(٢)</sup> أسماء كل متآخيين من المهاجرين والأنصار.  
وبهذا الأسلوب عزز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوحدة السياسية والمعنوية بين المسلمين وقوى أسسها ودعائمها.  
وقد سببت هذه الوحدة وهذا التآخى الواسع فى حل المشكلتين الأوليين بسرعة وسهولة.

### منقبتان عظيمتان

ولقد ذكر أكثر مؤرخى السنّة والشيعة ومحدثيهم فى هذا الموضوع منقبتين عظيمتين، نذكرهما نحن هنا أيضاً: لقد آخى رسول  
الله صلى الله عليه وآله وسلم بين ثلاثمائة من

ص: ٢٥

---

١- السيرة النبوية لابن هشام: ٣٥١/٢. نشر مكتبة محمد على صبيح وأولاده، مصر - ١٣٨٣ هـ.

٢- السيرة النبوية: ٣٥١/٢-٣٥٣.

أصحابه من المهاجرين والأنصار وهو يقول: يا فلان أنت أخ لفلان.

ولمّا فرغ من المؤاخاه، جاء عليّ عليه السلام، تدمع عيناه فقال:

«يا رسول الله آخيتَ بين أصحابك ولم تؤاخِ بيني وبين أحد؟»

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أخذ بيده:

«يا عليّ أنت أخى فى الدنيا والآخرة» (١).

وقد ذكر القندوزى الحنفى هذه القضية بنحو أكثر تفصيلاً إذ قال:

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ:

«والله بعثنى بالحقّ نبياً ما أحرثك إلفنسى، فأنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدى، فأنت أخى ووارثى» (٢).  
غير أنّ ابن كثير شكك فى صحّحه هذه الرواية (٣)، وحيث إنّ هذا التشكيك نابع من نفسيته الخاصّه، ولا يقلّ تفاهةً وطلاناً من اعتذاره ودفاعه عن معاويه وزمرته الباغية عن قتل الصحابى العظيم عمّار بن ياسر، لهذا نرجح أن نصرف النظر عن النقاش فيه، ونترك القضاء والحكم عليه للقارئ المنصف، والمنتبع العدل.

### منقبه أخرى لعليّ عليه السلام

فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بناء المسجد، وقد بُيّت منازلُه ومنازل أصحابه حول المسجد، وكلّ شرع منه باباً إلى المسجد، وخطّ لحمزه خطأً فبنى منزله فيه،

ص: ٢٤

١- . المستدرک على الصحيحين: ١٣/١٤.

٢- . ينابيع الموده: ١/١٥٩، الباب الخامس.

٣- . البدايه والنهائيه: ٧/٣٧١، حديث المؤاخاه.

وشرع بابَه إلى المسجد، وخطَّ لعلِّي بن أبي طالب مثل ما خطَّ لهم فبنى منزله فيه وشرع بابَه إلى المسجد، فكانوا يخرجون من منازلهم فيدخلون المسجد من تلك الأبواب.

وفجأه نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال:

«يا محمَّد إنَّ الله يأمرُك أن تأمرَ كلَّ مَنْ كان له بابٌ إلى المسجد أن يسدَّهُ ولا يكون لأحدٍ بابٌ إلى المسجد إلَّا لك ولعلِّي عليه السلام».

يقول ابن الجوزي: فأوجدَ هذا الأمرُ ضجَّه عند البعض، وظنُّوا أنَّ هذا الاستثناء قد نشأ عن سبب عاطفي، فخطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الناس وقال فيما قال:

«والله ما أنا أمرتُ بذلك، ولكنَّ الله أمرَ بسدِّ أبوابكم وترك بابِ عليٍّ»<sup>(١)</sup>.

وخلاصه القول: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى عن طريق المؤاخاه الإسلاميَّة بين أصحابه من الأنصار والمهاجرين على الاختلافات القديمة التي كانت رواسبها باقيه بين المسلمين إلى ذلك اليوم، وبذلك حلَّ مشكله من المشاكل الثلاث التي مرَّ ذكرها.

### معاهده الدفاع المشترك بين المسلمين ويهود يثرب

كانت المشكله الثانيه التي يواجهها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة هي مشكله يهود يثرب الذين كانوا يقطنون المدينة وخارجها وكانوا يمسون بأزمه التجاره والاقتصاد في تلك المنطقه.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدرك جيداً إنَّه ما لم تصلح الأوضاع الداخليه في

ص: ٢٧

١- . تذكره الخواص: ٤٦، بتصرف بسيط. ولاحظ: بحار الأنوار: ١١٢/١٩.

المدينه وما لم يضمَّ إلى صفوفه يهود يثرب، وبالتالي ما لم يتمَّ وحدهً سياسيهً عريضهً في مركز حكومته، لم تنهياً لشجره الإسلام أن تنمو، ولن يتهيأ له صلى الله عليه وآله وسلم أن يفكر في أمر الوثنيين والوثنيه في شبه الجزيره العربيه، ولا يستطيع معالجه المشكله الثالثه، أعنى: قریش خاصه.

والمشكله واحده ما لم يستتب الأمن والاستقرار في مقرّ القياده لن يمكن الدفاع ضدّ العدو الخارجى.

ولقد قام بين يهود المدينه والمسلمين في بدايه هجرتهم إليها نوعٌ من التفاهم لأسباب خاصه، لأنّ كلا الجانبين كانا موحدّين يعبدان الله، ويرفضان الأوثان، وكان اليهود يتصوّرون أنّهم يستطيعون - إذا اشتدّ ساعد المسلمين، وقويت شوكتهم - أن يأمنوا حملات المسيحيين الروم، هذا من جانب، ومن جانب كان بينهم وبين الأوس والخزرج علاقات عريقه وموثيق قديمه.

من هنا حاول النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكرّس هذا التفاهم، ويبلوره بعقد معاهده تعايش، ودفاعٍ مشترك بين الأنصار والمهاجرين وقّع عليها يهود المدينه أيضاً (١).

وقد احترّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تلك المعاهده دين اليهود وثروتهم في إطار شرائط معيّنه.

وقد أدرج كتاب السير والمؤرّخون النصّ الكامل لهذه المعاهده في كتبهم (٢).

ص: ٢٨

---

١- المقصود منهم يهود الأوس والخزرج، وأمّا يهود بنى النضير، وبنى قينقاع، وبنى قريظه فقد عقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم معهم معاهدهً مستقلهً سنذكرها.

٢- مثل: السير النبويه لابن هشام: ٣٤٨/٢.

ونظراً لأهميتها الخاصه، ولأنها تُعتبر مستنداً تاريخياً حياً، قوياً الدلالة، ولكونها تكشف عن مدى التزام رسول الإسلام العظيم صلى الله عليه وآله وسلم بمبادئ الحرية والنظم والعدالة، ومبلغ مراعاته واحترامه لها في الحياه، ولأنها تكشف لنا كيف أنها أوجدت جبهةً متحدةً قويةً في وجه الحملات الخارجيه، نذكرها هنا ونسجلها كواحدٍ من أكبر الانتصارات السياسيه التي أحرزتها الحكومه الإسلاميه الناشئه في العالم ذلك اليوم.

## أعظم معاهده تاريخيه

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتابٌ من محمّد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم.

«البند الأوّل»

١. إنهم أمّةٌ واحدةٌ من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم (أى على الحال التي جاء الإسلام وهم عليها) يتعاقلون بينهم (أى يدفعون ديه الدم) وهم يقدون عانيهم (أسيرهم) بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٢. وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكلُّ طائفه تفي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وهكذا بنو ساعده، وبنو الحارث، وبنو جشم، وبنو النجار، وبنو عمرو بن عوف، وبنو النبيت، وبنو الأوس كلّ على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى (والحال التي جاء الإسلام وهم عليها من حيث التعاون على الديات إلى أولياء المقتول، ودفع الفديه معاً لفك الأسير).

ص: ٢٩

٣. وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرَكُونَ مَفْرَحًا (أَي مَثَقَلًا بِاللَّذِينَ وَكَثِيرَ الْعِيَالِ) بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطُوهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلٍ (أَي دَفْعِ دِيهِ أَوْ فِدَاءِ أُسِيرٍ).

٤. وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ (يَدُّ وَاحِدَهُ) عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ، أَوْ ابْتَغَى دَسِيعَهُ (عَظِيمَهُ) ظَلَمَ، أَوْ إِثْمًا، أَوْ عُيُودَانَ، أَوْ فِسَادَ بَيْنِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا وَلَوْ كَانَ وَلَدًا أَحَدَهُمْ.

٥. وَأَنْ لَا يُحَالَفَ مُؤْمِنٌ مُوَلَّى (أَي عَبْدٌ) مُؤْمِنٍ دُونَهُ (أَي دُونَ إِذْنِهِ).

٦. وَأَنْ لَا يَقْتُلَ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ (أَي قِصَاصًا لِمَقْتَلِ كَافِرٍ عَلَى يَدَيِ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِ) وَلَا يَنْصُرَ كَافِرًا عَلَى مُؤْمِنٍ.

٧. وَإِنَّ ذِمَّةَ اللَّهِ وَاحِدَهُ (تَشْمَلُ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ) يُجَبِّرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ (فَإِذَا أُجَارَ عَبْدٌ مُسْلِمٌ كَافِرًا قُبِلَتْ إِجَارَتُهُ وَاحْتَرِمَ أَمَانُهُ).

٨. وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مُوَالِيٌّ بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ.

٩. وَإِنَّهُ مَنْ تَبَعْنَا مِنْ يَهُودٍ فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأُسُوءَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ، وَلَا مُتَنَاصِرِينَ عَلَيْهِمْ.

١٠. وَإِنَّ سَلَامَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَهُ لَا يُسَالَمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ (فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْفِرَ بِعَقْدِ مَعَاهَدَةٍ صُلِحَ مَعَ أَحَدٍ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بِمُؤَافَقَةِ الْمُسْلِمِينَ).

١١. وَإِنَّ كُلَّ غَازِيَةٍ غَزَتْ مَعَنَا يَعْقَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا (أَي يَتَنَاقَبُ الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَشَارِكَةِ فِي الْجِهَادِ)، وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَبِيءُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِمَا نَالَ دِمَاءَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (أَي يَرِاقُ مِنْهُمْ الدَّمُ عَلَى السَّوَاءِ لَا أَنْ يَتَعَرَّضَ لِلْقِتْلِ بَعْضٌ دُونَ بَعْضٍ).

١٢. وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى أَحْسَنِ هُدًى وَأَقْوَمِهِ.

١٣. وَأَنْ لَا يُجَبِّرَ مُشْرِكٌ (مَنْ مُشْرِكِي الْمَدِينَةِ) مَالًا لِقَرِيشٍ، وَلَا نَفْسًا، وَلَا

يحولّ دونه على مؤمنٍ (أى لا يمنعه من مؤمن).

١٤. وإنه من اعتبط مؤمناً (أى قتل من المؤمنين مؤمناً بلا جنايه منه توجب قتله) قتلاً عن بينه فإنه قودّ به (أى يُقتل بقتله قصاصاً) إلّا أن يرضى ولّى المقتول.

وإن المؤمنين عليه كافه، ولا يحلّ لهم إلّاقيام عليه.

١٥. وإنه لا يحلّ لمؤمن أقرّ بما فى هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصيرَ مُحدثاً (صاحب بدعه) ولا يؤويه؛ وإنه من نصره، وآواه فعليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرفٌ ولا عدلٌ.

١٦. وإنكم مهما اختلفتم فيه من شىء فإنّ مردّه إلى الله عزّوجلّ وإلى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

«البند الثانى»

١٧. وإن اليهودَ ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين (ودفاعاً عن المدينة).

١٨. وإنّ يهود بنى عوف أمّة مع المؤمنين (وبنو عوف قبيلة من قبائل الأنصار) لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلّا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ (لا يهلك) إلّا نفسه وأهل بيته (والسبب فى هذا هو أنّ أهل بيت الرجل يتبعونه ويؤيدونه فى فعله غالباً وعادةً).

(والمراد من هذا الاستثناء هو أنّ العلاقات والاتّحاد يبقى قائماً بين تلك الطائفة من اليهود وبين المسلمين مادام لم يكن ثمة ظالمٌ ومعتدٍ).

١٩. وإنّ ليهود بنى النجار، وبنى الحارث وبنى ساعده، وبنى جشم، وبنى الأوس وبنى ثعلبه، وبنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف، (من الحقوق والامتيازات) إلّا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلّا نفسه وأهل بيته.

ص: ٣١

وإن جفنه بطن من ثعلبه (أى تلك القبيله فرع من هذه) كأنفسهم، وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف.

٢٠. وإن البرّ دون الإثم (أى أن تغلب حسناتهم على سيئاتهم).

٢١. وإن موالى ثعلبه (أى المتحالفين معهم) كأنفسهم.

٢٢. وإن بطانه يهود (أى خاصتهم) كأنفسهم.

٢٣. وأنه لا يخرج منهم أحد (من هذه المعاهده) إلّا بإذن محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

٢٤. وإنه لا ينحجر على ثأر جرح (أى لا يضيع دم حتى الجرح)، وإن من فتك (بأحد) فبنفسه فتك، وأهل بيته إلامن ظلم (أى إلّا إذا كان المفتوك به ظالماً).

٢٥. وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفه (أى أن على كل جماعه من المسلمين واليهود أن يقوم بنصيبه من نفقات الحرب).

٢٦. وإن بينهم النصح والنصيحه (أى أن تكون العلاقات على هذا الأساس) والبر دون الإثم.

٢٧. وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه (أى لا يحق لأحد أن يظلم حليفه) وأن النصر للمظلوم (لو فعل أحد ذلك).

٢٨. وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفه (أى أن داخل المدينه حرم ومأمّن لجميع من وقع على هذه الصحيفه).

٢٩. وإن الجار (وهو من يدخل فى أمان أحد) كالنفس غير مضار ولا آثم، (فلا يجوز إلحاق ضرر به).

٣٠. وإنه لا تجار حرمه إلّا بإذن أهلها.



٣١. وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَثٍ أو اشتجار يُخاف فسادُه فإنَّ مردَّةً إلى الله عزَّوجلَّ، وإلى محمَّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنَّ الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره (أى أنه تعالى ناصر وولى لمن التزم بهذه المعاهده).

٣٢. وإنه لا تجازُ قريشٌ ولا من نصرَها.

«البند الثالث»

٣٣. وإن بينهم (أى بين اليهود والمسلمين) النصر على من دهم يثرب (فعليتهم معاً أن يدافعوا عن المدينة ضدَّ المعتدين).

٣٤. وإذا دُعوا (أى دعا المسلمون اليهود) إلى صلح يصالحونه، ويلبسونه، فإنهم يصالحونه ويلبسونه.

وإنهم إذا دُعوا (أى إذا دعا اليهود المسلمين) إلى مثل ذلك (الصلح) فإنه لهم على المؤمنين إلامن حارب فى الدين.

(فعلى اليهود أن يوافقوا على كل صلح يعقده المسلمون مع الأعداء وهكذا على المسلمين أن يقبلوا بكل صلح يعقده اليهود مع الأعداء إلا إذا كان ذلك العدو ممن يخالف الإسلام ويعاديه ويتآمر عليه).

٣٥. وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة.

«البند الرابع»

٣٦. وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالمٍ وآثم. (فلا يمكن لأحد أن يتسير وراءه ليتخلص من العقاب إذا ارتكب خطيئته وجنايته).

٣٧. وإنه من خرج (من المدينة) آمن، ومن قعد آمن بالمدينة إلامن ظلم أو

ثم حُتِمَت هذه المعاهده بالعباره التاليه:

«وإنَّ اللهَ جارٍ لِمَن بَرَّ واتَّقَى ومحمَّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»<sup>(١)</sup>.

إنَّ هذه المعاهده السياسيه التاريخيه الَّتِي أدرجناها هنا تعدُّ نموذجاً كاملاً- لرعايه الإسلام وحرصه على مبدأ حرّيه الفكر والاعتقاد، ومبدأ الرفاه الاجتماعى العام، وضروره التعاون فى الأمور العامه؛ بل وتوضّح هذه المعاهده - فوق كلّ ذلك - حدودَ صلاحيات واختيارات القائد، ومسؤوليته كلّ الموقعين عليها، وعلى أمثالها.

على أنّه وإن لم يشترك يهودُ «بنى قريظه» و «بنى النضير» و «بنى قينقاع» فى إبرام هذه المعاهده والتوقيع عليها، بل شارك فيها يهودُ الأوس والخزرج فقط، إلّا أنّ تلك الطوائف اليهوديه (الثلاث) قد وقّعت فيما بعد مع قائد المسلمين وزعيمهم على معاهدات مماثله أهم بنودها هي: أن لا يُعينوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا على أحدٍ من أصحابه بلسان ولا يدٍ ولا- بسلاح ولا- بكراع (أى الخيل وغيرها من المراكب) فى السر والعلانيه لا بليلٍ ولا بنهارٍ، الله بذلك عليهم شهيد، فإن فعلوا فرسول الله فى حلٍّ من سفك دمائهم، وسبى ذراريهم، ونسائهم، وأخذ أموالهم.

وقد كتَب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكلّ قبيله منهم كتاباً على حده على هذا الغرار، ثم وقّع عليها «حيى بن أخطب» عن قبيله بنى النضير، و «كعب بن أسد» عن بنى

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٣٤٨/٢-٣٥١ بتفاوت يسير؛ البدايه والنهايه: ٢٧٣/٣-٢٧٥.

قريظه، و «المخيري» عن قبيله بنى قينقاع(١).

وبهذا ساد الأمنُ يثرب وضواحيها بعد أن اعتبرت المنطقه حرماً آمناً.

والآن جاء دور أن يعالج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشكله الأولى، يعنى قريش؛ لأنه مادام هذا العدو يعرقل حركه الدعوه ويقف سداً أمام تبليغ الإسلام، فلن يُوفَّق لنشر هذا الدين وتطبيق أحكامه وتعاليمه المباركه.

### ممارسات اليهود الإجهاضيه

لقد تسببت تعاليم الإسلام الرفيعه وأخلاق الرسول العظيم فى أن يتزايد عددُ المنتمين إلى الإسلام يوماً بعد يوم، وتزداد بذلك قوه الإسلام العسكريه والاقتصاديه والسياسيه.

وقد أحدث هذا التقدم المتزايد الباهر قلقاً وضجّة عجيبة فى الأوساط اليهوديه الدينيه، لأنهم كانوا يتصوّرون أنهم يستطيعون بدعمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقويته وتأيدته جرّه إلى صفوفهم، ولم يكونوا يتصوّرون قط أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم سيحصل بذاته على قوه تفوق قوه اليهود والنصارى، من هنا بدأوا بممارسه الأعمال الإجهاضيه مثل طرح الأسئلة الدينيه العويصه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغيه زعزعه إيمان المسلمين بنبيهم، ولكن جميع هذه المخططات باءت بالفشل ولم تترك أى أثر فى صفوف المسلمين المتراضه وإيمانهم العميق برسول الإسلام.

وقد جاء ذكر بعض هذه المناظرات والمجادلات فى سورتي البقره والنساء.

ويستطيع القارئ العزيز من خلال قراءه آيات هاتين السورتين والتمعّن

ص: ٣٥

---

١- . لاحظ: بحار الأنوار: ١١٠/١٩ و ١١١. احتفظ فى ذاكرتك أيها القارئ الكريم بهذا القسم من المعاهده الثانيه؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاقب اليهود بسبب نقضهم لهذه المعاهده.

فيهما أن يقف على مدى العناد واللجاج الذي كان يُبديه اليهود.

فمع أنهم كانوا يتلقّون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجوبه واضحة لكل واحد من أسئلتهم كانوا يتهرّبون من الانضواء تحت رايه الإسلام ويحجمون عن الاعتراف به، وكانوا يقولون في مقام الردّ على دعوه النبيّ إياهم إلى اعتناق الإسلام:

«قَلُوبُنَا غُلْفٌ»: أي لانفهم ما تقول!!!<sup>(١)</sup>.

### إسلام عبدالله بن سلام

هذه المناظرات والمجادلات وإن كانت لا تزيد غالبيه اليهود إلّا تعنتاً وعناداً، ولكنّها كانت تسبّب أحياناً يقظه البعض وإقبالهم على الإسلام مثل «عبدالله بن سلام». فقد أسلم ابن سلام الذي كان من علماء اليهود وأخبارهم، برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد سلسله من المناظرات والمجادلات المطوّله.

ولم يمض وقتٌ كبيرٌ على إسلام ابن سلام إلّا والتحق به عالمٌ آخر من علماء اليهود هو «المخيريقي»<sup>(٢)</sup>.

وكان عبدالله بن سلام يعلم بأنه سيذمّه قومه من اليهود إذا عرفوا بإسلامه وترك دينهم، من هنا طلب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكتّم عن الناس إسلامه، ريثما يحصل أولاً على اعتراف من قومه بعلمه وتقواه، وبمعرفة وصلّاحه قائلاً: «يا رسول الله إن يهود قومٌ بُهت، وإنّي أحبُّ أن تُدخلني في بعض بيوتك، وتغيّبني

ص: ٣٦

١- . للوقوف على نصّ هذه المناظرات راجع: السيره النبويه لابن هشام: ٢/٣٥٨-٤٠٩، بحار الأنوار: ٣٠٣/٩ وما بعدها.

٢- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٣٦٢/٢.

عنهم ثم تسألهم عنى حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني».

فأدخله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض بيوته وأخفاه عن الأنظار ثم قال لليهود الداخلين عليه:

«أى رجل الحصين بن سلام فيكم؟»

قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وعالمنا، فخرج عليهم «عبد الله بن سلام» من مخبئه وقال لهم: يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراه باسمه وصفته، فإننى أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأؤمن به وأصدقّه وأعرفه.

فغضب اليهود من مقالته، وقالوا له: كذبت، ووقعوا فيه، وعابوه، وبهتوه(١).

### خطه يهوديه أخرى للقضاء على الحكومه الإسلاميه

لم تضعف مجادلات اليهود وأسئلتهم العويصه عقيدة المسلمين وإيمانهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحسب، بل تسببت فى أن تتضح مكانته العلميه، وقيمه معارفه الغيبه للجميع أكثر من ذى قبل.

ففى ظل هذه المجادلات والمحاورات رغب جماعات كبيره من الوثنيين واليهود فى الإسلام فأمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصدقوه.

من هنا دبّر اليهود مؤامره أخرى وهى التذرّع بأسلوب «فرّق تسد»، لإلقاء الفرقة فى صفوف المسلمين.

فقد رأى دهاه اليهود وساستهم أن يستغلّوا رواسب الاختلافات، ويؤجّجوا

ص: ٣٧

١- لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٣٦٠/٢-٣٦١.

نيران العداة القديم بين الأوس والخرج الّذى زال بفضل الإسلام وبفضل ما أرساه من قواعد الأَخوّه والمساواه والمواساه والمحبه، بعد أن كانت مشتعلّه طوال مائه وعشرين عاماً متواليه، ليستطيعوا بهذه الطريقه تمزيق صفوف المسلمين بإثاره الحروب الداخليه بينهم، والّتى من شأنها ابتلاع الأخضر واليابس والقضاء على الجميع دونما استثناء.

ففيما كان نفرٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأوس والخرج فى مجلس قد جمعهم، يتحدّثون فيه إذ مرّ عليهم «شاس بن قيس» وهو يهودىّ شديد العداة للإسلام، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، فغاضه ما رأى من أُلّفه الأوس والخرج، واجتماعهم وتوادّهم، وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الّذى كان بينهم من العداوه الطويله فى الجاهليه، فأمر فتى من يهود كان معه فقال له: إعمد إليهم فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بعث(1) وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا وتبادلوا فيه من الأشعار!! إيقاعاً بين هاتين الطائفتين من الأنصار، وإثاره لنيران الأحقاد الدفينه، والعداوات الغابره.

ففعل ذلك الغلام اليهودىّ ما أمره به «شاس» فتكلّم القوم عند ذلك، وتنازعوا، وتفاخروا، حتى تواتب رجالان من القبيلتين على الرّكب وأخذ كلّ منهما يهدّد الآخر، وتفاقم النزاع، وغضب الفريقان وتصايحا، وقاما إلى السلاح وكاد أن يقع قتالٌ ودمٌ بعد أن ارتفعت النداءات القبليه بالاستغاثه والاستنجاة على عاده الجاهليه، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرف بمكيده اليهود، ومؤامرتهم الخبيثه هذه، فخرج إلى تلك الجماعه المتصايحه من الأوس والخرج فى جمع من

ص: ٣٨

---

١- . قد مرّ ذكر هذه الوقعه فى الجزء الأوّل وقلنا: هو يوم اقتتل فى الأوس والخرج وكان الظفريومئذ للأوس على الخرج.

أصحابه المهاجرين فقال:

«يا معشر المسلمين، الله الله أجدعوى الجاهليه وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهليه، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بين قلوبكم».

فعرف القوم أنها مؤامره مبيته من اليهود أعداء الإسلام والمسلمين، وكيده خبيث منهم، فندموا على ما حدث، وبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد أعدائهم(١).

إلا أن مؤامرات اليهود لم تتوقف عند هذا الحد، ولم تنته بهذا، فقد اتسعت دائره خيانتهم وجنايتهم، ونقضهم للعهد وأقاموا علاقات سرية وخاصة مع مشركى الأوس والخزرج، ومع المنافقين والمرتددين فى إسلامهم واعتقادهم، واشتركوا بصوره صريحه فى اعتداءات قريش على المسلمين، وفى الحروب التى وقعت بين الطرفين، وكانوا يُقدّمون كل ما أمكنهم من الدعم والمساعدة للوثنيين، ويعملون لصالحهم!!

وقد جرّت هذه النشاطات السريه والعلنيه المضاده المعاديه للإسلام والمسلمين، وهذا التعاون المشؤوم مع مشركى قريش، جرّت إلى وقوع مصادمات وحروب داميه بين المسلمين والطوائف اليهوديه أدت فى المآل إلى القضاء على الوجود اليهودى فى المدينه.

وسياتى ذكر هذه الحوادث فى وقائع السنه الثالثه والرابعه من الهجره، وسيوضح هناك كيف أن الجماعه اليهوديه ردت على الجميل الذى تعكسه كلتا

ص: ٣٩

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٣٩٦/٢-٣٩٧.

المعاهدتين من أولهما إلى آخرهما، بنقض العهد، ومعاداة الإسلام والمسلمين، والتآمر ضدّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصّه، وبنصره أعدائه، ودعم خصومه، الأمر الذي أجبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على تجاهل تلك المعاهدات الودية والإنسانيه ومن ثم محاربتهم، وإخراجهم من المدينة وما حولها والقضاء على ما تبقى من كياناتهم الشريره. لقد أقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة من ربيع الأول من السنه الأولى للهجره إلى شهر صفر من السنه الثانيه حتّى بنى المسجد والبيوت والمنازل المحيطه به، وقد أسلم في هذه الفتره من تبقى من الأوس والخزرج، ولم تبق دارٌ من دور الانصار إلّا أسلم أهلها، ما عدا بعض العوائل والفروع ممّن بقوا على شركهم، ولكنّهم أسلموا بعد معركة بدر(١).

ص: ٤٠

---

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٣٤٤/٢.



## حوادث السنه الثانيه من الهجره

### ٢٨ مناورات عسكريه واستعراضات حربيه

#### اشاره

الهدفُ من هذا الفصل هو شرحُ وبيان الأسرار الكامنه وراء سلسله الاستعراضات الحربيه، والمناورات العسكريه، التي قام وأمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد بدأت هذه المناورات منذ الشهر الثامن من الهجره واستمرت حتى شهر رمضان من السنه الثانيه، وتعد في الحقيقه أول مناورات عسكريه، وعروض حربيه قام بها المسلمون.

إنّ التفسير الصحيح لهذه الوقائع، وبيان رموزها وأسرارها إنّما يتيسر إذا طالعنا نصّ ما كتبت حول هذه الوقائع في المصادر التاريخيه من دون زياده أو نقصان ثم نعرض على القارئ الكريم رأى المحققين من المؤرخين فيها.

وإليك فيما يأتي خلاصه هذه الحوادث:

ص: ٤١

١. لم يكن يمضى على إقامه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة أكثر من ثمانية أشهر عندما عقد النبيّ أوّل لواءٍ لقائدٍ عسكريّ شجاع هو «حمزه بن عبدالمطلب» وقد أمره على ثلاثين رجلاً من المهاجرين بعثهم إلى سواحل البحر الأحمر حيث الطرق التجاريه التي تمر فيها قافله قريش التجاريه، فالتقوا قافله قريش في «العيص» فيها أبو جهل في ثلاثمائة رجل من أهل مكّه، فاصطفوا للقتال، ولكنهما تفرّقا ولم يقع قتال لوساطه قام بها «مجدى بن عمرو» الذي كان حليفاً للفريقين، فانصرف حمزه راجعاً إلى المدينة، وتوجّه أبو جهل في غيره وأصحابه إلى مكّه (١).

### تهديد خطوط قريش التجاريه

إنقضت السنه الأولى من الهجره بكلّ حوادثها الحلوه والمرّه، والمسره والمخزنه، ودخل النبيّ وأصحابه العامّ الثاني من الهجره. والسنه الثانيه من الهجره تتضمّن حوادث عظيمه وباهره، ومن أبرزها حادثتان تحظيان بمزيد من الأهميه: إحداهما: تغيير القبله، والأخرى وقعه بدر الكبرى. ولكي تتّضح أسباب وعلل معركه بدر نذكر سلسله من الوقائع التي وقعت قبلها، إذ بتحليلها ودراستها تتّضح أسباب معركه بدر.

لقد كان من بين الحوادث التي وقعت في أواخر السنه الأولى وبدايات السنه الثانيه من الهجره: بعث «الدوريات العسكريه» إلى خطوط قريش

ص: ٤٢

---

١- السيره النبويه لابن هشام: ٤٣١/٢؛ بحار الأنوار: ١٨٦/١٩؛ إمتاع الأسماع: ٧١/١؛ الكامل في التاريخ: ٧٧/٢ و ٧٨؛ المغازي للواقدي: ١٩-٩/١.

التجاريه(١)والآن يجب أن نرى ما هو هدف الحكومه الإسلاميه من هذه التحركات العسكريه؟

هناك مصطلحان رائجان في كتابات المؤرخين وكتاب السيره أكثر من أى مصطلح آخر، وهما لفظه: «الغزوه» و «السريه»(٢).

والمقصود من «الغزوه» تلك العمليات العسكريه التى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشارك فيها بنفسه، ويتولى قيادتها بشخصه.

على حين يكون المقصود من «السريه» إرسال مجموعات عسكريه وفرق وكتائب نظاميه لا- يشترك فيها رسول الله بنفسه بل يؤمّر عليها أحد قاداته العسكريين ويوجهها إلى الوجهه التى يريدّها.

وقد أحصيت غزواتُ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فكانت (٢٧) أو (٢٦) غزوه.

ويعود الاختلاف فى العدد إلى أنّ بعض المؤرخين يعتبر غزوه «خيبر» و غزوه «وادي القرى» اللتين حدثتا تبعاً ومن دون فاصله، غزوتين والبعض الآخر عدّهما غزوةً واحدهً (٣).

وقد وقع نظير هذا الخلاف فى تعداد سرايا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً فأحصى

ص:٤٣

١- . لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دوريات عسكريه عديده إلى ضواحي المدينه وأطرافها لتهديدقوافل قريش التجاريه. وقد كان ينبغى - طبقاً للترتيب الموضوعى والتسلسل التاريخى - أن نذكر بعض السرايا مثل سريه حمزه وسريه عبيده بن الحارث فى فصل وقائع السنه الأولى للهجره، بيد أنّه لوجود مناسبه بينها وبين حوادث السنه الثانيه ذكرناها فى أحداث السنه الثانيه. هذا مضافاً إلى أنّ ابن هشام - تبعاً لابن إسحاق - يرى وقوع هذه الحوادث فى السنه الثانيه من الهجره وإن كان الواقدي يعتبر بعضها من حوادث السنه الأولى.

٢- . راجع المحبّر: ١١٠-١١٦.

٣- . مروج الذهب: ٢٨٧/٢ و ٢٨٨.

ويعود هذا الاختلاف إلى أن بعض السرايا لم يُحسب لها حساب لقله أفرادها، ولهذا حدث هذا الاختلاف في العدد.

من هنا كلّما ذكرنا لفظ السريّه قصدنا منه ما لم يشارك فيه النبيّ، وكلّما ذكرنا لفظ الغزوه قصدنا منه ما شارك فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه.

وقد أحجمنا عن ذكر السرايا إلّاسرايا السنوات الأولى من الهجره؛ لأنّ في بيان هذه الطائفة من السرايا أثراً مهماً في تفسير بعض الغزوات مثل غزوه «بدر».

وإليك بيان هذه السرايا والغزوات وشرح تفاصيلها.

٢. في نفس الوقت الذي بعث فيه رسول الله سريّه حمزه، عقد لواءً آخر لعبيده بن الحارث بن عبدالمطلب، وبعثه في ستين ركباً من المهاجرين بهدف التعرّض لقافله قريش التجاريه، فسار حتّى بلغ ماءً بالحجاز بأسفل «ثنيه المّره»<sup>(١)</sup>. فلقى بها جمعاً عظيماً من قريش يبلغ مائتين بقياده أبي سفيان، ولكن لم يكن بينهم قتال إلّما أنّ «سعد بن أبي وقاص» رُمى يومئذٍ بسهم، كما أنّه التحق رجلان مسلمان كانا في صفوف أبي سفيان بالمسلمين وقد خرجا مع الكفّار وجعلوا ذلك وسيلة للوصول إلى المسلمين والالتحاق بهم<sup>(٢)</sup>.

٣. بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شهر ذي القعدة في السنه الأولى من الهجره سريّه أخرى بقياده «سعد بن أبي وقاص» على رأس ثمانيه

ص: ٤٤

١- لاحظ: المحبّر: ١١٦.

٢- لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٢/٤٢٨.

أشخاص آخرين من المهاجرين للتحقيق في تنقلات قريش ورصد تحركاتها خارج المدينة، فخرجوا حتى بلغوا منطقه «الخزار» ولكنهم لم يجدوا أحداً فعادوا إلى المدينة(١).

### النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلاحق قريشاً بنفسه

٤. في شهر صفر من السنه الثانيه للهجره استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة «سعد بن عباد» وأناط إليه إداره أمورها الدينيه وخرج بنفسه مع جماعه من المهاجرين والأنصار، لملاحقه ركب قريش التجارى واعتراضه، وعقد معاهده موداعه مع «بنى ضميره» حتى بلغ الأبواء، ولكنه لم يلق أحداً من قريش، فرجع صلى الله عليه وآله وسلم هو ومن معه إلى المدينة(٢).

٥. وفي شهر ربيع الأول من السنه الثانيه للهجره استعمل صلى الله عليه وآله وسلم مره أخرى على المدينة: «السائب بن عثمان» أو «سعد بن معاذ» وخرج هو على رأس مائتين من الرجال يريد قريشاً حتى بلغ بواط (وهو جبل من جبال بقرب ينبع على بعد ٩٠ كيلومتراً من المدينة تقريباً) ولكنه لم يظفر بقافله قريش التي كان يقودها «أميه بن خلف» وعلى رأس مائه رجل من قريش، فرجع إلى المدينة.

٦. وفي منتصف شهر جمادى الأولى من السنه الثانيه للهجره جاء الخبر أن قافله قريش التجاريه تخرج من مكه بقيادة أبي سفيان تريد الشام للتجاره، وقد جمعت قريش كل أموالها في تلك القافله، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جمع من أصحابه لاعتراضها حتى بلغ «ذات العشير» وقد استعمل على المدينة هذه المره

ص: ٤٥

١- المحبر: ١١٦.

٢- تاريخ الخميس: ٣٦٣/١ نقلاً عن ابن اسحاق.

«أبا سلمه بن عبد الأسد»، وبقي صلى الله عليه وآله وسلم في ذات العشيرة إلى أوائل شهر جمادى الآخرة ينتظر قافله قريش، ولكنه لم يظفر بها، ثم وادَّعَ فيها بنى مدلج وعقد معاهدة عدم اعتداء ذكرتها المصادر التاريخية بالنص (١).

وفي هذه الغزوة (والمكان) نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجماعته في بواط عند عين فنام على وعمَّار فوجدهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نائمين في رقعاء من التراب فأيقظهما، وحرك علياً فقال: قم يا أبا تراب ألا أخبرك بأشقى الناس: أحمير ثمود عاقر الناقة، والذي يضربك على هذه [يعنى قرنه] فيخضب هذه منها [يعنى لحيته] (٢).

٧. بعد أن رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة بعد اليأس من قافله قريش لم يبق بالمدينة إلَّالليالي قلائل لا تبلغ العشر حتَّى هاجم «كرز بن جابر الفهري» على إبل أهل المدينة ومواشيهم التي كانت قد سرحت للرعى بالغداة.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في طلبه وقد استعمل على المدينة «زيد بن حارثة» حتَّى بلغ وادياً من ناحيه بدر وفاته كرز بن جابر فلم يدركه ثم رجع صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه إلى المدينة فأقام بها بقيه جمادى الآخرة ورجباً وشعبان (٣).

٨. وفي شهر رجب من السنة الثانية للهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «عبدالله بن جحش» على رأس ثمانيه رهط من المهاجرين لملاحقه قافله قريش التجاريه، وقد كتب له كتاباً بالمهمه التي يجب ان ينفذها، وأمره أن لا ينظر

ص: ٤٦

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٢/٤٣٣؛ تاريخ الخميس: ١/٣٦٣.

٢- . لاحظ: تاريخ الطبري: ٢/١٢٣.

٣- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٢/٤٣٥؛ الطبقات الكبرى: ٢/٩. وقد عدَّ بعض المؤرخين هذه الحادثه ضمن الغزوه التي عُرفت في التاريخ باسم غزوه صفوان أو غزوه بدر الأولى.

«قد استعملتكَ على هؤلاء النَّفَرِ فامضِ حَتَّى إِذَا سَرَتْ لَيْلَتَيْنِ فَانْشُرْ (أى افتح) كتابى ثم امضِ (أى نَفَذْ) لما فيه».

ثم عَيَّن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوجهه التي يجب أن يتوجه إليها.

فانطلق عبد الله ورفقاؤه وساروا يومين كاملين كما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم فتح عبد الله كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقرأ ما فيه، فاذا فيه:

«إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا فامضِ حَتَّى تَنْزَلَ نَخْلَهُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفَ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَبِرَكَتِهِ فَتَرَصَّدْ بِهَا قَرِيشًا، وَتَعَلِّمْ (أى حَصِّلْ) لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ وَلَا تُكْرِهَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ وَامضِ لِأَمْرِي فِيمَنْ تَبْعُكَ».

فلما قرأ الكتاب قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أمضى إلى نخله أرصد بها قافلة قريش حتى آتية منهم بخبر، وقد نهاني أن استكره أحداً منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فمأضٍ لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أراد الرجوعه فمن الآن.

فقال أصحابه أجمعون: نحن سامعون مطيعون لله ولرسوله ولك فسار على بركة الله حيث شئت؛ فسار هو ومن معه لم يتخلف منهم أحد حتى جاء نخله فوجد قافلة لقريش يرأسها «عمرو بن الحضرمي» وهي عائده من الطائف إلى مكة، فنزل المسلمون بالقرب منهم، ولكي لا يكتشفهم العدو، ولا يعرف بأمرهم

---

١- . يقال إنه كان الجنود - إلى حين الحرب العالمية الثانية - إذ انتهوا من خدمتهم العسكرية تسلم إليهم مع وثيقه الانتهاء من الخدمة العسكرية رساله مغلقه محتومه يؤمر الجندي فيها بالمحافظة عليها كأمانه عسكريه لا يجوز له فتحها إلا عند حالات النفير العام، والعمل بمضمونها وقد سبق النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذا التكتيك العسكري في أعماله النظاميه.

ومهمتهم حلقوا رؤوسهم ليتصوّر العدو أنّهم عمّار يعتزمون الذهاب إلى مكّة للعمرة، فلما رأهم رجال قريش على هذه الحال اطمأنوا وأمنوا جانبهم وقالوا:

عَمَّا زُلا بأس عليكم منهم.

ثم تشاور المسلمون فيما بينهم في جلسته عسكريه للنظر فيما يجب عمله فتبين لهم: أنّهم إذا تركوا القوم (أى قريشاً) في تلك الليله (وكانت آخر ليله من شهر رجب) لدخلوا الحَرَم، ولم يمكن قتالهم فيه، وان خرج الشهر الحرام.

فأجمعوا على قتل مَنْ قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم، من هنا باغتوا تلك القافله، ورمى «واقد بن عبدالله» قائدها «عمرو بن الحضرمي» بسهم فقتله، وفرّ رجاله إلّانفرين هما: «عثمان بن عبدالله» و«الحكم بن كيسان» حيث أسرهما المسلمون، وعاد عبدالله بن جحش وأصحابه بالقافله مع ما فيها من أموال قريش والأسيرين إلى المدينه.

ولمّا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينه وأخبروه بأنهم قاتلوا القوم في الشهر الحرام (رجب) انزعج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تصرّف قائد المجموعه وعدم استفساره لما يجب أن يفعله بشدّه وقال:

«ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام».

وقد استخدمت قريش هذه القضيّه كسلاح دعائى ضدّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واشاعت بأنّ «محمّداً» وأصحابه قد استحلّوا الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا الاموال، كما أنّه تشاءم اليهود بهذه القضيّه وأرادوا أن يثيروا فتنه، وعاب المسلمون على «عبدالله بن جحش وأصحابه» فعلتهم هذه، هذا من جانب ومن جانب آخر وقّف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الأموال والأسيرين وأبى أن يأخذ من كلّ ذلك شيئاً وبقي ينتظر الوحى، وفجأه نزل جبرئيل بهذه الآيه:



«يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلٌّ فِيهِ كَبِيرٌ وَصِدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ» (١).

أى إن كنتم قتلتهم فى الشهر الحرام، فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به وصدوكم عن المسجد الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتل منهم «وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ» أى ما كانوا يرتكبونه من فتنه المسلم فى دينه حتى يردونه إلى الكفر بعد إيمانه أكبر عند الله من القتل.

ولما نزل القرآن بهذا الأمر، وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الخوف والحيهه قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأموال، والأسيرين وقسمها بين المسلمين، وكانت أول غنيمه غنمها المسلمون.

وبعث قريش إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى فداء أصحابهم فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

«لن نفديهما حتى يقدم صاحبان».

يعنى رجلين من المسلمين كانا قد أسيرا من قبل قريش، قد اشتركا فى هذه العمليه ولكنهما أضلّا طريقهما فى الصحراء فأسرتهما رجال من قريش.

وهكذا أبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يطلق سراح أسيرى قريش لقاء فديه إلا إذا أطلق المشركون أسيرى المسلمين، قائلاً لموفدى قريش:

«إنى أخاف على صاحبي فإن قتلتهم صاحبي قتلت صاحبيكم».

فاضطرت قريش إلى الإفراج عن المسلمين الأسيرين، ومع وصولهما إلى المدينه أفرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أسيرى قريش.

ومن حسن الحظ أن أحد الأسيرين أسلم ورجع الآخر إلى مكه (٢).

ص: ٤٩

١- البقره: ٢١٧.

٢- لاحظ: المغازى: ١٣/١-١٨، السيره النبويه لابن هشام: ٢/٤٣٥-٤٣٨.

لقد كان الهدفُ الأساسى من بعث وتوجيه السرايا، وعقد الاتّفاقيات والمعاهدات العسكريه مع القبائل القاطنه على خطوط التجاره المكيه هو إيقاف قريش على قوه المسلمين العسكريه، واشتداد ساعدِهم، وخاصّه عندما كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يشترك بنفسه فى العمليات، ويطرّض مع مجموعات كبيره من أنصاره تحرّكات قريش الاقتصاديه، ويعترض قوافلها التجاريه.

لقد كان رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم يريد بذلك إفهام حكومه مكّه الوثنيه بأنّ جميع طرق التجاره المكيه هى فى متناول يده، وأنّه يستطيع - متى شاء - أن يُشلّ اقتصاد المكيين بتعريض خطوطهم وطرقهم التجاريه، للتهديد الجدى.

ولقد كانت التجاره أمراً حيويّاً وحساساً جداً بالنسبه إلى أهل مكّه، وكانت البضائع التى تنقل منها إلى الطائف والشام تشكّل أساس الاقتصاد المكي، فإذا كانت هذه الخطوط تتعرض للتهديد من قبل العدوّ وحلفائه مثل «بنى ضميره» و «بنى مدلج» فإن ذلك كان يعنى انهدام وانهيأ حياتهم. لقد كان الهدف من بعث تلك الدوريات العسكريه هو: أن تعرف قريش بأنّ طريق تجارتها الرئيسيه هى الآن تحت رحمه المسلمين، فإذا استمرّوا فى معاداتهم للإسلام وللمسلمين وحالوا دون انتشار الإسلام والدعوه إليه واستمروا فى إيذاء من تبقى من المسلمين المستضعفين والعجزه فى مكّه واضطهادهم، قطع المسلمون شريان اقتصادهم.

وخلاصه القول: إنّ الهدف كان هو أن تعيد قريش النظر فى مواقفها فى ضوء الحاله الجديده، والتهديد العسكريّ الإسلامى الجدى، وتترك للمسلمين الحريه فى الدّعوه إلى عقيدتهم، وتفتح الطريق لزياره بيت الله الحرام، ونشر التوحيد

ليستطيع الإسلام بمنطقه القويّ، والمحكم أن ينفذ في القلوب، ويتجلى نور الإسلام ويشعّ على جميع نقاط شبه الجزيره العرييه، وربوعها، وبخاصه منطقه الحجاز مركز الجزيره، وقلبها النابض.

فإنّ المتكلم مهما كان قويّ المنطق، سديد البرهان، وأنّ المرّبي والمرشد مهما كان مخلصاً مجدداً فإنه لا يستطيع أن يحرز أى نجاح فى تنوير العقول، وتهذيب النفوس، وبثّ الفكر الصحيح إذا لم تتوفر له حريه العمل، ولم تنهيا له البيئه المطمئنه وأجواء الحرّيه والديمقراطيه.

ولقد كان الاضطهاد والكبت وسلب الحريات التى كانت تمارسها قريش هى الموانع الكبرى أمام تقدّم الإسلام وسرعه انتشار نفوذه، وكان الطريق إلى كسر هذا السدّ، وإزاله هذا المانع ينحصر فى تهديد اقتصادها وتعريض خطوطها التجاريه، للخطر، وكانت هذه الخطه تتحقّق فقط عن طريق القيام بتلك المناورات العسكريه والاستعراضات الحرّيه، والعمليات الاعتراضيه.

### نظريه المستشرقين

ولقد وقع المستشرقون عند تحليلهم لهذه العمليّات فى خطأ كبير، وتفوّها نتيجة ذلك بكلام يخالف القرائن والشواهد الموجوده فى التاريخ.

فهم يقولون: لقد كان هدف النّبى صلى الله عليه وآله وسلم من مصادرّه أموال قريش، والسيطره عليها هو تقويه نفسه.

فى حين أنّ هذا الرأى لا يلائم نفسيّه أهل يثرب؛ لأنّ الغارّه، وقطع الطريق، واستلاب الأموال، من شيم الأعراب أهل البوادي، البعيدين عن روح الحضاره، وقيم المدنيه وأخلاقها، بينما كان مسلمو يثرب عامّه، أهل زرع، وفلاحه، ولم يُعهد

منهم أن قطعوا الطرق على القوافل، أو سلبوا أموال القبائل التي كانت تعيش خارج حدودها.

وأما حروب الأوس والخزرج فقد كان لها أسبابٌ وعللٌ محلّية، وقد كان اليهودُ هم الذين يُوجِّجون نيرانها، بغية إضعاف القوى والصفوف العربيّة وتقوية أنفسهم ومواقعهم.

ومن جانب آخر لم يكن المسلمون المهاجرون الذين كانوا حول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ينوون تلافى ما خسروه، رغم أنّ ثرواتهم وممتلكاتهم كانت قد صودرت من قِبَل المكيين، ويدلّ على ذلك أنّهم لم يتعرّضوا بعد معركة «بدر» لأَيه قافله تجاريه لقريش.

كيف لا وقد كان الهدف وراء أكثر هذه الإستطلاعات العسكريه هو تحصيل وجمع المعلومات، عن العدوّ وتحركاته وخططه، والمجموعات التي لم يكن يتجاوز عدد أفرادها غالباً الثمانيه أو الستين أو الثمانين رجلاً - لا - يمكنها قطع الطريق، واستلاب الأموال، ومصادره القوافل التجاريه الكبرى التي كان يقوم بحراستها رجال أكثر عدداً وأقوى عُيُدّه من تلك السرايا، بأضعاف المرات غالباً. فإذا كان الهدف هو الحصول على المال والثروه من هذا الطريق فلماذا خُصّت قريش بذلك، ولم يعترض المسلمون تجاره غيرهم من القبائل المشركه؟

ولماذا لم يمسّ المسلمون شيئاً من أموال غير قريش؟

وإذا كان الهدف هو الغاره، وقطع الطريق واستلاب الأموال، فلماذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يبعث المهاجرين فقط، ولا يستعين بأحد من الأنصار في هذا المجال غالباً؟

وربما قال هؤلاء المستشرقون: إنّ المقصود من هذه العمليات الاعتراضيه

كان هو الانتقام من قريش، لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه تعرَّضوا على أيدي المكئين لألوان التعذيب والاضطهاد والأذى، فدفعتهم غريزه الانتقام والثأر - بعد أن حصلوا على القوه - إلى تجريد سيوفهم، للانتقام من الذين طالما اضطهدوهم، وليسفكوا منهم دماً!!

ولكن هذا الرأي لا يقل في الضعف والوهن والسخافه عن سابقه، لأنَّ الشواهد والقرائن التاريخيه الحيه العديده، تكذبه وتفنده، وتوضِّح - بجلاء - أنَّ الهدف من بعث تلك السرايا والدوريات العسكريه لم يكن أبداً القتال والحرب، والانتقام وسفك الدماء. وإليك مايدلُّ على بطلان هذه النظرية:

أولاً: إذا كان هدف النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم من بعث تلك المجموعات العسكريه هو القتال واستلاب الأموال وأخذ المغانم، وجب أن يزيد في عدد أفراد تلك المجموعات، ويبعث كتائب عسكريه مسلَّحه، ومجهزه تجهيزاً قوياً، إلى سيف البحر، وشواطئه، في حين نجد أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم بعث مع «حمزه بن عبد المطلب» ثلاثين شخصاً، ومع «عبيده بن الحارث» ستين شخصاً، ومع «سعد بن أبي وقاص» أفراداً معدودين لا يتجاوزون العشره، بينما كانت قريش قد أناطت حراسه قوافلها إلى أعداد كبيره جداً من الفرسان، تفوق عدد أفراد المجموعات العسكريه الإسلاميه.

فقد واجه «حمزه» ثلاثمائة، و «عبيده» مائتي رجل من قريش، وقد ضاعفت قريش من عدد المحافظين والحرس على قوافلها خاصه بعد أن عرفت بالمعاهدات والتحالفات التي عقدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع القبائل القاطنه على الشريط التجاري؟!!

هذا مضافاً إلى أنه لو كان قاده هذه البعوث والدوريات مكلفين بمقاتله العدو فلماذا لم يسفك من أحد قطره دم في أكثر تلك العمليات؟! ولماذا انصرف بعضهم لوساطه قام بها «مجدى بن عمرو» بين الطرفين؟!!

ثانياً: أن كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المذى كتبه لعبدالله بن جحش شاهداً حتى على أن الهدف لم يكن هو القتال، والحرب.

فقد جاء في ذلك الكتاب: «إنزل نخله بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم (أى حصل) لنا من أخبارهم».

إن هذه الرسالة توضح بجلالة أن مهمه عبدالله وجماعته لم تكن القتال قط، بل كانت جمع المعلومات حول العدو وتنقلاته وتحركاته، أى مهمه استطلاعيه حسب.

وأما سبب الصدام في «نخله» ومصراع عمرو والحضرمي فقد كان هذا القرار من الشورى العسكريه التي عقدتها نفس المجموعه، وليس بقرار وأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هنا انزعج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمجرد سماعه نبأ هذا الصدام الدموي ولا مهمه على فعلتهم وقال: «ما أمرتكم بقتال».

ويؤيد هذا ما ورد في مغازى الواقدي عن سليمان بن سحيم أنه قال: ما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقتال في الشهر الحرام، ولا غير الشهر الحرام، إنما أمرهم أن يتحسسوا أخبار قريش (١).

والعلّه في أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يختار لهذه الدوريات والاستطلاعات رجالاً

ص: ٥٤

من المهاجرين دون الأنصار هي أنّ الأنصار قد بايعوا في عقبه على الدفاع، أى أنّ معاهدتهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت معاهدته دفاعية تعهدوا بموجبها بأن يمنعوه من أعدائه ويدافعوا عنه إذا قصدّه عدوّ.

من هنا ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد أن يفرض عليهم مثل هذه المهمات، ويبقى هو في المدينة، ولكنّه عند ما خرج - فيما بعد - بنفسه أخذ معه جماعةً من رجال الأنصار تقويه لروابط الأخوة والوحدة بين المهاجرين والأنصار، ولهذا كان رجاله في غزوه «بواط» أو «ذات العشيره» يتكوّنون من الأنصار والمهاجرين.

وعلى هذا الأساس يتّضح بطلان نظريه المستشرقين حول الهدف من بعث الدوريات العسكريه.

كما أنّ بالتأمّل والإمعان في ما قلناه يتّضح أيضاً بطلان ما قالوه في هذا المجال في تلك العمليات التي شارك فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه، إذ أنّ الذين خرجوا معه ما كانوا ينحصرون في المهاجرين خاصّه، بل كانوا خليطاً من المهاجرين والأنصار، والحال أنّ الأنصار لم يبايعوا النبيّ على القيام بأية عمليه هجوميه ابتدائيه، بل كلّ ما بايعوا عليه النبيّ كما قلنا هو: العمل الدفاعي، فكيف يصح أن يدعوهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى عمليات قتاليه ابتدائيه هجوميه؟!!

وتشهد بما نقول حادثه وقعه بدر التي سنشرحها في ما بعد، فما لم يعلن الأنصار عن موافقتهم على قتال قريش لم يقم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالحرب، في تلك الوقعه.

هذا والسبب في تسميه أصحاب السير والتواريخ هذا النوع من العمليات التي خرج فيها النبيّ بنفسه (غزوه) وإن لم يقع فيها قتالٌ وغزوٌ، هو أنّهم أرادوا أن يجمعوا كلّ الحوادث تحت عنوان واحدٍ، وإلّا فلم يكن الهدف الأساسي من هذه العمليات هو الحرب والقتال، أو السيطرة على الأموال وسلبها.

لم يكن قد مضى على هجره النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة عده أشهر إلّا وبدأت نغمه معارضه اليهود للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تظهر شيئاً فشيئاً!!

وفى الشهر السابع عشر من الهجرة بالضبط (١) أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بالأمر المؤكّد القاطع بأن يتحول إلى الكعبة ويتخذها من الآن فصاعداً قبله له وللمسلمين كافه، فيتوجهون إلى المسجد الحرام فى أوقات الصلوات.

هذا هو مجمل القصة، وإليك بيانها على وجه التفصيل.

صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثه عشر عاماً كامله فى مكّه نحو بيت المقدس.

وبعد الهجرة إلى المدينة كان الأمر الإلهي له هو أن يبقى على حاله من حيث القبلة، أى أن يصلى إلى بيت المقدس، كما كان يفعل فى مكّه.

وقد كان هذا الإجراء نوعاً من المحاوله لإقامه التعاون والتقارب بين الدينين القديم والجديد، ولكن تنامى قوه المسلمين واشتداد ساعدهم أحدث رعباً كبيراً،

ص: ٥٦

---

١- . الطبقات الكبرى: ١/٢٤١ و ٢٤٢؛ إعلام الورى بأعلام الهدى: ٧١ و ٧٢. ويقول ابن هشام فى السيره النبويه لابن هشام: ٣٩١/٢: ولما صرف القبلة عن الشام إلى الكعبة وصرفت فى رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة... ويرى ابن الأثير أنّ ذلك حدث فى منتصف شهر شعبان (الكامل فى التاريخ: ٢/٨٠).



وأوجد قلقاً واسعاً في أوساط اليهود القاطنين في المدينة؛ لأنّ تقدّم الإسلام والمسلمين المطرّد كان يدلّ على أنّ الدين الإسلاميّ سيعمّ في أقرب وقت كلّ أنحاء شبه الجزيرة العربيّه، وستقلّص (بل تزول) في المقابل قوه اليهود وسلطانهم، ومكانتهم، من هنا نصب أحبار اليهود العداوه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعمدوا إلى ممارسه سلسله من الأعمال الإجهاضيه والإيذائيه.

لقد أخذوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بمختلف الطرق وبشتى الوسائل والسبل، والمعاذير والحجج ومن جملتها التذرّع بقضيه صلاه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين إلى بيت المقدس.

فكانوا يقولون معيّرين إياه: أنت تابع لنا تصلّى إلى قبلتنا!!

أو كانوا يقولون: يخالفنا محمّد في ديننا ويتبع قبلتنا(١).

فشقّ هذا الكلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واغتمّ لذلك غمّاً شديداً فكان يخرج من بيته في منتصف الليل ويتطلّع في آفاق السماء ينتظر من الله أمراً ووحياً في هذا المجال كما يفيد قوله تعالى: «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا». (٢)

ويستفاد من الآيات القرآنيه في هذا المجال إنّه كان لتغيير القبله مضافاً إلى الردّ على دعوى اليهود سبباً آخر أيضاً، وهو: إنّ هذه المسأله كانت من المسائل الاختباريه التي أراد الله تعالى بها أن يمتحن المسلمين، ويميّز المؤمن الواقعي الحقيقي عن أدعياء الإيمان، المنتحلين له كذباً ونفاقاً، وأن يعرف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم به من حوله معرفه جيده؛ لأنّ اتّباع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الأمر الثاني الذي نزل على رسول

ص: ٥٧

١- مجمع البيان: ١/٢٥٥ أو: ما درى محمّد وأصحابه أين قبلتهم حتّى هديناهم.

٢- البقره: ١٤٤.

اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم فى أثناء الصلاة (وهو التوجه إلى المسجد الحرام) كان علامه قويه من علامات الإيمان والتسليم، والإخلاص والوفاء للدين الجديد.

بينما كانت مخالفته علامه قويه من علامات النفاق والتردد كما يصرّح القرآن الكريم بنفسه بذلك إذ يقول:

«وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَ إِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ» (١).

ومن المسلم أنه يمكن الوقوف على حكم أخرى لهذا الأمر (أى صرف القبلة من الشام إلى الكعبة) إذا تتبعنا تاريخ الإسلام بشكل أوسع، وطالعنا أوضاع شبه الجزيرة العربية.

ويمكن الإشارة إلى بعض هذه الحكم مضافاً إلى ما ذكرناه:

أولاً: أن الكعبة التي رفعت قواعدها على يدى بطل التوحيد وناشر لوائه النبى العظيم «إبراهيم الخليل» عليه السلام كانت موضع احترام وتقديس من المجتمع العربى، فقد كان العرب يحبون الكعبة ويعظمونها غاية التعظيم على ما هم عليه من الشرك والفساد، فكان اتّخاذها قبله من شأنه كسب رضا العرب، واستماله قلوبهم، وترغيبهم فى الإسلام تمهيداً لاعتناق دين التوحيد ونبذ الأوثان والأصنام.

وأى هدف، وأيه غايه ترى أسمى وأجل من أن يؤمن المشركون المعاندون المتخلفون عن ركب الحضاره والمدنيه، ومنتشر الإسلام بسببهم فى كل أنحاء العالم.

ص: ٥٨

---

١- . البقره: ١٤٣. ويمكن بيان هذه العله بصوره أخرى وهى إنّما أمروا بالصلاه إلى بيت المقدس لأنّ مكّه وبيت الله الحرام كانت العرب آلفه بحجّها، فأراد الله أن يمتحنهم بغير ما ألفوه ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه. (راجع: مجمع البيان: ٢٢٢/١ و ٢٢٣).

ثانياً: أنّ الابتعاد عن اليهود - الذين لم يكن يؤمل في إذعانهم للإسلام، وإيمانهم برسالة (محمّد) - كان يبدو أمراً ضرورياً، لأنّهم كانوا يقومون بأعمال إيذائية ضد الإسلام والمسلمين ويطلعون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الفينة والأخرى بأسئلة عويصة يشغلونه بها، يظهرون بها - حسب تصوّرهم - أنّهم يعرفون أموراً كثيرة وأنهم علماء، وبذلك يضيّعون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوقت، ويشغلونه عن مهامّه الكبرى.

فكان تغيير القبلة واحداً من مظاهر الابتعاد عن اليهود واجتنابهم، تماماً مثل نسخ صوم يوم عاشوراء الذي تمّ لنفس هذا الغرض.

فقد كانت اليهود تصوم يوم عاشوراء قبل الإسلام فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين بأن يصوموا هذا اليوم أيضاً، ثم نسخ الأمر بصوم عاشوراء وفرض مكانه صوم شهر رمضان(١).

وعلى كلّ حال فإنّ الإسلام الّذي يتفوّق على جميع الأديان، يجب أن تتجلّى فيه هذه الحقيقة بحيث يغدو أمر تكامله وتفوّقه بادياً للعيان، واضحاً للجميع.

وفي هذه الحالة تصوّر بعض المسلمين أنّ ما أتوا به من صلاه وعباده وهم متّجهين إلى بيت المقدس كان باطلاً إذ قالوا: كيف بأعمالنا التي كنّا نعمل في قبلتنا الأولى، أو حال من مضى من أمواتنا وهم كانوا يصلّون إلى بيت المقدس؟!

فتزل الوحي الإلهي يقول:

«وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ» (٢).

ومع ملاحظه هذه الاعتبارات وبينما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد انتهى من الركعه

ص: ٥٩

١- . مجمع البيان: ٢٧٣/١.

٢- . البقره: ١٤٣. والمراد من الإيمان هنا هو العمل وهو من الموارد التي استعمل فيها لفظ الإيمان وأريد به العمل.

الثانية من صلاة الظهر، نزل عليه جبرئيل، وأمره بأن يتوجه بالمصلين معه صوب المسجد الحرام.

وجاء في بعض الأخبار أنّ جبرئيل أخذ بيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأداره نحو المسجد الحرام، فتبعه الرجال والنساء الذين كانوا يأتون به في المسجد(١).

فتحوّل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال، فكان أول صلاته إلى بيت المقدس، وآخرها إلى الكعبة.

ومنذ ذلك الحين جعلت الكعبة المعظمة - زاد الله من شرفها - قبله مستقلّة للمسلمين يتوجهون إليها في كثير من واجباتهم وشعائرهم الدينية(٢).

هذا والغريب أنّ اليهود الذين كانوا قبل نزول الأمر بالتحوّل من بيت المقدس إلى الكعبة المعظمة يفتخرون على المسلمين بأنهم يصلّون على قبله اليهود، لما حوّل المسلمون إلى الكعبة المعظمة، وأمروا بالصلاة إليها دون بيت المقدس أخذوا يعيبون على المسلمين التوجه إلى نقطه ما في الأرض فردّ الله عليهم بقوله:

«سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(٣).

أى أنّ الله فوق الزمان والمكان، والتوجه إلى نقطه خاصّه في حاله العبادة إنّما هو لمصالح اجتماعيه خاصّه فالصلاة إلى الكعبة توجه إلى الله كالصلاة إلى بيت المقدس سواء.

ص: ٦٠

١- بحار الأنوار: ٢٠١/١٩ عن «من لا يحضره الفقيه».

٢- كالصلاة والذبح ودفن الموتى، والدعاء وغير ذلك.

٣- البقرة: ١٤٢.

وما ينبغي الإشارة إليه هنا هو: أنّ العرض الجغرافي للمدينه - طبقاً لمحاسبات علماء الفلك القدامى - هو ٢٥ درجه، وطولها ٧٥ درجه و ٢٠ دقيقه، ولهذا كانت قبله المدينه لا توافق محراب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الباقي على حالته السابقه إلى الآن في مسجده الشريف، وقد سبب هذا الاختلاف حيره لدى بعض المتخصصين في هذا العلم، وربما دفعهم إلى ارتكاب توجيهات وتبريرات لرفع هذا الاختلاف.

ولكن القائد المعروف بسردار الكابلي أثبت في الآونه الأخيره - طبقاً للمقاييس المعروفه اليوم - أن خط المدينه الجغرافي على عرض ٢٤ درجه و ٥٧ دقيقه وطول ٣٩ درجه و ٥٩ دقيقه(١).

وتكون نتيجه هذه المحاسبه هي أن قبله المدينه تكون في نقطه الجنوب تماماً وتنحرف عن نقطه الجنوب ب ٤٥ دقيقه فقط.

وهذا الاستخراج الفلكي للقبله ينطبق على محراب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل تطبيق، ويُعَدُّ هذا من كرامات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حيث توجه في حاله الصلاه(٢) من بيت المقدس إلى الكعبه بصوره دقيقه ومن دون أى انحراف ولا جزئى مغتفر وذلك من دون أيه محاسبه فلكيه، وعلميّه.

وقد أخذ جبرئيل بيده وحول وجهه نحو الكعبه المعظمه كما أسلفنا(٣).

ص: ٦١

١- تحفه الأجله في معرفه القبله: ٧١، طبعه ١٣٥٩ هـ.

٢- لاحظ: من لا يحضره الفقيه للصدوق: ١٧٨/١.

٣- وقد نقل الحرّ العاملي في وسائل الشيعه: في أبواب القبله: ٢١٥/٣ و ٢١٦ حادثه تحوّل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاه من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، فراجع.

إشارة

معركة «بدر» من معارك الإسلام الكبرى ومن حروبه البارزه، وقد اكتسب الذين شاركوا في هذه المعركة منزله خاصه بين المسلمين فيما بعد.

فالواقعه الّتي كان يشارك فيها فردّ أو عدّه أفراد من المجاهدين في «بدر» أو اذا كانوا يشهدون على أمر قال المسلمون: ووافقنا عليه البديون.

أجل إنّ الذين شاركوا في معركة بدر من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يدعون بالبدرين، ولم يكن هذا إلاّ لأهميته تلکم الوقعه التاريخيه.

وتتضح علّه هذه الأهميه إذا نحن استعرضنا تفاصيل هذه الوقعه.

لقد قلنا في ما سبق أنّه بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منتصف جمادى الآخرة من السنه الثانيه للهجره، أنّ قافله قريش التجاريه خرجت من مكّه إلى الشام بقياده «أبي سفيان بن حرب».

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لملاحقتها إلى «ذات العشير» وتوقّف هناك إلى مطلع الشهر التالي، ولم يعثر على تلك القافله، وقد كان وقت عوده القافله معلوماً تقريباً، فقد كانت قافله قريش تعود من الشام إلى مكّه في أوائل الخريف.

ومن المعلوم أنّ أول خطوه على طريق الانتصار في مثل هذه المجالات هو تحصيل أكبر قدر من المعلومات حول العدو؛ لأنّ قائد الجيش مالم يعرف شيئاً عن

استعدادات العدو، ونقطه تمرّكه وتواجده، ومعنويات أفرادها، فإنّه ربما يَنْهزم وينكسر في أوّل مواجهه.

ولقد كان من أساليب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الرائعة في جميع الحروب والمعارك التي ستقرأ تفاصيلها هو جمع المعلومات حول مدى استعداد العدو، ومبلغ تهيّئه و مكان تواجده، وتمرّكه، وهذه مسأله تحظى وإلى اليوم بأهمّيه خاصّه في الحروب العالميه والمحليّه، بل وترصد لها ميزانيات كبرى، وتستخدم أجهزه عريضه في عالمنا الحاضر، كما هو معلوم للجميع، وكما أشرنا إلى ذلك فيما سبق.

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عينا له على قافله قريش اسمه «عدى» - حسب روايه المجلسي (١) - أو «طلحه بن عبيدالله» و «سعيد بن زيد» حسب ما قال صاحب «حياه محمّد» نقلاً عن المصادر التاريخيه (٢)، لإخباره عن مسير تلك القافله، وعدد حرّاسها ورجالها ونوعيه البضائع المحتمله.

فلما عاد العين أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

١. بأنّ قافله قريش قافلته كبرى شارك فيها كلّ أهل مكّه، حتّى أنّه ما من قرشيّ أو قرشيه بمكّه له مثقال فصاعداً إلّا بعث به في تلك القافله.

٢. أنّ البضائع يحملها ألفٌ بغير وأنّ قيمتها تبلغ خمسين ألف دينار.

٣. وأنّه يقودها «أبوسفيان بن حرب» في أربعين رجلاً.

وحيث إنّ أموال المسلمين المهاجرين إلى المدينه كانت قد صودرت في مكّه على أيدي قريش، من هنا كان الوقت مناسباً جداً لأن يأخذ المسلمون أموال

ص: ٦٣

١- . لاحظ: بحار الأنوار: ٢١٧/١٩.

٢- . المغازي: ١٩/١.

قريش في تلك القافلة، ويحتفظوا بها ريثما تفرج قريش عن أموال المسلمين المهاجرين المصادره بمكّه، فإذا لجّوا وأصروا في مصادره أموال المسلمين قسّم المسلمون في المقابل أموال قريش المأخوذه فيما بينهم وتصرفوا فيها كغنائم حرب، من هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم:

«هذا عير قريش (أى قافلتهم) فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعلّ الله ينفلكُمها»<sup>(١)</sup>.

من هنا استخلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة «عبدالله بن أمّ مكتوم» للصلاه بالناس، والقيام بالشؤون الدينيه، و «أبا لبابه» للقيام بالشؤون السياسيه. ثم خرج من المدينة في ثلاثمائه وثلاثه عشر رجلاً لمصادره أموال قريش أو بالأحرى توقيفها وحبسها.

### النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتوجّه إلى منطقه ذفران

(٢)

لقد ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة بعد أن أتاه الخبر عن تحرك قافله قريش، قاصداً وادى ذفران حيث طريق القافلة، في يوم الاثنين، الثامن من شهر رمضان، وقد عقد رايتين: سلّم إحداهما إلى مصعب بن عمير، والأخرى (وتُسمى العقاب)

ص: ٦٤

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٢/٤٤٠؛ المغازى: ٢٠/١.

٢- . وادى ذفران الذى كان تمرّ به قافله قريش التجاريه يقع على مرحلتين من بدر. وقد ذكر ابن هشام في سيرته جميع المراحل التى طواها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة إلى وادى ذفران ومنه إلى بدر الذى ارتحل إليه رسول الله بعد أن بلغه نبأ تحرك قافله قريش. وبدر كان موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام يتبايعون فيه ويتفخرون على غرار سوق عكاظ، وكان يقع على طريق مكّه والمدينه والشام. (راجع: السيره النبويه لابن هشام: ٢/٤٤٦-٤٤٧).



إلى على بن أبي طالب عليه السلام.

ولقد كانت المجموعه التي خرج بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم تتألف من اثنين وثمانين من المهاجرين، ومائه وسبعين من الخزرج، وواحد وستين من الأوس، وكان عندهم ثلاثة أفراس فقط.

ولقد بلغ حبُّ الشهاده عند المسلمين يومئذ مبلغاً عجبياً حتى أنّ فتياً دون الحلم اشتركوا في هذه المعركه، وردّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعضهم إلى المدينه لما استصغروهم (١).

إن كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفيد بأنّه صلى الله عليه وآله وسلم قد وعدهم بالرخاء والانفراج في المعيشه وذلك عن طريق السيطرة على أموال قريش، وأخذ بضائعها، وكان المسوّغ لهذا العمل هو ما سبق أن ذكرناه، وهو أنّ قريشاً كانت قد صادرت كلّ أموال المهاجرين المسلمين في مكّه، منقولها وغير منقولها، ومنعت من دخولهم مكّه، وخروجهم منها.

ومن الواضح أن يسمح العاقل لنفسه - أيّاً كان - بأن يعامل عدوه بمثل هذه المعامله التي عامله بها العدو.

وأساساً يجب أن نعلم أنّ سبب هجوم المسلمين على قافله قريش هو أنّهم

ص: ٦٥

١- . لاحظ: المغازي: ٢١/١. وروى أنّه كان الرجل يساهم أباه في الخروج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رغبه في الجهاد في سبيل الله والشهاده، فكان ممّن ساهم «سعد بن خيثمه» وأبوه في الخروج إلى بدر، فقال سعد لأبيه: إنّه لو كان غير الجنه آثرتك به، إنى لأرجو الشهاده في وجهي هذا. فقال خيثمه: آثرني، وقّر مع نسائك! فأبى سعد. فقال خيثمه: إنه لا بدّ لأحدنا من أن يقيم، فاستتهما (أي اقتراعا) فخرج سهم سعد فقتل بيدر (المغازي: ٢٠/١).

قد ظلموا وفهروا، الأمر الذى يذكره القرآن الكريم أيضاً، ولذلك يسمح للمسلمين بأن يقاتلوا عدوهم ويعترضوا تجارتهم إذ يقول:

«أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» (١).

ولقد كان أبوسفیان قد عرف - عند توجهه بالقافله إلى الشام - أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يترصد القافلة، ولهذا اتخذ كفافه الاحتياطات عند قفوله ورجوعه من الشام، فكان يسأل القوافل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان إذا رأى أحداً منهم سأله: هل أحسست أحداً؟!

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد خرج مع أصحابه من المدينة، يلاحق قافله قريش، وقد نزل فى وادى ذفران.

ولما أحسّ أبوسفیان بذلك أحجم عن الاقتراب إلى منطقته بدر ولم يرَ بُدّاً من أن يخبر قريشاً بالخطر الذى يحدق بتجارتهم، وأموالهم، ويطلب مساعدتهم، فاستأجر رجلاً يدعى «ضمضم بن عمرو الغفارى» وأمره بأن يجدع بعيره (يقطع أنفه) ويحوّل رَحْله، ويشقّ قميصه من قُبْله وَ دُبْرِهِ ويصيح الغوث! الغوث، ويخبر قريشاً أنّ محمّداً تعرّض لتجارتهم!!

فخرج ضمضم سريعاً إلى مكّه، ولما قدّمها وقف ببطن الوادى يصيح بأعلى الصوت: يا معشر قريش اللطيمه اللطيمه (٢)، أموالكم مع أبى سفيان قد تعرّض لها محمّد فى أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث (٣).

فأثار هذا المنظرُ المثير، واستغاثات ضمضم المتتابعه أهل مكّه، فتجهّزوا

ص: ٦٦

١- الحج: ٣٩.

٢- اللطيمه: الإبل التى تحمل الأقمشه والعمطور، والنداء يعنى: أدركوا اللطيمه أدركوها.

٣- لاحظ: الكامل فى التاريخ: ٢/١١٦؛ المغازى: ٢٨/١؛ بحار الأنوار: ٢١٥/١٩-٢١٦.

سراعاً، وتهيأوا للخروج، وأعدَّ كلُّ صناديد قريش ورجالها المقاتلون أنفسهم للتحرك نحو المدينة إلّا أبو لهب الذي لم يشترك في هذا الخروج، وأرسل مكانه «العاصي بن هشام» لقاء أجر قدره أربعة آلاف درهم.

وأراد «أمّيه بن خلف» هو الآخر أن يتخلف لأسباب خاصه، فقد قيل له: أن محمداً يقول: لأقتلن أمّيه بن خلف. (١)

فرأى أشراف قريش وسادات مكه أن تخلف رجل مثله يضرب قريش ويوهن من عزيمة الجيش، فقرروا إثارتة وتحريكه فأتاه عقبه بن أبي معيط وأبو جهل ومع عقبه مجمره فيها بخور، ومع أبي جهل مكحله ومرود فأدخلها عقبه تحته وقال: تبخر فإنما أنت امرأه! وقال أبو جهل: اكتحل فإنما أنت امرأه!!

فغضب أمّيه، وهاجت به الحميه، فتجهّز من فوره، وخرج مع الناس. (٢)

وخلصه القول: إنه أرعبت قريش لما سمعت بتعرض قافلته وأموالها للخطر من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، فكانوا بين رجلين إما خارج أو باعث مكانه رجلاً، وما بقى أحد من عظماء قريش إلّا أخرج مالا لتجهيز الجيش، وأخرجوا معهم المغنّيات يضربن بالدفوف ويهيجن الرجال للقتال.

### المشكلة التي كانت تواجهها قريش

ولمّا أعلن عن موعد الرحيل تذكرت قريش بأن بينهم وبين قبيله «بنى بكر» عداً قديماً، فخافوا أن يوجهوا إليهم ضربه من الخلف، أو يحملوا على نسائهم وذرايهم في مكه في غياب منهم، فكاد ذلك يثنيهم عن الخروج.

ص: ٤٧

١- . المغازي: ٣٥/١.

٢- . المغازي: ٣٦/١. ولاحظ: البدايه والنهايه: ٣١٥/٣، شرح نهج البلاغه: ١٠٠/١٤.

وقد كان العداء بين قريش وبنى بكر يعود إلى دم سُفك بينهم في قصه ذكرها ابن هشام وغيره من كتاب السير<sup>(١)</sup>.

ولكن سراقه بن جعشم المدلجى - وكان من أشرف بنى كنانه وهم من بنى بكر - طمأنهم ووعدهم بأن لا تأتيهم بنو بكر من خلفهم بشيء يكرهونه، ولما اطمأنوا خرجوا صوب المدينة سراعاً.

وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه قد خرجوا من المدينة لاعتراض قافلة قريش التجاربه، وهبطوا فى وادى ذفران، وبقوا هناك ينتظرون مرورها، ولكنه فجأه بلغه خبرٌ جديدٌ غير أفكار قاده الجيش الإسلامى، وفتح - فى الحقيقه - فصلاً جديداً فى حياتهم.

فقد أتاه الخبر عن مسير قريش باتجاه المدينة لحمايه قافلته التجاربه، وأن جيشها قد وصل إلى مشارف المنطقه التى تواجد فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، وأن طوائف متعدده قد ساهمت وشاركت فى تكوين هذا الجيش.

فوجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقائد الأعلى للمسلمين نفسه أمام خيارين:

إمّا أن يقاتل، ولكنه لم يخرج هو أو أصحابه الذين مرّ ذكرهم إلّالمصادره أموال قريش، فلم يكونوا متهيئين لمقاتله الجيش المكى الكبير، لا من حيث العدد، ولا من حيث العُدّه. وإمّا أن يرجع إلى المدينة من حيث أتى، وهذا يعنى أن ينهار كلّ ما كسبه من الهيئه والمهابه، بفضل المناورات العسكريه، والعروض النظاميه السابقه.

وبخاصّه إذا تقدّم العدو نحو المدينة فى ظلّ هذا الانسحاب واجتاح مركز

ص: ٤٨

---

١- . لاحظ: السير النبويه لابن هشام: ٣/٤٤٣-٤٤٥؛ المغازى: ١/٣٧-٣٨.

فراى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن لا ينسحب، بل يقاتل العدو بما عنده من العدة القليلة والعدد القليل ويقاوم حتى اللحظة الأخيرة والنفس الأخير.

والجدير بالذكر أن أكثر الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا من شتبان الأنصار وكان عدد المهاجرين لا يتجاوز ٨٢ شخصاً.

وكانت بيعه العقبة التي بايع فيها الأنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيعه على الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحمايته لا القتال والحرب.

أى أنهم بايعوه صلى الله عليه وآله وسلم على أن يمنعونه في المدينة فلا يصل إليه أحد من أعدائه وهو بينهم.

أما أن يخرجوا معه إلى خارج المدينة لقتال العدو فلم يبايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على مثل ذلك، فماذا يفعل القائد الأعلى للمسلمين؟

إنه لم ير مناصاً من استشاره الناس الذين معه، ومعرفة رأيهم في ما يجب اتخاذه من طريقه حل لهذه المشكله.

### النبى صلى الله عليه وآله وسلم يعقد شورى عسكريه

وهنا وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الجماعه وقال: أشيروا على أيها الناس.

فقام أبو بكر وقال: يا رسول الله إنها قريش، وخيلاًؤها ما آمنت منذ كفترت، ولا ذلت منذ عزت، ولم نخرج على أهبة الحرب!!

وهذا يعنى أنه رأى من الصالح أن ينسحبوا إلى المدينة، ولا يواجهوا قريشاً.

فقال له رسول الله: اجلس.

ثم قام عمر بن الخطاب، وكرر نفس مقاله أبى بكر، فأمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم

بالجلوس أيضاً.

ثم قام «المقداد بن عمرو» وقال: يا رسول الله إمض لِمَا أراك الله فنحنُ معك، والله لا نقولُ لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ» (١).

ولكن إذهب أنتَ وربُّك فقاتِلا، وإنا معكما مقاتِلون.

فَوَ الَّذِي بعثَكَ بالحقِّ لو سرتَ بنا إلى برك الغماد (وهو موضع بناحية اليمن) لجالدنا معك من دونه، حتَّى تبلغه، ولو أمرتنا أن نخوضَ جمر الغضا (أى النار المتقدة) وشوك الهراس (وهو شجرٌ كبير الشوك) لخضناه معك.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيراً ودعا له.

### إخفاء الحقائق وكتمانها

إذا كان إخفاء الحقائق، والتعتيم عليها وسترها، والتعصب الباطل أمراً مشيناً من كلِّ من أَلَفَ وكتَبَ، فإنه ولا شك أقبح من المؤرِّخ، المؤتمن على التاريخ وحقائقه.

فإن على المؤرِّخ أن يكون مرآة صادقة للأجيال القادمة لا يكدرها غبار التعصُّب، وغشاوه التحريف والتبديل والكتمان للحقائق.

ولقد ذكر ابن هشام (٢) والحلبى (٣) والطبرى (٤) ما وقع فى الشورى العسكرىة التى عقدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأدرج فيها ما قاله المقداد، وقاله سعد بن

ص: ٧٠

١- . المائدة: ٢٤.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٢/٤٤٧.

٣- . السيره الحلبيه: ٣٨٥/٢.

٤- . تاريخ الطبرى: ١٤٠/٢.

معاذ في كتبهم على وجه التفصيل، ولكنهم أحجموا عن إدراج ما قاله أبو بكر وعمر وإنما قالوا: وقال فلانٌ وأحسن، وقال فلانٌ وأحسن!!

وهنا نسأل أولئك المؤرخين إذا كان ما قاله فلان وفلان حسناً أرضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلماذا تركوا ذكره على نحو التفصيل كما فعلوا بالنسبة إلى كلام المقداد وسعد؟!

بلى؛ إنهما لم يقولوا إلّما ذكرناه قبل قليل، ليس غير. وإذا كان أولئك المؤرخون يكتمون الحقائق، فقد أظهرها الآخرون وسجلوا نص ما قاله الرجلان (١)، ولم يكن قولاً حسناً ولا كلاماً طيباً، بل كان كلامهما مثبّطاً، ينم عن خوف، ووحشه، فهما صوّرا قريشاً قوة لا تقهر، وجيشاً لا يدحر، غير آبهين بما ترك كلماتهم من الأثر السيئ في نفوس المسلمين في ذلك الظرف الدقيق، واللحظة الخطيره!!

وإنك أيها القارئ لتستطيع أن تعرف مدى إنزعاج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مقالتهما، ممّا ذكره الطبري نفسه في الصفحة ذاتها، فإنّ الشيخين كما تلاحظ، كانا أول من نطقا في تلك الشورى، ثم تكلم بعدهما المقداد، وسعد بن معاذ.

فإنّ الطبري يروى عن ابن مسعود أنّه قال: لقد شهدت من المقداد مشهداً لئن أكون أنا صاحبه أحبّ إليّ ممّا في الأرض من شيء، كان رجلاً فارساً وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا غضب احمرّت وجنتاه؛ فأتاه المقداد على تلك الحال (٢) فقال:

أبشر يا رسول الله فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «فأذهب أنت و ربك فقاتلا إنا هاهنا قاع مدون»، ولكن والذي بعثك بالحق لنكونن من بين يديك

ص: ٧١

١- المغازي: ٤٨/١؛ إمتاع الأسماع: ٩٣/١؛ بحار الأنوار: ٢١٧/١٩.

٢- أي وهو غاضب من مقاله وتثييط من تقدماه.

ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك أو يفتح الله لك. (١)

ولقد كان ذلك المجلس مجلس استشاره وتبادل للرأى وكان لكلٍ أحدِ الحقِّ فى أن يُبدلِ برأيه، ويطرح نظره على القائد الأعلى، ولكن مجريات الأحداث أثبتت أنّ المقداد كان أقرب إلى الصواب، وأكثر توفيقاً فى إصابه الحق من ذينك الرجلين.

وقد أشار القرآن الكريم إلى تخوّف بعض المسلمين من مواجهه العدو فى هذه الموقعه إذ قال سبحانه:

«كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ» (٢).

وقال تعالى:

«يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ» (٣).

### قرار الشورى الحاسم أو رأى زعيم الأنصار

كانت الآراء التى طُرحت آراء شخصيه وفرديه على العموم، والحال أنّ الهدف الأساسى من عقد تلك الشورى كان هو الحصول على رأى الأنصار، فلمّا لم يدلّ الأنصارُ برأيهم لم يمكن لتلك الشورى أن تتخذ رأياً حاسماً، وتبتّ فى الأمر.

من هنا أعاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «أشيروا علىّ أيها الناس» وهو يريد الأنصار.

فقام سعد بن معاذ الأنصارى وقال: والله لكأنتك تريدنا يا رسول الله؟

فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: أجل.

ص: ٧٢

١- . تاريخ الطبرى: ١٤٠/٢.

٢- . الأنفال: ٥.

٣- . الأنفال: ٦.



فقال سعد: بأبي أنت وأمي يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنا قد آمنا بك، وصدّقناك وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحقّ، وأعطيناك على ذلك موثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحنُ معك، فواللهي بعثك بالحقّ، لو استعرضت بنا هذا البحر [\(١\)](#) فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجلٌ واحدٌ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبرٌ في الحرب، صدقٌ في اللقاء، لعلّ الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسير بنا على بركة الله، وصل من شئت، واقطع من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، و ما أخذت من أموالنا أحبّ إلينا ممّا تركت.

فسرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقول سعد ونشّطه ذلك، وأزال سحابه اليأس من النفوس، وأشعل ضياء الأمل في القلوب.

ولهذا لم يفرغ ذلك الأنصارى البطل والقائد المؤمن الشجاع من مشورته الشجاعه إلّا وأصدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره بالرحيل قائلاً: «سيروا على بركة الله وأبشروا فإنّ الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده. والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم».

وتحرك الجيش الإسلامي بقياده النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ونزل عند آبار «بدر» [\(٢\)](#).

### جمع المعلومات حول العدو

مع أنّ المبادئ العسكريه والتكتيكات الحربيه في الوقت الحاضر تختلف عمّا كان عليه في العصور الغابره اختلافاً كبيراً، إلّا أنّ مسأله جمع المعلومات حول

ص: ٧٣

١- . يقصد البحر الأحمر.

٢- . لاحظ: المغازي للواقدي: ٤٨/١-٤٩؛ السيره النبويه لابن هشام: ٤٤٧/٢-٤٤٨.

العدو ومعرفة أسرارهِ العسكريهِ، ومدى استعداداته ومبلغ قواه التي يستخدمها، ودرجه معنويات أفرادهِ كانت على أهميتها وقيمتها، لم تتغير، بل ازدادت أهميتها في العصر الحاضر - كما أسلفنا -.

فهى تشكل الآن أيضاً مفتاحاً في الحروب، ومنطلقاً للانتصارات العسكريهِ.

على أنّ هذه المسأله قد اتّخذت اليوم صبغه التعليم والتمرين، فقد أصبح لها اليوم كتبٌ ومعاهدٌ تتولّى تعليم طرائق التجسس العسكري وأساليبه، كما ويعزى قاده المعسكر الغربى والشرقى الكثير من نجاحاتهم إلى نجاحهم فى توسعه دوائر التجسس ومنظّماته التي تستطيع إطلاع أصحابها على معلومات دقيقه ومفصّله عن خطط العدو وقواه، وأماكن تمرّكه وتواجده، وخطوط إمداده، وتموينه تمهيداً لإفشال تحركاته أو إجهاضها فوراً. من هنا استقر الجيش الإسلامى فى منطقهِ ثلاث مبادئ التستر بشكل كامل، ومنع عن أى عمل من شأنه انكشاف أسرارهِ، كما أنّ فرقاً مختلفه و متعدّده كُلفت بجمع المعلومات عن قريش وقافلته وجيشها.

فكانت المعلومات التي توفرت لدى القيادة الإسلاميه هى كالتالى:

١. أنّ النبى نفسه ركب هو ورجل من قاده جيشه حتّى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمّد وأصحابه وما بلغه عنهم؟ فأخبرهم بأنّ محمّداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، وإنّه إن كان صدق الذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا (وكذا للمكان الذى كان به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)، وإنّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، وإنّه إن كان الذى أخبره صدقه فهم اليوم بمكان كذا (وكذا: للمكان الذى فيه قريش).

وهكذا عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقطه تواجد قريش، واستقرار قواتهم.

٢. بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جماعة «الزبير بين العوام» و«سعد بن أبي وقاص» بقياده على عليه السلام إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر، فأصابوا إبلاً يستقى عليها الماء لقريش فيها غلامان أحدهما لبني الحجاج والآخر لبني العاص فأتوا بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألهما النبي عن قريش فقالا: هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوه القصوى.

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كم القوم وما عدتكم؟ فقالا: لا ندري، كثير. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كم ينحرون (من الإبل) كل يوم؟ قالوا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: القوم فيما بين التسعمائة والألف.

ثم سألهما: فمن فيهم من أشرف قريش؟

قالا: عتبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأميه بن خلف، و... و...

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه وقال:

«هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها»<sup>(١)</sup>.

٣. كلف شخصان بالدخول إلى قريه بدر وتقصي الحقائق حول قافله قريش فيها فمضيا حتى نزلا بدرًا فأناخا إبلهما إلى تل قريب من الماء، ثم تظاهرا بأنهما يريدان أن يستسقيا، فسمعا جاريتين من جوارى الحاضر وهما تتلازمان على الماء، والملزومه تقول لصاحبتها: إنما تأتي القافله غداً أو بعد غدٍ فأعمل لهم ثم أفضيك الذي لك.

فقال لها «مجدى بن عمرو الجهني»، وكان على مقربة منهما: صدقت، ثم

ص: ٧٥

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٢/٤٤٩.

خلص بينهما.

فسرّ صاحبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سمعا، فعادا في سريه كامله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبراه بما سمعا(١).

والآن وبعد أن أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عارفاً بوقت ورود القافله، ومكان تواجد قريش، معرفهً دقيقهً عمد إلى ترتيب المقدمات اللازمه.

### كيف هرب أبو سفيان؟

لقد تعرّض أبو سفيان قائد قافله قريش لدى توجهه بها إلى الشام للملاحقه من قبل مجموعه من المسلمين، وإنه كان يعلم جيداً بأنهم سوف يتعرّضون له عند قفوله من الشام أيضاً. ولهذا عندما وصل بقافله قريش إلى المنطقه الخاضعه للمراقبه الإسلاميه أراحها في منطقته بعيدة عن متناول أيدي المسلمين ودخل هو قريه «بدر» يتجسس، ويسأل عن أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فالتقى «مجدى بن عمرو» على ماء بدر فسأله: هل أحسست أحداً؟ (ويقصد هل رأيت أحداً من عيون محمد ورجاله؟).

فأجابه مجدى قائلاً: ما رأيت أحداً أنكره، إلّا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التلّ ثم استقيا فى شئ لهم، ثم انطلقا.

فأتى أبو سفيان مُناخهما، فأخذ من أبعاد بعيريهما، ففتته، فإذا فيه النوى فقال:

هذه - والله - علائف يثرب.

ص: ٧٦

---

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٢/٤٤٩-٤٥٠.

فرجع إلى أصحابه سريعاً وحرك القافلة عن الطريق، فساحل بها (أى أخذ بها جهة ساحل البحر الأحمر) وترك بداراً بيسار، وانطلق حتى أسرع. كما أنه كلف أحداً بإخبار قريش فوراً، بأن قافلتهم أفلتت من يد محمد وأصحابه، وأن أموالهم نجت فليرجعوا وليتركوا محمداً تكفيه العرب. (١)

### علم المسلمين بإفلات قافلة قريش

عرف المسلمون بإفلات قافلة قريش، وانتشر هذا النبا بينهم بسرعة، فاغتم من خرج مع المسلمين يريد الحصول على شيء من تلك الأموال، فقال الله تعالى تثبتاً لهم وتسكيناً لقلوبهم:

«وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ \* لِيَحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ» (٢).

### إختلاف قريش فى القتال

عندما وافى رسول أبى سفيان قريشاً وهم بالجحفة، وأبلغهم رساله أبى سفيان وطلب منهم الرجوع إلى مكّه، حدث بين رجال قريش اختلاف عجيب.

أما أبو جهل فقد أصرّ على مواصلة التقدّم نحو المدينة، وعدم الرجوع إلى مكّه خلافاً لطلب أبى سفيان، قائلاً:

والله لا نرجع حتى نرد بداراً - وكان بدر موسماً من مواسم العرب، يجتمع

ص: ٧٧

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٢/٤٥٠.

٢- . الأنفال: ٧-٨.

لهم به سوق كل عام - فنقيم عليه ثلاثاً، فننحر الجزر (الأباعر)، ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتعزف لنا القيان والمغنيات، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابونا أبداً بعدها، فامضوا!!

وقال الأحنس بن شريق بن عمرو الثقفي، وكان حليفاً لبني زهره، وهم بالجحفه: يا بني زهره، قد نجا الله لكم أموالكم، وخلص لكم صاحبكم مخرمه بن نوفل، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله، فاجعلوا بي جنبها وارجعوا، فإنه لا حاجه لكم بأن تخرجوا في غير ضيعه، لا ما يقول هذا، يعني أبا جهل... فرجعت بنو زهره مع الأحنس بن شريق فلم يشهد بداراً من هاتين القبيلتين أحد.

ومضى القوم، وكان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين بعض قريش محاوره، فقالوا: والله لقد عرفنا يا بني هاشم، وإن خرجتم معنا، إن هواكم لمع محمد. فرجع طالب إلى مكه مع من رجع. (١) حملت كلمات أبي جهل المغريه قريشاً على مواصله التقدّم نحو المدينه، ونزلت في مكان مرتفع (٢) خلف كئيب.

وأمطرت السماء مطراً غزيراً فأصاب قريشاً منه ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه، ومنعهم من مزيد التقدّم.

بينما لم يُحدث المطرُ أي مشكله في العدوهِ للمسلمين ولم يمنع من تحركهم بل كان بحيث لبيد الأرض حتى ثبتت أقدامهم (٣).

ص: ٧٨

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٢/٤٥٠-٤٥١.

٢- . وهو ما يُسمّى بالعدوه القصوى.

٣- . ويقال كان المطر ينزل على قريش كأفواه القرب وعلى أصحاب رسول الله رذاذاً بقدر ما لبيد الأرض.

و «بدر» منطقه واسعه يتكون جنوبها من مكان مرتفع (العدوه القصوى) وشمالها من مكان منخفض منحدر (العدوه الدنيا) وكانت في هذا الوادي الواسع بضع آبار وعيون ماء، فكان منزلاً للقوافل ينزلون فيه ويستقون، ويستريحون ردهاً من الزمن.

وهنا تقدم «الجباب بن المنذر بن الجموح» وكان فارساً مجرباً وعسكرياً محنكاً باقتراح إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة».

فقال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم، فننزله ثم نغور (أي ندفن العين) ماوراء من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فتملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لقد أشرت بالرأي.

فنهض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب (الآبار) فغورت، وبنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه، فملئ ماءً ثم قذفوا فيه الآنيه. (١)

إن هذه الحادثة تكشف جيداً عن إهتمام رسول الإسلام بالمشاوره، واحترامه لآراء الآخرين واتساع صدره لاقتراحاتهم، والأخذ بما يفيد منها دون تكبر أو انزعاج.

ص: ٧٩

وقيل إن «سعد بن معاذ» تقدّم هو الآخر بمقترح عسكري وهو بناء وإقامه برج لرسول الله يقود منه العمليات ويشرف على سيرها ويكون مأمناً له من كيد الأعداء فقال: يا نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا- نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدوّنا، فإن أعزّنا الله وأظهرنا على عدوّنا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشدّ لك حبّاً منهم، ولو ظنّوا أنّك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك.

فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعا له بخير. ثم بُني له صلى الله عليه وآله وسلم عريش فوق مكان مرتفع مشرف على ساحه القتال والحرب، وكان سعد وجماعه من فتيان الأنصار يحرسونه في بعض حالات القتال!!(١).

### نظرة إلى مسأله «العريش»

إنّ مسأله بناء العريش لرسول الله، وحراسه «سعد بن معاذ» وجماعه من فتيان الأنصار له هو ممّا ذكره ورواه الطبرى فى تاريخه نقلاً عن ابن إسحاق وتبعه الآخرون فى ذلك، ولكن هذه القصّه لا يمكن القبول بها لأسباب هى:

أولاً: أنّ هذا العمل يفتّى فى عَضُد الجنود، ويضعف من معنوياتهم القتاليه؛ لأنّ معناه أنّ القائد يفكّر فى وسيله لنجاه نفسه دون أن يفكّر فى نجاه جنوده، ومثل هذه القيادة لا يمكنها أن تستحوذ على قلوب جنودها، وتجعلها مطيعه

ص: ٨٠



ثانياً: أنّ هذه القصّة تتنافى مع الأخبار القطعية التي بشر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بها المسلمين في ضوء ما نزل عليه من آيات.

فهو صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يواجه المسلمون قريشاً وعد أصحابه الذين خرجوا معه من المدينة إحدى الطائفتين، أي إمّا الظفر بقافله قريش التجار به قطعاً، أو الانتصار على الجيش المكيّ حتماً وبقيناً إذ قال الله تعالى:

«وَإِذِ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَهِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ» (١).

وإنّما أقدم على بناء العريش لرسول الله - بناءً على روايه الطبرى - في الوقت الذي كانت قافله قريش قد أفلتت وهربت من أيدي المسلمين، ولم يبق إلا الجماعه المسلحه التي خرجت لحماية القافله، وكان المسلمون يعلمون - طبقاً لذلك الوعد الإلهي القاطع - أنّهم سينتصرون على تلك الجماعه الكافره: «وَ يَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ» فلم يكن المجال مجال تردّد وشك.

وبهذا يكون حديث هزيمة المسلمين في هذه المواجهه ولزوم بناء عريش لحماية النبي، وإعداد إبل سريعه السير عند العريش لينجو صلى الله عليه وآله وسلم عليها بنفسه حديثاً باطلاً لا مبرر له، ولا مسوغ.

يقول ابن سعد نقلاً عن عمر بن الخطاب قال: لما نزلت «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ» (٢) قلت: وأى جمع يُهْزَمُ وَمَنْ يُغْلَبُ؟ فلما كان يوم بدر نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يثب في الدرع وثباً وهو يقول: «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ»

١- . الأنفال: ٧.

٢- . القمر: ٤٥.

فعلمتُ أن الله تبارك وتعالى سيهزمهم (١).

ومع هذا هل يحتمل أن يدور في خلد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه شيء حول الهزيمة أو يحدثوا أنفسهم بالفرار؟

ثالثاً: أن النبي الذي يصف الإمام على عليه السلام موقفه وحالته عند اشتداد ضراوه القتال لا تنسجم أبداً ولا تلائم هذا التكتيك الذي لا يتسم بالشجاعة والثبات.

يقول على عليه السلام:

«كُنَّا إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ» (٢). فهل يفكر مثل هذه الشخصية التي يصفها أول تلامذه مدرسته، وأقرب صحابته إليه بمثل هذا الوصف، في الفرار، أو اتخاذ الاحتياطات اللازمة لذلك؟!

نحن نعتقد أن بناء العريش لم يكن إلّا من باب إعداد غرفه للعمليات ولمراقبه سير القتال من مكان مشرف على ساحه القتال، لأن القيادة ما لم تكن مشرفه على ساحه القتال لا يمكنها أن تتصرّف بواقعيه وإتقان، ولا يمكنها أن تقود الجنود والحشود من منطلق الواقع القتالي والعسكري.

من هنا لم يكن الهدف من العريش إن صح أصل القصه هو الإعداد والتحسّب للفرار وما شاكل ذلك.

ص: ٨٢

١- . الطبقات الكبرى: ٢/٢٥٠.

٢- . نهج البلاغه: ٥٢٠، فصل في غريب كلامه برقم ٩. ويقول السيد الرضى رضى الله عنه: معنى ذلك: إنّه إذا عظم الخوف من العدو، واشتدّ عضاوض الحرب فزع المسلمون إلى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه فينزل الله عليهم النصر به ويؤمنون ممّا كانوا يخافونه بمكانه.

## تحرّك قريش باتجاه بدر

فى صبيحه السابع عشر من شهر رمضان من السنه الثانيه للهجره، ارتحلت قريش من وراء الكثيب وانحدرت إلى وادى بدر، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها، وفخرها تحادك و تكذب رسولك.

اللهم فنصرك الذى وعدتني به، اللهم أحينهم (١) الغدا» (٢).

## قريش تتشاور فى القتال

استقرت قوى قريش فى منطقه من أرض بدر استعداداً للمواجهه، وحيث إنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن عدد أفراد المسلمين ومبلغ استعداداتهم، لذلك كلفوا «عمير بن وهب الجمحى» - وكان فارساً ماهراً فى الإحصاء والتخمين - بأن يحرز (ويقدر بالحدس) عدد أصحاب محمد.

فاستجال بفرسه حول عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم رجع إلى قريش وقال:

ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولكن أمهلونى حتى انظر ألقوم كمين، أو مدد.

فضرب فى الوادى حتى أبعده ولكنه لم ير شيئاً.

فرجع إلى قريش ثانية وهو يحمل لهم خبراً مرعباً إذ قال: ما وجدت شيئاً (أى كميناً أو مدداً وراء المسلمين) ولكنى قد رأيت يا معشر قريش البلاء (٣).

ص: ٨٣

١- . أى أهلكتهم.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٤٥٣/٢؛ المغازى: ٥٩/١؛ تاريخ الطبرى: ١٤٥/٢.

٣- . البلاء: جمع بليه وهى الناقه أو الدابه.

تحمل المنايا، نواضح (١). يشرب تحمل الموت الناقع (٢)، قومٌ ليسَ مَعَهُم مَنَعُهُ ولا ملجأً إلّاسيوفهم.

والله ما أرى أن يُقتلَ رَجُلٌ منهم حَتَّى يَقْتَلَ رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فَرُوا رأيكم!!! (٣)

وروى الواقدي عبارات عمير بنحو آخر إذ قال: قال عمير: والله ما رأيت جلدًا ولا عددًا ولا حلقه ولا كراعًا، ولكنني رأيت قومًا لا يريدون أن يُؤبوا إلى أهليهم، قومًا مستميتين ليست لهم مَنَعُهُ ولا- ملجأً إلّاسيوفهم، زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحَجَف (٤). (٥)

وروى المجلسي ما قاله عمير بنحو ثالث إذ قال: قال عمير: ما لهم كمينٌ ولا مددٌ، ولكن نواضح يشرب قد حملت الموت الناقع، أما ترونهم خرسًا لا- يتكلمون، يتلمظون تلمظ الأفاعي، ما لهم ملجأً إلّاسيوفهم، وما أراهم يولّون حَتَّى يقتلوا، ولا يُقتلون حَتَّى يقتلوا بعددهم فارتأوا رأيكم (٦).

### اختلاف قاده قريش في أمر القتال

أوجدت كلمات عمير الفارس الشجاع ضجّه كبرى بين رجال قريش وساداتها وزعمائها، وانتاب الجميع خوفٌ بالغ ورعبٌ شديد من المسلمين.

ص: ٨٤

١- . الإبل يستقى عليها الماء.

٢- . الموت الثابت البالغ في الإفناء.

٣- . السير النبويه لابن هشام: ٢/٤٥٣-٤٥٤.

٤- . الحجف جمع الحجفه وهي الترس.

٥- . المغازي: ١/٦٢.

٦- . بحار الأنوار: ١٩/٢٢٤.

فمشی حكيم بن حزام إلى عتبه بن ربيعه ليقنعه بالعدول عن مقاتله المسلمين، فقال له: يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها، والمطاع فيها، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ فقال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس وتحمل أمر (دم) حليفك عمرو بن الحضرمي، وما أصاب محمّد من ماله بيطن نخله(١) إنكم لا تطلبون من محمّد شيئاً غير هذا الدم والمال؟!

فاقتنع عتبه برأى حكيم، فجلس من فوره على جملة، ووقف يخطب في المشركين من قريش بنطق جميل وبلغ يقول: يا معشر قريش، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمّداً وأصحابه شيئاً، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا وخلّوا بين محمّد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم وإن كان غير ذلك ألكم ولم تعرضوا منه ما تريدون(٢).

وفي «مجمع البيان» قال: وخطب عتبه فقال في خطبته: يا معشر قريش أطيعوني اليوم واعصوني الدهر، إن محمّداً له إل(٣) وذمّه، وهو ابن عمكم، فخلّوه والعرب، فإن يك صادقاً، فأنتم أعلى عيناً به؛ وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره....(٤)

وانطلق حكيم بن حزام إلى أبي جهل وأخبره برأى عتبه ومقاتله، هذا وأبو جهل يهَيئُ درعه، فانزعج أبو جهل من مقاله عتبه وموقفه انزعاجاً شديداً، وثار

ص: ٨٥

١- . إشارة إلى ما جرى في سريه عبدالله بن جحش.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٢/٤٥٤.

٣- . الإل: العهد.

٤- . مجمع البيان: ٤/٤٤٠؛ بحار الأنوار: ١٩/٢٢٤.

ثأثرته حسداً على عتبه، وتعنتاً عن الحق (١)، وبعث من فوره رجلاً إلى عامر بن الحضرمي أخى عمرو الذي قُتل في غزوه عبد الله بن جحش بنخله وقال له: هذا حليفك (عتبه) يريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت ثارك بعينك، فقم وأنشد خفرتك (٢) ومقتل (أو دم) أخيك.

فقام عامر وكشف عن رأسه، وأخذ يحثو التراب على رأسه، وصاح مستغيثاً وأعمراه وأعمراه، فحميت الحرب، وحقب أمر الناس، واستوثقوا على ما هم عليه من الشر، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبه. (٣)

ولكن عتبه هذا العذبي كان يميل إلى اعتزال الجيش وترك الحرب، هاجت مشاعره هو الآخر فقام من فوره ولبس لامه حربته واستعدّ لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه. وهكذا نجد كيف يتضاءل نور العقل عند هبوب رياح العاطفه الملتهبه، والمشاعر الشائره الباطله وتنطفئ شعله الفكر، ولا يعود يضيء لصاحبه درب المستقبل حتى أن الرجل العذبي كان قبل قليل داعيه السلام، والتعايش الأخوي يتحوّل تحت تأثير ذلك الهياج العاطفي، العابر، الأحمق إلى أوّل مبادر إلى القتال وسفك الدماء وإزهاق الأرواح!!!

ص: ٨٤

- 
- ١- قال الواقدي في المغازي: ١/٦٣-٦٤: فحسده أبو جهل حين سمع خطبته وقال: إن يرجع الناس من خطبه عتبه يكن سيد الجماعه، وعتبه أنطق الناس!!!
  - ٢- أي اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم وعهدهم لك؛ لأنه كان حليفاً لهم.
  - ٣- السيره النبويه لابن هشام: ٢/٤٥٤-٤٥٥.

## ما هو الأمر الذي حتم القتال؟

لَمَّا أَبْصَرَ الْأَسَدُ الْمَخْزُومِيَّ وَكَانَ رَجُلًا شَرِسًا سَيِّئِ الْخُلُقِ، الْحَوْضَ الَّذِي بَنَاهُ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ الْبَيْتِ لِشَرِبِهِمْ قَالَ:  
أَعَاهِدُ اللَّهَ لِأَشْرَبِنَ مِنْ حَوْضِهِمْ، أَوْ لِأَهْدِمَنَّه، أَوْ لِأَمُوتَنَّ دُونَهُ!!

فَلَمَّا خَرَجَ، خَرَجَ لَهُ حَمْزُهُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، فَلَمَّا التَقِيَ ضَرْبَهُ حَمْزُهُ فَأَطَنَّ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ وَهُوَ دُونَ الْحَوْضِ، فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهِ  
تَشَخَّبَ رِجْلُهُ دَمًا نَحْوَ أَصْحَابِهِ ثُمَّ حَبَا إِلَى الْحَوْضِ حَتَّى اقْتَحَمَ فِيهِ يَرِيدُ زَعْمَ أَنْ يَبْرَ يَمِينَهُ، وَاتَّبَعَهُ حَمْزُهُ فَضَرْبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ فِي  
الْحَوْضِ. (١)

فَتَسَبَّبَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ فِي أَنْ يَصْبِحَ الْقِتَالُ أَمْرًا مُسَلِّمًا وَحَتْمِيًّا، لِأَنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ شَيْءٌ يَقْدِرُ عَلَى تَحْرِيكِ الْمَشَاعِرِ، وَإِثَارَةِ الْعَوَاطِفِ  
وَدَفْعِ النَّاسِ لِلْقِتَالِ كَسَفْكَ الدَّمِ.

فَالَّذِينَ كَانُوا الْغَيْظَ وَالْحَقْنَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ يَكَادُ يَقْتُلُهُمْ، وَكَانُوا يَبْحَثُونَ عَنْ ذُرَيْعِهِ يَشْعَلُونَ بِهَا نِيرَانَ الْحَرْبِ وَيَفْجَرُونَ فَتِيلَهَا، قَدْ  
حَصَلُوا الْآنَ عَلَى مَا يَرِيدُونَ.

## المبارزات الفرديه أولاً

كَانَ التَّقْلِيدُ الْمَتَّبَعُ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي الْحُرُوبِ أَنْ يَبْدَأَ الْقِتَالُ بِالْمُبَارَزَاتِ الْفَرْدِيَّةِ ثُمَّ تَقَعُ بَعْدَهَا الْحَمَلَاتُ الْجَمَاعِيَّةِ.

فَلَمَّا قَتَلَ الْأَسَدُ الْمَخْزُومِيَّ خَرَجَ ثَلَاثَةَ فَرَسَانَ مِنْ صِنَادِيدِ قَرِيشٍ

ص: ٨٧

المعروفين من صفوف الجيش المكيّ ودعوا إلى المبارزه.

وهؤلاء الصناديد الثلاثة هم:

١. عتبه (١).

٢. شيبه.

وهما ابنا ربيعه بن عبد شمس.

٣. الوليد بن عتبه بن ربيعه.

فأخذوا يجولون في ميدان القتال ويدعون إلى المبارزه، فخرج إليهم من المسلمين فتيه من الأنصار ثلاثة وهم: «عوف» و «معوذ» ابنا الحارث و «عبدالله بن رواحه».

ولمّا عرف عتبه أنّهم من رجال المدينة قال: مالنا بكم من حاجه.

ثم نادى مناديهم: يا محمّد، أخرج الينا أكفءنا من قومنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «قم يا عبيد بن الحارث وقم يا حمزه، وقم يا عليّ».

فقاموا، وخرجوا للمبارزه، ولمّا دَنَوْا منهم، سألهم عتبه عن أسمائهم فعرّف أبطال الإسلام أنفسهم وذكروا أسماءهم.

فقال رجال المشركين الثلاثة: نعم أكفء كرام.

ويرى البعض أنّه بارز كلّ من هؤلاء الثلاثة من كان على سنّه من الكفّار فبارز عليّ عليه السلام الوليد (خال معاويه بن أبي سفيان)، و بارز حمزه (وهو أوسطهم) عتبه

ص: ٨٨

١- . وعتبه هذا هو الّذى اقترح الانسحاب وعدم القتال كما عرفت. ويروى أنّه لمّا خرج قال له حكيم بن حزام: أبا الوليد مهلاً، مهلاً تنهى عن شيء وتكون أوله!! (المغازي: ٦٧/١).



(جدّ معاويه لأُمّه)، وبارز عبيده (وهو أسنّ الثلاثه) شبيه وهو أسنّ الكفار الثلاثه.

غير أنّ ابن هشام يقول: بارز «حمزه» شبيهه، وبارز «عبيده» عتبه، وبارز «علّي» الوليد بن عتبه (١).

وهذا يعني أنّ حمزه (الأوسط في السن) قاتل الأسنّ من الكفار.

### أَيُّ الْقَوْلَيْنِ هُوَ الْأَصَحُّ؟

إنّ ملاحظه أمرين توضح الحقيقه في هذا المجال:

الأول: أنّ المؤرّخين كتبوا: أنّ علياً وحمزه قتلا خصميهما في الحال، ثمّ ساعدا عبيده على قتل خصمه (٢).

الثاني: أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام كتب في كتاب له إلى معاويه:

«وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ» (٣).

فمن هذا الكتاب يتّضح بجلاء أنّ الإمام عليه السلام شارك في قتل جدّ معاويه (أي عتبه) هذا من جانب.

كما أنّنا نعلم من جانب آخر أنّ كلّاً من حمزه وعلياً قد قتل خصمه في اللحظه الأولى من المبارزه. فإذا كان خصم حمزه هو عتبه (جدّ معاويه) لم يكن - حينئذ - أي معنى لقول الإمام عليه السلام «أنا قتلت جدك».

فلا مناص من أن نقول: إنّ الذي بارز حمزه هو شبيهه، وأنّ الذي بارز عبيده

ص: ٨٩

١- . راجع لمعرفه كلا الرأيين: سنن البيهقي: ٢٧٦/٣.

٢- . تاريخ الطبري: ١٤٨/٢، السيره النبويه لابن هشام: ٤٥٦/٢ قال: وكّر حمزه وعلّي بأسيافهما على عتبه.

٣- . نهج البلاغه: ٤٥٤، قسم الكتب الرقم ٦٤. واعضضته به جعلته يعضّه.

هو عتبه، ليصح حينئذ أن يقال إن علياً وحمزه، ذهبا - بعد الفراغ من قتل خصميهما - إلى عتبه وكراً بأسيا فهما عليه وقتلاه، ثم احتملا صاحبهما «عبيده» وأتيا به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١).

وبهذا تتّرجح النظرية الثانية، والقاضيه بعدم التكافؤ بين أسنان كلّ من المتبارزين.

## الهجومُ العامُّ

إثر مقتل صنديد قريش الثلاثة في المبارزه الفرديه بدأ الهجومُ العامُّ.

ثمّ تراخفَ الناسُ ودنا بعضهم من بعض، وقد أمرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه أن لا يحملوا حتّى يأمرهم، فقال: إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل.

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدلَ صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده سهمٌ يعدلُ به القوم. فمر بسوّاد بن غزويه، وهو متقدّم من الصف، فطعن في بطنه بالسهم الذي معه وقال له: استو يا سّواد.

فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقديني (أى اقتصّ لي من نفسك). فكشف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن بطنه وقال: استقد (أى أنت اقتصّ) فاعتنقه سّواد وقبّل بطنه صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما حملك على هذا يا سّواد؟

قال: يا رسول الله حضر ماترى (من القتال) فأردتُ أن يكون آخر العهد بك

ص: ٩٠

---

١- . ثم إنّ المقصود من أخ معاويه اللمذى أشار الإمام على في كلمته إلى قتله هو حنظله بن أبى سفيان بن حرب. راجع: السيره النبويه لابن هشام: ٥٢٥/٢؛ وشرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ١٩/١٨.

أن يمَسَّ جلدِي جلدَكَ.

فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخير(١).

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن عدل الصفوف رجع إلى غرفه العمليّات (العريش) فدخله وتوجه إلى ربه بقلب مفعم بالإيمان يناشده ما وعده من النصر وقال في مناجاته لربه في تلك اللحظات:

«اللَّهُمَّ إِنَّ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعَدَّ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا».

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس فحرّضهم ونفل كل امرئ منهم ما أصاب وقال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يُقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيَقْتُلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ».(٢)

ولقد كانت كلمات القائد الأعلى هذه تفعل فعلتها في النفوس، فتثير الهمم، وتوجد شوقاً عجيباً إلى الشهادة في المقاتلين المسلمين، حتى أن أحدهم ويُدعى «عمير بن الحمام» أخو بني سلمة قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي يده تمرات يأكلهن يا رسول الله: بخ، بخ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلّا أن يقتلني هؤلاء.

ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه، فقاتل القوم حتى قُتِلَ(٣).

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشاً ثم قال: «شَاهَتِ الْوُجُوهَ».

ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه، فقال: شدوا(٤).

ص: ٩١

١- السيرة النبوية لابن هشام: ٤٥٦/٢-٤٥٧.

٢- لاحظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٤٥٧/٢؛ تاريخ الطبري: ١٤٩/٢-١٥٠.

٣- السيرة النبوية لابن هشام: ٤٥٨/٢.

٤- السيرة النبوية لابن هشام: ٤٥٨/٢؛ تاريخ الطبري: ١٥٠/٢؛ البدايه والنهايه: ٣٤٧/٣.

ولم يمض وقتٌ طويل حتى ظهرت بوادر انتصار المسلمين على أعدائهم المشركين فقد انتاب المشركين خوفٌ ورعبٌ شديدان، وأخذوا ينهزمون أمام زحف المسلمين.

فقد كان المسلمون يقاتلون عن إيمان، وإخلاص ويعلمون بأنهم ينالون السعادة قتلوا أو قُتلوا، فلم يرهَبُوا شيئاً، وما كان يمنعهم شيء عن التقدّم والإقبال.

### رعايه الحقوق

لقد كان لابد من رعايه الحقوق بالنسبه إلى طائفتين في معسكر المشركين:

الأولى: أولئك الذين أحسنوا إلى المسلمين في مكّه، ودافعوا عنهم كأبي البختری الذي كان ممن قام في نقض الصحيفه الظالمه التي سبق الحديث عنها.

الثانية: أولئك الذين أكرهوا على الخروج من المشركين إلى بدر، وكانوا يرغبون في قراره أنفسهم في الإسلام مثل معظم رجال بني هاشم كالعباس بن عبدالمطلب عمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

### مصرع أميّه بن خلف

ولقد أُسّر «أميّه بن خلف» وابنه على يد عبدالرحمن بن عوف، وكان بينه وبين أميّه صداقه بمكّه طلب أميّه من عبدالرحمن أن يخرجّه من أرض المعركه لكي لا يُقتل هو وولده، أو ليُعدّا من الأسرى.

فرضى عبدالرحمن بذلك، وبينما هو يقودهما إذ رآه بلال، وكان أميّه هو الذي يعذب بلالاً بمكّه على ترك الإسلام، فيخرجه إلى رمضاء مكّه إذا حميت فيضجعه على ظهره، ثم يأمر بالصخره العظيمه فتوضع على صدره ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمّد، فيقول بلال: أحد، أحد.

فلما رآه بلال في الأسر وقد أقدم عبدالرحمن على حمايته والذب عنه وهو يريد نجاته وولده، صاح مستصرخاً المسلمين: يا أنصار الله رأس الكفر أميّه بن خلف، لا نجوت إن نجا.

فأحاط المسلمون بأميّه وولده من كل جانب وقطعوهما بسيفهم حتى فرغوا منهما(١).

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قتل أبي البختري الذي كان له دورٌ مشرفٌ في نقض الحصار الاقتصادي الذي ضربته قريش على المسلمين في مكة، وكان لا يؤذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلقيه رجلٌ من المسلمين يُدعى «المجدّر بن زياد البلوي» حليف الأنصار، فأراد أسره واستبقاءه ريثما يأخذه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليرى فيه رأيه، ولكنه نازل «المجدّر» وأبى إلّا القتال، فاقتلا فقتله المجدّر.

ثم إنَّ المجدّر أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: والذي بعثك بالحق لقد جهدتُ عليه أن يُستأسر فأتيتك به فأبى إلّا أن يقاتلني فقاتلته فقتلته(٢).

### خسائر بدر في الأرواح والأموال

لقد قُتِلَ في معركة «بدر» من المسلمين أربعة عشر رجلاً وقُتِلَ من المشركين سبعون وأُسِرَ سَبْعُونَ من أبرزهم: النضر بن الحارث، وعقبه ابن أبي معيط، وأبو غره، وسهيل بن عمرو، والعباس، وأبو العاص بن الربيع (صهر النبي)(٣).

ص: ٩٣

١- لاحظ: سيره ابن هشام: / ٤٦١.

٢- لاحظ: السير النبويه لابن هشام: ٤٥٩/٢؛ الطبقات الكبرى: ٢٣/٢.

٣- المغازي: ١٣٨/١-١٧٣؛ السير النبويه لابن هشام: ٥٢٤/٢-٥٣٢.

ثم دُفِنَ شهداء بدر في جانب من أرض المعركة، وقبورهم باقيه إلى الآن.

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يُلقى بقتلى المشركين في البئر.

قال ابن إسحاق: ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهم (أى المشركين) أن يلقوا في القليب (١)، أخذ عتبه بن ربيعة فسحب إلى القليب فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وجه «أبى حذيفه» ابن عتبه فاذا هو كئيب، قد تغير لونه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا أبا حذيفه لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟! فقال: لا والله يا رسول الله، ما شككت في أبى ولا في مصرعه، ولكننى كنتُ أعرف من أبى رأياً وحِلماً وفضلاً فكنتُ أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيتُ ما أصابه وذكرتُ ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنتُ أرجو له، أحزننى ذلك!!

فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخير (٢).

إن هذه القصة لتكشف عن مدى حبّ المسلمين لدينهم، ورغبتهم الصادقة فى أن يهتدى إليه الناس كما تكشف أيضاً عن أنهم كانوا يقدّمون المعيار الدينى على المعيار العائلى إذا تعارضاً.

«ما أنتم بأسمع منهم»

لقد انتهت معركة بدر بانتصار عظيم فى جانب المسلمين وهزيمة نكراء فى جانب المشركين.

فقد غادر المشركون ساحه القتال هاربين صوب مكه مخلفين وراءهم

ص: ٩٤

١- . القليب: البئر.

٢- . سيره ابن هشام (السيره النبويه): ٤٦٨/٢.

سبعين قتيلاً من صناديدهم وساداتهم وفتيانهم الشجعان وسبعين أسيراً.

ولمّا أمر النبيّ بألقاء قتلى المشركين فى القليب، وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند القليب وأخذ يخاطب القتلى واحداً واحداً ويقول:

«يا أهل القليب، يا عُتبه بنَ ربيعة، ويا شبيهه بنَ ربيعة، ويا أمية بنَ خلف، ويا أبا جهل (وهكذا عدّد من كان منهم فى القليب) هلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَكُم رُبُّكُمْ حَقًّا، فَإِنِّى قَدْ وَجَدْتُ ما وَعَدَنِى رَبِّى حَقًّا».

فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله أتنادى قوماً قد جفوا؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبونى».

وكتب ابن هشام يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم قال هذه المقالة:

«يا أهيلَ القليبِ بئسَ عشيره النبىِّ كُنْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ! كَدَّبْتُمونى وصَيَّدْتَنِى الناسُ، وأَخْرَجْتُمونى وآوانى الناسُ، وقاتلتُمونى ونصرتنى الناسُ، (ثم قال:) هلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَكُم رُبِّى حَقًّا؟»<sup>(١)</sup>.

### الشعر يخلد هذه القصة

يُعتبر هذا الموضوع من القضايا الثابتة والمسلّمه فى التاريخ الاسلامى، فقد ذكره جميع المحدثين والمؤرخين من الشيعة والسنة، وقد ذكرنا طائفه من مصادره فى الهامش.

وقد كان من دأب حسان بن ثابت شاعر عصر الرساله أن ينشد أبياتاً فى كلِّ

ص: ٩٥

١- . سيره ابن هشام (السيره النبويه): ٢/٤٦٦-٤٦٧؛ السيره الحلبيه: ٢/٤٣١، وغيرهما.

واقعه من وقائع الإسلام البارزه، وبذلك يقوى من عزمه المسلمين ويشد من أزهم؛ لأن الشعر يجلى البطولات ويكرم المواقف ويخلد الأمجاد ويحافظ على المفخر ويكسبها طابعاً أبدياً، ولهذا يُعد وسيلة جيده لتقويه المعنويات، وإبطال مفعول الحرب البارده والنفسيه التي يقوم بها العدو.

وقد طبع ديوان «حسان» لحسن الحظ، ويمكن لنا أن نفخ على الكثير من أيام الإسلام وأمجاده من خلال قصائده، وأبياته المدرجه فيه.

وقد أنشد حسان قصيده بائيه رائعه حول وقعه بدر الكبرى يشير في بعض أبياتها إلى هذه الحقيقه، أعنى قصه القلب إذ يقول:

يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا قَدَفْنَاَهُمْ كِبَاكِبَ فِي الْقَلْبِ

أَلَمْ تَجِدُوا كَلَامِي كَانَ حَقًّا وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ؟

فَمَا نَطَقُوا وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا صَدَقْتَ وَكُنْتَ ذَا رَأْيٍ مُصِيبٍ!

على أنه لا توجد عباره أشد صراحه من ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المقام حيث قال: «ما أنتم بأسمع منهم».

وليس ثمه بيان أكثر إيضاحاً وأشدّ تقريراً لهذه الحقيقه من مخاطبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لواحدٍ واحدٍ من أهل القلب، ومناداتهم بأسمائهم وتكليمهم كما لو كانوا على قيد الحياه.

فلا- يحقّ لأيمسلم مؤمن بالرساله والرسول أن يسارع إلى إنكار هذه القضيّه التاريخيه الإسلاميه المسلّمه، ويبادر قبل التحقيق ويقول: إنّ هذه القضيّه غير صحيحه؛ لأنها لا تنطبق على موازين عقلي المادى المحدود.

وقد نقلنا هنا نصّ هذا الحوار، لكي يرى المسلمون الناطقون باللغه العربيه كيف أنّ حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصرّح بهذه الحقيقه بحيث لا توجد فوقه عباره في



الصراحه، والدلاله على هذه الحقيقه.

ومن أراد الوقوف على مصادر هذه القصه فعليه أن يراجع ما ذكرناه في الهامش أدناه(١).

### بعد معركة بدر

يعتقد كثير من المؤرخين المسلمين أنّ المبارزات الفرديه ومن بعدها القتال الجمعي في غزوه بدر استمر حتّى زالت الشمس وانتهت المعركه بفرار المشركين وأسر جماعه منهم. ثم بعد أن فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه من دفن شهداء المسلمين صلّى بالناس العصر في بدر ثم غادر أرض بدر قبل غروب الشمس من ذلك اليوم، هذا وقد كلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشخاصاً بجمع الغنائم من أيدي الناس.

وهنا واجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول اختلاف بين أصحابه في كيفية تقسيم الغنائم، فقد كان كل فريق يرى نفسه أولى من غيره بها، نظراً لدوره في تلحم المعركه.

فالذين كانوا يحرسون عريش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخافه أن يكرّ عليه العدو كانوا يرون أن عملهم لا يدانيه في الأهميه أي عمل آخر، لأنهم كانوا يحرسون القائد، ويحافظون على مقرّ القيادة.

وبينما كان الذين جمعوا الغنائم يرون أنّهم الأحقّ؛ لأنهم جمعوها، فيما كان

ص: ٩٧

---

١- إن تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع رؤوس الشرك الموتى الذين ألقيت أجسادهم في البئر من مسلمات التاريخ والحديث، وقد أشار إلى هذا من بين المحدثين والمؤرخين: صحيح البخارى: ٢١/٥، باب قصه غزوه بدر، صحيح مسلم: ١٦٣/٨، كتاب الجنه، باب عرض مقعد الميت من الجنه؛ مسند أحمد: ٣١/٢ و ٣٨ و ١٣١ و ج ١٠٤/٣ و ١٤٥ و ٢٢٠ و ٢٦٣ و ٢٨٧ و ج ٢٩/٤؛ المغازى: ١١٢/١، غزوه بدر؛ بحار الأنوار: ٣٤٦/١٩.

الذين قد قاتلوا العدو ولاحقوه وطاردوه يقولون: والله لولا نحن ما أصبتموه، إننا لنحن الذين شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم (١).

ولا ريب أن أسوأ ما يصيب أي جيش هو أن يدب الخلاف بين قطعاته وأفراده، فينفرط عقده وتتلاشى وحدته.

من هنا بادر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، للقضاء على هذه الآمال والمطامع الماديّة، وبغية إسكات كل تلك الأصوات، إلى إيكال جمع الغنائم وحملها، والمحافظة عليها إلى «عبدالله بن كعب المازني» وأمر جماعه من أصحابه أن يعينوه ريثما يفكر في طريقه تقسيمها. لقد كان قانون العدل والإنصاف يقضى بأن يشترك جميع أفراد ذلك الجيش في تلك الغنائم، لأنهم ساهموا بأجمعهم في تلك المعركة، وكان لكل منهم دورٌ ومسؤولية فيها، فما كان لفريق أن يحرز نجاحاً من دون أن يقوم الآخرون بأدوارهم.

من هنا قسّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغنائم بينهم - في أثناء الطريق - على قدم المساواة، وفرز لذوى الشهداء أسهماً منها.

ولقد أثارت طريقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تقسيم الغنائم (وذلك بقسمتها على جميع المشاركين معه في معركة بدر بالتساوي) سخط «سعد بن أبي وقاص» فقال: يا رسول الله أيعطى فارسُ القوم الذي يحميهم مثل ما يعطى الضعيف؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ثكلتك أمّك، وهل تُنصرون إلبضعفائكم» (٢).

وهو صلى الله عليه وآله وسلم يقصد أن هذه الحرب لم تكن إلّالأجل الدفاع عن الضعفاء، ورفع الحيف عنهم، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يُبعث إلّالإزالة هذه الفوارق والامتيازات

ص: ٩٨

١- . سيره ابن هشام (السيره النبويه): ٤٦٩/٢.

٢- . المغازي: ٩٩/١.

الظالمه، وإلا لأجل إقرار المساواه في الحقوق بين الناس.

هذا ورغم أنّ خمس الغنيمه هي بنص آيه الخمس(١) لله ولرسوله ولذي القربى واليتامى وابن السبيل من أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يخمس غنائم «بدر» بل وزع الخمس على المشاركين في بدر أيضاً.

على أنه يمكن أن تكون آيه الخمس لم تنزل آنذاك بعد، أو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتمتع باختيارات خاصه، فصرف النظر عن أخذ الخمس لنفسه وقرباه، تكثيراً لأسهم المجاهدين، وذلك ولا ريب خطوه حكيمة جداً وخاصه في أول مواجهه عسكريه مع العدو(٢).

### قتل أسيرين في أثناء الطريق

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في «الصفراء» وهي أحد المنازل على طريق (بدر - المدينة) عرض عليه الأسرى، فأمر بقتل النصر بن الحارث وكان من أعداء المسلمين الألداء.

وأمر بأن يضرب عتق عقبه بن أبي معيط إذ كان بعرق الظبييه.(٣)

وهنا ينطرح سؤال وهو: إن حكم الإسلام في أسرى الحرب هو أنهم عبيد للمسلمين والمجاهدين، يُباعون ويشترىون بأثمان مناسبة، فلماذا حكم رسول

ص: ٩٩

١- . الأنفال: ١.

٢- . وجاء في بعض المصادر التاريخيه أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضرب من الغنائم أسهماً لأشخاص لم يحضروا بدر ولم يشتركوا في القتال مع رغبتهم في ذلك، وذلك إما لأموال أصابتهم عند الخروج إلى بدر، أو لقيامهم بمهمات، تتعلق بأموال مراقبه العدو في الطرق أو للقيام بمهمات إداريه داخل المدينة.

٣- . لاحظ: البدايه والنهايه: ٣/٣٧٢.

اللّٰه صلي الله عليه وآله وسلم في شأن هذين الأسيرين بحكم آخر؟.

ثم إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الذي خاطب المسلمين في «بدر» في الأسرى الذين بأيديهم وأوصاهم بهم خيراً قائلاً:  
«اشتَوْصُوا بِالْأَسَارَى خَيْرًا».

كيف اتّخذ مثل هذا القرار في حقّ بعضهم؟

يقول أبو عزيز بن عمير أخو مصعب لأبيه وأمه، وكان صاحب لواء في جيش قريش: كنت (أسيراً) في أيدي رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم خصّوني بالخبز، وأكلوا التمر (والخبز عندهم قليل والتمر زادهم) لوصيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إياهم بنا، ما تقع في يد رجلٍ منهم كسره خبز إلّا نفحني بها فأستحي فأردّها على أحدهم فإردّها عليّ، وكانوا يحملوننا ويمشون(1)!! مع ملاحظه هذه الأمور لابدّ من الإذعان بأنّ قتل هذين الأسيرين كان ممّا تقتضيه المصالح الإسلاميّة العامّة، لا أنّه كان بدافع الانتقام، فقد كان ذاك الأسيران من رؤوس الكفر، ومن مخطّطي الخطط الجهنّميّة ضد الإسلام والمسلمين، وضدّ رساله الرسول، وكانا ممّن يؤلّبون القبائل ضدّ رسول الإسلام، فلعلّه لو كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يفرج عنهم ويطلق سراحهم عادوا إلى تدبير المؤمرات ضدّ الإسلام والمسلمين، وعملا على تخطيط الخطط، وتألّيب القبائل، فلم يكن بدّ من تصفيتهم والقضاء عليهم.

ص: ١٠٠

---

١- السيره النبويه لابن هشام: ٢/٤٧٣، المغازي: ١/١١٩.

## بشائر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة

كَلَّفَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم «عبد الله بن رواحه»، و «زيد بن حارثة» بأن يسبقاه إلى المدينة، ليُبشِّرا المسلمين بما حقَّقه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في بدر من الانتصار الكاسح والفتح المبين، ويخبرا أهلها بمصرع رؤوس الكفر والشرك كعتبه وشيبهه وأبي جهل وأبي البختري وأمّيته، ونبيه ومنبهه... و...

فما قدم المبعوثان إلى المدينة إلّا والمسلمون عائدون من دفن ابنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزوجه عثمان بن عفان فامتزجت الأفراح بالأحزان، واختلط السرور بانتصار النبي وأصحابه بالحزن على موت ابنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد أُرعب المشركون واليهودُ والمنافقون بخبر انتصار المسلمين الساحق على قريش، وراحوا يحاولون تكذيبه، وتفنيده حتّى إذا دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة ودخل بعده أسرى قريش أصبح الخبر قطعياً مسلماً، فباعت محاولات المنافقين بالفشل.

## المكيون يعرفون بمقتل أسياهم

كان «الحيسمان الخزاعي» أوّل مَنْ قدم مكّة وأخبر الناس بأحداث «بدر» الدامية وبمصرع طائفه كبيره من سادة قريش على أيدي المسلمين.

يقول أبو رافع، الذي كان غلاماً للعباس بن عبدالمطلب آنذاك ثم أصبح من أصحاب النبيّ وعليّ فيما بعد: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت أمّ الفضل وأسلمت، وكان العباس يهاب قومه، ويكره خلافهم، وكان يكتُم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر،... فلمّا جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من

قريش كبتة الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوّة وعزاً.

وكنت رجلاً ضعيفاً وكنتُ أعمل الأقداح (السهام والنبال) أنحتها في حجره زمزم، فوالله بينما أنا جالسٌ فيها أنحت أقداحي، وعندى أم الفضل جالس، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر عن هزيمه قريش، إذ أقبل أبو لهب يجزّ رجله بشرّاً حتّى جلس عند طنب (1) الحجره، فكان ظهره إلى ظهري، فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فقال أبو لهب: هلمّ إليّ فعندك لعمري الخبر.

فجلس إليه والناس قيامٌ عليه، فقال: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمرُ الناس؟

قال أبو سفيان: والله ما هو إلّا أن لقينا القومَ فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وأيم الله مع ذلك مالمتُ الناس، لقينا رجلاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض، والله ما تبقى شيئاً ولا يقوم لها شيء.

يقول أبو رافع: فرفعت طنب الحجره، ثم قلتُ: تلك والله الملائكة.

فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربهً شديده (2).

### اشتراك العباس عم النبي في بدر

يبقى أن نعرف أن مسألة اشتراك العباس عم النبي في غزوه بدر من مشكلات التاريخ وغوامضه، فهو من الذين أسيرهم المسلمون في بدر فهو من جانب يشارك في الحرب، ومن جانب آخر يحضر في بيعه العقبه، ويدعو أهل المدينة إلى حمايه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصرته.

ص: ١٠٢

١- الطنب: الطرف.

٢- سيره ابن هشام (السيره النبويه): ٢/٤٧٣-٤٧٤.

فكيف يكون هذا؟

إنّ الحل يكمن في ما قاله أبو رافع غلام العباس نفسه: كان العباس قد أسلم ولكنّه كان يهاب قومه ويكره خلافهم ويكنم إسلامه، مثل أخيه أبي طالب لاقتضاء المصالح الإسلاميه ذلك، ومن هذا الطريق كان يساعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويخبره بمخططات العدو ونواياه وتحزّكاته واستعداداته كما فعل ذلك في معركة «أحد» أيضاً<sup>(١)</sup>. فقد كان أوّل من أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتحزّك قريش وخطّهم واستعداداتهم.

### المنع من النوح والبكاء في مكه

وقد أفجع مقتل سبعين رجلاً من رجال مكه وفتيان قريش أكثر البيوت والعوائل في مكه، وسلبهم البهجه والفرح، والنشاط والحركه، وتحولت مكه برمتها إلى مأتم كبير، قال الواقدي: فناحت قريش على قتلاها شهراً، ولم تبق دار بمكّه إلّا فيها نوح، وجزّ النساء شعر الرؤوس...<sup>(٢)</sup>.

غير أنّ أبا سفيان عمّد - لإبقاء أهل مكه على حاله الحنق والغضب - إلى منع النوح والبكاء على القتلى وحثّ الناس باستمرار على الاستعداد للثأر والانتقام من محمّد وأصحابه فقال: يامعشر قريش لا تبكوا على قتلاكم، ولا تنح عليهم نائحه ولا يبكمهم شاعر، وأظهروا الجلد والعزاء، فإنكم إذا نحتم عليهم وبكيتموهم بالشعر أذهب ذلك غيظكم، فأكلكم ذلك عن عداوه محمّد وأصحابه. ولعلكم تدركون ثأركم.

ص: ١٠٣

١- . السيره الحلبيه: ٢١٧/٢.

٢- . المغازي: ١٢٢/١.

ولكى يلهب أبوسفیان مشاعر الناس أكثر فأكثر أو يبقى على سخونتها على الأقل، قال: والدهن والنساء على حرام حتى أغزو محمداً.

وكان «الأسود بن المطلب» قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعه وعقيل والحارث، وكان يحب أن يبكي على بنيه، ولكنه ما كان يستطيع ذلك لمنع أبي سفيان من النواح والبكاء على القتلى.

فبينا هو كذلك إذ سمع نائحه من الليل فقال لغلام له - وقد ذهب بصره -:

هل أحلّ النحب، هل بكت قريش على قتلاها لعلى أبكى على زمعه، فإن جوفى قد احترق؟

فلما رجع إليه الغلام قال: إنما هي امرأه تبكى على بعير لها أضلته، فأنشد الأسود بن المطلب حينها:

أتبكي أن يضلّ لها بعيرٌ ويمنعها من النوم السهود

فلا تبكى على بكر(١) ولكن على بدر تقاصرت الجدودُ

على بدر سراهِ بنى هصيص ومخزومٍ ورهطِ أبى الوليدِ

وبكى إن بكيتِ على عقيل وبكى حارثاً أسد الأسود(٢)

### رسول الإسلام ومكافحه الأُمّية

أعلن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قرار تاريخي عظيم وهو: إن كان في الأسرى من يكتب ولا مال له للفداء، فيقبل منه أن يعلم عشره من غلمان الأنصار الكتابه ويخلى

ص: ١٠٤

١- البكر: الفتى من الإبل.

٢- سيره ابن هشام (السيره النبويه): ٢/٤٧٥.



وروى أحمد بإسناده عن ابن عباس قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابه. (٢)

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على مدى اهتمام الإسلام بالثقافه والتثقيف، والوعى والتوعيه، فإنّ معرفه القراءه والكتابه بدايه التثقيف والتوعيه.

ولابدّ أن نقول هنا أيضاً: إنّ إطلاق الأسارى العارفين بالقراءه والكتابه لقاء تعليم صبيان المسلمين تعدّ أوّل عمليه لمكافحه الأميه التي اهتمّ بها العالم الحاضر.

ففى الوقت الّذى كانت الكثير من الدول فى عصرالإسلام الأوّل تمنع من تثقيف أبنائها ورعاياها - كما مرّ عليك فى دراسه أوضاع الامبراطوريتين الفارسيه والروميه - أعلن رسول الإسلام أنّ من لم يكن معه فداء وهو يحسن الكتابه دفع إليه عشره من غلمان المدينه (أى صبيانها) يعلمهم الكتابه فإذا تعلّموا كان ذلك فداءه... وما أعظمها من خطوه ثقافيه وحضاريه.

### ما ورد فى السيره حول مصير الأسرى

ذكر ابن هشام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلن عن أنّ من علّم من الأسرى عشره من الغلمان والصبيان من أولاد الأنصار الكتابه والقراءه، كان ذلك فداؤه وخلى عن سبيله من غير أن يؤخذ منه مال.

وإنّ من دفع فديه قدرها أربعه آلاف درهم إلى ألف درهم خلى سبيله، وإنّ

ص: ١٠٥

١- . لاحظ: الروض الأنف لعبد الرحمن الخثعمى السهيلي: ٨٤/٣؛ إمتاع الأسماع: ١١٩/١.

٢- . مسند أحمد: ٢٤٧/١.

من كان فقيراً لآمال له أفرج عنه دون فداء.

فأحدث هذا النبأ في مكه لدى عوائل الأسرى حركه عجيبه ودفعهم إلى التفكير في تقديم الفداء إلى المسلمين، وإطلاق أسراهم.

فهتأ كل واحد منهم ما استطاع وقدم المدينة يفدى أسيره.

وعندما أفرج عن سهيل بن عمرو لقاء فديه قال عمر بن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله دعنى أنزع ثيتى سهيل بن عمرو (أى أسنانه الأماميه) ويدلع لسانه، فلا يقوم عليك خطيباً فى موطن أبداً.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا أمثل به فيمثل الله بى وإن كنتُ نبياً» (١).

وتلك لفته انسانيه أخرى من لفتات النبى العظيم الكثيره فى المعارك.

وقد كان فى الأسارى أبو العاص بن الربيع زوج ابنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: زينب.

وكان أبو العاص من رجال مكه المعدودين مالاً وأمانه وتجاره، وقد تزوج زينب ابنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الجاهليه.

ولما جاء الإسلام آمنت خديجه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآمنت بناته، (ومنهن زينب) كذلك وشهدن أن ما جاء به الحق، ودينٌ بدينه، وثبت أبو العاص على شركه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقدر على أن يفرق بينهما.

وقد اشترك أبو العاص هذا فى معركة بدر مع قريش، وأسر بأيدى المسلمين.

فلما بعث أهل مكه فى فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى فداء زوجها أبى العاص بن الربيع بمال وبعثت فيه بقلاده لها كانت لخديجه (قد

ص: ١٠٦

---

١- سيره ابن هشام: ٤٧٦/٢؛ المغازى: ١٠٧/١. يقول صاحب المغازى فى الصفحه ١٠٥ من نفس الجزء: كان عمر يحض على قتل الأسرى لا يرى أحداً فى يديه أسير إلا أمر بقتله!!

أهدتها إليها ليله دخول أبي العاص بها ليله زفافها).

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القلاده عرفها ورق لها وذكر خديجه عليها السلام وترحم عليها (وما أسدته إلى الإسلام من خدمات وقدمته من تضحيات، وبكى بكاء شديداً). وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا إليها متاعها فاعلمتم.

فقالوا: نعم يا رسول الله، نفديك بأنفسنا وأموالنا.

فأطلقوا أبا العاص بن الربيع، وردوا على زينب متاعها. (١) وبذلك احترم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حقوق المسلمين وما يرجع إليهم من أموال؛ بل أنها والله أعظم مظهر من مظاهر الديمقراطية، (إن صح التعبير) فالنبي مع أن له ماله من الولاية على المسلمين يقترح عليهم الإفراج عن زوج زينب ويترك الأمر لاختيارهم.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ على أبي العاص الميثاق بأن يخلّى سبيل زينب، ويبعثها إلى المدينة.

ففعل أبو العاص ما تعهد به، وبعث زينب إلى المدينة. (٢)

ثم إن أبا العاص نفسه أسلم أيضاً وقدم المدينة، وردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينباً بالنكاح الأول أو بنكاح جديد. (٣)

### كلام لابن أبي الحديد فى المقام

يقول العلامة ابن أبي الحديد: قرأت على (أستاذي) النقيب أبي جعفر يحيى بن أبي زيد البصرى العلوى هذا الخبر، فقال: أترى أبا بكر وعمر لم يشهدا

ص: ١٠٧

١- . المغازى: ١٣٠/١-١٣١.

٢- . سيره ابن هشام (السيره النبويه): ٤٧٩/٢.

٣- . سيره ابن هشام: ٤٨٢/٢-٤٨٣.

هذا المشهد؟ أما كان يقتضى التكريم والاحسان أن يُطَيَّب قلب فاطمه عليها السلام بفدك، ويستوهب لها من المسلمين (أى يستوهب فدكاً من المسلمين ويرده عليها).

أتقصر منزلتها عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن منزله زينب أختها وهي سيده نساء العالمين؟!!

هذا إذا لم يثبت لها حق، لا بالنحله ولا بالإرث؟

فقلت له: فدك بموجب الخبر الذى رواه أبو بكر قد صار حقاً من حقوق المسلمين، فلم يجوز له أن يأخذه منهم.

فقال: وفداء أبى العاص قد صار حقاً من حقوق المسلمين، وقد أخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم.

فقلت: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صاحب الشريعة، والحكم حكمه، وليس أبو بكر كذلك.

فقال: ما قلتُ هلاً أخذه أبو بكر من المسلمين قهراً فدفعه إلى فاطمه عليها السلام وإنما قلت: هلاً استنزل المسلمين عنه، واستوهبه منهم لها، كما استوهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فداء أبى العاص؟ أتراه لو قال: هذه بنت نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم قد حضرت تطلب هذه النخلات أفتطيبون عنها نفساً؟ أكانوا منعوها ذلك؟!!

فقلت له: قد قال قاضى القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد نحو ذلك.

قال: إنهما لم يأتيا بحسنٍ فى شرع التكريم، وإن كان ما أتياه حسناً فى الدين!!(1)

ص: ١٠٨

---

١- . شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ١٩٠/١٤-١٩١، ولابن أبى الحديد كلام آخر يشبه هذا فى إهدار دم من أسقط جنين زينب، فراجع.

أى أن ما فعلاه وإن كان يوافق موازين الدين - حسب تصوّر القاضى - ولكنّه لا يناسب شأن فاطمه وتكريمها لمقامها ولمكانتها من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا وقد أمر الله نبيّه الكريم بأن يعلن للأسرى بأنّ الباب مفتوح أمامهم لينضمّوا إلى صفوف المسلمين، فينعموا بالإسلام فيعيد الله عليهم أفضل ممّا أخذ منهم ويغفر لهم ذنوبهم، إذ يقول تعالى:

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنَّ يَظُنُّوا أَنَّ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ إِلَهُ يَأْتِيهِمْ أَفْضَلُ مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَلَسَوْفَ يَرْضَوْنَ» (١).

وبذلك فتح الإسلام باب الأمل أمام الأسارى، وكشف عن نزعة الإنسانيه وأيضاً عن رغبته الصادقه فى هدايه البشريه، ونجاتها. كما ضرب بذلك مثلاً فى الحكمه وحسن السياسه لم يسبق له مثيل.

على أنه هدّد الأسرى من ناحيه أخرى إذا أساءوا، وعادوا بعد الخلاص من الأسر إلى التأمّر ضد الإسلام.

إذ قال:

«وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (٢).

وبذلك جمع بين الحزم والحكمه، واللين الحكيم والشده المعقوله.

### القرآن يتحدّث عن معركة بدر

ولقد ذكّر القرآن الكريم المسلمين، ولا يزال يذكرهم بالانتصار الكبير الذى

ص: ١٠٩

١- الأنفال: ٧٠.

٢- . الأنفال: ٧١.

تَحَقَّقَ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي بَدْرِ بَفَضْلِ ثَبَاتِ الْمُقَاتِلِينَ وَنَصْرِ اللَّهِ وَتَأْيِيدِهِ الْغَيْبِيِّ إِذْ قَالَ:

«إِذْ أَنْتُمْ بِالْعِدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعِدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَكَ عَنْ بَيْنِهِ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ \* إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَ لَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَسَّدْتَ لِمَهُمْ وَ لِنَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ \* وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» (١).

وقال تعالى:

«قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ الْقِتَابِ فَتَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ» (٢).

وقال تعالى أيضاً:

«إِذْ تَسْتَعْثِنُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ» (٣).

وقوله تعالى:

«إِذْ يُعَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَ لِيُرِيَطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ \* إِذْ يُوحَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَجَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَاءَ لِقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّغْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ» (٤).

وقال سبحانه أيضاً:

ص: ١١٠

١- . الأنفال: ٤٢-٤٤.

٢- . آل عمران: ١٣.

٣- . الأنفال: ٩.

٤- . الأنفال: ١١-١٢.

«وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ \* بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ \* وَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَ مَا النَّصِيرُ إِلَّا - مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ \* لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ فَيُنْقَلِبُوا خَائِبِينَ» (١).

وفى هذه الآيات تصريحات واضحة بما كان عليه المسلمون فى معركة بدر من حيث قلة العده والعدد، وبأبرز الإمدادات الغيبية الإلهية التى ساعدت المسلمين على الانتصار على أعدائهم المشركين، الذين كانوا يفوقونهم فى العده والعدد والسلاح والرجال مع التأكيد على أن ذلك الانتصار العظيم جاء نتيجة ثبات المسلمين واستقامتهم، وصبرهم وإخلاصهم.

وأبرز تلك الإمدادات الغيبية هى:

١. مع أن الأعداء كانوا متمركزين فى العدو العليا وهى أعلى الوادى، والمسلمين فى أسفل الوادى، وكان ذلك من شأنه أن يعزّز موقع الكفار لإمكان مراقبه المسلمين من مكان مرتفع، كما كان من شأنه أن يجعل هجوم المسلمين على الكفار أمراً صعباً، ولكن كفه الحرب رجحت مع ذلك لصالح المسلمين.

٢. إنهم لو كانوا على ميعاد مع العدو، ومع العلم التفصيلى بحجم إمكانيته البشرية والقتاليه لامتنع عامه المسلمين عن مقابله المشركين، ولكن شاء الله أن لا يعرف المسلمون شيئاً مفصلاً عن المشركين، مسبقاً، بل يواجه المسلمون الأمر الواقع، فيتحقق ما أراد الله من الانتصار على قريش. وإلى هذا أشار سبحانه بقوله:

«وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيعَادِ» .

ص: ١١١

٣. تقليل عدد المسلمين في أعين المشركين وتقليل عدد المشركين في أعين المسلمين في أول القتال، لكي يستقل الأعداء قوه المسلمين، ولكي لا يهاب المسلمون الأعداء ويستعظموا عددهم، وإليه يشير تعالى بقوله:

«وَإِذِ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ» .

٤. تكبير عدد المسلمين في أعين الكفار في أثناء القتال وإليه يشير تعالى بقوله: «يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ» .

٥. الإمداد بالملائكة المردفين المسومين.

٦. النعاس الذي ألقاه الله على المسلمين فجدد نشاطهم، وضاعف من قوتهم.

٧. نزول المطر عليهم والذي طهرهم من الأقدار ومكنهم من الاغتسال عما أصاب بعضهم من حدث، وثبت الأرض الرملية تحت أقدامهم، وقد أشار سبحانه إلى كل ذلك في الآية ١١ من سورة الأنفال.

٨. تثبيت قلوب المؤمنين بواسطة الملائكة.

٩. إلقاء الرعب في قلوب الكفار. وإلى هذين النوعين من الإمداد الغيبي أشار بقوله: «فَجَبَّتْهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ» .

كما ويشير القرآن الكريم في هذا السياق إلى دور الشيطان في هزيمه الكفار فهو الذي يغرى وهو الذي يخذل عند اللقاء يقول سبحانه:

«وَإِذِ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا

ص: ١١٢



تَرُونَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (١).

كما أنّ القرآن يتحدث أيضاً عن حاله المشركين عندما أتوا إلى بدر لمواجهة المسلمين وما كانت تنطوى عليه نفوسهم فيقول:

«وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ» (٢).

كما ويعزى هزيمتهم إلى سبب رئيسي وحقيقي وهو مشاققه الله ورسوله إذ يقول:

«ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (٣).

ص: ١١٣

١- . الأنفال: ٤٨.

٢- . الأنفال: ٤٧.

٣- . الأنفال: ١٣.

٣١ زواج سيده النساء فاطمه بنت رسول الله (١)

إنَّ الرغبه الجنسيه حاله تظهر عند البلوغ لدى كلّ انسان، وربما تنحرف بالشباب وتهوى به في أحضان الفساد والسقوط الأخلاقي إذا لم تتوفر له أجواء التربيه الصحيحه ولم تتح له الفرصه المناسبه، والمسير الصحيح لتنفيذ تلك الرغبه، والاستجابه لها بصوره صحيحه.

وإنَّ خير وسيله للحفاظ على العفّه الفرديه والحياء العام، وتجنيب الفرد والمجتمع مفسد وأخطار الإنحراف الجنسي هو الزواج. فإنّ الإسلام يحتّم على الرجل والمرأه - تأكيداً لحكم الفطره وتمشياً مع ناموس الطبيعه البشريه - أن يتزوّجا طبقاً لضوابط خاصّه تضمن سلامه الزيجه ودوامها.

وقد جاء هذا التأكيد، والحديث في الكتاب العزيز، والسّنّه الشريفه بمختلف الصور، وتحت مختلف العناوين.

ص: ١١٤

---

١- . كان زواج فاطمه بعد وقعه بدر، راجع: بحار الأنوار: ٧٩/٤٣ و ١١١.

فقد جاء في الكتاب العزيز:

«وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» (١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الصدق:

«تَزَوَّجُوا فَإِنِّي مَكَاتِرٌ بِكُمْ الْأُمَّمَ غَدًا فِي الْقِيَامَةِ» (٢).

وقال أيضاً:

«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ طَاهِرًا مَطْهَرًا فَلْيَلْقِهِ بِزَوْجِهِ» (٣).

### مشاكل الزواج في العصر الحاضر

إن مشاكل الزواج في عصرنا الحاضر لا تنحصر - وللأسف - في مشكله واحده أو مشكلتين.

فالرجال والنساء اليوم يقدمون على الزواج - غالباً - في ظروف صعبة، وأوضاع رديئه، وتنتهى أكثر الزيجات بسبب تلك الظروف والأوضاع، وبسبب ما يلابسها من مستلزمات قاسيه وثقيله بالطلاق والافتراق بعد سلسله من الخلافات والمنازعات.

فتلك هي صحف البلاد تحمل في أبوابها الاجتماعيه كل يوم عشرات الأنباء والأخبار عن الجرائم الزوجيه، وتعالج عشرات المشاكل في مجال العائله.

ولكن أكثر هذه المشاكل والمصائب تدور حول قضيه واحده، وهى أن

ص: ١١٥

١- .النور: ٣٢.

٢- وسائل الشيعه: ١٤، الباب ١ من أبواب مقدمات النكاح، الحديث ٢.

٣- وسائل الشيعه: ١٤، الباب ١ من أبواب مقدمات النكاح، الحديث ١٥.

الفتيان والفتيات في مجتمعاتنا الحاضرة ليسوا بصدد تشكيل عائله تضمن سعادتهم الواقعيه.

فالبعض يهّمه من الزواج أن يصل عن طريقه إلى المناصب الراقية الحساسه .

والبعض الآخر يهّمه من الزواج الحصول على الثروه والمال.

وقلّما يفكر المقدمون على الزواج، وتأسيس العائله في أمور هامّه وجوهريه كالعفه والطهر، وإذا لوحظ هذا الجانب فإنّما يلاحظ بصوره هامشيه، لا أساسيه.

ويدلّ على ذلك أنّ الشباب يتنافسون غالباً على التزوّج بفتيات من العوائل المعروفه ذات المكانه والشهره الاجتماعيه والماليه، والحال أنّه يمكن أن تكون تلك الفتيات غير متّصفات بالأخلاق النبيله، ولا- يکنّ من حيث الجانب المعنوي بالنوع الجيد، الجدير بالاهتمام، الصالح للاقتران به.

فما أكثر الفتيات الفاضلات، الطيّبات هنا وهناك في زوايا المجتمع اللائى لايهتم بهن الشباب، لفقرهنّ، وقله ذات أيديهنّ، أو لعدم شهره عوائلهن.

على أنّ الأسوأ من ذلك كلّ ما أصبح يكلفه الزواج في عصرنا الحاضر من نفقات باهضه نتيجته تزايد التقاليد المبتدعه في مجال إقامه الأعراس وحفلات القران والزواج، الأمر الذي أصبح يرهق كاهل الزوجين، ويتعب عائلتيهما، مثل مشكله المهور الباهضه، وما شابه ذلك ممّا هو في تصاعد مستمر في بلادنا، الأمر الذي دفع بالبعض إلى ترك الزواج، وإشباع غرائزهم الجنسيّه بالوسائل غير المشروعه، ومن ثم شيوع اللأأباليه، والإباحيه في المجتمعات.

### رسول الإسلام يكافح هذه المشاكل عملياً

تلك طائفه من المشاكل الاجتماعيه التي كانت ولا تزال موجوده في كلّ

مجتمع بنسب خاصه.

ولم تكن الفتره التي عاصرها رسول الإسلام بمسئله من هذا الأمر، فقد كانت هناك في المجتمع في عصر النبي صلى الله عليه و آله و سلم مشاكل مماثله في الزواج.

فقد كان أشرف العرب لا- يزوجون بناتهم إالامن كان من قبيله ذات مال وشوكة، ومكانه وقوه، ويردون كل خاطب لبناتهم يكون على غير هذه الصفه.

وقد كان الأشراف، يصرون - تبعاً لتلك العاده - على أن يتزوجوا بابنه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم السيده فاطمه؛ لأنهم كانوا يتصورون أن النبي لن يتشدد في هذا الأمر، بل يكفيه أنهم ذو ثروه ومكانه اجتماعيه مرموقه.

وكانوا يتصورون أنهم يمتلكون كل ما يهّم الفتاه وأباها من الإمكانيات الماديه، كيف لا والنبي صلى الله عليه و آله و سلم لم يتشدد في زواج ابنتيه الأوليين: زينب ورقيه.

ولكنهم غفلوا عن أن هذه الفتاه (أى فاطمه الزهراء عليها السلام) تختلف عن أختيها السابقتين.

إنها - كما تدل عليه آيه المباهله(١) - ذات مقام رفيع، وشأن كبير.

لقد أخطأ خطّاب فاطمه عليها السلام في هذا التصور، وما كانوا يعلمون أن زوج فاطمه وقرينها لا يمكن أن يكون إلاكفوها في التقوى والفضل، والإيمان والإخلاص، فإذا كانت فاطمه - بحكم آيه التطهير - معصومه من الذنب وجب أن يكون زوجها هو الآخر معصوماً، وإلا لم يكن كفؤها المناسب.

وليس المال وليست الثروه ملاك هذا التكافؤ.

ص: ١١٧

١- . آل عمران: ٦١. في قضيه المباهله اصطحب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم علياً والحسن والحسين وفاطمه دون غيرها من النساء، وسيأتى تفصيل هذه القصه.

لقد قال الإسلام: إذا خطب إليكم كفو فزوجه.

ويفسر هذا التكافؤ بالمماثلة والتكافؤ في الإيمان والتقوى، والطهاره والعفاف، لا في المال والثروه(١).

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مأموراً من جانب الله تعالى أن يقول لكل من خطب إليه «فاطمه» من أولئك الرجال: «أمرها بيد الله» وهو بهذه الإجابة يكشف القناع عن الحقيقة إلى درجه ما.

ولقد أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن زواج «فاطمه» ليس أمراً سهلاً وبسيطاً، وأنه ليس لمن كان من الرجال وإن بلغ من الثراء، والمكانه الاجتماعيه أن يحظى بالزواج منها، فإن زواج «فاطمه» ليس إلّا من يشابهها من حيث الأخلاق والفضائل، والصدق والإيمان، والطهر، والإخلاص، بل ويلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السجايا الكريمة والصفات الرفيعه، والخلق العظيم.

ولا تجتمع هذه الصفات والمواصفات إلّا في «علي» عليه السلام لا سواه.

وللتأكد من هذه الحقيقة اقترح بعض الصحابه على (عليّ) عليه السلام أن يخطب إلى النبي فاطمه صلوات الله عليهما(٢).

وكان على عليه السلام يريد ذلك في نفسه، ويرغب إليه من كل قلبه إلّا أنه كان ينتظر الفرصه المناسبه ليقدّم على هذا الأمر.

فأتى عليّ عليه السلام بنفسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولتّى رآه رسول الله قال: ما جاء بك يا أبا الحسن، حاجتك؟

ص: ١١٨

١- . راجع: وسائل الشيعة: ١٤، الباب ٢٥ و ٢٨ من أبواب مقدّمات النكاح.

٢- . لاحظ: بحار الأنوار: ٩٣/٤٣.

فمنع الخجل علياً من البوح بمطلبه وسكت، وأطرق برأسه إلى الأرض، حياءً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لعلك جئت تخطب فاطمه؟ فأجاب عليٌّ عليه السلام بكلمات ضمّنها رغبته في الزواج من فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد كان هذا النمط من الخطبه علامه واضحه لما كان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين علي عليه السلام، من الاخوه والصفاء، ولما تحلّى به الجانبان من إخلاص وودّ. وما أروعها من ظاهره. حقاً أنّ المبادئ والأنظمه التربويه لم تستطع أن تعلّم الشباب الذين يقدمون على الخطبه إلى أحد مثل هذه الحريره، المقروونه بالتقوى، والإيمان والإخلاص.

لقد وافق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على طلب علي عليه السلام وقال:

«يا عليّ أنّه لقد ذكرها قبلك رجال فذكرت ذلك لها فرأيت الكراهه في وجهها، ولكن علي رسلك حتّى أخرج إليك».

ثم دخل صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمه، فذكر لها الأمر، وأنّ علياً عليه السلام خطبها إليه قائلاً: «إنّ علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته، وفضله وإسلامه، وإنّي قد سألت ربّي أن يزوّجك خير خلقه، وأحبهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين؟».

فسكتت فاطمه سلام الله عليها، ولم ير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وجهها كراهه، فقام وهو يقول:

«اللّه أكبر، سكوّتها إقرارها»<sup>(١)</sup>.

ولكن علياً عليه السلام لم يكن يملك آنذاك إلّاسيفاً، ودرعاً فقط.

ص: ١١٩

---

١- . لاحظ: أمالي الطوسي: ٤٠ برقم ١٣ (٤٤)، المجلس الثاني؛ بحار الأنوار: ٩٣/٤٣، الحديث ٤.

قال علي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قم فبع الدرع، فقامت فبعته وأخذت الثمن، ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسكبت الدراهم في حجره، فلم يسألني كم هي ولا أنا أخبرتته.

ثم قبض صلى الله عليه وآله وسلم قبضه (من الدراهم)، ودعا بلالاً فأعطاه فقال:

«ابتع لفاطمه طيباً».

ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدراهم بكلتا يديه فأعطاه أبا بكر وقال: ابتع لفاطمه ما يصلحها من ثياب وأثاث البيت، وأردفه بعمار بن ياسر وبعده من أصحابه.

ففعلاً ذلك واشترى ما أمرهما به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان جهاز فاطمه كالتالي:

### جهاز فاطمه

١. قميص بسبعة دراهم.

٢. خمار (١) بأربعة دراهم.

٣. قطيفه سوداء خيبريه لا تكفي لتغطيه كلّ البدن.

٤. سرير مزمل بشریط (أى مصنوع من جريد النخل وأليافه).

٥. فراشان من خيش (٢) مصر، حشو أحدهما ليف، وحشو الآخر من صوف الغنم.

٦. أربع مرافق (٣) اثنان من الصوف واثنان من الليف.

ص: ١٢٠

١- الخمار: مقنعه.

٢- الخيش: نسيج خشن من الكتان.

٣- المرفقه: الوساده.



٧. ستر من صوف.

٨. حصير هجرى. (١)

٩. رحي لليد.

١٠. مخضب (٢) من نحاس.

١١. سقاء من أدم.

١٢. قعب للبن.

١٣. شنّ (٣) للماء.

١٤. مطهره مزفّته (٤).

١٥. جرّه خضراء.

١٦. كيزان خزف.

فلما عرضوا المتاع على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعل يقلّبه بيده ويقول: «بارك الله لأهل البيت» (٥).

إنّ في مهر فاطمه أموراً تدعو إلى التأمل حقاً، أبرزها مقدار ذلك المهر.

ص: ١٢١

---

١- قال الفيروز آبادى فى القاموس المحيط: ١٥٨/٢، ماده «هجر»: هجر - محرّكه - بلد باليمن بينه وبين عشر يوم وليله، والنسبه:

هجرى وهاجرى، وقيل: اسم لجميع أرض البحرين، وقيل: قريه كانت قرب المدينه.

٢- المخضب: اناء للمسك والطيب.

٣- الشنّ: القربه.

٤- أى مطليه بالزفت.

٥- أمالى الطوسى: ٤٠ برقم ١٤ (٤٥)، المجلس الثانى؛ بحار الأنوار: ٩٤/٤٣. ولاحظ: كشف الغمه: ٣٦٩/١.

فمهرها هو مهر السنه وهو خمسمائه درهم(١).

إن هذه الزيجه - فى الحقيقه - خير درس للآخرين، للفتيان والفتيات الذين يثون من ثقل المهر وبهاضته وربما يثون من قيود الزواج وشروطه.

إن البيئه الزوجيه يجب أن تكون - أساساً - بيئه دفاء وحنان، بيئه اخلاص ومودّه، بيئه سلام ووافق، فهذا هو ما يسعد الحياه الزوجيه ويوفّر للزوجين عيشاً هانئاً محبباً.

أمّا المهور الثقيله، والنفقات الباهضه والجهاز المُكلف فلا- تؤدى إلّا إلى تعكير صفو الحياه الزوجيه، والتقليل من بريق الرابطه العائليه، وبالتالي لا تضمن مستقبل الزواج ودوامه، والمحافظه عليه من الهزّات.

إنّ أولياء الفتيات - فى عصرنا الحاضر - يعمدون بغيه دعم مكانه فتياتهم وتقويه مركزهنّ وضمان مستقبلهنّ إلى فرض سلسله طويله وثقيله من الشروط والقيود ومنها المهر الباهض على العريس حتّى لا- يستطيع أن يقوم بطلاق زوجته تحت دوافع الهوى والشهوه، أو كلّما سوّلت له نفسه ذلكك، على حين أنّ هذا الإجراء لا يضمن بقاء الرابطه الزوجيه، ودوامها بل العلاج الحقيقى والناجح هو إصلاح الوضع الأخلاقى للشباب، ورفع مستواهم المعنوى. يجب أن تكون بيئتنا الثقافيه والاجتماعيه من الطهر والنقاوه بحيث لا يوجد فى رحابها أمثال هذه النوازع الشّريره عند شبابنا، وإلّا لبلغ الأمر إلى نقطه تستعد فيه الفتاه إلى بذل مهرها للنجاه بنفسها من البيت الزوجى.

ص: ١٢٢

١- . لاحظ: وسائل الشيعه: ١٥، الباب ٤ من أبواب المهور.

ثم بعد أن عقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام على فاطمه عليها السلام فى رحاب مسجده على مرأى ومسمع من المسلمين وفى جو يسوده الفرح والابتهاج والسرور قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام: «هتئى منزلاً حتى تحوّل فاطمه إليه» فأخذوا منزل أحد الصحابه بصوره مؤقتة، وحوّلت فاطمه إلى على عليه السلام فى منزل ذلك الصحابى الجليل(١)، فى زفاف جميل مبارك وقد صنع على طعاماً من لحم وتمر وسمن وأطعم المسلمين جميعاً تقريباً، وساد الناس فرح عظيم لم يشهد له نظير.

عن ابن بابويه: أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بنات عبدالمطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين فى صحبه فاطمه عليها السلام وأن يفرحن، ويرجزن ويكبرن ويحمدن ولا يقلن ما لا يرضى الله.

قال جابر: فأركبها على ناقته - وفى روايه على بغلته الشهباء - وأخذ سلمان زمامها والنبى وحمزه وعقيل وجعفر وأهل البيت يمشون خلفها مشهرين سيوفهم ونساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم قدامها يرجزن، فأنشأت أم سلمه تقول:

سرن بعون الله جاراتى واشكرنه فى كلّ حالات

واذكرن ما أنعم رب العلى من كشف مكروه وآفات

فقد هدانا بعد كفر وقد أنعشنا رب السماوات

وسرن مع خير نساء الورى تفدى بعمّات وخالات(٢)

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما دخلوا الدار أنفد إلى على عليه السلام ثم دعا فاطمه عليها السلام

ص: ١٢٣

١- . لاحظ: إعلام الورى: ١٦١/١؛ بحار الأنوار: ١١٣/١٩.

٢- . بحار الأنوار: ١١٥/٤٣.

فأتت وهي تسحب أذيالها، وقد تصببت عرقاً حياً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعثرت فقال لها رسول الله: «أقالك الله العشره في الدنيا والآخرة». فلما وقفت بين يديه كشف الرداء عن وجهها حتى رآها على عليه السلام، ثم أخذ يدها فوضعها في يد على عليه السلام وقال:

«بارك الله لك في ابنه رسول الله، يا على نعم الزوجه فاطمه، ويا فاطمه نعم الزوج على». (١)

ثم أخذ بيده إناء فيه ماء وصب منه على رأس فاطمه وبدنها ودعا لهما قائلاً:

«اللهم اجمع شملهما، وألف بين قلوبهما، واجعلهما وذريتهما من ورثه جنه النعيم وارزقهما ذريه طاهره طيبه مباركه، واجعل في ذريتهما البركه، واجعلهم أئمه يهدون بأمرك إلى طاعتك، ويأمرون بما يرضيك».

وروى أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اللهم إنهما أحب خلقك إلي، فأحبهما وبارك في ذريتهما واجعل عليهما منك حافظاً، وإنى أعيدهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم» (٢).

وبذلك أبدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه في تلك الليله صفاء وإخلاصاً لم يعرف له نظير حتى في مجتمعاتنا الحاضره رغم ما حققته من تكامل ورشد.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدد لفاطمه فضائل على كما ذكر لعلّ فضائل فاطمه وإنها «لولم يخلق على ما كان لفاطمه كفؤ» (٣). ثم ذكر لهما وظائفهما وواجباتهما

ص: ١٢٤

١- بحار الأنوار: ٩٦/٤٣.

٢- بحار الأنوار: ١١٧/٤٣.

٣- ينابيع المودّه للقندوزي: ٦٧/٢ برقم ٥٦، وص ٨٠ برقم ٩٨، وص ٢٨٦ برقم ٨١٩؛ بحار الأنوار: ٧٧/٤٠.

العائليه فأوكل إلى فاطمه ما هو في داخل البيت من شؤون وأوكل إلى علي ما هو من شؤون الخارج.

ولابد أن نذكر هنا قصه هامه أداء لحق فاطمه، وبياناً لمقامها.

يقول أنس بن مالك: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يمر ببيت فاطمه ستة أشهر إذا خرج إلى الفجر فيقول:

«الصلاه يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»<sup>(١)</sup>.

هذا وقد كانت هذه الزيجه أفضل زيجه في الإسلام وأكثرها بركه وخيراً، فقد عاش هذان القرينان الطاهران جنباً إلى جنب في وئام ووداد، في حياه زوجيه طاهره يسودها الاحترام المتقابل، والإخلاص الكامل من بدايتها إلى نهايتها.

وقد أنجبا أفضل الأولاد والبنات، أبرزهم: الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأثيران لديه، والمقربان إليه، وزينب بنت علي التي رافقت أخاها في وقعه كربلاء الداميه وكان لها مواقف عظيمه ومشرفه في الرعايه للحق والعدل، ونصره الإسلام، وغيرهم من الأولاد ذكوراً وإناثاً.

وقد بقى كلا الزوجين (علي وفاطمه) حتى آخر اللحظات عارفين بمكانه الآخر، فكلاهما من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وكلاهما من القربى الذين أمر بمودتهم، ولهذا لم يتزوج علي عليه السلام على الزهراء امرأه أخرى إلا بعد وفاتها، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنسبه إلى خديجه، وفاء لحقها، واحتراماً لمقامها.

ص: ١٢٥

١- . مسند أحمد: ٢٥٩/٣؛ المصنّف لابن أبي شيبه: ٥٢٧/٧ برقم ٤؛ تفسير الطبري: ٩/٢٢ برقم ٢١٧٢٩.

لكن بعض الأيادي دشت - مع الأسف - في التاريخ أباطيل للتقليل من شأن هذين الزوجين الطاهرين، والحط من مكانتهما، فنسبت إليهما التنازع، والتشاجر، أو نسبت إلى فاطمه شكايه على عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأوردت في هذا المجال روايات مختلفه، لا أساس لها من الصحه، تفندھا أخلاق علي وفاطمه وتقواهما وزهدهما، وتكذبها ما جاء في شأنهما وجلاله قدرهما من الآيات القرآنيه والأحاديث النبويه.

وقد استند أعداء الإسلام التقليديون إلى أمثال هذه الروايات لمسوخ صورہ الإسلام الحنيف وتشويه سمعہ رجاله العظماء ونسائه الخالدات الطيبات.

فهذا هو المستشرق النصراني الحاقدا الأستاذ إميل در منغم في كتابه المليء بالأباطيل: «حياه محمد» ترجمه الأستاذ محمد عادل زعير بعد أن يلصق برسول الإسلام تهماً عجيبه ويصفه بالبدويّ الحمس، يقع في علي وفاطمه عليهما السلام!!

فتاره يقول: كانت فاطمه عابسه دون رقيه جمالاً، ودون زينب ذكاءً، وإنها لم تكن ترغب في علي لأنها كانت تعدّ علياً دميماً محدوداً مع عظيم شجاعته!! وإنّ علياً كان غير بهي الوجه.. و... مع أنه كان تقياً شجاعاً صادقاً وفيّاً مخلصاً صالحاً مع توانٍ وتردد!!

وكان إذا عاد إلى منزله من العمل بشيء من القوت قال لزوجته فاطمه عابساً:

كلى واطعمى الأولاد!! وكان علي يحد(1) بعد كل منافره ويذهب لينام في المسجد، وكان حموه يربته علي كتفه ويعظه ويوقف بينه وبين فاطمه إلى حين،

ص: ١٢٤

١- حرد يحد حروداً: إذا ترك أهله وقومه وتحول عنهم. صحاح الجوهري: ٢/٤٦٤، ماده «حرد».

ومما حدث أن رأى النبي ابنته فى بيته ذات مره وهى تبكى من لكم على لها!!

ثم يقول: إنَّ محمّداً - مع امتداحه قدم على فى الإسلام إرضاءً لابنته - كان قليل الالتفات إليه وكان صهرا النبي الأمويان: عثمان الكريم وأبو العاص أكثر مداراةً للنبي من على، وكان على يالم من عدم عمل النبي على سعادته ابنته، ومن عدّ النبي له غير قوامٍ بجليل الأعمال، فالنبي وإن كان يفوض إليه ضرب الرقاب كان يتجنّب تسليم قياده إليه!!<sup>(١)</sup>

إلى غير ذلك من الترهات والسخافات التى ألصقتها تاره برسول الله الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وأخرى بحبيبه وابن عمه ووصيه الإمام على بن أبى طالب عليه السلام.

### العلامة الأمينى يرد على افتراءات المستشرق النصرانى الحاقده

إنّ أفضل إجابته عن هذه الافتعالات هو ما كتبه العلامة الأمينى حيث يقول:

كلّ ما فى الكتاب من تلكم الأقوال المختلفه، والنسب المفتعله إن هى إلما كلم الطائش، تخالف التاريخ الصحيح، وتضادّ ما أصفقت عليه الأُمّة الإسلاميه، وما أخبر به نبيها الأقدس.

هل تناسب تقولاته فى فاطمه مع قول أبيها صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمه حوراء إنسيه كلما اشتقت إلى الجنه قبلتها؟!»<sup>(٢)</sup>.

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ابنتى فاطمه حوراء آدميه؟!»<sup>(٣)</sup>.

ص: ١٢٧

١- هذه المقتطفات أخذت من كتاب حياه محمّد: ١٩٧-١٩٩. ولاحظ الغدير: ١٦/٣-١٧.

٢- تاريخ الخطيب البغدادي: ٢٩٣/٥؛ كشف الغمه: ٨٧/٢.

٣- الصواعق المحرقة: ١٦٠، الباب الحادى عشر؛ كنز العمال: ١٠٩/٢ برقم ٣٤٢٢٦؛ ينابيع الموده: ١٢١/٢ برقم ٣٥٤، وص ٤٥٠ برقم ٢٤٣.

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمه هي الزهره؟» (١).

أو قول أم أنس بن مالك: كانت فاطمه كالقمر ليله البدر، أو الشمس كقمر غماماً، إذا خرج من السحاب، بيضاء مشربه حمرة، لها شعر أسود، من أشد الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شبيهاً، والله كما قال الشاعر:

بيضاء تسحب من قيام شعرها وتغيب فيه وهو جثلٌ أسحَم (٢)

فكأنها فيه نهارٌ مشرقٌ وكأنه ليلٌ عليها مظلم (٣)

ولقبها الزهراء المتسالم عليه يكشف عن جليته الحال.

وهل يساعد تلك التحكيمات في ذكاء فاطمه وخلقها قول أم المؤمنين خديجه (رضى الله عنها): كانت فاطمه تحدث في بطن أمها، ولما ولدت فوقعت حين وقعت على الأرض ساجدة رافعة إصبعها؟! (٤). أو يلائمها قول عائشه: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً وحديثاً برسول الله في قيامه وعوده من فاطمه، وكانت إذا دخلت على رسول الله قام إليها فقبلها ورحب بها، وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه؟! (٥).

وفى لفظ البيهقي في السنن: ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من

ص: ١٢٨

- ١- . نزهة المجالس لعبد الرحمن الصفوري الشافعي (المتوفى ٦٥٨ هـ): ٢٢٢/٢؛ أمالي الطوسي: ٥١٧ برقم ٣٨ (١١٣١)، المجلس الثامن عشر.
- ٢- . جثل الشعر: كثر والتف واسودّ فهو جثل، سحَم فهو اسحَم: اسود.
- ٣- . مستدرک الحاكم: ١٦١/٣؛ مقتل الحسين: ٧٠، ط الغري؛ تاريخ جرجان لحمزه بن يوسف السهمي (المتوفى ٤٢٧ هـ): ١٧١.
- ٤- . ذخائر العقبى للطبري: ٤٥؛ نزهة المجالس: ٢٢٧/٢؛ ينابيع المودّة للقندوزي: ١٣٥/٢.
- ٥- . سنن الترمذي: ٣٦١/٥ برقم ٣٩٦٤، باب ما جاء في فضل فاطمه عليها السلام؛ مستدرک الحاكم: ٢٧٢/٤؛ مطالب السؤل لابن طلحه: ٣٦؛ ذخائر العقبى: ٤٠-٤١.



فاطمه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. الحديث.(١)

وهل توافق مخاريقه في الإمام علي صلوات الله عليه، وعدم بهاء وجهه، وعد فاطمه له دميماً وكونه عابساً مع ماجاء في جماله البهي: إنه كان حسن الوجه كأنه قمر ليله البدر، وكأن عنقه إبريق فضّه(٢) ضحوك السنن(٣) فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم؟! (٤)

وأين هي من قول أبي الأسود الدؤلي من أبيات له!:

إذا استقبلت وجه أبي تراب رأيت البدر حار الناظرينا(٥)

نعم:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله فالناس أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغضاً: إنه لدميم

أو يخبرك ضميرك الحرّ في على ما سلقه الرجل به من (التواني والتردد)!

وعلى ذلك المتحّم في الأحوال، والضارب في الأوساط والأعراض في المغازي والحروب؛ وهو الذي كشف الكرب عن وجه رسول الله في كلّ نازله وكارثه منذ صدع بالدين الحنيف، إلى أن بات على فراشه وفداه بنفسه، إلى أن سكن مقرّه الأخير.

ص: ١٢٩

١- سنن البيهقي: ١٠١/٧؛ مستدرک الحاكم: ١٥٤/٣؛ صحيح ابن حبان: ٤٠٣/١٥.

٢- كتاب صفين: ٢٣٣؛ الاستيعاب: ١١٢٣/٣؛ الرياض النضرة: ١٠٧/٣؛ كشف الغمّة: ٧٦/١؛ الفصول المهمّة: ٥٩٨/١؛ ذخائر العقبى: ٥٧.

٣- تهذيب الأسماء واللغات للنووي: ٣٤٩/١؛ أسد الغابه: ٣٩/٤؛ ينابيع المودّة: ١٤٦/٣.

٤- حليه الأولياء: ٨٤/١؛ تاريخ ابن عساكر: ١/٢٤-٤٠٢، المحاسن والمساوي: ٣٢/١؛ نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ١٣٥؛ مطالب السؤل: ١٨٠.

٥- تذكرة السبط: ص ١٠٤؛ الوافي بالوفيات للصفدي: ١٨٢/٢١.

أليس عليٌّ هو ذلك المجاهد الوحيد الذي نزل فيه قوله تعالى: «أَجْعَلْتُمْ سِتْمَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (١). وقوله تعالى: «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» (٢). (٣).

فمتى خلا عليٌّ عن مقارعه الرجال والذَّبُّ عن قدس صاحب الرِّسالة حتَّى يصحَّ أن يُعزى إليه توان أو تردّد في أمر من الأمور؟! غير أنّ القول الباطل لا حدَّ له ولا أمد.

وهل يتصوّر في أمير المؤمنين تلك العشرة السيئة مع حليلته الطاهره؟! والنبىُّ يقول له: «أشبهت خلقى وخلقى وأنت من شجرتى التى أنا منها» (٤).

وكيف يراه النبىُّ صلى الله عليه وآله وسلم أفضل أمته وأعظمهم حلماً، وأحسنهم خلقاً، ويقول:

«عليٌّ خير أمتى أعلمهم علماً وأفضلهم حلماً»؟! (٥).

ويقول لفاطمة: «إنى زوّجتك أقدم أمتى سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً»؟! (٦).

ويقول لها: «زوّجتك أقدمهم سلماً، وأحسنهم خلقاً»؟! (٧).

يقول هذه كلّها وعشرته تلك كانت بمرأى منه ومسمع؟! أفك الدجالون، لقد

ص: ١٣٠

- 
- ١- . التوبه: ١٩.
  - ٢- . البقره: ٢٠٧.
  - ٣- . راجع: «الغدیر»: ١٩-١٦/٣.
  - ٤- . الغدير: ٢٠/٣ نقلاً عن تاريخ بغداد للخطيب: ١٧١/١١، برقم ٥٨٧٠.
  - ٥- . الغدير: ٢٠/٣.
  - ٦- . مسند أحمد: ٢٦/٥، الرياض النضرة: ١٦٠/٣؛ ذخائر العقبى: ٧٨؛ مجمع الزوائد: ١١٤/٩، وصححه ووثق رجاله؛ كشف الغمه: ١١٤/١ و ١١٤ و ١٤٨؛ تاريخ مدينه دمشق: ١٢٦/٤٢.
  - ٧- . أخرجه أبو الخير الحاکمی كما فى الرياض النضرة: ١٤٤/٣، وفيه: أقدمهم إسلاماً.

كان عليّ عليه السلام كما أخبر به النبيّ الصادق الأمين.

وهل يقبل شعورك ما قذف به الرجل (فضّ الله فاه) عليّاً بلکم فاطمه بضعه المصطفى؟! وعليّ هو ذاك المقتص أثر الرسول وملاً مسامعه قوله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمه:

«إِنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ لَغَضْبِكَ، وَيَرْضَى لِرِضَاكَ» (١).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم وهو آخذ بيدها: «مَنْ عَرَفَ هَذِهِ فَقَدْ عَرَفَهَا، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَهَا فَهِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي، هِيَ قَلْبِي وَرُوحِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْ، فَمَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي» (٢).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمه بضعة منّي، يريني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها» (٣).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمه بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني» (٤).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمه بضعة منّي، يقبضني ما يقبضها، ويسطني ما يبسطها» (٥).

وهل يقصر امتداح النبيّ عليّاً بقدم إسلامه؟! حتّى يتفلسف في سرّه ويكون

ص: ١٣١

١- . مستدرک الحاكم: ١٥٤/٣ و صحّحه؛ مجمع الزوائد: ٢٠٣/٩؛ ذخائر العقبى: ٣٩؛ تذکره السبط: ١٧٥، مقتل الخوارزمي: ٥٢/١، كفايه الطالب: ٢١٩؛ كنز العمال: ٦٧٤/١٣ برقم ٣٧٧٢٥، عن الحاكم وابن النجار؛ ميزان الاعتدال: ٤٩٢/٢ برقم ٤٥٦٠؛ الإصابة: ٢٦٦/٨؛ الصواعق المحرقة: ١٧٥؛ الإسعاف: ١٧١ عن الطبراني؛ ينابيع الموده: ٥٧/٢ برقم ٣٣، و ص ١٣٢ برقم ٣٧٥، و ص ٤٦٤ برقم ٢٩٣.

٢- . الفصول المهمه: ٦٦٤/١؛ كشف الغمه: ٩٤/٢؛ نور الابصار: ٤٥.

٣- . صحيح مسلم: ١٤١/٧، باب فضائل فاطمه؛ سنن ابن ماجه: ٦٤٤/١ برقم ١٩٩٨.

٤- . صحيح البخاري: ٢١٩/٤، باب مناقب فاطمه عليها السلام؛ ينابيع الموده: ٥٢/٢.

٥- . مستدرک الحاكم: ١٥٨/٣؛ ينابيع الموده: ٩٨/٢ برقم ٢٤٤؛ الصواعق المحرقة: ١٨٨.

ذلك إرضاءً لابنته، على أن امتداحه بذلك لو كان لتلك المزعمه لكان يقتصر صلى الله عليه وآله وسلم على قوله لفاطمه فى ذلك وكان يتأتى الغرض به، فلماذا كان يأخذ صلى الله عليه وآله وسلم بيد عليّ فى الملاء الصحابى تارةً ويقول: «إنّ هذا أوّل من آمن بى، وهذا أوّل من يصفحنى يوم القيامة؟» ولماذا كان يخاطب أصحابه أخرى بقوله: «أوّلكم واردًا عليّ الحوض أوّلكم إسلامًا عليّ بن أبى طالب؟!»

وكيف خفى هذا السرّ المختلق على الصحابه الحضور والتابعين لهم بإحسان فطفقوا يمدحونه عليه السلام بهذه الإثارة كما يروى عن: سلمان الفارسى، أنس بن مالك، زيد بن أرقم، عبدالله بن عباس، عبدالله بن حجل، هاشم بن عتبة، مالك الأشتر، عبدالله بن هاشم، محمد بن أبى بكر، عمرو بن الحمق، أبوعمره عدى بن حاتم، أبى رافع، بريده، جندب بن زهير، أمّ الخير بنت الحريش.

وهل القول بقله إلتفات النبى إلى عليّ يساعده القرآن الناطق بأنّه نفس النبى الطاهر؟! أو جعل مودّته أجر رسالته؟!

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث الطير المشوىّ الصحيح المروىّ فى الصحاح والمسانيد: اللهم أئتنى بأحبّ خلقك إليك ليأكل معى؟! (١)

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعائشه: «إنّ عليّاً أحبّ الرجال إليّ، وأكرمهم عليّ، فاعرفى له حقّه وأكرمى مثواه؟!» (٢).

ص: ١٣٢

١- . لاحظ: السنن الكبرى للنسائى: ١٠٧/٥ برقم ٨٣٩٨؛ سنن الترمذى: ٣٠٠/٥ برقم ٣٨٠٥؛ مستدرک الحاکم: ١٣٠/٣ وصحّحه وقال: وقد رواه عن أنس جماعه من أصحابه زياده على ثلاثين نفساً ثم صحّحت الروايه عن على وأبى سعيد الخدرى وسفينه؛ مجمع الزوائد: ١٢٦/٩؛ الرياض النضره: ١١٤/٣؛ مطالب السؤل: ٤٩٩...

٢- . أخرجه الحافظ الخجندى كما فى الرياض: ١١٦/٣، وذخائر العقبى: ٦٢؛ أسد الغابه: ٥٤٨/٥؛ ينابيع المودّه: ٢٤٥/١ برقم ٢٤.

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أحب الناس إلي من الرجال علي؟!».

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «علي خير من أتركه بعدى؟!»<sup>(١)</sup>.

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «خير رجالكم علي بن أبي طالب، وخير نساءكم فاطمه بنت محمد؟!»<sup>(٢)</sup>.

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «علي خير البشر فمن أبي فقد كفر»<sup>(٣)</sup>.

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من لم يقل علي خير الناس فقد كفر؟!»<sup>(٤)</sup>.

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: في حديث الرايه المتفق عليه: «لأعطين الرايه غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله»<sup>(٥)</sup>.

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «علي مني بمنزله الرأس (رأسي) من بدني أو جسدي»<sup>(٦)</sup>.

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «علي مني بمنزلي من ربي»<sup>(٧)</sup>.

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «علي أحبهم إلي وأحبهم إلي الله»<sup>(٨)</sup>.

ص: ١٣٣

- ١- . لاحظ: مجمع الزوائد: ١١٣/٩؛ شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ٢٢٨/١٣؛ كنز العمال: ٦١٠/١١ برقم ٣٢٩٥٢؛ شواهد التنزيل للحسكاني: ٩٨/١ برقم ١١٥؛ كشف الغمه: ١٥٦/١ و ١٥٧.
- ٢- . تاريخ بغداد للخطيب: ١٥٧/٥ برقم ٢٥٩٥؛ تاريخ مدينة دمشق: ١٦٧/١٤؛ ينابيع الموده: ٢٧٥/٢ برقم ٧٨٨؛ مناقب ابن شهر آشوب: ٢٦٨/٢.
- ٣- . تاريخ مدينة دمشق: ٣٧٢/٤٢ و ٣٧٣؛ مناقب علي لابن مردويه الاصفهاني: ١٠٩ برقم ١٢٢؛ كشف الغمه: ١٥٥/١؛ ينابيع الموده: ٧٨/٢ برقم ٨٠ و ٨١ و ص ٢٧٣ برقم ٧٧٩ و ٧٨٤.
- ٤- . تاريخ الخطيب البغدادي: ٤٠٩/٣، عن ابن مسعود؛ كنز العمال: ٦٢٥/١١ برقم ٣٣٠٤٦؛ تاريخ مدينة دمشق: ٣٧٢/٤٢.
- ٥- . صحيح البخاري: ٢٠٧/٤، باب مناقب علي.
- ٦- . الجامع الصغير للسيوطي: ١٧٧/٢ برقم ٥٥٩٦؛ كنز العمال: ٦٠٣/١١ برقم ٣٢٩١٤؛ فيض القدير للمناوي: ٤٧١/٤؛ كشف الغمه: ٣٠٠/١؛ ينابيع الموده: ١٦٧/١ برقم ٦ و ج ٧٧/٢ برقم ٧٢.
- ٧- . الرياض النضرة: ١١٩/٣؛ ذخائر العقبى: ٦٤.
- ٨- . تاريخ الخطيب البغدادي: ١٧٢/١.

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ: «أنا منك وأنت مني. أو: أنت منّي وأنا منك»؟(١).

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «عليّ منّي وأنا منه»(٢)، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدى»؟(٣).

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث البعث بسوره البراءه المجمع على صحّته: «لا يذهب بها إلّارجلٌ منّي وأنا منه»(٤).

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لحمك لحمي ودمك دمي والحقُّ معك»؟(٥).

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من نبيّ إلّاوله نظير في أمّته وعليّ نظيري»؟(٦).

أو ما صحّحه الحاكم وأخرجه الطبراني عن أم سلمه قالت: كان رسول الله

ص: ١٣٤

- ١- صحيح البخارى: ١٦٨/٣، كتاب الصلح، باب كيف يكتب. و ج ٢٠٧/٤، باب مناقب عليّ، و ج ٨٥/٥، باب عمره القضاء.
- ٢- مسند أحمد: ١٦٤/٤ و ١٦٥؛ سنن ابن ماجه: ٤٤/١ برقم ١١٩؛ فضائل الصحابه للنسائي: ١٥.
- ٣- مسند أحمد: ٤٣٨/٤؛ مستدرك الحاكم: ١٣٤/٣؛ مجمع الزوائد: ١٢٠/٩؛ مسند أبى داود الطيالسى: ١١١ و ٣٦٠؛ المصنّف لابن أبى شييبه: ٥٠٤/٧ برقم ٥٨؛ السنن الكبرى للنسائي: ١٣٢/٥ برقم ٨٤٧٣؛ خصائص النسائي: ٩٨؛ مسند أبى يعلى الموصلى: ٢٩٣/١؛ صحيح ابن حبان: ٣٧٤/١٥؛ الرياض النضرة: ١٢٩/٣؛ تاريخ مدينه دمشق: ١٩٨/٤٢ و ١٩٩؛ ميزان الاعتدال: ٤١٠/١؛ تاريخ الإسلام للذهبي: ٦٣١/٣ و ج ٧١/١١؛ كشف الغمه: ١٧٧/١ و ٢٩٥؛ ينابيع المودّه: ١٧١/١ برقم ١٦ و ص ١٧٢ برقم ٢٠؛ دخائر العقبى: ٦٨ و ٨٧. وقد أفتى ابن تيميه بتضعيف هذا الحديث وتكذيبه فى منهاج السنّه: ٣٥-٣٦ و ج ٣٩١/٧ وللمؤلّف بحث مفصّل فى الرد على ابن تيميه. راجع ابن تيميه فكراً ومنهجاً: ٢٩٩-٣٠٢.
- ٤- مسند أحمد: ٣٣١/١؛ مجمع الزوائد: ١١٩/٩؛ خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي: ٦٣؛ الرياض النضرة: ١٧٤/٣؛ ينابيع المودّه: ١١١/١.
- ٥- الغدير: ٢٣/٣؛ إحقاق الحق: ٣٥٦/٢٢؛ توضيح الدلائل للشافعى الشيرازى: ١٧٦؛ آل محمد لحسام الدين المردى الحنفى: ٣٧٠ نقلاً عن إحقاق الحق: ٣٥٦/٢٢-٣٥٨.
- ٦- الرياض النضرة: ١٢٠/٣؛ جواهر المطالب فى مناقب الإمام على: ٦١/١؛ ينابيع المودّه: ١٥٤/٢ برقم ٤٣٠.

إذا أغضب لم يجترئ أحد أن يكلمه غير عليّ؟ (١).

أو قول عائشه: والله ما رأيت أحداً أحبّ إلى رسول الله من عليّ ولا في الأرض امرأه كانت أحبّ إليه من امرأته؟ (٢).

أو قول بريده وأبي: أحبّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من النساء فاطمه، ومن الرجال عليّ؟ (٣).

أو حديث جُميع بن عمير قال: دخلت مع عمّتي عليّ عائشه فسألت أئّ الناس أحبّ إلى رسول الله؟ قالت: فاطمه. فقيل: من الرجال؟ قالت: زوجها، إن كان ما علمت صوّماً قوّماً (٤).

وكيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُقدّم الغير على عليّ في الالتفات إليه؟! وهو أوّل رجل اختاره الله بعده من أهل الأرض لمّا أطلع عليهم كما أخبر به صلى الله عليه وآله وسلم فاطمه بقوله: «إنّ الله أطلع على أهل الأرض فاختر منه أباك فبعثه نبياً، ثمّ أطلع الثانية فاختر بعلك فأوحى إليّ فأنكحته واتّخذته وصياً» (٥).

وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله اختار من أهل الأرض رجلين أحدهما أبوك والآخر

ص: ١٣٥

١- . مستدرك الحاكم: ١٣٠/٣؛ أنساب الأشراف: ١٠٧/٢.

٢- . مستدرك الحاكم: ١٥٤/٣ وصحّحه؛ مسند أبي يعلى الموصلى: ٢٧٠/٨؛ خصائص النسائي: ١٠٩، الرياض النضرة: ١١٦/٣.

٣- . خصائص النسائي: ١١٠؛ مستدرك الحاكم: ١٥٥/٣، صحّحه هو والذهبي.

٤- . سنن الترمذى: ٣٦٢/٥ برقم ٣٩٦٥؛ مستدرك الحاكم: ١٥٧/٣؛ الرياض النضرة: ١١٥/٣؛ تاريخ مدينة دمشق: ٢٦٣/٤٢.

٥- . أخرجه الطبرانى عن أبي أيوب الأنصارى: ١٧١/٤؛ كنز العمال: ٦٠٤/١١ برقم ٣٢٩٢٣؛ وأخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد: ١٦٥/٩ عن عليّ الهاللى.

وإني لا يسعني المجال لتحليل كلمه الرجل: وكان صهرا النبي الأمويان...

إلخ، وحسبك في مداراه عثمان الكريم حديث أنس عن رسول الله لما شهد دفن رقيه ابنته العزيزه وقعد على قبرها ودمعت عيناه فقال: أيكم لما يُقارف الليله أهله؟! فقال أبو طلحه: أنا فأمره أن ينزل في قبرها.

قال ابن بطال: أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يحرم عثمان النزول في قبرها وقد كان أحق الناس بذلك لأنه كان بعلمها وفقد منها علقاً لا عوض منه، لأنه حين قال عليه السلام أيكم لم يُقارف الليله أهله؟! سكت عثمان ولم يقل: أنا. لأنه قد قارف ليله ماتت بعض نساءه، ولم يشغله الهُم بالمصيبه وانقطاع صهره من النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن المقارفه، فحرم بذلك ما كان حقاً له وكان أولى به من أبي طلحه وغيره. وهذا بين في معنى الحديث ولعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد كان علم ذلك بالوحي فلم يقل له شيئاً، لأنه فعل فعلاً حلالاً، غير أن المصيبه لم تبلغ منه مبلغاً يشغله حتى حرم ما حرم من ذلك بتعريض غير صريح (٢). وما عساني أن أقول في أبي العاص الذي كان على شركه إلى عام الحدييه، وأسر مع المشركين مرتين، وفرق الإسلام بينه وبين زوجته زينب بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ست سنين، وهاجرت مسلمه وتركته لشركه، ولم ترد قط بعد إسلامه كلمه تُعرب عن صلته مع النبي ومداراته له فضلاً عن مقايسته بعلي أبي ذرّيته وسيّد عترته.

وقد اتهم الرجل نبي الإسلام بعدم العمل على سعادته ابنته الطاهره المطهره

ص: ١٣٦

١- المعجم الكبير للطبراني: ٧٧/١١؛ كتر العمال: ١٠٨/١٣ برقم ٣٦٣٥٥؛ تاريخ بغداد: ٤/١٨؛ تاريخ مدينه دمشق: ١٣٥/٤٢.

٢- الروض الأنف: ١٢٧/٣-١٢٨.



بنصّ الكتاب العزيز، ويقذف علياً بالتألم من ذلك، وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا أصبح أتى باب عليٍّ وفاطمه وهو يقول: «يرحمكم الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً». وكان لم يزل يقول: «فاطمه أحبّ الناس إليّ».

ويقول: «أحبّ الناس إليّ من النساء فاطمه».

ويقول: «أحبّ أهلي إليّ فاطمه».

وكان عمر يقول لفاطمه: والله ما رأيت أحداً أحبّ إليّ رسول الله منك (١).

وما أقبح الرجل في تقوله على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدّه لعلّي غير قوام بجليل الأعمال. وقد وازره وناصره وعاضده بتمام معنى الكلمه بكلّ حول وطول من بدء دعوته إلى آخر نفس لفظه، فصار بذلك له نفساً وأخاً ووزيراً ووصياً وخليفةً ووارثاً وولياً بعده، وكان قائده الوحيد في حروبه ومغازيه، وهو ذلك الملقّب بقائد الغرّ المحجلين وحيّاً من الله العزيز في ليله أسرى بنيته من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى (٢). (٣)

### العقاد والنيل من فاطمه عليها السلام

مما يُعجب بل ويؤسف أن نجد العقاد كاتب النيل الكبير يذهب هذا المذهب، وينحو هذا المنحى ذاته من سيده نساء العالمين فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمّ الإمامين الهمامين الحسن والحسين عليهما السلام، فيسطر في كتابه «فاطمه

ص: ١٣٧

١- . مستدرك الحاكم: ١٥٥/٣ وصححه؛ كنز العمال: ٦٧٤/١٣ برقم ٣٧٧٢٤.

٢- . مستدرك الحاكم: ١٣٨/٣ وصححه؛ الرياض النضرة: ١٣٧/٣؛ كشف الغمّة: ١٨/٢؛ الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي: ٥٧٣.

٣- . لاحظ: الغدير: ١٩/٣-٢٥.

الزهراء والفاطميون»<sup>(١)</sup> شيئاً من هذه العبارات والمقالات التافهه التي لا يليق بكاتب مثله عرف بالتحقيق والفهم، أن يدرجها في مؤلفه.

ولا يجاب على ما كتبه العقاد ومن حذا حذوه إلّابما مرّ في كلام العلامة والمحقّق الخبير الأمينى رحمه الله. ففيه كفايه لمن تحرّى الحقيقه عن أهل البيت عليهم السلام.

هذا وينبغى أن نذكر القارئ الكريم بنفس ما كتبه العقاد في كتابه ومما يعتبر شهاده دامغه تفنّد ما بدر منه من قول غير لائق في شأن عليّ والزهراء، فهو يقول:

فى كلّ دين صورته للأوثه الكامله المقدسه يتخشّع بتقديسها المؤمنون كأنما هى آيه الله فيما خلق من ذكر وأنثى.

فإذا تقدّست فى المسيحيه مريم العذراء، وفى الإسلام لاجرم تتقدّس صورته فاطمه البتول.

ثم يقول: من الواضح البين أنّ الزهراء أخذت مكانها الرفيع بين أعلام النساء فى التاريخ؛ لأنها بنت نبي وزوجه إمام وأمّ شهداء<sup>(٢)</sup>.

فإذا كانت هذه هى صورته الزهراء البتول، فكيف يصدّق العقل ما حاكته أيدي الدسّ فى تاريخ هاتين القمّتين الطاهرتين من قمم الإسلام الشامخه؟!

ص: ١٣٨

---

١- . راجع: فاطمه الزهراء والفاطميون: ٣٢ و ٣٣.

٢- . راجع: فاطمه الزهراء والفاطميون: ٥١ و ٥٢.

كانت معركة «بدر» بمثابة طوفان شديد ضدّ الوثنيه فى قلب شبه الجزيره العربيه.

طوفان اقتلع بعض جذور الوثنيه العريقه، فقد قُتِلَ طائفه من صناديد قريش، وأسرت أُخرى وهرب الباقون بمنتهى الذل والصغار، وانتشر خبر هزيمه جيش قريش المتغطرس فى جميع أنحاء وربوع الجزيره العربيه.

ولكن ساد بعد هذا الطوفان المرعب، شىء من الهدوء المقرون بالاضطراب والقلق، هدوء كان منشؤه التفكير فى مستقبل شبه الجزيره العام وما تحبّئه الأيام القادمه لسكانها على أثر التحول الجديد.

وكانت مخاوف القبائل الوثنيه، ويهود يثرب الأثرياء ويهود خيبر ووادى القرى تزداد يوماً بعد يوم من تقدّم الإسلام المطرّد، وتعاضم شوكته، واشتداد أمر حكومته الفتيه، وكان جميع هؤلاء يجدون مستقبلهم مهدّداً بخطر جدى، فإنّهم لم يتوقّعوا أن يكسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المهاجر من مكّه كلّ هذه النجاحات الباهره، وأن يبلغ من القوه ذلك المبلغ، بحيث يقهر بقواه المحدوده قوه قريش الكبرى

ويكسر شوكتها العريقة!!

وكان يهود بنى قينقاع الذين يقطنون داخل المدينة، ويمسكون بخيوط اقتصادها، أشدَّ خوفاً من غيرهم، وأكثر قلقاً على مستقبل أمرهم، لأنَّهم كانوا يخالطون المسلمين مخالطه كامله، وكان وضعهم يختلف عن وضع يهود خيبر ووادي القرى الذين كانوا يعيشون خارج المدينة بعيداً عن مركز قوه المسلمين ومنطقه حاكميتهم!!

من هنا بدأ يهود بنى قينقاع قبل غيرهم من طوائف اليهود العائشه فى تلك الديار بتدبير المؤامرات، وممارسه الأعمال الإيدائية ضدَّ المسلمين والقيام بالحرب الباردة (الإعلاميه) ضدَّهم، وذلك بنشر الأكاذيب وبثَّ المعلومات الكاذبه، وإطلاق الشعارات القبيحه، وإنشاد القصائد التي من شأنها الإساءه إلى المسلمين وتحقيرهم، وتخريب معنوياتهم.

وبهذا يكون اليهود قد بدأوا عملياً بنقض معاهده التعايش السلمى التي ذكرناها سلفاً، والتي عقدها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم معهم فى إبان قدومه المدينة.

ولم تكن هذه الحرب الباردة الشَّريره لتبزَّر تصدَّى القوى الإسلاميه لها بالحرب الساخنه، واستعمال السلاح، لأنَّ ما يمكن حلّه بسلاح المنطق لا- يجبذ أن يعالَج بمنطق السلاح، وخاصّه أن الرد الساخن والمسَلَّح يؤدَّى إلى زعزعه الأمن والاستقرار فى المدينة، والحال أنَّ المحافظه على الوحده السياسيه، واستتباب الأمن والاستقرار فى المدينة كان ممَّا يهَمُّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم جدّاً وهو يواجه أعداءً أشدَّاء من الخارج.

فلم يكن من مصلحه الإسلام والمسلمين تفجير الموقف فى عاصمه الإسلام يومئذ.

ص: ١٤٠

ولهذا - وبغية إتمام الحجّه على يهود بنى قينقاع - وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم في سوقهم بعد أن جمعهم فيه ثم قال لهم:

«يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمه، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أنني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم».

وهنا نزل قول الله تعالى:

«قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتٌّ لَّهُمْ وَأَلْبَسُوا سِتًّا لَّهُمْ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ \* قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ» (١).

ولكن اليهود المغرورين المتكبرين لم يشكروا نصيحة النبي هذه أو يسكتوا حسب، بل ردوا عليه بعناد ولجاج وصلافه قائلين: يا محمد إنك ترى أنا قومك! لا يغرّك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصه، إنا والله لئن حاربناك لتعلمنّ أننا نحن الناس (أو إنا والله أصحاب الحرب، ولئن قاتلتنا لتعلمنّ أنك لم تقاتل مثلنا)!! (٢).

فلم تترك كلمات يهود «بنى قينقاع» الجوفاء، وتشدّقهم الفارغ بقوتهم وقدرتهم على القتال والمواجهه أدنى أثر في نفوس المسلمين.

ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أتمّ عليهم الحجّه، فلم يعودوا معذورين حسب السياسه الإسلاميه وقد أصبح ساعتئذ من اللازم الاحتكام إلى منطق السلاح بعد أن لم ينجح سلاح المنطق، ولم يقنع اليهود بضروره تغيير مواقفهم، والتخلّي عن مؤامراتهم وخططهم الإيدائيه ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين.

ص: ١٤١

١- آل عمران: ١٢ و ١٣.

٢- سيره ابن هشام (السيره النبويه): ٥٦١/٢؛ المغازي: ١٧٦/١.

أجل لا بد من استخدام القوة مع هؤلاء اليهود الصلفين المتعنتين وإلّا ازدادوا صلابه، وكثرت اعتداءاتهم.

ولهذا أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينتظر الفرصه المناسبه لتأديب تلك الجماعه المتعنته الوقحه.

### لهيب الحرب يبدأ من شراره

قد تؤدّي بعض الحوادث الصغيره إلى سلسله من التحوّلات والأحداث فى المجتمعات الكبرى. يعنى أن تتسبّب حادثه جزئيه فى انفجار الحوادث الكبرى، فيصفّى كلّ من طرفى النزاع حسابه مع الطرف الآخر، انطلاقاً من علل وأسباب أخرى، وليست من تلك الحادثه الجزئيه؟

فللمثال نشبت الحرب العالميه الأولى - وهى إحدى أكبر الحوادث التاريخيه فى حياه البشر - من حادثه صغيره تذرّعت بها الدول الكبرى، وتلك الحادثه الصغيره التى أشعلت فتيل الحرب العالميه الأولى هى اغتيال «الأرشيدوق فرانسيو فرديناند» ولى عهد النمسا فى سراييفو.

فقد وقعت هذه الحادثه فى ٢٨ من شهر يونيو عام ١٩١٤ م وبعد شهر وعدّه أيام بدأت الحرب العالميه الأولى بهجوم الألمان على بلجيكا، وأسفرت هذه الحرب المدمّره الشامله عن مقتل عشره ملايين وجرح عشرين مليون من البشر(١).

ولقد انزعج المسلمون من صلابه يهود بنى قينقاع، وردّهم الوقح على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخاطبهم بأدب وينصحهم، وكانوا يتوقّعون أن يقوم اليهود

ص: ١٤٢

---

١- . الموسوعه العربيه الميسره: ص ٧٠٠.

بعمل عدائي ليثوروا ضدهم، ويؤدّبوهم.

وبينا هم على هذه الحال إذ تعرّضت امرأه من العرب لاعتداء من اليهود، فأشعل هذا الحادث الموقف.

وإليك مفصّل تلك الحادثة:

جاءت امرأه من العرب إلى سوق بني قينقاع فجلست عند صائغ تبيع حليّاً لها أو تشتري، وكانت تبالغ في ستر وجهها عن اليهود، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد رجلٌ من يهود بني قينقاع إليها وجلس من ورائها، وهي لا تشعر فعقد أسفل ثوبها إلى ظهرها، فلمّا قامت المرأة بدت عورتها، فضحكوا منها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين إلى ذلك الرجل اليهودي فقتله، فاجتمعت بنو قينقاع، وشدّوا على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم القتل المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون غضباً شديداً.

ولقد كان من الطبيعي أن يثب الرجل المسلم على ذلك اليهودي الوقح الشرير الذي فعل بالمرأة العربية ذلك الصنع القبيح، فإنّ قضيه «الأعراض» قضيه حياته وحساسه في أي مجتمع، فهي قضيه شرف، وقد كان هذا الأمر يحظى في المجتمع العربيّ خاصّه بأهمّيه كبرى، وخاصّه عند البدو الرّحل منهم، فكم من دماء جرت لعدوان على عرض ديس، أو تعرّض للتحرّش.

من هنا أزعج وضع تلك المرأة الغريبه وحالها المؤلم واضطرابها الرجل المسلم، وأشعل غيرته فوثب على اليهودي المعتدى وقتله.

وكان من الطبيعي أيضاً أن لا يمرّ هذا العمل دون رد من اليهود فيثب اليهود بأجمعهم على ذلك المسلم الغيور ويقتلوه، ويريقوا دمه بأجمعهم.

نحن هنا لا يهّمنا أن نعرف أنّ قتل ذلك الرجل اليهودي لازدرائه بامرأه كان

أمراً صحيحاً منطقياً يتفق مع الموازين أم لا ينطبق.

ولكنه ما من شك في أن وثوب مئات من الرجال واجتماعهم على قتل رجل مسلم واحد، وإراقه دمه، عملٌ بالغ الشناعة والقبح.

من هنا تسبب انتشارُ هذا الخبر (أى مقتل رجل مسلم واحد على أيدي مجموعه كبيره من الرجال بصورة مفاجئه) في إثارة المسلمين ونفاد صبرهم، ودفعهم إلى العزم على حسم الموقف حسمًا كاملاً. وبالتالي هدم قلعه الفساد على رؤوس أصحابها القتل.

فأحس «بنو قينقاع» بخطر الموقف، وأدركوا أنه لم يعد من الصالح أن يبقوا في أسواقهم، ويواصلوا البيع والشراء، وقد تلبّد الجوّ بالغيوم الداكنه على أثر العمل الفضيح والجنايه الكبرى التي ارتكبوها.

من هنا تركوا أسواقهم بسرعه، وعادوا إلى قلاعهم المحصّيه، وتحصّيه نوا فيها، وكان ذلك منهم انسحاباً خانعاً بعد ذلك التشدّد الصلف!!

ولقد أخطأوا هذه المره أيضاً، إذ ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم، من انتقام الله.

ولو أنهم اعتذروا لخطئهم، وأظهروا الندامه لكانوا يجلبون رضا المسلمين، ويحصلون على عفو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم يعرفون خلقه العظيم؛ وصفحه الكريم.

إلّا أنّ تحصّنهم كان آيه عنادهم، واعلانهم الحرب، ونصبهم العدااء الصريح للإسلام والنبي والمسلمين.

فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمحاصرتهم، ومنع من دخول أى إمداد إليهم، كما منع من اتّصالهم بأى أحد خارج حصونهم.

فحصروهم فى حصونهم خمس عشره ليله أشدّ الحصار، حتّى قذف الله فى قلوبهم الرعب، وفقدوا القدره على المقاومه، ورضوا بأن يتزلوا عند حكم



النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيهم!!

وأراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يؤدّب تلك الجماعة التي كانت أول من نقض العهد ونبذ الميثاق تأديباً قاسياً، يكون عقاباً لهم وعبره لغيرهم.

ولكن «عبدالله بن أبي بن سلول» الذي كان من منافقي المدينة ويتظاهر بالإسلام، أصرّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يحسن معاملتهم، ولا يأخذهم بما فعلوا لحلف وموّدّه كانت بينه وبين يهود من السابق، فانصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ما كان يريد من تأديبهم الشديد، وعقوبتهم على كره منه (1)، ولكن أمر بأن يُجلوا من المدينة، ولا يبقوا فيها شريطة أن يتركوا أسلحتهم، وأموالهم، ودروعهم.

فنزّلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحد المسلمين بقبض أموالهم وأسلحتهم، وكلف «عبادة بن الصامت» بإجلالهم من حصونهم، فعجل عباده في ترحيلهم وإجلالهم.

فخرجوا من المدينة ولحقوا بمنطقه تُدعى «أذرع» وهي بلد في أطراف الشام.

ويجلاء «بنى قينقاع» عادت الوحده السياسيّه إلى المجتمع في المدينة.

ص: ١٤٥

١- . هذا مع العلم أنّ القرآن الكريم ندّد بمثل هذه الوساطه التي قام بها ذلك الرجل المنافق رغم تخفيف النبي صلى الله عليه وآله وسلم معاقبه اليهود، ورسم للمسلمين منهجاً في التعامل مع اليهود والنصارى إذ قال: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضِيعَهُمْ عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ \* وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ» (المائدة: ٥١-٥٣).

وكانت الوحده السياسيه هذه المره مقرونه بالوحده الدينيه، إذ كان المسلمون يشكّلون الأغلبه الساحقه فى المدينه، فلم يكن لغيرهم فيها شأن يذكر (١).

### تقارير جديده تصل إلى المدينه

من المعلوم أنّ الاخبار تنتشر بين الناس بسرعه فى المناطق الصغيره، على العاده.

من هنا فإنّ أنباء أكثر المؤامرات والتحركات المعاديه للإسلام التي كانت تقع فى المناطق المختلفه من شبه الجزيره كانت تصل بسرعه - وعبر المسافرين المحايدین أو الاصدقاء المترصدين - إلى مركز القياده الإسلاميه فى المدينه. هذا مضافاً إلى أنّ هذا النوع من المعلومات كان يحظى لدى رسول الإسلام بأهميه كبرى، فيرصد لها من يأتى بها أولاً- بأول، ولهذا كانت أكثر التحركات والمؤامرات يقضى عليها فى مهدها بفضل الردّ السريع والمناسب الذى كانت القياده الإسلاميه تقوم به فى ضوء المعلومات الوارده إليها، أو التي حصلت عليها.

فبمجرد أن تتضمن هذه المعلومات، إلى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم خبراً مفاده أنّ إحدى القبائل تعدّ قوه، وتستعدّ للهجوم على المدينه، كان صلى الله عليه و آله و سلم يبادر إلى بعث سريه أو يقود هو بنفسه مجموعه مناسبه لمحاصره تلك القبيله، وإفشال مؤامرتها، وإبطال تدبيرها قبل أن تستطيع فعل شىء، وكان هذا هو أسلوب المباغته الذى استطاع به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أن يقضى على كثير من التحركات المعاديه فى مهدها.

وإليك مختصراً عن بعض تلك الغزوات التي وقعت فى السنه الثانيه من

ص: ١٤٦

١- . لاحظ: المغازى: ١٧٧/١؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢٨/٢ و ٢٩؛ سيره ابن هشام: ٥٦١/٢-٥٦٣.

١. غزوه قرقه الكُدر (١):

كانت المنطقه التي تتمركز فيها قبيله «بنى سلم» تدعى «الكُدر».

وقد بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّ القبيله المذكوره تهيّئ، وتعدّ العده للهجوم على مركز الإسلام وعاصمته (المدينه). فخرج رسول الله بنفسه من المدينه بعد أن استخلف عليها أحد أصحابه وأوكل إليه إداره المدينه فى غيابه، وكان الذى استخلفه هذه المره «ابن أم مكتوم»، وخرج على رأس قوه عسكريه إلى مركز تلك القبيله، فلمّا سمعوا بمسير القوى الإسلاميه إليهم تفرّقوا، وعاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينه من غير قتال.

ثم بعث سريه بقياده فارس من فرسانه يُدعى «غالب بن عبد الله» إلى نفس تلك المنطقه، فوقع بينه وبينهم قتال محدود، وعاد «غالب» إلى المدينه ظافراً بعد أن استشهد ثلاثه من رجاله.

٢. غزوه السويق:

كان عرب الجاهليه إذا نذروا يندرون نذوراً غريبه.

فقد نذر أبوسفیان بعد معركة بدر أن لا يقارب زوجته ما لم يثار من المسلمين لقتلى بدر، فكان عليه أن يقوم بهجوم على المدينه، ويقا تل النبي وأصحابه ليفى بنذره!!

فخرج من مكّه فى مائتى راكب فجاء بنى النضير ليلاً، يطلب مشوره من أحبار اليهود.

ص: ١٤٧

---

١- . قرقه الكدر: ناحيه بين المعدن وبين المدينه، (الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣١/٢).

فلما كان في وقت السحر خرج فمر بالعريض فوجد رجلاً من الأنصار مع أجيبر له، فقتل الأنصارى، وقتل أجيبره، وحرّق بيتاً وحرثاً لهم بإرشاد من كبير اليهود «سلام بن مشكم»، ورأى أن يمينه قد حلت، ثم ذهب هارباً، وخاف ملاحقه المسلمين له.

فعرف به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فندب أصحابه فخرجوا في أثره، وجعل أبوسفيان وأصحابه يتخفّفون فيلقون أكياس السويق (وهو القمح المقلّى المطحون الملتوت بالسمن أو العسل)، وهي عامّة زادهم، فجعل المسلمون يمرون بها فيأخذونها.

فسمّيت تلك الغزوه بغزوه السويق لهذا الشأن. (١)

٣. غزوه ذى أمرّ

بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ قبيله غطفان تجمع أفرادها، وتتأهب للعدوان على المدينة المنوره، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رأس أربعمائيه وخمسين رجلاً.

فلما سمع العدو بمسير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خافوا خوفاً شديداً فهربوا إلى رؤوس الجبال، فراراً من النبي والمسلمين.

فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليهم يبحث عنهم فلم يلاق أحداً منهم، وقد غيّبوا سرحهم وذراريهم في ذرى الجبال خوفاً وفرقاً.

فنزّل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ذا أمرّ» (٢) وعسكر معسكره هناك، فأصابهم مطرٌ كثير، فذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم لحاجته، فأصابه ذلك المطر فيلّ ثوبه، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وادى «ذى أمرّ» بينه وبين أصحابه، ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف،

ص: ١٤٨

١- . لاحظ: المغازى: ١٨٢/١؛ الطبقات الكبرى: ٣٠/٢.

٢- . واد بطريق فيد إلى المدينة (وفاء الوفا: ٢٤٩/٢).

وألقاها على شجره، ثم اضطجع تحتها، والأعراب ينظرون إلى كل ما يفعل.

فقال الأعراب لدعثور وكان سيدها وأشجعها: قد أمكنك محمد، وقد انفرد من أصحابه، حيث إن غوث أصحابه لم يُعث حتى تقتله.

فاختار سيفاً من سيوفهم صارماً ثم أقبل مشتملاً على السيف حتى قام على رأس النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالسيف مشهوراً، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستلق على قفاه.

فقال بنبره خشنه مهذده: يا محمد من يمنعك مني اليوم؟ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

الله.

فكان لهذه الكلمه أثر عجيب في نفس دعثور بحيث أرب، ووقع السيف من يده، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقام به على رأسه، فقال: ومن يمنعك مني اليوم.

فقال: لا أحد.

ثم قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً.

فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيفه ثم أدبر، ثم أقبل بوجهه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال:

أما والله لأنت خير مني.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا أحق بذلك منك.

فأتى قومه، وقص عليهم ما جرى له مع النبي، وأنه أسلم، ودعا قومه إلى الإسلام. (١)

أجل يكتب المؤرخون في هذا المقام أن الرجل أسلم من فوره، ويجب أن نعلم أنه لم يسلم خوفاً وفاقاً وتحت بارقه السيف؛ لأنه بقي ثابتاً ومستمراً في

ص: ١٤٩

إسلامه بعد ذلك وأخذ يدعو قومه كما أسلفنا، وهذا يدلّ على أنّه أسلم عن طواعيه ورغبه، وأنّ إسلامه كان لتبته فطرته، ويقظه وجدانه، فإنّ فشله غير المتوقع، ونجاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي تّمت بطريقه خارقه للعادة جعلته ينتبه إلى عالم آخر، وعرف بأنّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارتباطاً بعالم آخر، وأنّه مؤيد بالتالي بقوه عليا، وراء هذا العالم المادّي.

ولهذا السبب - وليس لسواه - أسلم، وقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إسلامه، وبعد أن مشى خطوات ردّ إلى النبيّ سيفه الذي أعاده إليه النبيّ قبل ذلك واعتذر إليه.

وقال: أنت أولى بهذا السيف؛ لأنك قائد هذه السريه المصلحه.

### قريش تغيّر مسير تجارتها

تعرّضت سواحل البحر الأحمر للخطر من قبل عناصر الجيش الإسلامي وحلفائهم، ولم يعد من الممكن مواصلة التجاره وإرسال القوافل التجاريه عبرها.

من هنا تشاورت قريش فيما بينها، ودرست أوضاعها في ظلّ هذه المستجدات، واتّفقت على أنّه لو تركت التجاره لهلكت رؤوس أموالها وفنيت، وكان عليها أن تسلّم للمسلمين.

وإن واصلت التجاره لم تحرز في هذا المجال نجاحاً مادامت الطريق غير آمنه، ومادام يمكن أن تتعرض أموالها للمصادره على أيدي المسلمين كلّما عثروا عليها.

فاقترح أحدهم التجاره إلى الشام عن طريق العراق فاستحسنوا رأيه جميعاً، وتهيّأت القافله للحركه في الخط الجديد، وتولّى أبو سفيان وصفوان بنفسيهما مهمه الإشراف على تلك القافله وإدارتها، واستخدما رجلاً من بني بكر يدعى

«فِرَاتُ بِنِ حَيَّانٍ» لِيَدُلَّهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ.

قَالَ الْمُقْرِيزِيُّ فِي «إِمْتَاعِ الْأَسْمَاعِ»: سَمِعَ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ (وَهُوَ سَلِيْطُ بِنِ النِّعْمَانِ) بِخَبْرِ خُرُوجِ صَفْوَانَ بِنِ أُمِّيَّةٍ فِي عَيْرِهِ وَمَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ فَخَرَجَ مِنْ سَاعَتِهِ وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْسَلَ زَيْدُ بِنِ حَارِثَةَ فِي مَائِهِ رَاكِبًا فَأَصَابُوا الْعَيْرَ، وَأَفْلَتَ أَعْيَانُ الْقَوْمِ، فَقَدِمُوا بِالْعَيْرِ فَخَمَّسَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَبَلَغَ الْخَمْسَ عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَقَسَمَ مَا بَقِيَ عَلَى أَهْلِ السَّرِيَّةِ، وَكَانَ فِيْمَنْ أُسِرَ فِرَاتُ بِنِ حَيَّانٍ فَأَسْلَمَ (١).

ص: ١٥١

---

١- . إِمْتَاعِ الْأَسْمَاعِ: ١/١٢٩-١٣٠.

#### غزوه أحد أو الدفاع عن الحرّيه عند جبل أحد

لم تكن السنه الهجرية الثالثه بأقلّ من السنه الثانيه من حيث وقوع الحوادث والوقائع الملفته للنظر فيها.

فإذا وقعت في السنه الثانيه من الهجره غزوه «بدر»، فقد وقعت في السنه الثالثه منها غزوه «أحد» وهما من أعظم معارك الإسلام وغزواته.

على أنّ غزوه «أحد» لم تكن الغزوه الوحيده التي وقعت في السنه الثالثه، بل وقعت أيضاً غزواتٌ أُخرى (١) إلى جنب طائفه من السرايا، التي اخترنا منها سريره واحده وغزوتين فقط.

١. سريره محمّد بن مسلمه لقد وَصَلَ نبأ انتصار المسلمين في معركة «بدر» عن طريق رجلين من المسلمين.

ص: ١٥٢

---

١- . مثل غزوه بحران وغزوه حمراء الأسد.



ولم يكن الجيش الإسلامي الظافر قد وصل إلى المدينة بعد، قال «كعب بن الأشرف» - وكان رجلاً من طي، ثم أحد بنى نيهان وكانت أمه من يهود «بنى النضير» وكان شاعراً قوياً، وخطيباً بارعاً - وهو منزعج من الفتح الذي أصابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون في «بدر» فقال: والله لئن كان محمدٌ أصاب أشراف العرب وملوك الناس (ويعنى سادة قريش وصناديدهم الذين قتلوا في بدر على أيدي المسلمين) لبطن الأرض خيرٌ من ظهرها!! وبدأ يبيث الأكاذيب والشائعات في المدينة ومضى يشكك في انتصارات المسلمين في بدر.

وقد كان يسىء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قصائده حتى قبل معركة «بدر» ويحرض الناس على المسلمين.

ثم إنه لما تيقن الخبر خرج حتى قدم مكة وجعل يحرض قريشاً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أنشد في هذا المجال أشعاراً يبكي فيها أصحاب القليب من قريش وقد ذكرتها المصادر التاريخية (١).

ثم رجع كعب هذا إلى المدينة فشَبَّ (٢) بنساء المسلمين حتى آذاهم!!

ولا شك أنه بهذه المواقف المعادية كان من أظهر مصاديق المفسد في الأرض، الأمر الذي آل إلى أن يقتر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتخلص منه، وكفايه المسلمين شره، وقد أوكل هذه المهمة الصعبة إلى «محمد بن مسلمه».

وقد خطط «ابن مسلمه» للتخلص من «كعب» خطه راعه، وألف لتنفيذها فريقاً كان من بينهم «أبو نائل» الأخ الرضاعي لكعب بن الأشرف، ليتمكن من هذا الطريق التمويه على كعب وتنفيذ الخطه المذكوره.

ص: ١٥٣

١- . لاحظ: المغازي: ١٢١/٢-١٢٢؛ سيره ابن هشام: ٥٦٤/٢-٥٦٥.

٢- . لاحظ: سيره ابن هشام (السيره النبويه): ٥٦٦/٢.

فخرج أبو نائلة إلى كعب وجلسا يتحادثان، ويتبادلان الشعر.

ثم إنَّ أبا نائلة قال لكعب - بعد أن طلب منه أن يُخرج كلَّ مَنْ كان هناك من ذويه وأهله -: ويحك يا ابن الأشرف إنِّي قد جئتكَ لحاجه أُريد ذكرها لك فإتكم عَنِّي، وإنِّي كرهت أن يسمع القوم كلامنا، فيظنون! قال: أفعل، قال: كان قدوم هذا الرجل (يعنى رسول الله) علينا بلاء من البلاء، وعادتنا به العرب، ورمثنا عن قوسٍ واحدهٍ، وقطعت عَنَّا السبل حتَّى جهدت الأنفس، وضاع العيال، وأصبحنا، قد جهدنا وجهد عيالنا.

فقال كعب: أما والله لقد كنتُ أُخبرك يا ابن سلامه إنَّ الأمر سيصير إلى ما أقول.

فقال أبو نائلة: إنِّي قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك، فقال: أترهنوني أبناءكم؟

فقال أبو نائلة: لقد أردت أن تفضحنا إنَّ معي أصحاباً لي على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم، فتبيعهم وتحسن في ذلك، ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء.

فرضى كعب بن الأشرف بذلك.

وإنما قال أبو نائلة هذا القول لابن الأشرف حتَّى لا يستغرب إذا رأى السلاح بيد الرجال الذين سيأتون معه.

ثم خرج أبو نائلة من عند ابن الأشرف على ميعاده، فأتى أصحابه، فأخبرهم بما دار بينه وبين كعب، فأجمعوا أمرهم على أن يأتوه إذا أمسى لميعاده، ثم أتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشاءً وأخبروه، فمشى معهم حتَّى أتى البقيع، ثم وجَّههم، ثم قال:

«انطلقوا على اسم الله، اللهم أعينهم».

فَمَضُوا حَتَّى أَتَوْا ابْنَ الْأَشْرَفِ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى حَصْنِهِ هَتَفَ بِهِ أَبُو نَائِلِهِ، وَكَانَ ابْنُ الْأَشْرَفِ حَدِيثَ عَهْدٍ بُعِرْسَ، فَوَثِبَ فِي مَلْحَفَتِهِ، فَأَخَذَتْ امْرَأَتُهُ بِنَاحِيَّتِهَا وَقَالَتْ: إِنَّكَ امْرُؤٌ مُحَارِبٌ، وَإِنَّ أَصْحَابَ الْحَرْبِ لَا يَنْزِلُونَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ؟

فَقَالَ ابْنُ الْأَشْرَفِ: مِعَادًا، إِنَّهُ أَبُو نَائِلِهِ.

ثُمَّ نَزَلَ إِلَيْهِمْ فَحَيَّاهُمْ، ثُمَّ جَلَسُوا فَتَحَدَّثُوا سَاعَةَ حَتَّى اطْمَأَنَّ إِلَيْهِمْ.

ثُمَّ قَالُوا لَهُ: هَلْ لَكَ يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ أَنْ نَتَمَاشَى إِلَى شَعْبِ الْعَجُوزِ (وَهُوَ مَوْضِعٌ قَرِبَ الْمَدِينَةِ) فَتَحَدَّثَ بِهِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ؟ قَالَ: إِنْ شِئْتُمْ.

فَخَرَجُوا يَتَمَاشُونَ حَتَّى ابْتَعَدُوا عَنْ حَصْنِهِ، وَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَدخَلَ أَبُو نَائِلِهِ يَدَهُ فِي رَأْسِ كَعْبٍ ثُمَّ شَمَّ يَدَهُ فَقَالَ: وَيَحْكُ مَا أَطْيَبَ عَطْرَكَ هَذَا يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ، ثُمَّ مَشَى سَاعَةَ، ثُمَّ كَثَّرَ هَذَا الْعَمَلَ ثَانِيَةً حَتَّى اطْمَأَنَّ، ثُمَّ مَشَى سَاعَةَ ثُمَّ عَادَ لِمِثْلِهَا فَأَخَذَ بِفُودِ رَأْسِهِ وَقَالَ: اضْرِبُوا عَدُوَّ اللَّهِ، فَضْرِبُوهُ بِسَيُوفِهِمْ، وَطَعْنُوهُ أَبُو نَائِلِهِ بِخَنْجَرٍ فِي بَطْنِهِ، وَصَاحَ صَيْحَةً ثُمَّ وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ وَلَمْ تَنْفَعِهِ اسْتِغَاثَاتُهُ.

ثُمَّ عَادَ هَذَا الْفَرِيقُ الْفِدَائِيُّ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ فُورِهِمْ وَلَمَّا بَلَغُوا «بَقِيعَ الْغَرَقَدِ» كَبُرُوا، وَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ يَصَلِّي، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَكْبِيرَهُمْ بِالْبَقِيعِ كَثِيرًا، وَعَرَفَ أَنََّّهُمْ قَدْ قَتَلُوهُ.

وَبِهَذَا أَعْلَنُوا عَنْ نَجَاحِ عَمَلِيَّتِهِمْ الْفِدَائِيَّةِ الْجَرِيئَةِ الَّتِي أَرَاكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ مِنْ شَرِّ ذَلِكَ الْمَفْسَدِ الْخَطِيرِ الَّذِي لَمْ يَفْتَأْ عَنْ إِيْذَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَنَاوَلَ أَعْرَاضَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَشْعَارِهِ..(١).

ص: ١٥٥

١- . لاحظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٥٦٦/٢-٥٦٨؛ المغازي: ١٨٤/١-١٩٠.

وكان أبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي يظهر كعب بن الأشرف على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقوم بنفس الدور الخبيث الذي كان يقوم به ابن الأشرف من الإيذاء والإزعاج للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين. فقام فريق فدائي آخر من المسلمين باغتياله على غرار اغتيال صاحبه في عمليه فدائيه جسوره على نحو ما رواه ابن الأثير في كتابه: الكامل في التاريخ بصوره مفصّله (١).

وقد كانت هاتان العمليتان وأمور أخرى من أسباب اندلاع معركة «أحد».

وقد حان الأوان الآن أن نستعرض تفاصيل هذه الواقعة الكبرى!

### قريش تتكفل نفقات الحرب

كانت بذور الرغبة في الانتقام والثأر من المسلمين قد بُدِرت في مكة من زمان وقد ساعدت خطه المنع من البكاء والنياحه على القتلى على إذكاء روح الانتقام هذه لدى قريش.

كما أنّ تعدّد مرور قافلتها التجاريه عبر طريق مكة - المدينة - الشام، واضطرارها إلى سلوك طريق العراق للسفر إلى الشام زاد هو الآخر من سخطها وانزعاجها.

ولقد أُجج مقتل «كعب بن الأشرف» من أوار هذا الحقد، وأوقد لهيبه في النفوس.

من هنا اقترح «صفوان بن أمية» و«عكرمه بن أبي جهل» على أبي سفيان

ص: ١٥٦

وَمَنْ كَانَتْ لَهُ فِي قَافِلِهِ قَرِيشٌ تِجَارِيَّةٌ مَشَارِكَةٌ، أَنْ يَدْفَعَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ لِتَسْدِيدِ نَفَقَاتِ الْحَرْبِ قَائِلِينَ: يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكَمُ، وَقَتْلَ خِيَارِكُمْ، فَأَعِينُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ، فَلَعَلَّنَا نَدْرِكُ مِنْهُ ثَأْرَنَا بِمَنْ أَصَابَ مِنَّا.

ولقد لقي هذا الاقتراح قبولاً من أبي سفيان وتقرر الإعداد للحرب فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى هتأ أبو سفيان ذلك.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الموضوع، كما ذكر كيف أن قريشاً لم تحصد من هذا الإنفاق إلا الخيبة والخسران إذ قال تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسِيرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ» (١).

وحيث إن زعماء قريش كانوا يعرفون بقوة المسلمين وقد رأوا عن كثب استقامتهم وثباتهم في معركة «بدر» لهذا قرروا أن يتألف جيشهم هذه المرة من صنديد أكثر القبائل العربية وشجعانها البارزين وأبطالها المعروفين.

فكلف «عمرو بن العاص» وعدّه أشخاص آخرين بأن يؤلّبوا العرب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويجمعوا أبطالها وصناديدها، للمشاركة في الجيش الكثيف والمنظم الذي اعترمت قريش على تسييره لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين، وغزوهم، وبأن يخبروهم بأن قريشاً قد تكفّلت نفقات هذه المعركة.

وقد أثمرت نشاطات «عمرو» ورفاقه في هذا السبيل.

فقد استطاعوا بعد محاولات واسعة أن يضموا إلى جيش قريش أبطالاً وصناديد من بني كنانة وتهامة، فخرجت قريش وهم أربعة آلاف بمن انضم إلى

ص: ١٥٧

١- . الأنفال: ٣٦، وراجع: السيرة النبوية لابن هشام: ٥٨١/٢؛ مجمع البيان: ٤٦٤/٤.

وقد كان هذا هو عدد الرجال الذين شاركوا في هذه المعركة، ولو أضفنا إليهم عدد النساء اللواتي شاركن فيها لتجاوز العدد ما ذكرناه.

على أنه لم يكن من عادة العرب أن يشركوا نساءهم في الغزو ويخرجوهن معهم إلى القتال، ولكن نساء مكة الوثنيات شاركن مع رجالهن في هذه المعركة على خلاف عادة العرب، وكان الهدف من أخذهن هو أن يحرضن الرجال على القتال والصمود، ويمنعن المقاتلين من الفرار، ويذكرن بقتلى بدر، ويشعلن الحماس في النفوس بدق الدفوف، وإنشاد الأشعار المثيرة للهمم والداعية إلى الثأر؛ ولأن فرار الرجال كان يعنى أن تقع النسوة في الأسر، وهو ما كان ياباه العربي آنذاك. فتكون الغيرة والحمية على العرض سبباً للمقاومة والصمود.

كما أنه اشترك في هذه المعركة طائفة من العبيد والرقيق طمعاً في العتق الذي وعدوا به إن نصروا أسيادهم وقاتلوا بين أيديهم، وذلك مثل «وحشى» وكان غلاماً حبشياً لمطعم بن جبير يقذف بالحربة قذف الحبشه قلماً يخطئ بها، فقال له سيده: إن علياً قتل عمى يوم بدر - يعنى: طعيمه - فإن قتلت محمداً فأنت حرّ، وإن قتلت عمّ محمد فأنت حرّ. (٢).

وعلى أيه حال استطاعت قريش أن تجهز بعد جهد كبير جيشاً كبيراً قوياً يتألف من سبعمائه دارع، وثلاثه آلاف فارس، ومشاه كثيرين، وقد خرجوا بعدّه وسلاح كثير.

ص: ١٥٨

١- . اختلف علماء التفسير والتاريخ كعلی بن إبراهيم والشيخ الطبرسى فى إعلام الوری، وابن هشام والواقدى فى عدد المشركين والكفار فى هذه المعركة، وما ذكرناه هو الأقرب إلى الحقيقة.

٢- . بحار الأنوار: ٩٧/٢٠.

لَمَّا أَجْمَعَتْ قَرِيْشٌ عَلَى الْمَسِيْرِ كَتَبَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ (١) كِتَابًا (يُضَمُّ تَقْرِيرًا مَفْصَّلًا عَنْ نَوَايَا وَاسْتِعْدَادَاتِ قَرِيْشٍ)، وَخْتَمَهُ وَاسْتَأْجَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي غَفَّارٍ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَسِيرَ ثَلَاثًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ....

فَقَدَّمَ الْغَفَّارِيُّ فَلَمْ يَجِدْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ وَوَجَدَهُ بَقْبَاءَ فَخَرَجَ حَتَّى يَجِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَابِ مَسْجِدِ قَبَاءَ يَرْكَبُ حِمَارَهُ فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِ أَبِي بَنِي كَعْبٍ وَاسْتَكْتَمَ أَيُّ مَا فِيهِ. (٢)

رَوَى الْعَلَّامَةُ الْمَجْلِسِيُّ عَنِ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّهُ قَالَ: كَانَ مِمَّا مَنَّ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، فَلَمَّا تَوَجَّهَ أَبُو سَفْيَانَ إِلَى «أَحَد» كَتَبَ الْعَبَّاسُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ الْكِتَابُ وَهُوَ فِي بَعْضِ حَيْطَانِ الْمَدِينَةِ فَقَرَأَهُ وَلَمْ يَخْبِرْ أَصْحَابَهُ، وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا دَخَلُوا الْمَدِينَةَ أَخْبَرَهُمْ (٣).

### جيش قريش يتحرك باتجاه المدينة

تحرَّك جيش قريش باتجاه المدينة، وبعد قطع مسافه معيَّنه وصلت طلائعه

ص: ١٥٩

- ١- . وكان العباس كما أسلفنا ممن أسلم وآمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكة ولكنه ظل يكتُم إيمانه ليتمكن من البقاء بين قريش وورصد تحركاتهم وإخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنواياهم. راجع السيره الحلييه: ١٩٨/١٠.
- ٢- . المغازي: ٢٠٣/١-٢٠٤. ويرى بعض المؤرخين أن مبعوث العباس قدم بالرسالة المدينة وكان النبي ساعته في المسجد فأعطى النبي الرسالة إلى أبي بن كعب فقرأها عليه.
- ٣- . بحار الأنوار: ١١١/٢٠ برقم ٣٦. والخبر عن البيزنطي عن بعض أصحابه فهو مرسل، علاوه على أنه خلاف المشهور بأنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يقرأ ولا يكتب.

إلى الأبياء، وهي المنطقه التي دفنت فيها والده النبي صلى الله عليه وآله وسلم السيدة «آمنة بنت وهب» فقال فتيه من قريش: إنكم قد خرجتم بالضعن معكم ونحن نخاف على نساءنا، فتعالوا ننبش قبر أم محمّد، فإن النساء عوره، فإن يصب من نساءكم أحداً قُلتم هذه رمة أمّيك، فإن كان برّاً بأُمّه كما يزعم فلعمري ليفادينكم برمه أمّه، وإن لم يظفر بأحد من نساءكم فلعمري ليفدين رمة أمّه بمال كثير إن كان بها برّاً.

واستشار أبو سفيان أهل الرأي من قريش في ذلك فاستقبحوه وشجّبوه بشده وقالوا:

لا تذكر من هذا شيئاً فلو فعلنا (ذلك) نبشت بنوبكر وخزاعه (وهم أعداء قريش) موتانا(١).

وبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الخميس الخامس من شهر شوال، السنه الثالثه من الهجره، «أنساً» و«مونساً» ابني «فضاله» للتجسس على قريش خارج المدينة، وإخباره صلى الله عليه وآله وسلم بتحركاتهم، فأخبرا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باقتراب جيش المشركين إلى المدينة، وأنهم قد سرحوا إبلهم وخيولهم ترعى في مراعى المدينة(٢).

كما أخبر «الحباب بن المنذر» هو الآخر باقتراب جيش المشركين إلى المدينة، وأنّ طلائع ذلك الجيش قد استقرت على مقربه من جبل أحد، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث الحباب سرّاً وقال له: لا تخبرني بين أحد من المسلمين إلّا أن ترى قلبه(٣).

وبخبر الحباب تأكّد ما أخبر به ابنا فضاله.

ص: ١٦٠

١- . المغازى: ٢٠٦/١.

٢- . لاحظ: المغازى: ٢٠٦/١-٢٠٧.

٣- . لاحظ: المغازى: ٢٠٧/١-٢٠٨.



وحيث إنّ المسلمين كانوا يخافون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العدو، أن يهاجموه ليلاً، لذلك باتت وجوه الأوس والخزرج (الأنصار) ليله الجمعه وعليهم السلاح في المسجد بباب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحرسونه، وحرسَت المدينة تلك الليلة حتّى أصبحوا.

### منطقه «أحد»

كان الوادى الطويل الكبير المذى يصل طريق الشام التجاريه باليمن يُسمّى آنذاك ب «وادى القرى»، وكانت القبائل العربيه من اليهود وغير اليهود تقطن فى كلّ منطقه تتوفر فيها ظروف المعيشه ومستلزمات الحياه، ولهذا نشأت على طول هذا الخط «قرى» بسبب وجود مناطق خصبه فيه وقد سُورَت بأسوار من الحجاره، وكانت يثرب مركز هذه القرى وأمّها وهى التى سُمّيت فى ما بعد بمدينه الرسول، ومن ثم «المدينه» تخفيفاً واختصاراً.

وكان على كلّ قادم من مكّه إلى المدينه، أن يدخل من جنوب يثرب وحيث إنّ أرض هذه المنطقه ذات طبيعه صخرية، لذلك يكون عبور الجيش من خلالها أمراً عسيراً وفى غايه الصعوبه.

من هنا تحاشت قريش - عندما وصل جيشها إلى مشارف المدينه - هذه المنطقه، ودخلت من شمال المدينه، واستقرت فى وادى العقيق فى سفوح جبل «أحد»، وقد كانت هذه المنطقه لعدم وجود نخيل فيها، ولسهوله أرضها، أفضل مكان للعمليات العسكريه، وخير ميدان للقتال والحرب.

وقد كانت المدينه عرضه للخطر من هذه الناحيه؛ لأنّه قلّمَا كان المرء يرى فيها موانع طبيعيه.

نزلت قوى المشركين عصر يوم الخميس فى الخامس من شوال من السنه الثالثه من الهجره عند جبل «أحد».

وبقى النبى ذلك اليوم وليلته فى المدينه، وفى يوم الجمعة أقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عقد شورى عسكريه، واستشار قاده جيشه وأهل الخبره والرأى من أصحابه فى كيفيه مواجهه العدو، والتكتيك الذى يجب أن يتبعه المسلمون(1).

### المشاوره فى كيفيه الدفاع

كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد أمر من جانب الله تعالى أن يشاور أصحابه فى الأمور العسكريه وما يشابهها ويشركهم فى قراراته وخططه التى يتخذها فى المجالات المذكوره، ليعطى بذلك درساً كبيراً للمسلمين، ويبعث بين أصحابه وأتباعه روح الديمقراطيه (الصحيحه) وتحزى الحق، والموضوعيه.

ولكن هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه يستفيد من هذه المشاوره؟ وينتفع بأرائهم ونظرياتهم، ومقترحاتهم، أم لا؟.

لقد أجاب علماء العقيدته ورؤاد علم الكلام الإسلامى من مختلف الطوائف على هذا السؤال فى مؤلفاتهم ودراساتهم، وللقارئ الكريم، إذا أراد الوقوف على الجواب، أن يراجع تلك المصنّفات.

لكن الذى لا يمكن إنكاره فى المقام هو: أن هذه المشاورات سيره حثه تركها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بعده، ولقد كانت هذه السيره مؤثره جداً بحيث استخدم

ص: ١٤٢

---

١- . لم تكن هذه هى المره الأولى ولا الأخيره التى شاور النبى فيها أصحابه، وقد ذكرنا عدّه موارد من هذا النوع من التشاور والهدف منه فى كتابنا: مفاهيم القرآن (الجزء الثانى): معالم الحكومه الإسلاميه.

الخلفاء والأمراء من بعده أسلوب التشاور والشورى، وكانوا يستفيدون على هذا الأساس من آراء الإمام على عليه السلام ونظرياته الساميه فى الأمور العسكريه، والمشكلات الاجتماعيه التى كانت تطرأ على حياه المسلمين.(1)

## المشاورات العسكريه

لما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باقتراب قريش إلى المدينة وقف فى تلك الشورى التى كانت تضم جمعاً كبيراً من صناديد أصحابه، وقاده جيشه وجنوده وقال بصوت عالٍ: «أشيروا علىّ».

وهو يطلب بذلك من أولئك الجنود والقاده أن يدلوا بأرائهم فى كيفية مواجهه العدو، وطريقه الدفاع عن حوزة الإسلام وصرح التوحيد المهده من قبل قريش والمتحالفين معهم من أحزاب الشرك، وأتباع الوثنيه.

فقام «عبدالله بن أبى بن سلول» وكان من منافقى المدينة، وطرح فكره التحصن فى داخل المدينة، والقتال فيها على غرار حرب الشوارع. وذلك بأن لا يخرج المسلمون من المدينة، بل يبقوا داخلها، ويستخدموا أبراجها وسطوحها لمقاتله العدو ودفعه، وترمى النساء العدو بالأحجار من السطوح، ويقاتل الرجال أفراده فى الشوارع والأزقه قائلاً: يا رسول الله كُنَّا نقاتل فى الجاهليه فيها، ونجعل النساء والذرارى فى هذه الصياصى ونجعل معهم الحجاره...، ونشبعك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كل ناحيه وترمى المرأه والصبى من فوق الصياصى والآطام، ونقاتل بأسيفنا فى السكك (أى الطرقات).

ص: ١٤٣

---

١- راجع: نهج البلاغه: الخطبه ١٣٤.

يا رسول الله إنَّ مدينتنا عذراء ما فُضَّت علينا قط، وما خرجنا إلى عدوّ قط إلَّا أصاب منّا، وما دخل علينا قط إلَّا أصبناه فدعهم يا رسول الله. فإنَّهم إن أقاموا أقاموا بشرّ محبس، وإن رجعوا رجعوا خائنين مغلوبين لم ينالوا خيراً.

وكان هذا رأى الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المهاجرين والأنصار، إلَّا أنَّ الفتیان من المسلمين وبخاصّه من لم يشهد منهم بدرّاً وكانوا يشكّلون الأغلبيه شجبوا هذا الرأى بشدّه، ورفضوه بقوّه، وطلبوا من رسول الله الخروج إلى العدو، ورجعوا في الشهاده، وأحبّوا لقاء العدو.

وقالوا: إننا نخشى يا رسول الله أن يظن عدوّنا أننا كرهنا الخروج إليهم جنباً عن لقائهم فيكون هذا جرأه منهم علينا، وقد كنت يوم بدر في ثلاثمائه رجل فظفرك الله عليهم، ونحن اليوم بشرّ كثير، قد كنّا نتمنى هذا اليوم وندعو الله به فقد ساقه الله إلينا في ساحتنا.

وقال «حمزه» بطل الإسلام العظيم: لا أطعم اليوم طعاماً حتّى أجالدهم بسيفي خارجاً من المدينه(١).

### الاقتراع من أجل الشهاده!!

وقام خيشمه أبو سعد بن خيشمه - وهو شيخ يقظ البصيره - وقال: يا رسول الله إنَّ قريشاً مكثت حولاً تجمع الجموع، وتستجلب العرب في بواديها، ومن تبعها من أحابيشها، ثم جاءونا قد قادوا الخيل وامتطوا الإبل، حتّى نزلوا بساحتنا

ص: ١٦٤

١- . المغازى: ٢٠٩/١-٢١١. ومن المعلوم أنّ نظريه عبدالله بن أبي لم تخلو من الخطر، إذ لم يكن من البعيد أن يستفيد العدو بعد دخوله في المدينه من بيوت المنافقين. وأن يتعاون معهم يهود المدينه أيضاً فتكون حينئذ الضربه القاضيه للإسلام والمسلمين.

فيحصرونا في بيوتنا، وصياصينا، ثم يرجعون وافرین لم يُكلموا، فيجرتهم ذلك علينا حتى يشنوا الغارات علينا، ويصيبوا أطرافنا، ويضعوا العيون والأرصاد علينا، مع ما قد صنعوا بحروثنا، ويجترئ علينا العرب حولنا، حتى يطمعوا فينا إذا رأونا لم نخرج إليهم، فنذيبهم عن جوارنا، وعسى الله أن يظفرنا بهم، فتلك عادة الله عندنا، أو تكون الأخرى: فهي الشهادة.

لقد أخطأتني وقعه بدر، وقد كنتُ عليها حريصاً، لقد بلغ من حرصى أن ساهمت (١) ابني على الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة، وقد كنتُ حريصاً على الشهادة، وقد رأيت ابني البارحة في النوم في أحسن صورته يسرح في ثمار الجنة وأنهارها، وهو يقول: ألحق بنا ترافقنا في الجنة، فقد وجدتُ ما وعدني ربِّي حقاً.

وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته في الجنة، وقد كبرت سني ورق عظمي، وأحببتُ لقاء ربِّي فاذعُ الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقه سعد في الجنة!!! (٢).

إنّ هذا الذي ذكرناه ليس سوى نموذج واحد من مواقف كثيرة تجدها أيها القارئ الكريم في صفحات التاريخ الإسلامي المشرقة، فهناك الكثير من هؤلاء الفدائيين المخلصين الذين آلوا على أنفسهم أن يدافعوا عن حياض العقيدة وشرف الدين، ورزقوا الشهادة في نهايه المطاف.

إنّ الأيديولوجية التي لا تعتمد على أسس الإيمان بالله واليوم الآخر قلما تنتج جندياً فدائياً مخلصاً مثل خيّمه، ومن شاكله.

ص: ١٦٥

١- . أي أجريت القرعة بيني وبين ولدي.

٢- . المغازي: ٢١٢/١-٢١٣.

إنَّ روحَ الفداء والتفانى والإيثار بالنفس والتضحيه بالغالى والرخص، التى تدفع بالجندى إلى أن يطلب الشهاده فى سبيل إعلاء كلمه الحق، وإعزاز التوحيد بإصرار وشوق لا توجد إلآ فى مدرسه الأنبياء والمرسلين، ولا تحصل إلآ فى ضوء تربيتهم.

وأما فى المجتمعات الماديه كالمجتمعات الحاضره التى تهتم أكبر اهتمام بتحسين أحوال العسكريين حيث إنَّ الهدف من الحروب والمعارك لم يكن قط إلآ الحصول على وضع معيشى أفضل، فإنَّه لايهم الجنود فيها إلآ الحفاظ على أرواحهم وحياتهم، فذلك هو أكبر هدف لديهم، ومن هنا تندر عندهم روح التفانى والتضحيه.

وأما فى مدرسه الأنبياء فإنَّ المعارك والحروب لا يهدف منها إلآ ابتغاء رضا الله سبحانه، فلو انحصر ذلك فى الشهاده أقدم عليها الجندى المسلم من دون خوف أو وجل، وعرض نفسه لجميع الأخطار من دون تلكؤ أو إبطاء.

### حصيله الشورى

لقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برأى الأكثريه التى كانت ترجح الخروج من المدينه لمقاتله العدو، إذ لم يكن من الصالح - بعد ما اقترحه قاده جيشه البارزين مثل حمزه وسعد بن عباد ونظرائهم، وأصرّوا عليه - أن يأخذ برأى عبدالله بن أبى بن سلول المنافق.

هذا مضافاً إلى أنّ حرب الشوارع والمدن غير المنظم فى داخل سكك المدينه وأزقتها الضيقه، واشتراك النسوه فى الأمور الدفاعيه، والجلوس فى البيت، والسماح للعدو بأن يفعل ما يريد آيه العجز، والوهن، وهو أمر لا يليق بالمسلمين، ولا يتلاءم مع الانتصار العظيم الذى كسبوه فى معركة «بدر»، وهزموا به عدوهم

إن محاصره المدينة وسيطره العدو على مداخلها وطرقاتها، وسكوت جنود الإسلام على ذلك من شأنه أن يقتل الروح القتاليه، والفروسيه في أبناء الإسلام المجاهدين.

ويمكن أن يكون «عبدالله بن أبي بن سلول» قد أضمر في نفسه تيه سيئه ضد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه بهذا الاقتراح (أى البقاء في المدينة وعدم الخروج لمجابهه العدو، ومواجهته بشجاعه) كان يريد - في الحقيقه - أن يوجه ضربه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم!!

### النبي يلبس لامه الحرب

بعد أن تعينت كيفيه مواجهه العدو والدفاع، دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيته ولبس لامته، وقد لبس الدرع فأظهرها وحزم وسطها بمنطقه من حمائل سيف من آدم واعتم وتقلد السيف، وخرج من بيته.

فأثار هذا المشهد المسلمين وهزهم بشده وتصور بعضهم بأن إصرارهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج من المدينة لم يكن فيه للنبي رضا، وخشوا أنهم قد استكروه على هذا الأمر، فندموا على ذلك، وقالوا معتذرين: يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك (و: ما كان لنا أن نستكرهك والأمر إلى الله ثم إليك).

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما يَتَّبِعِي لِنَبِيِّ إِذَا لَيْسَ لِمَتِّهِ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ» (١).

## النَّبِيُّ يَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ

ثم إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم صَلَّى بالناس الجمعة وخرج على رأس ما يزيد على ألف مقاتل قاصداً أُحُد، وذلك بعد أن قال لهم:

«أَنْظَرُوا إِلَيَّ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَاتَّبِعُوهُ إِمْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ فَلَكُمْ النُّصْرُ مَا صَبَرْتُمْ» (٢).

وقد أجاز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومئذٍ لمن لم يبلغوا الحلم بأن يخرجوا معه كسمره ورافع وكان رامياً جيداً، ورد أسامه بن زيد وعبدالله بن عمر بن الخطاب (٣).

ثم إنَّ جماعه من اليهود كانوا متحالفين مع عبدالله بن أبي بن سلول قرّروا أن يشتركوا في هذه المعركة ويخرجوا مع المسلمين، ولكنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يسمح بذلك لأسباب خاصه.

وسار النبي وأصحابه حتى إذا كانوا بمنطقه بين المدينة وأُحُد تُسَمَّى «الشوط» انعزل عنه «عبدالله بن أبي بن سلول» وعاد بثلاث الناس كلهم من الأوس المتحالفين معه إلى المدينة بحجّه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ برأى الفتيه والشباب، ورفض اقتراحه وهو البقاء في المدينة.

ومن هنا لم يشترك في هذه المعركة لا اليهود ولا حزبُ النفاق.

ص: ١٤٨

١- السيره النبويه لابن هشام: ٥٨٤/٣؛ المغازي: ٢١٤/١، الطبقات الكبرى: ٣٨٨/٢.

٢- المغازي: ٢١٤/١.

٣- لاحظ: المغازي: ٢١٤/١.



ثم إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه كانوا يرغبون في أن يسلكوا أقرب الطرق إلى معسكرهم، من هنا اضطروا إلى أن يمروا عبر بستان لمنافق من منافق المدينة يدعى «مربع بن قيطي» وكان ضريراً، فامتنع من ذلك، وأساء بالقول إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فابتدره أصحاب النبي ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا تَقْتُلُوهُ، فَهَذَا الْأَعْمَى أَعْمَى الْقَلْبِ، أَعْمَى الْبَصْرِ»<sup>(١)</sup>.

## جنديان فدائيان

استعرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جيشه في منطقته تُدعى بالشيخين<sup>(٢)</sup>، وكانت الوجوه المشتاقه إلى الجهاد تلمع كما تلمع صفحات السيوف، وتعكس إصراراً كبيراً على قتال الكفّار ومجاهده المشركين.

ولقد كان جيش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي خرج بهم لمجابهه قريش عند جبل أحد يتألف من مقاتلين يتفاوتون في الأعمار تفاوتاً كبيراً.

ففيهم الشيخ الكبير الطاعن في السن وفيهم الشاب الفدائي الذي لم يتجاوز الخامسة عشرة.

ولقد كان الدفاع الذي يحرك الجميع إلى ذلك هو عشق الكمال الذي ما كان ليتوقّر إلّا في ظلّ الدفاع عن صرح التوحيد المقدّس، ليس إلّا.

ولإثبات هذه الحقيقة نشير هنا إلى قصّه شيخ كبير السن، وشاب لم يمض من عرسه إلّا ليله واحده!!

ص: ١٦٩

١- السير النبويه لابن هشام: ٥٨٥/٣؛ المغازي: ٢١٨/٢.

٢- ولقد كان من عاده النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأسلوبه في جميع المعارك استعراض جيشه على الدوام، وعدّهم، وتسريح بعض العناصر الضعيفه أحياناً.

١. إن «عمرو بن الجموح» كان رجلاً- شيخاً أعرج شديد العرج - وقد أصيب في رجله في حادثه - وكان له بنونٌ أربعةٌ مثل الأسود، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشاهد، فلما كان يوم «أحد» أراد أن يخرج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد أبت نفسه أن تفوته الشهادة، وأن يجلس في بيته ولا يشترك مع رسول الله في تلك المعركة، وإن اشترك بنوه الأربعة فيها.

فأراد أهله وبنوه حبسه وقالوا له: إن الله عز وجل قد عذرك، ولم يقتنع بمقاتلتهم، وأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: إن بنى يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه، والخروج معك فيه، فوالله إنى لأرجو أن أطا بعرجتى هذه في الجنة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك» (١).

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم لبنيه وقومه:

«ما عليكم أن لا تمنعوه، لعل الله يرزقه الشهادة».

فخلوا عنه، وخرج وهو يقول: اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلى.

وقد كان موقف هذا المجاهد الأعرج من مشاهد معركة «أحد» العظيمة، ومن قصصها الرائعة، فقد كان يحمل - وهو على ما هو عليه من العرج - على الأعداء ويقول: «أنا والله مشتاق إلى الجنة» وابنه يعدو في أثره حتى قُتلا جميعاً (٢).

٢. «حفظه» وهو شاب لم يكن قد جاوز الرابعة والعشرين من عمره آنذاك.

ص: ١٧٠

١- لقول الله تعالى: «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ» (الفتح: ١٧).

٢- السيرة النبوية لابن هشام: ٣/٦٠٧؛ المغازى: ١/٢٦٤-٢٦٥.

وهو ابن «أبي عامر» عدو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي كان مصداقاً لقول الله تعالى:

«يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ». (١)

فقد اشترك والده أبو عامر الفاسق في معركة «أحد» إلى جانب قريش ضد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان ممن يكيدون للإسلام وممن حرّض قريشاً ضدّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واستمرّ في معاداة الإسلام حتّى النفس الأخير، ولم يأل جهداً في هذا السبيل.

وقد كان أبو عامر هذا هو السبب الرئيسي وراء حادثه مسجد «ضرار» التي سيأتي تفصيلها في حوادث السنة التاسعة من الهجره.

غير أن علاقته الأبوّه والبنوّه وما يتبعها من أحاسيس لم تصرف حنظله عن الاشتراك في حرب ضد أبيه، مادام أبوه على باطل وهو (أى حنظله) على الحقّ، فيوم خرج النبيّ مع أصحابه إلى «أحد» لمواجهه قريش كان حنظله يريد البناء بزوجه ليلته، فقد تزوّج بابنه «عبدالله بن أبي بن سلول» وكان عليه أن يقيم مراسيم الزفاف والعرس في الليله التي خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى «أحد» في صبيحتها المنصرمه.

ولكنّه عندما سمع مؤذن الجهاد، ودوى نداؤه في أذنه تحيّر في ما يجب أن يفعله، فلم يجد مناصاً من أن يستأذن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يتوقّف في المدينه ليله واحده لإجراء مراسيم العرس و يقيم عند عروسته ثم يلتحق بالمعسكر الإسلامى صبيحه الغد من تلك الليله.

وقد نزل في هذا الشأن - على روايه العلامه المجلسى - قوله تعالى:

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ

ص: ١٧١

يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِيُغْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ» (١).

فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢).

فبات حنظله عند عروسته تلك الليلة ودخل بها، ولما أصبح خرج من فوره وتوجه إلى «أحد» وهو جنب. ولكنّه حينما أراد أن يخرج من منزله بعثت امرأته إلى أربعة نفر من الأنصار، وأشهدت عليه أنه قد وقعها.

ف قيل لها: لم فعلت ذلك؟

قالت: رأيت هذه الليلة في نومي كأنّ السماء قد انفرجت فوق فيها حنظله، ثم انضمت، فعلمت أنّها الشهادة، فكرهت أن لا أشهد عليه.

ولما حضر حنظله القتال نظر إلى أبي سفيان على فرس يجول بين العسكر، فحمل عليه، فضرب عرقوب فرسه، فاكسعت الفرس وسقط أبو سفيان إلى الأرض، وصاح: يا معشر قريش أنا أبو سفيان، وهذا حنظله يريد قتلي، وعدا أبو سفيان، وجرى حنظله في طلبه، فعرض له رجلٌ من المشركين فطعنه، فمشى إلى ذلك المشرك فطعنه فضربه وقتله، وسقط حنظله إلى الأرض بين حمزه وعمرو بن الجموح وعبدالله بن حزام وجماعه من الأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«رَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ تَغْسِلُ حَنْظَلَةَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِمَاءِ الْمِزْنِ فِي صَحَائِفٍ مِنْ ذَهَبٍ» (٣).

ص: ١٧٢

١- .النور: ٦٢.

٢- .بحار الأنوار: ٥٧/٢٠.

٣- .لاحظ: أسد الغابه: ٥٩/٢ و ٦٠؛ بحار الأنوار: ٥٧/٢٠-٥٨ وغيرهما.

فكان يُسمّى غسيل الملائكه أو حنظله الغسيل.

وكانت الأوس تعدّ حنظله من مفاخرها فكانت تقول: «ومنا حنظله غسيل الملائكه».

وكان أبو سفيان يقول: حنظله بحنظله، ويقصد بالأوّل حنظله غسيل الملائكه وبالثاني ابنه حنظله الذي قتل يوم بدر(١).

إنّه حقّاً عجيب أمر هذين العروسين (الزوجين) فبينما كانا هما في أعلى درجات التفاني في سبيل الحقّ كان والداهما، من أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخصومه الألداء.

فبعد الله بن أبي بن سلول (والد العروس) كان رأس المنافقين في المدينة، وكان أبو عامر الفاسق والد العريس الذي كان يُسمّى في الجاهلية بالراهب معادياً أشدّ العداء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد التحق بالمشركين في مكّه، كما حرّض «هرقل» لضرب الحكومه الإسلاميه الفتيه في المدينة، ثم اشترك في معركة أحد ضدّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقاتل المسلمين قتالاً شديداً(٢).

### العسكران يصفّان

في صبيحه اليوم السابع من شهر شوال من السنه الثالثه للهجره اصطفّت قوى الإسلام أمام قوى الشرك المعتديه، وكان جيش التوحيد قد جعل ظهره إلى أحد كمانع طبيعيّ يحفظ الجيش من الخلف. وقد كان في جبل أحد ثغره كان من الممكن أن يتسلّل منها العدوّ ويباغت المسلمين من الخلف، ويوجه إليهم ضربه

ص: ١٧٣

١- . أسد الغابه: ٦٠/٢.

٢- . أسد الغابه: ٥٩/٢.

ولهذا عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى وضع جماعه من الرماه عند تلك الثغره، وأمر عليهم «عبدالله بن جبير» وقال:

«إِنصَح الخَيْلَ عَنَّا بالنبل، واحموا لنا ظُهُورَنَا، لا يأتونا من خلفنا، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه، إن كانت لنا أو علينا، فلا تفارقوا مكانكم».

ولقد أثبتت حوادث «أحد» التي وقعت في ما بعد أهميه هذه الثغره عسكرياً، فقد كانت هزيمه المسلمين بعد انتصارهم في بدايه المعركه نتيجته تجاهل الرماه لأمر النبي وإخلاء ذلك الموقع الاستراتيجي، الأمر الذي سمح للعدو بأن يباغت المسلمين في حركه التفافيه سريعه، ويحمل عليهم، ويوجه إليهم ضربه قويه!!

إنَّ أمر النبي المؤكِّد والمشدِّد للرماه بأن لا يخلوا أماكنهم في الجبل حيث الثغره المذكوره، يكشف عن معرفته الكامله بقواعد القتال وقوانين الحرب، وبما يصطلح عليه اليوم بالتكتيك العسكري.

بيد أن نبوغ القائد العسكري لا يكفي وحده لإحراز الانتصار إذا كان الجنود يعانون من عدم الانضباط، وعدم التقيد بأوامر القائد.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى الترتيبات الميدانيه، التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند استقرار جنود الإسلام في أرض المعركه بأحد، وتعيينه لمكان كل قطعه من قطعات الجيش الإسلامي إذ قال:

«وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (١).

لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليغفل في المعارك والحروب عن تقوية العنصر الروحي لدى الجنود، وما يصطلح عليه الآن بالروح المعنوية، أو المعنويات العسكرية.

ففي هذه المره أيضاً لما اصطف سبعمائه مقاتل مسلم أمام ثلاثة آلاف من المقاتلين المشركين المدججين بالسلاح، خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسلمين خطبه رفع بها من معنويات المسلمين، وذلك بعد أن نظم صفوفهم وسواها.

فلقد كتب «الواقدي» المؤرخ الإسلامي الكبير في هذا الصدد ما يلي:

جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرماه خمسين رجلاً على «عينين» عليهم «عبدالله بن جبير»، وجعل «أجيداً» خلف ظهره، واستقبل المدينة، ثم جعل صلى الله عليه وآله وسلم يمشى على رجله يسوى تلك الصفوف، ويؤى أصحابه مقاعد للقتال يقول تقدّم يا فلان، وتأخر يا فلان، حتى أنه ليرى منكب الرجل خارجاً فيؤخره، فهو يقومهم كأنما يقوم بهم القداح.

ثم قام صلى الله عليه وآله وسلم فخطب الناس فقال:

«يا أيها الناس، أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته، والتناهي عن محارمه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر ودخر لمن ذكر المدي عليه، ثم وطن نفسه له على الصبر واليقين والجد والنشاط فإن جهاد العدو شديد، شديد كربه، قليل من يصبر عليه، إلّا من عزم الله رشده، فإن الله مع من أطاعه، وإنّ الشيطان مع من عصاه، فافتتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي أمركم به، فإنني حريص على رشدكم، فإن الاختلاف والتنازع والشيطان من أمر العجز والضعف ممّا لا يحبّ الله، ولا يعطى عليه النصر ولا الظفر....»

وَإِنَّهُ قَدْ نَفَثَ فِي رُوعِ الرُّوحِ الْأَمِينِ أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ أَقْصَى رِزْقِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْءٌ وَ أَنْ أَبْطَأَ عَنْهَا...  
وَالْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَالرُّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى تَدَاعَى عَلَيْهِ سَائِرُ الْجَسَدِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ»(١).

### العدو ينظم صفوفه

نظم أبوسفیان قائد المشركين صفوف جنوده وقسمهم إلى ثلاثة أقسام:

الرماء وجعلهم في الوسط، والميمينه واستعمل عليهم خالد بن الوليد، والميسره واستعمل عليهم عكرمه بن أبي جهل. وقدم جماعه فيهم حملة الألويه والرايات.

ثم قال لأصحاب الرايات وكانوا جميعاً من بني عبدالدار: إنا إنما أتينا يوم بدر من اللواء، وإنما يؤتى القوم من قبل لوائهم، فالزموا لواءكم وحافظوا عليه، أو خلوا بيننا وبينه فإننا قوم مستميتون موتورون، نطلب ثأراً حديث العهد.

فشق هذا الكلام على «طلحه بن أبي طلحه» وكان شجاعاً، وهو أول من حمل رايه لقريش، فاندفع من فوره إلى ساحه القتال، وطلب المبارزه، متحدياً بذلك أبا سفيان.(٢)

### الإثارة النفسيه وإلهاب الحماس

قبل أن يبدأ القتال أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيفاً بيده وقال: - وهو يشير بذلك همم جنوده -.

«من يأخذ هذا السيف بحقه؟» فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم حتى قام إليه

ص: ١٧٤

١- . المغازى: ٢٢١/١-٢٢٣.

٢- . لاحظ: المغازى: ٢٢٠/١-٢٢١.



أبو دجانة الأنصاري، فقال: وما حقّه يا رسول الله؟

قال: «أن تضرب به العدو حتّى ينحنى».

قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقّه.

فأعطاه إيّاه، وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً، يختال عند الحرب إذا كانت، وكان إذا أعلم بعصابه له حمراء فاعتصب بها علّم أنّه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخرج عصابته تلك فعصّب بها رأسه، وجعل يتبختر بين الصّفين. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّها لمشيّه يبغضها الله إلّا فى هذا الموطن»<sup>(١)</sup>.

حقّاً إنّ مثل هذه الإثارة النفسية، وهذا التحريك القويّ للهمم أمرٌ ضرورىّ لجيش يقاتل دفاعاً عن الحقّ والقيم، ولا يدفعه إلى ذلك سوى العقيدة، وحب الكمال.

إنّ النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يهدف بعمله إثارة أبى دجانة وحده، بل كان صلى الله عليه وآله وسلم يهدف بذلك إثارة الآخرين، وإفهامهم بأنّ عليهم أن يبلغوا فى الشجاعه والبطوله، والجرأه والإقدام هذا المبلغ.

يقول «الزبير بن العوّام» وهو كذلك رجلٌ شجاع: وجدت فى نفسى حين سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السيف فمنعنيه، وأعطاه أبا دجانة وقلت: أنا ابن صفيّه عمّته، ومن قريش وقد قمت إليه فسألته إيّاه قبله، فأعطاه إيّاه وتركنى!

والله لأنظرنّ ما يصنع. فأتبعته فأخرج عصابه له حمراء، فعصّب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابه الموت، وهكذا كانت تقول له إذا تعصّب بها.

ص: ١٧٧

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٥٨٧/٣.

فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل

ألا أقوم الدهر في الكيول(١) أضرب بسيف الله والرّسول

فجعل لا يلقى أحداً إلّا قتله، وكان في المشركين رجلاً لا يدع لنا جريحاً إلّا ذفّف عليه، فجعل كلّ واحد منهما يدنو من صاحبه، فدعوتُ الله أن يجمع بينهما، فالتقيا، فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة، فاتّقاه بدرقته، فعضت بسيفه، وضربه أبو دجانة، فقتله، ثم رأيتُه قد حمل السيف على مفرق رأس «هند بنت عتبة» ثم عدل السيف عنها، قال الزبير: فقلت: الله ورسوله أعلم.

ثم إنَّ أبا دجانة أوضح عمله هذا فقال: رأيت إنساناً يخمش الناس خمشاً شديداً فصمدت له، فلمّا حملت عليه السيف ولول فإذا امرأه، فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أضرب به امرأه(٢).

### بداية القتال

بدأ القتال بما فعله أبو عامر الفاسق الّذى كان قد هرب من المدينة مباعداً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما أسلفنا، وكان من الأوس، وقد فرّ معه خمسة عشر رجلاً من الأوس بسبب معارضته للإسلام.

وقد تصوّر أبو عامر هذا أنّ الأوس إذا رأوا يوم أُحد تركوا نصره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلمّا التقى العسكران يومئذ نادى أبو عامر: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر.

ص: ١٧٨

١- . الكيول: آخر الصفوف في الحرب.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٣/٥٨٨-٥٨٩.

قالوا: فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق. فلما سمع رد الأوس قاتلهم قتالاً شديداً... (١).

ثم إنَّ هناك مواقف وتضحيات عظيمة قام بها رجال معدودون في معركة أُخِيدَ معروفه بين المؤرخين، أبرزها، وأجدرها بالإجلال تضحيات على عليه السلام ومواقفه الكبرى في ذلك اليوم.

فهو صاحب اللواء والرايه في هذه الموقعة الكبرى.

قال الشيخ المفيد في «الإرشاد»: تلت بديراً غزاهُ أحد فكانت رايه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد أمير المؤمنين عليه السلام فيها... فمن ذلك ما رواه يحيى بن عماره قال:

حدّثني الحسن بن موسى بن رباح مولى الانصار قال: حدّثني أبو البختری القريشي، قال: كانت رايه قريش ولواؤها جميعاً بيد قصي بن كلاب، ثم لم تزل الرايه في يد ولد عبدالمطلب يحملها منهم من حضر الحرب حتّى بعث الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصارت رايه قريش وغيرها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأقرّها في بني هاشم، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام في غزاه ودان (٢)، وهي أوّل غزاه حمل فيها رايه في الإسلام مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم لم تزل معه في المشاهد بيدر وهي البطشه الكبرى، وفي يوم أُحد وكان اللواء يومئذ في بني عبد الدار، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مصعب بن عمير فاستشهد ووقع اللواء من يده فتشوفته القبائل، فأخذته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدفعه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فجمع له يومئذ الرايه واللواء (٣).

ص: ١٧٩

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٥٨٧/٣.

٢- . ودان: موضع بين مكه والمدينه سُمّيت الغزوه به.

٣- . الارشاد: ٧٨-٧٩؛ بحار الأنوار: ٨٠/٢٠.

وقد ورد عن ابن عباس ما يؤيد ذلك فقد روى أنه قال: لعلى أربع خصال (ليس لأحد من العرب غيره) هو أول عربي وعجمي صلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف... (١).

كما عن قتاده: أن علي بن أبي طالب كان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر وفي كل مشهد (٢). ثم إنه كانت رايه قريش مع طلحه بن أبي طلحه العبدري (وكان يُدعى كبش الكتيبه) فبرز ونادى: يا محمّد تزعمون أنّكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار، ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنّه، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إلى فبرز إليه علي عليه السلام وهو يقول:

يا طلح إن كنتم كما تقول لكم خيول ولنا نصول

فأثبت لننظر أينما المقتول وأينا أولى بما تقول

فقد أتاك الأسد الصؤول

بصارم ليس به الفلول ينصره القاهر والرسول

ثم تصاولا بعض الوقت قتل بعده طلحه بضربه علي عليه السلام القاضيه.

فأخذ الرايه أخوان آخران لطلحه فخرجا لقتال علي عليه السلام على التناوب فقتلا جميعاً على يديه عليه السلام.

هذا ويستفاد من كلام لعلى عليه السلام قاله في أيام الشورى التي انعقدت بعد موت الخليفه الثاني.

ص: ١٨٠

١- . تاريخ مدينه دمشق: ٧٢/٤٢.

٢- . تاريخ مدينه دمشق: ٧٤/٤٢.

فقد قال الإمام عليه السلام فى مجلس ضم كبار الصحابه فى تلك المناسبه:

«نشدتكم بالله هل فىكم أحدٌ قتل من بنى عبد الدار تسعه مبارزه غيرى، كلُّهم يأخذ اللواء، ثم جاء صواب الحبشى مولاهم وهو يقول لا أقتل بسادتى إلّا محمداً، قد أزيد شداقه، واحمرّتا عيناه، فأثقتيموه، وحُدتم عنه، وخرجت إليه، فلما أقبل كأنه قبه مبيته فاختلفت أنا وهو ضربتين، فقطعته بنصفين وبقيت رجلاه وعجزه وفخذه قائمه على الأرض ينظر إليه المسلمون ويضحكون منه».

قالوا: اللهم لا (١).

أجل إن قريشاً كانت قد ادّخرت لحمل الرايه تسعه رجال من شجعان بنى عبد الدار وقد قتلوا جميعاً على يد الإمام على عليه السلام على التوالى فبرز غلامهم وقتل هو أيضاً (٢).

### المقاتلون بدافع الشهوه!!

من الأبيات التى كانت تتغنى بها «هند بنت عتبه» زوجه أبى سفيان ومن كان معها من النساء فى تحريض رجال قريش وحثهم على القتال وإراقه الدماء والمقاومه، ويضربن معها الدفوف والطبول، يتبين أنّ تلك الفئه لم تكن تقاتل من أجل القيم الرفيعه كالطهر والحريه، والخلق الإنسانى، بل كانت تقاتل بدافع الشهوه الجنسيه ومن أجل الوصول إلى المآرب الرخيصه.

فقد كانت الأغاني والأبيات التى ترددها تلك النساء اللائى كنّ يضربن بالدفوف خلف الرجال على نحو خاص هى:

ص: ١٨١

١- . الخصال: ٥٦٠.

٢- . وقد ذكر المجلسى قصه مصرع هؤلاء فى البحار: ٥١-٥٠/٢٠.

نحن بنات طارق نمشى على النمارق

إن تقبلوا نُعَاتِقْ أو تدبروا نفارِقْ

ولا شكَّ أنّ الفئه التي تقاتل من أجل الشهوات، ويكون دافعها إلى الحرب والقتال هو الجنس واللذّه، وبالتالي لا تهدف سوى الوصول إلى المآرب الرخيصة فإنَّ حالها تختلف إختلافاً بيّناً وكبيراً عن حال الفئه التي تقاتل من أجل هدف مقدّس كإقرار الحريه، ورفع مستوى الفكر، وتحرير البشريه من براثن الجهل وأسر الخضوع للأوثان.

ولا شكَّ أنّ لكلّ واحده من تلك الدوافع آثارها المناسبه في روح المقاتل وسلوكه.

ولهذا لم يمض زمان طويل إلّا ووضعت قريش أسلحتها على الأرض وولّت هاربه من أرض المعركه بعد أن أُصيبت بإصابات قويه بفضل صمود وتضحيات رجال مؤمنين شجعان كعلّي وحمزه وأبي دجانة والزبير و... مخلفه وراءها غنائم وأموالاً كثيره، وأحرز المسلمون بذلك انتصاراً عظيماً على عدوهم القوي في تجهيزاته، الكثير في أفراده(١).

### الهزيمه بعد الانتصار

قد يتساءل سائل: لماذا انتصر المسلمون أوّلاً؟

لقد انتصروا لأنهم كانوا يقاتلون، ولا يحدوهم في ذلك شيء حتّى لحظه الانتصار إلّا الرغبه في مرضاه الله، ونشر عقيدته التوحيد، وإزاله الموانع عن طريقها، فلم يكن لهم أى دافع مادى يشدّهم إلى نفسه.

ص: ١٨٢

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٥٨٨/٣؛ تاريخ الطبرى: ١٩٤/٢.

وقد يتساءل سائل: لماذا انهزموا أخيراً؟

لقد انهزموا لأن أهداف أكثر المسلمين ونواياهم قد تغيّرت بعد تحقيق الانتصار، فقد توجّهت أنظارهم إلى الغنائم التي تركتها قريش في أرض المعركة، وفزوا منهزمين. لقد خولط إخلاص عدد كبير من المسلمين، ونسوا على أثره أوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتعاليمه، فغفلوا عن ظروف الحرب.

وإليك فيما يأتي تفصيل الحادث:

لقد ذكرنا عند بيان الأوضاع الجغرافية لمنطقه أحد أنه كان في «جبل أحد» شِعب «ثغره» وقد كلّف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة رجالاً من الرماة بمراقبه ذلك الشِّعب، وحمايه ظهر الجيش الإسلامي، وأمر عليهم «عبدالله بن جبير»، وكان قد أمر قائدهم بأن ينضحوا الخيل ويدفعوها عن المسلمين بالنبل ويمنعوا عناصر العدو من التسلل من خلالها ولا يغادروا ذلك المكان انتصر المسلمون أو انهزموا، غلبوا أو غلبوا.

وفعل الرماة ذلك فقد كانوا في أثناء المعركة يحمون ظهور المسلمين، ويرشقون خيل المشركين بالنبل فتولّى هاربه، حتّى إذا ظفر النبي وأصحابه، وانكشف المشركون منهزمين، لا يلوون على شيء وقد تركوا على أرض المعركة غنائم وأموالاً كثيرة، وقد تبعهم بعض رجال المسلمين ممّن بايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بذل النفس في سبيل الله ومضوا يضعون السلاح فيهم حتّى أجهضوهم عن العسكر، أمّا أكثر المسلمين فقد وقعوا ينتهبون العسكر ويجمعون الغنائم تاركين ملاحقه العدو وقد أغمدوا السيوف، ونزلوا عن الخيول ظناً بأن الأمر قد انتهى.

فلما رأى الرماة المسؤولون عن مراقبه الشِّعب ذلك قالوا لأنفسهم: وَ لِمَ نَقِيمُ هُنَا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ وَقَدْ هَزَمَ اللَّهُ الْعَدُوَّ فَلْنَذْهَبْ وَنَغْنَمْ مَعَ إِخْوَانِنَا.

ص: ١٨٣

فقال لهم أميرهم (عبدالله بن جبير): ألم تعلموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لكم:

إحموا ظهورنا فلا تبرحوا مكانكم، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا إحموا ظهورنا؟

ولكنّ أكثر الرماة خالفوا أمر قائدهم هذا وقالوا: لم يرد رسول الله هذا، وقد أذلّ الله المشركين وهزمهم، فدخلوا العسكر فانتهبوا مع إخوانكم. (١)

ولهذا نزل أربعون رجلاً من الرماة من الجبل ودخلوا في عسكر المشركين ينتهبون مع غيرهم من المسلمين الأموال وقد تركوا موضعهم الاستراتيجي في الجبل، ولم يبق مع عبدالله بن جبير إلا عشره رجال!!

وهنا استغل «خالد بن الوليد» الذي كان مقاتلاً شجاعاً، قلّه الرماة في ثغره الجبل، وكان قد حاول مراراً أن يتسلّل منها ولكنه كان يقابل في كلّ مره نبال الرماة، فحمل بمن معه من الرجال على الرماة في حملة التفافية، وبعد أن قاتل من بقي عند الثغره وقتلهم بأجمعهم انحدر من الجبل وهاجم المسلمين الذين كانوا منشغلين بجمع الغنائم، وغافلين عمّا جرى فوق الجبل، ووقعوا في المسلمين ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح، ورمياً بالنبال، ورضخاً بالحجار، وهم يصيحون تقويةً لجنود المشركين. فتفرقت جموع المسلمين، وعادت فلول قريش تساعد خالداً وجماعته، وأحاطوا جميعاً بالمسلمين من الإمام والخلف، وجعل المسلمون يقاتلون حتّى قُتل منهم سبعون رجلاً.

إنّ هذه النكسه تعود إلى مخالفه الرماة لأوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحت تأثير المطامع الماديّه وتركهم ذلك المكان الاستراتيجي عسكرياً والذي اهتم به القائد

ص: ١٨٤

١- . المغازي: ٢٢٩/١.



الأعلى صلى الله عليه وآله وسلم، وأكد بشده على المحافظه عليه، ودفع أى هجوم من قبيل العدو عليه.

وبذلك فتحوا الطريق - من حيث لا يشعرون - للعدو بحيث هاجمتهم الخيل بقياده خالد بن الوليد، فدخل إلى أرض المعركه من ظهر الجيش الإسلامى، ووجه إلى المسلمين تلك الضربه النكراء!!

ولقد ساعد خالداً فى هذا «عكرمه بن أبى جهل» الذى حمل هو الآخر بمن كان معه من الرجال على المسلمين، وساد على صفوف المسلمين فى هذا الحال الهرج والمرج، وعمت فوضى لا نظير لها ساحه المعركه، ولم ير المسلمون مناصاً من أن يدافعوا عن أنفسهم متفرقين ولكن عقد القيادة لما قد انفرط بسبب هذه المباغته العسكريه لم يستطع المسلمون إحراز أى نجاح فى الدفاع، بل تحمّلوا - كما أسلفنا - خسائر كبرى فى الأرواح، وقُتِلَ عدد من المسلمين على أيدي إخوانهم من المسلمين خطأ ومن دون قصد.

ولقد صعّدت حملات خالد وعكرمه من معنويات المشركين، ونفخت فيهم روحاً جديده فعادت قواتهم الهاربه المنهزمه قبل قليل، ودخلت ساحه المعركه ثانيه، وساعدت جماعه منهم خالداً وعكرمه وحاصروا المسلمين من كل ناحيه وقُتِلَ جمع كبير من المسلمين بسبب ذلك!!(١)

### شأنه مقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وفى هذا الوقت حمل «الليثى»(٢) وكان من صناديد قريش وأبطالها على مصعب بن عمير حامل لواء الإسلام فى تلك المعركه وهو يظن أنه رسول

ص: ١٨٥

١- . لاحظ: المغازى: ٢٣٢/١-٢٣٣.

٢- . هو عبدالله بن قمنه الليثى.

اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم وتبودلت بينهما طعنات وضربات حتّى قُتِلَ «مصعب» بضربه من الليثي، وكان المسلمون يومئذ ملثمون، ثم صاح: قتلت محمّداً، أو قال: ألا قد قُتِلَ محمد، ألا قد قُتِلَ محمد. (١) فانتشر هذا الخبر في جموع المسلمين كالنار في الهشيم وعلمت قريش بذلك فسروا بذلك سروراً عظيماً، وارتفعت الأصوات في ساحه القتال تنادى: ألا قد قُتِلَ محمّد، ألا قد قُتِلَ محمّد.

ولقد زاد هذا الخبر الكاذب من جرأه العدو فتحركت جحافلُه وأفراده نحو المسلمين يسعى كلّ واحد منهم أن يقتطع من جسم رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم عضواً، وبذلك ينال فخراً في أوساط المشركين!! وبقدر ما ترك هذا الخبر الكاذب من أثر إيجابى في نفوس المشركين، ترك أثراً سيئاً جداً في نفوس المسلمين، وأضعف معنوياتهم بشدّه بحيث تخلّى عددٌ كبير من المسلمين عن القتال، ولجأوا إلى الجبل فراراً بأنفسهم، ولم يثبت إلّا عددٌ قليل لا يتجاوز أصابع اليد من الرجال. (٢)

### هل يمكن إنكار فرار بعض الصحابه من أرض المعركه؟

لا يمكن أبداً أن ينكر أحد فرار أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلّا من يعدّون بالأصابع في تلك المعركه، ولا يمنع كونهم صحابه، أو كونهم أصبحوا ذوى مكانه أو مناصب في المجتمع الإسلامى فى ما بعد، من القبول بهذه الحقيقه التاريخيه المرّه.

ص: ١٨٤

١- . لاحظ: سيره ابن هشام (السيره النبويه): ٥٩٢/٣.

٢- . لاحظ: سيره ابن هشام: ٥٩٦/٣-٥٩٧.

فهذا هو ابن هشام المؤرخ الإسلامى الكبير يكتب فى هذا الصدد قائلاً:

انتهى أنس بن النضر عمُّ أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحه بن عبيدالله فى رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم (١) فقال: ما يجلسكم؟ (أى ما يقعدكم عن القتال والمقاومه).

قالوا: قُتِلَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: فماذا تصنعون بالحياء بعده؟ قوموا فموتوا على مامات عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم عاد إلى المشركين فقاتلهم حتى قُتِلَ (٢).

أو قال - حسب روايه كثير من المؤرخين -: إن كان محمد قد قُتِلَ فَإِنَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ لَمْ يُقْتَلْ، فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وموتوا على ما مات عليه، ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك ممّا يقوله هؤلاء، وأبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء، ثم شدّ سيفه على الكفار فقاتل حتى قُتِلَ (٣).

ويروى ابن هشام عن أنس بن مالك (ابن أخ أنس بن النضر) لقد وجدنا بأنس ابن النضر يومئذ سبعين جراحه فما عرفه إلّا أخته عرفتة ببنايه (٤).

وكتب الواقدي فى مغازيه يقول:

حدّثني ابن أبي سبره عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم، واسم أبي جهم عبيد قال: كان خالد بن الوليد يُحدّث وهو بالشام يقول: الحمد لله الذى هدانى

ص: ١٨٧

١- . اى استسلموا.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٦٠٠/٣.

٣- . تاريخ الطبرى: ٢٠١/٢.

٤- . السيره النبويه لابن هشام: ٦٠٠/٣، راجع تفسير المنار: ١٠٢/٤.

للإسلام، لقد رأيتني ورأيت عمر بن الخطاب حين جالوا وانهزموا يوم أحد وما معه أحد وإني لفي كتيبه خشناء فما عرفه منهم أحد غيري فنكبتُ عنه وخشيت إن أغريت به من معي أن يصمدوا له، فنظرتُ إليه موجَّهاً إلى الشعب (١).

وقد بلغ الانهزام والضعف النفسى ببعض الصحابه فى هذه المعركة بحيث أخذ يفكر فى التبرى من الإسلام لينجو بنفسه فقال: ليت لنا رسولاً إلى عبدالله بن أبي فيأخذ لنا أماناً من أبي سفيان!! (٢).

### القرآن يكشف عن بعض الحقائق

إن الآيات القرآنية تمزق كلَّ حجب الجهل والتعصب التي أسدلت على هذه المسألة، وتفيد بوضوح أن طائفه من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعتقدوا بأن ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الظفر، والنصر لا أساس له من الصحة، فإن الله تعالى يقول فى هذا الصدد:

«وَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ» (٣).

وفى إمكانك أيها القارئ الكريم أن تحصل على الحقائق المكتومه فى هذا المجال بالتمعن فى آيات من سوره آل عمران (٤).

فهذه الآيات تكشف بصوره كامله عن عقيدته الشيعة حول أصحاب رسول

ص: ١٨٨

١- المغازى: ٢٣٧/١.

٢- بحار الأنوار: ٢٧/٢٠؛ تاريخ الطبرى: ٢٠١/٢؛ البدايه والنهايه: ٢٦/٤.

٣- آل عمران: ١٥٤.

٤- الآيات: ١٢١-١٨٠.

اللّٰه صلي الله عليه وآله وسلم.

فإنّ الشيعة تعتقد بأنّه لم يكن جميع صحابه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أوفياء، لعقيدة التوحيد، متفانين في سبيله، بل كان منهم الضعيف في إيمانهم والمنافق، والمتردّد، ومع ذلك لم يكن المؤمنون الأتقياء والصالحون الأبرار قلّه أيضاً.

ومن العجيب والمؤسف أن يسعى بعض الكُتّاب من أهل السنّه اليوم إلى التغطية على كثيرٍ من المواقف والأعمال المشينه التي بدرت من بعض الصحابه كالذي مرّ عليك في معركة أحد، ويحاول تجاوزها بنوع من التبرير البعيد عن روح الحقيقه كمحاوله للمحافظه على شأن جميع الصحابه، و مكانتهم على حين أن هذه التبريرات الفجّه، وهذا التعصّب اللامنطقي لا يمكنهما أن تمنع من رؤيه الحقيقه كما هي.

فأى كاتب يستطيع إنكار مفاد هذه الآيه التي تصرّح قائله:

«إِذْ تُضْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ» (١).

إنّ هذه الآيه تقصد أولئك المذنبين رأهم أنس بن النضر، ومن شابههم من الذين تركوا ساحه المعركه، ولجأوا إلى الجبل، وجلسوا يفكّرون في نجاه أنفسهم!!

والأوضح من الآيه السابقه قول الله تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ» (٢).

إن الله تعالى يعاتب ويوبّخ الذين تذرّعوا - لفرارهم من المعركه - بنبأ مقتل

ص: ١٨٩

١- آل عمران: ١٥٣.

٢- آل عمران: ١٥٥.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على يد العدو، وراحوا يفكرون في الحصول على أمان من أبي سفيان بواسطة عبد الله بن أبي إذ يقول:

«وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» (١).

## التجارب المره

إن في أحداث معركة «أحد» ووقائعها تجارب مره وأخرى حلوه، فهذه الحوادث والوقائع تثبت بجلاء صمود واستقامه جماعه، وضعف وهزيمه آخرين.

كما أنه يستفاد من ملاحظه الحوادث التاريخيه أنه لا يمكن اعتبار جميع المسلمين الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتقياء عدولاً بحجّه أنهم صحبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأنّ الذين أخلوا مراكزهم على الجبل، يوم أحد وعصوا أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تلك اللحظات الخطيره، وجروا بفعلهم على المسلمين تلك المحنه الكبرى، كانوا أيضاً ممن صحبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول المؤرخ الإسلامى الكبير الواقدى فى هذا الصدد: «بايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد ثمانيه على الموت: ثلاثه من المهاجرين وخمسه من الأنصار:

على وطلحه والزبير، وأبودجانة والحارث بن الصّمه وحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف، فلم يقتل منهم أحد» (٢).

وكتب العلامه ابن أبى الحديد المعتزلى أيضاً: حضرت عند محمد بن معد

ص: ١٩٠

١- آل عمران: ١٤٤.

٢- المغازى: ٢٤٠/٢.

العلوى الموسوى الفقيه على رأى الشيعة الإماميه رحمه الله فى داره بدرج الدواب ببغداد فى سنه ٦٠٨ هجرىه، وقارئ يقرأ عنده مغازى الواقدى، فقرأ: حدّثنا الواقدى عن ابن أبى سبره، عن خالد بن رباح، عن أبى سفيان مولى ابن أبى أحمد، عن محمد بن مسلمه يقول: سمعت أذناى، وأبصرت عيناى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم أحد، وقد انكشف الناس إلى الجبل، وهو يدعوهم وهم لا يلوون عليه، سمعته يقول:

«إلّى يا فلان، إلّى يا فلان أنا رسول الله».

فما عزّج عليه واحد منهما، ومضيا!! فأشار ابن معد إلّى أن إسمع.

فقلت: وما فى هذا؟ قال: هذه كناية عنهما (أى اللذين تسّمنا مسند الخلافه بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم).

فقلت: ويجوز أن لا يكون عنهما لعلّه عن غيرهما.

قال: ليس فى الصحابه من يُحتشم ويستحيا من ذكره بالفرار، وما شاببه من العيب، فيضطرّ القائل إلى الكنايه إلّاهما.

قلت له: هذا وهّم.

فقال: دعنا من جدلك ومنعك، ثم حلف أنّه ما عنى الواقدى غيرهما، وأنّه لو كان غيرهما لذكرهما صريحا (١).

كما أنّ العلامه ابن أبى الحديد ذكر فى شرحه لنهج البلاغه أيضاً اتفاق الرواه كافّه على أنّ عثمان لم يثبت فى تلك اللحظات الحساسه يوم أحد (٢).

وستقرأ فى الصفحات القادمه ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن امرأه مجاهدٍ

ص: ١٩١

١- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٢٣/١٥-٢٤.

٢- شرح نهج البلاغه: ٢٠/١٥. ولاحظ: المغازى: ٢٧٨/١ و ٢٧٩.

متفانيه فى سبيل الرساله الإسلاميه تدعى «نسيه المازنيه» دافعت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحد.

فقد لَمَح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى كلامه عنها وعن موقفها العظيم يومذاك، إلى ما يقلل من شأن الذين فزوا من المعركه.

نحن لا نريد هنا الإساءه إلى أى واحد من صحابه النبى صلى الله عليه وآله وسلم، بل غايه ما نتوخاه هو الكشف عن الحقيقه، وإماطه اللثام عن الواقع، فبقدر ما نستنكر، ونقبّح فرار من فزّ، نكبر صمود من صمد وثبات من ثبت ممّن سنأتى على ذكرهم فى الصفحات القادمه، وهذا هو ما تمليه علينا روح التحليل الصادق أو تقتضيه أمانه النقل، وما يُسمّى بالأمانه التاريخيه على الأقل.

### خمسه يتحالفون على قتل النبى صلى الله عليه وآله وسلم

فى تلك اللحظات التى تشتت فيها جيش المسلمين، وانفرط عقده، وفى الوقت الذى تركّزت فيه حملات المشركين من كلّ ناحيه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعاهد خمسه أنفارٍ من صناديد قريش المعروفين أن يضعوا نهايه لحياه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ويقضوا عليها مهما كلفهم من الثمن.

وهؤلاء هم:

١. عبدالله بن شهاب الذى جرح جبهه النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

٢. عتب بن أبى وقاص الذى رمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأربعة أحجار فكسر رُباعيته صلى الله عليه وآله وسلم، وأشظى باطنها، من الجبهه اليمنى.

٣. ابن قميئه الليثى الذى رمى وجنتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجرحهما بحيث غاب حلق المغفر فى وجنته صلى الله عليه وآله وسلم، فأخرجها أبو عبيده الجراح بأسنانه فكسرت



٤. عبد الله بن حميد الذي قُتِلَ على يد بطل الإسلام أبي دجانة وهو يحمل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٥. أبي بن خلف وكان من الذين قُتِلوا بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه. (١)

فهو واجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما وصل صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشعب، وقد عرفه بعض أصحابه وأحاطوا به، فجعل يصيح بأعلى صوته: يا محمد لا نجوتُ إن نجوتُ، وحمل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحربه من «الحارث بن الصمّه»، ثم انتفض انتفاضةً شديدةً وطعن «أبياً» بالحربة في عنقه، وهو على فرسه، فجعل أبى يخور كما يخور الثور!

ومع أن ما أصاب أبيتاً من جراحه كان يبدو بسيطاً، إلا أنه تملكه رعبٌ وخوفٌ شديدان، إذ لم ينفعه معهما تطمينات رفاقه، ولم يذهب عنه الروع بكلامهم، وكان يقول: واللات والعزى لو كان الذي بى بأهل ذى المجاز (٢) لماتوا أجمعون.

أليس قال: (أى النبي يوم كان بمكة) أنا أقتلك إن شاء الله، قتلتى والله محمداً!!

وقد فعلت الطعنه، وكذا خوفه فعلتهما فمات فى منطقه تدعى سرف (وهو موضع على ستة أميال من مكة) فيما كانت قريش قافلته من أحد إلى مكة (٣).

ص: ١٩٣

١- لاحظ: المغازى: ٢٤٣/١.

٢- كان ذوالمجاز سوقاً من أسواق العرب وهو عن يمين الموقف بعرفه قريباً من كيبك (معجم ما استعجم على ما فى حواشى المغازى: ٥٠٨).

٣- لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٦٠٢/٣-٦٠٣؛ المغازى: ٢٥١/١.

حقاً إنّ هذا ينمُّ عن منتهى الدناءة والخسة في خُلُق قريش وموقفها، فمع أنّها كانت تعرف صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعترف به، وتنكر أنّ يكون قد صَدَرَ منه كِذْبٌ في قول، أو خُلْفٌ في وعد، كانت تعاديه أشدَّ العداة، وتمدَّ نحوه يدُ العدوان، وتبغى مصرعه، وتسعى إلى إراقه دمه!!

كما أنّ من جهه أُخرى يدلُّ على شجاعه رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم وبطولته ومقدرته الروحيه الكبرى، من ناحيه أُخرى، وثباته في عمله من ناحيه ثالثة.

أجل لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدافع عن رسالته السماويه، وعن حياض عقيدته التوحيديه العظمى، ويصمد لأعدائه صمودَ الجبال الرواسخ مع أنّه ربما دنا من الموت وكان منه قاب قوسين أو أدنى.

ومع أنّه كان صلى الله عليه وآله وسلم يرى أنّ كلّ همّ المشركين وكلّ حملاتهم موجّهه نحوه بشخصه، إلّا أنّه لم يشهد أحد منه أى قول أو فعل يشعر بتوجّسه واضطرابه، ولقد صرّح المؤرّخون بهذا الأمر فقد كتب المقرئى: ونادى المشركون بشعارهم [يا للجزى، يالهُيَل] فأوقعوا فى المسلمين قتلاً ذريعاً، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما نالوا. ولم يزل [يتراجع] صلى الله عليه وآله وسلم شبراً واحداً بل وقف فى وجه العدو، وأصحابه تثوب إليه مرّه منهم طائفه وتفرّق عنه مرّه، وهو يرمى عن قوسه أو بحجر حتّى تحاجزوا(١).

نعم غايه ما سمع منه صلى الله عليه وآله وسلم هو ما قاله عندما كان يمسح الدم عن وجهه المبارك إذ قال:

«كَيْفَ يَفْلُحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟!»(٢).

ص: ١٩٤

١- . إمتاع الأسماع: ١٤٨/١.

٢- . بحار الأنوار: ١٠٢/٢٠.

إن هذه العبارة الخالده تكشف عن عمق رحمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعاطفته حتى بالنسبه إلى أعدائه الألداء.

بينما تكشف كلمه قالها على عليه السلام عن شجاعته صلى الله عليه وآله وسلم الفائقه إذ قال:

«كُنَّا إِذَا اخْمَرَ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَيَّ الْعَدُوِّ مِنْهُ» (١).

من هنا فإن سلامه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في الحروب تعود في أكثر أسبابها إلى حسن دفاعه عن دينه، وعن نفسه، وإلى شجاعته في المعارك.

ولقد كانت ثمه علل وأسباب صانت هي الأخرى حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أن يلحقها خطر أو ضرر، ألا وهو تضحيه وتفاني تلك القلله القليله من أصحابه الأوفياء الذين بذلوا غايه جهدهم للحفاظ على حياه رسول الإسلام العظيم صلى الله عليه وآله وسلم، وبذلك أبقوا على هذا المشعل الوقاد، وهذا السراج المنير.

لقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد قتالاً شديداً، فرمى بالنبل حتى فنى نبله، وانكسرت سيه قوسه، وانقطع وتره (٢).

على أن الذين دافعوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد (٣)، وحتى هذه القلله القليله المدافعه فإن ثباتهم معه جميعاً غير مقطوع به من منظار علم التاريخ، ومن زاويه التحقيق التاريخي.

نعم ما هو متفق عليه بين المؤرخين، وأرباب السير هو ثبات أفراد قلائل نعمد هنا إلى ذكر أسمائهم ومواقفهم بشيء من التفصيل.

ص: ١٩٥

١- نهج البلاغه: ٥٢٠، فصل في غريب كلامه برقم ٩.

٢- الكامل في التاريخ: ١٥٧/٢.

٣- لاحظ: شرح نهج البلاغه: ١٩/١٥-٢١.

لو أننا أسمينا هذه المرحلة من تاريخ الإسلام بمرحلة النصر المجدد لما قلنا جزافاً، فإن المقصود من هذا الانتصار هو أن المسلمين استطاعوا - وخلافاً لتوقعات العدو الحاقد - أن يصونوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خطر الموت الذي كاد أن يكون محققاً، وهذا هو انتصار مجدد أصابه جند الإسلام.

أما إذا عزونا هذا الانتصار إلى جيش الإسلام برمته فإن ذلك إنما هو لأجل تعظيم مقام المجاهدين المسلمين، وإلا فإن ثقل هذا الانتصار العظيم وقع على عاتق عدد محدود جداً من رجال الإسلام الذين صانوا حياة الرسول الأكرم عن طريق المخاطرة بحياتهم، وتعرضها للخطر الجدى.

وفي الحقيقة فإن بقاء الدولة الإسلامية وبقاء جذوه هذا الدين المبارك مشتعلَةٌ إنما هو نتيجة تضحيات تلكم القلة القليلة المتفانية في سبيل الله ورسوله.

وإليك فيما يلي استعراضاً إجمالياً لتضحيات أولئك الرجال المتفانين في سبيل العقيدة والدين:

١. إن أول وأبرز الرجال الصامدين الثابتين على طريق الجهاد والتضحية في هذه الواقعة هو شاب بطل لم يتجاوز ريعه السادس والعشرين من عمره... هو الهذلي رافق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سنن صغره وبدايات حياته وحتى لحظه وفاه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

إن بطل الإسلام الأكرم وإن ذلك الفدائي الواقعي هو الإمام «علي بن أبي طالب» عليه السلام الهذلي تحفظ ذكره التاريخ الإسلامي عنه الكثير الكثير من مواقف التضحية والفداء في سبيل نشر الإسلام والدفاع عن حوزة التوحيد، وإرساء

وفى الأساس أنّ هذا الانتصار المجدّد - على غرار الانتصار الأول - إنّما جاء نتيجةً لبساله وبطوله هذا المجاهد المتفانى فى سبيل الإسلام؛ ذلك لأنّ السبب الجوهرى فى هزيمه قريش وفرارها فى بدايه المعركه كان هو سقوط لوائها بعد مقتل كلّ حَمَلَه اللّواء على يد الإمام على عليه السلام، وبالتالي نتيجته للربح الذى ألقى فى قلوبهم لَمَّا رأوا من تساقط صناديدهم الواحد تلو الآخر، الأمر الذى سلبهم قدره على المقاومه.

إنّ الكُتّاب المصريين المعاصرين الذين تناولوا حوادث التاريخ الإسلامى بالتحليل والدراسه، لم يعطوا علياً عليه السلام - وللأسف - حَقّه فى هذه الموقعه، أو على الأقل لم يذكروا ما اتفق عليه المؤرّخون، وتطابقت فى إثباته التواريخ، بل جعلوا تضحيات الإمام على عليه السلام ومواقفه الشجاعه والعملاقه فى عداد مواقف الآخرين، وفى مستواها.

من هنا ينبغى أن نسلط بعض الضوء على تضحيات ذلك الفدائى الواقعى، وذلك البطل الشجاع الذى شهدت له ساحات الوغى مواقف لا نظير لها فى العظمه، والسمو.

أ. يقول ابن الأثير فى تاريخه(١): كان الذى قتل أصحاب اللّواء على - قاله أبو رافع -، (قال:) فلَمَّا قتلهم أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جماعه من المشركين فقال لعلى:

إحمل عليهم، (فحمل عليهم) ففرّقهم، وقتل فيهم، ثم أبصر جماعه أُخرى فقال له:

احمل عليهم، فحمل عليهم وفرّقهم وقتل فيهم، فقال جبرئيل: يا رسول الله هذه المواساه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّهُ منى وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما قال:

ص: ١٩٧

فسمعوا صوتاً: «لا سَيْفَ إِلَّا ذوالفقار ولا فتى إِلَّا على» (١).

وقد شرح ابن أبي الحديد هذه القضية بتفصيل أكثر إذ كتب في شرحه لنهج البلاغه يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يَأْفِرْ معظم أصحابه عنه يوم أُحُدْ كثرت عليه كتائبُ المشركين، وقصدته كتيبه من بنى كنانة، ثم من بنى عبد مناه بن كنانة، فيها بنو سفيان بن عوف، وهم: خالد بن ثعلب وأبو الشعثاء بن سفيان وأبو الحمراء بن سفيان وجراب بن سفيان، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا على اكفني هذه الكتيبه، فحمل عليها وإنها لتقارب خمسين فارساً وهو (أى على عليه السلام) راجلٌ، فما زال يضربها بالسيف حتى تتفَرَّقَ عنه، ثم تجتمع عليه هكذا مراراً حتى قتل بنى سفيان بن عوف الأربعة وتمام العشره منها ممّن لا تعرف أسماءهم.

ثم نقل ما قاله جبرئيل، ثم كتب يقول: قلت وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين وهو من الأخبار المشهوره ووقفت عليه فى بعض نسخ مغازى محمد ابن إسحاق ورأيت بعضها خالياً عنه، وسألت شيخى عبد الوهاب بن سكينه عن هذا الخبر، فقال: خبرٌ صحيحٌ.

فقلت: فما بال الصحاح (أى مثل صحيح البخارى ومسلم وما شاكلهما) لم تشتمل عليه؟

قال: أو كل ما كان صحيحاً تشتمل عليه كتب الصحاح؟ كم قد أهمل جامعو الصحاح من الأخبار الصحيحه؟! (٢).

ب. ولقد أشار الإمام على عليه السلام نفسه فى كلام مفصّل له مع رأس اليهود إلى

ص: ١٩٨

١- . لاحظ: تاريخ الطبرى: ١٩٧/٢؛ ميزان الاعتدال: ٣٢٤/٣؛ لسان الميزان: ٤٠٦/٤.

٢- . شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٢٥٠/١٤-٢٥١.

هذا الموقف إذ قال:

«ذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَسْكَرَ بِأَصْحَابِهِ فِي سِدِّ أَحَدٍ وَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ إِلَيْنَا فَحَمَلُوا عَلَيْنَا حَمْلَهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ وَاسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ اسْتَشْهَدَ، وَكَانَ مَمَّنْ بَقِيَ مِنَ الْهَزِيمَةِ، وَبَقِيََتْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَضَى الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ إِلَى مَنْزِلِهِمْ مِنَ الْمَدِينَةِ كُلِّ يَقُولُ: قَتَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَتَلَ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ ضَرَبَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ وَجْهَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ جَرَحَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نِيفًا وَسَبْعِينَ جِرَاحَهُ، مِنْهَا هَذِهِ، وَهَذِهِ».

ثم إنَّه عليه السلام ألقى رداءه، وأمرَّ يده على جراحاته، وقال:

«وَكَانَ مِنِّي فِي ذَلِكَ مَا عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ثَوَابُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

وقد بلغ عليُّ عليه السلام - حسب روايه علل الشرائع - من كثره ضربه لطوائف المشركين الذين كانوا يحملون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحد، ان انكسر سيفُهُ، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا رسول الله إنَّ الرجل يقاتل بسلاحه وقد انكسر سيفي، فأعطاه عليه السلام سيفَه ذا الفقار، فما زال يدفع به عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال جبرئيل في حقِّه وفي سيفه ما مرَّ<sup>(٢)</sup>.

وقد أشار ابن هشام في سيرته إلى العبارة التي نادى بها جبرئيل إذ قال:

وحدَّثني بعض أهل العلم إنَّ ابن أبي نجیح قال: نادى مناد يوم أُحد: لا سيفَ إلَّا ذو الفقار ولا فتى إلَّا عليُّ<sup>(٣)</sup>.

ص: ١٩٩

١- . الخصال: ٣٦٨.

٢- . علل الشرائع: ٧/١؛ بحار الأنوار: ٧١/٢٠.

٣- . السير النبويه لابن هشام: ٦١٥/٣.

كما عد ابن هشام في سيرته (١) القتلى من المشركين في أحد (٢٢) رجلاً، وقد ذكر أسماءهم واحداً واحداً وذكر قبائلهم، وغير ذلك من خصوصياتهم، وقد قُتل منهم (١٢) رجلاً بيد علي عليه السلام، وقتل البقية بأيدي المسلمين، ونحن نعرض هنا عن ذكر أسماء أولئك المقتولين رعايه للاختصار. هذا ونحن نعتزف بأننا لم نستطع بيان كل ما قام به علي عليه السلام من خدمات كبرى في هذه الصفحات القلائل على نحو ما جاء في كتب الفريقين السنّه والشيعه وبخاصّه في موسوعه بحار الأنوار.

إنّ ما نستفيده من مطالعه الروايات والأخبار الثابته والمتعدّده في هذا المجال هو أنّه لم يثبت أحد في معركة «أحد» كما ثبت على عليه السلام (٢).

٢. أبو دُجانة، وهو البطلُ المسلم الثاني بعد الإمام علي عليه السلام في الصمود، والتضحيه، والبساله والفداء دفاعاً عن حياه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد بلغ من حرصه على حياه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودفاعه عنه أن جعل من نفسه ترساً يقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سيوف الكفّار ورماحهم، وسهامهم وأحجارهم، وقد وقعت سهام كثيره في ظهره ولكنّه ظلّ مترساً بجسمه دون النبي، وبذلك حافظ علي حياته الشريفه (٣). وقد جاء أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له يوم «أحد» بعد أن فرّ وانهمز أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحاصره الكفّار من كلّ جانب: «يا أبا دجانة انصرف وأنت في حلٍّ من بيعتك، أمّا عليٌّ فهو أنا وأنا هو».

ص: ٢٠٠

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٦٣٩/٣.

٢- . لاحظ: بحار الأنوار: ٨٤/٢٠.

٣- . السيره النبويه لابن هشام: ٦٠٠/٣.



فتحول وجلس بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبكى وقال: لا والله، ورفع رأسه إلى السماء وقال:

لا والله، لاجعلت نفسي في حلٍّ من بيعتي إني بايعتك، فإلى من أنصرف يا رسول الله إلى زوجة تموت، أو ولد يموت، أو دارٍ تخرب، و مالٍ يفنى، و أجلٍ قد اقترب؟

فرق له النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يزل يقاتل حتى أثختته الجراحه وهو في وجهه و «عليّ» في وجهه، فلمّا سقط احتمله عليّ عليه السلام فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوضعه عنده، فقال: يا رسول الله أوفيت ببيعتي؟ قال: نعم (١).

وقد ذكر في كتب التاريخ أشخاص آخرون كعاصم بن ثابت، وسهل بن حنيف، وطلحة بن عبيدالله، وغيرهم ممن يبلغ - حسب بعض الكتب - ٣٦ شخصاً ادعى أنهم ثبتوا ولم يفروا، إلّا أنّ ما هو مسلم به تاريخياً هو ثبات علي عليه السلام وأبي دجانة، وحمزه وامرأه تُدعى أمّ عامر، وأمّا ثبات غير هؤلاء الأربعة فأمرٌ مظنون، بل ومشكوكٌ في بعضهم.

٣. حمزة بن عبدالمطلب، عمُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان من شجعان العرب ومن المعروفين بطولاته في الإسلام، وهو الذي أصرّ على أن يخرج المسلمون من المدينة ويقاتلوا قريشاً خارجها.

ولقد دأب حمزه على حمايه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أذى المشركين والوثنيين في اللحظات الخطيره، والظروف القاسيه من بدء الدعوه المحمديه بمكّه.

وقد ردّ عليّ أبي جهل الذي كان قد آذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشده، وضربه

ص: ٢٠١

---

١- . بحار الأنوار: ١٠٧/٢٠-١٠٨، عن روضه الكافي: ٣١٨/٨-٣٢٢.

ضربه شجَّ بها رأسه في جمع من قاده قريش ولم يجرأ أحد على مقابله.

لقد كان حمزه مسلماً مجاهداً وبطلاً فداًئياً متفانياً في سبيل الإسلام، فهو المذى قتل «شيبه» وشيبه من كبار صناديد قريش وأبطالها، في بدر كما قتل آخرين، ولم يهدف إلانصره الحق، والفضيله، وإقرار الحريه في حياه الشعوب والأمم.

ولقد كانت هند بنت عتبّه زوجة أبي سفيان تحقد عليه أشدّ الحقد، وقد عزمت على أن تنتقم من المسلمين لأبيها مهما كلف الثمن.

فأمّرت «وحشياً» وهو غلامٌ حبشى لجبير بن مطعم المذى قُتل هو الآخر عمّه في بدر بأن يحقّق غرضها، وأملها كيفما استطاع، وقالت له: لئن قتلت محمداً أو علياً أو حمزه لأعطينك رضاك.

فقال وحشى لها: أمّا محمد فلا أقدرُ عليه، وأمّا عليٌّ فرأيتُه رجلاً حذراً كثير الالتفات فلم أطمع فيه، فكمنت لحمزه فرأيتُه يهدّ الناس هدداً....(١)

يقول وحشى: فلَمّا التقى الناس (يوم أحد) خرجت أنظر حمزه وأبصّره، حتى رأيتُه في عرض الناس مثل الجمل الأورق، يهدّ الناس بسيفه هدداً ما يقوم له شيء... وهزرتُ حربتي - وكان ماهراً في رمي الحراب - حتّى إذا رضيتُ منها، دفعتها عليه، فوَقعتُ في ثنته (وهي أسفل البطن) حتّى خرجت من بين رجله، وذهب لينوء نحوى، فغلب، وتركته وإياها حتّى مات، ثم أتيتُه فأخذت حربتي ثم رجعتُ إلى العسكر، فقعدتُ فيه، ولم يكن لى بغيره حاجه، وإنما قتلته لأعتق.

فلَمّا قدمتُ إلى مكّه أعتقت، ثم أقمّتُ حتّى إذا فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكّه

ص: ٢٠٢

١- . بحار الأنوار: ٥٥/٢٠. وفي روايه أخرى: وأمّا حمزه فإني أطمع فيه، لأنّه إذا غضب لم يبصر بين يديه. لاحظ بحار الأنوار:

٨٣/٢٠.

هربت إلى الطائف فمكثت بها. فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لئيسلموا تعيت على المذاهب، فقلت: ألحق بالشام أو باليمن، أو ببعض البلاد، فوالله إننى لفى ذلك من همى إذ قال لى رجل: ويحك إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دَخَلَ فى دينه، وتشهد شهادته.

فلما قال لى ذلك، خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة، فلم يرعه إلبابى قائماً على رأسه أتشهد بشهادة الحق، فلما رآنى قال: أو حشى؟! قلت:

نعم يا رسول الله.

قال: اقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة؟ فحدثته... فلما فرغت من حديثى قال: ويحك! غيب عنى وجهك فلا أرينك. (١)

أجل هذه هى الروح النبوية الكبرى، وتلك هى سعة الصدر التى وهبها الله تعالى لنبىه صلى الله عليه وآله وسلم قائد الإسلام الأعلى، ومعلم البشرية الأكبر، تراه عفا عن قاتل عمه، مع أنه كان فى مقدوره أن يعدمه بمائه حجه وحجه!!

يقول وحشى: فكننت أنتكُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان لئلا يرانى، حتى قبضه الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلم.

فلما خرج المسلمون إلى قتال مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم، وأخذت حربتى التى قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة الكذاب قائماً فى يده السيف، وما أعرفه، فتهيات له، وتهيات له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى، كلانا يريدُه، فهزرت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، ف وقعت فيه، وشد عليه الأنصارى ف ضربته بالسيف. (٢)

ص: ٢٠٣

١- . سيره ابن هشام: ٥٩١/٣-٥٩٢.

٢- . سيره ابن هشام: ٥٩٢/٣.

هذا هو ما ادّعاه وحشى، بيد أنّ هشاماً قال فى سيرته: فبلغنى أنّ وحشياً لم يزل يُحدّ فى الخمر حتّى خُلِعَ من الديوان فكان عمر بن الخطاب يقول: قد علمتُ أنّ الله تعالى لم يكن ليدعَ قاتل حمزه. (١)

٤. أمّ عماره لا ريب أنّ الجهاد الابتدائى مرفوع عن المرأة ساقط عنها فى نظر الإسلام، ولهذا عندما أوفدت نساء المدينة امرأه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتتحدّث معه حول الحرمان من هذه العباده الكبرى، فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالت: يا رسول الله نحن نقوم بكلّ ما يحتاج إليه الرجال فى حياتهم، ليجاهدوا ببال فارغ، فلمَ حُرِمنا نحن من هذه الفضيله؟! هذه الفضيله؟!!

فأجابها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: «افهمى أيتها المرأة وأعلمى من خلفك من النساء أنّ حسن تبّعيل المرأة لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعه موافقته يعدل ذلك كله» (٢)، وهو صلى الله عليه وآله وسلم يشير إلى أنّ لهذا المنع أسبابه الطبيعىة والوظيفيه فى طبيعه المرأة وخلقتها، وليس هو بالتالى يعنى حرمانها من شىء فإنّ قيامها على الوجه الصحيح بخدمه زوجها وتربيته أولادها تعدل الجهاد فى سبيل الله.

بيد أنّ بعض النسوة المجزّبات ربما كنّ يخرجن من المدينة لمساعدته جنود الإسلام كسقى العطاشى، وغسل ثياب المقاتلين، وتضميد الجرحى. وبذلك كنّ يقدمن خدمه مؤثّره فى نصره المسلمين ودعمهم.

تقول أمّ عماره (نسيبه المازنيه): خرجت أوّل النهار إلى «أحد» وأنا أنظرُ ما يصنع الناس، ومعى سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو فى الصحابه،

ص: ٢٠٤

١- . سيره ابن هشام: ٥٩٢/٣.

٢- . لاحظ: أسد الغابه: ٣٩٨/٥-٣٩٩ فى ترجمه أسماء بنت يزيد الأنصاريه..

فلما انهزم المسلمون انحزْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعلت أباشرُ القتال وأذبتُ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسيف، وأرمى بالقوس حتى خلصت إلى الجراح.

(تقول راويه هذا الكلام أم سعد بنت سعد بن الربيع) فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور، فقلت: يا أم عماره من أصابك بهذا؟.

قالت: أقبل ابن قميئه وقد ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يصيح: دلوني على محمد، لا نجوتُ إن نجا. فاعترض له مصعبُ بن عمير وناس معه، فكنت فيهم فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان. (1)

وقال عبد الله بن زيد المازني: جرحت جرحاً في عضدي اليسرى، ضربني رجل كأنه الرقل ولم يعرج علي، ومضى عني، وجعل الدم لا يرقأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أعصب جرحك، فتقبل أمي إلي، ومعها عصائب في حقويها قد أعدتها للجراح، فربطت جرحي والنبى صلى الله عليه وآله وسلم واقف ينظر، ثم قالت: إنهض يا بني فضارب القوم، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«ومن يطيق ما تطيقين يا أم عماره».

قالت: وأقبل الرجل الذي ضربني، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هذا ضارب ابنك، فاعترضت أمي له، فضربت ساقه، فبرك، فرأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم تبسم حتى بدت نواجذه، ثم قال: «استقدت يا أم عماره». ثم أقبلنا نعلوه بالسلاح حتى أتينا على نفسه، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «الحمد لله الذى ظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك تارك

وعندما نادى منادى النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى حمراء الأسد، بعد معركة أُحُد، وطلب من الجرحى أن يخرجوا لملاحقه جيش المشركين، شدت عليها ثيابها وقد كان بها جراح عديده أعظمها الجرح الذى على عاتقها فما استطاعت بسبب نزف الدم، فأرادت أن تخرج مع العسكر منعها جراحها الباهضه من ذلك، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غزوه حمراء الأسد ما وصل إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازنى يسأل عنها فرجع إليه يخبره بسلامتها، فسير النبى بذلك. (٢).

ولقد أثار موقف هذه المرأة البطله الثابته على درب الإيمان سرور النبى وإعجابه فقال فى حقها مشيداً بموقفها البطولى ومعرضاً بفرار من فرّ وهروب من هرب فى معركة أحد: «لمقام نسيه بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان».

وقال ابن أبى الحديد معلقاً على عباره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لمقام نسيه اليوم خير من مقام فلان وفلان» قلت: ليت الراوى لم يكن هذا الكنايه، وكان يذكر من هما بأسمائهما حتى لا تترامى الظنون إلى أمور مشتبهه، ومن أمانه المحدث أن يذكر الحديث على وجهه ولا يكتم منه شيئاً، فما باله كتم اسم هذين الرجلين (٣).

ولكننا نعتقد أن الرجلين هما من الشخصيات التى تسنمت مراكز القيادة العليا بعد وفاه رسول الله عليه السلام، وقد أحجم الراوى عن التصريح باسميهما إما احتراماً أو تقيه وخوفاً.

١- شرح نهج البلاغه: ٢٦٧/١٤؛ المغازى: ٢٧٠/١-٢٧١.

٢- المغازى: ٢٧٠/١.

٣- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٢٦٦/١٤.

وكانت نسيبه قد طلبت من النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحُد بعد أن أشاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصلابتها ومواقفها أن يدعو لها بمرافقته في الجنة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم داعياً لها ولأهل بيتها:

اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة. (١)

### بقية أحداث واقعه «أحد»

لقد آلت تضحيات ثلّة قليلة ومعدوده من رجال الإسلام المتفانين وبسالتهم إلى الإبقاء على حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحفظها من الخطر القطعي الحتمي.

ومن حسن الحظ أن أكثر أفراد العدو قد تصوّروا يومئذ أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قُتل، ومضوا يفتشون عن جسده بين القتلى، ودفعت الحملات التي كان يقوم بها أقلية من المشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد رُدت على أعقابها بفضل ثبات علي عليه السلام وأبي دجانة وأنفاري آخرين (احتمالاً) وقد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّ من الصالح في تلك اللحظات أن لا ينتشر تكذيب شائعه مقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكي لا يصرّ العدو على البقاء في أرض المعركة مع ما كان عليه المسلمون من التشّت والتفرّق، والمحنه، ومن هنا صعد هو وبعض أصحابه إلى الشعب في جبل أُحُد.

وفي خلال ذلك سقط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حفيره في الجبل حفرها أبو عمّار الفاسق للمسلمين، فأخذ على عليه السلام بيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخرجه منها، وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المسلمين - بعد الهزيمة، وقول الناس: قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم -، «كعب بن مالك» وقال: عرفت عينيه صلى الله عليه وآله وسلم تزهرا من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأشار إليه

ص: ٢٠٧

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أنصت. (١)

وذلك لأن انتشار خبر سلامه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان من شأنه أن يدفع المشركين - كما قلنا - إلى مواصلة حملاتهم على المسلمين، بهدف استئصال شأفتهم، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كعباً بالسكوت، فسكت كعب.

وأخيراً وصل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى فم الشعب، ولما عرف المسلمون بحياته صلى الله عليه وآله وسلم سرّوا بذلك وأخذوا يتجمعون عنده، وهم يُظهرون الندامة من تركه بين الأعداء والفرار بأنفسهم إلى الجبل، وأخرج أبو عبيده الجراح حلقتي المغفر من وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجاء على عليه السلام بماء في درقته فغسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به الدم عن وجهه وصب منه على رأسه وقال:

«أَشْتَدُّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ دَمَى وَجَهَ نَبِيِّهِ». (٢)

### العدو يحاول استغلال الفرصه

فى الوقت الذى واجه المسلمون فيه هزيمه كبرى انهارت بها الكثير من المعنويات، اغتتم العدو الفرصه للترويج عن معتقداته، فأطلق شعارات متعدده ضد عقيدة التوحيد، كان من شأنها أن تغرى البسطاء، والضعفاء فى الإيمان وتؤثر فيهم، وتزلزل إيمانهم. فليست هناك حاله لبث العقائد وتسريبها إلى النفوس أفضل من حاله الانهزام والنكسه، والبلاء والمصيبه، ففى حاله كهذه يبلغ الضعف النفسى لدى المصاب والمنكوب حدّاً يفقد معه العقل سيطرته على الإنسان بحيث يفقد على أثر ذلك قدره التمييز بين الحقّ والباطل، وفى هذه الصوره

ص: ٢٠٨

١- . سيره ابن هشام: ٦٠١/٣.

٢- . لاحظ: سيره ابن هشام: ٦٠٢/٣-٦٠٣.



تصبح مسأله بثّ الدعايات السيئه وزرعها فى النفوس واستثمارها مسأله بسيطه، إذ يكون الإنسان فى هذه الحاله أكثر تقبلاً وأيسر قبولاً.

من هنا عمد أبو سفيان وعكرمه فرفعاً أصناماً كبيره على الأيدى بعد إلحاق الهزيمة بالمسلمين، وأظهروا الفرح والسرور وأخذوا ينادون بأعلى أصواتهم - مستغلين هذه الفرصه -: «أعلُّ هُبُل، اعلُّ هُبُل!!»

ويعنون بذلك الشعار أنّ الانتصار الذى أحرزه المشركون إنّما هو بفضل الصنم: هُبُل، وبالتالي بفضل الوثنيه التى يدين بها أهل مكّه. ولو كان ثمه إله سواه، وكانت عقيدته التوحيد على حقّ لانتصر المسلمون، ولما خلص إليهم من المحنه ما خلص، فأدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمقَ الخطر الذى يكمن فى الأسلوب الذى أخذ العدو يمارسه فى مثل هذه اللحظه الحساسه، وما سيتركه ذلك من أثر سيئ فى النفوس، وبخاصّه الضعيفه منها، ولهذا تناسى كلّ أوجاعه ومصاعبه وأمر عليّاً والمسلمين فوراً بأن يجيبوا منادى الشرك بشعارٍ مضادٍ قوى، فقال: قولوا:

«اللَّهُ أَغْلَى وَ أَجَلُّ، اللَّهُ أَغْلَى وَ أَجَلُّ».

أى إنّ هذه الهزيمة ليست نابعه من عقيدته التوحيد، بل هى ناشئه من انحراف بعض الجنود عن أوامر القائد وتعليماته العسكريه الحكيمه.

بيد أنّ أبا سفيان لم يكف عن إطلاق شعاراته، والمضى فى الدعايه لمعتقده الباطل فقال: نحن لنا العزى ولا عزى لكم!!

فأمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأن ينادى المسلمون بشعار مضاد لشعار أبى سفيان، مشابه له فى الوزن والسجع فقال: قولوا:

«اللَّهُ مولانا ولا مولى لكم».

أى إذا كنتم تعتمدون على صنم مصنوع من الحجر والخشب، فإننا نعتد

على الله الخالق، القادر والعلّي الأعلى.

فنادى منادى الشرك ثالثاً: يَوْمَ بيومِ بدر. فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يجيبه المسلمون:

«لا سِواء قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار».

فكان لشعارات المسلمين القويه الرادعه التي كان يردّها المئات، أثرها العجيب في نفس رأس الشرك أبي سفيان الذي بدأ هذه الحمله النفسيه والحرب البارده بغيه تحطيم إيمان المسلمين، ورأى كيف ارتدّ كيده إلى نحره، ولهذا انزعج بشده وقال: ألا إن موعدكم بدر للعام القابل.

ثم انصرف إلى أصحابه، وغادروا جميعاً أرض المعركه راجعين إلى مكّه (١).

وكان على المسلمين الآن - وفيهم مئآت الجرحى والمصابين وسبعون قتيلاً - أن يُصَلِّوا الظهرَ والعصرَ فصلّي بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جلوساً، وصلّوا معه جلوساً، لما أصابهم من الضعف، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدفن الشهداء، ومواراتهم الثرى عند جبل أحد.

### نهايه المعركه

وَضَعَت الحرب أوزارها، وتباعد الجانبان، وقد تحمّل المسلمون من الخسائر في الأرواح ثلاثه أضعاف ماتحمّله المشركون. وكان عليهم أن يبادروا إلى دفن الشهداء على النحو الذي أمرهم به الدين.

ولكنّهم فوجئوا بأمر فضيع، فقد اغتنمت نسوه من قريش وفي طليعتهنّ هند زوجه أبي سفيان فرصه انشغال المقاتلين المسلمين وارتكبن بحقّ الشهداء

ص: ٢١٠

١- . لاحظ: المغازي: ٢٩٧/١؛ سيره ابن هشام: ٦٠٩/٣.

الأبرار، جنايه فظيحه لم يعرف لها تاريخ بشريه مثيلاً، فهن لم يكتفين بالانتصار الظاهري بل عمدن إلى التمثيل بشهداء المسلمين، تمثيلاً مروعاً فخمشن وجوههم، وقطعن الأنوف، وجدعن الآذان، وسملن العيون، وقطعن أصابع الأيدي والأرجل، والمذاكير، وصنعن منها القلائد والأساور، نكايه بالمسلمين، وإطفاءً للحقد الدفين، وبذلك ألحقن بهن وبأوليائهن عاراً لا ينسى.

فإن جميع الأمم والشعوب متفقه على أن الميت الذي لا يستطيع دفاعاً عن نفسه، ولا يتوقع منه ضرراً يجب احترامه، وتحرم إهانته وإن كان عدواً. ولكن هندا زوجة أبي سفيان ومن كان برفقتها من نساء المشركين مثلن بأجساد القتلى شرّاً تمثيل، وصنعن ممّا قطعن منها الأساور والقلائد، وبقرت «هند» بالذات صدر حمزه بطل الإسلام الفدائي، وأخرجت كبده، ولاкте بين أسنانها ولكنها لفظته ولم تستطع أكله. (١)

وقد بلغ هذا العمل من القبح، والسوء أن تبرأ منه أبو سفيان وقال: «في قتلاكم مثله لم أمر بها» (٢).

وقد عرفت هند بسبب فعلتها الشنيعه هذه بأكله الأكباد، ودُعي أبنائها في ما بعد بينى أكله الأكباد.

ولمّا أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حمزه بن عبدالمطلب، ببطن الوادي وقد بقر بطنه عن كبده، ومثل به فجدع أنفه وأذناه، حزن حزناً شديداً وغاضه تمثيلهم به فقال:

ص: ٢١١

١- . لاحظ: سيره ابن هشام: ٦٠٧/٣؛ تاريخ الطبري: ٢٠٤/٢؛ الكامل في التاريخ: ١٥٩/٢.

٢- . السيره الحلبيه: ٥٣٠/٢.

«ما وَقَفْتُ موقفاً قطُّ أَعْظَى إِلَيَّ مِنْ هَذَا!».

ثم إنَّ المؤرِّخين يَتَّفِقون على أنَّ المسلمين تعاقدوا في ذلك الموقف (وربما نَسَبَ هذا إلى النبيِّ نفسه) لِئِنْ أَظْفَرَهُمُ اللهُ بالمشرِّكين يوماً أن يَمْتَلُوا بهم مُثْلَه لم يَمْتَلُها أحدٌ من العرب أو يَمْتَلُوا بدَل الواحد ثلاثين.

ولم يمض زمان حتَّى نزل جبرئيل بقوله تعالى:

«وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» (١).

ولقد كشف الإسلام مره أخرى ومن خلال هذه الآيه - التي تتضمَّن أصلاً إسلامياً في مجال القضاء مسلماً به - عن وجهه الإنسانيِّ العاطفيِّ، وأظهر للجميع بأنَّ الدين الإسلامي ليس شريعته انتقام، وثأر، فهو يعلم أتباعه بأن لا يغفلوا في أشدَّ اللحظات والحالات النفسيه هياجاً وغضباً، عن قانون العداله، والحق، وبهذا يكون الإسلام قد راعى مبادئ العداله والإنصاف على الدوام، وصانها من الانهيار، والسقوط.

ولقد أقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى حمزه، وكان أخاها لأبيها وأُمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابنها الزبير بن العوام: إلقها فارجعها، لا ترى ما بأخيها، فقال: لها يا أمه إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمرك أن ترجعي.

فقال صفية: قد بلغني أن قد مثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لاحتسبن ولأصبرن إن شاء الله.

فلَمَّا جاء الزبيرُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بذلك، قال صلى الله عليه وآله وسلم: خلَّ سبيلها، فأنته، فنظرت إليه، فصلَّت عليه، واسترجعت، واستغفرت له، ثم أمر به رسول

ص: ٢١٢

اللّٰه صلي الله عليه و آله و سلم فدفن (١).

حقاً أن قوّه الإيمان أعظم القوى، فهي تجبس الانسانَ وتحفظه في أصعب الحالات، وتفيض على صاحبه حاله من السكينه والوقار.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم صلى على شهداء أحد الأبرار، وأمر بدفنهم واحداً واحداً أو اثنين اثنين، وأمر بأن يُدفن «عمرو بن الجموح» و «عبدالله بن عمرو» في قبر واحد.

قائلاً:

«إدفنوا هذين المتحايين في الدنيا في قبر واحد» (٢).

### آخر ما نطق به سعد بن الربيع

كان سعد بن الربيع من صحابه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الأوفياء، وكان رجلاً مؤمناً مخلصاً، عظيم الوفاء والحبّ لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وقد أُصيب في «أحد» اثنتا عشره إصابه قاضيه فسقط على الأرض.

فمرّ عليه رجلٌ يدعى مالك بن الدخشم فقال له: أما علمتَ أن محمداً قد قُتلَ؟ فقال سعد: أشهد أن محمداً قد بلغ رساله ربّه، فقاتل أنت عن دينك فإنّ الله حي لا يموت (٣).

ثم إنّه قد مرّ عليه رجل من الأنصار وهو في هذه الحال وبعد أن وضعت الحرب أوزارها فقال لسعد: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم

ص: ٢١٣

١- السيره النبويه لابن هشام: ٦١٢/٣.

٢- المغازي: ٢٦٦/١؛ بحار الأنوار: ١٣١/٢٠.

٣- شرح نهج البلاغه: ٢٧٦/١٤؛ بحار الأنوار: ١٣٦/٢٠.

فى الأموات؟ فقال سعد: أنا فى الأموات فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منى السلام، وقل له:

إن سعد بن الربيع يقول: جزاك الله خيراً عَنَّا ما جزى نبياً عن أُمَّته، وأبلغ قومك عنى السلام، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: لا عذر لكم عند الله، إن يخلص إلى نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم ومنكم عين تطرف.

قال: فلم أبرح عنده حتى مات، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته فقال: «اللهم ارض عن سعد بن الربيع». (١)

إنَّ حبَّ الإنسان لنفسه، أو ما يصطلح عليه العلماء بحبِّ الذات من الغرائز القويه المتأصله فى كيان الإنسان بحيث لا يمكن لأى أحد أن يغفل عنها مهما كانت الظروف، وهى بالتالى من القوّه والهيمنه على وجود الإنسان بحيث يضحى فى سبيلها بكل شىء.

ولكن قوّه الإيمان وحبّ الإنسان للعقيده، وتعشقه للمعنويات أقوى وأشدّ تأثيراً من ذلك، فهذا الجندى الشجاع لم يكن بينه - حسب ما تفيده النصوص التاريخيه - وبين الموت فى ذلك الوقت سوى لحظات، ومع ذلك نجده ينسى نفسه، ويفكر فى حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى كان يعتبره أقوى سبب لبقاء الدين، ودوام الشريعه، وهذا هو الهدف المقدّس الذى قاتل من أجله سعد البطل، ولهذا لا يحمل ذلك الرجل الأنصارى سوى رساله واحده إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحثّهم فيها على السهر على حياه النبى صلى الله عليه وآله وسلم والعمل معه على تحقيق أهدافه، فى إرساء دعائم التوحيد.

ص: ٢١٤

---

١- . شرح نهج البلاغه: ٢٧٧/١٤؛ بحار الأنوار: ١٣٦/٢٠.

كانت الشمس تميل نحو المغرب وكانت تستعد للملحمة أشعتها الذهبية من صفحہ الأرض، وكان السكون والصمت يخيم على كل مكان من الأرض.

في مثل هذه اللحظات كان على المسلمين المقاتلين أن يعودوا بجرحاهم إلى منازلهم في المدينة ليستعيدوا قواهم، ويجددوا نشاطهم، ويضمّدوا جرحاهم.

ولهذا صدرت أوامر من جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتوجه نحو المدينة.

فلما كانوا بأصل الحرة قال صلى الله عليه وآله وسلم: «اصطفوا فنثنى على الله»، فاصطف الرجال صفيين خلفهم النساء ثم دعا فقال:

«اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت.

اللهم إنني أسألك من بركتك ورحمتك وفضلك وعافيتك.

اللهم إنني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول.

اللهم إنني أسألك الأمن يوم الخوف والغنى يوم الفاقة.

عائذاً بك اللهم من شر ما أعطيتنا وشر ما منعت منا.

اللهم توفنا مسلمين.

اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الذين يكذبون رسولك، ويصدون عن سبيلك.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْهِمْ رَجْسَكَ وَعَذَابَكَ إِلَهَ الْحَقِّ. آمِينَ»(١).

وقد كان هذا العمل خطوةً مهمّةً جداً من الناحية النفسية فقد أمدّ هذا الدعاء نفوسَ المسلمين المصابين بطاقه روحية ضخمه، ممّا كان من شأنه تخفيف وطأه الهزيمة وتقوية عزائم المسلمين، كما علّمهم أن يلجأوا إلى الله تعالى في كلّ حال.

فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أصحابه - من الأنصار والمهاجرين الذين شاركوا في تلك المعركة - المدينة. وكانت أكثر بيوت المدينة قد تحوّلت إلى مناحات ومآتم، يرتفع منها أصوات بكاء الأمّهات والأزواج والبنات اللاتي أصبن في رجالهنّ وأوليائهنّ، وآبائهنّ.

ومرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدار من دور الأنصار من بنى عبد الأشهل وظفر، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم، فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبكى، ثم قال:

«لكنّ حمزةً لأبواكَيّ له»(٢).

فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بنى عبد الأشهل أمرا نساءهم بأن يتحرّمن، ثمّ يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكاءهنّ على حمزه خرج عليهن وهنّ على باب مسجده يبكين عليه فقال:

«ارجعن يرحمكّن الله، فقد آسيتنّ بأنفسكنّ».

وقيل لما سمع صلى الله عليه وآله وسلم بكاءهنّ قال:

ص: ٢١٦

١- إمتاع الأسماع: ١/١٧٥؛ المغازي: ١/٣١٤-٣١٥.

٢- السيرة النبوية لابن هشام: ٣/٦١٣.



«رَحِمَ اللَّهُ الْأَنْصَارَ، فَإِنَّ الْمَوَاسَاةَ مِنْهُمْ مَا عَلِمْتَ لِقَدِيمِهِ.. مُرُوهُنَّ فَلْيَنْصِرِفْنَ»(١).

### ذكريات مشيره عن امرأه مؤمنه

إن للنسوة المؤمنات صفحات مشرقه، وعجيبه في تاريخ الإسلام، لأننا قلما نجد لها نظيراً في عالم المرأة اليوم.

ومن تلك النسوة المؤمنات ذوات المواقف الرائعة والعجيبه في صدر الإسلام امرأه من بنى دينار، أُصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأحد.

فإنها لما نعو لها مصرعَ رجالها قالت: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحيين.

قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟

فأشير لها إليه حتى إذا رأتها قالت: كل مصيبه بعدك جليل (أى صغيره)(٢).

ما أعظم تلك الاستقامه، وما أعظم ذلك الإيمان الذي يجعل من الإنسان طوداً راسخاً ثابتاً في وجه العواصف والأعاصير.

### نموذج آخر من النسوة المجاهدات

لقد أشرنا في الصفحات الماضيه بصوره إجماليه إلى قضيه «عمرو بن الجموح» الذي آلى على نفسه أن يشارك في الجهاد مع ما كان به من العرج

ص: ٢١٧

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٦١٣/٣-٦١٤؛ ولاحظ إمتاع الأسماع: ١٧٥/١-١٧٦.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٦١٤/٣.

الموجب لسقوط الجهاد، كما عرفت.

فقد شارك هذا المسلم الصادق والمؤمن المجاهد في معركة أحد، ومضى يقاتل في الصف الأول من المجاهدين، وشارك ابنه «خلاد بن عمرو بن الجموح» و أخو زوجته «عبدالله بن عمرو»<sup>(١)</sup> في هذا الجهاد المقدس، واستشهدوا جميعاً في تلك المعركة أيضاً.

فخرجت «هند» زوجته وهي بنت عمرو بن حزام، عمه جابر بن عبدالله الأنصاري إلى «أحد» وحملت أجسادهم على بعير وتوجهت بها نحو المدينة، بمنتهى الجلادة، ورباطه الجأش.

وعندما فشى في المدينة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قُتل بأحد، خرجت النسوة، يتأكدن من هذا النبأ، فالتقت هند ببعض نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم - وهي عائده من أحد - فسألنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: خيراً، أما رسول الله فصالح، وكل مصيبه بعده جليل، واتخذ الله من المؤمنين شهداء، وقرأت قول الله تعالى:

«وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا...» !!

فسألوا: من هؤلاء؟

قالت: أخي، وابني خلاد، وزوجي عمرو بن الجموح!!

فقلن لها: فأين تذهبين بهم؟

قالت: إلى المدينة اقبرهم بها... ثم زجرت بعيرها تحته على السير قائلة:

«حل.. حل» في نبره صامده.<sup>(٢)</sup>

ص: ٢١٨

١- وهو عبدالله بن عمرو بن حزام بن ثعلبة بن حزام الأنصاري.

٢- لاحظ: المغازي: ٢٦٥/١؛ إمتاع الأسماع: ١٦١/١.

ومرة أخرى يظهر في هذه الصفحة الناصح من تاريخ الإسلام نموذج حتى آخر من مشاهد الثبات والصمود، والاستقامه، وتجاوز المصائب، وتحمل الآلام والشدائد في سبيل الهدف المقدس، وكل ذلك من فعل الإيمان، ونتائجه.

إن المذاهب المادية لاولن تستطيع تربيته أمثال هذه النسوة والرجال المتفانين في سبيل العقيدة، بمثل هذا التفانى العظيم.

على أن هؤلاء لم يقاتلوا من أجل المآرب المادية، وإنما قاتلوا من أجل الهدف، وهو إعلاء كلمه الدين وإقامه صرح التوحيد، ومحو الوثنيه والشرك.

هذا وفي بقيه هذه القصه ما هو أعجب من أولها، وهو أمر، لا يمكن أن يدرك بالمقاييس المادية، والأسس التي ينطلق منها أصحاب الاتجاه المادى فى تحليل القضايا التاريخيه، وانما يهضمها - فقط - من يؤمن بعالم آخر وراء العالم المادى الصّرف، ويصدق بتأثيره فى هذا العالم، وبالتالي لا يقبل بها إلا من يصدق بقضيه الإعجاز والمعجزه، ويدعن لها ويعترف بصحتها من غير تلكؤ وإبطاء.

واليك هذه البقيه:

لما زجرت هند بعيرها لتدخل به المدينه برك البعير فى مكانه.

فقال النسوة التي كن هناك: لعله برك لما عليه.

فقال هند: ما ذاك به، لربما حمل ما يحمل البعيران، ولكنى أراه لغير ذلك.

فزجرت ثانيه، فقام، فلما وجهت به إلى المدينه برك، فوجهته راجعه إلى أحد فأسرع.

فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته بذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فإنّ الجمل مأمور. هل قال (يعنى: عمرو بن الجموح) شيئاً؟

قالت: إنّ عمراً لما وجهه إلى أحد استقبال القبلة، وقال: اللهم لا تردنى إلى

أهلى خزيًا، وارزقنى الشهاده!!

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فلذلك الجمل لا يمضى. إنَّ منكم يا معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره، منهم عمرو بن الجموح، يا هند ما زالت الملائكة مظللة على أخيك من لدن قتل إلى الساعه ينظرون أين يُدفن»، ثم مكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قبرهم، ثم قال: يا هند قد ترافقوا فى الجنة جميعاً، عمرو بن الجموح، وابنك خلاد، وأخوك عبدالله».

قالت هند: يا رسول الله فادع لى عسى أن يجعلنى معهم (١).

ثم إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل بيته فلمّا أبصرت به بنته العزيزة «فاطمة» ورأت ما أصابه من الجراح ذرفت عيناها بالدموع، فأعطى رسول الله سيفه لابنته (الزهراء) حتى تغسله.

وقال الإربلى المؤرّخ المعروف الذى كان يعيش فى القرن السابع الهجرى:

كان علىّ يجىء بالماء فى ترسه، وفاطمة تغسل الدم، وأخذ حصيراً فأحرقه وحشا به جرحه (٢).

وفى «الإمتاع»: لمّا رأت فاطمة الدم لا يرقاً - وهى تغسله وعلى يصب الماء عليها بالمجنّ - أخذت قطعه حصير فأحرقته حتى صار رماداً، ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم، ويقال: داوته بصوفه محترقه (٣).

ص: ٢٢٠

١- . إمتاع الأسماع: ١٦١/١-١٦٢.

٢- . كشف الغمه: ١٨٨/١-١٨٩.

٣- . إمتاع الأسماع: ١٥٤/١.

لقد كانت الليله التي استقرّ فيها المسلمون في منازلهم بالمدينه بعد يوم أحد ليله جداً خطيره وحساسه.

فالمنافقون واليهود وأتباع عبدالله بن أبي قد سيروا لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه سروراً كبيراً، وأظهروا القول السيئ وقالوا: ما أصيب نبي هكذا قط.

وكان أنين الجرحى والمكالمين وبكاء الموتورين في رجالهم ونياحهم يُسمع من أكثر بيوت المدينه.

والأخطر من كل هذا هو التخوف من أن يقوم المنافقون واليهود بعمله خيانه ضد الإسلام والمسلمين في تلك الظروف.

أو أن يعرضوا وضع العاصمه الإسلاميه الثابت، والوحده السياسيه القائمه في المدينه للخطر بإيجاد الاختلاف والتشتت على الأقل.

إن ضرر الاختلافات الداخليه أشد بكثير من حملات العدو الخارجى، وإن انهيار الوحده والانسجام في الجبهه الداخليه أخطر بكثير من تعرض البلاد لهجوم من الخارج.

من هنا كان يتعين على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يهرب العدو الداخلي، ويفهمه بأن قوى التوحيد لم تفقد انسجامها وتماسكها، وأن أيه خطوه أو نشاط مُعاد يهدد أساس الإسلام للخطر سيُسحق بشده في اللحظه الأولى.

ولهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يخرج في نفس الليله لملاحقه العدو (أي مشركى مكه).

فكلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً بأن ينادى في كل مناطق المدينه:

«ألا عِصَابُهُ تَشَدُّ لِأَمْرِ اللَّهِ تَطَلُّبُ عَدُوِّهَا، فَإِنَّهَا أَنْكَأُ لِلْعَدُوِّ وَأَبْعَدُ لِلسَّمْعِ. أَلَا لَا يُخْرِجُنَّ أَحَدٌ إِلَّا مَنَ حَضَرَ يَوْمَنَا بِالْأَمْسِ».(١)

أو قال: «يا معشر المهاجرين والأنصار مَنْ كَانَتْ بِهِ جِرَاحُهُ فليُخْرِجْ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ جِرَاحُهُ فليَقِم».(٢)

وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - كما أسلفنا - ليُرهب العدو، وليبلغهم أنه خارج في طلبهم، فيظنوا به قوه، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم من عدوهم(٣).

على أن لهذا التقييد، ولهذا النهى عن خروج غير الجرحى، أو مَنْ لَمْ يَشْرِكْ فِي أَحَدٍ، عللاً- أو حكماً لا تخفى على العارفين بالسياسة، والأسرار العسكرية.

ويمكن الإشارة إلى بعضها:

أولاً: أن هذا التحديد، وبالتالي الاقتصار على مَنْ شارِكْ فِي مَعْرَكَةٍ أُحِدُ هُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّعْرِيزِ بِمَنْ أَمْتَنَعَ عَنِ الْمَشَارَكَةِ فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ، وَفِي الْحَقِيقَةِ هُوَ نَوْعٌ مِنَ تَجْرِيدِهِمْ مِنْ صِلَاحِيهِ الْمَشَارَكَةِ فِي الدِّفَاعِ الْمَقْدَسِ.

ثانياً: أن هذا التحديد هو نوع من عقاب المشاركون في معركة أُحُدٍ، لأنهم بتجاهلهم لتعاليم القيادة، وانصرافهم بسرعه إلى المطامع المادية، والغفلة عن ملاحقه العِدُوِّ فِي حِينِهِ تَسَبَّبُوا فِي تَوْجِيهِ تِلْكَ الضَّرْبَةِ النِّكَرَاءِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَلِذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ مَلَفَاءَهُ تِلْكَ الْخَسَارَةَ، وَتَرْمِيمَ ذَلِكَ الْعَطْبِ، لِكَيْلَا يَعُودُوا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ، وَلَا يَتَجَاهَلُوا أَوْامِرَ الْقِيَادَةِ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْإِنضِبَاطِيَةَ وَالتَّقْيِيدَ الْكَامِلَ بِالْأَوْامِرِ هُوَ أَهْمُ عُنْصُرٍ فِي نَجَاحِ الْأُمُورِ

ص: ٢٢٢

١- . مجمع البيان للطبرسي: ٤٤٧/٢.

٢- . تفسير القمي: ١٢٥/١؛ بحار الأنوار: ٦٤/٢٠.

٣- . مجمع البيان للطبرسي: ٤٤٧/٢.

إِنَّ رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بنى الأشهل كان شهد أُحداً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: شهدت أحد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنا وأخ لي، فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي أو قال لي: أتفوتنا غزوه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ والله مالنا من دابه نركبها، وما منّا إلّا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكنت أيسر جرحاً منه، فكان إذا غلب حملته عقبه، ومشى عقبه، حتّى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون (٢).

### حمراء الأسد

(٣)

خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى انتهى إلى حمراء الأسد (وهي من المدينة على ثمانيه أميال) واستعمل على المدينة «ابن أم مكتوم».

وقد مرّ به «معبد بن أبي معبد الخزاعي» - رئيس بنى خزاعه - وكانت خزاعه مسلمهم ومشرکهم يومذاك ذات علاقات طيبه جداً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين، وكانوا لا يخفون عن النبي شيئاً.

فتقدّم معبد رئيسهم وعزّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما أصابه، وهو يومئذ مشرك قائلاً: يا محمد أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك (في أصحابك)، ولوددنا أنّ الله عفاك فيهم.

ص: ٢٢٣

١- . كلا هذين الوجهين يستقيمان إذا قلنا بأنّ النبيّ خرج بكلّ من شارك في أُحد لا أنّه اقتصر على الجرحى، كما تصرّح به بعض النصوص التاريخيه.

٢- . سيره ابن هشام: ٦١٥/٣-٦١٦؛ تاريخ الطبري: ٢١٢/٢.

٣- . لقد عدّ البعض خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حمراء الأسد لملاحقه العدو غزوه مستقله، وذكرها البعض الآخر في ذيل معركة أُحد.

ثم خرج معبد ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحمراء الأسد، حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه للكره عليهم، واستئصالهم، والقضاء عليهم.

فلما رأى أبو سفيان معبداً (وكان معبد قد استهدف من خروجه إلى أبي سفيان وجماعه المشركين القيام بخدمة لصالح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه) قال: ما وراءك يا معبد؟

فقال معبد: - وهو يريد إرعاب قريش وصرْفهم عن الرجوع إلى المدينة - محمداً قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرّزون عليكم تحزّفاً، قد اجتمع معه مَنْ كان تخلف عنه في يومكم، وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط!!

فقال أبو سفيان: - وقد أربب بشده من هذا النبأ - ويحك ما تقول؟

قال معبد: والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل.

قال أبو سفيان: فوالله لقد أجمعنا الكره عليهم لنستأصل بقيتهم!

قال معبد: فإني أنهاك عن ذلك. (١)

وقد تركت كلمات معبد، ووصفه لِقوّه المسلمين وعزمهم الشديد على توجيه ضربه إلى الكفار أثرها في نفس أبي سفيان الذي تملكه خوفٌ شديد، دعاة إلى الانصراف عن الرجوع إلى المدينة ثانية، والعزم على القبول إلى مكّة.

ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه حتى عسكروا ليلاً بحمراء الأسد، فأمر بأن يوقد المسلمون النيران فأوقدوا خمساته نار حتى تُرى من المكان البعيد،

ص: ٢٢٤

١- . سيره ابن هشام: ٦١٦/٣؛ تاريخ الطبري: ٢١٢/٢.



وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه، وتصوّر العدو أنّ النبيّ جاءهم في جيش عظيم، فتشاوروا حول الرجوع إلى المدينة فنهاهم صفوان عن ذلك، فانصرفوا(١).

### لا يُخدَعُ مؤمن مرتين

هذا هو معنى قول النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«المؤمن لا يلدغ من جحرٍ مرتين».

ولقد قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما أسير المسلمون أبو عزة الجمحي في طريق عودتهم من حمراء الأسد على نحو الصدفة، وأراد النبيّ ضرب عنقه فاستقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطلب منه العفو وكان قد أسير بسدر قبل ذلك، ثم منّ عليه النبيّ وأطلق سراحه مشروطاً عليه أن يكفّ عن المؤامره ضد النبيّ والمشاركه في قتاله، ولكنّه عاد إلى مكّه، وشارك في قتال النبيّ مره أخرى في أُحد.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لما طلب العفو ثانية:

«والله لا تمسح عارضيك بمكّه بعدها وتقول: خدعتُ محمّداً مرتين،...»

وقيل: قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ المؤمن لا يلدغ من جحرٍ مرتين».

ثم أمر بضرب عنقه، وضرب عنقه(٢).

ص: ٢٢٥

١- لاحظ: الطبقات الكبرى: ٤٩/٢؛ إمتاع الأسماع: ١٨٠/١.

٢- السيره النبويه لابن هشام: ٦١٨/٣. نلفت نظر القارئ الكريم إلى أنّنا قد ذكرنا في الهوامش مصادر أهم الحوادث في معركة أُحُد وفي إمكان القارئ الكريم لو أراد التوسّع أن يراجع المصادر التاليه التي اعتمد عليها المؤلّف: وهي: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣٦/٢-٤٩؛ المغازي: ١٩٩/١-٣٤٠؛ شرح نهج البلاغه، لابن أبي الحديد: ١٤/١٤-٢١٨ و ج ٥، ص ٦٠،

وأخيراً انتهت معركة أُحُد وقد قَدّم المسلمون فيها سبعين، أو أربعة وسبعين، أو واحداً وثمانين شهيداً على روايات مختلفه، بينما لم يتجاوز عدد قتلى قريش اثنين وعشرين.

وقد نشأت هذه النكسه المرّه بسبب تجاهل الرماه لتعليمات الرسول القائد على النحو الذى قرأت.

وقد وقعت معركة أُحُد يوم السبت السابع من شهر شوال من السنه الثالثه للهجره النبويه الشريفه، هذا مضافاً إلى غزوه حمراء الأسد التى استمرت إلى يوم الجمعة من ذلك الأسبوع نفسه، فتكون قضايا ووقائع هذه الغزوه فى الرابع عشر من شهر شوال من نفس السنه.

### ميلاد الإمام الحسن السبط

هذا وقد ولد فى هذه السنه (أى السنه الثالثه من الهجره) سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأكبر الإمام الحسن بن على عليه السلام فى منتصف شهر رمضان من تلك السنه، وأجرى له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مراسيم ولاده خاصه ذكرها أصحاب الحديث وتجد تفصيلها فى سيره الأئمه من أهل البيت النبوى الطاهرين.

لقد ظهرت الآثار السياسيه لنكسه المسلمين فى معركة «أحد» بصوره واضحه بعد الحرب.

فمع أنّ المسلمين أظهروا مقاومه رائعه أمام العدو المنتصر ومنعوا من رجعه إلى المدينه وتحقيق أهدافه الخطيره فى استئصال المسلمين إلّا أنّ التحرّكات الداخليه والخارجيه ضدّ الإسلام بهدف القضاء على هذا الدين، ورجاله قد تصاعد مدّها فى أعقاب حادثه «أحد». وقد تجرّأ منافقو المدينه، ويهودها والمشركون المتواجدون فى شتى النقاط البعيده خارج المدينه على إثر ذلك، وبدأوا يحيكون المؤامرات ضدّ الإسلام والمسلمين ويجمعون الأسلحه والرجال لشنّ الحروب والغارات على المدينه.

وقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبمهاره كبيره إطفاء كلّ تلك التحرّكات، كما

واستطاع قمع تحركات القبائل القاطنه خارج المدينه التي كانت تنوى الهجوم على المدينه وذلك بإرسال السرايا والمجموعات القويه من المجاهدين.

وفى هذه الأثناء بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نبأ مفاده أنّ قبيله بنى أسد تنوى الهجوم على المدينه واحتلالها، وقتل المسلمين، ونهب أموالهم، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فوره جماعه من المقاتلين يبلغ عددهم (١٥٠) رجلاً بقيادة «أبى سلمه» إلى منطقه تجتمع المتآمرين.

ثم إنّه صلى الله عليه وآله وسلم أوصاهم بأن يخفوا مقصدهم الأصلي، ويسلكوا طريقاً آخر غير الطريق المتعارف، وقيموا نهاراً ويسيروا ليلاً، ليعتموا على القوم.

وقد فعل «أبو سلمه» وجماعته ما أوصاهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكانوا يسرون الليل، ويكمنون النهار، حتى وردوا المنطقه فأحاطوا ببني أسد فى عمايه الصبح، وقضوا على المؤامره فى مهدها، وعادوا غانمين موفورين إلى المدينه، وقد وقعت هذه الحادثه فى شهر المحرم على رأس خمسه وثلاثين شهراً من الهجره (١).

### خطه ماكره للفتك بالمبغين

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرسل السرايا والمجموعات العسكريه لإفشال جميع مؤامرات المتآمرين ضد الإسلام، كما أنّه كان يقوم إلى جانب ذلك ببعث المجموعات التبليغيه إلى القبائل، والجماعات وبذلك يكسب قلوب المحايدين منهم نحو العقائد الإسلاميه.

وكان المبغون والدعاه الذين كانوا من قراء القرآن الكريم، ومن الملمين

ص: ٢٢٨

١- . لاحظ: المغازى: ٣٤٠/١، وإمتاع الأسماع: ١٨١/١.

بالأحكام الإسلامية والتعاليم النبويه يبدون استعداداً عجيباً للقيام بهذه المهمه الصعبه ولو كلفتهم حياتهم، فكانوا ينقلون تعاليم الإسلام إلى الناس في المناطق النائيه، والأماكن البعيده بأوضح بيان وأوضح أسلوب.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثه للمجموعات العسكريه من جانب، وإرساله للفرق التبليغيه من جانب آخر يقوم - في الحقيقه - بوظيفتين هامتين من وظائف المنصب النبوي.

فهو بعثه للسرايا والمجموعات العسكريه كان يقصد في الحقيقه القضاء على محاولات التمرد، والتأمر التي كانت في مرحله التحقق والتكوّن لكي يتسنى للمجموعات التبليغيه في ظل الأمن والحريه الدعوه إلى الإسلام، والقيام بوظيفتها الأساسيه ألا وهي إرساء دعائم الحكومه الإسلاميه في القلوب، وتنوير الأفكار، وإيقاظ العقول.

ولكن بعض القبائل المتوحشه، والمنحطه أخلاقياً وفكرياً كانت تتحايل على المجموعات التبليغيه التي كانت تمثل القوى المعنويه للإسلام، والتي لم يكن لها هدف سوى نشر التوحيد، واقتلاع جذور الكفر والوثنيه، وكانوا يقتلونهم بصورة فضيحه ومفجعه.

وفيما يلي نلفت نظر القارئ الكريم إلى قصه مجموعه من الدعاه والمبليغين الذين لقوا هذا المصير وكان عددهم يبلغ ستة أشخاص حسب روايه ابن هشام(1)، أو عشره أشخاص حسب روايه ابن سعد(2).

ص: ٢٢٩

١- السيره النبويه لابن هشام: ٦٦٧/٣، وقال في إمتاع الأسماع: ٢٧٤/١٣: إنهم سبعة أشخاص.

٢- الطبقات الكبرى: ٥٥/٢.

لقد مشت جماعه من قبيلتي «عضل» و «القاره» إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا - وهم يضمرون المكر -: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إننا فينا إسلاماً فاشياً فابعث مَعَنَا نفرًا من أصحابك يقرّوننا القرآن، ويفقهوننا في الإسلام.

فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ من واجبه الاستجابة لمطلب تلك الجماعه التي كانت تمثّل قبائل كبرى، وكما رأى المسلمون أيضاً أنّ من واجبهم أن يستفيدوا من هذه الفرصه مهما كلف الثمن.

من هنا بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جماعه بقياده «مرثد بن أبي مرثد العنوي» مع تلك الجماعه إلى القبائل المذكوره.

فخرج هؤلاء المبلغون ووفد القبيلتين من المدينه متوجهين إلى حيث تتواجد «عضل» و «القاره»، ولما كانوا بماء يُسمّى: الرجيع تقطن عنده قبيله تُدعى:

«هذيل» كشف مندوبو القبيلتين عن نواياهم الشريره، واستصرخوا هذيلًا وكمينًا من رجالهم، وكانوا مائه رام وبأيديهم السيوف فأحاطوا بالدعاه يريدون أسرهم ثم قتلهم وإبادتهم!!

فلم ير المبلغون بدًّا - وهم محاطون بتلك الجماعات المسلحه - من اللجوء إلى سيوفهم والدفاع عن أنفسهم.

ولكنّ العدو قال: ما نريد قتالكم، وما نريد إلّا أن نصيب منكم من أهل مكّه ثمناً، ولكم عهد الله وميثاقه لانقتلكم!!

فنظر الدعاه بعضهم إلى بعض، وقزّر أكثرهم المقاومه وعدم الرضوخ لهذا العرض الغادر، والخطّه الماكره، وقال أحدهم: إني نذرت أن لا أقبل جوار

مشرك (١) ثم جعلوا يقاتلون القوم قتال الرجال الأبطال، حتى قتلوا إلاثلاث هم:

«زيد بن دثنه»، و «خبيب بن عدى»، و «عبدالله بن طارق البلوى» فقد أعمد هؤلاء سيوفهم وسلّموا، فأخذوا ووثقوا بأوتار قسيهم، ولكن «عبدالله» ندم على فعله، فترع يده من رباطه ثم أخذ سيفه، وراح يقاتلهم حتى قتلوه رمياً بالحجاره، وقد انحازوا عنه وهو يشدّ فيهم وينفرون عنه، ودفن في مر الظهران.

ثم أخذوا الأسيرين الآخرين «خبيب» و «زيد» وقدموا بهما مكّه فباعوهما لأهل مكّه!!

فأمّا زيد بن الدثنه فقد اشتراه «صفوان بن أميه» وقتله ثأراً لأبيه، ولقتله قصه عجيبه سطر فيها أروع آيات المقاومه والوفاء والإخلاص.

فقد اشتراه «صفوان بن أميه» كما أسلفنا ليقتله بأبيه، وقد حبسه صفوان في الحديد، وكان يتهجّد بالليل ويصوم بالنهار، ولا يأكل شيئاً ممّا أتى به من الذبائح، وهو في الأسر والحبس.

ثم إنه أخرج إلى «التنعيم» (٢) ليصلب على مرأى حشد كبير من الناس.

فرفعوا له جذعاً، فقال: دعونى أصلى ركعتين، فصلّى ركعتين، ثم حملوه على الخشبه ثم جعلوا يقولون له: يا زيد إرجع عن دينك المحدث، واتبع ديننا، ونرسلك، فيقول: والله لا أفارق دينى أبداً.

فقال له أبو سفيان فرعون مكّه وأشدّ المتآمرين على الإسلام ومدبّر أغلب الحروب ضد رسول الله، والمسلمين: أنشدك بالله يا زيد أيسرك أن محمداً في أيدينا مكانك وأنت في بيتك؟ فقال زيد بشجاعه ووفاء عظيمين: ما يسرنى أن

ص: ٢٣١

١- . أو قالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً (السيره النبويه لابن هشام: ٦٦٨/٣).

٢- . التنعيم ابتداء الحرم، ومنها يحرم المعتمرون للعمره المفرده.

محمّداً أشيكت بشوكة وإنّي في بيتي، وجالس في أهلي!!!

وقد كان لهذه الكلمة أثر الصاعقه في نفس طاغيه مكّه أبى سفيان فقال: ما رأينا أصحاب رجلٍ قطّ أشدّ حبّاً من أصحاب محمّد  
بمحمّد!!

ولم تمض لحظات إلّا وصار «زيد» على خشبه الإعدام وررفت روحه إلى خالقها، ومضى ذلك المسلم الوفيّ، والمؤمن الشجاع  
شهيداً الثبات في طريق العقيدة، والدفاع عن حياض الدين.

وأما «خبيب» فقد حُبس مدّة من الزمان حتّى قرّر رجال ندوه مكّه قتله، فخرجوا به إلى التنعيم ليصلبوه وخرج معه النساء والصبيان  
والعبيد وجماعه من أهل مكّه، فقال لهم: إن رأيتم أن تدعوني حتّى أركع ركعتين فافعلوا، فقالوا دونك فاركع.

فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ثم أقبل على القوم وقال: أما والله لولا- أن تظنّوا أنّي طوّلتُ جَزَعاً من القتل لاستكثرتُ من  
الصلاه!!

ثم رفعوه على خشبه ثم وجهوه إلى المدينة، وأوثقوه رباطاً، ثم قالوا له:

إرجع عن الإسلام نخل سبيلك.

قال: لا والله ما أحبُّ أنّي رجعتُ عن الإسلام وأنّ لي ما في الأرض جميعاً.

فقالوا: أما والللات والعزّى لئن لم تفعل لنقتلنك!

فقال: إنّ قتلي في الله لقليل، فلمّا أبى عليهم وقد جعلوا وجهه من حيث جاء (أى نحو المدينة)، قال: أمّا صرفكم وجهي عن  
القبلة، فإن الله يقول: «فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» ثم قال: اللهم إني لا أرى إلّا وجه عدوّ، اللهم أنه ليس هاهنا أحدٌ يبلغ رسولك  
السلام عنّي فبلّغه أنت عنّي السلام.

ثم دعا على القوم وقال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم



أحدًا.

ثم دعوا أبناء من أبناء مَنْ قُتِلَ ببدر فوجدوهم أربعين غلاماً، فأعطوا كلَّ غلامٍ رمحاً، ثم قالوا هذا الذي قتل آباءكم، فطعنوه برماحهم طعناً خفيفاً فاضطرب على الخشب فأنقلب، فصار وجهه إلى الكعبة، فقال: الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته التي رضى لنفسه ولنبيه وللمؤمنين!!

فأثارت روحانيته الكبرى، وطمأنينته العظيمة غيظ أحد المشركين الحاضرين، وهو «عقبه بن الحارث» وتملكه غضب شديد من إخلاصه للإسلام فأخذ حربته وطعن بها خبيثاً طعنه قاضيته، قتلته، وهو يوحد الله ويشهد أن محمداً رسول الله.

ويروى ابن هشام أنّ خبيثاً أنشد قبل مقتله أبياتاً عظيمة نذكر هنا بعضها:

إلى الله أشكو عُزْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي وَمَا أُرْصَدَ الْأَحْزَابِ لِي عِنْدَ مَضْرَعِي

فَذَا الْعَرْشِ صَبْرِنِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي فَقَدْ بَضَعُوا لِحِمِي وَقَدْ يَأْسَ مَطْمَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَأَنْ يَشَأْ يَبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شَلْوٍ مُمَزَّعٍ

وَقَدْ خَيْرُونِي الْكُفْرَ وَالْمَوْتَ دُونَهُ وَقَدْ هَمَلْتُ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مَجْزَعٍ

وَمَا بِي حِذَارُ الْمَوْتِ إِنِّي لَمَيِّتٌ وَلَكِنْ حِذَارِي جَحْمُ نَارٍ مَلْفَعٍ

ص: ٢٣٣

فوالله ما أرجو إذا مت مسلماً على أى جنب كان فى الله مَصْرَعِي

فلسْتُ بِمُبدٍ للعدوّ تخشعاً ولا جزعاً إنى إلى الله مرجعى

وقد أحزنت هذه الحادثه الأليمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكذا جميع المسلمين.

وأنشد فيهم «حسان بن ثابت» أبياتاً ذكرها ابن هشام فى سيرته، كما أنه هجا هذيلًا فى أبيات أخرى لارتكابهم هذه الجريمة النكراء (١).

ولقد خشى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تتكرر مثل هذه الجريمة النكراء، وبذلك يواجه رجال التبليغ والدعوه الذين كان يعدهم بصعوبه بالغه مصاعب فى سبيلهم، ويتعرضوا لخسائر لا تجبر، وعمليات غدر واغتيال أخرى.

وقد بقى جثمان هذا المسلم المجاهد على الخشب مده من الزمن، يحرسه جماعه من المشركين حتى قام رجلان قويان شجاعان من المسلمين بإنزاله من فوق الصليب ليلاً، ومن ثم دفنه بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢).

### جريمه بئر معونه

وفى شهر صفر من السنه الرابعه وقبل أن يصل نبأ مصرع الدعاه المذكورين واستشهادهم على أيدي المشركين فى منطقه الرجيع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قدم أبو براء عامر بن مالك العامرى ملاعب الأستة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإسلام ودعاه إليه، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام وقال: يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل «نجد» فدعوهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك.

ص: ٢٣٤

١- . لاحظ: المغازى: ٣٥٤/١-٣٦٢، السيره النبويه لابن هشام: ٦٦٧/٣-٦٧٣.

٢- . سفينه البحار: ٣٧٢/١.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنى أخشى عليهم أهل نجد.

قال أبو براء: أنا لهم جارٌّ، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك.

فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنذر بن عمرو أخا بني ساعده الملقب ب: (المعنى ليموت) (1) في أربعين رجلاً من خيار المسلمين من أصحابه ممن حفظوا القرآن وعرفوا أحكام الإسلام...، فساروا حتى نزلوا ببئر معونه، وهى بين أرض بنى عامر وحرّه بنى سليم، وهم يحملون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً إلى عامر بن الطفيل أحد زعماء «نجد»، وكلف أحد المسلمين بإيصال ذلك الكتاب إلى عامر، فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل (حامل الكتاب) فقتله، ثم استصرخ عليهم بنى عامر، فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا: لن نخفر أبا براء، وقد عقد لهم عقداً وجواراً.

فاستصرخ عليهم قبائل بنى سليم فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غشوا القوم، فأحاطوا بهم فى رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم، ثم قاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم (2). بعد أن أبدوا مقاومه كبرى، وبساله عظيمه، ولم يكن يتوقع منهم غير ذلك.

فإن مبعوثى النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يكونوا مجرد رجال فكر وعلم فقط، بل كانوا رجال حروب، وأبطال معارك ولذا رفضوا الاستسلام للمعتدين، واعتبروا ذلك عاراً لا يليق بالمسلم الحرّ الأبيّ، فقاتلوهم حتى استشهدوا جميعاً، إلّا كعب بن زيد، فإنه جرح فعاد بجراحه إلى المدينة، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما جرى

ص: ٢٣٥

---

١- . المعنى: بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر النون وبالقاف: أى المتقدّم أو المسرع، وإثمالقّب بذلك لتقدمه أو لإسراعه إلى الشهاده. (سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي: ٦٨/٦).

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٦٧٨/٣-٦٧٩.

لأصحابه على أيدي قبائل بني سليم المشركه الغدره.

فحزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون جميعاً لهاتين الحادثتين، المفجعتين أشد الحزن؛ بل ولم يجد على قتلى مثل ما وجد عليهم، وبقي رسول الله يذكر شهداء بئر معونه ردحاً من الزمان(1).

هذا ولقد كانت هاتان الحادثتان المؤسفتان المؤلمتان جميعاً من نتائج النكسه التي أصابت المسلمين في «أحد» والتي جرأت القبائل خارج المدينة على قتل رجال المسلمين ودعاتهم غدراً ومكراً.

### كيد المستشرقين وجفاؤهم

إنَّ المستشرقين الذين دأبوا على نقد أبسط سوء يتعرّض له مشرك على أيدي المسلمين فينالون من الإسلام والمسلمين أشدَّ نيل، ويصرون على أن يؤكّدوا على أن الإسلام لم ينتشر إلّا بالسيف والقهر، التزموا صمتاً عجيباً تجاه هاتين الحادثتين المؤلمتين المفجعتين، ولم ينبسوا في هذا المقام بينت شفه أبداً، وكأنّ شيئاً من هذا لم يقع، وكأنّ ما وقع لا يستحقّ اهتماماً وحديثاً.

ترى أيّ نظام من أنظمه العالم القديم والجديد يجيز أن يُقتل الدعاة والمبشرون ورجال العلم والفكر، والتعليم والتثقيف.

إذا كان الإسلام قد تقدّم بالسيف - كما يدعى رجال الاستشراق - فلماذا تخاطر جماعات التبليغ والدعوه هذه بأنفسها وتزهق أرواحها في سبيل نشر الإسلام والدعوه السلميه الفكرية إليه.

إنّ هاتين الحادثتين تنطويان على نقاط حيويه، وعبر مفيده جداً، فإنّ قوه

ص: ٢٣٦

١- . لاحظ: المغازي: ٣٤٦/١؛ إمتاع الأسماع: ١٨١/١-١٨٣.

الإيمان لدى تلك الجماعات، وعمق تفانيها، وتضحيتها، وبسالتها تستحق إعجاب المسلمين، وإكبارهم. كما وتعتبر من أفضل الدروس وأبلغها لهم.

### المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين

لقد أثارَت حادثتا «الرجيع» و «بئر معونه» المفجعتان اللتان جرّتا إلى مصرع مجموعه كبيره من خيره الدعاه والمبّلغين موجه من الحزن والأسى فى المسلمين وتركت أثراً مؤلماً فى أوساطهم.

وهنا يتساءل القارئ: لماذا أقدم النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم على إرسال المجموعه الثانيه من المبّلغين إلى «نجد» مع أنّه حصل على تجربه مرّه؟! ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين»!؟

إنّ الإجابة عن هذا السؤال تتضح من خلال مراجعه النصوص التاريخيه؛ لأنّ المجموعه الثانيه قد بُعثت فى جوارٍ من أبى براء (عامر بن مالك بن جعفر) والذى كان رئيساً لقبيله بنى عامر، ولم تفعل قبيلته ما خالف جوار رئيسهم ولم يشتركو فى تلك الجريمة، وقد بقى أبو براء نفسه فى المدينه تأكيداً لجواره، ريثما يرجع فريق التبليغ إلى المدينه.

لقد كانت خطّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطّه مدروسه وصحيحه؛ لأنّ جماعه المبّلغين الثانيه لم تقتل على يد قبيله أبى براء، ومع أنّ ابن أخيه عامر بن الطفيل قد استصرخ قبيله أبى براء التى كانت قبيلته أيضاً، ضدّ جماعه المبّلغين إلّا أنّ قبيله أبى براء أبت أن تنفر معه، ولم يستجب لندائه أحدٌ منهم بل قالوا: لن يُخفّر جوار أبى براء. ولما أيس منهم استصرخ قبيله أخرى لا تمتُّ إلى قبيله أبى براء بصله، فأقدمت تلك القبائل على محاصره الدعاه الأربعين ومقاتلتهم.

ثم إن جماعه المبلّغين المذكوره كانت قد بعثت عند مغادرتها المدينة وتوجّتها إلى منطقته أبي براء رجلين من رجالها هما: «عمرو بن أمّيه» و «حارث بن الصمه»<sup>(١)</sup> ليرعيا إبل الجماعه ويحافظا عليها، وبينما كان الرجلان يقومان بواجبهما إذ أغار عليهما «عامر بن الطفيل». فقتل حارث بن الصمه، وأطلق سراح عمرو بن أمّيه.

فعاد عمرو إلى المدينة، في أثناء الطريق التقى رجلين من العامريين فراقبهما وأمهلهما حتّى إذا ناما وثب عليهما فقتلهما، وهو يرى بأنّه انتقم لزملائه من المسلمين من بني عامر، وقد أخطأ في تصوّره هذا لأنّ بني عامر لم تخفر جوار سيدها أبي براء ولم تنقض أمانه كما أسلفنا، ولم يشترك في جريمه قتل الدعاه الأربعين.

فلَمّا قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره الخبر، حزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لذلك وقال لعمرو:

«بئس ما صنعت، قتلت رجلين كان لهما منى أمان وجوار، لأدفعن ديتهما»<sup>(٢)</sup>.

ولكن الإجابة الأكثر وضوحاً على هذا الاعتراض (أو السؤال) هو ما يذكره ابن سعد صاحب الطبقات إذ يقول: وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبر أهل بئر معونه، وجاءه تلك الليلة أيضاً مصاب خبيب بن عدى ومرثد بن أبي مرثد<sup>(٣)</sup>.

ص: ٢٣٨

١- السيره النبويه لابن هشام: ٦٧٩/٣ و صاحب السيره يرى أنّه المنذر بن محمد بن عقبه الجلاح.

٢- لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٦٨٠/٣.

٣- الطبقات الكبرى: ٥٣/٢.

لقد فرح منافقو المدينة ويهودها بانتكاسه المسلمين فى معركة «أحد» كما فرحوا أيضاً بمصرع رجال التبليغ والدعوة، فرحاً بالغاً وباتوا يتحينون الفرصه لإثاره القلاقل والفتن فى المدينة لإفهام القبائل خارجها بأنه لا توجد أئنه وحده سياسيه وانسجام اجتماعى فى مركز الإسلام وعاصمه الحكومه الإسلاميه، وأن فى مقدور الأعداء الخارجيين أن يُجهزوا على حكومه الإسلام الفتيه، ويقضوا عليها بسهولة!!

ولكى يقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على نوايا ودخائل يهود بنى النضير مشى فى جماعه من أصحابه إلى حصنهم. على أن الهدف الظاهرى المعلن عنه كان هو الاستعانه بهم فى ديه العامريين اللذين قتلا خطأ على يد «عمرو بن أميه» كما أسلفنا، وذلك بموجب الاتفاقية المعقوده بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين اليهود، وكذا بنى عامر وغيرهم والقاضيه بالتعاون معاً فى تسديد الديه فى مثل هذه الموارد.

فلما وصل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حيث يسكن بنو النضير (١)، وكلمهم فى أن يعينوه فى تلك الديه، رحبوا به ظاهراً، ووعدوا بأن يلتوا مطلبه، ثم إنهم خاطبوه

ص: ٢٣٩

١- ذكر الواقدي فى المغازى: ٣٦٤/١ بأن النبى جاء بنى النضير فى ناديتهم.

قائلين: نفعل يا أبا القاسم ما أحببت. ثم دعوه إلى أن يدخل في بيوتهم، ويقضى يومه فيها، قائلين: قد آن لك أن تزورنا، وأن تأتينا، إجلس حتى نطعمك، فلم يقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتلييه مطلبهم، بل جلس مستنداً إلى جدار بيت من بيوتهم وأخذ يكلمهم.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحسن بشرًا من ذلك الترحيب الحار الذي قابلته به رجال بني النضير، والذي رافق حركات مشبووه منهم!!

هذا مضافاً إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم شاهدهم وقد خلا بعضهم إلى بعض يتناجون ويتهايمسون، الأمر الذي يدعو إلى الشك، ويورث سوء الظن!!

وقد كان سوء الظن هذا في محلّه، فقد قرّر سادة يهود - لَمَّا أتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رهط قليل من أصحابه - أن يتخلّصوا منه باغتياله والغدر به على حين غفله منه صلى الله عليه وآله وسلم، فانتدبوا أحدهم وهو «عمرو بن جحاش» لتنفيذ هذه الجريمة، وذلك بأن يعلو على البيت الذي استند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جداره فيلقى عليه صخره تقتله.

إلّا أنّ هذه المؤامرة انكشفت - ولحسن الحظ - قبل تنفيذها، إمّا من خلال حركات أولئك اليهود الخبثاء، المشبووه، أو بخبر أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من السماء، كما يروى ابن هشام والواقدي في مؤلفيهما.

فنهض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سريعاً، كأنه يريد حاجه، وتوجه من توه إلى المدينة دون أن يخبر أصحابه الذين أتوا معه، بقصده.

وبقى أصحابه هناك ينتظرون عودته من حاجته دون جدوى.

وندمت يهود على ما صنعت، واضطربت لذلك اضطراباً شديداً، وأصابتها حيره شديده فيما يجب أن تقوم به.



فمن جهة خشيت أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عَلِمَ بمؤامرتهم وتواطئهم، فيقدم على تأديبهم لنقضهم ميثاق التعايش السلمى، ولتواطئهم القبيح، ومكرهم السيئ.

ومن ناحية أخرى أخذت تفكر في أن تنتقم من أصحابه الموجودين هنا إن هو فاتهم، ولكنها خشيت أن يؤدى ذلك إلى مزيد من تأزم الموقف، وأن ينتقم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينئذ منهم قطعاً و يقيناً.

وفيما هم فى هذه الحالة من الاضطراب والتخير قرر أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم العوده إلى المدينة بعد أن يسوا من رجعتهم إليهم من حاجته، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: رأيتاه داخلًا المدينة، فأقبلوا حتى انتهوا إليه صلى الله عليه وآله وسلم وعرفوا بمؤامره اليهود، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم لما قالوا: يا رسول الله قمتم ولم نشعر:

«هَمَّتِ الْيَهُودُ بِالْغَدْرِ بِي، فَأَخْبَرَنِي اللَّهُ بِذَلِكَ فَقَمْتُ» (١).

### بماذا يجب أن تقابل هذه الجريمة؟

والآن ماذا يجب أن يقوم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تجاه هذه الزمرة الخائنة المتآمرة؟ تلك الزمرة التى تنعم بما وفرتها لهم الحكومه الإسلاميه من أمن وحرية، ويحافظ جنود الإسلام على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، كما يفعلون الفعل ذاته بالنسبه إلى أنفسهم وأموالهم وأعراضهم على حد سواء.

تلك الزمرة التى كانت ترى كل آثار النبوه ودلائلها فى حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعماله، وأقواله تماماً على نحو ما قرأت عنه فى كتبها وأسفارها، ولكنها بدل أن

ص: ٢٤١

١- . المغازى: ٣٦٦/١؛ الطبقات الكبرى: ٥٧/٢.

تردّ الجميل بالجميل وتقابل الإحسان بالإحسان، وبدل أن تحسن ضيافته وقد نزل عليهم ضيفاً، تتأمر لقتله غيلة وغدراً دونما خجل ولا حياء!!

ما هو يا ترى ما تقتضيه العدالة في هذا الصعيد وفي هذه الحال؟

وماذا يجب أن يفعل المرء حتى يمنع من تكرار مثل هذه الحوادث، ويستأصل جذور مثل هذه الجرائم؟ إنّ الطريق المنطقي هو ما اختاره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفعله.

فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين بالتهيؤ لحربهم، والسير إليهم، ثم دعا محمد بن مسلمه وأمره بأن يذهب إلى بنى النضير، ويبلغ سادتهم، من قبله رساله.

فخرج محمد بن مسلمه الأنصاري الأوسي إلى بنى النضير وقال لسادتهم:

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسلني إليكم يقول:

«قد نَقَضْتُمُ الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتُ لَكُمْ بِمَا هَمَمْتُمْ بِهِ مِنَ الْغَدْرِ بِي». وأخبرهم بما كانوا ارتأوا من الرأي وظهور عمرو بن جحاش على البيت يطرح الصخره فأسكتوا فلم يقولوا حرفاً. ويقول:

«أَخْرَجُوا مِن بَلَدِي فَقَدْ أَجَلَّتْكُمْ عَشْرًا فَمَنْ رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ».(1)

فأحدثت هذه الرساله الشديده اللهجه والساخنه المضمون انكساراً عجيباً في يهود بنى النضير، وأخذوا يتلاومون، وأخذ يحمل كل واحد منهم الآخر مسؤوليه هذه القضيه.

فاقترح عليهم أحد سادتهم أن يعتنقوا الإسلام ويؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن عنادهم منعهم من القبول بهذا الاقتراح. وعمتهم حاله يرثى لها من الحيره،

ص: ٢٤٢

والانقطاع، فقالوا لمبعوث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا محمد ما كنا نرى أن يأتي بهذا رجل من الأوس.

ويقصدون أنه كان بيننا وبين الأوس حلفٌ فما بالك تريد حربنا الآن.

فقال محمد بن مسلمة: تغيرت القلوب.

وقد كان هذا الإجراء متطابقاً مع ما جاء في ميثاق التعايش الذي عقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع يهود يثرب إبان دخوله المدينة، وقد وقع عليه عن يهود بنى النضير حيى بن أخطب، وقد نقلنا في ما سبق النص الكامل لهذا الميثاق وها نحن ندرج هنا قسماً منه ليتضح ما ذكرناه.

جاء في أحد بنود الميثاق (العهد):

«ألاً يعينوا (أى بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع) على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا على أحد من أصحابه بلسانٍ ولا يدٍ ولا بسلاحٍ ولا بكرعٍ فى السرِّ والعلانيه لا بليلٍ ولا بنهارٍ، والله بذلك عليهم شهيدٌ، فإن فعلوا فرسول الله فى حلٍّ من سفك دمائهم، وسبى ذراريهم، ونسائهم، وأخذ أموالهم» (١).

### المستشرقون ودموع التماسيح

لقد أبدى المستشرقون حزنهم وأسفهم لما جرى فى هذه القضية، وذرفوا دموع التماسيح، وأبدوا رقةً وشفقةً أكثر مما تبديه والده تجاه وليدها، على اليهود الخونه الناقضين العهد، الناكثين للإيمان، واعتبروا الإجراء الذى اتَّخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحقهم بعيداً عن روح الإنصاف وسنن العدل!!

والحقُّ أنّ هذه الاعتراضات والانتقادات لا تنبع من منطق السعى لمعرفة

ص: ٢٤٣

١- . بحار الأنوار: ١١١/١٩.

الحقيقه، لأننا عند مراجعتنا لنصّ الميثاق الذي أدرجناه للقارئ الكريم نرى الحقيقه على غير ما يتصوّرون ويصوّرون، فإننا نعرف أنّ الجزاء الذي جازى به رسول الله يهود بنى النضير هو فى الحقيقه أقلّ من الجزاء المنصوص عليه فى ذلك الميثاق بدرجات. إنّ هناك اليوم مئات الجرائم والمظالم التي يرتكبها أسياد هؤلاء المستشرقين فى الشرق والغرب دون أن يعترض عليها أى واحد من هؤلاء المستشرقين (الرحماء)، أدعياء الدفاع عن حقوق الإنسان!!!

أمّا عندما يقوم رسول الإسلام بتنفيذ عقوبه - هى فى الحقيقه - أقلّ بكثير من ما هو منصوص عليه فى الميثاق بحقّ زمرة خائنه متآمره ناقضه للعهد، تتعالى أصواتُ حفته من الكتاب المدفوعين بأغراض معينه ودوافع خاصه، بالاعتراض والانتقاد.

### دور حزب النفاق أيضاً

كان خطر المنافقين - وكما أسلفنا - أكبر من خطر اليهود لأنّ المنافق يطعن من الخلف وتحت غطاء من الصداقه، ويتستر وراء قناع الصحبه والزماله.

وقد كان رأس هذا الحزب هو «عبدالله بن أبى» و «مالك بن أبى» و.. و..

ولمّا سمع هؤلاء المنافقون بما يلقاه بنو النضير من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسل عبد الله بن أبى إليهم سويد وداعس فقالا: يقول عبد الله بن أبى: لا تخرجوا من دياركم وأموالكم، وأقيموا فى حصونكم، فإنّ معى ألفين من قومي وغيرهم من العرب، يدخلون معكم حصنكم فيموتون من آخرهم قبل أن يوصل إليكم

وتمدكم قريظه فإنهم لن يخذلوكم، ويمدكم حلفاؤكم من غطفان؟! (١)

ولقد جرأت هذه الوعود بنى النضير، فانصرفوا عن فكره الرضوخ لمطلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأغلقوا أبواب حصونهم، وأعدوا عدّه الحرب، وعزموا على أن يقاوموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهما كلف الثمن، ولا يسمحوا للمسلمين بأن يسيطروا على بساتينهم وممتلكاتهم دون عوض.

فَنَصَحَهُمْ أَحَدُ كِبْرَائِهِمْ وَهُوَ «سَلَامُ بْنُ مَشْكَمٍ» وَشَكَّكَ فِي وَعُودِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، وَاعْتَبَرَهَا وَعُوداً جَوْفَاءً، وَقَالَ: لَيْسَ قَوْلُ ابْنِ أَبِي بِشَيْءٍ، إِنَّمَا يَرِيدُ ابْنَ أَبِي أَنْ يُوْرطَكَ فِي الْهَلَكَةِ حَتَّى تَحَارِبَ مُحَمَّدًا ثُمَّ يَجْلِسُ فِي بَيْتِهِ وَيَتْرَكَكَ...

قال حيي: تأبى نفسى إلبعدواه محمد وإلبقتاله.

قال سلام: فهو والله جلاؤنا من أرضنا، وذهاب أموالنا، وذهاب شرفنا، أو سباء ذرارينا مع قتل مقاتلينا.

فأبى «حيي بن أخطب» إلبمحاربه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (وحتّ الناس على المقاومه والصمود)، وأرسل أخاه إلبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره: إننا لا نبرح من دارنا وأموالنا فاصنع ما أنت صانع!! (٢)

فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برسالة «عبدالله بن أبي» إلبى بنى النضير، وووعوده لهم، فاستخلف ابن أم مكتوم على المدينة، وسار صلى الله عليه وآله وسلم فى أصحابه مكبراً لمحاصره بنى النضير فصلّى صلاه العصر بفضائهم واستقر فى الطريق بين «بنى النضير» وبين «بنى قريظه» ليقطع بذلك سبيل الاتصال بين هذين الفريقين، وحاصر

ص: ٢٤٥

١- المغازى: ٣٦٨/١.

٢- المغازى: ٣٦٩/١-٣٧٠.

بنى النضير ست ليال - حسب روايه ابن هشام - (١) أو خمسة عشر يوماً حسب روايات آخرين، ولكن اليهود تحصّوا منه في الحصون، وأظهروا المقاومة، والإصرار على الامتناع، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقطع النخيل المحيطه بتلك الحصون، وإلقاء النار لبيأس اليهود من البقاء في تلك المنطقه مادامت بساتينهم أُعدمت، وأُفئيت.

فتعالت نداءتُ اليهود تقول: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد، وتعيبه على من صنعهُ، فما بال قطع النخل وتحريقها؟!

فردّ الله تعالى عليهم بقوله:

«مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ» (٢).

هذا من جهه ومن جهه أُخرى خذلهم عبدالله بن أبي، فلم يأتوهم، كما اعتزلتهم قريظه فلم تعنهم بسلاح ولا رجال.

وقد ذكر القرآن الكريم هذا الخذلان إذ قال تعالى:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ \* لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولُنَّ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ \* لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ \* لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ

ص: ٢٤٤

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٦٨٣/٣. وهذا من التكتيكات العسكريه التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستعملها ليقطع خطوط الارتباط بين الجماعات المتعاونه.

٢- . الحشر: ٥.

بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ» (١).

وقد كشفت الآيات الحاضرة - إلى جانب ما ذكر - عن نفسيه اليهود الجبانه، والتي انهارت أيضاً بسبب معنويات المسلمين القويه حتى أنهم رغم اجتماعهم وعددهم الكبير يخافون من مواجهه المسلمين فلا- يقاتلونهم إيمان وراء أسوار الحصون، وجدران القلاع القويه خائفين مذعورين، ومرعوبين، وهم إلى جانب كل ذلك يعانون من اضطراب وقلق وتفترق كلمه فى الواقع.

وأخيراً رضخ اليهود لمطلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسألوه أن يجليهم، ويكف عن دمائهم على أن يكون لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح والدروع، فرضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك.

فاحتملوا من أموالهم أكبر قدر ممكن، حتى أن الرجل منهم يقلع باب بيته فيضعه على ظهر بعيره، ثم يخرب بيته بيديه!!  
فخرج جماعه منهم إلى خيبر، وسارت جماعه أخرى منهم إلى الشام.

وقد خرجت تلك الزمره الذليله الخاسئه وهم يضربون بالدفوف، ويزمرون بالمزامير، وقد ألبسوا نساءهم الثياب الراقيه، وحلّى الذهب، مظهرين بذلك تجلداً ليغطوا على هزيمتهم، ويروا المسلمين أنهم غير منزعجين من مغادرتهم تلك الديار!! (٢)

#### مزارع بنى النضير تقسم بين المهاجرين فقط

إن ما يغنمه جنود الإسلام دون قتال وهو ما يُسمى بالفىء يعود أمره إلى

ص: ٢٤٧

١- . الحشر: ١١-١٤.

٢- . لاحظ: المغازى للواقدي: ٣٧٤/١-٣٧٥.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصه، يضعه حيث يشاء ويصرفه فيما يرى من مصالح الإسلام لقوله تعالى:

«ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل». (١)

وقد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن من الصالح أن يقسم المزارع والممتلكات التي غنمها من بني النضير على المهاجرين دون الأنصار، لحرمانهم من ممتلكاتهم وثوراتهم في مكة بسبب الهجره منها إلى المدينة، وكانوا في الحقيقة ضيواً على الأنصار طوال هذه المده، وقد أيد «سعد بن معاذ» و«سعد بن عباد» هذا الرأي، ومن هنا قسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميع تلك المزارع والممتلكات على المهاجرين خاصه، ولم يحصل أحد من الأنصار منها على شيء إلا رجلين كانا محتاجين هما:

«سهل بن حنيف»، و«أبو دجانة»، الأنصاريان، وحصل بذلك انفراج في أحوال المسلمين عامه، وأعطى «سعد بن معاذ» سيف رجل من زعماء بني النضير وكان سيفاً معروفاً.

يقول المقرئ:

فلما غنم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني النضير بعث ثابت بن قيس بن شماس فدعا الأنصار كلها - الأوس والخزرج - فحمد الله وأثنى عليه، وذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين وإنزالهم إياهم في منازلهم، وأثرتهم على أنفسهم ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن أحببتهم قسيت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله على من بني النضير، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم، وإن أحببتهم وخرجوا من دوركم؟»

ص: ٢٤٨

١- الحشر: ٧.



فقال سعد بن عباده وسعد بن مُعاذ: بل تقسّمه للمهاجرين، ويكونون في دورنا كما كانوا. ونادت الأنصار: رضينا وسلّمنا يا رسول الله.

فقسّم رسول الله ما أفاء الله عليه، على المهاجرين دون الأنصار إلّارجلين كانا محتاجين: سهل بن حنيف بن واهب وأبو دجانة سمّاك بن خرشه(١).

وقد وقعت هذه الحادثه في شهر ربيع الأوّل في السنه الرابعه من الهجره ونزلت سوره الحشر في هذا الشأن، والتي جاء في مطلعها قوله تعالى:

«هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ» (٢).

هذا ويعتقد أكثر المؤرّخين المسلمين أنّه لم يُسفك في هذه الحادثه، أي دم، ولكن ذكر الشيخ المفيد في إرشاده أنّه وقع ليله فتح حصون بني النضير قتال محدود قتل فيه عشره من اليهود وكان ذلك هو السبب في فتح تلکم الحصون(٣).

وقال المقریزی: وَقَدَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهُ فِي بَعْضِ شَأْنِكُمْ، فَعَن قَلِيلٍ جَاءَ بِرَأْسِ «عَزُوكَ» وَقَدْ كَمَنَ لَهُ حَتَّى خَرَجَ فِي نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ يَطْلُبُ غَرَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ شَجَاعًا رَامِيًا، فَشَدَّ عَلَيْهِ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَتَلَهُ وَفَرَّ الْيَهُودُ(٤).

ص: ٢٤٩

١- . إمتاع الأسماع: ١٩١/١ و ١٩٢.

٢- . الحشر: ٢.

٣- . لاحظ: الإرشاد: ٩٢/١-٩٣.

٤- . إمتاع الأسماع: ١٨٩/١.

تحريم الخمر

كانت الخمر، وعلى العموم جميع المسكرات ولا تزال من أشد الأوبئة الاجتماعية التي تهدد أمن وسلامه المجتمعات البشرية وتجرّ إليها أكبر الأخطار، ويكفى فى خطوره هذا السمّ القاتل أنه يعادى أكبر ما يميّز البشر عن ما سواه من الأحياء، ذلكم هو العقل، فإنّ الخمره هى العدوّ الأوّل لهذه الموهبه الإلهيه الّتى فى سلامتها ضمان لسعاده الإنسان.

إنّ الفارق بين الإنسان وبين سائر الأحياء هو القوه العاقله الّتى يمتلكها الإنسان دون غيره، وتكون المسكرات من أعدى أعداء هذه القوه، من هنا كان المنع من تعاطى الخمر والمسكرات من أبرز البرامج الّتى جاء بها الأنبياء، وكانت الخمر محرّمه فى جميع الشرائع السماويه(١).

ص: ٢٥٠

---

١- . فى عام ١٣٣٩ هـ، زار الدكتور آرشه تونك رئيس منظمه مكافحه الخمر إيران، وقد سرّ لما

ولقد كانت معاقرة الخمر من الآفات المتفشية والمتجذّرة في المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربيّة بحيث كانت معالجتها تحتاج إلى وقت طويل، وأسلوب مدروس، ولم تكن الظروف والأحوال في ذلك العهد لتسمح بأن يعلن رسول الإسلام عن تحريم الخمر دفعهً واحدهً ومن دون أيّة مقدّمات، وممّهّدات لذلك، بل كان يتحتّم عليه أن يعالج هذا الوباء الاجتماعيّ من خلال إعداد الناس لمرحلة التحريم النهائيّ والقطعيّ تماماً كما يفعل الطبيب بالنسبة إلى المرضى الذين طال بهم المرض، وتجدّر.

من هنا حرّمت الخمر في أربع مراحل تدريجية ضمن آيات أربع أظهرت الاستياء من الخمر لكن لا على نمطٍ واحدٍ، بل بدأت من مرحلةٍ مخفّفة حتّى انتهت إلى مرحلة الإعلان عن التحريم القطعيّ.

إنّ التمعّن في هذه الآيات يكشف لنا عن كميّته الأسلوب النبويّ في التبليغ والإرشاد، والدعوه والهدايه، وبنبغى للخطباء، والكتاب أن يتبعوا هذا الأسلوب المؤثّر والمفيد في معالجه الأدواء الاجتماعيّه المزمّنه، ويكافحوها بهذا الشكل حتّى يحصلوا على أفضل النتائج.

إنَّ الشرط الأساسي لمكافحه ناجحه لأبـيخلق وسلوك فاسد هو إيقاظ المجتمع وإيقافه أولاًـ على أضرار ذلك السلوك، ومفاسده، وتذكيره بآثاره السيئه ليحصل لدى المجتمع - بذلك - الاستعداد الروحي بل والدافع الداخلي إلى خوض معركة أساسيه وجذريه ضد ذلك السلوك الفاسد، والخلق الذميم، ويكون الناس هم الضمانه لإنجاح هذه المهمه. وذلك لأن ردّ المعتاد عن عاداته كالمعجز كما في الحديث الشريف عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام(١).

كيف والعرب كانوا يعشقون الخمره حتّى أنّ الرجل منهم ربما كان يوصى بأن يدفن إلى جنب كرمه لتسقى عظامه بالخمر. يقول أحدهم:

إذا مت فادفني إلى جنب كرمه ترؤى عظامي بعد موتي عروقتها(٢)

من هنا اعتبر القرآن الكريم اتّخاذ الخمر من التمور والأعناب - في مجتمع كان تعاطى الخمر جزءاً أساسياً من حياته - مخالفاً للرزق الحسن، وبذلك أيقظ العقول الغافيه، إذ قال:

«وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً» (٣)

إنّ القرآن أعلن - في المرحله الأولى من مراحل النهي عن تعاطى الخمر - أنّ اتّخاذ المسكر من التمر والعنب لا- يُعد من الارتزاق الحسن، بل الارتزاق الحسن هو تناول التمر والعنب على حالتهما الطبيعيه.

إنّ هذه الآيه: أعطت هزّة ذكيّه للعقول، وهنأت الطبائع المنحرفه لمرحله

ص: ٢٥٢

١- . لاحظ: تحف العقول: ٤٨٩؛ بحار الأنوار: ٣٧٤/٧٥ برقم ٣٠.

٢- . تفسير الرازي: ١٠٧/٦.

٣- . النحل: ٦٧.

أقوى فى مسيره تحريم الخمر، حتى يتسنى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يشدد من نبرته، ويعلن عن طريق آيه أخرى أن النفع المادى القليل، الذى تعود به الخمر ويأتى به القمار، ليس بشيء بالقياس إلى أضرارهما الكبرى وأخطارهما العظيمه، وقد تم الكشف عن هذه الحقيقه فى قوله تعالى:

«يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا». (١)

ولا ريب أن مجرد المقارنه بين النفع والضرر، وكذا الوقوف على زياده الضرر على النفع كافٍ لإيجاد النفور والاشمئزاز لدى العقلاء، والواعين، من الخمر وما شاكلها، وشابها.

إلا أن جماهير الناس وعامتهم لن يقلعوا عن هذه العاده الشريره المتجذره ما لم يسمعوا نهياً صريحاً وقاطعاً عنها.

فها هو عبدالرحمن بن عوف رغم نزول هذه الآيه قد استضاف جماعه من الصحابه وأحضر على المائده خمراً، فأكلوا، وشربوا الخمر، ثم قاموا إلى الصلاه، فأخطأ أحدهم فى القراءه وهو سكران خطأ غير من مراد الله تعالى فى ما قرأ من الآيه، فقد تلا سوره «الكافرون»، وبدل أن يقول: «لا أعبد ما تعبدون» قرأ: «أعبد ما تعبدون». فاضطربت تلك الجماعه لهذا الأمر، وخشيت أن تكون ارتكبت بذلك أمراً عظيماً!!

وقد هيا هذا الحادث الناس ليحرم تعاطى الخمر فى ظروف وحالات خاصه على الأقل.

ص: ٢٥٣

١- . البقره: ٢١٩.

من هنا جاء الإعلان عن حرمة تعاطي الخمر قبل الصلاة، وأعلن القرآن الكريم بصراحه أنه لا يجوز لمسلم أن يصلّى في حالة السكر، وقد أعلن عن هذا التشريع الإلهي في قول الله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ». (١)

ولقد بلغ من تأثير هذه الآيه، وفعاليتها أن هجر جماعه من المسلمين تعاطي الخمر بالمرّه بحجّه أنّ ما يضرّ بالصلاه يجب أن يُطرَد من حياه المسلم نهائياً.

ولكن البعض بقى يتعاطاها حتى أنّ رجلاً من الأنصار دعا جماعه إلى مائده أحضر فيها الخمر - رغم نزول الآيه الحاضره - فلمّا شربوا وأسكروا حمل بعضهم على بعض، وجرح بعضهم بعضاً فشكوا أمرهم إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم، وكان الخليفه الثاني لم يزل يشرب الخمر إلى ذلك معتقداً عدم كفايه الآيه الحاضره في التحريم القطعي لها، ولهذا رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاءً. (٢)

ولا يخفى أنّ هذه الحوادث والوقائع المؤسفه قد هيأت الارضيه بشكل رائع لتقبّل مسأله تحريم الخمر تحريماً كاملاً وقاطعاً، من هنا نزل قوله تعالى يعلن عن هذه الحرمة القطعيه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ». (٣)

وقد دفع هذا البيان البليغ القاطع أن يقلع عن الخمر نهائياً من كان يشربها حتى تلك الساعه بحجّه عدم وجود نهى صريح وقاطع عنها.

ص: ٢٥٤

١- النساء: ٤٣.

٢- لاحظ: سنن أبي داود: ١٨٢/٢ برقم ٣٦٧٠؛ سنن الترمذي: ٣٢٠/٤ برقم ٥٠٤٢.

٣- المائده: ٩٠.

وقد جاء في كتب السنّه والشيعة أنّ الخليفه الثاني قال بعد سماع هذه الآيه:

انتبهينا يا ربّ (١)!!

### وقفه عند «البيان الشافي»

قلنا إنّ الخليفه الثاني لم يقتنع بعد سماع الآيات الثلاث بحرمه الخمر، بل بقي ينتظر بياناً شافياً يكشف عن التحريم القطعي، حتّى أقنعتة الآيه الرابعه بحرمه الخمر والمسكرات، وقد كان حكم الله تعالى في هذه الآيه هو: أنّ الخمر «رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» ولكنّ المتغريين، وهواه الماديّه الغريبه في عصرنا لم تقنعهم كلّ هذه الآيات بحرمه الخمر، حتّى الآيه الرابعه الصريحه في هذا الأمر، فيقولون لا بدّ أن يُعلنَ عن هذا التحريم بلفظه:

حرام أو حرّمت، وآلا لم يمكن القطع بحرمه الخمر!!

إنّ هذه الزمره التابعه لأهوائها، الأسيره لشهواتها الحرام، لا تريد في الحقيقه إلّا أن تظل عاكفه على الخمر أبداً، ومن هنا تطرح مثل هذه المعاذير وتتوسّل بمثل هذه الحجج الجوفاء.

على أنّ القرآن الكريم قد استعمل لفظ الحرام بشكلٍ ما في شأن الخمر إذ قال:

«وَإِنَّهُمَا أَعْكَبُ مِنْ نَفْعِهِمَا». (٢)

وقد حرّم تعالى جميع أنواع الإثم في آيه أخرى إذ قال:

«قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ الْإِثْمَ». (٣)

ص: ٢٥٥

١- . مستدرک الحاكم: ١٤٣/٤؛ روح المعاني: ١٧/٧.

٢- . البقره: ٢١٩.

٣- . الأعراف: ٣٣.

وبعبارة أخرى: لقد بين الله تعالى في آية أخرى الموضوع، وهو أن الخمر (التي تُسمى إثماً أيضاً) قد حُرِّمت.

فهل ينتظر هواه الغرب بعد هذا البيان الواضح والتحريم الصريح بياناً كافياً شافياً؟!!

وفي الحقيقة نحن لا نحتاج إلى مثل هذا الاستدلال أبداً فالآيات الأربع المتقدمة التي وصفت الخمر بأنها «رجس» وأنها نظير «الميسر»، وأنها «عمل شيطاني»، مناقض للفلاح، وسبب «للعداوة» و «البغضاء»، قد أعلنت عن حرمتها بصورة واضحة لا إبهام فيها، ولا غموض، وهي بالتالي أقوى بيان لمن تدبر وأنصف، وتجرد عن الأهواء والأغراض المريضة. وهنا لا بد أن نذكر بنقطه هامّة وهي أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم استطاع أن يطهر في هدى هذه الآيات الأربع، بيئته ومجتمعه من أدران هذه العادة الشريرة، ويقوم المؤمنون أنفسهم بتنفيذ هذا الحكم من دون قهر أو إجبار، بينما لم يستطع العالم الغربي رغم كل ما يملك من الإمكانيات الماديّة العريضة، وأجهزه الدعاية الواسعة أن يخطو خطوة ناجحة في هذا الطريق، فقد أخفقت كل خطته، أمام هذا السمّ القاتل، والفشل المذموم أصاب الولايات المتحدة في مكافحة المشروبات الروحية في أعوام ١٩٣٣-١٩٣٥ أمر معروف للجميع، وله قصّة عجيبة يمكن أن يقف عليها القارئ الكريم في مصادرها(١).

### روايه مختلّقه

ومن عجيب الأمر أن يروى بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: «لا

ص: ٢٥٦

---

١- . راجع: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ص ٨٠ وغيره.



تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ» (١) رواه جاء فيها أن إمام المتقين على بن أبي طالب عليه السلام كان ضمن جماعه شربوا الخمر ثم قاموا إلى الصلاة فقرأ إمامهم غلطاً: «أعبد ما تعبدون»!! فأنزل الله تعالى هذه الآية: «لا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ» .

نقول: إن من العجيب أن تنسب إلى الإمام على عليه السلام مثل هذه النسبه وهو الطاهر المطهر بحكم آيه التطهير (٢)، وهو الذي نشأ وترعرع في أحضان سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يتجنب الخمر، حتى قبل نزول النهي الصريح عنها، هذا وعلى عليه السلام المعروف بحكمته وفهمه وعلمه عارف بما للمسكر من تبعات خطيره.

نعم من العجيب أن نصدّق بأنّ علياً عليه السلام شرب الخمر، وهناك في الجاهليه (وقبل الإسلام) مَنْ حرّم الخمر على نفسه لكونها تذهب بالعقل، وتؤول بالمرء إلى ما لا يُحمَد.

ففي «السيره الحلبيه» كان عبدالله بن جدعان من جمله من حرّم الخمر على نفسه في الجاهليه، أى بعد أن كان بها مغرماً، وسبب ذلك أنه سكر ليله فصار يمدّ يده على ضوء القمر ليمسكه، فضحك منه جلساؤه ثم أخبروه بذلك حين صحا، فحلف أن لا يشربها أبداً.

وكان عثمان بن مظعون ممن حرّم الخمر على نفسه في الجاهليه أيضاً وقال:

لا أشرب شيئاً يذهب عقلي، ويضحك بي من هو أدنى مني، ويحملني على أن

ص: ٢٥٧

١- . النساء: ٤٣.

٢- . الأحزاب: ٣٣، راجع تفاسير الفريقين ومجاميعهم الحديثيه.

أَنْكِحَ كَرِيمَتِي مَنْ لَا أُرِيدُ (١).

وورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: «أوحى الله تعالى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنني أشكر لجعفر بن أبي طالب عليه السلام أربع خصال.

فدعاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره فقال: لولا أنّ الله تبارك وتعالى أخبرك ما أخبرتك:

ما شربتُ خمرًا قط، لأنني علمت أنني إن شربتها زال عقلي.

وما كذبتُ قط، لأنّ الكذب ينقص المروءة.

وما زنيت قط، لأنني خفت أنني إذا عملتُ عُملَ بي.

وما عبدت صنماً قط، لأنني علمت أنه لا يضر ولا ينفع.

فضرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده على عاتقه وقال: حقّ على الله عزّ وجل أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع الملائكة في الجنّة» (٢).

نعم هذا هو موقف مَنْ هو أقلّ مرتبه ومنزله من الإمام على عليه السلام من الخمر، ولو في العهد الجاهلي، وقبل تحريمها في الإسلام.

لكن يد الوضع والدرسّ أبت إلّمان تختلق روايه في المقام، فقد جاءت في «جامع البيان» للطبري روايتان نذكرهما سنداً ومنتناً ليقف القارئ على ما تعانين من مآخذ:

١. حدّثنا محمد بن بشار قال: حدّثنا عبدالرحمن قال: حدّثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبدالرحمن، عن علي أنه كان هو وعبدالرحمن ورجل آخر شربوا الخمر فصلّى بهم عبدالرحمن فقراً: يا أيّها الكافرون فخلط فيها

ص: ٢٥٨

١- . السيره الحلبيه: ٢١١/١.

٢- . من لا يحضره الفقيه: ٣٩٧/٤ برقم ٥٨٤٧.

فنزلت: «لا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْتُمْ سُكَارَى» (١).

٢. حدثني المثنى قال حدثنا الحجاج بن المنهال قال: حدثنا حمّاد، عن عطاء ابن السائب، عن عبد الله بن حبيب، أنّ عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً وشراباً فدعا نقرأ من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأكلوا وشربوا حتى ثملوا، فقدموا علينا يصلي بهم المغرب فقرأ: قل يا أيها الكافرون أعيد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد وأنا عابد ما عبدتم. لكم دينكم ولي دين؛ فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية: «لا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ» (٢).

والروايتان - مضافاً إلى ما يرد عليهما من الإشكال - تعانين من مؤاخذات متعدّده أبرزها الإشكال في سندهما، فكلتا الروايتين تنتهي إلى عطاء بن السائب، وهو مطعون في وثاقته وديانته، وفي حفظه وحديثه، وإليك ما قال عنه أئمة علم الرجال:

قال عنه الذهبي: عطاء بن السائب أحد علماء التابعين، تغيّر بأخره وساء حفظه.

وقال عنه أحمد: من سمع منه قديماً فهو صحيح، ومن سمع منه حديثاً لم يكن بشيء.

وقال عنه يحيى بن معين: لا يحتج به.

وقال أحمد بن أبي خيثمه عن يحيى: حديثه ضعيف.

وقال عنه أبو حاتم: محلّه الصدق قبل أن يخلط.

وقال النسائي: ثقّه في حديثه القديم لكنّه تغيّر.

ص: ٢٥٩

١- . جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري): ١٣٣/٥.

٢- . جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري): ١٣٤/٥.

وقال ابن عليّ: قدم علينا عطاء بن السائب البصره، فكنا نسأله، فكان يتوهم، فنقول له: من؟ فيقول: أشياخنا ميسره، وزاذان، وفلان.

وقال الحميدى، حدّثنا سفيان، قال: كنت سمعتُ من عطاء بن السائب قديماً، ثم قدم علينا قدمه فسمعتُه يحدثُ ببعض ما كنتُ سمعتُ، فخلط فيه، فاتقته واعتزلته.

وأضاف الذهبي: «ومن مناكير عطاء...»(١).

أجل هذا هو عطاء في منظار علماء الرجال، إنه سيئ الحفظ، ضعيف مخلط له مناكير، يتوهم، تغير بآخره، وقد ظهرت آثار الوهم وسوء الحفظ والتخليط هذا في روايته هاتين. فهو تاره يقول أن علياً عليه السلام كان مأموماً في هذه القصه (كما في الروايه الأولى) وتاره يقول كان عليه السلام إماماً للجماعه.

وهذه الروايه من مناكيره، وأوهامه بلا-ريب، إذ كيف يصح أن يُنسب إلى رجلٍ لازم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطيب الطاهر منذ نعومه أظفاره، شرب الخمر، والائتمام برجلٍ دونه في الفضل، أو إمامته للجماعه وتخليطه في قراءه سورهِ عظيمه من سور القرآن الكريم!؟

ولنستمع معاً إلى ما يقوله إمام المتقين على بن أبي طالب عليه السلام عن فتره صباه في كنف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه أفضل ردّ على هذه الروايه ونظائرها: قال عليه السلام:

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ. وَضَعَنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ (وليدٌ) يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فَرَّاشِهِ، وَيُمْسِنِي جَسَدَهُ، وَيُسْمِنِي عَرَفَهُ.»

ص: ٢٤٠

وَكَانَ يَمْضِعُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَحَدَّ لِي كَذِبَهُ فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَهُ فِي فِعْلٍ. وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ لَعْدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسِيلُكَ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ، يَزْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ»(١).

هذا وأغلب الظن أنّ الذين اختلقوا هذه الرواية لما وجدوا أمثال هذه القبائح في حياة بعض الصحابة أرادوا أن يساووا بين الإمام على عليه السلام وغيره، فاختلقوا هذه الفرية الوقحة.

ومما يشير الاستغراب أن يقع بعض الكتاب والمفكرين المعاصرين في نفس ما وقع القدامى من الخطأ في هذا المجال، ويذكر هاتين الروايتين في تفسيره للقرآن الكريم، مع كلّ هذه المؤاخذات عليهما حتّى في صورته النقل، كما فعل سيد قطب في تفسيره «في ظلال القرآن»(٢)، إذ ليس كلّ ما هو مذكور في كتب الأقدمين يصحّ نقله، ويجوز تكراره. وبخاصّة من دون تعليق وتكذيب!!

### غزوة ذات الرقاع

قيل إنّما سُمّيت هذه الغزوة، وهذا الجهاد المقدس بالرقاع، لأنّ المسلمين مروا بجبل فيه بقع حمرة وسواد وبياض كأنّها مرّعه برقاع مختلفه.

وربما قيل: لأنّ أقدامهم نقت فيها فكانوا يلفون على أرجلهم الخرق، والرقاع فسُمّيت هذه الغزوة بذات الرقاع(٣).

ص: ٢٤١

١- نهج البلاغه: ٣٠٠، الخطبه رقم ١٩٢.

٢- عند تفسير قوله تعالى: «لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى».

٣- بحار الأنوار: ١٧٧/٢٠؛ إمتاع الأسماع: ١٩٦/١.

وعلى كل حال فإن هذه الغزوه لم تكن ابتدائية تماماً مثل بقية الغزوات، بل كانت لإطفاء شراره كانت على شرف الاشتعال، والانفجار، وبالضبط جاءت لتقضى على تحركات واستعدادات عدائيه كان يقوم بها بنو محارب وبنو ثعلبه وكلاهما من قبائل غطفان.

وقد كان من دأب النبي وسياسته أن يبيث أشخاصاً أذكاء إلى المناطق المختلفه ليأتوا له بالأخبار عن كل ما يستجد على ساحه الجزيره العربيه، وفي أوساط القبائل.

فأتاه الخبر ذات مره أن القبيلتين المذكورتين تنويان جمع الأسلحه والرجال لاجتياح المدينه وغزوها، فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رأس مجموعه من رجاله وأصحابه حتى نزل نخلاً بنجد قريبه من مكان العدو(١).

فدفعت سوابق المسلمين الجهاديه، وما سطره في المعارك والمواقف من قصص المقاومه والصمود والبساله والاستقامه، وما حققه من انتصارات ساحقه حيرت سكان الجزيره العربيه من أقصاها إلى أقصاها. لقد دفع كل هذا العدو إلى الانسحاب، واللجوء إلى رؤوس الجبال، وقد خافوا ألا يبرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يستأصلهم.

وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمسلمين في هذه الغزوه صلاه الخوف، التي بين الله تعالى كيفيتها في سوره النساء الآيه ١٠٢.(٢)

وأغلب الظن أن العدو كان في هذه الغزوه قوياً في تجهيزاته وقواه، وأن الأوضاع العسكريه قد وصلت إلى مرحله خطيره مما سبب الخوف، ولكن

ص: ٢٤٢

١- . لاحظ: إمتاع الأسماع: ١٩٧/١.

٢- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٦٩٣/٣.

الانتصار كان في المآل من نصيب المسلمين.

### مواقف خالده في هذه الغزوه

يروى المؤرخون والمفسرون المسلمون كابن هشام<sup>(١)</sup> وأمين الإسلام الطبرسي<sup>(٢)</sup> قصصاً عجيبه، وحوادث مشيره للإعجاب وقعت في هذه الغزوه تكشف عن عمق مروءه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أعدائه، وقد نقلنا نظير هذا في غزوه ذي أمر<sup>(٣)</sup>، من هنا نحجم عن ذكر ذلك في هذه الدراسه رعايه للاختصار، ولكن نلفت نظر القارئ الكريم إلى القصه التاليه التي تكشف عن صمود المسلمين وإخلاصهم لدينهم.

### الخُراس الصامدون

مع أنّ جيش الإسلام قد عاد إلى المدينه من هذه الغزوه من دون قتال ولكنه أصاب مع ذلك بعض الغنائم، واستراح في شعب في أثناء الطريق، وبات ليلته هناك ثم كلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلين بحراسه الجيش ليلاً يدعيان: «عباد» و «عمار»، فقسم الرجلان الليل بينهما، فنام أحدهما وسهر الآخر يحرس الجيش، وكان الذي سهر أوّل الليل هو «عباد».

ثم إنّ رجلاً من العدو خرج في أثر المسلمين، وكان يقصد أن يريق دمًا أو يصيب شيئاً ويعود إلى محلّه.

وقام «عباد» يصلّي، وأقبل ذلك الرجل يطلب غزّة فلما رأى «عباد» سواده من

ص: ٢٤٣

١- السيره النبويه لابن هشام: ٣/٦٩٣-٦٩٥.

٢- مجمع البيان: ٣/١٠٣.

٣- راجع: ص ١٤٨ من هذا الكتاب.

قريب قال ذلك الرجل في نفسه: يعلم الله أن هذا لطبعه القوم، وحرصهم ففوق له سهماً ورماه به فأصاب عبداً ولكن عبداً نزع السهم ووضعته، وثبت قائماً يصلى فرماه العدو بسهم آخر، فأصابه فانترعه وثبت قائماً فرماه بثالث فنزعه، فلما غلب عليه الدم ركع وسجد، ثم قال لصاحبه: اجلس فقد أُصبتُ، فجلس عمار، فلما رأى الأعرابي أن عماراً قد قام علم أنّهما قد علما به، فقال عمار: أى أخى ما منعك أن توقظنى به فى أول سهم رمى به؟!

قال: كنتُ فى سورة أقرأها وهى سورة الكهف، فكرهتُ أن أقطعها حتى أفرغ منها، ولولا أنّى خشيتُ أن أُصيغَ ثغراً أمرنى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما انصرفت ولو أتى على نفسى (١).

وهكذا صمد هذا المسلم واستمر فى صلاته غير مبال بما أصابته من السهام.

### غزوه بدرُ الصغرى

لما أراد أبو سفيان أن ينصرف يوم «أحد» نادى: موعد بيننا وبينكم بدرُ الصفراء رأس الحول نلتقى فيه فنقتل (٢).

ولهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين بأن يتهَيَّأوا للدفاع عن أنفسهم، وقد مرَّ على وقعه «أحد» عامً واحدً.

وكان أبو سفيان الذى كان يرأس قريش آنذاك يواجه فى ذلك الوقت مشاكل داخلية مختلفة، فكره الخروج إلى رسول الله فى الموعد الذى ضربه لمقاتله المسلمين، واتفق أن قدم مكة فى تلك الأيام «نعيم بن مسعود» الذى كانت بينه

ص: ٢٤٤

١- . لاحظ: المغازى: ٣٩٧/١.

٢- . المغازى: ٣٨٤/١.



وبين أبي سفيان علاقات صداقه خاصه، فجاءه أبو سفيان وقال له: يا نعيم إني وعدت محمداً وأصحابه يوم «أحد» أن نلتقي نحن وهو بيدر الصفراء على رأس الحول، وقد جاء ذلك.

فقال نعيم: ما أقدمني إلّا ما رأيت محمداً وأصحابه يصنعون من إعداد السلاح والكرّاع، وقد تجلبب إليه حلفاء الأوس من بلى وجهينه وغيرهم، فترك المدينة أمس وهي كالرمانه. (١)

فزاد ذلك من مخاوف أبي سفيان، وضاعف من كراهته للخروج إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وتقرّر بالتالي أن يعود نعيم إلى المدينة ويحدّر المسلمين من الخروج للموعد، ويخدّلهم.

وعاد «نعيم» إلى المدينة، وراح يرعب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويخوّفهم من الخروج إلى أبي سفيان إلّا أن كلامه لم يترك أى أثر فى نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فخرج صلى الله عليه وآله وسلم فى ألف وخمسمائه مقاتل من أصحابه، وقد خرجوا ببضائع لهم، وتجارات حتى انتهوا إلى «بدر» وقام السوق السنوى هناك فباعوا واشتروا فى موسم بدر وربحوا كثيراً ثم تفرّق الناس، ولكن النبى وأصحابه بقوا هناك ثمانية أيام ينتظرون أبا سفيان وجيشه.

وقد كان هذا الإجراء إجراء عسكرياً حكيماً ورائعاً، إذ أظهر قوه النبى وعزيمته وقوه أصحابه وعزيمتهم، ولهذا كان له أثر قوى فى نفوس الأعداء.

فلما بلغت أنباء خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى بدر، لم ير حكام مکه المشركون بداً من الخروج إلى بدر حفاظاً على ماء الوجه، فخرج أبو سفيان والمشركون بتجهيزات كافيه إلى مر الظهران، ولكنهم عادوا من منتصف الطريق إلى

ص: ٢٦٥

مكّه بحجّه الغلاء والقحط، فاعترض صفوان بن أميّه على أبي سفيان وقال: قد والله نهيتك يومئذ أن تعد القوم، وقد اجترأوا علينا، ورأوا أن قد أخلفناهم، وإنما خلفنا الضعف عنهم(١).

### ولادهُ السبّط الأصغر لرسول الله

وفى الثالث من شهر شعبان من هذه السنه (الرابعه من الهجره) وُلِدَ السببُ الثاني لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام الحسين بن عليّ (٢)، كما توفيت «فاطمه بن أسد» والده الإمام علي عليه السلام(٣).

وفى هذا العام بالذات أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيد بن حارثه أن يتعلّم السريانيه من اليهود(٤).

ص: ٢٦٦

---

١- . لاحظ: المغازى: ٣٨٥/١-٣٩٠. وقد وقعت هذه الحادثه فى الشهر الخامس والأربعين بعد الهجره. وتسمى هذه الغزوه «بدر الموعد».

٢- - تاريخ الخميس: ٤٦٧/١.

٣- . تاريخ الخميس: ٤٦٧/١.

٤- . إمتاع الأسماع: ١٩٦/١، تاريخ الخميس: ٤٦٤/١.

تعتبر معركة «الأحزاب»، وقصه بنى قريظه، وزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزينا بنت جحش (١) من أهم الحوادث التاريخيه التي وقعت فى السنه الخامسه من الهجره.

وأول هذه الحوادث - كما عليه المؤرخون المسلمون - هو زواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمرأه المذكوره.

وقد ذكر القرآن الكريم تفاصيل هذه القضيه ضمن الآيات (٤، ٤، ٤، ٣٦ إلى ٤٠) من سوره «الأحزاب»، ولا يبقى - حيثئذ - مجال لأكاذيب المستشرقين

ص: ٢٤٧

---

١- . يرى مؤلف كتاب «تاريخ الخميس» أنّ هذه الحادته وقعت فى شهر ذى القعده من السنه الخامسه للهجره، ولكن هذا الرأى يبدو غير صحيح من وجهه نظر الحسابات الاجتماعيه، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان منشغلاً بغزوه «الأحزاب»، و «بنى قريظه» من ٢٤ شهر شوال من السنه الخامسه إلى ١٩ من شهر ذى الحجه من نفس السنه فيكون تحقّق مثل هذا الزواج فى مثل هذه الظروف أمراً مستبعداً جداً، وإذا كان الزواج من زينا يُعدّ من حوادث السنه الخامسه لزم أن يكون قد تحقّق قبل الحادتين المذكورتين، ولهذا عمدنا إلى ذكر هذه الحادته قبل تينيك الواقعتين.

ونحن هنا ندرُسُ هذه القضية على ضوء أصحّ المصادر التاريخيه الإسلاميه الّتي لم تطلها أيدي العبث والتحرّيف، والمسوخ، والتشويه، ألا- وهو القرآن الكريم، ثم بعد ذلك نتحدّث حول ما قاله المستشرقون ومَن لَفَّ لفهم، ونحا منحاهم في التعامل مع تاريخ السيره النبويه.

### مَن هو زيد بن حارثه؟

كان زيد شاباً سرقه قُطَاع الطرق من الأعراب وهو صغير من قافلته، وباعوه عبداً في سوق عكاظ، وقد اشتراه حكيم بن حزام لعَمَتِه خديجه بنت خويلد، وقد أهدته خديجه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد زواجها منه.

ولقد دفعت سيره النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحسنه، وأخلاقه الفاضله وسجاياه النبيله زيدياً هذا إلى أن يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حباً شديداً، حتّى أنّه عندما جاء أبوه إلى مكّه يبحث عنه، وعلم بوجوده عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومشى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطلب منه أن يعتقه، ويعيده إليه ليعيده بدوره إلى أمّه ويُلحقه بأقربائه، فأبى زيد إلا البقاء عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفضّل ذلك على المضى مع أبيه، والعوده إلى وطنه، وعشيرته، وقد خيّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المكث عنده أو الرحيل مع أبيه إلى وطنه.

على أنّ ذلك الانجذاب والحب كان متبادلاً بين زيد ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكما أنّ زيدياً كان يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحب أخلاقه وخصاله، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب زيدياً كذلك لنباهته وأدبه حتّى أنّه أعتقه وتبّناه، فكان الناس يدعونه زيد بن محمد بدل زيد بن حارثه، ولكي يتأكّد ذلك وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات

يوم وقال لقريش: «يا من حَضَرَ إَشْهَدُوا أن زِيداً هذا ابْنِي»(١).

وقد بقى هذا الحُبُّ المتبادل بين زيد، وبين رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن استشهد هذا المسلم الصادق والمؤمن المجاهد في معركة مؤتة، فحزن رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم لمصرعه كما حزن لولد من أولاده.

### زَيْدٌ يَتَزَوَّجُ بِابْنِهِ عَمَّةِ النَّبِيِّ

لقد كان من أهداف رسول الإسلام العظيم صلى الله عليه وآله وسلم هو أن يخفّف من الفواصل بين طبقات المجتمع وفئاته، ويقارب بينها قدر الإمكان، ليعيش البشر جميعاً تحت لواء الإنسانيه والتقوى إخوة متحابين لا تبعد بعضهم عن بعض مقاييس الثروه والنسب، بل يكون الملاك في التفاضل هو الأخلاق الفاضله والسجايا الإنسانيه.

من هنا كان يجب التعجيل في إزاله التقاليد العربيه الباليه التي كانت تقضى بأن لا يتزوَّج بنات الساده والأشراف بأبناء الطبقات الضعيفه والفقيره.

وأى وسيله لضرب هذا التقليد القبيح الظالم وتحقيق المساواه الكامله أفضل من أن يبدأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تحطيم هذا التقليد بأقربائه وذويه ليقدم بذلك درساً عملياً للأُمَّه في هذا المجال، فقام بتزويج عتيقه «زيد بن حارثه» من شريفه من بنى هاشم وهى ابنه عمته زينب بنت جحش حفيده عبدالمطلب، ليعلم الناس أنه يجب عليهم الإقلاع عن تلك التقاليد الجاهليه الظالمه بسرعه، ويعرفوا أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أوّل من نفّذ في حقّ ذويه ما كان يردّده من قوله: «لافضل لأحد على أحد إلّا بالتقوى» و «إنّ المؤمن كفؤ المؤمن».

ص: ٢٦٩

١- . لاحظ: أسد الغابه: ٢/٢٣٥. وكذا الاستيعاب والإصابه ماده: زيد.

ولأجل تحطيم ذلك التقليد الجاهلي الخاطيء ذهب رسول الله بنفسه إلى منزل زينب، وخطبها لزيد، فلم تبد زينب وأخوها رغبة في هذا الأمر في الوهلة الأولى؛ لأنّ الأفكار الجاهلية كانت لا تزال مترسّبة في قلوبهم، ومن ناحيه أخرى كان الرد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمراً صعباً، ولهذا تذرّعا بعبوديه «زيد» السابقه وحاولا بذلك التخلّص من مطلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فلم يلبثا حتى نزل قوله تعالى يشجب ردّ زينب وأخيها لطلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا». (١)

فتلاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم فوراً فدفع إيمان زينب وأخيها الصادق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهدافه المقدّسه إلى أن تبادر زينب إلى الإعلان عن رضاها وقالت: رضيت يا رسول الله، وجعلت أمرها بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك أخوها رضى بهذا الزواج، فتزوجت ابنه شريف قوم «زينب» بعتيق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزيد، وبذلك طبّق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واحداً من أعظم مناهج الإسلام الحية، وآدابه الإنسانيه الرفيعه، وحطّم عملياً واحده من أقبح السنن الجاهليه، وأكثرها تخلفاً وإجحافاً. (٢)

### زيد يطلق زوجته

إلّا أنّ هذا الزواج لم يدم طويلاً، فقد آل إلى الطلاق، والافتراق ويعزى البعض ذلك إلى نفسيه «زينب» وسلوكها الحاد حيث كانت ربما تذكر لزيد دنوّ

ص: ٢٧٠

١- .الأحزاب: ٣٦.

٢- .لاحظ: مجمع البيان: ١٦١/٨.

حسبه، وعلو حسبها، مما يؤدى إلى انزاعه.

ولكن يحتمل أن السبب وراء هذا الطلاق كان هو زيد نفسه، فإن تاريخ حياته يشهد بأنه كان يعانى من روح العزله، وعدم الألفه، فقد اتخذ أزواجاً متعدده وطلقهن (إلا الاخير منهن حيث استشهد عنها وهى فى حبالته) فتكون هذه الطلقات المتعدده دليلاً على عدم القدره على الانسجام مع زوجاته، لحاله نفسيه كان يعانى منها.

ويشهد بذلك أيضاً خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحاد، فإن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما عرف بأن زيدا يبغي طلاق زوجته زينب غضب وقال:

«أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ». (١)

ولو كان الذنب كله ذنب زوجته زينب لما كان يُعدُّ تطليقها عملاً مخالفاً للتقوى.

ومهما يكن فقد طلق زيد زينباً وافترقا، ثم تزوج بها النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك. (٢)

### زواج النبى بمطلقه متبناه لإبطال سنه جاهليه أخرى

ولكن قبل أن ندرس العله الأساسيه لهذا الزواج لابد أن نلقى نظره فاحصه إلى مسأله النسب الذى يعدّ مقوماً مهماً من مقومات المجتمع السليم.

وبعبارة أخرى وأكثر تحديداً لابد أن ندرس الفرق الجوهرى بين الوالد الحقيقى، وبين المتبنى.

وتوضيحاً لهذا الأمر نقول:

ص: ٢٧١

١- .الأحزاب: ٣٧.

٢- . لاحظ: مجمع البيان: ١٦٢/٨.

كان يوجد في المجتمع العربي الجاهلي أبناء لا يعرف لهم آباء، أو لهم آباء معروفون، وكان الرجل يعجبه أحد هؤلاء فيتبناه ويدعوه ابنه، ويلحقه بنسبه وتصير له حقوق البنوة وملحقاتها.

ولمّا كان هذا شذوذاً عن الأساس الطبيعي للأسره أبطله الإسلام؛ وذلك لأنّ الولد الحقيقي ينتمى إلى أبيه بجذور تكوينيه، فالوالد هو - في الحقيقة - المنشأ المادى لوجود ابنه، ويرث الولد من والده ووالدته الكثير من صفاتهما الجسميه والروحيه، وبذلك يكون امتداداً طبيعياً لوالديه.

وعلى أساس هذه الوحده الطبيعيه، ووحده الدّم يتوارث الآباء والأبناء، وتترتب أحكام خاصه في مجال الزواج والطلاق، والتحليل والتحريم.

وبناءً على هذا فإنّ مثل هذا الموضوع الذى ينشأ من جذور تكوينيه واقعيه، لا يوجد أبداً باللفظ واللسان.

ولهذا قال الله سبحانه في الكتاب العزيز في معرض الردّ على من يتصوّر المتبني ولداً حقيقياً لمجرد ادعاء البنوة:

«ما جعلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَ ما جعلَ أزواجكم اللاتي تظاهرونَ مِنْهُنَّ أمهاتكم وَ ما جعلَ ادعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم وَ اللهُ يَقولُ الحَقَّ وَ هوَ يَهْدِي السَّبيلَ \* ادعوهم لآبائهم هوَ أَقسطُ عِنْدَ اللهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فإخوانكم في الدينِ وَ مواليتكم وَ ليسَ عَلَيْكم جُنَاحٌ فيما أخطأتم بِهِ وَ لَكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكم وَ كانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً» (١).

فلا يكون الابن المتبني والولد الحقيقي على صعيد الموضوع سنان أبداً،

ص: ٢٧٢

١- . الأحزاب: ٤-٥، راجع الميزان في تفسير القرآن: ٢٩٠/١٦-٢٩١.



فكيف على صعيد الأحكام كالتوراث، والزواج والطلاق وما شابه ذلك؟

فإذا ورث الولد الحقيقي من أبيه أو بالعكس أو حُرِّمت زوجته الولد الحقيقي على أبيه بعد طلاقها من زوجها لا يمكن أن نقول: إنَّ الابن المتبني يشبهه ويشترك معه في هذه الأحكام أبداً.

ومن المسلم به أنَّ مثل هذا التشريك في الحقوق والشؤون مضافاً إلى كونه لا يستند إلى أساس معقول وصحيح هو نوع من العبث بعامل النسب، وهو العنصر المهم في المجتمع السليم.

وعلى هذا الأساس إذا كان التبنى بدافع العاطفه أمراً مستحسناً ومقبولاً، إلَّا أنه إذا كان بهدف إشراكه في سلسله من الأحكام الاجتماعيه التي هي من شؤون الولد الحقيقي وحقوقه يعدّ أمراً بعيداً وغريباً جداً عن المحاسبات العلميه، والأسس الموضوعيه.

ولقد كان المجتمع العربي - كما أسلفنا - يعدّ الابن بالتبني كالولد الحقيقي دون فرق، وقد كُلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جانب الله تعالى بأن يقضى على هذا التقليد الجاهلي والسنة الخاطئه بإجراء عملي صارخ، وذلك بالتزوّج بزینب مطلقه متبناه «زيد»، ويمحى من حياه المجتمع العربي هذا التقليد القبيح بالعمل الّذى يفوق القول، ووضع القانون، فى التأثير، والفاعليه. ولم يكن لهذه الزيجه غير هذا السبب.

لقد كان هذا التقليد أمراً مقدساً فى المجتمع العربي بشكلٍ كبير جداً بحيث لم يكن أحدٌ ليجرأ على نقضه ومخالفته والتزوّج بمطلقه دعيه(1) لقبحه فى نظر العرب، لذلك دعا الله سبحانه نبيّه إلى القيام بهذا العمل الخطير، إذ قال:

ص: ٢٧٣

١- . الدعى هو الابن المتبني وجمعه أدعياء.

«وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» (١).

إنَّ هذا الزواج مضافاً إلى كونه استهدف منه تحطيم سنّه جاهليّه مقيته (سنّه عدم الزواج بمطلقه المتبني) وإعاده العلاقات العائليه إلى وضعها الصحيح، يعتبر من أقوى مظاهر المساواه في الإسلام، لأنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم تزوّج بمطلقه عتيقه، وقد كان مثل هذا العمل مخالفاً لشؤون المجتمع يومذاك.

ولقد أثار هذا الإقدام الشجاع موجّه من الاعتراض والنقد من جانب المنافقين، وأصحاب العقول الضيقه، فقد طرّحت هذه المسأله في الأوساط والنوادي وأخذوا يشنعون بها على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ويقولون: لقد تزوّج محمّد بمطلقه دعيّه.

فأنزل الله تعالى في الردّ على تلكم الأفكار والأقوال الباطله قوله:

«مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» (٢).

على أن القرآن لم يكتف بهذا البيان بل امتدح نبيّه الذي نفذ حكم الله بشجاعه كامله بقوله:

«مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا \* الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ

ص: ٢٧٤

١- .الأحزاب: ٣٧.

٢- .الأحزاب: ٤٠.

أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا. (١).

وخلصه المفاد لهاتين الآيتين هي: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كغيره من الأنبياء يُبلِّغ رسالات الله ولا يخالف لوم اللائمين، وكيد المنافقين، وإرجاف المرجفين.

هذه هي فلسفه تزوّج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزَيْنَب بنت جحش مطلقه دعيّه ومتبنّاه وعتيقه زيد بن حارثه في ضوء القرآن الكريم.

### المستشرقون وقضية زواج النبي بزَيْنَب

إنّ زواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزَيْنَب مطلقه زيد بن حارثه - كما لاحظت - قضيةً بسيطةً خالية عن أى إبهام أو غموض.

ولكنّ جماعةً من المستشرقين تذرّعوا بها لإغراء البسطاء ومن شاكلهم غير الملمّين بالتاريخ الإسلامى وأرادوا بذلك إضعاف إيمان الذين لا يعرفون السيره النبويّه حقّ المعرفة، فإنّنا يجب أن ندرس ما قالوه في هذا المجال، ونكشف للقارئ الكريم عن مواطن الدسّ والتحرّيف فيه.

ولا يخفى أنّ الاستعمار البغيض لم يكتف للسيطره على بلادنا باستخدام القوّه العسكريه، والسلاح الاقتصادى؛ بل ربما دخلها مستتراً بقناع العلم والتحقيق، فقد سعى - ولم يزل - لفرض أسوأ هيمنه فكريه شامله وتبعيه ثقافيه مقبته على شعوبنا وفق تخطيط دقيق ومدروس، وهذا هو ما يُسمّى بالاستعمار الفكرى، والثقافى.

وفى الحقيقه فإنّ المستشرق هو طليعه ذلك الاستعمار، بل وجيشه المتقنّع بقناع العلم والمعرفه المذى ينفذ إلى أعماق المجتمع، ويتسلل إلى أوساط المفكرين

ص: ٢٧٥

والمثقفين وينفث سموه القاتله، ويخدر العقول، ويمهد النفوس للاستعمار السافر، والمكشوف.

ويمكن أن لا- يرتضى كثير من الكتّاب وعشاق القلم والثقافه فى الغرب منطقنا هذا فيعمدوا إلى رمينا بالتحجر، والعصبيّه والتخلف ويتصوّروا بأننا نقول مانقوله بدافع العصبيّه القوميّه أو الدينيه، ولكنّ كتابات المستشرقين وإخفاءهم المتعمّد والكثير للحقائق، وتحريفهم ودسّهم المكشوف فى تاريخ الإسلام حيناً والخفى حيناً آخر يشهد بوضوح أنّ دافعهم فى كثير ممّا كتبوا ليس حبّ العلم وتحريّ المعرفة، فإنّ أكثر ما كتبوه ممزوّج بطائفه من أفكارهم المعاديه للإسلام، ولرسول الله والمسلمين. (١)

ويشهد على هذه النزعه - بجلالٍ ووضوحٍ - موقفهم من زواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزَيْنَب بنت جحش وما نسجوه من قضايا خياليّه حول هذه القضية، التى وقعت بهدف إبطال سنه باطله، فأعطوها صبغه قصص الحب وأساطير الغرام على طريقه القصاصيين والروائيين وديدنهم، وعمدوا إلى حكاية تاريخيه مختلفه وضخّموها ونفخوا فيها ونسبوا إلى أظهر إنسان عرفه العالم البشرى.

وعلى كلّ حال فإنّ أساس هذه الأسطوره عبارات نقلها ابن الأثير (٢) ومن قبله الطبرى (٣) وبعض المفسرين، وهى أنه: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد زيداً وعلى الباب سترٌ من شعر فرفعته الريح فرآها وهى حاسره فأعجبه!!!

ولكن المستشرقين بدل أن يتحقّقوا من سند هذه الأقوال، لم يكتفوا بنص ما

ص: ٢٧٦

١- . للتأكد الأكثر من هذا الأمر، راجع: كتاب «المستشرقون».

٢- . لاحظ: الكامل فى التاريخ: ١٧٧/٢.

٣- . لاحظ: جامع البيان فى تفسير القرآن (تفسير الطبرى): ١٨/٢٢؛ إمتاع الأسماع: ٢٠٩/١٠.

ذكره أولئك المؤرّخون والمفسّرون، بل ألصقوا به الكثير الكثير حتّى تحوّلت تلك الجُمَل العابره إلى قصّه تشبّه أقاويص ألف ليله وليله.

إنّ من المؤكّد أنّ الذين يعرفون سيره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطاهره يدركون أنّ هذا التاريخ إنّما هو فى أصله وفرعه من نسج الخيال، وصنع الأوهام، وإنّها تخالف ما فى صفحات التاريخ النبويّ الوضّاء النقيّه مخالفه كامله، إلى درجه أنّ علماء معروفين كالفخر الرازى والآلوسى كذبوا هذه القصّه بشكلها الذى ذكرها ابن الأثير والطبرى بصراحه كامله وقالوا: إنّ هذه الروايه روايه باطله زورها واختلقها أعداء الإسلام وراجت فى كتب المؤلّفين المسلمين (1).

فكيف يمكن القول بأنّ هذه القصّه وبهذه الكيفيه كانت ممّا يعتقد بصحّته ابن الأثير، والطبرى فى حين أنّ هناك العشرات ممّن نقلوا خلافها وبرّأوا ساحه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من هذه المساوي.

وعلى أيّه حال فإنّنا نشير فى الصفحات التاليه إلى دلائل اختلاق هذا القسم من التاريخ، ونعتقد أنّ القضيّه فى واقعها وحقيقتها واضحه جداً، وأغنى من أن ندافع عنها.

وإليك أدلّتنا

أولاً: أنّ التاريخ المذكور يخالف المصدر الإسلامى الأصيل وهو (القرآن الكريم)؛ لأنّ القرآن بشهاده الآيه (٣٧) من سوره الأ-حزاب تصرّح بأنّ زواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من زينب كان لأجل إبطال سنّه جاهليه باطله، وهى السنّه القاضيه بأنّه لا يحقّ لأحد أن يتزوّج مطلقه دعيّه، خاصّه وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعل ذلك بأمر الله

ص: ٢٧٧

١- . لاحظ: تفسير الرازى: ٢١٢/٢٥؛ روح المعانى: ٢٤/٢٢-٢٥.

سبحانه وليس بدافع من الرغبه الشخصيه، والحب الشخصى، ولم يكذب ذلك أحد في صدر الإسلام.

فإذا كان ما قاله القرآن الكريم مخالفاً للحقيقه لسارع اليهود والنصارى والمنافقون إلى نقده وتفنيده، ولأحدثوا ضججه بسبب ذلك، في حين أنّ مثل هذا لم يُؤثر من أعداء الإسلام الذين كانوا يتحنون الفرص للإيقاع برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتلوّث سمعته.

ثانياً: أنّ «زينب بنت جحش» هي تلك المرأه التي اقترحت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الزواج بها قبل أن يتزوج بها «زيد» ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصرّ على أن تتزوج غلامه المعتق زيدا رغم رغبتها في الزواج من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فلو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحبّ الزواج بها - وهو يعرفها طبعاً - لما وجد مانعاً من ذلك عندما طلبت منه الزواج بها، فلماذا لم يتزوج بها؟ ولم رفض طلبها؟

أجل، إنّه لم يتزوج بها ولم يُجب مطلبها، بل ألحّ عليها أن تتزوج بشخص آخر رغم إنّه أحسنّ برغبه شديده لدى زينب في الزواج منه لا من غيره.

وبعد تكذيب هذا القسم المحرّف من التاريخ الإسلامى لا يبقى مجال لتعليقات وأوهام جنود الاستعمار وطلانعه المغرضين.

إنّنا نبزئ ساحه رسول الإسلام العظيم صلى الله عليه وآله وسلم من أمثال هذه الترهات والنسب الرخيصه، ونرى أنّ ساحته المقدسه أجلّ من أن ننقل كلمات هذا الفريق من الكتاب المغرضين الحاقدين في حقّ نبىّ بقى مكثفياً بزوجه تكبره بشمانيه عشر عاماً، إلى أن بلغ سن الخمسين.

من هنا نعرض عن ذكر أقوالهم.

ولا بأس بأن نذكر هنا ما كتبه جماعه من المحققين المصريين الذين أشرفوا

على طباعه «الكامل فى التاريخ» لابن الأثير تعليقا على ما أدرجه فى هذا المجال:

هذه روايه باطله زورها الملاحده، واختلقها أذهان أعداء الدين الإسلامى ليطعنوا فى نبى الإسلام عليه وعلى آله الصلاه والسلام، وهل يُعقل: أنه لا يعرف ابنه عمته التى كان ولى زواجها إلى مولاه زيد؟ وإنما دسائس الزنادقه، ومبشّرى المسيحيه قد تغلغت فى نفوس العلماء من حيث لا يعلمون، فافتكروا فى روايه الخبر، فاتخذوه أساساً، وأعرضوا عن كتاب الله وعن قول الله تعالى من أن الله أعلمه بأنها صارت زوجه قبل أن استشاره زيد فى طلاقها.

والعجيب أن ابن الأثير مع جلاله قدره ينقل هذه الروايه المزيّفه التى هى طعن صريح فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قلّد فى روايته هذه ابن جرير قبله، وكلاهما وقع فى هوّه الضلاله من حيث لا يشعر، ولو عُرضت كلُّ روايه على كتاب الله تعالى لما أقدم أحد على مثل هذا الإفك العظيم!!

إنّ زينباً هى التى وهبت نفسها لرسول الله فزوّجها من مولاه، ثم تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لكنى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهنّ وطراً»، فإذن كان الزواج لأجل التشريع، وكان عملياً، لشده نفره أهل الجاهليه من هذا الزواج من النبى صلى الله عليه وآله وسلم، لأنهم يعدّون المتبنّى ولداً صريحاً أو فى مرتبه.

قال الفخر الرازى: وفيه إشاره إلى أنّ التزويج من النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن لفضاء شهوه النبى صلى الله عليه وآله وسلم بل لبيان الشريعه بفعله، انتهى.

ونحن نعتب عليه أيضاً إذ جعله إشاره ولم يجعله صريحاً وبما أنّ روح التقليد الأعمى قد اشتدّ بين المسلمين منذ زمن بعيد، فالحكايه التى أوردتها المؤلّف نقلها كثير من المفسّرين غير مفكرين بما فيها من طعن فى الدين، لإفادتها

أن الشريعة الإسلامية عبارته عن اتباع أهواء أو تنفيذ شهوات تنزهت عن ذلك كله، ويرحم الله السيد الآلوسى حيث قال فى تفسيره: وحاصل العتاب: لِمَ قَلتَ «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ»، وقد أعلمتكَ أنها ستكون من أزواجك وهو مطابق للتلاوه، لأن الله أعلم أنه مبدئى ما أخفاه عليه الصلاه والسلام ولم يظهر غير تزويجها منه فقال: «زَوَّجْنَاكَهَا» فلو كان الضمير محبتها وإرادته طلاقها، ونحو ذلك لأظهره جَلَّ وعلا، وللقصاص فى هذه القصه كلامٌ لا ينبغى أن يجعل فى حيز القبول، انتهى.

ثم أورد الروايات المزيفه التى تشبه ما أورده المؤلف (أى ابن الأثير) محذراً الناس منها ومن أمثالها التى لا- تروج إلماعى الحمقى والمغفلين. انتهى. (١).

## توضيح عبارتين

هذا واستكمالاً للبحث، وإتماماً للفائده ندرج نص الآيه التى نزلت فى هذا المجال، والتى تسببت جملتان منها فى إثارة الشكوك لدى بعض الجاهلين بحقائق السيره النبويه الزكيه، ونعطى بعض التوضيحات اللازمه حولهما، واليك نص الآيه أولاً: «وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ» .

وفيما يلى الجملتان اللتان تحتاجان إلى التوضيح:

«وَ تُوْحْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» .

فماذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُخفى فى نفسه وقد أظهره الله وأبداه بعد كل تلك النصيحة التى نصح بها صلى الله عليه وآله وسلم زيدا؟

ص: ٢٨٠

١- . راجع هامش الكامل فى التاريخ: ١٢١/٢، طبعه القايره إداره الطباعه المنيريه عام ١٣٤٩ هـ.



ربما يتصوّر أحدٌ أنّ الأمرَ الَّذي كان يخفيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم هو رغبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تطلق زيد زوجته زينب، أي أنّه وإن كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهى زيداً في الظاهر عن تطلق زينب، إلّا أنّه كان في سرّه يرضى بذلك؛ بل يرغب فيه ليتسنى له بعد ذلك أن يتزوَّجها هو.

ولا شكّ أنّ هذا الاحتمال غير صحيح مطلقاً؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان يبطن مثل هذا الأمر، فلماذا لم يبد الله سبحانه وتعالى هذه بآيات أُخرى، في حين أنّه سبحانه وعَد في هذه الجملة بأن يظهر ما كان يخفيه رسولُ الله في نفسه إذ قال تعالى: «اللَّهُ مُبْدِيهِ»؟!

ولهذا قال المفتِّرون: إنّ المقصود ممّا كان يخفيه هو الوحي الإلهي الَّذي أنزله الله عليه، وتوضيح ذلك هو: أنّ الله تعالى أوحى إليه بأنّ زيداً سيطلق زوجته رغم نصيحة النبي، وأنّه صلى الله عليه وآله وسلم سيتزوَّج بها من بعده لإبطال سنّه جاهليه مقبته (وهي حرمة الزواج بمطلّقه الدعوى).

ومن هنا كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم حين نصيحتة لزيد ونهيه عن تطلق زينب زوجته مُلتفتاً ومنتبهاً إلى هذا الوحي الإلهي أيضاً، ولكنّه أخفى هذا الوحي عن زيد وغيره، ولكنّ الله تعالى أخبر النبي في نفس تلك الجملة بأنّه تعالى سيبدى للناس ما يخفيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في قلبه، وأنّ الأمر لن يبقى خافياً على أحدٍ بإخفائه صلى الله عليه وآله وسلم له.

ويشهد بهذا المعنى أنّ القرآن الكريم أظهر الأمر في ذيل نفس هذه الآية إذ قال:

«فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي

أَزْوَاجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» (١).

فمن هذا التعقيب يستفاد أنّ ما كان يُخفيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الوحي الإلهي، بأنّه عليه أن يتزوج بزوجه دعيته بعد طلاقها لإبطال سنّه جاهليته خاطئه.

وأما الجملة الثانية التي هي بحاجة إلى التوضيح فهي قوله تعالى: «وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ». غير أنّ هذا القسم من الآيه هي الجملة الثانية الأقل أيهاً وغموضاً من الجملة السابقة بدرجات؛ لأنّ تجاهل سنّه عريقه متجدّره في بيئه منحرفه (وهي الزواج بمطلّقه الدعوى) يقترب - بطبيعته الحال وحتماً - بحرج نفسى يزول ويرتفع لدى الأنبياء بتوجههم إلى الأمر الإلهي. وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعاني من حرج نفسى شديد من هذه القضية فإنّما هو لأجل أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يتصوّر أنّ جماعه العرب الذين لم يكن عهدهم بالإسلام طويلاً، لم يمرّ على انقطاعهم عن عاداتهم وتقاليدهم الجاهلية سوى زمن قصير سيقولون: إنّ النبي ارتكب عملاً سيئاً، والحال أنّ الأمر ليس كما يعتقدون.

قال العلامة الطباطبائي في هذا الصدد: قوله: «لَكِنِّي لَا يَكُونُ عَلَيَّ الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا» تعليل للترويج وبيان مصلحه للحكم. وقوله: «وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» مشيرٌ إلى تحقّق الوقوع وتأكيد للحكم.

ومن ذلك يظهر أنّ الذي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخفيه في نفسه هو ما فرض الله له أن يتزوجها لا هواها، وحبّه الشديد لها وهي بعدُ مزوّجه كما ذكره جمع من المفسّرين، واعتذروا عنه بأنّها حاله جبليته لا يكاد يسلم منها البشر، فإنّ فيه أولاً:

منع أن يكون بحيث لا يقوى عليه التريه الإلهيه. وثانياً: أنّه لا معنى حينئذ للعتاب على كتمانته وإخفائه في نفسه فلا مجوز في الإسلام لذكر حلائل الناس والتشبيب

ص: ٢٨٢

١- . الأحزاب: ٣٧.

ولما كانت المسأله مسأله وضع قانون جديد لهذا مضى القرآن الكريم يؤكدها ويزيل عنصر الغرابه عنها فقال تعالى:

«ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبيل و كان أمر الله قدراً مقدوراً \* الذين يبلغون رسالات الله و يخشونه و لا يخشون أحداً إلا الله و كفى بالله حسيباً \* ما كان محمد أباً أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين و كان الله بكل شئ عليم \* يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً \* و سيبحوه بكراً و أصيلاً \* هو الذي يصلي عليكم و ملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور و كان بالمؤمنين رحيماً \* تحيتهم يوم يلقونه سلام و أعيد لهم أجراً كريماً \* يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً \* و داعياً إلى الله بإذنه و سراجاً منيراً \* و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً \* و لا تطع الكافرين و المنافقين و دعه أذاهم و توكل على الله و كفى بالله وكيلاً». (٢)

ففي هذه الآيات إشارة إلى:

١. أن ما قام به النبي من التزوج بزینب كان بأمر الله، و كان على سبيل سنّ قانون و تشريع سنّه و لكن بصوره عملیه، و إن ذلك القانون علم الله ضرورته و قدره و زمانه و مكانه.

٢. أن زیداً ليس ابن محمد صلى الله عليه و آله و سلم إنما هو متبناه و دعيه، بل هو ابن والده حارثه واقعاً و حقيقه، و ليس ذلك إلتقريباً و تأكيداً للحقيقه التي سبقت الإشاره إليها في قوله تعالى: «و ما جعل أدياءكم أبناءكم» .

ص: ٢٨٣

١- . الميزان في تفسير القرآن: ٣٢٣/١٦.

٢- . الأحزاب: ٣٨-٤٨.

٣. أن ما قام به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من التروّج بمطلّقه متبناه هو جزء من تشريعه الّذى يشرّعه بأمر الله وإذنه تعالى لتسير عليه البشريه، وفق آخر رساله السماء إلى الأرض، لا أنّه أمر واقع بدافع شخصى.

٤. إنّ الله هو الّذى يعلم ما يصلح لهذه البشريه وما يصلحها، وهو الّذى فرض على النّبى ما فرض ليحلّ للناس أزواج أديانهم إذا ما قضوا منهم وطراً وانتهت حاجتهم منهم وأطلقوا سراحهن. قضى الله هذا وفق علمه بكلّ شىء، ومعرفته بالأصلح والأوفق من النظم والشرائع. ٥. أنّ ما سنّه الله للمسلمين وما اختاره تعالى للأئمّه الإسلاميه فى مجال العلاقات العائليه يريد بها الخير والخروج من الظلمات إلى النور، فعليهم أن يذكروه ويشكروه أبداً ودائماً، فإنّه سيكون لهم - لو أطاعوه وسبّحوه وذكروه - شأنٌ فى الملائه الأعلى فهو يصلّى عليهم وملائكته، ويذكرهم هناك، بالخير، وإنّما يفعل كلّ هذا من منطلق الرحمه والعنايه بهم.

٦. أنّ وظيفه النّبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المسلمين هى (الشهاده) عليهم، فليحسنوا العمل، وهى (التبشير) لهم بما ينتظر العاملين من رحمه وغفران، و (الإنذار) للغافلين المسيئين بما ينتظرهم من عذاب ونكال، و (الدعوه إلى الله) لا إلى دنيا أو مجد أو عزه قوميه أو عصبية جاهليه، وذلك بإذن الله فما هو بمبتدع، ولا بقائل من عنده شيئاً.

٧. أنّ على النّبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يبشّر المؤمنين المطيعين لأوامر الله بأنّ لهم فضلاً كبيراً، ولا- يطيع الكافرين، والمنافقين، وألّا يحفل بأذاهم له وللمؤمنين، وأن يتوكّل على الله وحده وهو بنصره كليل، وهو يوحى بأنّ المنافقين أرجفوا بالنّبى صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه القضيه، إرجافاً عظيماً.

وكلّ هذه الأمور توحى بأنّ تغيير تلك السنّه الجاهليه (عدم الزواج بمطلّقه المتبنّي) كانت عمليه صعبه فاحتاجت إلى كلّ هذا التعقيب، وبالتالي تثبيت الله للنفوس فيه، كي تتلقّى ذلك الأمر بالرضى والقبول والتسليم، وهذا هو الحال عند سنّ القوانين المهمّه والخطيره.

ص: ٢٨٥

#### ٣٨ غزوه الأحزاب (١)

لقد قاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السنه الخامسة مجموعه من الغزوات، كما وبعث سلسله من السرايا لإفشال المؤامرات التي كانت في طور الانعقاد أو التكوين أو التي كانت محتمله من جانب العدو.

واليك فيما يأتي بعض غزوات السنه الخامسة:

#### ١. غزوه دومه الجندل

(٢)

بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن بدومه الجندل جمعاً كثيراً وأنهم يظلمون من مَرَّ بهم من المسافرين والتجار، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل ويكمن النهار أخذاً بعنصر الاستتار والسريه على عادته.

ص: ٢٨٦

١- . ذكر ابن هشام في سيرته: ٦٩٩/٣ أن هذه الغزوه وقعت في شهر شوال من السنه الخامسه للهجره، وحيث إن غزوه الأحزاب انتهت في الرابع والعشرين من شهر ذى القعدة، وطالت محاصره المدينه شهراً واحداً لذلك يجب أن نقول إن هذه المعركه بدأت منذ الرابع والعشرين من شهر شوال تقريباً.

٢- . المغازي: ٤٠٢/١؛ السيره النبويه لابن هشام: ٦٩٩/٣. ودومه الجندل منطقه بين دمشق والمدينه (الطبقات الكبرى: ٤٤/٢).

ولمّا دنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دومه الجنّدل وعرفت به تلك الجماعة تفرّقوا من فورهم فلم يجد صلى الله عليه وآله وسلم بها أحداً، فأقام بها أياماً وبث السرايا والدوريات وفرّقها حتّى غابوا عنه يوماً ثم رجعوا إليه ولم يصادفوا من تلك الجماعة أحداً.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاد إلى المدينة في العشرين من شهر ربيع الثاني، من دون أن يقاتل (١).

\*\*\*

## ٢. غزوه الخندق (الأحزاب)

### إشاره

أجلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يهود بني النضير في السنه الرابعه من الهجره كما قلنا بسبب نقضهم للميثاق، وسيطر على قسم من أموالهم وممتلكاتهم، واضطرت بنو النضير إلى أن تذهب إلى «خير» وتسكن هناك، أو تسير إلى الشام.

وقد كان إجراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا متطابقاً مع ما جاء في الميثاق المعقود بينه وبين يهود يثرب.

وقد دفع هذا الإجراء بساده بنى النضير وزعمائهم إلى التآمر ضدّ الإسلام، فقدموا مكّه، وحرضوا قريشاً على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإليك مفصل هذه الغزوه:

عباً المشركون العرب، واليهود قواهم في هذه المعركه ضدّ الإسلام.

فقد شكّلوا اتحاداً عسكرياً قوياً وحاصروا المدينة مدّه شهر واحد، وبما أنّ أحزاباً مختلفه اشتركت في هذه المعركه سُمّيت هذه المعركه بمعركه الأحزاب، وربما سُمّيت بمعركه «الخندق»؛ لأنّ المسلمين حفروا حول المدينة خندقاً عظيماً،

ص: ٢٨٧

١- . لاحظ: المغازي: ٤٠٢/١؛ إمتاع الأسماع: ٢٠١/١-٢٠٢.

دفاعاً عنها، ومنعاً للكفار عن اجتياحها.

ولقد كان زعماء بنى النضير وبنى وائل - كما أسلفنا - هم المحرّكون الأصليّون لهذه الحرب، والمشعلون الرئيسيّون لفتيلها.

فإنّ الضربه القويه التي تلقّاها يهود بنى النضير من المسلمين، والتي اضطرّوا على أثرها إلى مغادره المدينه، فسكن بعضهم خيبر، دفعهم إلى أن يخطّطوا بصوره جهنّميه ودقيقه لاستئصال شأفه الإسلام والقضاء عليه. وإنّها لخطّه عجيبه حقّاً، فقد جعلوا المسلمين يواجهون طوائف متعدّده وأحزاباً مختلفه لم يعرف لها تاريخ العرب مثيلاً!!

كما أنّ في هذه الخطّه كان اليهود هم أنفسهم الممولّون الأساسيّون لطوائف العرب العديده، فقد أمّدوهم بأموال كثيره، وهتأوا كلّ ما يحتاجون إليه من حاجات ومعدّات!!

وكانت الخطه كالتالي: قدم جماعه من ساده بنى النضير مثل «سلام بن أبي الحقيق» و«حيي بن أخطب» في نفر من بنى النضير على قريش مكّه، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا: نحن معكم حتى نستأصل محمداً. قال أبو سفيان:

هذا الذي أقدمكم ونزعكم؟ قال: نعم جئنا لنحالفكم على عداوه محمّد وقتاله. (١)

وقال حيي بن أخطب: إنّ محمداً قد وترككم ووترنا وأجلانا من المدينه من ديارنا وأموالنا، وأجلى بنى عمنا بنى قينقاع، فسيروا في الأرض، وأجمعوا حلفاء كم وغيرهم حتّى نسير إليهم، فإنّه قد بقى من قومي بيثرب سبعمائنه مقاتل وهم بنو قريظته، وبينهم وبين محمّد عهد وميثاق، وأنا أحملهم على نقض العهد بينهم وبين

ص: ٢٨٨



محمّد ويكونون معنا عليهم، فتأثونه أنتم من فوق وهم من أسفل. (١)

فأثرت كلمات اليهود وما قاله «حيي بن أخطب» في نفوس المشركين الحانقين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأصحابه، واستحسنوا خطّهم، وأبدوا استعدادهم للخروج إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقتاله. ولكنهم قبل أن يوافقوا اليهود على ذلك الرأى سألوهم قائلين: يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم، أخبرونا عمّا أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمّد، أفديننا خير أم دين محمّد؟

ويجب أن نرى الآن بما أجابت هذه الطائفة (التي كانت ولا تزال تعدّ نفسها حامله لواء التوحيد، الوحيده في العالم) أولئك المشركين الجهله الذين وصفوا اليهود بالعلم والمعرفه، وطلبوا منهم حلّ مشكلتهم؟! أجل لقد قال اليهود بوقاحه كبيره: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحقّ، إنكم لتعظّمون هذا البيت، وتقومون على السقايه، وتنحرون البدن، وتعبدون ما كان عليه آبؤكم، فأنتم أولى بالحقّ منه!!! (٢).

ولقد أضافت اليهود بهذه الإجابه الوقحه وضمه عار أخرى إلى سجلّهم الأسود، وزادوا تاريخهم المشؤوم سواداً، وسوءاً.

ولقد كانت هذه الغلظه فضيعه، وقبيحه إلى درجه أنّ الكتاب اليهود تأسّفوا لوقوعها، في ما بعد.

فهذا هو الدكتور إسرائيل ولفنسون يكتب في كتابه: (تاريخ اليهود في بلاد العرب) حول هذا الموقف المشين جداً قائلاً: «كان من واجب هؤلاء ألا يتورّطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش، وألا يصرّحوا أمام زعماء قريش بأنّ عباده الأصنام

ص: ٢٨٩

١- . بحار الأنوار: ٢٠/٢١٧.

٢- . لاحظ: السيره الحلبيه: ٢/٦٢٩.

أفضل من التوحيد الإسلامى ولو أدى بهم الأمر إلى عدم اجابه مطالبهم، لأنّ بنى إسرائيل الذين كانوا لمدّه قرون حاملى رايه التوحيد فى العالم... كان من واجبهم أن يضخّوا بحياتهم وكلّ عزيز لديهم فى سبيل أن يخذلوا المشركين، هذا فضلاً عن أنّهم بالتجائهم إلى عبده الأوثان إنّما كانوا يحاربون أنفسهم ويناقضون تعاليم التوراه»(١).

وفى الحقيقه أنّ هذا المنطق هو الذى يتوسّل به الساسه المادّيون اليوم لإنجاح مقاصدهم، وتحقيق مآربهم. فهم يعتقدون - بكلّ جدّ - أنّ عليهم - لتحقيق أهدافهم - التوسّل بكلّ وسيله ممكنه، مشروعه كانت أو غير مشروعه، وهذه هى مقوله «الغايه تبرر الوسيله» التى طرحها ميكافيلى، وبالتالى فإنّ «الأخلاق» فى منظور هذه الجماعه هو ما يخدم مصالحهم ويحقّق أغراضهم ليس إلّا.

إنّ القرآن الكريم يتحدّث عن هذه الواقعه المرّه فيقول:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا \* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا» (٢).

ولقد ترك كلام أدياء العلم والدين هؤلاء، أثراً عجيباً فى نفوس المشركين وعبده الأوثان، فأظهروا موافقتهم على خطّه اليهود الجهنّميه وهو تأليف جيش من قبائل متعدده لمقاتله المسلمين وحدّدوا معهم موعداً للتوجّه إلى المدينه، لتحقيق ذلك الغرض المشؤوم.

فخرج مشيرو الفتنه ومشعلو الحرب (اليهود) من مكّه بقلوب مملوءه سروراً،

ص: ٢٩٠

١- . حياه محمّد: ٣٢٩؛ التفسير الوسيط للسيد طنطاوى: ١٨٢/٣.

٢- . النساء: ٥١-٥٢.

وغبطه، وساروا إلى نجد، ليتصلوا بقبيله غطفان - وكانت من أعدى أعداء الإسلام - فاستجلبوا موافقه قبائل غطفان: بني فزار، وبني مرّه، وبني اشجع، شريطه أن يعطونهم تمر خبير، لمدّه سنه، بعد الانتصار على المسلمين، ولكن تحرّكات قريش في مجال ضمّ القبائل إلى ذلك الجيش لم تنته إلى هذا الحدّ، فقد راسلت قريش حلفاءها من بني سليم، وراسلت غطفان حلفاءها من بني أسد، ودعوهم إلى المشاركة في هذه الحرب، فاستجابت لهم تلك القبائل، وتحرّكت جميع هذه الفئات والأحزاب في جيش كبير هائل قدمت عناصره من مختلف نقاط الجزيرة، نحو المدينة في يوم معيّن وهي تبغى اجتياح مركز الإسلام واستئصال شأفته!!(١)

### استخبارات المسلمين ترفع تقريراً للقيادة

منذ أن سكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة كان يبعث بجواسيسه وعيونه النشطين الأذكياء إلى مختلف مناطق الجزيرة، لتتصّي الأخبار ومراقبه الأوضاع، وإخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكلّ ما يحصلون عليه في هذا المجال أولاً بأول.

فقدم أحدهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بخروج تلك القوه الكبيره ومسيرها إلى المدينة، وبهدفها، وتاريخ خروجها، ووصولها إلى مشارف يثرب.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه فوراً وأخبرهم خبر عدوّهم، وشاورهم في الأمر، ليستفيدوا من تجارب «أحد»، فاقترح جماعه منهم أسلوب التحصّن، والقيام بالدفاع من داخل القلاع والحصون، ولكن هذا العمل لم يكن كافياً لأن جيش العدو كان كثيفاً وكبيراً جداً وكان من المحتمل بقوّه أن تقوم عناصره الكثيره، الكبيره في عددها بهدم الحصون والقلاع، والقضاء على المسلمين، فلا بد إذن من

ص: ٢٩١

١- . لاحظ: المغازي: ٢/٤٤٢-٤٤٣.

اتخاذ وسيلة تمنع العدو من الاقتراب إلى المدينة أصلاً.

فقال سلمان الفارسي الذي كان عارفاً بفنون القتال عند الفرس معرفه كامله:

يا رسول الله إنا إذ كُنَّا بأرض فارس، وتَخَوَّفْنَا الخيل، حَنَدَقْنَا علينا، فَهَلْ لَكَ يا رسول الله أَنْ نَحْنَدَقَ؟ (١)

وفى روايه أُخرى أَنَّهُ قال: يا رسول الله نَحْفِرُ خندَقاً يكون بيننا وبينهم حجاباً، فيمكنك منعهم فى المطاوله، فلا يمكنهم أن يأتونا من كلِّ وجه، فإنَّا كُنَّا معاشر العجم فى بلاد فارس إذا دهمنا دهم من عدونا نحفر الخنادق فيكون الحرب من مواضع معروفه، (أى محدوده). (٢)

فأعجب رأى سلمان المسلمين جميعاً، وكان لهذا التكتيك أثرٌ جوهري وبارز جداً فى حفظ الإسلام وصيانته المسلمين.

ومن الجدير بالذكر أنَّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم خرج بنفسه يدرس المنطقه ميدانياً ولكى يحدّد المنطقه التى يمكن أن ينفذ من خلالها العدو فقرّر أن يحفروا الخندق من ناحيه «أحد» إلى «راتج» وكان سائر المدينة مشبك بالبنيان والنخيل لا يتمكن العدو منها، وعلمّ الموضع الذى يجب أن يحفر بخط خطّه على الأرض.

ولكى يتمّ هذا الأمر بنظام وسرعه جعل على كلِّ عشرين خطوه، وثلاثين خطوه جماعه من المهاجرين والأنصار يحفرونه، فحملت المساحى والمعاول، وبدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخذ معولاً فحفر فى موضع المهاجرين بنفسه، وعلى عليه السلام ينقل التراب من الحفره حتّى عرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعيى (٣) وهو يقول:

ص: ٢٩٢

١- المغازى: ٤٤٥/١، تاريخ الطبرى: ٢٣٤/٢.

٢- بحار الأنوار: ٢٠/٢١٨.

٣- وجاء فى تاريخ الخميس: ٤٨٩/١ أَنَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم كان ينقل التراب حتّى اغبرّ بطنه.

«لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ الْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ».(١)

وقد كشف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعمله هذا عن جانب من نهج الإسلام وأسلوبه، وفي ذلك تنشيط الأمة وتقوية عزائمهم في مجال القيادة وأخلاق القائد، وأفهم المجتمع الإسلامى أنّ على القائد الإسلامى، وعلى إمام الأمة أن يشارك الناس في آلامهم كما يشاركونهم في آمالهم ويسعى أبدأً إلى التخفيف عن كاهلهم بمشاركته العملية في الأعمال، ولهذا لما نظر الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحفر نشطوا واجتهدوا في الحفر، ونقلوا التراب، ولما كان اليوم الثانى بكرّوا في العمل، وكان ذلك النشاط العظيم عاملاً في أن يندفع يهود بنى قريظة أيضاً إلى مساعدتهم فأعاروهم المساحى والفؤوس والأوعيه الكبيره لنقل التراب(٢).

وكان المسلمون يومئذ يعانون من نقص وضيق شديدين في المواد الغذائية، ومع ذلك كان أصحاب المكنه والثراء من المسلمين يمدّونهم بالطعام وغيره(٣).

وربّما عرضت للمسلمين وهم يحفرون في الخندق صخره عظيمه عجزوا عن كسرها وإزالتها، فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فأخذ معولاً فكسرها وأزالها.

أمّا طول الخندق فكان بالنظر إلى عدد العاملين في حفرها - وقد كان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف حسب المشهور، وكان كلّ عشره يحفرون (٤٠) ذراعاً - هو (١٢٠٠٠) ذراع أى ما يقارب خمس كيلومترات ونصف الكيلومتر، وأمّا

ص: ٢٩٣

١- . لاحظ: إمتاع الأسماع: ٢/٢٦٨.

٢- . السيره الحلبيه: ١/٣١١.

٣- . السيره الحلبيه: ١/٣١٢.

العرض فكان بحيث لا- يقدر الفرسان الماهرون من عبوره بالقفز بأفراسهم، فيكون عرضه بطبيعته الحال ما يقارب خمسة أمتار وعمقه خمسة أمتار أيضاً.

### القول النبوي الخالده في شأن سلمان

عندما قَسَم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المهاجرين والأنصار جماعات جماعات، وأوكل إلى كل جماعة حفر موضع من الخندق، تنافس الناس يومئذ في سلمان الفارسي وأراد كلُّ أن يضمّه إلى صفّه، فقال المهاجرون: سلمان منّا، وقالت الأنصار: سلمان منّا ونحن أحقّ به!!

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قولهم فقال قولته الخالده في شأن سلمان يومذاك:

«سلمان منّا أهل البيت»(١).

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقي إلى جانب الخندق ستة ليالٍ بأيامها حتى فرغ المسلمون من عمل الخندق، غير أنّ المنافقين تخاذلوا في هذه القضية وكانوا يتذرّعون بأعذار مختلفة ليتملّصوا من العمل في الخندق، وربما كانوا يذهبون إلى منازلهم من دون أن يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أمّا المؤمنون الصادقون فكانوا يعملون باستمرار، وإذا ما احتاجوا إلى الذهاب إلى منازلهم أحياناً، أو جدّ لهم عذرٌ استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأذن لهم ثم عادوا إلى الخندق فوراً أن يرتفع عذرهم، وقد ذكر القرآن الكريم هذه القضية في سورة النور، إذ يقول تعالى:

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا

ص: ٢٩٤

إِسْتِثْنَاءُكُمْ لِيُغْضَ شَأْنِهِمْ فَأَذْنُ لِمَنْ شِئْتُمْ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* لا- تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ  
بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»  
(١).

### مقاتلو العرب واليهود يحاصرون المدينة

وتتابعت أرتال الجيش المشرك على منطقه «أحد» وعلى مقربه من الخندق الذى كان قد تم إنجازه قبل ستة أيام وقد كان الكفار ومن لف لفهم يتوقعون أن يلتقوا جنود الإسلام عند جبل «أحد»، ولكنهم لم يلقوا أحداً منهم هناك فتقدموا نحو المدينة حتى وصلوا إلى الخندق، فلما نظروا إلى الخندق الذى كان أشبه بحصن منيع يحفظ المدينة من الخطر، فوجئوا به وقالوا: هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها قبل ذلك إن هذا من تدبير الفارسي الذى معه.

### العدد الدقيق لقوات الطرفين

كان جيش العرب لا يتجاوز فى عدده عشرة آلاف، وقد استقروا خلف الخندق وسيوفهم تلمع وهى تخطف بلمعانها الأبصار! وكان عدد المشاركين فى هذا الجيش من قريش وحدها - على روايه المقرئى فى الإمتاع - (٤ آلاف) مقاتل، معهم (٣٠٠) فرس و (١٥٠٠) بعير.

وقد التحق بهم بنوسليم - وهم من حلفاء قريش - فى (٧٠٠) رجل فى مَرَّ الظهران، وكان من قبيله بنى فزاره (١٠٠٠) مقاتل، ومن قبائل أخرى، مثل اشجع

ص: ٢٩٥

وبنى مرّه كلّ واحد منهما (٤٠٠) مقاتل، والباقي وهم ما يقارب (٣٥٠٠) مقاتل من بقيه القبائل، وعلى هذا الأساس لم يكن المجموع ليتجاوز عشره آلاف، وقد استقرّوا جميعاً في مكان واحد.

وأما عدد المسلمين فكان لا يتجاوز ثلاثه آلاف، وقد نزلوا في سفح جبل سلع وهو موضع مرتفع، مشرف على الخندق وخارجه، إشرافاً كاملاً بحيث يمكن معه مراقبه جميع تحرّكات العدو ونشاطاته منه.

وقد وُكِّل النبي صلى الله عليه وآله وسلم جماعه من أصحابه بحفظ الممرّات ونقاط العبور على الخندق ومراقبه تحرّكات العدو، ورصد عناصره. وبذلك كان المسلمون يملكون متراًساً قوياً طبيعياً، وغير طبيعي، إذ أنّ سائر المدينه كان مشبكاً بالبنيان، والنخيل كما أسلفنا.

لقد حاصر الكفّار «المدينه» ما يقرب من شهر واحد، ومكثوا خلف الخندق متحيّرين، ولم يستطع أن يعبر منهم الخندق إلّا أفراد معدودون، فمن كان يفكر في العبور رماه المسلمون بالحجاره، فولّى هارباً!!

وللمسلمين في هذه الفتره قصص جميله ومواقف رائعه مع عناصر الجيش العربي المعتدى ذكرتها صحائف التاريخ الإسلامى في مواضعها<sup>(١)</sup>.

### خطر البرد، وتناقص الغذاء والعلف

صادفت غزوه الخندق فصل الشتاء وكانت المدينه قد أُصيبت في تلك السنه بقلّه الغيث، ولذلك كانت تعاني من نقص في الطعام.

كما أنّ طعام المشركين لم يكن هو الآخر يكفى لمدّه طويله، ولم يكن أحد

ص: ٢٩٦

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٧٠٢/٣-٧٠٤.



منهم يتصوّر أنّ عليه أن يمكث خلف الخندق مده شهر واحد، بل كان المشركون - جميعاً - يرون - بادئ الأمر - أنّهم سيقضون بهجوم واحد واسع، على جنود الإسلام ويجتاحون المدينة، ويستأصلون المسلمين!!

ولقد أدرك مثيرو هذه الحرب العدوانية (اليهود) هذه المشكله بعد أيام، فقد عرفوا بأن مضيّ الزمان سيقبّل من مقدره سادّه الجيش العربى وقادته على مقاومه القرّ، وقله العلف وتناقص الطعام، ومن هنا فكّروا فى الاستعانه بيهود بنى قريظه داخل المدينه، ليشعلوا فتيل الحرب من داخل المدينه، وبذلك يمهدوا السبيل لجيش العرب لغزو المدينه، واجتياحها من الخارج!!

### حبي بن أخطب يدخل حصن بنى قريظه

كان بنو قريظه الطائفه اليهوديه الوحيده التى بقيت فى المدينه تعايش المسلمين فى سلام وأمن، وكانوا يحترمون الميثاق الذى عقده مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، احتراماً كاملاً.

فرأى «حبي بن أخطب» أنّ طريق الانتصار يتوقف على الاستعانه بمن فى داخل المدينه لصالح المعتدين العرب، وذلك بأن يدعو يهود بنى قريظه إلى نقض العهد الذى عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به، ليشعل بذلك حرباً بين المسلمين ويهود بنى قريظه ويشغل المسلمين بفتنه داخله، وبذلك يمهد لانتصار المشركين الذين يحاصرون المسلمين خلف الخندق.

وانطلاقاً من هذه الفكره أتى «حبي» إلى حصن بنى قريظه ودقّ عليهم الباب وعزّف نفسه، فأمر رئيس بنى قريظه «كعب بن الأسد» بأن لا يفتحوا له الباب ولكّنه أصرّ، وقال: ما يمنعك من فتح الباب إلّا جشيشتك (أى خبزك) الذى فى التنور تخاف أن أشاركك فيها فافتح فإنّك آمن من ذلك. فأثارت تلك الكلمات الجارحه

حميه كعب فأمر بأن يفتحوا له باب الحصن، ففتحوا له، فدخل مثير الحرب المشؤوم «حيي» وقال لكعب: يا كعب لقد جئتكم بعزّ الدهر، هذه قريش في قاداتها وساداتها مع حلفائهم من كنانة، وهذه فزاره مع قاداتها وساداتها، وهذه سليم وغيرهم، ولا يفلت محمّد وأصحابه من هذا الجمع أبداً وقد تعاقدوا وتعاهدوا ألّا يرجعوا حتّى يستأصلوا محمّداً ومن معه، فانقضّ العهد بينك وبين محمّد، ولا تردّ رأيي.

فأجابه كعب قائلاً: لقد جئتني - والله - بذلّ الدهر، وبسحاب يبرق ويرعد وليس فيه شيء، وأنا في بحر لحي لا أقدر على أن أريم داري ومالي معي، والصبيان والنساء، إني لم أر من محمّد إلّا صدقاً ووفاء فارجع عني، فإنّه لا حاجة لي فيما جئتني به.

ولكن حيتي بن أخطب لم يزل يراوض كعباً ويخاتله ويلجّ عليه كما يفعل صاحب الجمل الجامح الذي يستصعب عليه، حتّى أقنعه بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهيتاه لذلك، فقال: أنا أخشى أن لا يقتل محمّد وتنصرف قريش إلى بلادها، فماذا نفعل حينذاك؟ فوعده حيتي أن يدخل معه حصنه ليصيبه ما أصابه إن لم يقتل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال كعب: دعني أشاور رؤساء اليهود، فدعا رؤساء اليهود وشيوخهم، وخبرهم الخبر، وحيتي حاضرًا، وقال لهم كعب: ما ترون؟ فقالوا: أنت سيدنا، والمطاع فينا، وصاحب عهدنا وعقدنا، فإن نقضت نقضنا معك وإن أقمت أقمتنا معك، وإن خرجت خرجنا معك.

فقال «الزبير بن باطا» وكان شيخاً كبيراً مجرباً قد ذهب بصره: قد قرأت في التوراه التي أنزلها الله في سفرنا يبعث نبياً في آخر الزمان، يكون مخرجه بمكّه،

ومهاجره في هذه البحيره... يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر، فإن كان هذا (أى محمّد) هو فلا يهولته هؤلاء ولا جمعهم، ولو ناوى على هذه الجبال الرواسى لغلبيها.

فقال أخطب من فوره: ليس هذا ذاك، ذلك النبى من بنى إسرائيل، وهذا من العرب من ولد إسماعيل، ولا يكونوا بنو إسرائيل أتباعاً لولد إسماعيل أبداً، لأنّ الله فضّلهم على الناس جميعاً وجعل فيهم النبوه والملك، وليس مع محمّد آيه، وإنّما جمعهم جمعاً وسحرهم!!

ولم يزل يقنّع بهم، ويقلبهم عن رأيهم، ويلتجّ عليهم حتّى أجابوه، ورضوا بأن ينقضوا العهد الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: أخرجوا الكتاب الذى بينكم وبين محمّد، فأخرجوه، فأخذه و مزقه، وقال: قد وقع الأمر، فتجهّزوا وتهيأوا للقتال، وبذلك جعلهم أمام الأمر الواقع الذى ظنوا أنّه لا مفرّ منه!! (1)

### النبى يعرف بنقض بنى قريظه للعهد

بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق جواسيسه الأذكياء نقض بنى قريظه للعهد، فى مثل ذلك الظرف الحساس، فغمّه غمّاً شديداً. فأمر من فوره «سعد بن معاذ» و «سعد بن عباد» - وكانا من خير رجاله الشجعان ومن قاده جيشه الممتازين، كما أنّهما كانا رئيسى الأوس والخزرج - بأن يحصلوا له على معلومات دقيقه عن هذا الحادث، وأسبابه وملابساته، وأنّه إذا كان هناك خيانه ونقض للعهد فعلاً أن يخبراه وحده فقط ولا يخبراه أحداً به ويقولوا: عضل والقاره، لكيلا يفت ذلك أعضاء

ص: ٢٩٩

١- . لاحظ: المغازى: ١/٤٥٦؛ سيره ابن هشام: ٣/٧٠٥-٧٠٦؛ بحار الأنوار: ٢٠/٢٢١-٢٢٣.

المسلمين ولا يضعف من معنوياتهم، وأما إذا لم تكن هناك خيانه، فيكذب الأمر بصراحه.

فذهب الرجلان، واقتربا إلى حصن بنى قريظه، فأشرف عليهما كعبٌ من داخل الحصن، فشتم سعداً وشتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبذلك أظهر نقضه للعهد والميثاق فأجابه سعد - بإلهام غيبى -: إنما أنت ثعلب فى جحر، لتولين قريش، وليحاصرئك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولتزلزلنك على الصغر والقما (أى الذل) وليضربن عنقك.

ثم رجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالا له: عضل والقاره. فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال برفيع صوته: «أبشروا يا معشر المسلمين بنصر الله وعونه»(١).

وهذه العبارات تكشف عن مبلغ شجاعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمق سياسته، فقد قالها لكى لا تضعف معنويه المسلمين، ولا يتملكهم الخوف إذا سمعوا بنقض بنى قريظه للعهد، وهم فى تلك الظروف الحرجه الشديده أحوج ما يكونون إلى المعنويات العاليه، والإحساس بروح النصر.

### تجاوزات بنى قريظه الأوليه

كانت الخطه المبدئيه لبنى قريظه تقضى بأن يبدأوا عملهم الخياني بالإغاره على المدينه، وإرعاب النساء والأطفال الموجودين فى البيوت و المنازل، وقد نفذت مراحل من هذه الخطه تدريجاً!!

فقد أخذ بعض صناديد بنى قريظه يحومون حول بيوت المسلمين التى فيها أطفالهم ونساؤهم بصوره مشبوهه!!

ص: ٣٠٠

---

١- . لاحظ: المغازى: ٤٥٩/١؛ بحار الأنوار: ٢٠/٢٢٣.

كانت «صفية بنت عبدالمطلب» عمّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فارع، حصن حسان بن ثابت قالت: وكان حسان بن ثابت معنا فيه، مع النساء والصبيان، فمرّ بنا رجل من يهود. فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظه، وقطعت ما بينها وبين رسول صلى الله عليه وآله وسلم، وليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنّا، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون في نحور عدوّهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت، فقلت: يا حسان: إنّ هذا اليهودي كما ترى يُطيف بالحصن، وإنّي والله ما آمنه أن يدلّ على عورتنا من وراءه من يهود، وقد شُغل عنّا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، فأُنزل إليه فاقتله، قال: يغفر الله لك يا بنه عبدالمطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت: فلمّا قال لي ذلك، ولم أر عنده شيئاً، احتجرت(١) (أى شددت وسطى) ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه، فضربت بالعمود حتّى قتلتها، فلمّا فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسان أنزل إليه فاسلبه فإنّه لم يمنعني من سلبه، إلّا أنّه رجلٌ، فقال حسان:

مالي بسلبه حاجه يابنه عبدالمطلب!!(٢).

ولمّا بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق عيونه على اليهود أنّهم نقضوا ما بينه وبينهم من العهد وأنهم طلبوا من قريش ألف رجل ومن غطفان ألف رجل ليغيروا على المدينة عبر حصن اليهود، وكان ذلك في ما كان المسلمون منشغلين بحراسه الخندق، فعظم بهذا الخبر البلاء وصار الخوف على الذراري أشد من الخوف على أهل الخندق، بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسلمة بن أسلم وزيد بن حارثة في خمسمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير تحفظاً على الجوارى، من بنى قريظه(٣).

ص: ٣٠١

١- . وفي روايه: اعتجرت.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٧١١/٣.

٣- . لاحظ: المغازي: ٤٦٠/١.

لقد خاض المشركون حروباً عديده ضدَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل معركة الأحزاب، ولكن العدو في جميع تلك المعارك والحروب كان من طائفه أو قبيله واحده، ولم يكن من عموم الجزيره العربيه، ومن عموم القبائل، أى الإسلام لم يواجه في تلك الحروب والوقائع عدواناً شاملاً من سكان الجزيره.

وحيث إن أعداء الإسلام رغم الجهود الكبيره لم ينجحوا في القضاء على الحكومه الإسلاميه الفتيه، قرّروا هذه المره أن يستأصلوا الإسلام عن طريق اتحاد عسكري عريض، يضم كل قبائل الجزيره العربيه المشركه، ويرموا المسلمين بأخر سهم في جعبتهم، من هنا عمدوا إلى تعبئه أكبر قدر من المقاتلين، واستصرخوا أكبر قدر من القبائل وتحركوا في جمع لم يعرف له تاريخ العرب والجزيره من نظير نحو المدينه لتحقيق ذلك الهدف المشؤوم. ولولا تدبير المسلمين للدفاع عن المدينه لحقق العدو الحاقده أهدافه.

ولهذا جلب أعداء الإسلام معهم أكبر صناديد من صناديد العرب، وأشهر بطل من أبطالهم ورأسوه عليهم، وهو عمرو بن عبد ود العامري ليشدوا به أزرهم، ويحققوا بسببه ما كانوا يأملونه من الظفر.

وعلى هذا الأساس كانت معركة الأحزاب مواجهه كامله بين كل الكفر وكل الإيمان، وخاصه عندما تبارز بطل الإسلام وبطل الكفر وتواجهها في ساحه القتال.

ولقد كان الخندق الذى احتفراه المسلمون سلفاً من عوامل إخفاق المشركين، وكان العدو يحاول أن يعبر هذا الخندق فتطيف فرسانهم به ليل نهار ولكن دون جدوى، لأنهم كانوا يواجهون في كل مره سهام الحرس الذين وكلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحراسه الخندق، وصد محاولات العدو لاجتيازه وإفشالها فوراً،

وأيضاً بفضل تدابير النبي القائد نفسه.

ثم إن طائفه من الأنصار خرجوا ليدفنوا ميتاً منهم بالمدينه فصادفوا عشرين بغيراً لقريش محمله شعيراً وتمرّاً وتبناً حملها ذلك حبي بن أخطب شداداً لقريش فأتوا بها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتوسّع بها أهل الخندق(١).

وذات يوم من أيام الانتظار وراء الخندق كتب أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً يقول فيه: فإنني أحلف باللغات والعزى لقد سرت إليك في جمعنا وإنا نريد ألا نعود إليك أبداً حتى نستأصلك فرأيتك قد كرهت لقاءنا، وجعلت مضايق وخنادق، فليت شعري من علمك هذا؟ فان نرجع عنكم فلکم منا يومٌ كيوم أحد تُبقر فيه النساء(٢).

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من محمّد رسول الله إلى أبي سفيان بن حرب... أمّا بعد فقد يمّاً غرّك بالله الغرور، أمّا ما ذكرت أنك سرت إلينا في جمعكم، وإنك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر الله يحول بينك وبينه، ويجعل لنا العاقبه حتى لا تذكر اللات والعزى. وأمّا قولك: من علمك الذي صنعنا من الخندق فإن الله ألهمني ذلك لما أراد من غيظك به وغيظ أصحابك، وليأتين عليك يومٌ تدافعني بالراح، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وأساف، ونائله، وهبل حتى أذكرك ذلك»(٣).

ولقد وقعت إجابته الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم - التي كانت تنبئ عن قوه إرادته وشده عزمته، وتصميمه القاطع - موقع السهم في قلب زعيم المشركين، وحيث

ص: ٣٠٣

١- السيره الحلبيه: ٦٤٧/٢.

٢- المغازي: ٤٩٢/١.

٣- المغازي: ٤٩٢/١-٤٩٣؛ إمتاع الأسماع: ٢٤٢/١ و ٢٤٣.

إِنَّ قَرِيشًا كَانَتْ تَعْتَقِدُ بِصَدَقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاسْلَمَ فَإِنَّهَا أُصِيبَتْ بِهَذَا الرَّدِّ الحَاسِمِ فِي عَزِيمَتِهَا وَنَفْسِيَّتِهَا، وَلَكِنَّهَا مَعَ ذَلِكَ لَمْ تَكْفُ عَنْ مَوَاصِلِهِ عِدْوَانِهَا.

وَذَاتَ لَيْلِهِ عَزَمَ «خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ» عَلَى أَنْ يَعْبرَ بِجَمَاعَتِهِ الخَنْدِيقَ وَلَكِنَّهُ اضْطُرَّ إِلَى التَّرَاجُعِ عِنْدَمَا وَاجَهَ مَقَاوِمَهُ شِجَاعَهُ مِنْ مَائَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِإِمْرِهِ «أُسَيْدُ بْنُ حَضِيرٍ» وَقَدْ كَلَّفَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاسْلَمَ بِالقِيَامِ عَلَى شَفِيرِ الخَنْدِيقِ، وَدَفَعَ الْمَشْرِكِينَ وَمَنْعَهُمْ مِنَ الْعُبُورِ!!

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاسْلَمَ لَمْ يَكُنْ لِيُغْفَلَ عَنْ تَقْوِيَةِ عَزَائِمِ الْمُقَاتِلِينَ الْمُسْلِمِينَ وَرَفْعِ مَعْنَوِيَّاتِهِمْ، وَلِهَذَا كَانَ يَهَيِّئُهُمْ بِخُطْبِهِ الحِمَاسِيَّةِ، وَكَلِمَاتِهِ الْمَشْجَعَةِ، الحَاثَّةِ عَلَى الجِهَادِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالدَّفَاعِ عَنِ حِيَاضِ الْعَقِيدَةِ وَالإِيمَانِ، وَالدُّوْدِ عَنِ صِرْحِ الحَرِيَّةِ، وَالعَدْلِ.

فَقَدْ وَقَفَ ذَاتَ يَوْمٍ خُطْبِيًّا فِي اجْتِمَاعٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَقَالَ - بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ - .

«أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا لَقَيْتُمُ الْعُدُوَّ فَأَصْبِرُوا وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوفِ»(١).

### أَبْطَالٌ مِنَ الْعَرَبِ يَعْْبُرُونَ الخَنْدِيقَ

لَبَسَ خَمْسَةٌ مِنْ شِجْعَانَ الْمَشْرِكِينَ هَمًّا: «عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدِّ الْعَامِرِيِّ»، «عَكْرَمَةُ ابْنِ أَبِي جَهْلٍ»، «هَبِيرَةُ بْنُ وَهْبٍ»، «نُوفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ»، وَ«ضَرَّارُ بْنُ الْخَطَّابِ» لِأَمَةِ الحَرْبِ، وَوَقَفُوا أَمَامَ بَنِي كِنَانَةَ فِي غُرُورِ عَجِيبٍ، وَقَالُوا: تَهَيَّأُوا يَا بَنِي كِنَانَةَ لِلْحَرْبِ، فَسَتَعْلَمُونَ مِنَ الْفَرَسَانِ الْيَوْمَ؟

ص: ٣٠٤



ثم ضربوا خيولهم فعبرت بهم الخندق من مكان ضيق قد أغفله المسلمون، ولكنهم بادروا إلى محاصره تلك الثغره ومنع غيرهم من العبور.

وكان الموضع المذى وقف فيه أولئك الشجعان الخمسه الذين عبروا الخندق للمبارزه يقع بين الخندق وجبل سلع حيث تمرکز جنود الإسلام(١).

ثم أخذوا يدعون المسلمين إلى البراز، فى كبرياء وغرور كبيرين، وهم يقطعون ذلك الموضع جيئه وذهاباً بخيولهم!!

بيد أن أشجع أولئك الخمسه وأجرأهم وأعرفهم بفنون القتال وهو: «عمرو بن عبد ود العامرى» تقدّم، وأخذ يرتجز داعياً المسلمين إلى النزال والبراز قائلاً:

وَلَقَدْ بُحِحْتُ مِنَ النَّدَاءِ بِجَمْعِكُمْ هَلْ مِنْ مُبَارَزٍ

وَوَقَفْتُ إِذْ جَبَنَ الْمُشَجَّعُ مَوْقِفَ الْقَرْنِ الْمَنَاجِزِ

وكذلك إني لم أزل متسرّعا قبل الهزاهز

إن والشجاعه فى الفتى والجود من خير الغرائز(٢)

فأحدثت نداءات عمرو الرهيبه حاله من الرعب، والوجل الشديدين فى معسكر المسلمين، وسكت الجميع، ولم ينبسوا ببنت شفه رهبه وخوفاً منه.

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

«أيكم يبرز إلى عمرو أضمن له الجنه»؟

وقد قالها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ثلاث مرات، وفى كل مره يقوم على عليه السلام ويقول:

أنا له يا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، والقوم ناكسوا رؤوسهم(٣) أو كأن المسلمين يومئذ على

ص: ٣٠٥

١- . لاحظ: تاريخ الطبرى: ٢/٢٣٩؛ الطبقات الكبرى: ٢/٢٨٨.

٢- . تاريخ مدينه دمشق: ٧٩/٤٢.

٣- . تاريخ الخميس: ١/٤٨٦.

رؤوسهم الطير، لمكان عمرو وشجاعته، كما يقول الواقدي (١).

ولابد أن تحلَّ هذه المشكله بيد على عليه السلام فارس ميادين الحرب المقدام، وكان كذلك، فلما أبدى عليُّ عليه السلام استعداداه الكامل لمقاتله عمرو أعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيفه وعممه بيده، ووجهه صوب عمرو وقد دعا له قائلاً: اللهم أعنه عليه.

وقال أيضاً: «اللهم إنك أخذت مني عبده بن الحارث يوم يدر، وحمزه بن عبدالمطلب يوم أُخيد، وهذا أخي علي بن أبي طالب، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين» (٢).

فبرز عليُّ عليه السلام إلى عمرو يهرول في مشيته، مبادراً إليه دون إبطاء، وهنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلمته الخالده في تلك المواجهه:

«برز الإيمان كله إلى الشرك كله» (٣) وارتجز عليه السلام قائلاً:

لا تعجلنَّ فقد أتاك مجيبُ صوتك غير عاجز

ذو نيه وبصيره والصدق مُنجي كلِّ فائر

إني لأرجو أن أُقيمَ عليك نائحه الجنائر

من ضربته نجلاء يبقى ذكرها عند الهراير

وقد كان عليُّ عليه السلام مسربلاً بالحديد لا يرى منه إلعيناه من تحت المغفر، فأراد عمرو أن يعرف من برز إليه فقال: من أنت؟

ص: ٣٠٦

١- المغازي: ١/٤٧٠.

٢- كثر الفوائد: ١٣٧؛ بحار الأنوار: ٢٠/٢١٥ ح ١.

٣- تاريخ الخميس: ١/٤٨٦ و ٤٨٧؛ بحار الأنوار: ٢٠/٢١٥.

قال: أنا عليُّ بن أبي طالب.

فقال عمرو: إنِّي أكره أن أريق دمك، واللَّه إنَّ أباك كان لي صديقاً ونديماً، ما أمِنَ ابن عمك حين بعثك إليَّ أن اختطفَكَ برمحي هذا فأتر كك شائلاً بين السماء والأرض لاحتى ولا ميت.

فقال عليُّ عليه السلام: لكنني ما أكره واللَّه أن أريق دمك، وقد علم ابن عمي أنك إن قتلتنى دخلتُ الجنة، وأنت في النَّار، وإن قتلتك فأنت في النَّار وأنا في الجنة.

فضحك عمرو وقال مستهزئاً: كلتاها لك يا عليُّ، تلك إذا قسمه ضيزى.

(أى ناقصه جائره).

يقول ابن أبي الحديد: كان شيخنا أبو الخير يقول إذا مررنا في القراءه عليه بهذا الموضع: واللَّه ما أمره (أى ما أمر عمرو بن عبد ود علياً عليه السلام) بالرجوع إبقاءً عليه، بل خوفاً منه، فقد عرف قتلاه بيدراً وأحيد، وعلم أنه إن ناهضه قتله، فاستحيا أن يُظهر الفشل، فأظهر الإبقاء والإرعاء، وإنه لكاذب فيهما(1).

ثم إنَّ علياً عليه السلام ذكرَ عمراً بعهد قطعه على نفسه فقال له:

يا عمرو إنِّي سمعت منك وأنت متعلِّق بأستار الكعبه تقول: لا يعرض عليَّ أحد في الحرب ثلاث خصال إلَّا أجبتُه إلى واحد منها، وأنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجبنى إلى واحد.

قال عمرو: هات يا عليُّ.

قال: تشهد أن لا اله إلَّا الله، وأنَّ محمداً رسول الله.

فقال عمرو: نَحَّ عنى هذا.

ص: ٣٠٧

١- . شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ٦٤/١٩.

قال على عليه السلام: فالثانيه أن ترجع وترد هذا الجيش عن رسول الله، فإن يك محمداً صادقاً فأنتم أعلى به عيناً، وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره.

فقال عمرو في غرور عجيب: إذاً تتحدث نساء قريش بذلك، وينشد الشعراء في أشعارها أنني جنت، ورجعت على عقبى من الحرب، وخذلت قوماً رأسوني عليهم.

فقال له على عليه السلام: فالثالثه أن تنزل إلى فإنك راكبٌ وأنا راجلٌ، حتى أنابذك.

فقال عمرو: هذه خصله ما ظننت أن أحداً من العرب يسومني عليها، ثم وثب عن فرسه وعرقبه. (1)

### تصاول البطلين

وهنا بدأ تصاولٌ شديدٌ بين البطلين، وارتفعت بينهما عجاجه حجب الرؤية، وإنما كان الناس يسمعون فقط صوت إصطكاك السيوف والدروع الحديديه وغيرها، وبعد فتره من التصاول بين ذينك البطلين العملاقين ضرب «عمرو» «أمير المؤمنين علياً» عليه السلام بالسيف على رأسه، فألقاه على عليه السلام بالدرقه فقطعها، وشجت الضربه رأسه ففاجأه عليٌ عليه السلام بضربه قويه على ساقيه فقطعهما، جميعاً، ثم انكشفت العجاجه فنظر المسلمون فإذا عليٌ عليه السلام على صدر عدو الله يريد أن يذبحه. وارتفع صوت على بالتكبير من بين العجاجه يعلن عن انتصاره، ومقتل عمرو.

فألقي هلاك فارس العرب الأكبر «عمرو بن عبد ود» رعباً عجيباً في نفوس بقيه الأبطال والشجعان الذين عبروا معه الخندق، فهربوا راجعين إلى معسكرهم،

ص: ٣٠٨

إِلَّا «نوفل» الذي سقط فرسه في الخندق، وهوى هو إلى الأرض بشده، فرماه حرس الخندق بالحجاره فقال: قتله أجمل من هذه، ينزل إلى بعضكم أقاتله، فنزل إليه علي عليه السلام فضربه حتى قتله في الخندق(١).

فهيمن الخوف والرعب على كل أرجاء المعسكر العربي المشرك، وبهت أبوسفیان أكثر من غيره.

ثم إنّه كان يتصوّر أنّ المسلمين سيُمثّلون بجسد «نوفل» انتقاماً لحمزه الذي مُثّل به في أحد، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من يشتري جثته بعشره آلاف فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم:

«هو لكم، لا نأكل ثمن الموتى»(٢).

### قيمه هذه الضربه

لقد قتل علي عليه السلام - حسب الظاهر - رجلاً شجاعاً لا أكثر، بيد أنّه بضربته لعمر و بقتله إياه أحيا - في الحقيقه - كل من أربعته نداءات عمرو المهده، من المسلمين، وألقى رعباً كبيراً في نفوس جيش قوامه (١٠/٠٠٠) رجل تعاهدوا وتعاهدوا على محو الإسلام واستئصال الحكومه الإسلاميه الفتيه. ولو أنّ الانتصار كان يحالف عمراً لعرفنا حينئذ قيمه هذه التضحيه الكبرى التي قام بها علي عليه السلام.

وعندما عاد علي عليه السلام ظافراً منتصراً قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

«ضربه علي يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة»(٣) وفي

ص: ٣٠٩

١- لاحظ: بحار الأنوار: ٢٠٥/٢؛ تاريخ الطبري: ٢٤٠/٢.

٢- بحار الأنوار: ٢٠٥/٢؛ البدايه والنهائيه: ١٢٢/٤.

٣- ينابيع الموده: ٤١٢/١.

روايه أخرى قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لمبارزه على بن أبي طالب لعمر بن عبد ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة».(١)

وقيل أنه قال:

«لو وُزِنَ اليومَ عملُك بعملِ جميعِ أمّةِ محمّدٍ لرجحَ عملُك على عملهم، وذاك إنّه لم يبق بيت من المشركين إلّا وقد دخله ذلٌ بقتل عمرو، ولم يبق بيتٌ من المسلمين إلّا وقد دخله عزٌّ بقتل عمرو»(٢).

وبذلك كشف عن أهميه الضربه التي أوقعها على عليه السلام بعمر بن عمرو في تلك الواقعة.

### لماذا التنكر لهذا الموقف؟

ويحق لنا هنا أن نستغرب تنكر بعض المؤرخين أو تجاهلهم لهذا الموقف العظيم الذي أدى إلى هزيمة المشركين، والأحزاب في معركة الخندق هزيمة نكراء، كلّ واحد بشكل من الأشكال وصوره من الصور: فهذا ابن هشام رغم إسهابه في بعض الأمور التاريخية ممّا لا قيمه له بعد أن يذكر مقتل «عمرو» على يد بطل الإسلام الخالد على عليه السلام من دون أن يذكر ما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند مطالبه عمرو بالمنازل والمبارز، ذكر أبياتاً قالها على عليه السلام في المقام ثم يشكك في نسبتها إليه عليه السلام(٣).

وهكذا ابن الأثير رغم اهتمامه بالدقائق التاريخية ووصفه لكتابه بالكامل، نجده يحاول التقليل من أهميه هذا الموقف بصوره أخرى، وهو أن علياً خرج

ص: ٣١٠

١- . مستدرک الحاكم: ٣٢/٣.

٢- . كنز الفوائد: ١٣٧؛ شواهد التنزيل: ١٢/٢؛ ينابيع الموده: ٢٨٤/١ برقم ٧؛ بحار الأنوار: ٢١٦/٢٠.

٣- . السيره النبويه لابن هشام: ٧٠٩/٣.

ضمن مجموعته لمقاتله عمرو وليس وحده.

ولكنَّ المعلِّقين على الطبعه المنيريه للكامل والتي أشرف عليها فضيله الأستاذ عبدالوهاب النجار لم يرق لهم هذا الصنيع، وأبت عليهم ضمائرهم الحرّة أن يتركوا الروايه على حالها فقالوا في الهامش: وروى السهيلي عن ابن إسحاق أنّ عمراً دعا المسلمين للمبارزه، وعرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمر ثلاث مرّات، ولا يقوم إلّا على كرم الله وجهه، وفي الثالثه قال له: إنّه عمرو قال: وإن كان عمراً، فنزل إليه وقتله وكبر فكبر المسلمون فرحاً بقتله(١).

وهذا ابن تيميه يحاول التنقيص من هذه الفضيله ولكن بالضرب على وتر آخر حيث قال: إنّ قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شأن عليّ عليه السلام لما قتل عمراً: «قتل على لعمر بن عبد ود أفضل من عباده الثقلين» من الأحاديث الموضوعه التي لم ترد في شيء من الكتب التي يعتمد عليها بسند ضعيف، وكيف يكون قتل كافر أفضل من عباده الثقلين... ثم قال: بل إنّ عمرو بن عبد ود لم يعرف له ذكرٌ إلّا في هذه الغزوه.

فهو يحاول التقليل من شأن عمرو، والإيحاء بأنّه لم يكن شيئاً، فلا يكون لقتله أهميه.

ولكن صاحب السيره الحلبيه الّذى ينقل كلّ هذه العبارات عن ابن تيميه يردّ عليه قائلاً: ويردّ قوله: «إنّ عمرو بن عبد ود هذا لم يعرف له ذكرٌ إلّا في هذه الغزوه» قول الأصل: وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتّى أثبتته الجراحه فلم يشهد يوم أُحد فلما كان يوم الخندق خرج مُعلِماً، أي جعل له علامه يعرف بها ليري مكانه.

ص: ٣١١

---

١- .الكامل في التاريخ: ١٢٤/٢، الطبعه المنيريه، إشراف الأستاذ عبد الوهاب النجار.

ويرده أيضاً ما تقدّم من أنّه نذر أن لا يُمسّ رأسه دهنًا حتّى يقتل محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم.

واستدلّاه بقوله: وكيف يكون إلى آخره، فيه نظر؛ لأنّ قتل هذا كان فيه نصره للدين وخذلان الكافرين(١).

وما قاله صاحب السيره الحلبيه عن مشاركه عمرو في معركة بدر يوافق ما جاء في الكامل لابن الأثير الجزء ٢ الصفحه ١٢٤ ويوافق أيضاً ما جاء في السيره النبويه الجزء ٣ الصفحه ٧٠٩.

### مروءه على عليه السلام وشهامته

ولقد أحجم على عليه السلام عن سلب «عمرو بن عبد ود» درعه، وكان درعاً غاليه الثمن ليس للعرب، درعٌ خيرٌ منها، وقد فعل ذلك مروءه، وترفعاً، فاعترض عليه بعضٌ، حتّى أنّ عمر بن الخطاب قال له: هلا- سلبتة درعه فإنّه ليس في العرب درع خير منها(٢). ولما عرفت أخت عمرو بمقتله سألت عمّن قتله؟ فأخبروها بأنّ علياً عليه السلام هو الذي قتله، فقالت لم يعد موتة إلّا على يد كفؤ كريم، لارقأت دمعتي إن هرقتها عليه، قتل الأبطال، وبارز الأقران، وكانت منيته على يد كفؤ كريم من قومه ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر.

ثم أنشأت تقول:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته ما أقام الروح في جسدي

ص: ٣١٢

١- . السيره الحلبيه: ٦٤٣/٢. ولاحظ أيضاً رد الأمين على ابن تيميه في أعيان الشيعة: ٢٦٤/١.

٢- . السيره الحلبيه: ٦٤٣/٢.



لَكِنَّ قَاتِلَهُ مَنْ لَا يُعَابُ بِهِ وَكَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بِيَضِهِ الْبَلَدِ (١)

وقد ذكر على عليه السلام صنيعة هذا في أبيات أنشأها يوم الخندق إذ قال:

أَعْلَى تَقْتَحُمُ الْفَوَارِسُ هَكَذَا؟ عَنِّي وَعَنْهَا خَبِرُوا أَصْحَابِي

أَرَدَيْتُ عَمْرًا إِذْ طَعَى بِمَهْنَدٍ صَافِي الْحَدِيدِ مَجْرَبَ قَضَابِ

فَصَدَدْتُ حِينَ تَرَكْتُهُ مُتَجَدِّلاً كَالْجَذَعِ بَيْنَ دَكَدَاكَ وَرَوَابِي

وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَ لَوْ أَنَّي كُنْتُ الْمَقْطَرُ بَرَّيْنِي أَثْوَابِي (٢)

والآن حان أن نرى إلى أي مصير آل أمر معسكر المشركين بعد مقتل فارس العرب وشجاعها البارز.

### جيش العرب يتفرق في موقفه

لم يكن دافع جيش العرب ومن عاونهم ومالأمهم من اليهود إلى محاربه الإسلام واحداً، فاليهود كانوا يخشون من اتساع رقعه الحكومة الإسلامية الفتيه، المتزايد، وأما دافع قريش فكان هو العداة القديم للإسلام والمسلمين. وأما قبائل «غطفان» و «فزاره» وغيرها من القبائل فلم يحركها إلا الطمع في محاصيل «خير» التي وعدهم بها اليهود.

فعلى هذا الأساس لم يكن محرّك «الأحزاب» المشاركة في جيش الشرك أمراً واحداً، فقد كان محرّك الطوائف الأخيره أمراً مادياً، ولو أن هذا الهدف تحقّق عن طريق المسلمين لعادت هذه القبائل إلى أوطانها مسروره راضيه، وخاصّه أن البرد، وقلة الطعام، والعلف، طوال مدّه المحاصره قد أوجدت في نفوسهم كلاً

ص: ٣١٣

١- . مستدرک الحاکم: ٣٣/٣.

٢- . بحار الأنوار: ٢٥٧/٢٠؛ المستدرک على الصحيحين: ٣٢/٣ باختلاف يسير.

وملأ، من جهه، وعرضت أنعامهم لخطر الهلاك والفناء من ناحيه أخرى.

من هنا كلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جماعه بأن يتصلوا بهذه القبائل (الأخيره) ويذكروا لهم بأن المسلمين مستعدون لإعطائهم ثلث تمر المدينة إن هم تركوا قريشاً وعادوا إلى ديارهم، فأعدوا عهداً وجاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليمضيه، ولكنه شاور فيه سعد بن معاذ، وسعد بن عباد قبل أن يمضيه، فقالا له: يا رسول الله، أمراً تحببه فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به، لا بد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: «بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأتني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحده، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما» فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعباده الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمره إلقريء أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا؟! والله ما لنا بهذا من حاجه، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فأنت وذاك.

فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال: ليجهدوا علينا. (١)

وبهذا كشف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صفحه أخرى من سياسته الحكيمه، فقد كان إقدامه على ثنى القبائل المتحالفه مع قريش في جيش الأحزاب بإعطاء بعض التنازلات الماديه (لا المعنويه) وتحييدها خطوه سياسيه وعسكريه صحيحه، ورائعه، وكانت مشورته مع أصحابه من الأنصار (خاصه) عملاً حكيماً أيضاً؛ لأنه استثار بذلك همهم، وشد على عزائمهم، فوعدوا بالصمود والمقاومه في ذلك

ص: ٣١٤

الظرف العصبى وعدم تقديم آيه تنازلات، ولهذا انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما أراد أولاً، فكان مجموع هذه الخطوات عملاً حكيماً جداً، يكشف عن حنكه سياسيه عظيمه، ودرايه عسكريه عميقه.

### العوامل التى فزقت كلمه «الأحزاب»

هناك عوامل عديده تسببت فى تفرق الجيش العربى الذى زحف إلى المدينه لاجتياحها، وانقسام الأحزاب على أنفسهم، وإليك أبرزها:

١. إن أول عامل من تلك العوامل هو تكلم مبعوثى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع ساده غطفان وفزاره، لأن هذه المعاهده وإن لم توقع إلا أنها لم تُنقض، فتسبب ذلك فى أن يختلفوا مع قريش فى رأى، أى اجتياح المدينه وبأى شكل من الأشكال وأن لا يقدموا على أى إجراء عسكري مع غيرهم انتظاراً للتوقيع على تلك المعاهده، ولهذا كلما طلبت القيادة القرشيه منهم الهجوم الشامل اعتذروا ببعض الأعذار تملصاً من ذلك الطلب.

٢. مصرع «عمرو بن عبد ود» فارس العرب الأ-كبر الذى كان الأ-غلبه فى ذلك الجيش يعلقون عليه آمالهم فى الانتصار على المسلمين. فلما قتل تملصك الجميع رعب غريب وانهارت آمالهم، وبخاصه عندما هرب زملاؤه الشجعان من وجه على عليه السلام خوفاً، ورهبه.

٣. ما لعبه «نعيم بن مسعود» الذى أسلم حديثاً، من دور فى إلقاء روح الشك والفرقه بين يهود بنى قريظه وجيش «الأحزاب»، فقد قام بهذا الدور بشكل رائع، تماماً كما يفعله الجواسيس المنظمون فى عصرنا الحاضر، بل كان ما فعله أفضل وأكبر تأثيراً وعطاء.

فقد أتى «نُعيم» هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا رسول الله؛ إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إنما أنت فينا رجلٌ واحدٌ، فخذل عَنَّا إن استطعت (أى أدخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضاً)، فإنَّ الحرب خدعه».

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظه، وكان لهم نديماً في الجاهليَّة، فقال: يا بنى قريظه قد عرفتم وُدِّي، وخاصَّه ما بيني وبينكم.

قالوا: صدقت، لست عندنا بمثَّهم.

فقال لهم: إنَّ قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلدُ بلدُكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره، وإنَّ قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمَّد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدُهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نُهزَه أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، وخلُّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا- طاقه لكم به، إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقه لكم، على أن تقاتلوا معهم محمَّداً حتى تنجزوه.

فقالوا له: لقد أشرت بالرأى.

ثم خرج حتى أتى قريشاً، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم وُدِّي لكم، وفراقى محمَّداً، وإنه قد بلغنى أمرٌ قد رأيت عليَّ حقاً أن أبلغكموه، نصحاً لكم فاکتموا عنى. فقالوا: نفعل.

قال: تعلموا أنَّ معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمَّد، وقد أرسلوا إليه إننا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين، من قريش وغطفان رجلاً من أشرفهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك

على مَنْ بقى منهم حتّى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم، فإن بعثت إليكم يهودٌ يلتمسون منكم رهناً من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

ثم خرج حتّى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان، إنكم أصلى وعشيرتى، وأحِبُّ الناس إليّ، ولا أراكم تتهمونى، قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتّهم، قال فاكتموا عنيّ، قالوا: نفعل فما أمرك؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم (١).

وهكذا أذى «نعيم» وظيفته بأحسن صورته ثم دخل سرّاً فى جيش المسلمين، وأشاع بين المسلمين أنّ بنى قريظة تنوى أخذ رجال من المشركين لتسليمهم إلى النبيّ والمسلمين.

وقد كان يقصدُ من إشاعه هذا النبأ أن يبلغ مسامع رؤساء العرب وقادتهم.

### مبعوثو قريش يمشون إلى بنى قريظة

ولمّا كانت ليله السبت قرّر أبو سفيان أن يحسم الموقف بأيّ شكل من الأشكال، فأرسل إلى بنى قريظة جماعه من سادة قريش وغطفان فقالوا لهم: إنّنا لسنا بدار مقام قد هلك الخفّ والحافر، فاغدوا للقتال حتّى نناجز محمّداً، ونفرغ ممّا بيننا وبينه.

فأرسلوا (بنو قريظة) إليهم: إنّ اليوم يوم السبت، وهو يومٌ لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمّداً حتّى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتّى نناجز محمّداً، فإنّنا نخشى إن ضرستكم الحرب، واشتدّ عليكم القتال أن تتشمروا

ص: ٣١٧

إلى بلادكم وتتركونا، والرجل في بلدنا ولا طاقه لنا بذلك منه.

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدّثكم نعيم بن مسعود لحقّ.

فأرسلوا إلى بنى قريظة من يقول لهم: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا.

فقالت بنو قريظة - حين انتهت الرسل إليهم بهذا -: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحقّ، ما يريد القوم إلّا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصه انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشروا إلى بلادهم، وخلّوا بيننا وبين الرجل في بلدكم (١).

وهكذا انسحبت بنو قريظة من الأحزاب وأوقع الله التخاذل بينهم وتفرّقوا، وتمزق شملهم، وكان ذلك من عوامل فشل الأحزاب، وتقهرهم ورجوعهم خائبين.

### آخر العوامل لهزيمة الكفار

لقد انضمت العوامل المذكورة إلى عامل مهم آخر يمكن تسميته - في الحقيقة - بالإمداد الغيبي أدّت إلى هزيمة الكفار وتفرّق جماعه الأحزاب، وتشتّت جماعتهم، وذلك العامل هو أنّ الله بعث عليهم فجأه الرياح والعاصفه، واشتد البرد، وكان اشتداد الرياح كبيراً بحيث أكفأ قذورهم، واقتلع خيامهم ومضاربهم، وأطفأ أضواءهم، وأوجد حريقاً في الصحراء.

وهنا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حذيفه أن يعبر الخندق، ويأتيه بخبر عن أحوال المشركين ومن مالأهم من الأحزاب.

ص: ٣١٨

---

١- السيره النبويه لابن هشام: ٧١٣/٣؛ تاريخ الطبرى: ٢٤٢/٢-٢٤٣.

يقول حذيفه: فذهبتُ فدخلتُ في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم، ما تفعل، لا تقرُّ لهم قدراً، ولا ناراً ولا بناءً... ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبَحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخفُّ، وأخلفتنا بنو قريظه، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدّه الریح ما ترون، ما تظنُّن لنا قدر، ولا تقوم لنا نارٌ، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل.

ثم قام إلى جملة - وهو معقول - فجلس عليه، ثم ضربه، فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم... وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم. (1)

ولم يسفر الصبح إلا وأسرت قريش وغطفان عائدين إلى بلادهم يجزون أذيال الخيبه، ولم يبق منهم أحد هناك.

وهكذا انتهت معركة الأحزاب في الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة.

### القرآن الكريم ومعركة الأحزاب

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أبرز النقاط في معركة الأحزاب (الخندق) ضمن سبع عشرة آية وها نحن ندرجها برمتها ونشير باختصار إلى ما تضمّنته من حقائق، قال تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا  
\* إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا

ص: ٣١٩

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٧١٤/٣-٧١٥؛ تاريخ الطبري: ٢/٢٤٤.

هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا \* وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا \* وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا \* وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنزَلْنَا مَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا يَسِيرًا \* وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الأدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا \* قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتِّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا \* قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا- يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا- نَصِيرًا \* قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ إِخْوَانِهِمْ هَلَمْ إِلَيْنَا وَلا- يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا \* أَشْجَحَهُ عَلَيْكُمْ فإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَئَلُوكُمْ بِاللَّسِنِ حَدَادٍ أَشْجَحَهُ عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَيْتُكُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَبَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا \* يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا \* لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا \* وَ لَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا \* مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا \* لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا \* وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَ كَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا. (١)

ص: ٣٢٠

١- .الأحزاب: ٩-٢٥.



ويمكن تقسيم هذه الآيات إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وهى الآيات التى ترسم الوضع العام للمسلمين عندما أتتهم عساكر الأحزاب.

القسم الثانى: وهى الآيات التى تتعرض لذكر موقف المنافقين وضعاف الإيمان.

القسم الثالث: وهى الآيات التى تتعرض لذكر موقف المؤمنين الصادقين.

وإليك بياناً لمفاد هذه الآيات على وجه الاختصار.

١. تبدأ هذه المجموعه من الآيات بتذكير المؤمنين - فى الآيه الأولى - بنعمه الله عليهم أن ردّ عنهم الجيش الّذى قصد استئصالهم لولا عناية الله ومدده العظيم، وفى هذا إشعار قوى بأنّ الله هو الّذى يحمى القائمين على دعوته ومنهجه من عدوان الكافرين والمتآمرين.

٢. ثم تشرح الآيه الثانيه الحاله العسكريه الخطيره التى كان يواجهها المسلمون، فهم محاصرون من قبل الأعداء والمتواطئين معهم من كلّ جهه محاصره ألقت الرعب فى قلوب الكثيرين من أهل المدينه فراغت الأبصار هولاً، وبلغت القلوب الحناجر خوفاً، وظنّ البعض أنّ ما أعطاهم الله ورسوله من الوعد بالتأييد والنصره لم يكن صحيحاً.

٣. ثم تحدّثت الآيه الثالثه عن الابتلاء والاختبار الّذى أفرزه هذا الوضع الخطير، فقد ابتلى المسلمون فى هذه الواقعه، وتملّكهم خوفٌ شديدٌ.

٤. ولكنّ المنافقين، والذين فى قلوبهم مرض كانوا أشدّ هولاً - وخوفاً حتّى أنّ ذلك الكرب والهول أخرج خبيثه نفوسهم، فشكّوا فى وعود الله الصادقه، وقالوا: ما وعدنا الله إلّا غروراً، فهو خدعنا إذ وعدنا بالغلبه على أعدائنا.

٥. ولم يكتف المنافقون بإشاعه هذه التشكيكات بين المسلمين بل دعوا أهل المدينة إلى الانسحاب من الميدان إلى داخل المدينة، وبالتالي حرّضوهم على ترك الصفوف. واحتجّوا لذلك بالخوف على النساء والصبيان من كيد الأعداء قائلين: «يُيَوِّتُنَا عَوْرَةٌ» وهم لا يريدون إلّا الفرار جبنًا وخوفًا.

٦. ثم تكشف الآيات السادسة والسابعة عن حقيقه ما فى نفوس أولئك المنافقين، فهم لا يريدون الانسحاب إلى داخل المدينة للمحافظه على الذرارى والصبيان، إنّما هو نقض العهد، وخلف الوعد، وفقدان الإيمان القلبى، فهم إذا دخل عليهم العدو المدينة وطلبوا منهم الرجوع عن الإسلام لرجعوا إلى الكفر دون تأخير. ولكن الله سيسألهم عن العهد الذى أعطوه من قبل بأن يثبتوا أمام العدو، «وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا» .

٧. ثم إنّ الله تعالى يوبّخهم - فى الآيات اللاحقه - على موقفهم المتخاذل هذا، ويقول لهم: بأنّ الفرار والانسحاب لن ينجيهم من الموت إن كان مقدراً عليهم، وحتّى لو عاشوا أياماً فلن يعيشوها فى خير وأمان.

كما ويقول لهم: بأنّ الله لا يخفى عليه ما يقومون به من تخذيل وعرقله لمسيره الإسلام الصاعده، ولا تخفى عليه سبحانه مواقفهم فى أوقات المحنه، من كف الأيدى عن مساعدته المؤمنين، أو سلقهم بألسنتهم وتحميلهم عوامل المحنه والشده، حتّى بعد الانتصار.

وهنا يبدو و يبرز دور المنافقين، وتظهر حالاتهم العجيبه فى الحرب والسلم.

فهم يخافون خوفاً شديداً، وهم يظنون بالله ظنّ السوء، وهم يشيعون الخوف وروح الهزيمة فى الناس، وهم ينسحبون ويدعون إلى الانسحاب من الصفوف وهم مستعدون فى كلّ وقت للارتداد والرجوع عن الإسلام إلى الكفر،

وهم بالتالي أشحّه بخلاء، فى نفوسهم كرازه على المسلمين، كرازه بالجهد، وكرازه بالمال، وكرازه بالعواطف والمشاعر على السواء.

٨. إنهم لكونهم لم تخالط قلوبهم بشاشة الإيمان ولم يهتدوا بنوره يفقدون الشجاعه والقوه حتّى بعد ذهاب عوامل الخوف والهول.

فهم ما يزالون يرتعشون، ويتخاذلون، ويأبون أن يصدقوا أنّ الأحزاب قد ذهبت وولّت مهزومه. ويودّون لو أنّ الأحزاب دخلت المدينة أن لا يكونوا فيها مبالغه فى النجاه من الأهوال!!

٩. ولكن فى مقابله هذا الفريق المتخاذل الجبان يرسم القرآن الكريم فى الآيات ٢١ إلى ٢٥ صورته المؤمنين الصادقين وفى مقدّماتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القدوه الحسنه لجميع المسلمين فى جميع الحالات والظروف.

فإنّ هذه الجماعه المؤمنه الصادقه لمّا رأت الأحزاب قالت: هذا ما وعدنا الله ورسوله، هذا الهول لا بدّ أن يجىء فيه النصر فهو وعد الله الصادق المحقّق.

فصمدوا وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، فجزاهم الله بصدقهم «وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا» خلافاً لما ظنّه المنافقون، وتوهموه.

وقد كانت هذه الواقعه فى منظور القرآن الكريم امتحاناً عظيماً، واختباراً دقيقاً للنفوس والقلوب وهو امتحان لا بدّ منه حتّى يتميّز الصادق عن المنافق، والموفون بعهدهم والناقضون له.

كما أنّ هذه الواقعه و ما جاء حولها من الآيات كشفت عن أنّ عود الله صادقه ومحققه إذا توفّرت شرائطها، ومقدّماتها، ومنها استخدام الوسائل الطبيعیه المناسبه، والاتّكال على الله واستمداد العون منه.

وفى هذه الآيات إشاره إلى دور ما يُسمّى الآن بالطابور الخامس وإلى خطوره الشائعات السيئه فى المجتمع، وبخاصّه فى ظروف الحرب.

كما أنّ فيها إشاره إلى كيفية مواجهه هذه الشائعات والتعامل مع فعّاليات هذا الفريق الخطر.

ولقد لاحظنا خلال ما مضى من السيره كيف أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يبطل بتكتيكاته العسكريه مفعول تلك النشاطات التخريبيه والمضرّه.

فقد كان يعتمد أسلوب الدعاء، والذكر، والتشجيع، والتكبير، وإرسال الدوريات العسكريه، والعمل المباشر، والمشاركه الفعليه فى عمليات الدفاع والحراسه، وما شاكل ذلك ممّا ذكرناه، وممّا لم تسع هذه الدراسه لذكره.

ص: ٣٢٤

أقدم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في السنه الأولى من هجرته إلى المدينه، على تنظيم وعقد ميثاق تعايش بين سكان المدينه وما حولها، بغيه إنهاء جميع أشكال الاختلاف، والتنازع، والصراع الداخلي.

وقد تعهد الأوسيون والخزرجيون عامه، واليهود من تينك القبيلتين أن يدافعوا عن المدينه وما حولها، وقد مرّ النصُّ الكامل لهذا الميثاق على القارئ الكريم فيما سبق (١).

هذا من ناحيه.

ومن ناحيه أخرى عقد رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين يهود المدينه ميثاقاً آخر ينصُّ على أنّ مختلف الطوائف اليهوديه تتعهد بأن لا تلحق أذىً ضرراً وأذى برسول الله وأصحابه، ولا تمدّ أعداءهم بالخييل والسلاح، وأنّها لو فعلت شيئاً من ذلك يكون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحقُّ في أن يقتلهم، ويسبى نساءهم وأبناءهم.

ص: ٣٢٥

إلّا أنّ جميع الطوائف اليهوديه الثلاث نقضت الميثاق المذكور بشتى العناوين والصور، وتجاهلت بنوده، ومواده!

فقد قتل «بنو قينقاع» مُسلماً، وخطّطت «بنو النضير» لاغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأجبرهم على الجلاء من المدينة وأخرجهم من البيئه الإسلاميه.

وتعاونت «بنو قريظه» مع جيش المشركين لضرب المسلمين، وطعنهم من الخلف، والآن يجب أن نرى كيف يوبّخ رسول الله بنى قريظه على نقضهم للميثاق .

### قوات الإسلام تحاصر بنى قريظه

لم يكن الصبح قد أسفر بعد عندما غادرت آخر مجموعه من جنود «الأحزاب» أرض المدينه قافله إلى بلادها مرعوبه فرعه للغاية.

كما أنّ آثار التعب والإرهاق لم تكن قد فارقت بعد ملامح المسلمين، ومع ذلك فقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يعالج قضيه «بنى قريظه» بصوره نهائيه، فأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمسلمين صلاه الظهر، ثم نادى منادى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى الناس:

مَنْ كَانَ سَامِعًا مَطِيعًا فَلَا يَصَلِّينَ الْعَصْرَ إِلَّا بِنِي قَرِيظَه!

ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدّم «علّى بن أبى طالب» برايته، وخرج معه جنود الإسلام الشجعان، فحاصروا حصون «بنى قريظه»، فأخبرهم ديرانيهم بنشاط المسلمين، فبادروا إلى إغلاق أبواب الحصون، والتحصّن فى داخلها، ونشبت الحرب بين بنى قريظه والمسلمين من اللحظات الأولى، فقد أخذ اليهود يشتمون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا فيه مقاله قبيحه، فرجع على عليه السلام بالمسلمين فالتقى رسول

اللّٰه صلي الله عليه و آله و سلم في الطريق وقد كره أن يسمع النبي صلي الله عليه و آله و سلم أذاهم و شتمهم، و حاول أن يثنى رسول اللّٰه صلي الله عليه و آله و سلم من الاقتراب إلى حصن بني قريظه قائلاً: لا عليك أن تدنو من هؤلاء الأخابث.

فلما عرف رسول اللّٰه صلي الله عليه و آله و سلم سبب ذلك قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً، فلما دنا رسول اللّٰه صلي الله عليه و آله و سلم من حصونهم قال لهم:

«يا إخوان القرده هل أخزاكم اللّٰه و أنزل بكم نقمته؟»

وقد كانت ردة فعل رسول اللّٰه صلي الله عليه و آله و سلم الشديده غير متوقعه لليهود، و من هنا قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً... و هم يريدون بذلك إطفاء مشاعره الملتهبه ضدّهم (١).

فأثارت كلمتهم هذه عاطفه رسول اللّٰه صلي الله عليه و آله و سلم بحيث رجع من غير اختيار، و سقط رداؤه من كتفه.

### اليهود يتشاورون حول الموقف

تشاور يهود بني قريظه و هم معتصمون بحصونهم في الموقف، و قد شارك فيه «حُيى بن أخطب» مثير معركة الأحزاب، فإنّه لم يذهب إلى خيبر بعد أن وضعت الحرب - في معركة الأحزاب - أوزارها و ولى العرب المشركون، بل دخل في حصون بني قريظه.

هذا و قد طرح زعيم بني قريظه ثلاثه اقتراحات و طلب من الجميع أن يتفقوا على واحده منها لمعالجه الموقف:

١. أن يؤمنوا برسول اللّٰه، و يصدّقونه لأنّه قد تبين لهم أنّه نبي مرسل، و أنّه

ص: ٣٢٧

---

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٣/٧١٦؛ تاريخ الطبري: ٢/٢٤٥؛ إمتاع الأسماع: ٨/٣٧٦.

الذی یجدونه فی کتابهم، وبذلك یأمنون علی دمائهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم.

٢. أن یقتلوا أبناءهم ونساءهم ثم یخرجوا إلى محمّد وأصحابه یقاتلونهم، فإذا هلکوا، هلکوا ولم یترکوا وراءهم نسلاً یخشی علیه، وإن انتصروا تزوّجوا من جدید، ووجدوا أبناء.

٣. أنّ اللیله هی لیله السبت، وأنّه عسی أن یكون محمّد وأصحابه قد امنوهم فیها، لعلمهم بأنّ اليهود لا یقاتلون فی السبت، فلینزلوا من الحصون لعلّهم یصیبون من محمّد وأصحابه علی حین غفله.

ولکنّ المشاورین رفضوا جمیع هذه الطروحات وقالوا: لا نفارق حکم التوراه أبداً، ولا نستبدل به غیره، وقالوا: إن نقتل أبناءنا ونساءنا فما خیر العیش بعدهم، وقالوا: لا نقاتل لیله السبت، محمّداً وأصحابه نفسد سبتنا علینا، ونحدث فیہ ما لم یحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم یخف علیک من المسخ (١).

إنّ هذا الحوار یساعدنا علی فهم نفسیه تلك الجماعه (نعنی اليهود)، وخصالهم وأخلاقهم الفاسده.

فإنّ رفض الاقتراح یکشف عن أنّهم كانوا جماعه معانده، لجوجه، لأنّهم إذا كانوا حقّاً یعرفون صدق نبوّه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم - كما قال زعیمهم - لم یکن لوقوفهم سبب إلاّ العناد والعتوّ، واللجاج.

وأما الاقتراح الثانی وما دار حوله من کلام فیشهد - بجلاء - علی أنّ تلك الطائفه كانت جماعه قاسیه، لا تعرف للرحمه والحنان معنی، لأنّ قتل الأطفال والنساء الأبریاء لا یمكن من دون قسوه شدیده.

ص: ٣٢٨

---

١- . لاحظ: السیره النبویه لابن هشام: ٧١٧/٣.



هذا مضافاً إلى أنّ المشاورين آنذاك رفضوا هذا المقترح لا بدافع الرحمة والشفقة على الأطفال والنساء، بل لأنّ الحياه لا تعود لذيذه بعد فقدهم، هذا هو ما قالوه.

وأما الاقتراح الثالث فيكشف عن أنّهم لم يكونوا يعرفون جيداً مدى علم رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم بفنون القتال والدفاع، وكانوا يتصوّرون أنّ القائد الأعلى للإسلام لا يراعى قواعد الحذر والاحتياط ليله السبت ويومه، وخاصّه في مواجهه أعداء خونه، أخوان غدر و مكر، أمثال اليهود الناقضين للعهود، الناكثين للمواثيق.

إنّ دراسته وتقييم معركة «الأحزاب» تثبت ندره وجود الأذكياء والفتنين بين هذه الجماعه، وإلّا لكانوا يتمكّنون من حفظ كيانهم حتّى من الناحيه السياسيه فى تلك الظروف من دون أن ينحازوا إلى أىّ واحد من طرفى الصراع (الإسلام والشرك).

أى أنّه كان من الممكن أن يتخذوا جانب الحياد الكامل، ويبقوا متفرّجين لما يدور بين محمّد، وجيش المشركين، وبهذا يبقوا محافظين على كيانهم ووجودهم، انتصر من انتصر وغلب من غلب.

ولكنّهم حُمدوا بتسويلاّت «حبيى بن أخطب» ووسوساته وانحازوا إلى جيش العرب المشركين فتورّطوا فى مثل تلك الورطه، وهى أن يتخلّوا - فى النهايه - عن مساعده قريش بعد شهر كامل من التعاون معهم، والرضوخ لخطّه «نعيم بن مسعود»، وإخبار قريش بأنّهم لن يتعاونوا معهم ضدّ رسول الإسلام ما لم تسلّم قريش بعض شخصياتها إليهم، لغرض الاحتفاظ بهم فى حصونهم كوثيقه!!

لقد غاب عن تلك الزمره المعانده اللجوجه أنّهم قد تعاونوا ضدّ رسول

الإسلام فى بدايه الأمر، فإذا قطعوا علاقاتهم مع قريش، وترك جيش المشركين ساحه المعركه إذا أحس بالعجز عن تحقيق أى انتصار، وعاد إلى بلاده، فإنّ بنى قريظه بأجمعهم سيكونون حينئذٍ فى قبضه المسلمين.

فلو كانوا يملكون شيئاً من الرؤيه السياسيه الصحيحه لكان عليهم أن يعلنوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - فور قطع العلاقات مع قريش - عن ندامتهم على نقض الميثاق الذى عقده من قبل مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويعتذروا إليه ممّا بدر منهم لينجوا من الخطر - فى صورته انتصار المسلمين على الكفار - ولكنّ الشقاء أصابهم عندما قطعوا العلاقات مع جيش قريش، ولم يلتحقوا بالمسلمين، ولم يعتذروا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

على أنه لم يكن فى مقدور النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يترك بنى قريظه - بعد هزيمه جيش العرب - على حالهم، ويغض النظر عن موقفهم إذ لم يكن من المستبعد، أن يفكر العرب فى مناسبه أخرى فى تسيير جيش ضخم ومنظم آخر لاجتياح المدينه، ويتمكنوا بمساعدته بنى قريظه من استئصال الإسلام.

فكان يهود بنى قريظه يُعتبرون - فى الحقيقه - العدو الداخلى الذى يهدّد كيان الإسلام من الداخل، وعلى هذا كان من الواجب معالجه الأمر مع بنى قريظه، وحلّ هذه المسأله الخطيره بالنسبه إلى المسلمين من الأساس.

### خيانه أبى لبابه

لقد طلب يهود بنى قريظه بعد محاصره النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يبعث إليهم «أبا لبابه» الأوسى ليتشاوروا معه فى الموقف، وقد كان أبو لبابه حليفاً لليهود قبل دخول الإسلام إلى المدينه، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه وقالوا: يا أبا لبابه أترى أن ننزل على

قال: نعم - وأشار بيده إلى حلقه - إنّه الذبح؛ يريد أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم سوف يقتلهم ولم يحقن دماءهم، لو سلّموا.

لقد كان أبولبابه يعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لن يوافق على بقاء هذه الزمره الشريره الخائنه الخطره على دين التوحيد، إلّا أنّ أبا لبابه قد خان بفعله هذا المسلمين، ومصالح الإسلام العليا، وأفشى سرّاً كان عليه أن يكتمه قبل وقوعه، ولهذا ندم على فعله ندماً شديداً، وقال: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنّي قد خنت الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم انطلق على وجهه، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وربط نفسه في المسجد بعمود من أعمدته، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ ممّا صنعت!!

ويقول المفسرون: فنزل في خيانه أبي لبابه قول الله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ». (١)

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبر أبي لبابه، وكان قد استبطأه قال: «أما إنّه لوجاءني لاستغفرت له، فأما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه». (٢)

وبقى أبو لبابه مرتبطاً بالاسطوانه، وكانت زوجته تأتيه في مواعيد الصلاه، وتحلّ رباطه، فيصلّي ثم تعيد الرباط. (٣)

فلما كان السحر من اليوم السابع نزلت توبه أبي لبابه بواسطه ملك الوحي

١- . الأنفال: ٢٧.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٧١٨/٣.

٣- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٧١٩/٣.

على رسول الله وهو في بيت أم سلمه، والآيه التي نزلت في توبته هي قوله تعالى:

«وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (١).

فقلت أم سلمه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من السحر وهو يضحك فقلت:

مّم تضحك يا رسول الله أضحك الله سنك؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لقد تيب على أبي لبابه» قلت: أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت.

فقامت إليه وهو مرتبط بالجدع في المسجد وقالت له: يا أبا لبابه أبشر فقد تاب الله عليك.

فثار الناس ليطلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي يطلقني بيده.

فلما مر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خارجاً إلى صلاه الصبح أطلقه (٢).

ولا شك أن زله أبي لبابه كانت بسبب عواطفه تجاه يهود بني قريظه، فقد سلبه بكاء نسائهم وصبيانهم واستغاثتهم العاطفيه القدره على ضبط النفس، فكشف سرّاً من أسرار المسلمين كان عليه أن يكتمه، ولكنّ قوه الايمان بالله والخشيه من عذابه أكبر وأعلى من كلّ شيء إلى درجه أنها دفعت بأبي لبابه إلى أن يندم على فعله ذلك الندم العجيب، ويعمد - لجبران تلك الخيانه - إلى ما فعل من الإنابه، والاستغفار، الأمر الذي تكون نتيجته أن لا تراود مثل هذه الفكره نفسه مرّه أخرى قط.

ص: ٣٣٢

١- . التوبه: ١٠٢.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٧١٨/٣-٧١٩.

خرج «شأس بن قيس» اليهودي من الحصن ليتحدث مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نيابة عن بني قريظة، فطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يسمح لليهود بني قريظة بأن يحملوا معهم أموالهم ويخرجوا من المدينة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع بني النضير، فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «لا، إلا أن تنزلوا على حكمي».

فقال شأس: لك الاموال والسلاح وتحقن دماءنا، فأبى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورفض هذا الاقتراح أيضاً. (1)

وهنا يطرح السؤال التالي نفسه وهو: لماذا رفض رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم مقترحات مندوب بني قريظة؟!

إنّ السبب واضح، فإنّه لم يكن من المستبعد أن تقدم هذه الزمره - بعد خروجها من قبضه المسلمين - على تحريك العرب المشركين الوثنيين ضدّ الإسلام والمسلمين على نحو ما فعلت بنو النضير، وتعرض المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية الفتيه لأخطار كبرى جدّاً، وتسبب في سفك دماء كثيره.

ولهذا لم يوافق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اقتراحات مندوب بني قريظة، وعاد شأس إلى الحصن، وأخبر قومه بمقاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورفضه لمقترحاته.

فقرّر بنو قريظة التسليم للمسلمين من دون أي قيد أو شرط.

أو الرضا بما يحكم به سعد بن معاذ الأوسى - وكان حليفاً لهم - في حقهم.

ولهذا عمدوا إلى فتح باب الحصن، ودخل على عليه السلام على رأس كتيبه خاصه من المسلمين الحصن، وجرّدوا بني قريظة من السلاح، وحبسوهم في منازل «بني

ص: ٣٣٣

النجار» ليتقرر مصيرهم فيما بعد.

وحيث إنّ يهود بني قينقاع قد أسروا على أيدي جنود الإسلام ثم عفى عنهم بوساطة من الخزرج وبخاصه «عبدالله بن أبي»، وانصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن إهراق دمهم فيما مضى، لذا ضغط الأوسيون المتحالفون مع بني قريظة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصرّوا عليه إصراراً شديداً بأن يعفو عن بني قريظة الذين كانوا متحالفين مع الأوس من قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة، وذلك منافسه للخزرج، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاوم هذا الطلب، وقال لهم:

«ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟»

قالوا: بلى.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فذاك إلى «سعد بن معاذ» فهو يحكم فيهم.

والطريف أنّ اليهود قد قبلوا هم أيضاً بما يحكم به سعد بن معاذ فقد بعث بنو قريظة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - كما يروى ابن هشام (١) والشيخ المفيد (٢) - : يا محمّد نزل على حكم سعد بن معاذ.

وكان سعد آنذاك يتداوى في خيمه لامرأه تدعى «رفيده» من سهم أصابه في معركة الخندق، وكانت رفيده تداوى الجرحى في سبيل الله، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعود سعداً بين الحين والآخر، فلما حكمه في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطّئوا له بوساده من آدم، وكان رجلاً جسيماً جميلاً، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما طلع سعد على رسول الله والناس حوله صلى الله عليه وآله وسلم جلوس، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قوموا إلى سيّدكم».

ص: ٣٣٤

١- . السيرة النبوية لابن هشام: ٧٢١/٣.

٢- . الإرشاد: ١١١/١. وأيضاً راجع: زاد المعاد: ٧٣/٢؛ إمتاع الأسماع: ٣٧٧/٨.

فقام الناس على أرجلهم صفيين احتراماً لسعد، وحيّاه كل واحد منهم، حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد طلب منه رجال قومه مراراً أن يحسن الحكم في حلفائهم: يهود بنى قريظه، ويخلصهم من خطر الموت والقتل قائلين: يا أبا عمرو أحسن في مواليك فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما ولّاك ذلك لتحسن فيهم.

ولكن سعداً حكم في ذلك المجلس - رغم كل ذلك الإلحاح، والضغط - بأن يقتل رجال اليهود، وتقسم أموالهم، وتسبى ذراريهم ونساؤهم (١).

### تقييم ما استند إليه سعد في حكمه

ليس من شك في أنه إذا غلبت عواطف القاضى وأحاسيسه على عقله، تعرّض جهاز القضاء للفوضى والاختلال، وانتهى إلى تمزق المجتمع وسقوطه، وانهيار كل شيء، لارتباط كل شيء بالعدالة وارتباط العدالة بالقضاء والمؤسسه القضائيه.

إن العواطف تشبه إلى حد بعيد الشهوه الكاذبه التي تزيّن في نظر صاحبها كل مضر مهلك في حين إذا غلبت هذه العواطف والمشاعر العقل سحقت مصالح الفرد والمجتمع، أو أضرت به أشدّ وأبلغ أضرار.

إن عواطف سعد وأحاسيسه ومشاعره، ومنظر صبيان ونساء بنى قريظه المحزن، وأوضاع رجالهم التي كانت تثير الإشفاق وهم في الحبس، وملاحظه الرأى العام في قبيله الأوسيين الذين كانوا يلحون على سعد أن يحسن الحكم والرأى في بنى قريظه، كل هذه الاعتبارات كان من شأنها أن تجعل القاضى فريسه العاطفه، فيصدر حكمه على أساس من تقديم مصالح أقلية خائنه مشاغبه

ص: ٣٣٥

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٣/٧٢٠-٧٢١؛ المغازى: ٢/٥١٠، زاد المعاد: ٢/٧٣ و ٧٤.

على مصالح الأكثرية (أى عامّة المسلمين) ويبرئ بنى قريظه الجناه الخونه، أو يخفف من عقوبتهم أكبر قدر ممكن، على الأقل أو يسلم لإحدى المقترحات السابقه.

إلّا أنّ منطق العقل، وحرية القاضى واستقلاله فى الحكم والقضاء ومراعاة المصالح العامه كلّ ذلك قاد سعداً إلى ناحيه أُخرى، فحكم بأن يقتل رجال تلك الزمره المتآمره الخائنه، وتصادر أموالهم، وتسبى نساؤهم وأطفالهم.

وقد استند ذلك الحاكم فى حكمه هذا إلى الأمور التاليه:

١. أنّ يهود بنى قريظه قد تعهدوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل مدّه بأنهم لو تآمروا ضدّ الإسلام والمسلمين وناصروا أعداء التوحيد، وأثاروا الفتن والفتن والقتل، وألبوا على المسلمين، كان للمسلمين الحقّ فى قتلهم ومصادره أموالهم وسبى نساؤهم (١).

وقد رأى بأنّه لو حكم بمعاقبه اليهود حسب هذا الميثاق لم يصدر حكماً مخالفاً للعداله، ولم يرتكب ظلماً.

٢. إنّ هذه الزمره الناقضه للميثاق أخلت بأمن المدينه فى ظلّ حرب القوى المشركه، فتره من الزمن، وهاجمت منازل المسلمين، ولولا- مراقبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم للاوضاع وحراسه من عيّنهم من جنود الإسلام للحفاظ على أمن المدينه، لفعلت تلك الزمره الأفاعيل ولا ارتكبت أسوأ الفضائع والفجائع، ولو أُتيح لهم أن يسيطروا على المدينه لقتلوا رجال المسلمين وصادروا أموالهم، وسبوا نساءهم وأطفالهم.

ومن هنا رأى سعد بن معاذ فى نفسه بأنّه لو قضى فيهم بمثل هذا القضاء لما

ص: ٣٣٦

---

١- . ولقد مرّ عليك نص هذا الميثاق الذى وقع عليه كعب بن الاسد رئيس بنى قريظه.



٣. من المحتمل جداً أنّ سعد بن معاذ رئيس الأوس الحلفاء لليهود بنى قريظه، والذين كانت بينهم علاقات ودّ ومحبة كان مطلعاً على قوانين اليهود، الجزائيه فى هذا المجال، فإنّ التوراه تنصّ بما يلى: «حين تقرب من مدينه لكى تحاربها استدعها إلى الصلح. فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكلّ الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويستعبد لك. وإن لم تُسألِمك بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا دفعها الربُّ إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدّ السيف. وأمّا النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينه كلّ غنيمتها فتغنمها لنفسك...»(١).

ولعلّ سعداً فكّر فى نفسه بأن القاضى المرضي والمقبول لدى الجانبين لو عاقب المعتدين حسب شريعتهم ما فعل إلّاما يقتضيه العدل والانصاف.

٤. والذى نتصوّره هو أنّ أكبر أسباب هذا الحكم هو أنّ «سعد بن معاذ» رأى بأنّ عينيه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عفا عن بنى قينقاع المعتدين بناء على طلب من الخزرجيين، واكتفى - من عقابهم - بإخراجهم من المدينه، وإجلالهم عنها ولكنّ تلك الزمره الّتى شملها عفو النبى لم تكن تغادر أراضى الإسلام حتّى بدأت بالمشاغبه والمؤامره الدينيه ضدّ الإسلام، فذهب كعب بن الأشرف إلى مكّه، وأخذ يتباكى - دجلاً وخداعاً - على قتلى بدر، ويذرف عليهم دموع التماسيح، ولم يفتأ عن تأليب قريش ضد رسول الإسلام وأصحابه حتّى عزمت قريش على تسيير جيشها نحو المدينه، وكانت واقعه، «أحد» الّتى استشهد فيها اثنان وسبعون من خيره أبناء الإسلام، ورجاله.

ص: ٣٣٧

وهكذا فعلت بنو النضير المتآمرون الخونه، الذين عفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واكتفى من عقابهم بمجرّد إجلائهم عن المدينة، ولكنهم قابلوا هذا الموقف الإنساني، بتأليب القبائل العربيّة المشركه ضدّ الإسلام والمسلمين، وكوّنوا اتّحاداً عسكرياً بينها، وألّفوا منها جيشاً قوياً ساروا به إلى عاصمه الإسلام (المدينة)، فكانت وقعه (الأحزاب) التي لولا حنكه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخطّه حفر الخندق، لقضى على الإسلام بسببها منذ الأيام الأولى، ولما بقى من ذلك الدين خبر ولا أثر ولقتل آلاف الناس.

لقد لاحظ (سعد بن معاذ) كلّ هذه الاعتبارات، فلم تسمح له التجارب الماضيه بأن يستسلم لعواطفه، ويضحى بمصالح الآلاف في سبيل الحفاظ على مصالح أقلّيه، لأنّه كان من المسلم به أنّ هذا الفريق سيقوم في المستقبل بايجاد تحالف عسكري أوسع، وسيثير ويؤلّب قوى العرب ضد الإسلام ويعرّض مركز الإسلام، ومحوره الأساسى للخطر من خلال تدبير مؤامرات أخرى.

وعلى هذا الأساس رأى بأنّ وجود هذه الزمره يضرّ المجتمع الإسلامى مائه بالمائه وأيقين بأنّ هذه الزمره لو أُتيح لها أن تخرج من قبضه المسلمين لما فتأت لحظه عن المؤامره ولواجه المسلمون بسببها أخطاراً كبرى.

ومن المحقّق أنّه إذا لم تكن في المقام هذه الجهات والاعتبارات لكان إرضاء الرغبه العامه في الإبقاء على بنى قريظه أو التخفيف في عقابهم أمراً في غايه الأهميه بالنسبه إلى سعد بن معاذ، فإنّ رئيس أى قوم، أو جماعه أحوج ما يكون إلى تأييد قومه وجماعته وكسب رضاهم ودعمهم، ولا ريب أنّ عدم الاستجابه لمطلبهم، وتجاهل توصياتهم يوجّه أكبر ضربه لسيد القوم ورئيسهم، ولكنّ سعداً (رئيس الأوس) أدرك أنّ جميع هذه التوصيات والوساطات تخالف مصالح الآلاف

من المسلمين، من هنا أثر عدم الحياد عن حكم العقل، والمنطق، على رضا قومه عنه.

هذا وإن الذي يشهد بدقه نظر سعد، وصواب رأيه، وصححه تشخيصه وتقديره للأمر، أنه عندما أتى بحبي بن أخطب ليضرب عنقه فوقعت عينه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنته من يخذل الله يُخذل (أى لولا خذلان الله لليهود لاستمروا في معاداة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتدابير المؤامرات ضده).

ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله وقدره وملحمه كتبها الله على بنى إسرائيل. ثم جلس فضربت عنقه. (١)

ثم إنه قتل في هذه الواقعة من النساء امرأه واحده؛ لأنها ألقى برحى من فوق الحصن فقتلت به أحد المسلمين، فقتلت قصاصاً. (٢)

وكان بين المحكوم عليهم بالقتل رجل اسمه «الزبير بن باطا» شفع له رجل من المسلمين يدعى ثابت بن قيس، فلم يقتل، وأُخلى سبيل زوجته وأولاده، وأُعيدت إليه أمواله (٣)، وأسلم أربعة من بنى قريظه، وقسمت غنائم العدو بين المسلمين بعد إخراج الخمس منها، وإخراج ما يرتبط بالأموال الإدارية الإسلامية العامه.

وقد أعطى للفارس سهمان، وللراجل سهم واحد، وسلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أموال «الخمس» إلى زيد بن حارثه ليذهب بها إلى نجد ويشتري بها السلاح،

ص: ٣٣٩

١- . تاريخ الطبرى: ٢/٢٥٠؛ السيره النبويه لابن هشام: ٣/٧٢٢؛ إمتاع الأسماع: ٣٧٧/٨.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٣/٧٢٢.

٣- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٣/٧٢٢-٧٢٣.

والخيل، وغيرها من أدوات الحرب(١).

وهكذا انتهت مشكله بنى قريظه فى التاسع عشر من شهر ذى الحجه من السنه الخامسه للهجره، وقد نزلت فى شأن هذه الواقعه الآيات ٢٦ و ٢٧ من سوره الأحزاب إذ يقول سبحانه:

«وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَافِيَتِهِمْ وَقَدْفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا \* وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا» .

وقد استشهد «سعد بن معاذ» الذى سبق أن جرح فى معركة الخندق بعد حادثه بنى قريظه هذه(٢).

ص: ٣٤٠

---

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٧٢٤/٣-٧٢٥.

٢- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٧٣٠/٣.

٤٠ أعداء الإسلام تحت المراقبه المشدده(١)

لم تنقض السنه الهجرية الخامسة إلّا وقد انتهت فتنه «الأحزاب» و «بنى قريظه»، وقضى عليهما بالكامل، وأصبحت المدينه وضواحيها برمتها فى قبضه المسلمين وتحت سيطرتهم، وازدادت قواعد الحكومه الإسلاميه الفتيه رسوخاً وثباتاً، وساد هدوء نسبي فى المنطقه التى تخضع للحكومه الإسلاميه، غير أنّ هذا الهدوء كان هدوءاً مؤقتاً، وكان على قائد المسلمين الأعلى أن يراقب أحوال العدو وأوضاعه، وتحركاته ليقضى فى المهد على كلّ مؤامره ضدّ الإسلام بما أُوتى من قوى وإمكانيات.

ولقد سَمَح الهدوء الذى ساد المنطقه للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأن يجمع بعض مشعلى

ص: ٣٤١

---

١- . يستفاد من السيره النبويه لابن هشام: ٢٩١/٣ ط ١٣٥٥ هـ، أن خطه اغتيال «سَلَام» كانت قبل نهايه السنه الهجرية الخامسة، ولكن بالنظر إلى أنّ قضيه بنى قريظه حدثت فى التاسع عشر من شهر ذى الحِجّه يستبعد هذا الرأى.

فتنه «الأحزاب» الذين هربوا من قبضه المسلمين بعد رحيل «الأحزاب».

فلقد قُتِلَ «حبي بن أخطب» الذي كان من مشعلى معركة الأحزاب، في غزوه بنى قريظه، ولكن رفيقه «سَلَام بن أبي الحقيق» كان لا يزال يعيش في خيبر، ولا شك في أنّ هذا العنصر الخطر لم يكن ليفتأ لحظه واحده عن إثارة وتأليب «الأحزاب» مرّة أخرى ضدّ الإسلام، وخاصّه أنّ العرب الوثنيين كانوا مستعدّين لشن حرب على الإسلام وكان من المحتمل إذا توفّرت هناك جهه تتكفّل نفقات الحرب، أن تتكرّر قضيه الأحزاب مره أخرى.

على أساس هذه المحاسبات كلّف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (1) مجموعته من شجعان الخزرج وفوارسهم بأن يصفّوا هذا العنصر الخطر، الجريء والحاقد، بشرط أن لا يتعرّضوا لأحد من أبنائه وزوجاته.

فخرجوا حتّى إذا قدموا خيبر، أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً فلم يدعوا بيتاً في الدار إلّا أغلقوه على أهله حتّى لا يحسّ بهم أحد إذا صاح واستغاث بأحد، ثم تسلّوا إلى غرفته وكانت في الطابق الأعلى، فطرقوا باب حجراته، فخرجت إليهم امرأته فقالت: من أنتم؟ قالوا: ناس من العرب نلتمس الميره، ففتحت الباب وسمحت لهم بالدخول عليه من دون التحقق من أمرهم، فدخلوا في غرفته وابتدروه وهو على فراشه بأسيافهم بعد أن أغلقوا باب الغرفه على أنفسهم، وقضوا على ذلك المفسد الشرير الذي طالما أزعج المسلمين بفتنه ومؤامراته، ثم خرجوا،

ص: ٣٤٢

١- . إنّ السبب أو الحكمة في تكليف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخزرج بهذه المهمة هو أنّ الأوس قاموا بعملية مشابهة في حقّ «كعب بن الأشرف» اليهودى الخطر، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إقامة توازن في كسب المفاخر بين تينك القبيلتين، ولذلك أوكل مهمة تصفيه هذا اليهودى المفسد إلى رجال الخزرج.

وانحدروا من الدرج واختبأوا في ممر مائي من خارج الحصن إلى داخله، فصاحت زوجته، واستغاثت بالجيران، فأوقد اليهود النيران، واشتدوا في طلب تلك الجماعة الفدائية المسلمة، ولكن من دون جدوى، وعندما يسوا من القبض عليهم رجعوا إلى صاحبهم المقتول، وقد بلغ من جراه المسلمين أن بعثوا أحدهم ليدخل بين اليهود في خبير ويأتي لهم بخبر ابن أبي الحقيق، لأنهم كانوا يظنون بأنه لا يزال على قيد الحياة.

فدخل ذلك الرجل بين اليهود فوجدهم وامرأته حول ابن أبي الحقيق، وفي يدها المصباح تنظر في وجهه، وتحادثهم، وتقص عليهم ما جرى، ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه ثم قالت: فاذ (أى مات) واله يهود.

فعاد إلى رفاقه وأخبرهم بنجاح عملياتهم وهلاك عدو الله: «سَلَامُ بن أبي الحقيق» على أيديهم، فخرجوا في تلك الليلة من مخبأهم وعادوا إلى المدينة وأخبروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما جرى. (١).

### أهل الرأي من قريش يهاجرون إلى الحبشة

توجه جماعة من أهل الرأي في قريش الذين أخافهم تقدم الإسلام وانتشاره المطرد بشده، إلى البلاط الحبشى ليقطنوا وقيموا في الحبشة فقد قالوا: الرأي أن نلحق بالنجاشى فنكون عنده، فإن ظهر «محمد» على قومنا كنا عند النجاشى، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدى محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلّاخير.

وخرجت هذه الجماعة وفيهم «عمرو بن العاص» بهدايا كثيره من الحجاز

ص: ٣٤٣

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٣/٧٤٧-٧٤٨.

قاصده أرض الحبشه، وبلاط النجاشي بالذات.

وصادف دخولهم على «النجاشي» ورود «عمرو بن أمية الضمري» مبعوث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحامل كتابه إلى النجاشي يوصيه فيه بجعفر بن أبي طالب، والمهاجرين الآخرين من رفقائه.

فقال «عمرو بن العاص»: هذا عمرو بن أمية الضمري لو قد دخلت على «النجاشي» وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه.

قال عمرو بن العاص: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع، فقال:...

أهديت إلي من بلادك شيئاً؟

قال ابن العاص: نعم أيها الملك، قد أهديت إليك أدماً كثيراً، قال: ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك إنني قد رأيت رجلاً خرج من عندك (ويقصد مبعوث رسول الله) وهو رسولٌ رجلٌ عدوٌّ لنا، فأعطينه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا.

فغضب النجاشي لمقاله ابن العاص غضباً شديداً فصفعه صفعه كادت أن تكسر أنفه، ثم قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله؟! قلت: أيها الملك أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أتعني وأتبعه فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن علي من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟

قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي، وقد حال رأيي عمّا كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي (١).

ص: ٣٤٤



تركت حادثه «الرجيع» المرّه التى قتل فيها جماعه من قبائل «عضل» و «القاره» من بنى لحيان ثله من دعاه الإسلام غدراً ومن دون رحمه، بل وسلّمت رجلين منهم بقيا على قيد الحياه إلى قريش فصلبتتھما قريش صبراً إنتقاماً من رسول الله والمسلمين.

لقد تركت هذه الفاجعه المأساويه المؤلمه ألماً شديداً فى نفوس المسلمين، وأحدثت جرحاً عميقاً فى ضمائرهم وأدت إلى توقّف حرکه الإرشاد والتبليغ والدعوه.

ولكن فى الظروف المستجده التى استطاع الإسلام أن يزيل - بعد الأ-حزاب وبنى قريظه - كلّ العراقيل والعقبات عن سبيل المسلمين، رأى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من الضرورى تأديب بنى لحيان لتعتبر بقيه القبائل، فلا يؤذوا بعد ذلك فرق الدعوه وبعثات التبليغ الإسلامى.

فاستخلف مكانه لإداره شؤون المدينه «ابن أم مكتوم» فى الشهر الخامس من السنه الهجريه السادسه ولم يُظهر لأحد ما يقصده، بل خرج يظهر أنه يريد الشام ليصيب «بنى لحيان» على غفله منهم، فلمّا وصل إلى طريق مكّه عزّج حتّى نزل بمنطقه تُدعى «غراب» وهى منازل بنى لحيان، وقد كان بنو لحيان قد عرفوا بمسير النبى إليهم فحذروه، وتمنّعوا فى رؤوس الجبال.

وكان غزو المسلمين هذا، وجبن العدو قد تركا أثراً نفسياً قوياً، فأحدث رعباً فى قلوب أعداء الإسلام.

واستكمالاً لهذا الهدف العسكرى الهامّ عمد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى القيام بسلسله من المناورات العسكريه، واستعراض القوه القتاليه فى جنوده ليرهب

أعداء الله القريب منهم والبعيد ولتسمع بهم قريش خاصه فيذعرهم، فنزل في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان على مقربة من مكة وقد قال من قبل:

«لوهبطنا عسفان لرأى أهل مكة أننا قد جئنا مكة». فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم (وهو موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال).

ثم كثر وراح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قافلاً. (١)

فكان جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول حين وجه راجعاً من هذه الغزوة:

«... أعوذ بالله من وعتاء السفر، وكآبه المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال» (٢).

### غزوة ذي قرد

لم يقيم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة بعد عودته من الغزوة السابقة إلّاليالي قلائل حتى أغار «عبينه بن حصن الفزاري» بمساعده بنى غطفان، على إبل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت ترعى في منطقته تدعى الغابه (وهي موضع قرب المدينة من ناحية الشام) كانت مرعى أهل المدينة، وكان فيها آنذاك رجل من بنى غفار، وامرأه مسلمه له، فقتلوا الرجل، وأخذوا معهم المرأه والإبل. وكان أول من أخبر الناس بذلك رجل يدعى سلمه بن عمرو بن الأكوع الأسلمي وكان قد غدا يريد الغابه متوشحاً سيفه وقوسه ونبله، يريد الصيد، حتى إذا

ص: ٣٤٦

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٧٥١/٣.

٢- . تاريخ الطبرى: ٢٥٤/٢-٢٥٥؛ المغازى: ٥٣٧/١؛ إمتاع الأسماع: ٣٧٩/٨.

علا «ثنيه الوداع» نظر إلى بعض خيول المغيرين، فصعد على تله سلع وصرخ مستغيثاً ومستنجداً: واصباحاه، ثم خرج يشند في آثار القوم (المغيرين) فجعل يردهم بالنبل، ولكن المعتدين لاذوا بالفرار.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول من سمع صراخ ابن الأكوع واستغاثاته، فصرخ صلى الله عليه وآله وسلم هو مستغيثاً: الفزع، الفزع. فأسرع جماعه من الفرسان برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما اجتمعوا عنده أمر عليهم «سعد بن زيد الأشهلي» وقال له:

«أخرج في طلب القوم، حتى ألحقك في الناس».

فخرج الفرسان المسلمون في طلب القوم، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ورائهم، حتى أدركوا القوم في ذي قرد، فوقع بين المسلمين، وبين المغيرين قتال قليل قتل فيه من المسلمين رجالان، ومن المعتدين ثلاثة، واستنقذت المرأة، وبعض الإبل المسروقه، ولكن العدو لجأ إلى غطفان، فأقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تلك المنطقه يوماً وليله، تخويفاً للعدو، ولم ير من الصالح ملاحقه العدو رغم إصرار بعض المسلمين على ملاحقتهم، واستنقاذ بقيه السرح (الإبل).

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قافلاً حتى قدم المدينة(1)، وكانت هذه الغزوه في الثالث من ربيع الأول من السنه السادسه من الهجره(2).

### النذر غير المشروع

وأقبلت المرأة الغفاريه المسلمه التي استنقذت من أيدي المغيرين على ناقه من إبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبرته بما جرى ثم

ص: ٣٤٧

١- لاحظ: تاريخ الطبري: ٢/٢٥٥، المغازي: ١/٥٣٧ و ٥٤٩.

٢- إمتاع الأسماع: ٨/٣٨٠.

قالت: يا رسول الله إني قد نذرتُ لله أن أنحرها إن نَجَّاني الله عليها فأكلُ كَبَدَها وسنامها.

فتبَسَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال:

«بئس ما جزيتها أن حمّلك الله عليها ونجّاك بها ثم تنحريها، إنّه لا نذر في معصية الله، ولا فيما لا تملكين إنّما هي ناقة من إبلى، فارجعي إلى أهلِكَ على بركة الله» (١).

وبذلك بيّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حكماً في مجال النذر، وهو أن النذر لا يصحّ في مال الغير، فلا نذر إلّا في ملك.

والقصة إلى جانب ذلك تكشف عن الخلق العظيم الذي كان يتحلّى به قائد الإسلام الأعلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولطفه بأصحابه واتباعه، حيث جابه المرأه المذكوره برفق ولطف، وبصبرها بما لها وما عليها في منتهى التواضع والشفقة.

ص: ٣٤٨

---

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٧٥٥/٣؛ المغازي: ٥٤٨/١؛ الطبقات الكبرى: ١٣٣/٢؛ إمتاع الأسماع: ٢٦٤/١، قال صاحب الإمتاع: و كانت الناقه هي القصواء، والقصواء اسم ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد بلغت قوة المسلمين العسكريه فى السنه الهجرية السادسة حدًا ملفتًا للنظر، بحيث تمكن جماعه خاصه منهم أن يترددوا على المناطق القريبه من مكه بمنتهى الحرية، ومن دون خوف، بيد أن هذه القوه العسكريه لم تكن كافيه للسيطره على المناطق التى كان تتواجد فيها القبائل المشركه، ومصادره أموالهم وممتلكاتهم.

وإذا كان المشركون لا ينتزعون المسلمين حريتهم، وكانوا يسمحون لأن تجرى النشاطات التبليغيه من دون منع أو معارضه لما كان رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم يقدم على شراء الأسلحه، وبعث السرايا، والمجموعات العسكريه، ولكن حيث إن نشاطات المسلمين التبليغيه، ومجموعات الإرشاد والدعوه كانت تتعرض باستمرار للمضايقه، والأذى؛ بل والاغتيال من قبل العدو، لذلك كان رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم مضطراً بحكم العقل والفره أن يقوى من قدرات الإسلام الدفاعيه.

لقد كانت العلل والأسباب الواقعيه لأكثر الحروب التى وقعت إلى السنه الهجرية السادسة؛ بل حتى آخر لحظه من حياه رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم تتلخص فى

١. الردّ على اعتداءات المشركين الغادره، مثل معركة «بدر» و «أُحد» و «الخنديق».

٢. تأديب وعقاب الظالمين الذين قتلوا رجالاً أبرياء من المسلمين، أو قتلوا جماعات الدعوه والتبليغ في البرارى والقفار النائيه، أو عرّضوا كيان الإسلام للخطر بنقضهم عهودهم، وتتمثّل هذه الحروب فى الغزوات الثلاثه ضدّ الطوائف اليهوديه الثلاث (بنى قينقاع، بنى النضير، بنى قريظه) وبنى لحيان.

٣. إفشال وإحباط المؤامرات، أو محاولات التمرد التي كانت على شرف الانعقاد فى القبائل التي كانت تنوى بجمع الرجال والأسلحه غزو المدينه، واكتساح عاصمه الإسلام واستئصال المسلمين، وكانت أكثر الحروب الصغيره والمناوشات العابره ناشئه من هذا العامل الأخير.

### غزوه بنى المصطلق

كان بنو المصطلق من قبائل «خزاعه» المتحالفه مع قريش.

وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الحارث بن أبى ضرار زعيمها يعدّ العده، ويجمع الرجال المقاتلين لمحاصره المدينه وغزوها، فقرّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقضى على هذه المؤامره فى مهدها كما كان يفعل دائماً.

ولهذا أرسل أحد أصحابه وهو: «بريده» إلى أرض بنى المصطلق ليأتى بأخبارهم، فذهب بريده، ودخل فيهم وتحادث - فى هيئه متنكره - مع رئيسهم وعرف بتيته، ثم عاد إلى المدينه وأخبر رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم بما رآه وسمعه، وأنّ بنى المصطلق عازمون على المسير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمحاصره المدينه.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جمع من أصحابه حتى لقيهم عند ماء يُدعى «المريسيع»، ونشبت الحرب بينهم وبين المسلمين، ولكن صمود المسلمين وبسالتهم التي كانت قد أرعبت قلوب قبائل العرب تسبب في أن لا يطول القتال بين المسلمين وبين «بنى المصطلق» فتفرق جيش العدو بعد أن قتل منهم عشرة رجال، كما وقتل رجل مسلم خطأ، فأصاب المسلمون غنائم كثيرة وسبوا جماعه كبيره من نساء بنى المصطلق (١).

هذا وإن النقاط والدروس المفيدة في هذه الواقعة تتمثل في السياسة الحكيمه التي مارسها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حوادث هذه الغزوه، مما سنذكر بعضها عمّا قريب.

### أول خلاف بين المهاجرين والأنصار

وقد شبّ في هذه المنطقه ولأول مرّه خلافٌ بين المهاجرين والأنصار، كاد أن يأتي بنتائج مروّعه أبسطها أن توجه ضربه قويه إلى الاتحاد الحاصل بين المسلمين نتيجة هوى البعض وهوسهم لولا تدبير النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحكمته الرشيدية التي أنهت كلّ شيء، وأبقت على روح التآخي بين المسلمين.

وتعود جذور هذه الحادثة إلى تراحم رجلين من المسلمين على البئر بعد أن وضعت الحرب أوزارها.

فقد ازدحم «جهجاه بن مسعود» وهو من المهاجرين و «سنان بن وبر الجهني» وهو من الأنصار على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني - مستغيثاً بقبيلته على عاده الجاهليين - : يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، وكاد أن

ص: ٣٥١

---

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٧٥٨/٣، تاريخ الطبري: ٢٦٠/٢، إمتاع الأسماع: ٣٦٩/٨.

يتقاتل المسلمون من الفريقين فيما بينهم في هذه الحادثة، وفي هذا المكان البعيد عن عاصمه الإسلام ومركزه، ويتعرض بذلك كيانه للسطوط والانهيار، لأنهم تواعدوا على القتال، كل فريق انتصاراً لصريخه.

فلما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك قال:

«دَعُوها فإنها منتنه».(١)

أى أن هذا النوع من الاستغاثه ولمثل هذا الدافع ما هو إلا من دعوى الجاهليه، وقد جعل الله المؤمنين إخوه وحزباً واحداً، فإنما ينبغى أن تكون الدعوه للمسلمين، وإلا كانت جاهليه، لاقيمه لها فى الإسلام.

وبذلك قضى النبى الحكيم على الفتنة فى مهدها، وجنب المسلمين أخطارها.

### مناقق حاول إشعال الموقف

أجل لقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الاستنكار الشديد أن يطفى نار الاختلاف والتنازع فيكف الفريقان (القبيلتان) عن استئناف التنازع والتقاتل.

إلا أن «عبد الله بن أبي» رئيس حزب المنافقين بالمدينه، والذي كان يكنُّ حقداً كبيراً على الإسلام وقد شارك فى تلك الغزوه طمعاً فى الغنيمه، أظهر - فى هذه الحادته - حقه، وضغينه على الإسلام، وقال لرهط من أهل المدينه كانوا عنده آنذاك: أوقد فعلوها، قد نافرونا (أى المهاجرين) وكاثرونا فى بلادنا، والله ما أعدنا وجلايب قريش إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينه ليخرجن الأعز منها الأذل (ويقصد بالأذل المهاجرين)!!!

ص: ٣٥٢

---

١- . لاحظ: صحيح البخارى: ٦/٦٥، كتاب التفسير، سوره المنافقين؛ صحيح مسلم: ٨/١٩، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً.



ثم أقبل على من حضره من قومه، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم. (١)

فتركت كلمات «ابن أبي» أمام تلك الجماعة التي كانت لا تزال تعاني من بقايا عصبية جاهليه، أثرها في نفوسهم، وكادت توجه ضربه قاضيه إلى صرح الوحده الإسلاميه، والإخوه الإيمانيه التي كانت تشدّ المسلمين - أنصاراً ومهاجرين - بعضهم ببعض كالبنيان المرصوص.

ومن حسن الحظ أنّ فتى غيوراً من فتيان المسلمين هو زيد بن الأرقم لما سمع بهذه الكلمات المثيره للشغب والفتنه ردّ على «ابن أبي» بكلمات قويه شجاعه إذ قال: أنت والله الذليل القليل المبعّض في قومك، ومحمّد في عزّ من الرحمن، ومودّه من المسلمين، والله لا أحبّك بعد هذا أبداً. (٢)

ثم نهض ومشى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره الخبر، فردّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مرات حفظاً للظاهر، قائلاً: لعلك وهمت يا غلام؟ قال: لا والله ما وهمت، فقال: فلعلك غضبت عليه؟ قال: لا والله ما غضبت عليه، قال: فلعله سفّه عليك؟ قال: لا والله. (٣)

إنّ زيدا كان يؤكّد على صحّه ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مقاله المنافق الخبيث «عبدالله بن أبي»، وتحريكه للناس ضد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهنا طلب عمر بن الخطاب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقتل «ابن أبي» قائلاً: مر

ص: ٣٥٣

١- السيره النبويه لابن هشام: ٧٥٨/٣؛ تاريخ الطبري: ٢٦١/٢.

٢- بحار الأنوار: ٢٨٢/٢٠.

٣- بحار الأنوار: ٢٨٦/٢٠.

به عبّاد بن بشر فليقتله(١).

ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجاب عمر بقوله:

«فكيف يا عُمَرُ إذا تحدّث الناسُ أنّ محمّداً يقتل أصحابه، لا»(٢).

ولقد مشى «عبدالله بن أبي» إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين بلغه أنّ «زيد بن الأرقم» قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما سمع منه، فحلف بالله: ما قلتُ ما قال، وقال بعض من حضر من أهل الرأي من أصحابه دفاعاً عن ابن أبي: يا رسول الله عسى أن يكون الغلامُ قد أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل.

ولكن الأمر لم ينته إلى هذا، فقد كان هذا نوعاً من الهدوء المؤقت تماماً كالهدوء الذي يسبق العاصفه، الذي لا يمكن الاطمئنان إليه.

فقد كان يتوجّب على قائد المسلمين الأعلى أن يقوم فوراً بما يؤدّي إلى أن ينسى الطرفان هذه القصّة نهائياً، ولهذا أمر بالرحيل في ساعه من النهار لم يكن صلى الله عليه وآله وسلم يرتحل فيها عادة.(٣)

فجاءه «أسيد بن حضير»، وقال: يا نبي الله، والله لقد رحّت في ساعه منكروه

ص: ٣٥٤

١- . تثبت دراسه حياه الخليفه الثاني أنّه لم يبد في أيّه معركة من معارك الإسلام قوه وبساله، بل كان في صفّ المتقاعدين دائماً. ولكن كَلِّمًا أسير المسلمون أحداً كان هو أوّل من يقترح على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتله ونذكر للمثال ما يلي: أ. هذا المورد الحدي طلب فيه من رسول الله أن يُقتل ابن أبي. ب. طلبه من النبي بأن يُقتل حاطب بن أبي بلتعه الحدي تجسّيس لصالح المشركين من أهل مكّه في فتح مكّه. ج. طلبه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتل أبي سفيان الذي جاء به العباس عمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى خيمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبيل فتح مكّه، وغير ذلك من الموارد التي سبقت أو التي تأتي.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٧٥٩/٣؛ إمتاع الأسماع: ٢٠٨/١.

٣- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٧٥٩/٣.

ما كنت تروح في مثلها؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال: وأي صاحب يا رسول الله؟ قال: «عبد الله بن أبي». قال: وما قال؟ قال: «زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرض منها الأذل»؟

فقال أسيد: فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت، هو والله الذليل، وأنت العزيز، ثم قال: إرفق به يا رسول الله، فوالله لقد جاء الله بك وأن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً.

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرحيل فارتحل الناس، وسار بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومهم ذاك حتى أمسى، وليلتهم تلك حتى أصبح، من دون أن يسمح لهم بالتزول والاستراحة، إلاللصلاه، وسار بهم في اليوم هكذا حتى آذتهم الشمس وسلبوا قدره على مواصلة السير فأذن لهم بالاستراحة، فنزل الناس، ولم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نيماً من شدة التعب، وقد نسوا كل شيء من تلك الذكريات المرّة، وكان هذا هو ما يريده النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد سار بهم ليل نهار من دون توقّف ليشغلهم عن الحديث الذي كان من «عبد الله بن أبي» المنافق المفتن (١).

### صراع بين الإيمان والعاطفه

كان عبد الله بن «عبد الله بن أبي» من فتیان الإسلام الشجعان، ومن فرسانه البواسل، وكان - كما تقتضيه تعاليم الإسلام - يبرّ بأبيه المنافق أكثر من غيره، ولكنّه

ص: ٣٥٥

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٧٥٩/٣-٧٦٠، تاريخ الطبري: ٢٦١/٢ و ٢٦٢، مجمع البيان: ٢١/١٠-٢٢.

عندما عرف بما تفوّه به أبوه في شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وظنّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيقتل أباه، جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا رسول الله إنه بلغني أنّك تريد قتل «عبدالله بن أبي»، فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بدّ فاعلاً فمرني به فأنا أحمل اليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده منّي، وإني أخشى أن تأمر به غيري، فيقتله فلا تدعني نفسي أنظرُ إلى قاتل عبدالله بن أبي يمشى في الناس فأقتله، فأقتل (رجلاً) مؤمناً بكافر فأدخل النار!!(١)

إنّ حديث هذا الفتى يعكس - في الحقيقه - أعظم تجليات الإيمان وآثاره في النفس، والروح الإنسانيه.

لماذا لم يطلب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يعفو عن أبيه؟! لأنه كان يعلم أنّ ما يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّما هو بأمر الله تعالى، ولكنّ ابن عبدالله كان يرى نفسه في صراع روحيّ حادّ.

فمن جانب كانت تدعوه عواطف النبوه والأخلاق العربيّه أن ينتقم ممّن يقتل أباه، ويسفك بالتالي دم مسلم.

ومن جانب آخر توجب عوامل أخرى مثل ضروره استتباب الأمن والطمأنينه في البيئه الإسلاميه أن يُقتل رأسُ المنافقين «ابن أبي»، إنّه صوره من صورهِ الصراع بين مقتضى الايمان، ومقتضى العاطفه.

ولقد اختار عبدالله بن عبدالله بن أبي طريقاً ثالثاً في هذا الصراع، يضمن مصالح الإسلام من جهة، ويحافظ على مشاعره من أن تُجرّح على أيدي الآخرين من جهة أخرى، وذلك بأن يكون هو الذي ينفذ حكم الإعدام في أبيه المنافق المشاغب.

ص: ٣٥٦

وهذا العمل وإن كان شاقاً مؤلماً إلماً أن قوه الإيمان بالله والتسليم لأمره سبحانه كانت تفيض عليه قدراً كبيراً من الطمأنينه والسكون.

ولكنّ النبيّ الرحيم صلى الله عليه وآله وسلم ردّ على سؤال واقتراح عبدالله بن عبدالله بن أبي قائللاً:

«بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا!!!»

وهذا الكلام العذى يكشف عن سمو أخلاق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومبلغ رحمته، أدهش المسلمين جميعاً فتوجهوا باللوم والعتاب الحادّ إلى المنافق «عبدالله بن أبي»، ولحقه بسبب ذلك ذلٌ شديدٌ بين الناس ما وراءه ذلٌ، وهوانٌ ما وراءه هوانٌ، واحتقره الناس حتّى أنه لم يعد أحدٌ يعبأ به، ويقيم له وزناً.

لقد علّم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين فى هذه الحوادث دُرُوساً مفيدة جداً، وأظهر جانباً من سياسته الإسلام الحكيمه، والرشيده.

فقد تحطم «عبدالله بن أبي» رئيس المنافقين بعد هذه الحادثه، ولم يعد له أى دور، بل عاش بقيه حياته مهاناً محتقراً بين الناس بعد أن رأى الناس إيذاءه المستمر لرسول الله، وعفو النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عنه، وإغضاه عن مساوئه.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمر بن الخطاب ذات يوم حين بلغه احتقار الناس لابن أبي ذلك الاحتقار، وسقوط محلّه فى القلوب:

«كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتَهُ يَوْمَ قَتَلْتَهُ لِي: أَقْتَلُهُ، لِأُرْعَدَتْ لَهُ أَنْفٌ، لَوْ أَمَرْتُهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتُهُ».

فقال عمر: قد والله علمتُ لأمرُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعظم بركه من أمرى (١).

ص: ٣٥٧

---

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٧٦٠/٣-٧٦١، وفى السيره الحلبيه: ٦٠٣/٢: لأرعدت له أنوف.

كانت «جويريه» بنت الحارث بن أبي ضرار رئيس بنى المصطلق من جملة السبايا التي وقعت في أيدي المسلمين في غزوه بنى المصطلق، فأقبل أبوها الحارث بفداء ابنته إلى المدينة فلما كان في وادي العقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها لفداء ابنته فرغب في بيعين منها، فعَيَّبَهُمَا فِي شَعْبٍ مِنْ شَعَابِ الْعَقِيقِ، ثُمَّ أَتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَصَبْتُمْ ابْنَتِي وَهَذَا فِدَاؤُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «فَأَيْنَ الْبَعِيرَانِ اللَّذَانِ غَيَّبْتَهُمَا بِالْعَقِيقِ فِي شَعْبٍ كَذَا وَكَذَا؟!»

فلما سمع الحارث بهذا الخبر الغيبي على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آمن هو وولداه به، وأسلم أناس آخرون من قومه كانوا معه، وأرسل إلى البعيرين فجاء بهما، فدفع الإبل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودُفِّعَتْ إِلَيْهِ ابْنَتُهُ «جويريه» فأسلمت هي أيضاً وحسن إسلامها.

ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبيها، فزوجه إياها، وأصدقها أربعمائه درهم. (١)

فلما بلغ الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تزوج جويريه بنت الحارث وكان بأيديهم بعض الأسرى من بنى المصطلق قالوا: أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأطلقوا ما كان بأيديهم من أولئك الأسرى وكانوا مائه عائله، فما عَظِمَ امْرَأَهُ اعْظَمَ بَرَكَهَ عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا، فَقَدْ اعْتَقَ بِتَرْوِيجِهِ إِيَّاهَا مَائَةَ مِنْ بَنِي الْمِصْطَلِقِ.

ص: ٣٥٨

وهكذا أطلق جميع أسرى بنى المصطلق الذين كانوا بأيدي المسلمين رجالاً ونساء بفضل ذلك الزواج المبارك، أو قل بفضل هذه السياسة الاجتماعية الحكيمه، وعادوا إلى قبيلتهم (١).

### الفاسق يفتضح

كان إسلام بنى المصطلق إسلاماً نابعاً من قناعه ورغبه؛ لأنهم لم يجدوا من المسلمين خلال مدّة الأسر إلّما حسن المعامله والإحسان والعفو حتّى أنّه تمّ إطلاق جميع الأسرى ببعض الذرائع وعادوا إلى قبيلتهم وأهليهم.

ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسل إليهم «وليد بن عقبه بن أبى معيط» لجبايه زكاتهم، فلمّا سمعوا بقدومه خرجوا إليه راكبين ليكرموه وليؤدّوا إليه ما عليهم من الزكاه، فلمّا سمع بهم هابهم، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بأنّ القوم قد همّوا بقتله، ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم، فأكثر المسلمون فى ذكر غزوهم حتّى همّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يغزوهم، فبينما هم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته إلينا فخرجنا إليه لنكرمه، ونؤدّى إليه ما قبلنا من الصدقه فانشرم راجعاً؛ فبلغنا أنّه زعم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّنا نحن الذين آمنوا إنّ جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبينوا أنّ تصيبوا قوماً بجهالٍ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» (٢).

ص: ٣٥٩

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٧٦٢/٣؛ إمتاع الأسماع: ٣١٤/١٣-٣١٥.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٧٦٣/٣.

بقى رئيس حزب النفاق عبدالله بن أبي يواصل تجارته بالجوارى، والإماء ويضعهن تحت تصرف الرجال للزنا بهن، ليجنى من هذا الطريق أرباحاً طائلة.

حتى بعد دخول الإسلام فى المدينة.

فعندما نزلت آيات تحريم الزنا كان ذلك الفاسق يمارس حرفته القدره، حتى أن إماءه ضقن بهذا العمل الفاجر ذرعاً، فشكين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالت إحداهن: إن سيدى يكرهنى على البغاء.

فنزله قوله تعالى فى شجب هذا العمل الدنىء:

«وَلَا تُكْرَهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» (١). (٢)

ولقد أراد رجل يعبث بعفاف النساء كهذا، أن يسىء إلى امرأه ذات مكانه وشخصيه فى المجتمع الاسلامى (٣)، ويتهمها بالزنا نكايه بالمؤمنين، والمؤمنات،

ص: ٣٦٠

١- . النور: ٣٣.

٢- . لاحظ: مجمع البيان: ٢٤٦/٧، تفسير الدر المنثور: ٤٦/٥.

٣- . اخترنا هذا التعبير لورود نوعين من شأن النزول فى المقام بحيث لم يتأكد للمؤلف من هى



وبغياً وحسداً.

حقاً إنّ معاداة النفاق للإيمان من أشدّ أنواع المعاداة، فإنّ العدوّ المشرك والكافر يعمد دائماً إلى إشفاء غيظه وإطفاء غضبه وحنقه باستخدام عداته في جميع الموارد والأوقات.

ولكنّ المنافق الذي يتظاهر بالإيمان، ويتسترّ بالإسلام حيث إنّ لا يمكنه التظاهر بعدائه، فإنّ عداؤه الباطني يتراكم ويتصاعد حتّى يصل أحياناً إلى حدّ الانفجار، لهذا ينطلق المنافق في كيل التهم من دون حساب أو ميزان تماماً كما يفعل المجانين.

ونرى مثل هذه الحالة في عبدالله بن أبي.

ولقد ظهرت ذلّة «عبدالله بن أبي» رئيس حزب النفاق في واقعه بنى المصطلق، وقد منعه ابنه من دخول المدينة، ولم يسمح له بدخولها إلّا بوساطه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهكذا آل مصير رجل كان يحلم بالملوكيه والسلطان إلى أن يمنعه أخصّ أقربائه عن الدخول إلى مسقط رأسه، فيما كان يطلب هو من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكفّ عنه ولده.

إنّ من الطبيعي أن يعمد رجلٌ مثل هذا إلى فعل كلّ ما يشفى غليله ويذهب غيظه، ومن ذلك ترويح الشائعات الكاذبه انتقاماً من المجتمع الإسلامي.

فعندما يعجز العدو عن مواجهه المباشرة يعمد إلى حبك الشائعات،

ص: ٣٤١

وترويجها وإشاعتها ليستطيع من خلال ذلك، توجيه ضربه نفسيته إلى المجتمع، وكذا بلبله الرأى العام، وإشغاله بالتوافه و صرفه عن القضايا المهمه والمصيريه.

إن سلاح الشائعات من الأسلحه المدمره التى يمكن أن تستخدم فى تشويه سمعه الأفراد الصالحين، وإبعاد الناس عنهم.

### المنافقون يتهمون شخصاً نقي الجيب

يستفاد من الآيات النازله فى قضيه «الإفك» أن المنافقين اتهموا شخصاً بريئاً بتهمه الزنا، تحقيقاً لمآربهم الدينيه، وإضراراً بالمجتمع الإسلامى، وقد ردّهم القرآن وشجب عملهم بشده قلّ نظيرها، وأبطل خطّتهم.

فمن هو - يا ترى - ذلك البرىء؟ إن فى ذلك خلافاً بين المفسّرين، فالأكثرين على أنّها «عائشه» زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويرى الآخرون أنّها «ماريه» القبطيه أم إبراهيم وزوجه رسول الله أيضاً، ولقد ذكروا أسباباً مختلفه لنزول هذه الآيات لا تخلو عن إشكال. وها نحن ندرس القول الذى يذهب إلى أنّ المراد فى هذه الآيات هو: «عائشه»، وتوضيح ما يصحّ وما لا يصحّ فى هذا المجال:

#### دراسه القول الأوّل

يرى المحدثون والمفسّرون من أهل السنّه أنّ نزول آيات «الإفك» يرتبط بعائشه، ويذكرون فى هذا المجال روايه مفضّله لا يتلاءم بعضها مع عصمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن هنا لا يمكن القبول بهذا القول على إطلاقه.

وها نحن نذكر ما يتلاءم من هذه القصّه مع عصمه النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم نستعرض آيات الإفك، ثم نشير إلى القسم الذى يخالف عصمته صلى الله عليه وآله وسلم فى هذا القول.

إن إسناده هذه الرواية تنتهي برمتها إلى «عائشه» (١) نفسها، فهي تقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فلما كانت غزوه بنى المصطلق أقرع بين نسائه، كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهن معه فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سفره ذلك وجه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل، ثم أذن في الناس بالرحيل، فارتحل الناس وخرجت لبعض حاجتي، وفي عنقي عقد لي، فيه جزع ظفار (أي خرز يمني)، فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري، فلما رجعت إلى الرّحل ذهبت التمسّه في عنقي فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني العذي ذهبت إليه، فالتمسته حتى وجدته، وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون لي البعير، وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا اليهودج، وهم يظنون أنني فيه كما كنت أصنع، فاحتملوه، فشدّوه على البعير ولم يشكوا أنني فيه، ثم أخذوا رأس البعير، فانطلقوا به، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب، قد انطلق الناس .

قالت: فتلففت بجلبابي، ثم اضطجعت في مكاني، وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع إليّ. قالت: فوالله إنني لمضطجعه إذ مرّ بي صفوان بن المعطل السلمى (وهو من فرسان الإسلام) وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادى، فأقبل حتى وقف عليّ، وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب، فلما رآني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ظعينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنا متلففه في ثيابي. قال: ما خلفك يرحمك الله. قالت: فما كلمته، ثم قرب البعير فقال:

إركبي، واستأخر عني فركبت، وأخذ برأس البعير، فانطلق سريعاً يطلب الناس،

ص: ٣٤٣

فوالله ما أدركنا الناس، وما افتقدت حتى أصبحت، ونزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودني، فقال أهل الإفك ما قالوا؛ فارتعج العسكر (أى شكوا في) ووالله ما أعلم بشيء من ذلك. (١) حتى نزلت آيات «الإفك» تبرئني مما اتهمني به المنافقون .

هذا القسم من شأن النزول الذي لخصناه لك من قصه مفصّله يمكن تطبيقها مع آيات «الإفك»، وليس فيه ما ينافي عصمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

واليك الآيات التي نزلت في هذا المجال:

«إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ \* لَوْ لَا جَاءُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ \* وَ لَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ \* وَ لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ». (٢)

### أبرز النقاط في آيات «الإفك»

يستفاد من القرائن أنّ هذه التهمة كانت نابعة أساساً من المنافقين، أى أنه من

ص: ٣٦٤

١- . السيرة النبوية لابن هشام: ٣/٧٦٤-٧٦٥. ولاحظ: صحيح البخارى: ٥٥/٥-٥٧، حديث الإفك؛ وج ٥/٦-٧، تفسير سورة النور.

٢- . النور: ١١-١٦.

كيدهم، وإليك هذه القرائن:

١. يقال: أن المراد من قوله سبحانه: «وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ» هو «عبدالله بن أبي» رئيس المنافقين، وكبيرهم.

٢. لقد عبر تعالى في الآية الحادية عشره عن الذين اتهموا المرأه بلفظ:

«عصبه» وهذه العبارة تستعمل في الجماعه المنظمه، التي يربطها هدف واحد وتحدوها غايه واحده، وتفيد أنهم كانوا متعاونين ومتعاضدين في المؤامره، ولم يكن مثل هذه الجماعه بين المسلمين إلا المنافقون.

٣. أن «عبدالله بن أبي» بسبب منعه من الدخول إلى المدينه، بقى عند مدخل المدينه، وعندما شاهد عائشه وهي راكبه بعير صفوان استغل الفرصه للإيقاع برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إشفاءً لغيظه، فبادر إلى استعمال سلاح التهمه والبهتان، وقال:

إن زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم باتت مع أجنبي في تلك الليله ووالله ما نجا منهما من الإثم أحد.

٤. إنه تعالى يقول في نفس الآية (أى الحادية عشره): «لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» .

والآن يجب أن نرى كيف لا يكون اتهام مؤمن طاهر الجيب، شرًّا للمؤمنين؛ بل يكون خيراً لهم؟

إن سبب ذلك هو أن هذه القصه كشفت القناع عن نوايا المنافقين ومقاصدهم الشريره وافتضحوا برمتهم، هذا مضافاً إلى أن المسلمين أخذوا من هذه القضيه دُرُوساً مفيده، مذكوره في محلها.

ص: ٣٦٥

هذا القدر من القصة يمكن تطبيقه مع القرآن الكريم، ولا يتنافى مع عصمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن البخارى روى بين ثنايا هذه القصة أموراً - نقلها عنه الآخرون فى الأغلب - تعانى من إشكالين أساسيين هما:

### ١. منافاتها لمقام النبوه والعصمه

فقد روى البخارى عن عائشه نفسها قولها:

فقد مننا المدينه فاشتكت حين قدمت شهراً، والناس يفيضون فى قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يربىنى فى وجعى أنى لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين اشتكى، إنما يدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيسلم ثم يقول: كيف تيكم، ثم ينصرف، فذاك الذى يربىنى ولا أشعر بالشر... فأخبرتني (أم مسطح) بقول أهل الإفك فازددت مرضاً على مرضى، قالت:

فما رجعت إلى بيتى ودخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: كيف تيكم؟ فقلت: أتأذن لى أن آتى أبوى قالت: وأنا حينئذ أريد أن استيقن الخبر من قبلهما، فإذن لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجئت أبوى، فقلت لأمى: يا أمته ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بتيه هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأه قط وظيفه عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها.... ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاور «أسامه بن زيد» فى الأمر، فأثنى على خيراً وقال: يا رسول الله أهلك وما نعلم إلا خيراً.

وشاور علياً فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية ستصدقك (إى جاريه عائشه) فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بريره فقال: أى

بريره هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت بريره: لا والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمر أغمضه عليها... (١)

إن هذا القسم من الروايه يتنافى بقوه مع عصمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه يكشف عن أنّ النبي وقع فريسه بأيدي الشائعات الكاذبه إلى درجه أنه غير سلوكه مع عائشه، وشاور أصحابه فيها!!

إنّ مثل هذا الموقف مع شخص برىء لا يوجد على تهمته أى دليل، ليس فقط يتنافى مع مقام العصمه النبويه، بل يتنافى حتى مع مقام مؤمن عادى؛ لأنه بين المؤمنين ليس من الجائز أبداً أن تعيّر الشائعات سلوكك مسلم عادىّ تجاه شخص منهم، وحتى لو تركت تلك الشائعات تأثيراً فى نفس المسلم، فليس من الجائز أن تُحدث مثل ذلك التغيير والانقلاب فى نظرتة وسلوكه.

إنّ القرآن الكريم يوبّخ فى الآيه ١٢ و ١٦ من سوره النور أولئك الذين وقعوا فريسه الشائعات وظنّوا الظنّ السوء إذ يقول تعالى:

«لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ» ؟

«وَلَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ»؟! (٢).

فإذا صحّ هذا القسم من الروايه المذكوره فى شأن النزول لزم أن نقول: إنّ

ص: ٣٦٧

- ١- لاحظ: صحيح البخارى: ٧-٦/٦، تفسير سوره النور، و ج ٥٦/٥-٥٧، حديث الإفك، السيره النبويه لابن هشام: ٧٦٦/٣.
- ٢- أى لماذا - عندما سمعتم بهذا الافتراء - لم تظنّوا بأنفسكم خيراً؟! وقلتم: هذا إفك، ولماذا - عندما سمعتم بهذا الكلام - لم تقولوا هذا بهتان لا يجوز ان نتكلم به؟!

هذا العتاب الشديد وهذا التوبيخ الصارخ كان يعمُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً، والحال أنّ مقام النبوه الذي يلازم العصمه لا يسمح لنا بأن نقول بأنّ هذا الخطاب والتوبيخ موجّهين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

من هنا لا مناص من رفض كلّ هذه الروايه المذكوره في شأن النزول الّذى يتنافى مع عصمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو القبول بالقسم الّذى لا يتنافى منها مع عصمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورفض ما يتنافى معها.

## ٢. سعد بن معاذ توفّي قبل حادثه «الإفك»

ويروى البخارى في صحيحه في ذيل شأن النزول عن عائشه نفسها: بعد أن سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بريره عن أمرى، فقالت فيّ خيراً، وصعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلى والله ما علمت على أهلى إلّا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلّا خيراً، وما يدخل على أهلى إلّا معي.

فقام «سعد بن معاذ» وقال: يا رسول الله أنا أعذرك فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

فقام «سعد بن عباد» وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحميه فقال لسعد: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل (١).

ص: ٣٦٨

١- . كان «سعد بن معاذ» رئيس الأوس و «سعد بن عباد» رئيس الخزرج، وكانت بين هاتين القبيلتين منافسه قديمه، وكان «عبدالله بن أبي» خزرجياً، فاعتبر «سعد بن عباد» كلام «سعد بن معاذ» تعريضاً بالخزرج وخطأً من شأنهم.



فقام أسيد بن حضير - وهو ابن عم سعد بن معاذ - فقال لسعد بن عباد:

كذبت لعمر الله لنقتلنه، فأنتك منافقٌ تجادلُ عن المنافقين.

فثار الحَيَّان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت. (١)

هذا القسم من القصة المذكوره في روايه البخارى غير صحيح، ولا يتلاءم مع التاريخ الثابت الصحيح لأن «سعد بن معاذ» كان قد مات بعد إصدار حكمه في بنى قريظه متأثراً بجرح أصابه في معركة «الأحزاب»، وقد وقعت حادثه «الإفك» بعد واقعه بنى قريظه، وقد صرح البخارى نفسه بهذا في صحيحه (ج ٥ ص ٥١) في باب «معركة الأحزاب وبنى قريظه»، فكيف يمكن والحال هذه أن يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويجادل «سعد بن عباد» في قصة الإفك التي وقعت بعد واقعه بنى قريظه بعدة شهور؟! (٢)

لقد ذهب المؤرخون إلى أن معركة الخندق ثم واقعه بنى قريظه وقعتا في شهر شوال من السنه الخامسه للهجره، فتكون النتيجة أن قضيه بنى قريظه انتهت في التاسع عشر من شهر ذى الحجه، وقد توفى سعد بن معاذ في أعقاب هذه الحادثه مباشره لما انفجر به جرحه (٣) في حين وقعت غزوه بنى المصطلق في

ص: ٣٦٩

١- . صحيح البخارى: ٥٨/٥، حديث الإفك؛ وج ٧/٦، تفسير سوره النور.

٢- . والجدير بالذكر أن ابن هشام لم يذكر في سيرته «سعد بن معاذ»، ولكنه روى جدال أسيد مع سعد بن عباد، راجع: السير النبويه لابن هشام: ٧٦٧/٣، وهكذا فعل ابن الاثير في الكامل في التاريخ: ١٩٧/٢، ولكن صاحب المغازى ذكر القصة كامله، وأتى باسم سعد بن معاذ راجع المغازى: ٤٣١/١.

٣- . السير النبويه لابن هشام: ٧٣٠/٣.

أجل إنّ ما هو مهمّ في المقام هو أن نعرف أنّ حزب النفاق حاول أن يزلزل النفوس، ويبلبلها ببهت امرأه صالحه ذات مكانه في المجتمع الإسلامى يومذاك.

وقد فُسر قوله: «وَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ»: أى الذى تحمّل القسط الأكبر من هذه العمليه الخبيثه هو عبدالله بن أبى، فهو الذى قاد هذه العمليه الرخيصه والخطره كما صرّحت بذلك عائشه نفسها أيضاً.

### الروايه الأخرى فى سبب النزول

وتقول هذه الروايه: إنّ الآيات الحاضره نزلت فى «ماريه القبطيه» زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووالده إبراهيم.

فإنّ هذه الروايه تقول: لما مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حزن عليه حزناً شديداً، فقالت عائشه: ما الذى يُحزنك عليه؟ ما هو إلّا ابن جريح، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً صلوات الله عليه وأمره بقتله، فذهب عليّ صلوات الله عليه ومعه السيف، وكان جريح القبطى فى حائط (أى بستان)، فضرب «عليّاً» باب البستان، فأقبل جريح ليفتح له الباب، فلمّا رأى عليّاً صلوات الله عليه، عرف فى وجهه الغضب، فأدبر راجعاً ولم يفتح باب البستان، فوثب على عليه السلام على الحائط ونزل إلى البستان، وأتبعه، وولّى جريح مدبراً، فلمّا خشى أن يرهقه (أى يدركه) صعد على نخله وصعد «عليّاً» فى أثره، فلمّا دنا منه رمى جريح بنفسه من فوق النخله،

ص: ٣٧٠

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٧٥٧/٣. ولعلّه فطن ابن هشام لهذه الناحيه فترك ذكر سعد بن معاذ، بينما غفل عنها البخارى فى صحيحه، راجع شروح البخارى منها: فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر: ٤٧١/٨ و ٤٧٢ للوقوف على اضطراب الشرح فى معالجه هذا التناقض.

فبدت عورته، فإذا ليس له ما للرجال ولا له ما للنساء، فانصرف عليّ عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: يا رسول الله إذا بعثتني في الأمر أكون فيه كالمسمار المحمى في الوبر أم أثبتت؟

قال: لا؛ بل تثبت.

قال: والذى بعثك بالحق ما له ما للرجال ولا ما للنساء.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الحمد لله الذى صرف عنا السوء أهل البيت. (1)

وهذه الرواية التى نقلها «المحدّث البحرانى» فى «تفسير البرهان»، و «الحويزى» فى تفسير «نور الثقلين» ضعيفه وغير مستقيمه من حيث المفاد، وهو ضعف ظاهر لا يحتاج إلى البيان.

ومن هنا لا يمكن القبول بها فى شأن نزول هذه الآيات.

فالمهم هو وقوع أصل هذه الحادته، كان من كان المتهم فيها.

ص: ٣٧١

---

١- . البرهان فى تفسير القرآن: ٥٣/٤ برقم ٧٥٧٣؛ نور الثقلين: ٥٨١/٣-٥٨٢.

كانت السنه الهجرية السادسه بكل حوادثها المره والحلوه تقترب من نهايتها عندما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام أنه دخل البيت (الكعبه) وحلق رأسه، وأخذ مفتاح البيت، وعرف مع المعرفين، فقصّ صلى الله عليه وآله وسلم هذه الرؤيا على أصحابه وتفاءل بها خيراً (١).

ولم يلبث أن أمر أصحابه بالتهيؤ للعمرة، ودعا القبائل المجاوره التى كانت لا تزال على شركها وكفرها إلى مرافقه المسلمين فى هذه السفره، ولهذا شاع فى جميع أنحاء الجزيره العربيه أن المسلمين سيّجّهون فى شهر ذى القعدة صوب مكّه يريدون العمرة.

ولقد كانت هذه السفره الروحانيه تنطوى - مضافاً إلى العطاء الروحى والمعنوى - على مصالح إجتماعيه وأهداف سياسيه، فقد عززت مكانه المسلمين فى شبه الجزيره العربيه، وتسببت فى انتشار دين التوحيد فى أوساط المجتمع العربى آنذاك، وذلك:

ص: ٣٧٢

أولاً: لأن القبائل العربية المشركه كانت تتصوّر أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يخالف كلّ عقائد العرب، وتقاليدهم الشعبيه، والدينيه حتى فريضه الحج، والعمره التي كانت تعدّ من ذكريات الاسلاف ومواريتهم.

من هنا كانوا يخافون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتوجسون خيفه من دينه، وعقيدته، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استطاع في هذه المناسبه باشتراكه، واشتراك أصحابه في مراسيم العمره أن يخفف هذا الخوف لدى القبائل المشركه إلى حدّ كبير، وأن يوضح بعمله أنّ رسول الإسلام لا يعارضُ زياره بيت الله الحرام، والفريضه المذكوره التي تعد من طقوسهم الدينيه، وتقاليدهم المذهبيه، بل يعتبرها فريضه مقدّسه، فهو مثل والد العرب الأكبر «إسماعيل بن إبراهيم الخليل» عليهما السلام يعمل على المحافظه على هذه التقاليد الدينيه، وبهذا استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يستقطب قلوب من كان يتوهم أنّ رساله «محمّد» ودعوته، ودينه يعارض جميع شؤونهم وتقاليدهم وأعرافهم الدينيه، والشعبيه، ويخالفها مخالفه مطلقه، ويقلل من خوفهم، واستيحاشهم.

ثانياً: إذا استطاع المسلمون أن يحرزوا في هذا السبيل نجاحاً، ويؤدّوا مناسك العمره في المسجد الحرام بحريه، أمام أعين الآلاف من المشركين، فإنّ عملهم هذا بنفسه سيكون تبليغاً ناجحاً للإسلام، لأنّ أخبار المسلمين ستنتشر بواسطه المشركين الذين قدموا مكّه من جميع المناطق لأداء مناسك العمره، فس يحملون أبناء ما رأوه وشاهدوه من أفعال المسلمين الرشيده، وأخلاقهم الفاضله، إلى أوطانهم لدى عودتهم من مكّه إلى بلادهم، وبهذا ينتشر نداء الإسلام في تلكم المناطق التي لم يستطع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبعث إليها الدعاه والمبلغين حتى ذلك الحين، ويترك هذا الأمر أثره المطلوب.

ثالثاً: أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكّر الناس في المدينة بحرمه الأشهر الحرم ثم أمر المسلمين بأن لا يحملوا معهم من الأسلحة شيئاً إلّا السيف الذي يحمله كلّ مسافر معه.

ولقد جلب هذا الأمر عواطف كثير من الغرباء عن الإسلام نحو هذا الدين، وغير من نظرتهم السلبيه تجاه دعوه الإسلام، لأنّهم شاهدوا بأنّهم أعينهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحرم القتال في هذه الأشهر، ويدافع بنفسه عن هذه السنّه الدينيه القديمه ويدعو إلى رعايتها خلافاً لكلّ الدعايات التي كانت تبثها قريش عن أنّ الإسلام لا يحترم هذه الأشهر، ويجيز الاقتتال وسفك الدماء فيها.

لقد فكّر القائد الإسلامي مع نفسه بأنّه لو أصاب المسلمون في هذا السبيل أيّ نجاح، فإنّهم يكونون قد حقّقوا أملاً قديماً من آمالهم التي طالما تشوّقوا إلى تحقيقها.

كما أنّه سوف يستطيع المهاجرون الذين طال بعدهم عن وطنهم، وأهليهم، أن يزوروا ذويهم وأقرباءهم. هذا إذا سمحت قريش لهم بدخول مكّه.

وأما إذا منعتهم قريش عن الدخول في الحرم فإنّ مكانه قريش ستتعزّض - حينئذ - لخطر السقوط في العالم العربي، وسيلومهم العرب على ذلك، لأنّ جميع ممثلي القبائل العربيه المحايده ستري كيف عاملت قريش جماعه مسالمة أرادت دخول مكّه لأداء مراسيم العمره، وزياره الكعبه المعظمه، ولا تحمل معها أيّ سلاح إلّا ما يحمله المسافر في سفره عاده، في حين يرتبط المسجد الحرام بالعرب كافه، وإنّما تقوم قريش بمجرد سدانته، وإداره شؤونه.

وهنا تتجلّى حقانيه المسلمين بشكل واضح، ويتّضح عدوان قريش، وينكشف للجميع بطلان مواقفها، فلا تستطيع قريش بعد ذلك أن تواصل تأليبها

للقبائل العربيه ضدّ الإسلام، وعقد تحالفات عسكريه واتّحاد عسكري مع قواها لمحاربه المسلمين لأنّها قد منعت الزوّار المسلمين أمام أعين الآلاف من الحجيج والزائرين من حقّهم المشروع.

لقد لاحظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلّ هذه الجوانب وغيرها فأمر المسلمين بالتوجّه نحو مكّه، وأحرم ألف وأربعمائه (١)، أو ألف وستمائه (٢)، أو ألف وثمانمائه (٣) في «ذى الحليفه» وقلّده سبعين بدنه (بعيراً) وبهذا أعلن عن هدفه من تلك الرحله.

ولقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عيناً له ليخبره عن قريش إذا وجدهم في أثناء الطريق.

ولمّا كان رسول الله بعسفان (وهي منطقه بين الجحفه ومكه) أتاه رجلٌ خزاعيّ كان يتقضي الأخبار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمر، وقد نزلوا بذي طوى، يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا «خالد بن الوليد» في خيلهم (وكانوا مائتين) قد قدّموها إلى كراع الغميم. (وهي موضع بين مكّه والمدينه أمام عسفان بثمانيه أميال).

فلمّا سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعزم قريش على منعه ومنع أصحابه من العمره قال:

«يا ويح قريش، لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر

ص: ٣٧٥

١- السيره النبويه لابن هشام: ٧٧٤/٣.

٢- مجمع البيان: ٢٨٨/٢.

٣- روضه الكافي: ٣٢٢/٨.

العرب، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرین، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوه، فما تظنُّ قريش، فوالله لا أزال أُجاهد على الذي بعثنى الله به حتى يظهره الله، أو تنفردُ هذه السالفه(١) (أى أقتل أو أموت).

ثم قال: مَنْ رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟ قال رجل من أسلم: أنا يا رسول الله، فسلك بهم طريقاً وعرّاً أجرل(٢) بين شعاب، فلما خرجوا منه، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضوا إلى أرض سهله عند منقطع الوادى....

وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا سلك في ثنيه المرار بركت ناقته، فقال الناس: خلأت(٣) الناقه، قال: ما خلأت وما هولها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكّه(٤).

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس أن ينزلوا في ذلك المكان فنزلوا.

ولما علمت طليعه قريش بمسير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لحقت به، حتى اقتربت منه وحاصرت موكبه ورجاله فكان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد أن يواصل سيره باتجاه مكّه أن يخترق صفوف رجال قريش، فيسفك دماءهم ويعبر على أجسادهم، وحينئذ كان الجميع يرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يهدف العمره والزياره بل يريد الحرب والقتال، فكان مثل هذا العمل يسيء إلى سمعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويضر بهدفه

ص: ٣٧٦

- ١- . السالفه: صفحه العنق، وكنى بهذه الجملة عن الموت لأنها لا تنفرد عمّا يليها إلا بالموت.
- ٢- . أجرل - بفتح الهمزة وسكون الجيم وفتح الراء -: أى كثير الحجاره. والجرل: الحجاره. سبيل الهدى والرشاد للصالحى الشامى: ٨٣/٥، لسان العرب: ١٠٧/١١، ماده «جرل».
- ٣- . خلأت الناقه: أى بركت ولم تبرح من مكانها.
- ٤- . السيره النبويه لابن هشام: ٧٧٥/٣. وقد أشار بهذا الكلام إلى واقعه الفيل.



ثم إن قتل هؤلاء النفر من طليعه قريش لا يزيل جميع الموانع من طريقه، لأن قريشاً كانت تبعث بإمدادات مستمره، ولم يكن لينته إلى هذا الحد.

هذا مضافاً إلى أن المسلمين ما كانوا يحملون معهم - حينذاك - إلّاما يحمله المسافر العادى من السلاح، ومع هذه الحال لم يكن القتال أمراً صحيحاً، وحكيماً، بل كان يجب أن تحلّ المشكله عن طريق التفاوض.

ولهذا عندما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى تلك المنطقه قال:

«لا تدعونى قريش اليوم إلى حُطّه يسألونى فيها صلّه الرحم إلّا أعطيتهم إيّاها»<sup>(١)</sup>.

ولقد بلغ كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا مسامع الناس، وكان من الطبيعى أن يسمّع به العدو أيضاً، ولهذا بعثوا برجال من شخصياتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليتعرّفوا على هدفه الأصلى من هذا السفر.

#### مندوبو قريش عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم

بعث قريش بعدّه مندوبين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليتعرّفوا على مقصده وهدفه من هذا السفر.

وكان أول أولئك المبعوثون هو: «بديل بن ورقاء الخزاعى» الذى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى رجال من خزاعه فكلموه - نيابه عن قريش - وسألوه: ما الذى جاء به؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّا لم نجئ لقتال أحد، ولكنّا جئنا معتمرين».

فرجعوا إلى قريش وأخبروهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يأت لقتال وإنما جاء

معتماً زائراً لبيت الله، ولكن قريشاً لم يصدّقوهم وقالوا: وإن كان جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوه أبداً، ولا تحدّث بذلك عنّا العرب.

ثم بعثوا «مكرز بن حفص» فسمع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما سمعه سابقه، فعاد وصدّق ما أخبره بدليل قريشاً به، ولكن قريشاً لم تصدّق مكرزاً أيضاً كما لم تصدّق سابقه.

فبعثت في المره الثالثه الحليس بن علقمه (١) وكبير رماه العرب، لحسم الموقف، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقبلاً قال:

«إنّ هذا من قوم يتألّهون (أى يعظّمون أمر الله) فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه».

فلما رأى الحليس، الهدى يسيل عليه من غير عرض الوادى فى قلائده، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محلّه، رجّع إلى قريش، ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إعظاماً لما رأى، فقال لهم: يا معشر قريش والله ما على هذا حالناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أئصدّ عن بيت الله من جاء معظماً له؟! والذي نفس الحليس بيده لتخلنّ بين محمّد وما جاء له، أو لأنقرن بالأحابيش نفره رجل واحد. (٢)

وهكذا امتنع الحليس من مواجهه رسول الله بالقوه واستخدام العنف معه لصدّه، وقد لاحظ بأّم عينيه أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين لا يريدون إلّا العمره والزياره لا القتال والحرب، بل عاد يهدّد قريشاً إذا هى أرادت صدّه عن ذلك.

فشقّ هذا الكلام وهذا التهديد على قريش وخافوا من مخالفته، فقالوا: مه، كفّ عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

ص: ٣٧٨

١- . لقد جاء الحليس إلى النبي بعد عروه الثقفى حسب روايه الطبرى فى تاريخه: ٢٧٦/٢.

٢- . تاريخ الطبرى: ٢٧٦/٢.

ثم بعثوا أخيراً «عروه بن مسعود الثقفي» وكان رجلاً- لبيباً تطمئن قريش إلى درايته وحكمته، وكان لا يحبُّ أن يمثّل قريشاً في هذه المفاوضات لما رآه من معاملتهم مع المبعوثين السابقين، ولكنَّ قريشاً تعهدت له بأن تقبل بما يقول، وأعلنت له عن ثقتها الكاملة به، وبما سيخبر به، وبأنه غير متهم عندهم.

فخرج من عندهم حتّى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس بين يديه ثم قال: يا محمّد جمعت أوشاب الناس (أى أخلاطهم) ثم جئت بهم إلى أهلِكَ وقبيلتك، إنّها قريشٌ قد خرجت معها العوذ المطافيلُ، وقد لبسوا جلود النّمور، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوه أبداً، وأيمُّ الله لكأنتي بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً، (أو قال: أن يفزّوا عنك ويدعوك).

وعندما بلغ ابن مسعود في كلامه إلى هذا قال له أبو بكر وكان جالساً خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنحنُ ننكشفُ عنه؟

لقد كان «عروه» كأى دبلوماسيّ ماكر، يحاول إضعاف معنويات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكلامه، وروغانه.

وأخيراً انتهت المباحثات دون جدوى. وهنا جعل «عروه» يتناول لحيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ازدراء به صلى الله عليه وآله وسلم، والمغيره بن شعبه - وكان واقفاً على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - يقرع يده إذا تناول لحيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقول: اكفّف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن لا تصل إليك.

فسأل عروه: من هذا يا محمّد؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هذا ابن أخيك المغيره بن شعبه (ويبدو أنّ جميع من كان حول النبي آنذاك أو بعضهم كانوا مقنّعين رعايه للظروف الأمنيّه).

فغضب عروه وقال: «أى عُدر، وهل غسّلتُ سواًتِك إلّ بالأمس» وكان

المغيره قد قتل قبل إسلامه ثلاثه عشر رجلاً من بنى مالك من ثقيف فودى عروه المقتولين وأصلح الأمر.

فقطع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكلام على عروه وقال له مثل ما قال لُبدیل ورفيقه، وأنه لم يأت يريد حرباً، بل جاء يريد العمره، ولأجل أن يرى عروه مكانته بين أصحابه وأتباعه، قام صلى الله عليه وآله وسلم وتوضاً أمامه، فرأى عروه بأَم عينيه كيف أنه لا يتوضاً إلّا وتسابق أصحابه على التقاط القطرات المتناثره من وضوئه، فرجع إلى قريش وقال لهم: يا معشر قريش إني قد جئت كسرى في ملكه، وقصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قطّ مثل محمّد في أصحابه، ولقد رأيتُ قوماً لا يُسَلِّمُونَهُ لشيء قط، فَرُوا رَأْيَكُمْ (١).

### رسول الله يبعث مندوباً إلى قريش

لم تثمر الاتصالات التي جرت بين مبعوثي قريش، وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان من الطبيعي أن يتصوّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ مبعوثي قريش لم يستطيعوا نقل هدفه إلى قريش، وإسماعهم الحقيقه، وأنّ اتّهامهم لهم بالجبن والكذب منعهم من قبول ما قد أخبروا به، ولهذا قرّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبعث هو مندوباً عنه إلى رؤوس الشرك ليوضح لهم هدف رسول الإسلام من هذا السفر، وأنّه ليس إلّا زياره بيت الله وأداء مناسك العمره لا غير.

فاختار رجلاً لبيباً حازماً من بنى خزاعه يدعى «خراش بن أمّيه» فبعثه إلى قريش بمكّه وحمله على بعير يقال له «الثعلب». ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له من الزياره والعمره، فدخل مكّه، وبلغ ساده قريش رساله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن قريشاً -

ص: ٣٨٠

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٣/٧٧٨-٧٧٩؛ المغازي: ٢/٥٩٨؛ إمتاع الأسماع: ١/٢٨٧.

خلافًا لكل الأعراف الدوليه والاجتماعيه قديماً وحديثاً، والقاضيه بحصانه السفراء وضروره احترام كل ما يمت إليهم بصله من ممتلكاتهم - عمدت إلى جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي امتطاه سفير النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكه فعقروه عدواناً، وكادوا أن يقتلوا سفير النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، ولكن وساطه جماعه من قاده العرب أدت إلى أن تخلى قريش سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. (١)

إن هذا العمل الدنيء أثبت - بوضوح - أن قريشاً لم تكن تريد السلام بل كانت دائماً في صدد إشعال فتيل الحرب.

ولم تلبث قريش أن كلفت خمسين رجلاً من فتيانها بالطواف بعسكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغيره أخذ شيء من أمواله، أو أسر بعض أصحابه لو أتيح لهم ذلك، إرعاباً للمسلمين وتخويفاً لهم. ولكن هذه الخطه فشلت فشلاً ذريعاً، فإن هؤلاء لم يصيبوا شيئاً بل أسرهم المسلمون جميعاً، وأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعفا عنهم، وخلى سبيلهم مع أنهم كانوا قد رموا عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحجاره والنبل.

وبهذا أثبت رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم مره أخرى، أنه يحب السلام ويسعى إليه، وأنه جاء معتمراً لا معتدياً ولا محارباً (٢).

### النبي يبعث سفيراً آخر إلى قريش

رغم كل هذه الأمور ورغم كل التصلب والتعصب الذي أبدته القيادة القرشيه المشركه ضد الإسلام والمسلمين وضد محاولات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السلميه لم ييأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تحقيق السلام فقد كان يريد - واقعاً - أن يعالج المشكله

ص: ٣٨١

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٧٧٩/٣.

٢- . لاحظ: تاريخ الطبري: ٢٧٨/٢؛ السيره النبويه لابن هشام: ٧٧٩/٣.

عن طريق المفاوضات، ومن طريق تغيير التصورات التي كان يحملها أشراف قريش وسادتها المتعنتون المتصلّبون عن رسول الله و دعوته.

ومن هنا كان يجب هذه المرّة أن يختار صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً لم تخض يده في دماء قريش، ولهذا لم يصلح «علي بن أبي طالب» ولا «الزبير» ولا غيرهم من فرسان الإسلام وشجعانه الذين جالدوا صناديد قريش في ميادين القتال وأردوا فريقاً منهم صرعى، لمثل هذه السفاره، وهذه المهمه.

ولهذا تقرر - بعد التأمل - انتداب «عمر بن الخطاب» لهذه المهمه، أي الذهاب إلى مكّه، والتحدّث إلى سادته قريش، ورؤسائها، لأنّه لم يكن قد أراق من المشركين حتّى ذلك اليوم ولا قطره دم، ولكن «عمر» اعتذر عن تحمّل هذه المسؤوليه، والقيام بهذه المهمه المحفوفه بالمخاطر قائلاً: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ إنّي أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكّه من بنى عدى بن كعب (وهم عشيرته) أحد يمنعني،... ولكنّي أدلك على رجل أعزّ بها منّي، «عثمان بن عفان». (لكونه أمويّاً بينه وبين أبي سفيان زعيم قريش قرابه) (١).

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «عثمان بن عفان» فبعثه إلى «أبي سفيان» وأشراف قريش، يخبرهم أنّه لم يأت لحرب، وأنّه إنّما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمة.

فخرج عثمان إلى مكّه، فلقية «أبان بن سعيد بن العاص» حين دخل مكّه، أو قبل أن يدخلها فحمّله بين يديه، ثم أجاره حتّى بلغ رساله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فانطلق «عثمان» حتّى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رساله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطّف، فقال: ما كنت لأفعل حتّى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ٣٨٢

واحتبسته قريش عندها، (ولعلهم فعلوا ذلك ريثما يتوصلوا إلى حلّ ثم يطلقوه ليبلغ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأيهم). (١)

## بيعه الرضوان

إلّا أنّ إبطاء مبعوث النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن العوده من مكّه أوجد قلقاً شديداً في نفوس المسلمين، خاصّه وأنّه شاع أنّ عثمان قد قتل، فنارت ثائره المسلمين، واستعدّوا للانتقام من قريش، وعمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً إلى مخاطبتهم قائلاً:

«لا نبرح حتّى نناجز القوم».

وذلك تقويه لإرادته المسلمين، وتحريكاً لمشاعرهم الطاهره.

وفي هذه اللحظات الخطيره، وفي ما كان الخطر على الأبواب، وبينما لم يكن المسلمون متهيئين للقتال قرّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجدّد بيعته مع المسلمين.

فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجره، وأخذ أصحابه يباعدونه على الاستقامه والثبات والوفاء واحداً واحداً، ويحلفون له أن لا يتخلّوا عنه أبداً، وأن يدافعوا عن حياض الإسلام حتّى النفس الأخير، وقد سمّيت هذه البيعه ببيعه «الرضوان» التي جاء ذكرها في قوله تعالى:

«لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا». (٢)

فأنصَحَ موقفُ المسلمين بعد هذه البيعه، فإمّا أن تسمح لهم قريش بدخول مكّه لزياره بيت الله المعظم، وإمّا أن تتصلّب في موقفها الراض فيكون بينهم القتال

ص: ٣٨٣

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٧٨٠/٣.

٢- . الفتح: ١٨.

وبينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الحال إذ طلع عليهم «عثمان بن عفان»، وكان ذلك بنفسه طليعه سلام كان يريده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فأخبر عثمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الحدي يمنع قريشاً من السماح لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدخول مكة هو اليمين التي ألزموا بها أنفسهم أن لا يدعوه يدخل مكة هذا العام، وأنهم سيبعثون إليه من يتفاوض معه بهذا الشأن.

### سهيل بن عمرو يفاوض رسول الله

بعثت قريش - في المرّة الخامسة - «سهيل بن عمرو» إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد كلفته بانهاء المشكله ضمن شروط خاصه سنقرؤها في ما يأتى.

فأقبل «سهيل بن عمرو» على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل.

فلما انتهى «سهيل» إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكلم في المسأله كما يتكلم أى دبلوماسى بارع، فقال وهو يحاول إثارة عواطف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحاسيسه:

يا أبا القاسم إن مكة حرمتنا وعزنا، وقد تسامعت العرب بك إنك قد غزوتنا ومتى ما تدخل علينا مكة عنوه تطمّع فينا فنتخطف، وإنا نذرك الرحم، فإن مكة بيضتك التي تفلقت عن رأسك.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فما تريد»؟

ص: ٣٨٤

---

١- . ولقد كان لهذه البيعه فى نفسها أثر سياسى مهم فى نفس العدو، يقول الواقدى: فلما نظرت قريش إلى ما رأت من سرعه الناس إلى البيعه وتشميرهم إلى الحرب اشتدّ رعبهم وخوفهم وأسرعوا إلى القضيّه (المغازى: ١/٦٠٤). وراجع: إمتاع الأسماع: ٢٩٠/١ أيضاً.



قال: أريد أن أكتب بيني وبينك هُدنه على أن أخلّيها لك في قابل(١)فتدخلها، ولا تدخلها بخوف ولا فزع، ولا سلاح إلّاسلاح  
الراكب، السيف في القراب.(٢)

فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعقد مثل هذا الصلح.

وهكذا أدت مفاوضات «سهيل» مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عقد صلح شامل وواسع بين قريش وبين المسلمين.  
ولقد تشدّد «سهيل» في شروط هذا الصلح كثيراً، حتّى كاد أن ينتهى هذا التشدّد إلى قطع المفاوضات أحياناً، ولكن حيث إنّ  
الطرفين كانا يرغبان في الصلح والموادعه، لهذا كانا يستأنفان التحوار والتفاوض مره أخرى، بعد كلّ أزمه تطرأ على المباحثات.  
وأخيراً انتهت مفاوضات الجانبيين - رغم كلّ ما أبداه مندوب قريش من التصلّب - إلى عقد وثيقه موادعه وهُدنه نُظمت في  
نسختين ووقع عليها الجانبان.

ويروى كافّه المؤرّخين وأرباب السّير أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا عليّاً عليه السلام، وأمره أن يكتب تلك  
الوثيقه قائلاً له: اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» فكتب «عليّ» ذلك، فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن أكتب: باسمك اللهم!!  
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اكتب: باسمك اللهم وامح ما كتبت. ففعل «عليّ» ذلك.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اكتب «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو».

ص: ٣٨٥

١- . أى افرغ لك مكّه فى العام القادم لتدخلها.

٢- . بحار الأنوار: ٢٠/٣٦١-٣٦٢.

فقال سهيل: لو أجبتك في الكتاب إلى هذا لأقررت لك بالنبوه، فامح هذا الاسم واكتب: محمد بن عبد الله (أو قال: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم ابيك).

ولم يرض بعض من حضر من المسلمين في هذه النقطة بأن يرضخ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمطالب «سهيل» إلى هذه الدرجة، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - المذى كان يلاحظ مصالح عليا غفل عنها ذلك البعض كما سذكرها فيما بعد - رضى بمطلب «سهيل»، وقال لعلي عليه السلام: امحها يا علي.

فقال علي عليه السلام بأدب بالغ: يا رسول الله إن يدى لا تنطق لمحو اسمك من النبوه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فضع يدى عليها، فمحا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده كلمه:

«رسول الله» نزولاً عند رغبه «سهيل» مفاوض قريش (1).

إن التسامح الذى أبداه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تنظيم وثيقه الصلح هذه لا يعرف له نظير في تاريخ العالم كله، لأنه أظهر بجلاء أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يقع فريسه بيد الأهواء والأغراض الشخصيه والعواطف والأحاسيس العابره، وكان يعلم أن الحقائق لا تبدل ولا تتغير بالكتابه والمحو، من هنا تسامح مع مفاوض قريش «سهيل» الذى تصلب في مطالبه غير المشروعه كثيراً، حفاظاً على أصل الصلح.

ص: ٣٨٤

١- . الإرشاد: ١٢٠/١-١٢١؛ إعلام الورى: ٣٧١/١-٣٧٢؛ بحار الأنوار: ٣٦١/٢٠-٣٦٢ وقد أخطأ الطبرى في تاريخه: ٢٨٢/٢ في هذا المقام إذ قال في إحدى رواياته لهذه الحادته: قال لعلي عليه السلام: امح «رسول الله»، قال: لا والله لا أمحاك أبداً، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس يحسن يكتب فكتب مكان «رسول الله»: محمد. وهكذا نسب الكتابه إلى شخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نعلم أنه أمى، لا يحسن الكتابه، وقد حققنا هذه المسأله في كتابنا مفاهيم القرآن: ٣١٩/٣-٣٧٤.

وحرصاً على السلام.

## التاريخ يعيد نفسه

ولقد ابتلى عليّ عليه السلام، تلميذ النبي الأول بمثل هذه التجربة المرّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فيومٍ امتنع عليّ عليه السلام عن محو كلمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن اسم النبي قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: سلم:

«يا عَلِيُّ إِنَّكَ أَيْتَ أَنْ تَمَحُوَ اسْمِي مِنَ النَّبُوَّةِ، فَوَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا لِتَجِيئَ أَبْنَاءَهُمْ إِلَى مِثْلِهَا وَأَنْتَ مَضِيضٌ مَضْطَهَدٌ» (١).

ولقد بقيت هذه القضية في ذاكره عليّ عليه السلام، حتّى إذا كان يوم «صفين» وخذع بعض أصحاب الإمام عليّ عليه السلام بالأسلوب الماكر العدي اتبعه جيش الشام العدي قاتل عليّاً عليه السلام بقياده معاوية بن أبي سفيان ومساعده عمرو بن العاص، وأجبروا الإمام عليه السلام على عقد الصلح مع معاوية فشكّل الجانبان لجنة لتنظيم وثيقه ذلك الصلح، كُلف «عبيدالله بن رافع» كاتب الإمام، من جانب الإمام عليّ عليه السلام بأن يكتب وثيقه الصلح، فكتب:

«هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين عليّ» قال عمرو بن العاص ممثل معاوية في تلك المفاوضات: لو علمنا أنّك أمير المؤمنين لم ننازعك!!

وهكذا طالب عمرو بن العاص بحذف عباره أمير المؤمنين.

وطال الكلام والتشاجر في هذا الموضوع، ولم يكن الإمام عليّ يريد أن يعطى حجّه للبسطاء من أصحابه، ولهذا لم يرضخ لهذا المطلب، ولكنّه بعد إلحاح

ص: ٣٨٧

من أحد قادة جيشه سمح بأن يُمحي لقب «أمير المؤمنين» من اسمه ثم قال: «اللَّهُ أَكْبَرُ سُنَّةُ بَسْمِهِ».

وهو بذلك يشير إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له يوم الحديبيه (١).

### نصُّ صلح الحديبيه

وأخيراً عُقدت اتفاقية صلح وهُدنه بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقريش تضمّنت المواد والشروط التاليه:

١. تعهد المسلمون، وقريش بترك الحرب عشر سنين يأمنُ فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض.

٢. من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمداً لم يردّوه عليه.

٣. من أحب أن يدخل في عقد محمداً وعهده (أى يتحالف معه) دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

٤. أن محمداً يرجع بأصحابه إلى المدينة عامه هذا ولا يدخل مكه، وإتّما يدخل مكه في العام القابل في أصحابه فيقيم فيها ثلاثه أيام، لا يدخل فيها بسلاح إلّا سلاح المسافر، السيوف في القرب.

٥. أن لا يُستكره أحدٌ على ترك دينه ويعبُد المسلمون الله بمكّه علانيه وبحريه، وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكّه، وأن لا يؤذى أحد ولا يعير (٢).

ص: ٣٨٨

١- الكامل في التاريخ: ٣/٣٢٠، راجع المصدر لتقف على القصّه بكاملها ولتقف على مدار بين الإمام وابن العاص.

٢- لاحظ: بحار الأنوار: ٣٥٢/٢٠.

٦. لا إسلال (سِرْقَه) ولا إغلال (خيانه) بل يحترم الطرفان أموال الطرف الآخر، فلا يخونه ولا يسرق منه(١).

٧. أن لا تعين قريش على محمّد وأصحابه أحداً بنفس ولا سلاح(٢).

هذا هو نصُّ وثيقه «صلح الحديبيه»، وقد جمعنا بنوده من المصادر المتنوّعه(٣) التي أشرنا إلى بعضها في الهامش، وقد كتبت هذه الوثيقه فى نسختين، ثم وقع عليها جماعه من شخصيات قريش، والمسلمين وشهدوا عليها وأعطيت نسخه إلى «سهيل بن عمرو» ممثّل قريش، وتُرِكَت نسخه عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

### نشيد الحريه

لقد كان كلّ عاقل لبيب يحسن تقدير الأمور يسمع نشيد الحريه من ثنايا هذا الصلح التاريخي، ومع أنّ كلّ بنود هذه المعاهده جديره بالاهتمام والإكبار، إلّا أنّ النقطه التي تستحقّ الاهتمام والتقدير أكثر من سواها هي المادّه الثانيه فى هذا الصلح، وهي المادّه التي أزعجت بعض الصحابه يوم انعقاد تلك المعاهده.

فقد انزعج صحابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من هذا التمييز الصارخ، وقالوا حول قرار القيادة الحكيمه المتمثله فى قائد محمّد كرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان ينبغى أن لا يقولوه، فى حين تعتبر هذه الماده من أعظم بنود الوثيقه إذ تعكس نظره رسول

ص: ٣٨٩

١- . مجمع البيان: ١٩٧/٩-١٩٨. أو: «من قدم مکه من أصحاب محمّد حاجاً أو معتمراً أو يبتغى من فضل الله فهو آمن على دمه وماله، ومن قدم المدينه من قريش مجتازاً إلى مصر أو الشام فهو آمن على دمه وماله».

٢- . بحار الأنوار: ٣٥٢/٢٠.

٣- . لاحظ: المغازى: ٦١١/١-٦١٢؛ تاريخ الطبرى: ٢٨١/٢؛ إمتاع الأسماع: ٢٩٥/١؛ السيره النبويه لابن هشام: ٧٨٢/٣؛ السيره الحلييه: ٧٠٨/٢-٧٠٩.

الإسلام وتفكيره حول كَيْفِيَتِهِ تَبْلِيغِ الإِسْلَامِ وإِشَاعَتِهِ ونَشْرِهِ، فَإِنَّهُ يَظْهَرُ مِنْهَا - وَبِجَلَاءٍ - مَدَى احْتِرَامِ رَسُولِ الإِسْلَامِ لِمَبْدَأِ الحَرِيهِ.

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في معرض الإجابة على مَنْ اعترض من صحابته على البند القاضى بتسليم كلِّ مسلمٍ فَرٌّ من قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين إلى قريش، دون العكس قائلاً:

«مَنْ جَاءَهُمْ مِنَّا فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ رَدَدْنَاهُ إِلَيْهِمْ، فَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ الإِسْلَامَ مِنْ قَلْبِهِ جَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا» (١).

وأراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الذى يهرب من جماعه المسلمين ويلجأ إلى المشركين فلا قيمه لإيمانه وإسلامه، إذ أن ذلك يدلُّ على أنه لم يؤمن بهذا الدين حقَّ الإيمان فلا داعى لأن يعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ لا إكراه فى الدين، وأما من هرب من المشركين إلى المسلمين فلو علم الله منه الصدق لنجَّاه حتماً.

ولقد كانت نظريه النبى صلى الله عليه وآله وسلم ورأيه متطابقاً كلَّ التطابق مع موازين العقل والمنطق السليم، وقد تجلَّت صوابيته وحقانيته مع مضيِّ الزمن فى ما بعد، لأنه لم يمض زمن طويل إلَّاقريش - وبعد سلسله من الحوادث المؤسفه - طلبت بنفسها إلغاء هذه المادّه كما سيأتى بيانه فى ما بعد.

إنَّ هذه الماده تعدُّ ردّاً قاطعاً على تقوِّلات وتخريصات المستشرقين المغرضين الذين يصرون على القول بأنَّ الإسلام انتشر بالسيف.

إنَّهم حيث لا يتحمَّلون رؤيه هذا الامتياز العظيم الذى كسبه الإسلام الحنيف، حيث انتشر فى مدّه قصيره جداً فى شتى نقاط العالم وبقاعه، حتَّى كاد أن

ص: ٣٩٠

يَعَمُّ المعموره كلها، ولهذا اضطروا إلى إعزاء انتشار الإسلام إلى عامل استخدام القوه، وقالوا: إن الإسلام انتشر بالقوه، ليشوّهوا بذلك ملامح الإسلام ويخفوا الحقيقه خلف غطاء من الأراجيف، فى حين أنّ هذا الميثاق الذى عقد فى الجزيره العربيه أمام أعين المئات من المسلمين وغير المسلمين، يعكس بجلاء روح الإسلام وحقيقه تعاليمه الساميه، ومع هذا يكون من مجانبه الواقع القول بأن الإسلام انتشر بقوه السيف، لا بالدعوه الحرّه، والتبليغ والارشاد.

هذا ولقد تحالفت قبيله خزاعه مع المسلمين فى ضوء الماده الثالثه من الميثاق، بينما تحالفت قبيله بنى كنانه - وكانوا أعداء تقليديين لخزاعه - مع قريش.

### آخر الجهود للحفاظ على عمليه الصلح

كانت مقدّمات الميثاق المذكور، وبنوده توحى بصوره جليّه وكامله بأن أكثرها قد فرضت فرضاً على المسلمين، فلو أنّ رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم قبل يامحاء كلمه «رسول الله» من اسمه، وبدأ الميثاق بعباره «باسمك اللهم» على عاده الجاهلين بدل البسمله الكامله، فإنّ غايته من ذلك كانت هى الحفاظ على الصلح، وإقرار الأمن فى الجزيره العربيه.

ولو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رضى بأن يسلم المسلمين الهاريين من قبضه المشركين إلى جماعه المسلمين، ويعيدهم إلى القياده الوثنيه فى مكّه فإنّ بعض ذلك كان بسبب تصلّب سهيل ممثّل قريش وتعنته، ولو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يرضخ لهذا الشرط (استجابته لرغبه الرأى العام الإسلامى الذى كان مخالفاً لمثل هذا الشرط ومعارضاً لإعادته المسلمين الهاريين من مكّه إلى قريش، وحفاظاً على حقوق أولئك الأشخاص الهاريين) لتعطّلت عمليه السلام، ولما تحقّق الصلح،

ولفات المسلمين هذه النعمة الكبرى التي انطوت على آثار عظيمه في المستقبل كما أثبتت الوقائع في ما بعد.

من هنا قاوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلّ الضغوط من جهه، وتحمل عمليه فرض هذا الشرط من جهه أخرى، ليصل إلى المقصد الأعلى والهدف الأكبر الذي تتضاءل تجاهه هذه المتاعب.

ولو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يراعى الرأى العام ويلاحظ حقوق هذه الجماعه، لكان «سهيل» يتسبب - بسبب تصلبه الأرعن - فى اشعال نائره الحرب، والقضه التاليه تشهد بما نقول:

حينما انتهت مفاوضات السلام، وبينما كان الإمام على عليه السلام يكتب وثيقه الموادعه والصلح دخل أبو جندل بن سهيل فى مجلس النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو يرسف فى قيوده.

فتعجب الجميع من حضوره هناك، إذ كان محبوساً فى سجن أبيه سهيل (المفاوض) مدّه طويله.

ولم يكن لأبى جندل من ذنب إلا أنه اختار التوحيد عقيدته، والإسلام ديناً، ورفض الوثنيه والشرك وكان يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حباً شديداً فحبسه أبوه.

وكان أبو جندل قد بلغه أمر المفاوضات هذه، فهرب من محبسه وانفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سالكاً إليه طرقاتاً وعره فى الشعاب، والوديان.

فلما رأى «سهيل» ابنه أبا جندل وقد هرب من سجنه، ولجأ إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بتلابيبه ثم قال: هذا يا محمّد أول من أقاضيك عليه أن تردّه.



ولا- شكَّ أنَّ كلام «سهيل» كان باطلاً، ولا مبرّر لطلبه، لأنَّ الميثاق لم تتمَّ كتابته على الورق، ولم يوقع عليه الطرفان، ولم ينته -  
بالتالى - من مراحل النهائيه والأخيره بعد، فكيف يمكن الاستناد إليه، ولهذا أجابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً:

«إنا لم نرضَ (نقض) بالكتاب بعد»(١).

فقال سهيل: إذاً والله لا أصلحك على شىء أبداً، حتى ترده الىّ، ولم يزل يصرّ على كلامه ورفضه هذا حتى انزعج اثنان ممن رافقه من شخصيات قريش، هما: مكرز وحويطب، من تصلّب سهيل وتشدّده.

ثم قاما وأخذوا أبا جندل من أبيه وأدخلاه خيمه وقالوا: نحن نجيره.

ولقد فعلا ذلك حتى يُنهيها ذلك التنازع، والجدال، ولكن إصرار سهيل على موقفه، أبطل تدبيرهما إذ قال: يا محمّد لقد لجت القضية بينى وبينك قبل أن يأتىك هذا(٢).

فاضطرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يقوم بآخر سعى فى طريق الحفاظ على الهدنه والصلح الذى كان له أثر عظيم فى انتشار الإسلام، ولهذا رضى بردّ أبى جندل إلى والده، لإعادته إلى مكّه، ثم قال لذلك المسلم الأسير تطبيقاً لخاطره:

«يا أبا جندل، إصبر واحتسب، فإنَّ الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنّنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهداً الله، وإنا لا نغدرُ بهم».

وانتهت جلسه المفاوضات، وتمّ التوقيع على نسختى الميثاق، وعاد سهيلٌ ورفاقه إلى مكّه، ومعهم «أبو جندل» ابن سهيل فى جوار مكرز وحويطب، ونحر

ص: ٣٩٣

١- . بحار الأنوار: ٣٣٤/٢٠.

٢- . السيره الحليه: ٧١٠/٢. لجت: وجبت وتمت.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان معه من الهدى (١) في نفس ذلك المكان وحلق فنحر جماعه من المسلمين وحلقوا (٢).

### تقييم عاجل لصلح الحديبيه

بعد أن فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عقد صلح الحديبيه بينه وبين رؤوس الشرك، وبعد أن توقّف في أرض الحديبيه مدة ١٩ يوماً عاد هو وأصحابه إلى المدينة، وعاد المشركون إلى مكّه.

هذا وقد نشبت مشاجرات ومشادات كلاميه حين تنظيم ذلك الميثاق وكتابته، بين أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فمنهم من كان يعتبر ذلك الصلح في صالح الإسلام، وقليل منهم كان يعدّه مضرّاً بمصلحه الإسلام والمسلمين.

ولقد انقضى الآن أكثر من أربعة عشر قرناً على عقد ذلك الصلح التاريخي العظيم فلندرس معاً تلك المعاهده بموضوعيه وتجرّد، ونستعرض طرفاً من تلك الاعتراضات والمجادلات لنقف على معطيات تلك العمليه، ونتائجها.

إنّ الذي نراه هو: أنّ هذا الصلح كان في صالح الإسلام مائة بالمائه، وأنّه هو الذي جعل أمر انتصار الإسلام قطعياً، لا شك فيه، وإليك أدلّه هذا الرأي:

١. أن حملات قريش المتتابعه على المسلمين، والتحريكات الداخليه والخارجيه التي أشرنا إليها في حوادث «أحد» و «الأحزاب» على نحو الاختصار، لم تترك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فرصه لنشر الإسلام بين القبائل، وفي المناطق المختلفه خارج

ص: ٣٩٤

١- . أي الإبل التي ساقها معه.

٢- . لاحظ: تاريخ الطبري: ٢/٢٨١، بحار الأنوار: ٢٠/٣٥٣؛ السيره النبويه لابن هشام: ٣/٧٨٣؛ إمتاع الأسماع: ٩/١١١-١٢.

من هنا كان صلى الله عليه وآله وسلم يصرف أكثر أوقاته الثمينه فى الدفاع والعمل على إفشال المؤامرات الخطره التى كان العدو الداخلى والخارجى يحيكها باستمرار.

ولكنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم فرغ باله بعد عقد صلح الحديبيه مع قريش من ناحيه الجنوب، فتهيأت الأرضيه لانتشار الإسلام فى المناطق الأخرى.

وقد ظهر أثر هذا الهدوء والاستقرار بعد سنتين من عقد تلك المعاهده، فقد كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديبيه ألف و أربعمائه، ولكنّه عندما توجه إلى مكّه لفتحها بعد عامين خرج معه عشره آلاف، وكان هذا التفاوت من نتائج صلح الحديبيه مباشره، لأنّ بعض الناس كانوا يخشون قريشاً فلا يلتحقون بالمسلمين لذلك السبب، ولكن بعد أن اعترفت قريش بالكيان الإسلامى بصوره رسميه، وأعطيت للقبائل الحريه الكامله للانضمام إلى المسلمين زال الخوف المذكور عن كثير من القبائل، فاستطاع المسلمون أن يستغلوا تلك الفرصه ويقوموا بنشاط تبليغى ودعوه واسعه إلى الإسلام.

٢. أن النتيجة الثانيه التى حصل عليها المسلمون من هذه المعاهده هى زوال الستار الحديدى الذى كان قد ضربه المشركون بين الناس وبين الإسلام، فقد سمح ذلك الصلح بالسفر إلى المدينه فكان الناس فى سفرهم إلى المدينه يحتكون بالمسلمين ويلتقون بهم، فيتعرّفون على تعاليم الإسلام الساميه.

ولقد أثار نظّم المسلمين، وإخلاصهم، وطاعه المؤمنين الكامله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إعجاب المشركين كما أثارت نظافه المسلمين، فى أوقات الصلاه خاصّه، وصفوفهم المتلاحمه أثناء هذه العباده المباركه، وحُطِبَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرائعه، وآيات القرآن الكريم البليغه، والسهله فى نفس الوقت، رغبه قويه فى نفوس الكفّار

هذا مضافاً إلى أنّ المسلمين استطاعوا بعد عقد ذلك الميثاق السفر إلى مكّه وشتّى نقاط الجزيره بحجج مختلفه، والاتصال بذويهم وأقاربهم، والتحدّث معهم فى أمر الإسلام وتعاليمه المقدّسه المحبّبه، وقوانينه وآدابه الرائعه، وما جاء به من حلال و حرام.

وقد تسببت كلّ هذه الأمور فى أن يلتحق كثير من رؤوس الشرك والكفر كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص بالمسلمين، ويعتقوا ذلك الدين قبل فتح مكّه، وأن تساعد هذه المعرفه بحقائق الإسلام والاطّلاع على مزاياه وفضائله على تسهيل عمليه فتح مكّه، وانهيّار صرح الوثنيه فيها من دون أيه مقاومه من أهل مكّه، بحيث سيطر المسلمون عليها بسهولة وأقبلت أفواج الناس تدخل فى دين الله راغبه، كما ستعرف تفاصيل ذلك فى حوادث السنه الثامنه.

إنّ هذا الانتصار العظيم كان نتيجة الاتصالات التى أجراها المسلمون مع ذويهم وأصدقائهم فى مكّه خلال ترددهم المتكرّر بعد زوال الخوف والحصول على الحريه فى الدعوه بفضل صلح الحديبيه.

٣. أنّ الاتصال برؤوس الشرك أثناء عقد اتّفاقيه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديبيه، ساعد على إزاله كثير من العقد النفسيه التى كانوا يعانون منها تجاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنّ أخلاق النبى الرفيعه، وحلمه وصبره أمام تعنّت قاده المشركين وتصلّبهم وعتوهم، وسعيه الحثيث وحرصه الصادق على تحقيق السلام، أثبت لهم بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معدنّ نفيس من معادن الخلق الانسانى الكريم.

فبالرغم من أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قد أصيب على أيدي قريش بخسائر فادحه، وناله

منهم أذى كثير، إلّا أنّ فؤاده كان طافحاً بمشاعر اللطف، والحب والحنان على الناس.

لقد رأت قريش بأبم عينها كيف أتته صلى الله عليه وآله وسلم خالف في عقد ميثاق الصلح آراء جماعه من أصحابه، المعارضه لبعض بنود الاتفاقية رغبه منه في تحقيق السلام، وكيف آثر الحفاظ على حرمة المسجد الحرام، على هواه، ورغبته الشخصية.

إنّ هذا النوع من السلوك أبطل مفعول جميع الدعايات السيئه التي كانت تُروّج ضد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومواقفه وحُلقه، وأفكاره وأثبتت للجميع أنّه حقاً رجل سلام، وداعيه خير للبشرية، وأنّه حتّى لو سيطر على مقاليد الجزيره العربيه، لما عامل أعداءه إلّا بالاحسنى واللطف، لأنّه لم يكن مشكوكاً فيه بأنّه لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخوض حرباً ضد قريش في ذلك اليوم لغلبها وهزمها شر هزيمة كما يصرح بذلك القرآن الكريم أيضاً إذ يقول:

«وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» (١).

ومع ذلك أبدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسامحاً كبيراً، وأعلن عن عطفه، وحنانه للمجتمع العربى، وبذلك أبطل كلّ الدعايات التي كانت تُروّج ضده، وضدّ دعوته العظيمه المباركه.

من هنا نهتدى إلى مغزى ما قاله الإمام الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام عن أهميه هذا الصلح حيث قال:

«وما كان قضيه أعظم بركه منها» (٢).

إنّ الحوادث اللاحقه أثبتت أنّ اعتراض عدد ضئيل من صحابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ص: ٣٩٧

١- . الفتح: ٢٢.

٢- . بحار الأنوار: ٣٦٨/٢٠.

وفى مقدمتهم عمر بن الخطاب على هذا الصلح كان باطلاً ولا مبرر له.

وقد أدرج أرباب السير والتاريخ جميع هذه الاعتراضات، كما تنقل ردّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عليها، ويمكن للوقوف عليها مراجعه «السيره النبويه» لابن هشام، و«إمتاع الأسماع» وغيرهما (١). أنّ قيمه هذه المعاهده تتجلى من أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يصل إلى المدينة حتّى نزلت سورة الفتح التي وعدت المسلمين وبشّرتهم بالانتصار ويمكن اعتبار هذا العمل مقدمه لفتح مكّه كما يقول تعالى: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا» (٢).

### قريش تصرّ على إلغاء أحد بنود المعاهده

لم يمض زمان طويل حتّى أجبرت الحوادثُ الممرّه قريشاً على أن تبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يطلب منه إلغاء المادة الثانيه من معاهده صلح الحديبيه، وهى المادة التي أغضبت بعض صحابه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأثارت سخطهم، وقبل بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت إصرار من «سهيل» ممثّل قريش في مفاوضات الحديبيه.

تلك المادة التي تقول: على الحكومه الإسلاميه أن تعيد كلّ مسلم هارب من مكّه إلى حكومه مكّه، ولكن لا يجب على قريش أن تعيد كلّ هارب من المسلمين إلى مكّه، إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد أثارت هذه المادة - المجحفه في الظاهر - سخط البعض واعتراضهم، ولكنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبى جندل في وقته:

ص: ٣٩٨

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٧٨١/٣؛ إمتاع الأسماع: ٢٩١/١؛ المغازى: ٦٠٦/١؛ تاريخ الطبرى: ٢٨٠/٢.

٢- . لاحظ: بحار الأنوار: ٢٦٣/٢٠ نقلاً عن إعلام الورى، وزاد المعاد في هدى خير العباد: ١٢٦/٢.

«فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَ لِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَ مَخْرَجًا».

ثم إنَّ مسلماً آخر يدعى «أبوصير» كان قد حبسه المشركون ردحاً طويلاً من الزمن استطاع أن يفرّ من محبسه ويصل إلى المدينة، وقد وصلها سعياً على قدميه، فكتب شخصيتان من شخصيات قريش هما: «أزهر» و «الأخنس» كتاباً إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يطلبان منه إعادته إلى قريش ويذكّرانه بالمعاهدة وأرسلاه مع رجل من بنى عامر يرافقه غلامه، فدفع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم «أبا بصير» إلى الرجلين عملاً بالمعاهدة قائلاً:

«يَا أَبَاصِيرِ إِنَّا قَدْ أَعْطَيْنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مَا قَدْ عَلِمْتَ (أى من العهد) وَلَا يَصْلِحُ لَنَا فِي دِينِنَا الْغَدْرُ، وَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَ لِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَرَجًا وَ مَخْرَجًا» (١).

فقال أبوصير: يا رسول الله تردّنى إلى المشركين؟!

فقال له رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ثانية:

«إِنْطَلِقْ يَا أَبَاصِيرِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لَكَ مَخْرَجًا».

ثم دفعه إلى العامرى وصاحبه فخرج معهما باتجاه مكّه.

فلما كانوا بنى الحليفه (وهى قريه تبعد عن المدينه بسته أميال يحجّ منها بعض أهل المدينه) صلّى أبوصير ركعتين صلاه المسافر ثم مال إلى أصل جدار فاتكأ عليه، ووضع زاده الّذى كان يحمله وجعل يتغدى وقال لصاحبيه فى لهجه الصّيديق: ادنوا فكلوا؟ فأكلا- معه ثم آنسهم ثم قال للعامرى: يا أبا جابر أصارم سيفك هذا؟ قال: نعم. قال: ناولنيه انظر إليه إن شئت؟ فناوله العامرى سيفه وكان أقرب إلى

ص: ٣٩٩

السيف من أبي بصير، فجرد أبو بصير السيف وقتل به العامري في اللحظه، فهرب الغلامُ يعدو نحو المدينة خوفاً، وسبق أبا بصير إلى المدينة، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما جرى لسيدته العامري، فبينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في أصحابه والغلام عنده يقص عليه ما جرى إذ طلع أبو بصير، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد وقال: وَفَتِ ذِمَّتُكَ، وَأَدَى اللَّهُ عَنْكَ، وَقَدْ أَسْلَمْتَنِي بِيَدِ الْعَدُوِّ، وَقَدْ اِمْتَنَعْتُ بِدِينِي مِنْ أَنْ أُفْتَنَ.

ثم إنَّ أبا بصير بعد أن قال هذا الكلام خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغادر المدينة، ونزل ناحيه على ساحل البحر، على طريق قافله قريش إلى الشام، تسمى «العيص».

وعرف المسلمون الذين حُبسوا بمكة بهذا التطور، ففرّ منهم سبعون رجلاً، وانضمُّوا إلى أبي بصير وكانوا ممّن نالهم على يد قريش أشدُّ العذاب والعنت، فلا حياه ولا حريه لهم.

من هنا قرّروا أن يتعرّضوا لقافله قريش التجاريه ويغيروا عليها، أو يقتلوا كلَّ من وقعت يدهم عليه من قريش.

وقد لعبت هذه الجماعه دورها بصوره رائعه جداً بحيث أقلقت بال قريش، وسلبت منها الرقاد إلى درجه أنّهم كتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطلبون منه إلغاء هذه الماده (أى الماده الثانيه)، بموافقه الطرفين وقد أعلنوا موافقتهم على إلغائها، وإعاده أبا بصير وجماعته إلى المدينة والكف عن التعرّض لتجاره قريش.

فوافق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إلغاء تلك الماده، وطلب من المسلمين فى منطقه «العيص» القدوم إلى المدينة.

وبهذا توفّرت فرصه طيبه لجميع المسلمين، كما عرفت قريش أنّها لا



تستطيع سجن المؤمن، وحبسه فى القيد، وأن تقيده وحبسه أخطر بكثير من إطلاق سراحه، لأنه سيفرّ ذات يوم وهو يحمل روح الانتقام على سجانته. (١)

## النساء المسلمات لا يُسلمن إلى قريش

بعد أن تمّ الاتفاق والتوقيع على معاهده صلح الحديبيه هاجرت «أمّ كلثوم بنت عقبه بن أبى معيط» فى تلك المده، فخرج أخوها «عمار» و«الوليد» ابنا عقبه حتّى قدما على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسألانه أن يردّ أختهما عليهما بالعهد الذى بينه وبين قريش فى الحديبيه، فلم يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال لهما:

«إن الله نقض العهد فى النساء» (٢).

وقد نزل قوله تعالى يوضح حكم هذا الأمر:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا» (٣).

كانت هذه قصه «الحديبيه»، وقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ظلّ الهدوء والأمن اللذين تحقّقا بسبب معاهده الحديبيه أن يرأسل قاده العالم وزعماءه، وأن يبلغ نباّ دعوته إلى مسامع شعوبهم، وستقف على مفصل هذا القسم من تاريخ الإسلام المشرق فى الفصل القادم.

ص: ٤٠١

١- . لاحظ: المغازى: ٦٢٥/١-٦٢٩.

٢- . المغازى: ٦٣١/١.

٣- . الممتحنه: ١٠.

٤٤ النبى صلى الله عليه وآله وسلم يعلن عن رسالته العالميه

اشاره

لقد أراحت معاهدته الحديبيه بالرسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم من ناحيه الجنوب (أى مكه)، وقد آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولبى دعوته فى ظل الهدوء والأمن والاستقرار الحاصل بسبب هذا الصلح جماعه من زعماء العرب ورجالها البارزين.

واغتنم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الفرصه ففتح على ملوك العالم وزعماء القبائل، ورجال الدين المسيحي يومذاك باب المراسله، فكاتبهم ووجه إليهم رسائل كثيره عبر رسله وسفرائه، وقد عرض فيها عليهم رسالته ودعوته التى كانت يومذاك لا- تخرج عن صورته العقيدته البسيطه وكان فى مقدورها أن تضم تحت لواء التوحيد، وفى إطار التعاليم الأخلاقيه والإنسانيه كل البشرية.

وقد كانت هذه هى الخطوه الأولى التى خطاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ١٩ عاماً من الصراع مع قريش العاتيه.

ولو أن الأعداء الداخليين لم يشغلوه بالصراعات والحروب لاستطاع رسول الإسلام أن يقوم بتوجيه دعوته إلى شعوب العالم آنذاك قبل هذا الوقت، ولكن

الحمالات الظالمه والمضايقات الشديده التي قام بها العرب الوثنيون الجهله طوال ما يقرب من عقدين من عمر رساله اجبرت رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم على أن يصرف قسماً عظيماً من أوقاته الغاليه فى ترتيب شؤون الدفاع عن حياض الإسلام وكيان المسلمين.

إنّ الرسائل التي وجهها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأمراء والسلاطين، وإلى رؤساء القبائل، والشخصيات الدينيه والسياسيه البارزه داخل الجزيره العربيه وخارجها لدعوتهم إلى الإسلام تكشف عن طريقته فى الدعوه والتبليغ، والإرشاد والهدايه.

وبين أيدينا الآن نصوص ١٨٥(١) رساله وكتاب من مكاتيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورسائله التي دعا فيها من أرسلها إليهم، إلى الإسلام، أو كتبه التي تشكل معاهداته وموآثيقه صلى الله عليه وآله وسلم التي أعطاها أو عقدها مع الأطراف المختلفه وقد جمعها، وضبطها أرباب السير وكتاب التاريخ وهى تكشف برمتها عن أنّ أسلوب الإسلام فى الدعوه والتبليغ يعتمد على المنطق والبرهان، لا على السيف والقهر، وعلى الإقناع لا الإكراه.

فيوم اطمأنّ بال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمن جانب قريش وحلفائها، وجّه نداءه الالهى إلى مسامع البشره فى العالم وذلك عن طريق إرسال الرسائل، أو بعث

ص: ٤٠٣

---

١- . لقد اجتهد علماء الإسلام فى جمع وإحصاء رسائل النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وكتبه قدر المستطاع، وإنّ أكمل المصادر الحاضره من حيث الاستقصاء وسعه التتبع كتابان يتّسمان بأهميه كبرى فى هذا المجال وهما: أ. الوثائق السياسيه تأليف البروفيسور محمّد حميد الله حيدرآبادى، الأستاذ بجامعة باريس. ب. مكاتيب الرسول تأليف العلّامه المحقّق الشيخ على الأحمدي. والكتاب الأخير يمتاز بتحقيقات وتحليلات أدبيه، وتاريخيه وسياسيه إسلاميه فى غايه الأهميه.

المبلّغين والدعاه إلى شتى أنحاء العالم.

إنّ نُصوص هذه الرسائل، والإشارات الموجوده في خلالها، ونصائحه التي كان يوجّهها صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس، والتسامح الذي كان يبيده من نفسه خلال عقد الاتفاقيات وإبرام المعاهدات مع الأجانب، تشكّل برمتها شواهد قاطعه، ودامغه ضدّ نظريه المستشرقين الذين أرادوا مسح وجه الإسلام المشرق، بكيال الاتّهامات الباطله له، والزعم بأنّ تقدّم الإسلام وانتشاره كان بفعل القهر، وبقوه السيف، وتحت عامل الفرض والإجبار وإتّنا لنأمل أن نوفّق ذات يوم لدراسه وتقييم تلك الرسائل والكتب واستجلاء هذه النقاط المذكوره واستخراج خطوط السياسه النبويه ومعالم الدعوه المحمديه، من ثنايا تلكم الرسائل والكتب التاريخيه الخالده لنستطيع من خلال هذا العمل بيان أسلوب الإسلام في نشر دينه في شتى نقاط العالم.

### الرساله المحمديه كانت عالميه

ينظر بعض الجهله إلى مسأله عالميه الرساله المحمديه بنظر الشك والترديد، وهم يتبعون في مثل هذه النظره الجاهله ما يروّجه بعض الكتاب العملاء، وفي مقدّمه هؤلاء المغرضين مستشرق معاد للإسلام هو «السير ويليم موير» الذي يقول:

إنّ موضوع عالميه الرساله المحمديه قد ظهر وتبلور في ما بعد، وأنّ محمّداً اقتصر في دعوته من بدء رسالته إلى لحظه وفاته على العرب، ولم يكن «محمّد» يعرف أى مكان غير الجزيره العربيه.

ولقد أتبع هذا المستشرق نهج أسلافه الإنجليز، وحاول التعتيم على الحقيقه في مقابله الآيات الكثيره التي تشهد - بجلاء - بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو البشر عامّه إلى التوحيد والاعتقاد برسالته وقال: إنّ محمّداً كان يقتصر في دعوته على

ونحن هنا ندرج بعض الآيات التي تشهد بأن رساله الإسلام وأن الدعوه المحمديه كانت منذ بدايه ظهورها دعوه عالميه، ويمكن مراجعه كتب التفسير والعقائد للوقوف على المزيد من التوضيح في هذا المجال.

### آيات تدل على عالميه الرساله المحمديه

١. «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا» (٢).

٢. «وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» (٣).

٣. «لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا» (٤).

٤. «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» (٥).

والآن نسأل هذا الكاتب الإنجليزي: كيف تقول - مع هذه الدعوه العالميه -

ص: ٤٠٥

١- . هاهنا مسألتان يجب التمييز بينهما: أ. عالميه الرساله المحمديه. ب. خاتميه الرساله المحمديه. وفي الأولى تعالج مسأله عالميه رساله النبي محمّد وعدم عالميتها، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم هل كان مبعوثاً لخصوص سكان الجزيره العربيه أم لعموم البشر، وللناس كافه؛ في حين أنّ المحور في المسأله الثانيه هو أنه صلى الله عليه وآله وسلم هل هو آخر نبي أو لا؟ على أنه يمكن أن يقول البعض: إنّ دينه كان عالمياً إلا أنّ نبوته لم تكن خاتمه النبوات؛ بل سيأتي بعده نبي آخر وشريعته اخرى. من هنا لابد من البحث في النبوه الخاصه حول كلا المسألتين بصوره مستقله، وقد بحثنا المسألتين في الجزء الثالث من مفاهيم القرآن بصوره موسّعه.

٢- . سبأ: ٢٨.

٣- . القلم: ٥٢.

٤- . يس: ٧٠.

٥- . التوبه: ٣٣.

أن موضوع عالميه الرساله الإسلاميه قد ظهر وتبلور فيما بعد.

فهوّل مع وجود هذه الآيات ونظائرها ومع وجود سفراء رسول الله ومبعوثيه إلى المناطق النائية، والبلاد البعيده، وإلى نصوص الرسائل التي بقيت مسجله في صفحات التاريخ عن رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم وخاصه مابقى منها محفوظاً بعينه إلى الآن في المتاحف العالميه الكبرى يبقى مجال لأن يشكّ أحد في عالميه رسالته؟

والعجيب أن الكاتب المذكور يكتب بكل وقاحه قائلاً: إن محمّداً لم يكن يعرف غير الحجاز، في حين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سافر يوم كان في ربيعه السادس عشر مع عمّه أبي طالب إلى الشام، كما سافر إلى الشام في تجاره خديجه في سنّ الخامسة والعشرين، مع قافله قريش التجاربه.

حقاً إنّ من العجب العجاب أننا كلّما قرأنا في التاريخ أن شاباً يونانياً (هو الاسكندر المقدوني) كان يريد أن يسيطر على العالم، أو نسمع أن (نابليون بونابرت) كان يفكر في أن يكون امبراطور العالم الوحيد، لم يبعثنا كل ذلك على الاستغراب والدهشه، ولكن كلما يسمع فريق من المستشرقين بأن قائد المسلمين الأعلى وجه دعوه الإسلام - وبأمر الله - إلى زعماء عصره العالميين الذين كان بينهم وبين قومه علاقات تجاربه عريقه، أنكروا ذلك وبوقاحه، واعتبروه أمراً محالاً.

### رُسل الإسلام إلى المناطق النائية

طرح رسول الإسلام قضيه دعوه الملوك والأمراء إلى الإسلام على شورى كبيره من أصحابه كغيرها من المسائل المهمه فقال:

«أيها الناس إنّ الله قد بعثنى رحمه وكافه فلا تختلفوا عليّ كما اختلف

فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال:

«دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضى وسلم، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتناقل»<sup>(١)</sup>.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اختار ستة أشخاص من خيره أصحابه وكتب معهم كتاباً إلى الملوك تضمنت دعوته العالمية، وبعثهم إلى مختلف نقاط الأرض.

وهكذا توجه سفراء الهداية ورسول الدعوة المحمّديه في يوم واحد إلى إيران، والروم، والحبشه، ومصر، واليمامه، والبحرين، والحيره، و (الأردن) وسوف نقرأ معاً مفصّل ما احتوته رسائله صلى الله عليه وآله وسلم<sup>(٢)</sup>.

وعندما فرغ من كتابه الرسائل المذكوره قال بعض ذوى الاطلاع والعلم بأحوال بلاطات الملوك آنذاك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله: إن الملوك لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً، فأتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ خاتماً من فضه، فصه منه، نقشه ثلاثه أسطر: محمّد رسول الله، فى الأعلى لفظه الجلاله وتليه كلمه رسول ثم يليه اسمه الشريف، وختم به الكتب.

ولم يكتف بهذا بل ختم تلك الرسائل بالشمع أو الطين إمعاناً فى السريه، والحفاظ عليها من التزوير<sup>(٣)</sup>.

ص: ٤٠٧

١- . السيره النبويه لابن هشام: ١٠٢٥/٤.

٢- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ١٠٢٥/٤-١٠٢٦؛ الطبقات الكبرى: ٢٥٨/١؛ السيره الحلبيه: ٢٨٣/٣؛ بحار الأنوار: ٣٨٢/٢٠.

٣- . لاحظ: السيره الحلبيه: ٢٨١/٣.

كانت الامبراطوريتان (الروميه والفارسيه) تققسمان آنذاك قياده العالم، وكانت الحروب قائمه بين ذينك المعسكرين على قدم وساق، ومنذ زمن بعيد.

فلقد بدأ الصراع على النفوذ بين إيران والروم منذ عهد الهخامنشيين، واستمرّ حتى عصر الساسانيين ملوك ايران.

فكان الشرق تحت النفوذ الإيراني، كما كانت العراق واليمن وشيء من آسيا الصغرى تعدّ من توابع الامبراطوريه الإيرانيه ومستعمراتها.

وأما الامبراطوريه الروميه فقد كانت منقسمه يومذاك إلى معسكرين شرقي وغربي، لأنّ «تتودوز الكبير» امبراطور الروم قسّم بلاده في سنه (٣٩٥) ميلاديه بين ولديه، ومن هنا ظهرت الروم الشرقيه والروم الغربيه.

وقد انقرضت الروم الغربيه على أيدي متوحّشى وبرايره شمال أوروبا، ولكن الروم الشرقيه التي كان مركزها يومذاك «القسطنطينيه» وكانت تسيطر على الشام ومصر، فكانت تسيطر أبان ظهور الإسلام على قدر كبير من مقاليد السياسه العالميه إلى أن فتحت القسطنطينيه عام (١٤٥٣ م) على يد السلطان محمّد الثاني «محمّد الفاتح»، وبذلك غربت شمس دوله الروم الشرقيه، واضمحلّت نهائياً. وقد كانت أرض الحجاز محاصره بين هذين القطبين ومحاطه بهاتين القوتين العظيمتين، ولكن حيث إنّ أراضي الحجاز لم تكن أراض خصبه، وكان أهلها في الأغلب من الرّحل المتفرّقين في البراري والقفار، لذلك لم تُبد كلتا الامبراطوريتين رغبتهما في الاستيلاء على تلك الأراضي، فقد كان الفساد والظلم، والحروب التي اتّسمت بها طبيعه وحياه تينك الدولتين تمنعهما من الاطلاع على أي تغيير اجتماعي أو تحوّل سياسي يقع في هذه المنطقه من العالم.



فهم لم يكونوا يتصوّرون قط أن يتمكّن شعبٌ - كان بعيداً عن روح الحضاره والمدنيه - من وضع نهايه لإمبراطوريتهم، بفضل ما أتوا من إيمان، وإناره النقاط - التي كانت ترزح في ظلام جور السلطات الروميه وظلمها - بنور الإسلام المشرق، ولو كانوا يعرفون شيئاً عن هذه النهضه المشرقه وهذا الانفجار المعنوي العظيم في بدء حدوثه لقضوا عليه في أوّل الأمر، ولم يتركوه يمتد إلى ملكهم، ويقلب كل شيء رأساً على عقب.

### رسول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أرض الروم

كان قيصر الرّوم قد عاهدَ الله إذا غلب الفرس أن يسير إلى بيت المقدس من عاصمته: «القسطنطينيه» مشياً على قدميه للزياره، شكراً لله، وقد وفي بنذره هذا بعد انتصاره على إيران.

فكُلِّفَ «دحيه الكلبي» بإيصال كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى قيصر، وكان دحيه قد سافر مراراً إلى الشام، وكان عارفاً بمناطقها وعاداتها معرفه كامله، وكان إلى ذلك جميل الصوره حسن السيره، ولهذا كان جديراً بتحمّل هذه المسؤوليه الخطيره لائقاً لها.

وقد توجّه إلى «القسطنطينيه» رأساً بعد أن كلفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإيصال كتابه إلى قيصر، ولكنّه ما أن وصل إلى بصرى (من مدن الشام) إلما وبلغه أنّ قيصرًا قد فارقه قاصداً بيت المقدس ولهذا بادر إلى الاتّصال بحاكم بصرى (1): «الحارث بن أبي شمر» وأخبره بالمهمّه الخطيره التي جاء من أجلها.

ص: ٤٠٩

---

١- . كانت بصرى مركز محافظه حوران التي كانت تعدّ من مستعمرات قيصر. وكان الحارث بن أبي شمر - بصوره عامّه - وجميع ملوك بني غسان، من ولاء قيصر على تلك المناطق.

يقول مؤلفُ الطبقات الكبرى: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر يدعو إلى الإسلام وكتب معه كتاباً، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر، (ولعلَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرف بمغادره قيصر لعاصمه ملكه، أو لعلَّ ذلك الأمر كان مراعاةً لإمكانات دحية المحدودة، وكون السفر إلى القسطنطينية كان يتطلب جهداً كبيراً أو لا يخلو من محاذير).

فدفعه عظيم بصرى إليه وهو يومئذٍ بحمص. (١) ولما انتهى دحية إلى الحارث بن أبي شمر (عظيم بصرى) أرسل معه عدى بن حاتم ليوصله إلى قيصر فذهب به، فقال قومه لدحية: إذا رأيت الملك فاسجد له، ثم لا ترفع رأسك حتى يأذن لك.

قال دحية: لا أفعل هذا أبداً، ولا أسجد لغير الله! (أى إننى قد جئت لتحطيم هذه السنن الجاهلية المقيته فكيف أخضع لها، إنما جئتكم من قبل نبي لأبلغ ملككم بأن عهد عباده البشر قد انقضى وانتهى، وأنه لا يحقَّ السجود إلا لله وحده، فكيف يمكننى ذلك وأنا أحمل هذه الرسالة التوحيدية إليكم؟! قالوا:

إذن لا يؤخذ كتابك، فقال له رجل منهم: أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك، ولا تسجد له، فقال دحية: وما هو؟ فقال: إنَّ له على كل عتبه منبراً يجلس عليه فضع صحيفتك تجاه المنبر فإنَّ أحداً لا يحركها حتى يأخذها هو، ثم يدعو صاحبها، ففعل. (٢) فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب فدعا الترجمان الذى يقرأ بالعربية فإذا فيه:

ص: ٤١٠

١- . الطبقات الكبرى: ٢٥٩/١.

٢- . السير الحلبيه: ٢٨٤/٣.

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ سَلامًا عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلَمَ تَسْلَمَ، وَأَسْلَمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ. وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ (١)، وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ». (٢)

### قيصر يحقّق حول النبي صلى الله عليه وآله وسلم

احتمل حاكم الروم اللبيب أن يكون كاتب هذه الرسالة هو: «أحمد الموعود» الذي بشر به الإنجيل والتوراه، ولهذا قرّر أن يحقّق حول شخصيته، ويتعرّف على خصوصيات حياته، الدقيقة.

فبعث أحداً إلى الشام فوراً ليأتي له بقريب لمحمّد، أو من يعرف شيئاً عنه.

حتى يسأله عن شخصيه رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم فاتفق أن كان أبوسفيان بن حرب يومذاك بالشام للتجاره فى ركب من قريش، فأخذهم صاحب شرطه «قيصر» إلى بيت المقدس، فأدخلهم على «قيصر» فى مجلسه وحوله عظماء الروم.

فقال قيصر: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبي؟

ص: ٤١١

١- . بين العلماء فى تفسير هذه اللفظه خلاف، فيقول ابن الأثير: قيل هم الخدم والخول، وقال بعض: هم الأكارون (أى الفلاحون) لأن أكثر الناس يومذاك كانوا من الفلاحين، وهم أطوع الناس للحاكم. ويؤيد الرأى الأخير أنه جاء فى بعض النسخ (الكامل: ٢١٣/٢) كلمه الأكارين بدل الأريسيين، والأكار هو المزارع، واحتمل البعض أن يكون الأريسيون طائفه كانت تعيش فى الروم.

٢- . تاريخ الإسلام للذهبي: ٥٠٥/٢؛ البدايه والنهايه: ٣٠٢/٤.

فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسباً.

فقال قيصر: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائلٌ هذا عن هذا الرجل، فإن كذّبنى فكذّبوه. (١)

ثم طرح قيصر على أبي سفيان الأسئلة التاليه:

قال أبو سفيان: ثمّ كان أوّل ما سألتني عنه أنّه قال:

١. كيف نسبه فيكم؟

قلت: هو فينا ذو نسب.

٢. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قبله قط؟

قلت: لا.

٣. قال: فهل كان في آباءه من ملك؟

قلت: لا.

٤. قال: فأشرفُ الناس اتّبعوه أمّ ضعفاؤهم؟

قلت: بل ضعفاؤهم.

٥. قال: أيزيدون أمّ ينقصون؟

قلت: بل يزيدون.

٦. قال: فهل يرتدّ منهم أحد سُخطه لدينه بعد أن يدخل فيه؟

قلت: لا.

٧. قال: فهل كنتم تتّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

ص: ٤١٢

قلت: لا.

٨. قال: فهل يغدر؟

قلت: لا.

٩. قال: فهل قاتلتموه؟

قلت: نعم.

١٠. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟

قلت: الحربُ بيننا وبينه سجال، ينالُ منا وننالُ منه.

١١. قال: ماذا يأمركم؟

قلت: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشرکوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاه والصدقه والعفاف والصله....

فقال قيصر للترجمان قل لأبي سفيان ومن معه:... فإن كان ما تقول حقاً فسيملكُ موضعَ قدمي هاتين فهذه صفه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أنني أعلمُ أنني أخلصُ إليه لتجشمتُ لقاءه، ولو كنتُ عنده لغسلتُ قدميه!!<sup>(١)</sup>

فاعترض ابن أخي قيصر على كتاب رسول الله وأظهر الغيظ الشديد وقال لعمه: قد ابتدأ بنفسه وسماك صاحب الروم ألق به، يعني الكتاب.

فقال قيصر: والله إنك لضعيف الرأي. أترى أرمى بكتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر، وهو أحقُّ أن يبدأ بنفسه، ولقد صدق أنا صاحب الروم، والله

ص: ٤١٣

---

١- . بحار الأنوار: ٣٨٤/٢٠-٣٨٦؛ البدايه والنهايه: ٣٠١/٤-٣٠٢.

قال أبو سفيان: فلمّا قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصواتُ وأُخرجنا، فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أمر أمرُ ابن أبي كبشه، أنّه يخافه ملك بني الأصفر. (٢)

وروي أيضاً أنّ أباسفيان قال: لمّا سألتني قيصر عن رسول الله جعلتُ أزهيدُ له شأنه، وأصغرُ له أمره وأقول له: أيها الملك، ما يهّمك من أمره، إنّ شأنه دون ما يبلغك، وجعل قيصر لا يلتفت إلى ذلك، ثم قال: أنبئني عمّا أسألك من شأنه (٣).

### أثر رساله النبي إلى قيصر

لم يكتف قيصر بالمعلومات التي حصلها من أبي سفيان حول رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم بل كتب إلى أحد علماء الروم وأساقفتهم يسألهم عن هذا الأمر.

فأجابه ذلك الأسقف: هذا النبي الذي كنّا ننتظره، بشرنا به عيسى بن مريم.

فعمد قيصر إلى خطّه ليجسّ بها نبض قومه، ويختبرهم ويعرف ما إذا كانوا يرضون بإسلامه أو لا؟ فجمع عظماءهم في صومعه له بحمص فقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت لكم ملككم وتتبعون ما قال عيسى ابن مريم؟

فقلت الروم: وما ذاك أيها الملك؟

قال: تتبعون هذا النبي العربي.

ص: ٤١٤

١- . السيره الحلبيه: ٢٨٨/٣-٢٨٩.

٢- . بحار الأنوار: ٣٨٦/٢٠؛ البدايه والنهائيه: ٣٠٢/٤.

٣- . تاريخ الطبري: ٢٩٠/٢.

فثاروا في وجهه، ورفعوا الصليب، فلما رأى منهم ذلك يئس من إسلامهم وخافهم على نفسه وملكه، فسكنهم، ثم قال: إنما قلت لكم ما قلت اختباركم لأنظر كيف صلابتكم في دينكم، فقد رأيت منكم الذي أحب. فسكنوا ورضوا عنه. ثم أمر بإكرام دحيه، وكتب جواباً على رساله النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأرسله مع دحيه وأرسل بهديه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم (١).

### سفير النبي في البلاط الإيراني

يوم توجه سفير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكتابه إلى البلاط الإيراني كان الملك الذي يحكم هذه الأرض الواسعة هو «خسرو پرويز» ثاني ملك بعد أنوشيروان، الذي جلس على العرش الملكي الإيراني مدة ٣٢ عاماً قبل الهجره النبويه المباركه. وقد واجهت حكومه هذا الملك خلال مده سلطانه أنواعاً عديده من الحوادث المرّه والحلوه، وكانت مكانه ايران في عهده تعاني من الاضطراب، وعدم الاستقرار بشكل ملحوظ.

وقد امتدّ النفوذ الإيراني ذات يوم حتى شمل آسيا الصغرى، وامتدّ إلى مشارف القسطنطينيه، وأتى بصليب عيسى الذي كان أقدس شيء عند النصارى إلى طيسفون (المدائن)، فطلب سلطان الروم الصلح وبعث سفيراً من قبله إلى البلاط الإيراني لعقد معاهده الصلح.

بيد أنّ سوء تدبير الملوك في تلك الدوله العظمى، وانغماسهم في اللذّه والمجون أكثر من المتعارف، تسبب في أن تصبح إيران على حافه السقوط والانهيّار في أواخر العهد الساساني، فقد خرجت المستعمرات من تحت النفوذ

ص: ٤١٥

١- . لاحظ: الطبقات الكبرى: ٢٥٩/١؛ الكامل في التاريخ: ٢١١/٢؛ بحار الأنوار: ٣٧٩/٢٠.

الإيراني الواحد تلو الأخرى، واجتاح العدو الرومى الأراضى الإيرانية إلى الأعماق، ووصل الأمر بخسرو پرويز امپراطور إيران إلى أن يهرب من وجه الروم الغزاه، وقد أثار هذا الهروب الخانع وهذه الهزيمة المنكره سخط الشعب يومذاك، فقتل بيد ابنه «شبرويه».

ويُعزى محللو التاريخ القديم تخلف إيران وضياع قوتها إلى غرور قادتها وحكامها وميلهم إلى البذخ والترف، وهناء العيش ورغد الحياه، والزينه واللذنه. ولو كان ذلك الملك يتلقى رساله السلام التى عرضها الإسلام بالصوره اللائقه لبقيت عظمه إيران على حالها فى ظل هذا السلام دون أن يصيبها ما أصابها.

ولو أن رساله رسول الإسلام لم تترك أثراً حسناً فى نفس «خسرو پرويز» يومذاك، فإن ذلك لم يكن لتقصير أو عيب فى تلك الرساله أو فى سلوك حاملها إلى البلاط الإيراني، بل كان لنفسيه ذلك الحاكم المغرور، المنحرفه، وأنانيته الطاغيه، التى لم تسمح له بالتفكير بعض اللحظات فى كتاب رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم كما فعل «قيصر»، أو غيره. بل لم يمهل المترجم حتى ينتهى من قراءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إنما صاح به فى تلك الأثناء، وأخذ منه رساله النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومزقها بوقاحه بالغه، وأسلوب بالغ فى الجفاف، وسوء الادب.

وإليك تفصيل الحادث:

فى مطلع السنه الهجرية السابعه بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحد فرسانه الشجعان وهو «عبدالله بن حذافه السهمى»، إلى إيران وكتب معه كتاباً إلى «خسرو پرويز» ملك إيران يومذاك يدعو فيه إلى الإسلام وأمره أن يدفع الكتاب إلى كسرى نفسه وإليك نص هذه الرساله:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس.



سلامٌ على من اتّبع الهدى وآمن بالله ورسوله، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله. أدعوك بدعايه الله، فإنّي أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً، ويحقّ القول على الكافرين أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس».

إنّ كسرى لمّا أعلم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأذن بحامل الكتاب أن يدخل عليه، فلمّا وصل أمر كسرى أن يقبض منه الكتاب، فقال (عبدالله بن حذافه): لا- حتّى أدفعه اليك كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال كسرى: أدنه، فدنا فناولته الكتاب، فدعا من يقرؤه، فقرأ، فإذا فيه: من محمّد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس فأغضبه حين بدأ رسول الله بنفسه، وصاح، ومزّق الكتاب، قبل أن يعلم ما فيه وأمر بإخراج حامل ذلك الكتاب، فلمّا رأى ذلك قعد على راحلته وسار، فلمّا ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث فطلب حامل الكتاب فلم يجده، فلمّا وصل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره الخبر، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: مزّق كسرى ملكه(1).

### نظريه اليعقوبى

ويختلف ابن واضح الأخبارى المعروف باليعقوبى فى تاريخه - مع عامّه المؤرّخين - : قرأ كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم كتب كتاباً إليه جعله بين سرقتي حرير وجعل فيهما مسكاً، فلمّا دفعه الرسول إلى النبي فتحه فأخذ قبضه من المسك فشتمّه، وناوله أصحابه، وقال: لا حاجه لنا فى هذا الحرير، ليس من لباسنا، وقال: لتدخلنّ فى أمرى أولآتينك بنفسى ومن معى، وأمر الله أسرع من ذلك.(2)

ص: ٤١٧

١- . السيره الحلبيه: ٢٩١/٣.

٢- . تاريخ اليعقوبى: ٧٧/٢، دار صادر، بيروت.

ولكن هذا رأى ينفرد به اليعقوبى ولا يوافقه عليه أحدٌ من أرباب السّير إلّا أحمد بن حنبل الذى يقول: أهدي كسرى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقبل منه(١).

### أوامر «خسرو» إلى واليه على اليمن

تقع أرض اليمن الخصبه فى جنوب مكّه، وكان ملوكها وحكامها ولاء منصوبين من قبل البلاط الإيرانى بأجمعهم، وكان الذى يحكم اليمن يوم مراسله النبى لقاده العالم وملوكه رجلٌ يُدعى «باذان» فكتب طاغيه إيران المغرور «خسرو» بعد أن مرّق رساله النبى إلى عامله باليمن (باذان):

بلغنى أنّ فى أرضك رجلاً يتبأ فاستتبه، فإن تاب وإلّا فابعث به إلىّ.

فبعث «باذان» رجلين من فرسانه يُدعى أحدهما: «فيروز» والآخر «خرخسره» وكتب معهما كتاباً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمره فيه أن ينصرف معهما إلى كسرى، أو أن يجبراه على الرجوع إلى دين آبائه وان أبى قتلوه وأرسلوا برأسه إلى الملك، حسب روايه ابن حجر فى الإصابه.

إنّ رساله كسرى إلى «باذان» تكشف عن جهل هذا الحاكم، وعدم معرفته بما كان يجرى فى بلاده ومستعمراته، فقد بلغ من جهله أنّه لم يكن يعلم أنّ هذا الرجل الذى يدعى النبوه(٢) قد مضى على ادّعائه النبوه أكثر من ١٩ عاماً.

ثم إنّ الذى ادّعى النبوه فى منطقته نائيه، وانتشر دينه، وأصبح من القوه والشوكه بحيث يجرأ على مراسله الامبراطور، ودعوته إلى دينه لا يمكن أخذه وإحضاره إلى اليمن بواسطه رجلين. وأنّ الأمر - بالتالى - لن يتم بمثل هذه السهوله،

ص: ٤١٨

١- . مسند احمد بن حنبل: ٩٦/١.

٢- . حسب تعبير كسرى.

والبساطه، التي تصوورها.

وعلى كل حال لما قدم مبعوثا «باذان» المدينة ودخلا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدما رساله «باذان» إليه صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا: لقد بعثنا «باذان» إليك لتتلق معنا، فإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك، ويكف عنك به، وإن أبيت فهو من قد علمت، فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك.

وكانا قد دخلا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد حلقا لحاهما وأطلقا شواربهما، فاستمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى كلامهما، وقبل أن يجيب على مطلبهما دعاهما إلى الإسلام وقد كره النظر إليهم لما كانا عليه من الهيئه فقال لهما: من أمركما بهذا؟! قالوا: أمرنا بهذا ربنا (يعنيان كسرى). فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَكِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي بِإِعْفَاءِ لِحَيَّتِي وَقَصَّ شَارِبِي»<sup>(١)</sup>.

فأرعبتهما، هيبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجلال محضره، بحيث أخذوا يرتجفان عندما عرض رسول الله الإسلام عليهما.

ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِرْجِعَا حَتَّى تَأْتِيَانِي غَدًا».

وفي هذه الأثناء أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخبر من السماء أن الله عز وجل قد سلط على كسرى ابنه شيرويه، فقتله في شهر كذا وكذا، لكذا وكذا من الليل.

فلما حضر الرجلان (مبعوثا باذان) عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غد قال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّ رَبِّي قَدْ قَتَلَ رَبُّكُمَا لَيْلَةَ كَذَا وَكَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا وَكَذَا. بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ

ص: ٤١٩

١- . لاحظ: تاريخ الطبري: ٢/٢٩٦؛ بحار الأنوار: ٢٠/٣٩٠.

كذا وكذا سلط عليه شيويه فقتله».

وكانت الليله التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي ليله الثلاثاء العاشر من شهر جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة.

فاستغرب الرجلان لخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا: هل تدري ما تقول؟ إننا قد نقمنا منك ما هو أيسر من هذا. فنكتب بها عنك ونخبر الملك (أى باذان).

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«نعم أخبراهُ ذلك عني وقولا له: إن ديني وسُلطاني سيبُلغ ما بلغ ملك كسرى، وينتهي إلى منتهى الخُفِّ والحافر، وقولا له: إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملكتك على قومك».

ثم أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لخرخره منطقه (أى حزاماً) فيها ذهب وفضه كان أهداها له بعض الملوك، فخرجا من عنده حتى قدما على باذان باليمن وأخبراه الخبر.

فقال باذان: والله ما هذا بكلام ملك وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول، ولننظر ما قد قال، فلئن كان ما قد قال حقاً فإنه لا ريب نبئ مرسل، وإن لم يكن فسرى فيه رأينا.

فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيويه: أما بعد فإني قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضباً لفارس، لما كان استحل من قتل أشرافهم، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانظر الرجل المذى كان كسرى كتب إليك فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمرى فيه.

وقد تسبب كتاب «شيويه» هذا في أن يعتنق «باذان» الإسلام هو وجميع رجال دولته وكانوا من الفرس، وكتب إلى رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم يخبره بإسلامه

## سفير النبي في أرض مصر

تعتبر «مصر» مهد الحضارات والمدن العريقة، ومركز سلطان الفراعنة، وموضع سيادة الأقباط.

ويوم أشرقت شمس الإسلام على أرض الحجاز كانت «مصر» قد فقدت استقلالها، وقوتها، وكان المقوقس قد فُوض إليه حكم «مصر» من قبل قيصر الروم لقاء ١٩ مليون دينار يدفعها إلى قيصر.

وكان «حاطب بن أبي بلتعه» - وكان فارساً بارعاً وله قصه في تاريخ الإسلام سيأتي ذكرها في حوادث السنه الثامنه - أحد الستة الذين كلفوا بإبلاغ كتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الملوك والرؤساء يومذاك وقد أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإيصال كتابه إلى المقوقس حاكم «مصر».

وإليك نص كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المقوقس:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى.

أمّا بعد فإنّي أدعوك بدعايه الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط - أي الذين هم رعاياك - «يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمه سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» (٢). (٣) وختم

ص: ٤٢١

١- . لاحظ: تاريخ الطبري: ٢/٢٩٦-٢٩٧؛ بحار الأنوار: ٢٠/٣٩٠-٣٩١.

٢- . آل عمران: ٦٤.

٣- . السيره الحلبيه: ٣/٢٩٥-٢٩٦؛ أعيان الشيعة: ١/٢٤٤.

الكتاب. وجاء به حاطب حتى دخل على المقوقس بالاسكندريه، أى بعد أن ذهب إلى مصر فلم يجده فذهب إلى الإسكندريه فأخبر أنه فى مجلس مشرف على البحر، فركب حاطب سفينه وحاذى مجلسه، وأشار بالكتاب إليه، فلما رآه أمر بإحضاره بين يديه، فلما جىء به نظر إلى الكتاب وفضّه وقرأه وقال لحاطب: ما منعه إن كان نبيّاً أن يدعو على من خالفه (أى من قومه) وأخرجوه من بلده إلى غيرها أن يسلط عليهم.

فقال حاطب (وكان حكيماً فهيماً): ألسنت تشهد أن عيسى ابن مريم رسول الله؟ فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى حتى رفعه الله إليه؟

(فأعجب المقوقس - العذى لم يكن يتوقّع أن يجابه بهذا المنطق القوى المفحم - برد حاطب) وقال: أحسنت، أنت حكيم جاء من عند حكيم.

ثم قال له حاطب: إنّه كان قبلك رجل يزعم أنّه الربُّ الأعلى (يعنى فرعون) «فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَ الأُولَى» (١)، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر غيرك بك، إنّ هذا النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشاره موسى بعيسى عليهما الصلاه والسلام إلّا كبشاره عيسى بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلّا كدعائك أهل التوراه إلى الإنجيل، وكلُّ نبى أدرك قوماً فهم أمته، فالحقُّ عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدرك هذا النبىّ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح عليه السلام ولكننا نأمرك به. (٢)

وهو يقصد بكلامه الأخير أن الإسلام هو الصوره الأكمل لدين المسيح.

ص: ٤٢٢

١- . النازعات: ٢٥.

٢- . السيره الحلبيه: ٢٩٥/٣-٢٩٦. ولاحظ: أعيان الشيعة: ١/٢٤٤.

انتهى الحوار بين حاطب سفير النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمقوقس حاكم مصر، إلّا أنّ المقوقس لم يعطه جواباً قاطعاً فى ذلك المجلس، وقال: سأنظر، وأخذ كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعله فى حقّ عاج وختم عليه ودفعه إلى جاريه له. فكان على حاطب أن يلبث فى مصر مده حتّى يتلقّى جواب كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١).

ثم طلب المقوقس حاطباً ذات يوم وانفرد به فى قصره، وقال: أسألك عن ثلاث؟ فقال: لا تسألنى عن شىء إلّا صدقتك. قال: إلى م يدعو محمد؟ فقال له حاطب: إلى أن نعبد الله وحده، ويأمر بالصلاه، خمس صلوات فى اليوم والليلة، ويأمر بصيام رمضان، وحج البيت، والوفاء بالعهد، وينهى عن أكل الميتة والدم....

فقال له المقوقس: صفه لى.

قال حاطب: فوصفتُ فأوجزتُ.

فقال المقوقس: قد بقيت أشياء لم تذكرها...، وكنت أعلم أن نبياً قد بقى، ولكننى كنتُ أظن أن مخرجهُ بالشام فهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله، فأراه قد خرج فى أرض العرب، فى أرض جهد وبؤس، والقبط لا- تطاوعنى فى أتباعه، وسيظهر على البلاد، وينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه، حتّى يظهروا على ما هاهنا.

(ثم طلب المقوقس من حاطب أن يكتم أمر هذا الحوار الذى دار بينه وبين حاطب عن قومه قائلاً: وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفاً واحداً، ولا أحب أن يعلم بمحادثتى (أو بمحاورتى) إياك (٢).

ص: ٤٢٣

١- . لاحظ: السيره الحلبيه: ٢٩٦/٣.

٢- . الإصابه: ٢٩٦/٦.

ثم إنه أكرم حاطباً مدة اقامته بمصر إكراماً بالغاً، وأحسن قراه، وضيافته.

### المقوقس يكتب كتاباً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ثم إن حاكم «مصر» المقوقس دعا كاتبه العربى، وأمره أن يكتب كتاباً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أمياً بعد فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً قد بقى، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبثياب، وأهديت إليك بغله لتركبها والسلام عليك(1).

إن الاحترام الذى أبداه «المقوقس» فى رسالته المذكوره، وتقديم اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على اسمه وكذا هداياه التى بعثها إلى رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم وتكريم سفير النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلها تحكى عن أن المقوقس قبل دعوه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى سره ولكن حبه فى البقاء فى السلطه منعه من التظاهر بإيمانه وإسلامه، ومن الإنقياد العملى والعلنى للإسلام.

خرج «حاطب» من مصر بصحبه جماعه من الحرس وهو يحمل الهدايا التى بعثها المقوقس ولما وصل إلى الشام أذن للحرس بالانصراف ثم واصل هو سفره ضمن قافله إلى المدينه، ولما قدم المدينه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلم إليه كتاب المقوقس وهداياه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

ص: ٤٢٤



«صَنَّ الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه»(١).

### المغيره بن شعبه في البلاط المصري

توجّه المغيره بن شعبه العذى كان معروفاً بحكمه وعقله ودهائه، والعذى أصبح فى ما بعد من رجال السياسه العرب ودهاتها المعروفين.

توجّه فى جمع من قبيله ثقيف إلى البلاط المصرى، فسألهم كبير المصريين (المقوقس):

كيف خلصتم إلىّ، ومحمّد وأصحابه بينى وبينكم؟

قالوا: لصقنا بالبحر.

قال: فكيف صنعتم فيما دعاكم إليه؟

قالوا: ما تبعه منّا رجلٌ واحد.

قال: فكيف صنع قومّه؟

قالوا: تبعه أحدائهم، وقد لاقاه من خالفه فى مواطن كثيره.

قال: فإلى ماذا يدعو؟

قالوا: إلى أن نعبدا الله وحده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا، ويدعو إلى الصلاه، والزكاه، ويأمر بصله الرحم، ووفاء العهد، وتحريم الزنا، والربا، والخمر.

فقاطعهم المقوقس قائلاً: هذا نبى مرسلٌ إلى الناس كافّه، ولو أصاب القبط، والروم لا تبعوه، وقد أمرهم بذلك عيسى، وهذا الذى تصفون منه بُعث به الأنبياء من قبله، وستكون له العاقبه حتى لا ينازعه أحد، ويظهر دينه إلى منتهى الخفّ

ص: ٤٢٥

١- . الطبقات الكبرى: ٢٦١/١؛ السيره الحلبيه: ٢٩٩/٣.

فاستاء رجال ثقيف من هذا الكلام وقالوا بكلّ صلافة ووقاحة: لو دخل الناس كلهم معه ما دخلنا معه.

فأخفض المقوقس رأسه وقال: أنتم في اللعب (١). بيد أنّ هذه الرواية لا توافق بقيه المصادر التاريخيه؛ لأنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم كاتب ملوك العالم وقادته في السنه السابعه من الهجره، على حين كان المغيره في معركة الخندق قد آمن، وكان في الحديبيه في صفوف المسلمين، حتّى أنّه كان بينه وبين مندوب قريش المفاوض عروه بن مسعود الثقفي مشاجره مرّ ذكرها عند استعراض قصّه الصلح.

وعلى فرض صحّه هذه الروايه لا بد من القول بأنّ المغيره لم يكن في وفد ثقيف.

وفي الختام ينبغي أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أنّ الواقدي نقل نصّ رساله النبي إلى عظيم القبط بصوره أخرى. ولكن أسلوب الرساله وعباراتها تدلّ على أنّ هذه الصوره لا أساس لها من الصحّه، لأنّها تتضمّن تهديداً من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لعظيم القبط بالحرب والغزو إذ جاء فيها: «وأمرني (أى الله) بالإعذار والإنذار، ومقاتله الكفار حتّى يدينوا بديني» (٢).

ومما لا شكّ فيه أنّ هذا غير صحيح؛ لأنّ امكانيات المسلمين في ذلك اليوم لم تكن لتسمح لهم بمقاتله المكيين فكيف يغزو «مصر» وهي منطقه نائيه جداً.

هذا مضافاً إلى أنّ صدور مثل هذا الكلام عن النبي في أول دعوه له إلى

١- . الإصابه: ٢٩٨/٦؛ إمتاع الأسماع: ٣٦٢/٣-٣٦٣.

٢- . فتوح الشام: ٣٩/٢.

الإسلام لا يتلاءم ونفسه وخلق ذلك الرجل العظيم الذي كان يقدر الظروف آنذاك أفضل من غيره.

\*\*\*

### سفير النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أرض الذكريات «الحبشه»

تقع «الحبشه» في آخر أفريقيا الشرقية وتبلغ مساحتها ١٨٠٠ كيلومتر مربع، وعاصمتها اليوم: أديس أبابا.

ولقد تعرّف الشرقيون على هذه الأرض قبل ظهور الإسلام بقرن، وذلك على أثر هجوم الجيش الإيراني الذي تمّ في عهد حكمه الملك الفارسي «انوشيروان»، وبلغ هذا التعرّف والتردد ذروته في هجره المسلمين من مكّه إلى الحبشه (الهجره الأولى والهجره الثانيه).

ويوم قرّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبعث سته من خيره رجاله الشجعان إلى نقاط مختلفه، ونائيه من العالم لإبلاغ نداء رسالته العالميه كلف: «عمرو بن أميه الضمري» بأن يأخذ كتابه إلى الحبشه، ويسلمه إلى النجاشي ملكها العادل الطيب.

على أنّ الكتاب الذي ستقرأ نصّه قريباً ليس هو الكتاب الوحيد الذي بعثه رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم إلى النجاشي، بل سبق أن كتب صلى الله عليه وآله وسلم إليه قبل هذا يوصيه بالمهاجرين المسلمين، ويطلب منه فيه أن يطف بهم، ويرعاهم، ولا يزال نصّ هذين الكتابين موجوداً في المصادر التاريخيه الإسلاميه.

وربما حصل اشتباه بين هذين الكتابين (الرساله التي بعثها النبي لإبلاغ دعوته العالميه، والرساله التي أوصى فيها النجاشي بالمهاجرين) فخلط بعض

ويوم قدم سفيرُ النبي بكتاب الدعوه إلى الإسلام، الحبشه على النجاشي كان بعض المهاجرين المسلمين لا يزالون في أرض الحبشه، يعيشون في كنف النجاشي وحمائته، بينما عاد بعضهم من قبل إلى المدينه، وهم يحملون أجمل الذكريات والخواطر عن عدل حاكمها الطيب «النجاشي»، ولطفه، وحسن وفادته.

من هنا كانت أرض الحبشه في نظر المسلمين تُعتبر أرض الذكريات الجميله والخواطر الحلوه، وكانوا يمدحون حاكمها ويصفونه بالعدل والاستقامه.

ولو أننا لاحظنا في كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليه نوعاً من اللطف، واللين في القول فإن ذلك مرده إلى معرفه رسول الله بنفسيه النجاشي وخلقه وحسن موقفه.

فإنك لا تجد لتهديدات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كتبه ورسائله الأخرى إلى الملوك والزعماء بالعقاب الإلهي إن رفضوا القبول بدعوته، وحملهم مسؤوليه شعوبهم في عبارات صريحه وقاطعه، أي أثر في هذا الكتاب.

فقد كتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى النجاشي مايلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من مُحَمَّد رَسُولِ اللَّهِ إِلَى النجاشي ملك الحبشه.

سلامٌ عليك، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبه الحصيئه فحملت بعيسى، حملته من روحه، ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإنني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاه على طاعته، وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني، فإنني رسول الله، وإنني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت

ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من أتبع الهدى»(١).

لقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتابه بالتسليم على حاكم الحبشه وأرسل إليه بتحياته الشخصيه، ولكنه لم يفعل هذا في كتاب غيره، فلم يرسل بتحياته الشخصيه إلى «كسرى» و«قيصر» و«المقوقس» حكام إيران والروم ومصر، بل بدأ كتبه إليهم بالسلام العام حيث قال: «السلام على من أتبع الهدى».

ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم سلم في كتابه هذا، على النجاشي نفسه، وقال: «سلام عليك»، وبهذا خصه دون غيره من الزعماء والملوك باحترام وتكريم خاصين.

وقد أشار صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الكتاب إلى جملة من صفات الله البارزه التي تدل جميعها على تنزهه سبحانه، وعظمته وجلاله.

ثم أشار إلى مسأله ألوهيه المسيح (التي هي من ولائد التفكير الكنسي المنحط) ورد على ذلك باستدلال قوى خاص مستلهم من القرآن الكريم، حيث قايس ولاده المسيح عليه السلام بخلقه آدم، وأثبت أن ولاده شخص من دون أب لو كان دليلاً على ألوهيته، أو كونه ابناً لله، لصح ذلك في حق آدم، الذي خلق من غير أب ولا أم، ولكن لا يرى أحد في مثل هذا الرأي.

ثم ختم صلى الله عليه وآله وسلم كتابه هذا بإخراج دعوته في لباس النصح والموعظه، تجنباً من إظهار نفسه بمظهر الأمر.

### محاورة بين سفير النبي وحاكم الحبشه

لما مثل سفير النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمام النجاشي، قال للنجاشي:

يا أصحابه إن عليّ القول، وعليك الاستماع، إنك كأنك في الرقه علينا منا،

ص: ٤٢٩

وكأننا في الثقة بك منك، لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا لننا، ولم نحفظك على شَرِّ قط إلا آمننا، وقد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم، والإنجيل بيننا وبينك شاهداً لا يُرد، وقاض لا يجور، وفي ذلك موقع الخير، وإصابه الفضل، وإلا فأنت في هذا النبي الأُمِّي كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد فرَّق النبي صلى الله عليه وآله وسلم رُسُلَه إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف، وأجر ينتظر.

فقال النجاشي: أشهد بالله أنه للنبي الذي ينتظره أهل الكتاب، وإنَّ بشاره موسى براكب الحمار، كبشاره عيسى براكب الجمل، وإنَّه ليس الخبر كالعيان، ولكنَّ أعوانى من الحبشه قليل، فانظرنى حتى أكتُر الأعوان، وألّين القلوب(١).

### رساله النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ثم كتب كتاباً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا نصّه:

«بسم الله الرحمن الرحيم؛ إلى محمّد رسول الله من النجاشي الأصحم ابن أبجر، سلامٌ عليك يا نبي الله ورحمه الله وبركاته، من الله الذي لا إله إلا هو، الذي هداني إلى الإسلام. أمّا بعد، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فوربّ السماء والأرض إنَّ عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقاً(٢) إنَّه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قرينا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صادقاً مصدّقاً وقد بايعتُك وبايعتُ ابن عمك وأسلمتُ على يديه لله ربّ العالمين،

ص: ٤٣٠

١- السيره الحلبيه: ٢٩٤/٣.

٢- الثفروق: الأقماع التي تلزق بالبسر والتمر، وقيل: هو علاقه ما بين النواه والقمع، وقيل: هو غلاف ما بين النواه والقمع. لسان العرب: ٣٤/١٠، ماده «تفرق».



كما أنّ قضيه ظهور النّبىّ العربى قد أصبح حديث الأوساط والمحافل الدينيه بسبب هذا العمل.

لقد أيقظت هذه الرسائل والكتب بمحتوياتها ومضامينها القويه المبرهنه العقول الغافيه، وهزّت الغافلين بشدّه، وأثارت مشاعر الشعوب العالميه المتحضّره، ودفعتهم إلى البحث والتحقيق حول من بشرت به التوراه والإنجيل، كما تسبّب فى أن يجرى العلماء والأساقفه والقساوسه غير المغرضين إتصالات بمن ينتسب إلى هذا الدين، وقيموا ارتباطاً مع هذه العقيدته بشكل وآخر.

ومن هنا ولأجل هذا تسابقت أفواج وفرق كبيره من رجال الدين من الشرائع الدينيه المختلفه الّتى كانت سائده آنذاك فى الأيام الأخيره لحياه رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم وبعدها إلى القدوم على المدينه لدراسه أوضاع الدين الجديد، والتعرّف على ماهيته ومنطقه.

ولقد شرحنا فى الفصول الماضيه وبشكل مفصّل نوع ومدى التأثير الّذى تركته رسائل النّبى وسفراؤه فى نفوس حكام الروم ومصر والحبشه، وها نحن نواصل بيان بقيه التأثيرات الّتى تركتها مراسله النّبى صلى الله عليه وآله وسلم لحاكم الحبشه العادل، وملكها البار: أصحمه النجاشى.

فقد عمد النجاشى بعد تقديم الهدايا إلى سفير النّبى صلى الله عليه وآله وسلم، إلى إرسال ثلاثين رجلاً من القساوسه والأساقفه الأحباش إلى أرض المدينه للتحقيق فى أمر الإسلام، ونبوه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وليروا عن كُتب حياته الزاهده البسيطه، ولا يتصوّروا أنّه يعيش كما كان يعيش الملوك والجبابره فى ذلك العصر.

ولمّا قدم مبعوثو النجاشى المدينه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألوه عن نظريته حول السيّد المسيح عليه السلام فبيّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عقيدته حول ذلك النّبىّ العظيم



«إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالتَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَ تَبْرِئُ الْمَآكِمَةَ وَ الْمَآبِرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ» (١).

وقد كان لهذه الآيات أثرٌ عجيبٌ في نفوس أولئك القساوسة والأساقفة حتّى أنّهم بكوا عند سماعها من دون اختيار.

وبعد التحقيق الدقيق في دعوه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاد هذا الفريق من علماء الدين المسيحي إلى الحبشه، وأخبروا النجاشي بما سمعوه وشاهدوه، فبكى هو أيضاً لما سمع من أولئك الرجال (٢).

وقد نقل ابن الأثير في «الكامل» و «أسد الغابه» قصّه هذا الوفد بصوره أخرى إذ كتب بعد ذكر ما مرّ من رساله النجاشي بإضافه قوله: «وبعثت إليك بابني أرمي بن الأصحم»... فخرج ابن النجاشي في ستين نفساً من الحبشه (قاصدين المدينه) في سفينه في البحر، فلما توسطوا البحر غرقوا كلّهم.

ولكن وصول الرساله التي أشار إليها ابن الأثير إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

١- المائده: ١١٠.

٢- لاحظ: إعلام الوری: ١١٩/١.

شاهد على أنه لم تحدث مثل هذه الحادثة لمبعوثي النجاشي (١).

### كتاب رسول الله إلى أمير الغساسنة (بالشام)

الغساسنة فرع من قبيلة «الأزد» القحطانيين الذين سكنوا «اليمن» مدة طويلة، وكانت أراضيهم تسقى من سد مأرب، فلما انهدم ذلك السد اضطروا إلى الرحيل عن «اليمن» ونزلوا بالشام. فسيطروا على جزء من أراضيها وحكموا فيها، وانتهى بهم الأمر إلى تشكيل دولة الغساسنة. التي كانت تحكم تلك الديار تحت نفوذ قياصره الروم وسيادتهم، فلمّا جاء الإسلام أزال نظامهم، وانتهت حكومتهم، بعد أن حكم منهم، اثنان وثلاثون ملكاً في مناطق «الجولان»، و «اليرموك»، و «دمشق» (٢).

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «شجاع بن وهب» - وهو أحد السفراء الستة الذين بعثهم صلى الله عليه وآله وسلم للإبلاغ الرسالة الإسلامية إلى العالم - إلى أرض الغساسنة، وقد حمّله كتاباً إلى ملكها يومذاك «الحارث بن أبي شمر الغساني»، فخرج «شجاع» بكتاب النبي إلى الشام لتسليمه إلى ملك الغساسنة فأنهى إليه وهو بغوطه دمشق وهو مشغول بإعداد المقدمات لاستقبال «قيصر» الذي كان في طريقه إلى زيارته بيت المقدس وفاء للنذر الذي نذره للانتصار على إيران كما مر.

ولهذا لم يستطع «شجاع» من الوصول إلى الأمير الغساني إلّا بعد انتظار دام ثلاثة أيام، فاستغلّ «شجاع» هذه الفرصة وصادق فيها حاجب الأمير الغساني فكان يحدثه عن صفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخلاقه وما يدعو إليه من العقيدة الطاهرة،

ص: ٤٣٤

١- أسد الغابه: ٦٢/١؛ الكامل في التاريخ: ٢١٣/٢.

٢- راجع: معجم البلدان، ومروج الذهب، وغيرهما.

فأثرت كلمات «شجاع» تأثيراً عجبياً في نفس ذلك الحاجب الّذى كان روميّاً حتّى أنّه رقّ وغلبه البكاء وقال: إنّي قد قرأت الإنجيل وأجد صفه هذا النبي بعينه، وأنا أؤمن به وأصدّقه، وأخاف من «الحارث» أن يقتلني إذا عرف بإسلامي، وكان يكرم سفير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويحسن ضيافته طوال تلك المده، ويقول إنّ «الحارث» يخاف «قيصر» أيضاً.

ثم لما خرج «الحارث» ذات يوم وجلس على عرشه أذن لسفير النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالدخول عليه، فلما مثل بين يديه دفع إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرأه وكان نصّه كالتالى:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمّد رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَأَمَّنَ بِهِ وَوَصَّدَقَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ أَنْ تَوَافِقَ بِاللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ يَبْقَى مُلْكُكَ».

فانزعج الحارث ممّا قرأ في آخر الكتاب ورمى به جانباً، وقال: مَنْ يَنْتَرِعُ مِنِّي مُلْكِي؟ أَنَا سَائِرٌ إِلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ بِالْيَمَنِ جِئْتَهُ، عَلَيَّ بِالنَّاسِ.

وبهذا أمر بإعداد العسكر حالاً ليستعرض قوته العسكريه أمام سفير النبي إرعاباً وتخويماً له. ولأجل أن يظهر نفسه بمظهر المدافع عن مُلك قيصر بادراً إلى كتابه رساله إلى «قيصر» يخبره فيها بما عزم عليه من غزو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!!

واتفق أن وصلت رساله الأمير الغساني إلى «قيصر» في الوقت الّذى كان فيه «دحيه الكلبي» سفير النبي إلى الروم في مجلس قيصر، وكان «قيصر» يحاوره، ويسأله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن صفته ودينه، فانزعج «قيصر» من مبادره الحاكم الغساني العجوله وكتب إليه يمنعه عن السير إلى رسول الإسلام طالباً منه أن يلتقى به في مدينه «ايليا».

فغَيَّرَ موقف «قيصر» الإيجابي هذا موقف عميله: الحاكم الغَسَّيَانِي السُّلْبِي تبعاً للمثل القائل «الناس على دين ملوكهم» فبادر من فوره إلى إكرام سفير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنحه هدايا ثمينه، ووجَّهه نحو المدينة معزراً مكرماً وقال له: «إقرأ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مني السلام».

ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يرض بهذا الموقف الدبلوماسي الذي لم يكن ينتم عن واقع صادق فقال: باد ملكه. أي سيزول ملكه عما قريب. فمات «الحارث» في السنة الهجرية الثامنة أي بعد عام واحد من هذه القضية(١).

### سادس السفراء في أرض اليمن

سادس سفراء النبي هو المبعوث إلى أرض اليمامة (وهي من نجد)، وهو سليط بن عمرو.

فقد خرج سليط هذا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى «هوذة بن علي» الحنفي ملك اليمامة يدعوه إلى الإسلام ولما قدم عليه سلم الكتاب إليه وفيه.

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هُوذَةَ بْنِ عَلِيٍّ. سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى وَاعْلَمْ أَنَّ دِينِي سَيُظْهِرُ إِلَى مَنْتَهَى الْخَفِّ وَالْحَافِرِ (أَي يَعْثُ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ) فَأَسْلِمَ تَسْلِمًا وَأَجْعَلُ لَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ».(٢)

وحيث إن ملك اليمامة (هوذة) كان نصرانياً لذلك بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سليطاً وكان ممن عاش مده من الزمن في أرض الحبشه عندما هاجر إليها فريقاً من المسلمين فراراً من اضطهاد وفتنه قريش لهم، وعرف بتقاليد النصراني

ص: ٤٣٦

١- . لاحظ: الطبقات الكبرى: ٢٦١/١؛ تاريخ الطبري: ٢٩٣/٢؛ السيره الحلبيه: ٣٠٤/٣-٣٠٥.

٢- . السيره الحلبيه: ٣٠٣/٣.

ومنطقهم، وكانت تعاليم الإسلام وكذا اختلاطه بمختلف الفئات في رحلاته وأسفاره قد صنعت منه رجلاً شجاعاً قوياً وذكياً، وقد استطاع بما أُوتى من قوة المنطق، والشجاعه أن يقنع بكلامه وحديثه ملك اليمامة عندما قال له: يا هوذه إنه سؤدتك (١) أعظم حائله (أى باليه) وأرواح فى النار، وإنما السيد من مَنع بالإيمان ثم تزود بالتقوى. وإن قوماً سعدوا برأيك فلا تشقين به، وأنا أمرك بخير مأمور به، وأنهاك عن شىء منهى عنه. أمرك بعباده الله، وأنهاك عن عباده الشيطان، فإن فى عباده الله الجنه، وفى عباده الشيطان النار، فإن قبلت نلت ما رجوت وأمنت ما خفت، وإن أبيت فيينا وبينك كشف الغطاء وهول المطلاع. (٢)

كانت ملامح ملك اليمامة المتغيره المتأثره توحى بحسن تأثير كلمات سليط سفير النبى فى نفس ذلك الملك، ولهذا طلب من سليط أن يمهلّه مده حتى يفكر فى أمر النبى ودعوته، وكان من الملووك العقلاء.

ويذكر أنّ هوذه كان عنده عظيم من عظماء النصارى حين قال للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ما قال فقال له: لم لا تجيبه.

قال هوذه: أنا أملك قومى، ولئن اتبعته لا أملك.

قال: بلى والله لئن اتبعته ليملكك، وإن الخير لك فى اتباعه، وإنه النبى العربى الذى بشر به عيسى بن مريم عليه السلام. وإنه لمكتوب عندنا فى الإنجيل: محمد رسول الله. (٣)

فتركت نصيحه الأسقف وكلماته أثراً عميقاً وقوياً فى نفس ملك اليمامة

ص: ٤٣٧

١- . يقصد إنه سوده كسرى وهو فى النار.

٢- . السيره الحلبيه: ٣٠٤/٣.

٣- . السيره الحلبيه: ٣٠٤/٣.

«هوذ» فاستدعى سفير النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكتب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً هذا نصه: «ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني فاجعل إليّ بعض الأمر أتبعك (أى أنه كان يطلب أن يجعله النبي خليفه له من بعده). وأجاز سليطاً بجائزه وكساه أثواباً من نسج هجر. (١)

ولم يكتف «هوذ» بهذا بل بعث وفداً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزعامه «مجاعه بن مراره» ليبلغ إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم رسالته ويقول له: ان جعل الأمر له من بعده أسلم وسار إليه ونصره، وإلا قصد حربته.

فلما قدم الرسول على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بما جرى وقرأ الكتاب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا ولا كرامه، لو سألتى سيابه من الأرض ما فعلت اللهم اكفنيه» (٢).

### رسائل أخرى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

هذا وإن الرسائل والكتب التي بعثها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لغير من ذكرناه من القاده والزعماء والشخصيات الدينيه والسياسيه أكثر ممّا أدرجناه هنا، وقد استطاع العلماء المحققون أن يجمعوا ويثبتوا في كتب خاصه نصّ ٢٩ رساله من رسائل الدعوه إلى الإسلام التي بعثها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تركنا إدراجها هنا رعايه للاختصار. (٣)

ص: ٤٣٨

- ١- . السيره الحلبيه: ٣٠٣/٣.
- ٢- . السيره الحلبيه: ٣٠٣/٣-٣٠٤؛ الكامل فى التاريخ: ٢/٢١٥؛ الطبقات الكبرى: ١/٢٦٢. و سيابه من الأرض أى قطعه من الأرض.
- ٣- . راجع: مكاتيب الرسول للعلامة الأحمدي، وغيره من المؤلفات فى هذا المجال.

يوم طلع نجم الإسلام في أرض المدينة حقدت اليهود على رسول الله والمسلمين، أكثر من قريش، وعملت بمختلف الطرق والحيل من أجل القضاء على الإسلام والإيقاع برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه.

ولقد ابتلى يهود المدينة وما حولها بمصير سيئ نتيجة أعمالهم وتصرفاتهم السيئة، فقتل فريق منهم، وأجلى آخرون مثل قبيله بنى قينقاع وبنى النضير من أرض المدينة فسكنوا «خيبر» و«وادي القرى» أو نزلوا باذرععات الشام.

وكانت خيبر منطقته واسعه وخصبه تقع على بُعد اثنين وثلاثين فرسخاً من المدينة وكان قد سكنها اليهود قبل بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبنوا فيها سبع قلاع وحصون قويه لتحصنهم وتحفظهم.

وحيث إن التربه والمناخ في تلك المنطقه كانت قد جعلت منها مكاناً جيداً وصالحاً للزراعه جداً، لذلك كان سكانها اليهود قد حصلوا على مهاره كبرى في أمور الزراعه وجمع الثروات، وتهيئه وسائل الدفاع والقتال، وإعداد السلاح

وكان عدد نفوسها يقارب عشرين ألف نسمة بينهم عدد كبير من المقاتلين الشجعان(١).

إنَّ أكبر ذنب اقترفه يهود «خير» هو أنَّهم شجَّعوا جميع القبائل العربيه على محاربه الحكومه الإسلاميه والقضاء عليها، واستطاع جيش الأحزاب المشرك بمساعدته يهود «خير» أن يتحرَّكوا فى يوم واحد من مختلف مناطق الجزيره العربيه لاجتياح المدينه واستئصال المسلمين فى أكبر تحالف واتِّحاد عسكري من نوعه فى ذلك العصر، كما سبق وأن عرفت فى قصِّه «معركه الأحزاب». ولكن هذا الجيش المعتدى الظالم تفرَّق بفعل تدابير رسول الإسلام الحكيمه وأصحابه بعد شهر من الانتظار خلف الخندق، وتقهر وعادت أحزابه ومن جملتهم يهود خير متشتته متفرِّقه إلى أوطانها تجرَّ أذيال الخيبه والخسران، واستعادت عاصمه الإسلام استقرارها وأمنها.

إنَّ خيانه، وخبائه ولؤم يهود خير حملت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أن يقضى على بؤره المؤامره ومركز الفساد والخطر هذا، وأن يجرد سكانها جميعاً من السلاح، لأنه كان يخشى أن يعود هذا الشعب المعاند الخبيث - ببذل الأموال الطائله - إلى تأليب العرب الوثنيين مره أخرى ضد المسلمين ويعيدوا قصِّه الأحزاب مره أخرى. وخاصه أن تعصّب اليهود لدينهم ومعتقدهم كان أشدّ من تعصّب قريش للوثنيه، ولهذا التعصّب كان يسلم ألف مشرك وثني ولا يدع يهودي واحد دينه، ومعتقده!!

ثم إنَّ عاملاً آخر حمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على تحطيم قدره الخبيرين

ص: ٤٤٠



وشوكتهم، وانتزاع السلاح منهم ورصد تحركاتهم بواسطة فرسانه ورجاله، أنه راسل الملوك والسلاطين، ودعاهم جميعاً وبشكل قوى إلى الإسلام، فلم يكن من المستبعد أن يستغل «كسرى» و«قيصر» يهود خبير فيتعاونوا جميعاً للقضاء على الإسلام والنهضة الإسلاميه فى مهدها، أو تحرك اليهود ذينك الملكين ضد الإسلام كما حركت من قبل المشركين ضد هذا الدين، وتسيبت فى وقوع مشاكل.

خاصه أن الشعب اليهودى كان ضليعاً فى الحروب التى دارت بين الروم والفرس فى تلك العصور، وكان اليهود يتعاونون مع أحد الطرفين.

من هنا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن من الحكمة بل ومن الضروره بمكان أن يطفى شراره الخطر هذه إلى الأبد. وكانت هذه الفرصه أفضل الفرص لهذا العمل؛ لأن بال النبى كان قد فرغ من ناحيه الجنوب (أى قريش) بعد صلح الحديبيه، وكان يعلم أنه لو أقدم على عمل ضد اليهود لم تمتد يد من جانب قريش لمساعدتهم، ولكى يمنع من وصول أيه مساعدات وإمدادات لهم من ناحيه قبائل الشمال مثل «غطفان» الذين كانوا أصدقاء ليهود خبير والمتعاونين معهم فى معركة «الأحزاب» نفذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطه سيأتى تفصيلها مستقبلاً.

لهذه الأسباب والعوامل والاعتبارات أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين بالتهيؤ لغزو خبير آخر مركز من مراكز اليهود فى الجزيره العربيه. وقال: «لا تخرجوا معى إلّا راغبين فى الجهاد فأما الغنيمه فلا».<sup>(١)</sup>

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استخلف على المدينه «نميله بن عبد الله الليثى»،

ص: ٤٤١

---

١- . المغازى: ٢/٦٣٤؛ إمتاع الأسماع: ١/٣٠٦؛ السيره الحليبه: ٢/٧٢٤.

ودفع رايه بيضاء إلى «عليّ بن أبي طالب» عليه السلام وأمر بالتوجه إلى خيبر، ولكي تسرع الإبل في سيرها أذن لعامر بن الأكوع أن يحدو بالإبل لأن الإبل تُسَحُّ بالحداء، فأخذ يرتجز قائلاً:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

إننا إذا قومٌ بَعُوا علينا وإن أرادوا فتنة أينا

فَأَنْزَلَنَّا سَكِينَهُ عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَأَقِينَا(١)

وقد عكست هذه الأبيات الجميله جانباً من هدف هذه الغزوه، فهي تفيد أنّ اليهود ظلمونا، وأشعلوا نيران الفتنة وقد خرجنا لإطفائها، وتحملنا في سبيل ذلك عناء هذا السفر.

ولقد سُرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمضامين هذه الأبيات فدعا لابن الأكوع، وقال:

«يرحمك الله» وقد استشهد ابن الأكوع هذا في هذه الغزوه.

هذا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يراعى مبدأ الاستتار في جميع تحركاته العسكريه، فقد كان يحب أن لا يعرف العدو بمسيره ومقصده حتّى يفاجئ العدو ويباغته، ويحاصره قبل أن يستطيع فعل شيء، هذا مُضافاً إلى ناحيه أُخرى وهى أن يظن حلفاء العدو الذى يقصده بأنه يقصدهم ويسير إليهم، فيغلقوا على أنفسهم أبواب منازلهم ولا ينضم بعضهم إلى بعض.

وربما تصوّر البعض فى هذه الغزوه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقصد منطقه الشمال (شمال المدينه) لتأديب قبائل غطفان وفزاره الذين تعاونوا مع اليهود فى معركة الأحزاب، لما وجدوه متوجّهاً نحو الشمال.

ص: ٤٤٢

ولكنه عندما وصل إلى منطقته «الرجيع» عرج بجيشه صوب «خير» وبهذا قطع الطريق على أيّة إمدادات عسكريه من ناحيه الشمال إلى خير، بقطع خطّ الارتباط بين قبائل غطفان وفزاره ويهود خير، فمع أنّ حصار خير طال مدته شهر واحد تقريباً لم تستطع القبائل المذكوره أن تمدّ حلفاءها اليهود بأى شىء (١).

ولقد خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى خير ما يقرب من ألف وستمائيه مقاتل، بينهم مائتا فارس (٢).

وعندما أشرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على خير قرأ الدعاء التالى الذى يكشف عن نيته الحسنه:

اللهم ربّ السماوات وما أضللنّ

وربّ الأرضين وما أفلنّ

وربّ الشياطين وما أضللنّ

وربّ الرياح وما أذرينّ

فإنّا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، وخير ما فيها ونعوذ بك من شرّها

ص: ٤٤٣

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٧٩٣/٣.

٢- . الأمالى للطوسى: ١٦٤، يذهب ابن هشام فى سيرته: ٧٩١/٣ إلى أنّ خروج النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى خير كان فى المحرم، بينما ذهب ابن سعد فى الطبقات الكبرى: ٧٧/٢ إلى أنّه كان فى جمادى الثانيه من السنه السابعه، وحيث إنّ إرسال الرسل إلى الملوك والأمراء تمّ فى شهر محرم من هذه السنه ذاتها لذلك يكون الرأى الثانى أقرب إلى الصحه، وخاصه أنّ مهاجرى الحبشه التحقوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى خير بعد وصول رساله النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى النجاشى بوساطه «عمرو بن أميه الضمرى» لأنّ ذهاب رسول النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحبشه وعودته مع المهاجرين إلى المدينه ثم خير بحاجه إلى زمان، وحيث إنّ توجه الرسل والسفراء كان فى شهر محرم، لذلك يجب أن يكون قتال الخيريين فى الأشهر التاليه.

وشرّ أهلها وشرّ ما فيها» (١).

إنّ هذا الدعاء وما رافقه من حاله التضرّع، وذلك أمام أعين ألف وستائه من الجنود الشجعان الذين كان كلّ واحد منهم شعله متقدّه من الشوق إلى القتال في سبيل الله يكشف عن أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يهدف من مسيره إلى هذه الأرض الاستعمار أو الانتقام بل جاء من أجل أن يقضى على بؤره الخطر التي كان من المحتمل أن تتحوّل في كلّ لحظه إلى قاعده انطلاق للمشركين الوثنيين، حتّى لا تُهدّد النهضه الإسلاميه من هذه الناحيه فيما بعد.

وسترى أنت أيّها القارئ الكريم كيف أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد فتح القلاع والحصون اليهوديه، وانتزاع السلاح من سكانها المتآمرين المشاغبين فوّض إليهم أراضيهم، واكتفى منهم بأخذ الجزيه في مقابل المحافظه على أموالهم وأنفسهم، وبعد أن ربطهم بمعاهده قويه ملزمه.

### إحتلال النقاط والطرق الحساسه ليلاً

كان لكلّ حصن من حصون خبير السبعه اسم خاص يعرف به، فهي عباره عن: «ناعم» و«القموص» و«الكتيبه» و«النطاه»، و«شق» و«سطح»، و«سلاّم»، وربما سمى بعض هذه الحصون باسم زعيم الحصن وسيّده، مثل «حصن مرحب».

كما أنّهم كانوا قد بنوا عند كلّ حصن من تلك الحصون برجاً للمراقبه، ولرصد كلّ التحركات خارج الحصن، ولأجل أن ينقل الحراس والمراقبون المستقرون في هذه الأبراج الأخبار إلى داخل الحصن.

وقد كانت تلك البروج والحصون قد شيّدت بحيث يسيطر سكانها على

ص: ٤٤٤

---

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٧٩٢/٣؛ الكامل في التاريخ: ٢١٧/٢؛ السيره الحلييه: ٧٢٩/٢.

خارج الحصن سيطره كامله وكانوا يستطيعون - عن طريق المجانيق(١) وغيرها من آلات الرمي - إبعاد أى عدو، وإفشال آتیه محاوله للاقتراب إلى الحصن، وذلك برميهِ بالأحجار وما شابهها.

وقد كان بين سكان هذه الحصون البالغ عددهم عشرين ألفاً، ألفان من الفرسان الشجعان والصناديد الأبطال الذين توفر لهم كل ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب، والذين أُعدت لهم فى المخازن كل ما يحتاجون إليه من الأسلحة والعتاد.

وكانت هذه الحصون من الإحكام والقوه بحيث كان من المستحيل إحداث آتیه ثغره فى حيطانها أيضاً، ومن أراد الاقتراب إليها رمى بالأحجار فجرح بها أو قتل، فكانت تعدُّ هذه الحصون - فى الحقيقه - متاريس قويه لمقاتلى اليهود.

لقد واجه المسلمون فى هذه الغزوه مثل هذا العدو المسلح، الممتنع بمثل هذه المتاريس القويه، فكان لابدّ لفتح هذه القلاع من استخدام تكتيك عسكرى دقيق.

ولهذا فإنّ أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وأصحابه فى هذا السبيل هو احتلال كلّ النقاط والطرق الحساسه ليلاً.

وقد تمّ هذا العمل بسريه وسرعه بالغه جداً بحيث لم يعرف به حتّى مراقبو الأبراج اليقظون أيضاً.

ولمّا كان صبيحه تلك الليله خرج عمّال خير غادين إلى مزارعهم وبساتينهم وهم يحملون مساحيهم ومكاتلهم(٢) وإذا بهم يفتاجون بجنود الإسلام الأبطال

ص: ٤٤٥

١- . وهى أجهزه حديديه بدائيه تقذف الحجر أو الحديد.

٢- . المكاتل جمع مكنل. والمكتل كمنبر: زنبيل يحمل فيه الثمر أو العنب إلى الجرين، وقيل: هوشبه الزنبيل يسع خمسهِ عشر صاعاً. تاج العروس: ٦٤٧/١٥، ماده «كنل».

وقد احتلوا بقوه الإيمان جميع النقاط الحسياسه وسدوا جميع الطرق عليهم بحيث لو تقدّموا شبراً لقبض عليهم، فأفزعهم ذلك وخافوا خوفاً شديداً، فأدبروا هرباً وهم يقولون: محمّد والله محمد والخميس معه، يعنون الجيش. وبادروا فوراً إلى إغلاق أبواب الحصون وإحكامها، وعقدوا شورى عسكريه فى داخل حصنهم المركزى.

وعندما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مساحى اليهود ومكاتلهم وغيرها من أدوات الهدم قال متفائلاً:

«الله أكبر خربت خيبرُ أنا إذا نزلنا بساحه قوم فساء صباح المُنذرين»<sup>(١)</sup>.

وكانت نتيجة الشورى العسكريه اليهوديه فى هذه الغزوه هى أن يجعلوا الأطفال والنساء فى أحد الحصون، ويجعلوا الذخيره من الطعام فى حصن آخر، ويستقر المقاتلون الشجعان على الأبراج ويدافعوا عن كلّ قلعه وحصن بالأحجار، ويخرج الأبطال الصناديد من كلّ حصن ويقاتلوا المسلمين خارجة.

كانت هذه هى خطه اليهود لمواجهه جنود الإسلام وقد أصروا على تنفيذها حتى آخر لحظه من القتال، ولهذا استطاعوا أن يقاوموا الجيش الإسلامى مدّة شهر واحد تقريباً بحيث كانت محاوله فتح كلّ حصن من تلك الحصون تستغرق عشره أيام دون نتيجة.

### متارىس اليهود تهاوى

كانت هناك نقطه لا تحظى بأهميه تُذكر من الناحيه العسكريه وكان مقاتلو

ص: ٤٤٦

---

١- . لاحظ: الكامل فى التاريخ: ٢/٢١٧؛ السيره النبويه لابن هشام: ٣/٧٩٣.

اليهود يسيطرون عليها سيطره كامله، ولم يكن فيها أى مانع من استهداف مواقع المسلمين ورميها من جانب العدو.

ولهذا جاء أحد المقاتلين المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو «محمّد بن مسلمه» وقال له:

يا رسول الله صلى الله عليك إنك نزلت منزلك هذا فإن كان عن أمر (إلهي) أمرت به فلا نتكلم فيه، وإن كان الرأي تكلمنا؟  
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بل هو الرأي.

فقال: يا رسول الله دنوت من الحصن، وإن أهل النطاه مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم، فتحول يا رسول الله إلى موضع برىء من النخل والبناء حتى لا ينالنا نبلهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يراعى واحداً من مبادئ الإسلام العظيمه (الشورى) واحترام الآخرين: «بل هو الرأى، انظر لنا منزلاً- بعيداً من حصونهم، بريئاً من الوباء نأمن فيه بياتهم»، فطاف محمّد حتى انتهى إلى الرجيع (وهو واد بقرب خيبر) ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلاً- فقال: وجدت لك منزلاً، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحولت خيمه القيادة عند المساء إلى ذلك المكان الأكثر أماناً من بيات اليهود وغدرهم فكان النبي يغدو كل يوم فيقاتل أهل النطاه يومه إلى الليل ثم إذا أمسى رجع إلى الرجيع حيث غرفه القيادة، وكان يناوب بين أصحابه فى حراسه الليل فى مقامه بالرجيع سبعة أيام(1).

على أنه لا- يمكن البتّ فى تفاصيل واقعه خيبر ولكن المستفاد من المصادر التاريخيه هو أنّ جنود الإسلام حاصروا القلاع والحصون حصناً تلو حصن، وحاولوا قطع ارتباط الحصن المحاصر ببقية الحصون ثم فتحه، ثم محاصره

ص: ٤٤٧

١- . لاحظ: المغازى: ٢/٦٤٣-٦٤٤؛ إمتاع الأسماع: ٩/٢٣١.

ولقد تم فتح هذه الحصون ببطء لأنها كانت مرتبطة مع بعضها بممرات سرّيه، أو كان المقاتلون يدافعون عنها دفاعاً مستميتاً، ولكن الحصون التي كان الرعب والخوف يسيطر على مقاتليها وحرّاسها، أو التي ينقطع ارتباطها بالخارج بصوره كامله كان يتم السيطرة عليها بسهولة، وتسفك فيها دماء أقلّ، ويتقدم العمل فيها بسرعه أكبر.

وإنّ أول حصن فُتح على أيدي المسلمين بعد جهد كبير - كما يذهب إليه جمع من المؤرّخين - هو حصن «ناعم». ولقد استشهد في فتح هذا الحصن أحد المقاتلين المسلمين البارزين، يدعى «محمود بن مسلمه» الانصارى، وجرح خمسون رجلاً من مقاتلي الإسلام، فقد استشهد الفارس المذكور بعد أن رماه اليهود بصخره كبيره من فوق الحصن فقتل من فورهِ، وقيل: إنّه توفى بعد ثلاثه أيام - حسب روايه ابن الأثير في أسد الغابه(١) - ونقل الجرحى الخمسون إلى منطقه أُخرى من المعسكر خصّصت لغرض التضميم،(٢) كما أنّه سمح لبعض نساء بنى غفار بأن يأتين إلى «خير» لمساعدته المسلمين وتضميد الجرحى وتقديم غير ذلك من الخدمات التي يليق بهن في المعسكر، وقد أظهرت تلك النسوه من أنفسهن تفانياً، وتضحيه عجيبه(٣).

ولقد رأت الشورى العسكريه الإسلاميه أن يعمد المقاتلون المسلمون - بعد فتح حصن «ناعم» - إلى فتح حصن «القموص» الذي كان يرأسه أبناء «أبي

ص: ٤٤٨

١- . أسد الغابه: ٣٣٤/٤.

٢- . لاحظ: المغازى: ٦٤٦/٢.

٣- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٨٠٤/٣.



الحقيق»، ولقد فُتِحَ هذا الحصن بفضل تفانى جنود الإسلام وأسرت منه «صفية بنت حبي بن أخطب» التي صارت فيما بعد من زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد قوى هذان الانتصاران العظيمان معنوية الجنود المسلمين وألقى رعباً شديداً فى نفوس اليهود، ولكن المسلمين وقعوا فى مخمصه شديده بسبب قلّه المواد الغذائيه بحيث اضطروا إلى أن يأكلوا من بعض الأنعام المكروهه اللحم، وقد كان هناك بين حصون اليهود حصن مملوء طعاماً إلا أنّ المسلمين لم يظفروا به حتّى ذلك الحين.

### التقوى فى ظروف المخمصه الشديده

فى مثل هذه الحاله التى كان قد استولى فيها جوع شديد على المسلمين، اضطروا معه إلى تناول لحوم ما كره أكله من الأنعام، أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راع أجيرٌ لليهود وهو يسار الحبشى - عبد أسود لعامر اليهودى - فى غنم موله فلما رأى أهل خيبر يتحصّون ويقاتلون سألهم فقالوا: نقاتل هذا الذى يزعم أنه نبي. قال: فوقعت تلك الكلمه فى نفسه فأقبل بغمه يسوقها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد ما تقول؟ ما تدعو إليه؟ قال: أدعوا إلى الإسلام فاشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله.

قال: فما لى؟ قال: الجنّه إن ثبتّ على ذلك. قال: فأسلم. وقال: إن غنمى هذه وديعه.

فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

«أخرجها من العسكر ثم صح بها وارمها بحصيات فإنّ الله عزّوجلّ سيؤدّى عنك أمانتك».(1)

ففعّل الراعى ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخرجت الغنم إلى صاحبها حتّى

ص: ٤٤٩

دخلت الحصن كأن سائقاً يسوقها، وقد قاتل ذلك الرجل إلى جانب المسلمين حتى استشهد(١).

أجل لم يكتسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقب «الأمين» من قومه في فتره شبابه فقط بل كان أميناً في جميع الحالات والظروف وهو القائل:

«ما من شيء كان في الجاهلية إلا هو تحت قدمي، إلا الأمانة فإنها مؤداه إلى البر والفاجر»(٢)، وقد بقي تردد القطعان حزاً طوال مدة الحصار ولم يفكر ولا واحد من المسلمين بأخذ غنم منها؛ لأنهم تعلموا الأمانة والتقوى والصدق والورع من معلمهم الأكبر «محمد» الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم.

نعم غلب الجوع الشديد على العسكر ذات يوم حتى كادوا أن يهلكوا فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن تؤخذ شاتان من غنم اليهود اضطراراً، واطلق البقية لتدخل الحصن بأمان، ولولا ذلك الاضطرار الذي يباح معه المحذور بقدره لما سمح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، ولما رأى جوع أصحابه وتضورهم من شدة السغب دعا قائلاً:

«اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوه، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء، وأكثرها طعاماً»(٣).

ولم يكن يأذن لأحد من المسلمين بأن يأخذ شيئاً من أموال الناس أبداً.

في ضوء كل هذا تتضح دسائس جماعه من المستشرقين في تاريخنا المعاصر فهم يصرون على القول بأن غزوات الإسلام ومعاركه كانت للإغارة

ص: ٤٥٠

١- لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٨٠٦/٣؛ السيره الحلبيه: ٧٤٠/٢.

٢- مجمع البيان: ٣٢٧/٢، عند تفسير قول الله تعالى: «وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ...».

٣- السيره النبويه لابن هشام: ٧٩٥/٣.

وجمع الغنائم ومصادره الأموال والسيطره عليها، وأن جنوده لم يكونوا يتقيّدون خلال تلك المعارك بمبادئ العدالة والأمانه، وذلك كيد منهم للإسلام، ومحاولة بغضه للحطّ من قيمه الأهداف الإسلاميه العليا، وتشويهها.

ولكن النموذج المذكور هنا، وأمثاله ممّا يعدُّ بالعشرات في صفحات التاريخ الإسلامى تشهد بكذبهم فإنّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم لم يأذن وهو فى أشدّ الظروف وأصعبها وجنوده الأوفياء قد غلبهم الجوع ودنوا من الهلاك، بأن يخون راع فى أغنام كان يرعاها ليهودى، بل أمره بردها إلى صاحبها وهو فى قتال مع اليهود على حين كان يمكنه مصادرتها جملة واحده.

### فتح الحصون الواحد تلو الآخر

بعد فتح القلاع المذكوره حمل جنود الإسلام على حصن الوطيح، وسلام، ولكنهم واجهوا مقاومه عنيفه من اليهود الذين كانوا يدافعون عنها خارجها، من هنا لم يستطع جنود الإسلام الأبطال رغم كلّ التضحيات التى ذكرها كاتب السيره المعروف ابن هشام - فى موضع خاص من سيرته - أن يحرزوا انتصاراً بل ظلّوا يجالدون مقاتلى اليهود أكثر من عشره أيام، ولكنهم كانوا يعودون فى كلّ يوم إلى مقرّهم من دون نتيجته.

وذات يوم بعث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أبا بكر وأعطاه رايته البيضاء على رأس جماعه من المقاتلين المسلمين لفتح بعض حصون خيبر، ولكنّه رجع ولم يكن فتح، وكلّ من الأمير والجنود يلقى باللوم على الآخر، ويتهمه بالجبن والفرار.

فبعث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى يوم آخر «عمر بن الخطاب» على رأس جماعه أخرى فكان كرفيقه إذ رجع ولم يحقّق فتحاً، بل عاد فزعاً مرعوباً وهو يصف شجاعه مرحب وقوته البالغه، فأغضب هذا العمل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وفرسان

الإسلام الأبطال وقاده الجيش الاسلامي، فجمع رسول الله صناديد جيشه وقال:

«لَأَعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ عَلَيَّ يَدِيهِ لَيْسَ بِفَرَّارٍ» أو: «كَزَّارٍ غَيْرِ فَرَّارٍ» حسب نقل الحلبي (١).

وقد أثارت هذه الجملة الخالده الحاكيه عن فضيله وشجاعه وتفوق ذلك الفارس الذي قدّر أن يكون الفتح على يديه وتميزه المعنوي على غيره، موجه من الفرح الممزوج بالاضطراب بين أفراد الجيش وقادته الشجعان.

فقد بات كلّ واحد منهم يتمنى أن يكون هو صاحب هذا النوط الخالد والعظيم، وأن تصيب القرعه اسمه.

ولمّا بلغ علينا عليه السلام مقاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه وهو في خيمته قال: «اللّهم لا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت» (٢).

غطى ظلام الليل كلّ مكان، وذهب جنود الإسلام إلى أماكن نومهم، وبينما بقي الحراس يتحارسون طوال الليل، ويرصدون أوضاع العدو الغادر وتحركاته.

وعند الصباح ومع طلوع الشمس التي شقت بأشعتها رداء الظلام، وأضاءت

ص: ٤٥٢

١- . لاحظ: مجمع البيان: ٢٠١/٩؛ السيره الحلبيه: ٧٣٦/٢-٧٣٧، السيره النبويه لابن هشام: ٧٩٧/٣؛ إمتاع الأسماع: ٣٠٩/١؛ بحار الأنوار: ٩/٣٩. ولقد انزعج المؤرّخ الإسلامى المعروف ابن أبى الحديد من فرار هاتين الشخصيتين فقال فى ضمن ما يعزى إليه من القصيده العلويه: وما أنسّ لا أنسّ اللّذين تقدّما وفرّهما وفرّهما وقد علما حوباً وللرايه العظمى وقد ذها بها ملابس ذلّ فوقها وجلايبب يشلّهما من آل موسى شمردلّ طويل نجاد السيف أجيد يعبوب (الروضه المختاره (شرح القصائد العلويات السبع) لابن أبى الحديد المعتزلى: ٩٢، مؤسسه الأعلمى، بيروت).

٢- . السيره الحلبيه: ٥٤٥/٢.

السهل والجبل، تجمع قادة الجيش الإسلامى وصناديده وأبطاله وغيرهم من الرجال وفيهم الأميران المنهزمان بالأمس حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم يريدون بشوق بالغ أن يعرفوا من سيعطيه الرايه اليوم، وقد (تطاول لها أبو بكر وعمر) (١).

ولم يطل هذا الانتظار، فقد كسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جدار الصمت هذا عندما قال: «أين على»!؟

فقال: يا رسول الله هو رمد، معصوب العينين.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«هاتوه» (٢).

إن هذه العبارة تكشف عن أنّ ما أصاب علياً عليه السلام من الرمد كان من الشدّه بحيث سلبه القدره على المشى، وعاقه عن الحركة.

فأمّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده الشريفه على عيني علي عليه السلام ودعا له بخير، فعوفى من ساعته، واستعادت عيناه عليه السلام سلامتها أفضل ممّا كانت بحيث لم يرمد عليه السلام حتّى آخر حياته بفضل تلك المسحه النبويه المباركه.

ثم دفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللواء إلى عليّ عليه السلام ودعا له بالنصر، كما أنّه أمره بأن يبعث إلى اليهود قبل قتالهم من يدعو رؤساء الحصون إلى الإسلام، فإن أبوا اعتناق الإسلام أخبرهم بوظائفهم في ظلّ الحكومه الإسلاميه وأنّ عليهم أن يسلّموا أسلحتهم إلى الحكومه الإسلاميه، ويعيشوا بحريه وأمان تحت ظلّ هذه الحكومه شريطه أن يدفعوا الجزية (٣).

ص: ٤٥٣

١- . هذه هي عبارة الطبري: ٣٠٠/٢، كنز العمال: ٤٦٣/١٠.

٢- . بحار الأنوار: ٢٨/٢١-٢٩؛ تاريخ الخميس: ٤٩/٢.

٣- . لاحظ: صحيح مسلم: ١٢٢/٧، باب فضائل علي عليه السلام؛ صحيح البخاري: ٧٧/٥، باب غزوه خيبر.

وإذا رفضوا ذاك وهذا قاتلهم، ثم قال لعلّى الذى أوكل إليه قياده تلك المجموعه:

«لئن يَهْدَى اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»(١).

أجل إنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يفكر في هدايه الناس حتى في أشدّ لحظات الحرب، وهذا يفيد بأنّ جميع حروب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت لهدايه الناس لا غير.

### الانتصار الكبير في خيبر

عندما كُلفَ عليّ عليه السلام من جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفتح قلعتي سلالم والوطيح (وهما الحصنان اللذان عجز عن فتحهما الأميران السابقان ووجها بفرارهما ضربه لا تجبر إلى سمعه الجيش الإسلامى)، ارتدى درعاً قوياً وحمل معه سيفه الخاص ذو الفقار وراح يهرول بشجاعه منقطع النظير نحو القلعتين المذكورتين، والجنّد خلفه، حتى ركز الرايه التي أعطاهها له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الأرض تحت الحصن. ولما رأى اليهود أنّه دنا من الحصن خرج إليه كبار صناديدهم.

وكان أول من خرج إليه أخو مرحب ويُدعى «الحارث» فتقدّم إلى عليّ وصوته يدوى في ساحه القتال بحيث تأخر من كان خلف عليّ من شدة الفزع(٢).

ولكن لم يمض زمان حتى سقط الحارث على الأرض جثّه هامده بضربه قاضيه من عليّ عليه السلام.

ص: ٤٥٤

١- . السيره الحلبيه: ٧٣٦/٢.

٢- . إمتاع الأسماع: ٣١٠/١. قال: فانكشف المسلمون وثبت عليّ.

فغضب مرحب بطل خيبر المعروف لمقتل أخيه الحارث وخرج من الحصن وهو غارق في السلاح، فقد لبس درعاً يمانياً، ووضع على رأسه خوذه منحوته من حجاره خاصه، وتقدّم إلى عليّ عليه السلام كالفحل الصّول يرتجز ويقول:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبِرُ أُنَى مَرْحَبُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مَجْرَبُ

أَطْعَنَ أحياناً وحيناً أُضْرَبُ إِذَا اللَّيْوثُ أَقْبَلَتْ تَلْهَبُ(١)

فأجابه عليّ عليه السلام مرتجزاً وقد أظهر للعدو شخصيته العسكريه في رجزه:

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ ضَرْغَامُ آجَامٍ وَلَيْتُ قَسُورَهُ

عَبَلُ الذِّرَاعِينَ شَدِيدُ الْقَصْرِهْ كَلَيْثُ غَابَاتٍ كَرِيهُ الْمَنْظَرَهُ(٢)

وبعد أن انتهى الطرفان من إنشاد رجزهما تبادلوا الضربات بالسيوف والرماح، فألقت قعقه السيوف وصوت الرماح رعباً عجبياً في قلوب المشاهدين، وفجأه هبط سيف بطل الإسلام القاطع على المفروق من رأس «مرحب» بطل اليهود قدّته خوذته نصفين ونزلت على رأسه وشقته نصفين إلى أسنانه!!

ولقد كانت هذه الضربه من القوّه بحيث أفرغت أكثر من خرج مع «مرحب» من أبطال اليهود وصناديدهم ففرّوا من فورهم، ولجأوا إلى الحصن، وبقي جماعه فقاتلوا عليّاً منازلهم حتّى قتلهم جميعاً، ثم لاحق الفارين منهم حتّى باب الحصن، فضربه عند الحصن رجل من اليهود فطاح ترسّه من يده فتناول عليه السلام باباً كان على الحصن وانتزعه من مكانه، فترس به عن نفسه فلم يزل ذلك الباب في يده وهو يقاتل حتّى فتح الله على يديه ثم ألقاه من يده حين فرغ، وقد حاول ثمانيه من أبطال الإسلام ومنهم أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن

ص: ٤٥٥

١- . يروى ابن هشام فى سيرته أشعار مرحب بصورة أخرى. لاحظ: ج ٧٩٦/٣.

٢- . بحار الأنوار: ١٨/٢١؛ أعيان الشيعة: ٥٥١/١؛ ينابيع الموده: ١٥٥/١.

يقلبوا ذلك الباب أو يحزّكوه من مكانه فلم يقدرُوا على ذلك (١).

وهكذا فتحت القلعه التي عجز عن فتحها المسلمون عشره أيام، في مده قصيره على يد بطل الإسلام الأوّل «علي بن أبي طالب» عليه السلام.

ويقول اليعقوبي في تاريخه:... واقتلع (علي عليه السلام) باب الحصن، وكان من حجاره طولُه أربعة أذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع (٢).

ويقول الشيخ المفيد في إرشاده بسند خاصّ عن أمير المؤمنين قصّه قلعه ذلك الباب: «لَمَّا عَالَجْتُ باب خير جعلته مجنّاً لي وقاتلت القوم، فلَمَّا أخزاهم الله وضعتُ الباب على حصنهم طريقاً، ثم رميتُ به في خندقهم، فقال له رجل: لقد حملت منه ثقلاً! فقال عليه السلام: «ما كان إلّا مثل جُنتي التي في يدي في غير ذلك المقام» (٣).

وقد نقل المؤرّخون قضايا عجيبة حول قلع باب خير هذا وخصوصياته ومواصفاته، وعن بطولات علي عليه السلام في فتح هذا الحصن، وجميعها لا تتماشى ولا تتساير مع قدره البشريه المتعارفه، ولا يمكن أن تصدر منها.

ويقول الإمام علي عليه السلام نفسه في هذا الصدد ما يرفع كلّ شك وإبهام قد يعترض المرء في هذا المجال:

«ما قَلَعْتُها بِقُوّه بَشْرِيّه، ولكن قَلَعْتُها بِقُوّه إلهيه، ونفس بقاء ربّها مطمئنّه رضيّه» (٤).

ص: ٤٥٦

- ١- لاحظ: مجمع البيان: ٢٠١/٩-٢٠٢؛ الطبقات الكبرى: ١١١/٢؛ تاريخ الطبري: ٣٠٠/٢-٣٠١؛ الكامل في التاريخ: ٢١٩/٢-٢٢٠.
- ٢- تاريخ اليعقوبي: ٥٦/٢، دار صادر، بيروت.
- ٣- الإرشاد: ١٢٨/١.
- ٤- بحار الأنوار: ٤٠/٢١.



لو أننا أردنا أن نلتزم بحدود الحق والإنصاف لوجب أن نقول: إن «ابن هشام» في سيرته و«الطبرى» في تاريخه ذكرا قصه مبارزه على عليه السلام في يوم خيبر بصورة مفصلة، نقلا تفاصيلها بصورة دقيقة، ولكنهما ذكرا في نهايه بحثهما التاريخي قصه خياليه لا أساس لها وهى أن مرحباً قُتل على يدي «محمد بن مسلمة» وقالوا: ويرى البعض أن مرحباً اليهودى قتله محمد بن مسلمة انتقاماً لأخيه الذى قتل عند فتح حصن «ناعم» على أيدي اليهود، فقد كلفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتال مرحب فبرز إليه فقتله. (١)

إن هذا الاحتمال من الوهن والبطالان بحيث لا يقاوم التاريخ الإسلامى المسلم والمتواتر، هذا مضافاً إلى أن هذه الأسطوره التاريخيه تعانى من إشكالات، ومؤاخذات نذكرها للقارئ الكريم:

١. أن محمد بن مسلمة لم يكن بذلك الرجل الشجاع، والبطل الصنديد الذى تؤهله شجاعته لأن يكن فاتح خيبر وقاتل بطلها الأكبر، فإن التاريخ لا يذكر عنه نموذجاً بارزاً من بطولته وشجاعته، إنما كلف في السنه الثالثه من جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقط بأن يغتال «كعب بن الأشرف» الذى حرّك المشركين وألبهم ضد الإسلام والمسلمين بعد معركة بدر الكبرى، وقد بقى ثلاثه أيام بلباليها لا يطعم شيئاً خوفاً، فأنكر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خوفه وسأله عن سبب ذلك فقال: يا رسول الله قلت لك قولاً لا أدرى هل أفينّ به أم لا؟ فلمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه ذلك أرسل معه أربعة رجال آخرين ليعينوه في هذه المهمه، ويتخلصوا من «كعب» الذى كان

ص: ٤٥٧

١- . لاحظ: تاريخ الطبرى: ٢/٢٩٩؛ السيره النبويه لابن هشام: ٣/٧٩٧.

يريد إعادته القتال بين المسلمين والمشركين.

فخرجوا إليه في منتصف الليل وقتلوا عدو الله كعباً وفق خطه خاصه ولكن «محمد بن مسلمه» جرح أحد رفاقه من شدة الخوف والوحشه التي أصابته(1)، ولا شك أن صاحب مثل هذه النفسه لا يمكنه أن يبارز صناديد «خير» المعروفين وينالهم.

٢. أن فاتح «خير» لم يقاتل مرحباً ويقتله وحده، بل قاتل بعد مصرع مرحب من كانوا قد جاءوا معه إلى ساحه القتال من شجعان اليهود فلاحق الفارين، ونازل الذين بقوا ولم يفرّوا.

وإليك أسماء من بقوا في ساحه القتال وقاتلوا علياً عليه السلام بعد قتله مرحباً:

١. داود بن قابوس.

٢. ربيع ابن أبي الحقيق.

٣. أبو البائت.

٤. مرّه بن مروان.

٥. ياسر الخبيري.

٦. ضحيج الخبيري.

وكل هؤلاء كانوا من صناديد اليهود وأبطالهم، وكانوا يقاتلون خارج حصن خير ويمنعون من أيه محاوله لفتح قلاع اليهود في هذه الوقعه.

إن هؤلاء الستة قتلوا على يد علي بن أبي طالب عليه السلام وهم يرتجزون في

ص: ٤٥٨

---

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٥٦٧/٢.

فَمَنْ يَكُونُ وَالْحَالُ هَذِهِ فَاتِحَ «خَيْرٍ» وَقَاتَلَ مَرْحَبَ؟

إذا كان «محمّد بن مسلمه» فإنّه لا يمكن أن يعود بعد قتل مرحب إلى معسكر المسلمين ويتجاهل أولئك الأبطال خلف مرحب بل لابد أن يقاتلهم، في حين اتّفتت كلّ السير والتواريخ على أنّ هؤلاء قتلوا جميعاً على يد علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣. أنّ هذه الأسطوره التاريخيه تتنافى مع الحديث المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال في حقّ علي عليه السلام: «يفتح الله على يديه» مع العلم بأنّ المانع الأكبر من فتح خير كان هو مرحب المذى أجبرت شجاعته الأميرين السابقين على الفرار، فإذا كان قاتل مرحب هو «محمّد بن مسلمه» لزم أن يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جملته هذه في حقّ «محمّد بن مسلمه» لا في حقّ «علي» عليه السلام الذي أعطاه الرايه بعد أن قال تلك الجمله: «يفتح الله على يديه».

يقول الحلبي كاتب السيره المعروف: قيل: القاتل له (أى لمرحب) عليّ (كرم الله وجهه) وبه جزم مسلم رحمه الله في صحيحه. قال بعضهم: والأخبار متواتره به، وقال ابن الأثير: الصحيح الذي عليه أهل السير والحديث أنّ عليّاً قاتله (كرم الله وجهه)...(٢).

ولقد وقع الطبرى في تاريخه، وابن هشام في سيرته في شىء من الاضطراب والفوضى وكتبا قصّه هزيمه ورجوع الرجلين اللذين كلّفا قبل علي عليه السلام بفتح قلاع اليهود بصوره لا تتفق مع مفهوم الجمله التى قالها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في

ص: ٤٥٩

١- . ناسخ التواريخ: ٢٨٢/٢-٢٨٦.

٢- . السيره الحلبيه: ٧٣٨/٢. وراجع: زاد المعاد: ١٣٤/٢ و ١٣٥.

حقّ على عليه السلام.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حقّه: «ليس بفرّار»<sup>(١)</sup> يعنى أنّ المذنب سوف يعطيه الرايه لا يفرّ أبداً، ومفهوم هذه الجملة هو أنّ علياً عليه السلام لا يفرّ ولا يجبن أمام العدوّ كما فرّ القائدان السابقان، وهذا يعنى أنّ القائدين السابقين فرّوا أمام العدوّ، وأخليا الساحه، فى حين أنّ الكاتيين المذكورين لا يذكران مسأله فرار القائدين المذكورين، وإنّما يكتبان رجوعهما كما لو أنّهما قد أدّيا وظيفتهما القتاليه والعسكريه على الوجه الكامل، ولكنّهما لم يوفقا للفتح<sup>(٢)</sup>.

### ثلاث نقاط مشرقه فى حياه على عليه السلام

ونختم هذا البحث بذكر ثلاث فضائل لفاتح خيبر ذكرها أحد خصومه لها ارتباط بموقفه عليه السلام فى خيبر:

أمر معاويه سعد بن أبى وقاص يوماً سبّه فامتنع، فقال: ما منعك أن تسبّ أباً التراب؟

فقال: أمّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالهنّ له رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فلن أسبّه لأن تكون لى واحده منهنّ أحبُّ إلّى من حُمرِ النعم.

ثم أخذ سعد فى عدّ تلك المناقب فقال:

١. سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول له وقد خلفه فى بعض مغازيه<sup>(٣)</sup> فقال له علىّ: يا رسول الله خلّفتنى مع النساء والصبيان؟

ص: ٤٤٠

١- . المغازى: ٢/٤٥٣.

٢- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٣/٧٩٧.

٣- . وهى إشاره إلى واقعه تبوك.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أما ترضى أن تكون منى بمنزله هارون من موسى، إلا أنه لا نبؤه بعدى».

٢. وسمعتَه يقول يوم خيبر:

«لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله». قال: فتناولنا لها فقال: «أدعوا لى علياً». فأتى به أرمداً فبصق فى عينه، ودفع الراية إليه ففتح الله عليه (١).

٣. ولما نزلت هذه الآية: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ...» (٢) دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال:

«اللهم هؤلاء أهلى» (٣)(٤).

## عوامل الانتصار

### إشارة

فتحت حصون «خيبر»، واستسلم اليهود للمسلمين بشروط خاصه، ولكن يجب أن نرى ماهى العوامل التى أدت إلى هذا الانتصار، فهذه هى فى الحقيقة النقاط الهامة فى هذا القسم.

إن انتصار المسلمين الساحق فى هذه الغزوة يعود إلى عوامل يمكن الإشارة إليها على نحو الإجمال ثم شرحها بالتفصيل فى ما بعد.

ص: ٤٦١

١- . وهى إشارة إلى واقعه خيبر.

٢- . آل عمران: ٦١.

٣- . وهى إشارة إلى قصه مباهله النبى نصارى نجران.

٤- . صحيح مسلم: ١٢١/٧، باب من فضائل على عليه السلام.

١، التخطيط العسكري والتكتيك الحربى الدقيق.

٢. تحصيل المعلومات ومعرفة أسرار العدو الداخليه.

٣. تفانى الإمام على بن أبى طالب، وبطولته النادره. وهنا نحن ندرس هذه الأمور الثلاثة على وجه التفصيل:

### ١. التخطيط والتكتيك العسكرى الدقيق

لقد هبط الجيش الإسلامى فى منطقه قطع بها المسلمون ارتباط اليهود بأصدقائهم القدامى (قبائل غطفان).

وقد كان بين قبائل غطفان فرسان كثيرون، ولو استطاعوا أن يعينوا اليهود فى هذه الموقعه لما أمكن فتح حصون خيبر.

فإنَّ «غطفان» لما سمعت بمسير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى خيبر خرجوا ليظاهروا اليهود عليه، ولكنهم ما أن سمعوا الشائعه التى مفادها أن أصحاب محمّد قد قصدوهم من طريق آخر ظنّوا أنّهم سيهاجمون أموالهم وأهليهم فرجعوا من منتصف الطريق على أعقابهم، وأقاموا فى أهليهم وأموالهم وخلّوا بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين «خيبر».

يقول المؤرّخون: إنّ هذه الشائعه كانت نتيجة نداء غيبى سمعه رجالُ غطفان فظنّوا أنّ المسلمين داهموا أهليهم (١)، ولكنّه ليس من المستبعد أن تكون هذه الشائعه من فعل المسلمين المتستريين من قبائل غطفان، والذين أمرّوا بأن يتظاهروا بالكفر، وبيقوا فى قبائلهم حتّى يعينوا إخوانهم المسلمين فى اللحظات المناسبه.

ص: ٤٦٢

١- . لاحظ: المغازى: ٦٥١/٢-٦٥٣.

فخططوا لهذه الموقعة بمهاره كبيره وكانوا فى ذلك ناجحين جداً إلى درجه أنه تسبب فى أن تعدل إمدادات غطفان العسكريه لليهود من مواصله مسيرها إلى «خيبر»، والعوده إلى أهليهم وترك اليهود وشأنهم.

وقد سبق لهذا نظيرٌ فى معركة «الأحزاب» - كما مرّ عليك - يوم امتنعت قبائل غطفان عن نصره اليهود بسبب شائعه بثها بينهم رجلٌ من المسلمين من بنى غطفان يُدعى «نعيم بن مسعود»، وتفترق على أثره جماعه الأحزاب، وانفرط عقدهم.

## ٢. تحصيل المعلومات حول العدو

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما أسلفنا مراراً يُولى تحصيل المعلومات ومعرفه أسرار العدو، أهميته كبيره.

ولهذا بعث قبل محاصره «خيبر» طليعه من المسلمين وأمر عليهم «عباد بن بشر» ووجههم إلى «خيبر»، فالتقوا يهودى قرب حصون «خيبر»، وبعد التحقيق معه تبين أنه عينٌ لليهود يتجسس لهم الأخبار، فهددوه بالقتل، فقال: أفتؤمننى على أن أصدقك؟ فأمنه عباد.

فقال اليهودى: القوم مرعوبون منكم خائفون وجلون لما قد صنعتم بمن كان يثرب من اليهود... فأتى به عباد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره الخبر. (١)

ثم قال: خرجت من حصن «النطاه» من عند قوم ليس لهم نظامٌ تركتهم يتسللون من الحصن فى هذه الليله. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فأين يذهبون؟ قال: إلى أذلّ ممّا كانوا فيه، إلى «الشق» وقد رعبوا منك حتى أنّ أفئدتهم لتخفق، وهذا

ص: ٤٦٣

حصن اليهود فيه السلاح والطعام والودك، وفيه آله حصونهم التي كانوا يقاتلون بها بعضهم بعضاً، قد غيبوا ذلك في بيت من حصونهم تحت الأرض. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وما هو؟ قال: منجنيق مفككه ودبابتان وسلاح من دروع وبيضٌ وسيوف، فإذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن شاء الله، قال اليهودي: إن شاء الله أوقفك عليه فإنه لا يعرفه أحد من اليهود غيري... ثم انصب المنجنيق على حصن الشق وتدخل الرجال تحت الدبابتين فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك(١).

إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن لم يستخدم هذه الأدوات التخريبية إلا أن المعلومات التي وقف عليها من ذلك اليهودي الأسير كانت مهمة؛ لأنها أوضحت نقطه الهجوم غداً، وعرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن التغلب على حصن «النطاه» لا يحتاج إلى قوة كبيرة، وأنه لابد من رعايه المزيد من الحيطه والحذر عند فتح حصن «الشق».

نموذج آخر: عند فتح إحدى القلاع أتى يهودي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ثلاثة أيام مضت على محاصرتها وقال - ولعله لتخليص نفسه - إنك لو أقيمت شهراً ما بالوا، لهم دبول (جدول) تحت الأرض يخرجون بالليل فيشربون بها ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون منك، وإن قطعت مشربهم عليهم ضجهم(٢).

وفي روايه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يوافق على قطع الماء عن العدو.

وفي أخرى؛ قطع عليهم مشاربهم مؤقتاً فلم يطيقوا المقام على العطش(٣).

ص: ٤٦٤

١- المغازي: ٦٤٧/٢-٦٤٨؛ إمتاع الأسماع: ٢٣٢/٩.

٢- المغازي: ٦٦٦/٢-٦٦٧.

٣- ناسخ التواريخ: ٢٩٩/٢.



### ٣. تفانى امير المؤمنين عليه السلام

ولقد ذكرنا تفانى على بن أبى طالب، وبطولته فى هذه الموقعة بصوره مجمله، وها نحن ننقل عبارته قالها هو عليه السلام عن هذه المسأله:

وَرَدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَدِينَةَ أَصْحَابِكَ خَيْرَ عَلِيٍّ رِجَالٍ مِنَ الْيَهُودِ وَفِرْسَانِهَا مِنْ قَرِيشٍ وَغَيْرِهَا، فَتَلَقَوْنَا بِأَمْثَالِ الْجِبَالِ مِنَ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ، وَهُمْ فِي أَمْنٍ دَارٍ وَأَكْثَرُ عَدَدٍ، كُلٌّ يَنَادِي وَيَدْعُو وَيُبَادِرُ إِلَى الْقِتَالِ، فَلَمْ يَبْرُزْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَصْحَابِي أَحَدٌ إِلَّا قَاتَلُوهُ حَتَّى احْمَرَّتِ الْحَدَقُ، وَدُعِيَ إِلَى النِّزَالِ، وَأَهْمَتْ كُلُّ أَمْرٍ نَفْسَهُ، وَالتَّفَتَ بَعْضُ أَصْحَابِي إِلَى بَعْضٍ وَكُلٌّ يَقُولُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ انْهَضْ.

فَأَنْهَضَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى دَارِهِمْ فَلَمْ يَبْرُزْ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا قَاتَلْتُهُ، وَلَا يَثْبُتُ لِي فَارِسٌ إِلَّا طَاحَتْهُ، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِمْ شِدَّةَ اللَّيْثِ عَلَى فَرِيستِهِ حَتَّى أَدْخَلْتُهُمْ جَوْفَ مَدِينَتِهِمْ مَسْدَدًا عَلَيْهِمْ فَاقْتَلَعْتُ بَابَ حَصْنِهِمْ بِيَدِي حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ مَدِينَتَهُمْ وَحَدَى أَقْتُلُ مَنْ يَظْهَرُ فِيهَا مِنْ رِجَالِهَا، وَأَسْبَى مِنْ أَجْدُ مِنْ نِسَائِهَا حَتَّى افْتَتَحْتُهَا وَحَدَى، وَلَمْ يَكُنْ لِي فِيهَا مُعَاوَنٌ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ (١).

### الرحمة فى ساحه القتال

عندما افتتح حصن «القموص» سُبَيْت «صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيِّ بْنِ أَخْطَبٍ» وابنه عَمَّهَا، فَمَرَّ بِهِمَا «بِلَالٌ» عَلَى الْقَتْلِ فَصَاحَتْ ابْنَةُ عَمَّهَا صِيَاحًا شَدِيدًا جَزَعَهُ مِمَّا رَأَتْ، فَكَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا صَنَعَ بِلَالٌ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«أَذْهَبَتْ مِنْكَ الرَّحْمَةُ؟ تَمَرَّ بِجَارِيَةِ حَدِيثِهِ السَّنَّ عَلَى الْقَتْلِ؟»

ص: ٤٤٥

فقال بلال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ظننتُ أنك تكره ذلك، وأحبيت أن ترى مصارع قومها(١).

ولم يكتف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا القدر من تطيب خاطر «صفيه» بل احترامها، وعين لها مكاناً خاصاً للاستراحة في المعسكر، واختارها زوجه لنفسه، وبهذا الطريق أزال آثار ذلك الصنيع السيئ الذي قام به بلال.

لقد تركت أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعامله الإنسانى الرفيع مع «صفيه» أثراً حسناً في نفسها، فقد صارت في ما بعد من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوفيات المخلصات، وقد حزنت عند وفاته، وبكت له أكثر من بقيه أزواجه(٢).

### مصراع كنانه بن الربيع

منذ أن أُجلى «بنو النضير» عن المدينة وسكنوا «خيبر» أحدثوا صُندوقاً لجمع الأموال لإداره شؤونهم العامه، ولسد نفقات الحروب، ولإعطاء ديه كلِّ مَنْ كان يُقتل من بنى النضير.

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ هذا الكنز وهذه الأموال قد أُودعت عند «كنانه بن الربيع» زوج «صفيه»، فلما افتتح صلى الله عليه وآله وسلم خيبر طلب ابن الربيع وسأله عن كنز اليهود، فأنكر ذلك فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحبسه، ثم عرف بعد التحقيق من اليهود، بمكان ذلك الكنز، وقد كان بخبره، إذ قال له يهودى: إنى رأيت كنانه يطيف بهذه الخربه كلَّ غداه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكنانه: أرأيت إن وجدناه عندك، أأفتلك؟ قال: نعم، فأمر رسول الله بالخربه فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله عما بقى فأبى

ص: ٤٦٦

١- المغازى: ٦٧٣/٢؛ إمتاع الأسماع: ٣١٦/١.

٢- لاحظ: سير أعلام النبلاء: ٢٣١/٢ برقم ٢٦؛ الإصابه: ٢١٠/٨ برقم ١١٤٠٧.

أن يؤديه...، ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى محمد بن مسلمه فضرب عنقه قصاصاً لأخيه الذي قُتل في وقعه خيبر «محمود بن مسلمه» والذي قتله اليهود بإلقاء رحي من حجر من فوق حصونهم على رأسه. (١) وإنما قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كنانه بضرب عنقه، لتواطؤه ضد الإسلام، وكتمانه مثل هذا الأمر، وتأديباً لغيره من اليهود حتى يتورعوا عن حبك المؤامرات ضد رسول الإسلام وضد أصحابه، وضد الحكومه الإسلاميه، وكان «كنانه» آخر من قُتل من يهود خيبر.

## تقسيم غنائم الحرب

بعد افتتاح حصون «خيبر»، وتجريد العدو من كل أسلحته، وجمع الغنائم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن تجمع الغنائم كلها في مكان واحد، ثم أمر صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً بأن ينادى في الناس:

«ردّوا الخيط والمخيطة، فإنّ الغلُولَ عارٌّ وشنارٌّ ونازٌّ يوم القيامة» (٢).

ولقد شدّد قاده الإسلام وأئمة الحقيقيون على أهميه الأمانه تشديداً بالغاً حتى أنّهم اعتبروا ردّ الأمانه - مهما صغرت ودقت - من علائم الإيما، والخيانه وعدم ردّها من علائم النفاق.

من هنا عندما عثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رحل مُسلم من المقاتلين شيئاً من أموال الغنيمه لم يردها إلى بيت المال، لم يصلّ على جنازه ذلك الرجل عندما استشهد، وإليك تفصيل هذه الحادته.

لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من خيبر ومع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غلام

ص: ٤٤٧

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٧٩٩/٣-٨٠٠؛ بحار الأنوار: ٣٣/٢١.

٢- . مجمع البيان: ٤٣٣/٢؛ المغازي: ٦٨١/٢، وفيه: «أدوا» بدل «ردّوا».

له، يقوم له بشؤونه، وفيما كان ذلك يضع رَحْلَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ أتاه سهمٌ لا يُعلمُ راميهِ فأصابه فقتله، فقال المسلمون: هنيئاً له الجنة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ شِمْلَتَهُ (١) الْآنَ لَتَحْتَرِقُ عَلَيْهِ فِي النَّارِ، كَانَ قَدْ غَلَّهَا مِنْ فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ خَيْبَرَ!!»

فسمع رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا الكلام فأتاه وقال: يا رسول الله، أصبت شركين لنعلين لي فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يُقَدُّ لَكَ مِثْلَهُمَا مِنَ النَّارِ» (٢).

وهذه القصة تفضح أيضاً دسائس بعض المستشرقين، لأنهم كانوا يصفون حروب الإسلام ومعاركه العادله بأنها كانت من أجل الإغارة على أموال الناس ومصادرتها كما يفعل قُطَاعُ الطرق، متجاهلين عمداً وكيداً الأهداف الإنسانية والإلهية العليا لهذه المعارك والغزوات، والحال أن مثل هذا الانضباطية والنظم والورع ممّا لا يمكن تصوّره في قوم همهم الإغارة والنهب والسلب.

إنّ قائد شعب أو قوم هذا هو همهم وهذه هي همّتهم لا يمكن أبداً أن يعتبر ردّ الأمانه من واجبات الدين ومن علائم الإيمان، كما لا يمكنه أن يربّي أتباعه وأصحابه بمثل هذه التربيّه الرفيعه، بحيث يجعله يجتنب عن سرقة صغيره جداً مثل غلّ شركي نعلين لاقيمه لهما.

### قافله من أرض الذكريات

قبل أن يتوجّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمسلمين إلى «خيبر» بعث «عمرو بن أمية»

ص: ٤٤٨

١- . الشملة كساء غليظ يُلتحفُ به.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٨٠٢/٣؛ تاريخ الطبري: ٣٠٤/٢؛ الكامل في التاريخ: ٢٢٢/٢.

إلى البلاط الحبشى لغرض إيصال رسالته إلى ملك الحبشه النجاشى، وليطلب منه أن يهيئ المقدمات اللازمه لترحيل المسلمين المهاجرين من الحبشه إلى المدينه.

فهيأ النجاشى سفينتين لأولئك المهاجرين بعد أن جهّزهم بجهاز حسن وأمر لهم بكسوه، فسارت بهم حتى وصلت إلى السواحل القريبه من المدينه.

ولما علم المسلمون بمسير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى «خير» توجهوا من فورهم إلى «خير» فقدموا مع «جعفر بن أبى طالب» على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم «خير» بعد أن افتتحت جميع حصون اليهود وقلاعهم.

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعفرًا مشى فى استقباله (١٢) خطوه ثم قَبِل ما بين عينيه والتزمه وقال:

«ما أدري بأيهما أنا أسرُّ بفتح خير أم بقدم جعفر؟» (١).

وفى روايه أخرى قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا أدري بأيهما أنا أشدُّ سروراً، بقدمك يا جعفر أم بفتح الله على أخيك خير» (٢).

ثم إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لجعفر:

«يا جعفر ألا أمنحك؟ ألا أعطيك، ألا أحبك؟».

فظنَّ الناس أنه يعطيه ذهباً أو فضه، فتشوّف - أى فتطلّع - الناس لذلك.

فقال له:

إنى أعطيك شيئاً إن أنت صنعته فى كلِّ يوم كان خيراً لك من الدنيا وما فيها».

ص: ٤٦٩

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٨٠٢/٣.

٢- . الخصال: ٤٨٤؛ بحار الأنوار: ٢٤/٢١ برقم ١٩.

ثم علمه صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة المعروفة بصلاة جعفر الطيار(١).

### حجم الخسائر وعدد القتلى

لم يتجاوز عدد قتلى المسلمين في هذه الغزوه ٢٠ شخصاً ولكن قتل من اليهود أكثر من هذا بكثير، وقد سجل التاريخ أسماء ٩٣ رجلاً منهم(٢).

### العفو بعد الانتصار

المؤمنون بالله وأصحاب المروءات من البشر يعاملون العدو المنهزم المقهور عند الغلبه عليه والظفر به باللطف والحب، ويعفون عنه ويتناسون روح الانتقام، أجل إنهم يشملون العدو منذ استسلامه بعطفهم وحنانهم وتلك هي حقيقه أثبتتها وقائع التاريخ الحيه.

وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما تغلب على يهود خيبر فقد عاملهم بعد الانتصار معاملة حسنه، وشملهم بعفوه، ولطفه رغم كل ما ارتكبه في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ظلم وجنايه وتأليب للعرب الوثنيين ضد الإسلام وإشعال حروب كادت أن تودي بالحكومه الإسلاميه وتستأصل المسلمين، وتقضى على جهود رسول الإسلام.

فقد قبل بطلب اليهود بأن يسكنهم في خيبر كما كانوا، وأن يترك أراضيهم وبساتينهم بأيديهم، على أن يكون له نصف محاصيلها سنوياً.

بل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - كما يروى ابن هشام - هو الذي اقترح هذا الأمر على

ص: ٤٧٠

١- فروع الكافي: ٤٦٥/٣، الحديث ١، باب صلاة التسييح؛ بحار الأنوار: ٢٤/٢١.

٢- لاحظ: بحار الأنوار: ٣٢/٢١.

اليهود، وترك لهم حرية التصرف في مزارعهم وأراضيهم ليغرسوا أو يزرعوا ما يريدون من الشجر(١).

لقد كان في مقدور النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كأى فاتح آخر، أن يريق دمهم جميعاً، أو أن يجلبهم برمتهم من أراضيهم، أو يجبرهم على اعتناق الإسلام، ولكّنه - خلافاً لتصوّر زمره مغرضه من المستشرقين، وطلائع الاستعمار الثقافى الذين يتصوّرون ويزعمون بأنّ الإسلام دين القهر والقوه، وأنّ المسلمين أجبروا الأمم والأقوام المغلوبه على ترك عقائدها، واعتناق الإسلام - لم يفعل مثل هذا العمل قط، بل تركهم أحراراً فى ممارسه شعائهم، والبقاء على ما كانوا يعتقدونه من أصول دينهم وفروعه.

ولم يحارب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يهود «خيبر» إلّا لأنّ «خيبر» قد تحوّلت إلى بؤره خطره للمؤامره، والكيده بالإسلام والمسلمين، فقد كانوا يمدّون المشركين بكلّ ما يريدون للقضاء على الحكومه الإسلاميه الحديثه التأسيس، ولهذا اضطرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مقاتلتهم، وتجريدهم من أسلحتهم، حتّى يعيشوا تحت ظلّ الحكومه الإسلاميه بمنتهى الحرية، ويشتغلوا بمشاغلهم فى الزراعه، وقيموا شعائهم الدينيه من دون أن يجدوا فرصه للمشاغبه والتآمر ضدّ رساله التوحيد الكبرى، إذ كانوا يسبّبون مشاكل كبيره للمسلمين - فى غير هذه الصوره - ويمنعون من تقدّم الإسلام وانتشاره.

وأما الجزية(٢) فقد كانت لقاء دفاع الحكومه الإسلاميه عنهم، وحمائيتهم من

ص: ٤٧١

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ١١٦/٣.

٢- . الجزية ما يؤخذ من أهل الذمه.

الأعداء، وتوفير الأمن لهم، إذ كانت حمايه أموالهم وأنفسهم من وظائف المسلمين.

ثم إنَّ المحاسبه الدقيقه تقودنا إلى أنّ ما كان يدفعه المسلمون إلى الحكومه الإسلاميه من الضرائب كان أكثر بكثير ممّا كان يدفعه اليهود، والنصارى إلى الحكومه الإسلاميه بعنوان الجزيه.

فقد كان يتوجب على كلّ مسلم أن يدفع إلى الحكومه الإسلاميه الخمس والزكاه وربما توجب عليه أن يدفع شيئاً من أصل ماله لسدّ نفقات واحتياجات الحكومه الإسلاميه، بينما كان اليهود والنصارى الذين كانوا يعيشون في ظلّ الحكومه الإسلاميه في أمن وأمان ويتمتعون بجميع الامتيازات والحقوق الاجتماعيه والفرديه يدفعون إلى الحكومه الإسلاميه الجزيه بدل ما كان يدفعه المسلمون، فالجزيه شيء والأتاوه شيء آخر، على خلاف ما يروّجه بعض الكتاب المغرضين.

ولقد كان عامل الجبايه الذي كان يزور خبير بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتقدير حجم المحاصيل فيها، ثم تنصيفها رجلاً عادلاً ورعاً إلى درجه أنّ اليهود أنفسهم أعجبوا بعدله، واعترفوا بإنصافه، هو «عبدالله بن رواحه» الذي استشهد فيما بعد، في موقعه «مؤته».

فقد كان «ابن رواحه» يخمّن نصيب المسلمين من محاصيل خبير، وربما تصوّر اليهود أنّه أخطأ في التخمين والخرص، وخمّن أكثر ممّا هو الحقّ فقالوا له:

تعديت علينا!

فكان عبدالله يقول: إن شئتم فلکم وإن شئتم فلنا.

فتقول اليهود - معجبه بهذا الإنصاف العظيم والعدل الكبير الذي كان يتحلّى



به مخزّص الحكومه الإسلاميه -: بهذا قامت السماوات والأرض (١).

ولقد حصل المسلمون أثناء جمع غنائم «خيبر» على قطعه من التوراه، فطلبت اليهود من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يعيدها إليهم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسؤول بيت المال بإعادتها إليهم (٢).

وهذا يكشف عن إحترام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للشرائع الأخرى.

### سلوك اليهود المتعجرف

فى قبال كلّ هذه الألفاف لم تكف اليهود عن خيانتها وكيدها، بل ظلّت تخطّط - فى الخفاء - للإيقاع برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، وإلحاق الأذى بهم.

ولنقف فيما يأتى على نموذجين من هذا الأمر:

١. لما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (قررت جماعه من اليهود فى الخفاء أن تقضى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدس سم إليه). فأهدت له «زينب بنت الحارث» زوجه «سلام بن مشكم اليهودى» شاه مصليته، وقد سألت: أى عضو من الشاه أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقبل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمّت سائر الشاه، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تناول الذراع، فلاك منها مضغه، فلم يسغها، ومعه «بشر بن البراء بن معرور» قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم، ثم دعا بها، فاعترفت. فقال لها: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومى ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكاً استرحت منه، وإن

ص: ٤٧٣

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٨١٤/٣.

٢- . لاحظ: المغازى: ٦٨٠/٢؛ إمتاع الأسماع: ٣١٨/١.

كان نبياً فسيخبر.

فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومات بشر من أكلته التي أكل. (١)

لاشكّ لو أنّ مثل هذه الحادثة حدثت لغير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من القاده والزعماء لصبغوا الأرض بدماء من ظنوا أنّه قصد قتلهم، أو ملأوا السجون بهم وحبسوهم، أعواماً مديده أو أخضعوهم لأشد أنواع التعذيب الجسدى والنفسى كما يحدثنا بذلك التاريخ القديم والحديث.

إنّ هذه المؤامره الدينيه التي قامت بها امرأه من اليهود جعلت الكثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسيئون الظن بصفيه اليهوديه التي أصبحت في عداد أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد باتوا يتصوّرون أنّها ربما أقدمت في ليله من الليالي على اغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولهذا عندما أعرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بها بخير أو في أثناء الطريق بات «أبو أيوب الأنصارى» خالد بن زيد أخو بنى النجار متوشحاً سيفه، يحرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويطيّف بالقبه حتّى أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله و سلم فلما رأى مكانه قال: مالك يا أبا أيوب؟

قال: يا رسول الله خفتُ عليك من هذه المرأه، وكانت امرأه قد قتلت أباهَا

ص: ٤٧٤

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٨٠١/٣؛ ولاحظ: المغازى: ٦٧٧/٢ و ٦٧٨؛ وإمتاع الأسماع: ٣٤٩/١٣. هذا والمعروف أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في مرضه الذي مات فيه: إن هذا لأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى من الأكله التي أكلت بخير. سيره ابن هشام: ٨٠١/٣؛ إمتاع الأسماع: ٤٣٧/١٤. فإنّ النبي، وان كان لفظ المضغه إلّا أنّ بقايا السمّ اختلط ببزاقه الشريف، وأثر في جسمه المبارك حتّى أودى بحياته المقدّسه بعد حين.

وزوجها وقومها، وكانت حديثه عهد بكفر، فخفّتها عليك. فشكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودعا له بخير(١).

٢. والنموذج الثاني من جفاء اليهود، وكيدهم حتّى بعد عفو النبي عنهم، ولطفه بهم أنّ «عبدالله بن سهيل» الذى كُلف من جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى إحدى السنين بخرص محاصيل خيبر وتقديرها وحمل نصيب المسلمين منها إلى المدينة قتلتها جماعه مجهوله من اليهود أثناء قيامه بواجبه فى خيبر وقد كسروا عنقه وألقوه فى بئر، ثم قدموا (جماعه من زعماء اليهود المدينة ودخلوا) على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكروا له شأنه، فتقدّم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخوه «عبدالرحمن» ومعه إبن عمّه حويصه ومحيصه ابنا مسعود، وكان عبدالرحمن من أحدثهم سناً وكان صاحب الدّم، وكان ذا قدم فى القوم، فلما تكلم قبل ابني عمّه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الكُبر الكُبر (أى قدّموا الأكبر للكلام إرشاداً إلى الأدب فى تقديم الأسنّ وهو خلق يدعو إليه الإسلام). فسكت فتكلم حويصه ومحيصه، ثم تكلم هو بعد، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتل صاحبهم وطلبوا القصاص فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أتسمون قاتلكم، ثم تحلفون عليه خمسين يميناً فنسلّمه إليكم؟».

قالوا: يا رسول الله ما كنّا لنحلف على ما لا نعلم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أفحلفونَ (أى يحلف اليهود) بالله خمسين يميناً ما قتلوه، ولا يعلمون له قاتلاً، ثم يبرأون من دمه؟»

قالوا: يا رسول الله ما كنّا لنقبل إيمان اليهود، ما فيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم.

ص: ٤٧٥

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٨٠٢/٣؛ السيره الحلبيه: ٧٤٩/٢.

فكتب رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى يهود خيبر حين كلمته الأنصار: إنَّه قد وُجدَ قَتيلٌ بين أيَّاتكم فدوه (أى أعطوا ديته).

فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه، ولا يعلمون له قاتلاً.

فوداه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عنده مائه ناقه (١). وهكذا أثبت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لليهود مره أخرى بأنَّه ليس داعيه حرب ولا طالب قتال وسفك دماء، ولو كان كغيره من الزعماء والسياسيين لا يتخذ من قصه مقتل «عبد الله» ذريعاً للقضاء على حياه تلك الزمره المعتديه، المشاغبه المخله بالأمن (٢).

إنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما يصرِّح بذلك القرآن الكريم ويصفه: نبيُّ الرحمة، فهو لا يحتكم إلى السيف ما لم يبلغ الأمر مداه.

### حيله مُجازِه

كان في خيبر تاجر يُدعى الحجاج بن علاط السلمى له تجاره مع أهل مكَّه، وكان ممَّن حضر يوم خيبر، وشاهد لطف النبي ورحمته فأسلم طائِعاً راغباً.

ولمَّا فرغ المسلمون من أمر «خيبر» أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا رسول الله

ص: ٤٧٦

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٨١٥/٣-٨١٦.

٢- . لم تنحصر تعديت اليهود وتجاوزاتهم على ما ذكرناه فلطالما خططوا ودبروا الحيل لإلحاق الأذى والضرر بالمسلمين، ومن جملة ذلك حادث «عبد الله بن عمر» الهمذى ذهب إلى خيبر في عهد الخليفه الثاني لعقد اتفاقيه مع أهلها فاعتدوا عليه بالضرب، فلمَّا عرف بذلك عمر رأى أن يجلبهم من خيبر ليقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يجتمعنَّ بجزيره العرب دينان» فقال لصحابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: مَنْ كان له مال بخيبر فليلحق به فإنِّي مخرج يهود، ثم أجلاهم من خيبر جزاء كيدهم وتأميرهم المستمر. (لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٨١٦/٣-٨١٧).

إِنَّ لِي بِمَكَّةَ مَالًا عِنْدَ صَاحِبَتِي أُمِّ شَيْبَةَ بِنْتِ أَبِي طَلْحَةَ - وَكَانَتْ عِنْدَهُ، لَهُ مِنْهَا مَعْرُضُ ابْنِ الْحِجَّاجِ - وَمَالٌ مَتَفَرِّقٌ فِي تِجَارِ مَكَّةَ فَأُذِنَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأُذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ لِيَسْتَنْقِذَ أَمْوَالَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَغَيْرِهِمْ فِي مَكَّةَ.

فَقَدِمَ مَكَّةَ، فَرَأَاهُ رِجَالُ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا حَوْلَهُ وَأَخَذُوا يَسْأَلُونَهُ عَنِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَكُونُوا عَالِمِينَ بِإِسْلَامِهِ فَأَجَابَهُمْ قَائِلًا: لَقَدْ هُزِمَ (مُحَمَّدٌ بِخَيْبَرَ) هَزِيمَةً لَمْ تَسْمَعُوا بِمِثْلِهَا قَطُّ، (وَقُتِلَ أَصْحَابُهُ قِتْلًا لَمْ تَسْمَعُوا بِمِثْلِهِ قَطُّ)، وَأُسِرَ مُحَمَّدٌ أَسْرًا، وَقَالَتِ الْيَهُودُ: لَا نَقْتُلُهُ حَتَّى نَبْعَثَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَيَقْتُلُوهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ انتِقَامًا بِمَنْ كَانَ أَصَابَ مِنْ رِجَالِهِمْ.

فَفَرِحَ سَادَةُ قُرَيْشٍ لِهَذَا الْخَبَرِ الْكَاذِبِ فَرَحًا شَدِيدًا، ثُمَّ قَالَ الْحِجَّاجُ لَهُمْ:

أَعِينُونِي عَلَى جَمْعِ مَالِي بِمَكَّةَ وَعَلَى غَرْمَائِي، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقْدِمَ خَيْبَرَ، فَأُصِيبُ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَنِي التِّجَارُ إِلَى مَا هُنَالِكَ. فَجَمَعُوا لَهُ مَالَهُ كَأَسْرَعِ مَا يَكُونُ.

فَلَمَّا سَمِعَ «الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» هَذَا الْخَبَرَ جَاءَ إِلَى الْحِجَّاجِ وَقَالَ: يَا حِجَّاجُ مَا هَذَا الْخَبَرُ الَّذِي جِئْتَ بِهِ؟ فَأَشَارَ الْحِجَّاجُ إِلَى الْعَبَّاسِ بِأَنَّهُ سَيُخْبِرُهُ بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ، ثُمَّ التَقَى الْعَبَّاسُ خَفِيهِ وَأَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ مَا كَرَّ أَهْلَ مَكَّةَ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ظَفَرَ بِيَهُودِ خَيْبَرَ، وَطَلَبَ مِنَ الْعَبَّاسِ قَائِلًا: احْفَظْ عَلَيَّ حَدِيثِي يَا أَبَا الْفَضْلِ، فَإِنِّي أَخْشَى الطَّلَبَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَلَّ مَا شِئْتَ، قَالَ: أَفْعَلُ.

فَلَمَّا فَرِغَ مِنْ جَمْعِ مَالِهِ كَلَّهُ غَادِرَ مَكَّةَ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ. فَلَمَّا مَضَى عَلَى ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَاطْمَأَنَّ الْعَبَّاسُ مِنْ نَجَاةِ الْحِجَّاجِ لِبَسِّ حَلِّهِ جَمِيلِهِ، وَتَعَطَّرَ وَأَخَذَ عَصَاهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى الْكَعْبَةَ فَطَافَ بِهَا، فَتَعَجَّبَتْ قُرَيْشٌ لِذَلِكَ، وَظَنَّتْ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ تَجَلُّدًا، فَقَالَتْ لِلْعَبَّاسِ: يَا أَبَا الْفَضْلِ هَذَا وَاللَّهِ التَّجَلُّدُ لِحَرِّ الْمَصِيبِ، قَالَ: كَلَّا، وَاللَّهِ

الَّذِي حَلَفْتُمْ بِهِ، لَقَدْ افْتَتَحَ «مُحَمَّدٌ» خَيْبَرَ، وَتَرَكَ عَرُوساً عَلَى بِنْتِ مَلِكِهِمْ، وَأَحْرَزَ أَمْوَالَهُمْ وَمَا فِيهَا، فَأَصْبَحَتْ لَهُ وَأَصْحَابُهُ.

فَقَالُوا: مَنْ جَاءَكَ بِهَذَا الْخَبَرِ؟

فَقَالَ: الَّذِي جَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ (وَيَعْنِي الْحِجَابَ الَّذِي احْتَالَ عَلَيْهِمْ). وَلَقَدْ دَخَلَ عَلَيْكُمْ مُسْلِمًا، فَأَخَذَ مَالَهُ، وَانْطَلَقَ لِيَلْحَقَ بِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، فَيَكُونُ مَعَهُ.

فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ لِهَذِهِ الْمَكِيدَةِ وَانْزَعَجَتْ انْزِعَاجًا شَدِيدًا، وَلَكِنْ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ، وَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ جَاءَهُمْ خَبَرُ انْتِصَارَاتِ الْمُسْلِمِينَ السَّاحِقَةِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ (١).

ص: ٤٧٨

---

١- . لاحظ: بحار الأنوار: ٣٤/٢١؛ والسيره النبويه لابن هشام: ٨٠٦/٣-٨٠٨.

كانت «فدك» منطقه خصبه، كثيره الخير، قرب خيبر، وهى تبعد عن المدينه بما يقرب من (١٤٠) كيلومتراً، وكانت تعتبر بعد حصون خيبر النقطه الهامه الّتى يعتمد عليها يهود الحجاز(١).

وقد ملأت القيادة الإسلاميه - بعد أن هُزم اليهود فى خيبر ووادى القرى وتيماء - الفراغ الّذى حصل فى شمال المدينه، بالقوه العسكريه الإسلاميه.

ولأجل أن تنهى الوجود السياسى اليهودى فى هذه المنطقه الّتى كانت بمثابة منبع خطر، وبؤره شغب ضدّ الإسلام، بعثت القيادة الإسلاميه سفيراً إلى ساده فدك وزعمائها، لمعرفة موقفهم فأثر «يوشع بن نون» الّذى كان يرأس سكان تلك المنطقه، الصلح والسلام على الحرب والقتال، وتعهد بأن يسلم كلّ سنه نصف محاصيل فدك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(٢).

وأن يعيش هو وقومه من الآن تحت رايه الحكومه الإسلاميه، ولا يشاغب

ص: ٤٧٩

١- راجع كتاب «مراصد الأطلاع»: ٣/١٠٢٠، ماده «فدك»؛ معجم البلدان للحموى: ٢٣٨/٤، ماده «فدك».

٢- لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٨١٣/٣؛ إمتاع الأسماع: ٣٢٥/١؛ فتوح البلدان: ٣٣/١.

ولا يتآمر ضدَّ المسلمين، على أن تتعهد الحكومه الإسلاميه - في مقابل هذا المبلغ - بتوفير الأمن في المنطقه.

## حكم الأراضى المفتوحه بلا قتال

ومن الجدير بالذكر هنا أنّ الأراضى التى يسيطر عليها المسلمون بالحرب والقتال تعود ملكيتها إلى عامه المسلمين وتكون إدارتها بيد القائد الأعلى للأُمّه.

أمّا الأراضى التى لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ولم يسيطر عليها المسلمون بالقتال فتكون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإمام من بعده خالصه، فهو يتصرف فيها كما يشاء ويرى، فله أن يهبها، وله أن يؤجرها، ومن جمله ما له أن يفعل فيها هو أن يهبها لأقربائه فيسدوا بها حاجتهم، ويديروا بها معيشتهم(1).

وعلى هذا الأساس وهب رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فدكاً لابنته الطاهره فاطمه الزهراء، وقد أُريد من أيهاب هذه الأرض لها - كما تشهد بذلك القرائن - أمران:

١. أنّ قياده الأُمّه كانت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما صرح النبي بذلك مراراً، ل:

«على بن أبى طالب»، ومثل هذه المسؤوليه الثقيله تحتاج ولا- شك إلى ميزانيه كبيره، فكان لعلى عليه السلام أن يصرف من أموال فدك وعائداتها إذا صارت تحت تصرفه أكبر قدر ممكن ليحفظ به ذلك المنصب، ويستطيع القيام بمتطلباته.

وكأنّ جهاز الخلفه - بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - أدرك هذه الحقيقه، ولهذا عمد منذ الأيام الأولى لوفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى انتزاع فدك من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ٤٨٠

---

١- . وقد طرحت هذه المسأله فى الآيه ٦ و ٧ من سوره الحشر وعولجت فى الكتب الفقهيه فى باب الجهاد تحت عنوان «الفىء» و «الأنفال».



٢. لقد كان من الواجب أن تعيش ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي كان يتمثل مصداقها الكامل في وحيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمه الزهراء، وابنيها الحسن والحسين عليهما السلام بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصورة تليق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشرفه، ومكانته السامية. ولهذا الهدف وهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدكاً لابنته فاطمه الزهراء عليها السلام.

يقول المفسرون والمحدّثون الشيعة وبعض علماء السنّة إنّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

«وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ» (١).

دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنته فاطمه وفوض إليها فدكاً (٢)، وقد روى هذا الأمر أبو سعيد الخدرى وهو من كبار صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ويعترف جميع المفسرين، سنّة وشيعة، بأنّ هذه الآية نزلت في حقّ أقرباء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وابنته الزهراء أظهر وأقوى مصداق «ذى القربى»، حتّى أنّه كان على بن الحسين السّجاد فى الشام بعد واقعه كربلاء، وسأله بعض الشاميين عن نسبه، فتلا عليه السلام الآية المذكورة للتعريف بنفسه، وحيث إنّ مفاد الآية والمراد بها كان معلوماً عند المسلمين كافّة قال الشامى متعجباً: وإنّكم للقرابه الذى أمر الله أن يؤتى حقّه (٣).

وخلاصه القول: إنّ ثمة اتّفاقاً بين علماء السنّة والشيعة فى أنّ هذه الآية قد نزلت فى شأن الزهراء وابنيها، نعم هناك خلاف فى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهب -

ص: ٤٨١

١- . الإسراء: ٢٦.

٢- . لاحظ: مجمع البيان: ٢٤٣/٦، مؤسسه الأعلمى، بيروت؛ شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٢٦٨/١٦؛ الدر المنثور: ١٧٧/٤.

٣- . الدر المنثور: ١٧٦/٤.

ساعه نزول هذه الآيه - فدكاً لابنته فاطمه، أم لا؟ ولقد اتفق علماء الشيعة على الشق الأول، وذهبوا إلى أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم وهب فدكاً عند نزول الآيه لفاطمه ووافقهم على ذلك جمع من علماء السنه.

وقد أراد المأمون العباسي (لسبب ما) إعادته فدك إلى بنى الزهراء فكتب إلى المحدث المعروف «عبدالله بن موسى» وطلب منه أن يرشده في هذا الأمر، فكتب إليه عبدالله بن موسى الحديث المذكور الذي يوضح شأن نزول هذه الآيه، فأعاد المأمون فدكاً إلى أبناء الزهراء وذريتها(1)، فكتب الخليفة العباسي إلى واليه على المدينة يومذاك بأن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وهب فدكاً لابنته فاطمه الزهراء وهذا أمرٌ مسلمٌ، ولا خلاف فيه حيث كانت قضيه فدك وخطبه الزهراء عليها السلام ممّا يتوارثه العلويون وأحفاد فاطمه عليها السلام.

وقد جلس المأمون ذات يوم على كرسى خاص للاستماع إلى مظالم الناس وشكاياتهم، فكانت أول ما أعطى له، رساله وصف صاحبها نفسه فيها بأنه يدافع عن الزهراء، فقرأ المأمون الرساله وبكى مده، ثم قال: من هو المحامي عن الزهراء؟ فقام شيخ كبير، وقال: أنا هو ذا، فانقلب مجلس المأمون من مجلس القضاء إلى مجلس حوار ومناظره بين المأمون وبين ذلك الشيخ، وأخيراً وجد المأمون نفسه مغلوباً محجوجاً، فأمر رئيس ديوانه بأن يكتب كتاب ردّ فدك إلى أبناء الزهراء، فكتب ذلك الكتاب، ووشّحه المأمون بتوقيعه، وفي هذه المناسبه قام دعبل الذي حضر ذلك المجلس وأنشأ شعراً هذا مطلعاه:

أصبح وجهُ الزمان قد ضحكا بردّ مأمون هاشم فدكاً(2)

ص: ٤٨٢

١- . لاحظ: مجمع البيان: ٢٤٣/٦ عند تفسير قوله تعالى: «وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ» الإسراء: ٢٧؛ فتوح البلدان: ٣٧/١.

٢- . شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ٢١٧/١٦.

وليس الشيعة بحاجة - في إثبات أن فدكاً كان ملكاً طلقاً وخالصاً للزهراء فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - إلى الدلائل المذكورة، لأن الصديق الأكبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد صرح بمالكيتها بفدك في إحدى رسائله إلى واليه على البصره عثمان بن حنيف إذ قال:

«بَلَى كَأَنْتَ فِي أَيْدِينَا فَدَكُّكَ، مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَشَدَّحَتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَدَّحَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ، وَنَعَمَ الْحَكْمُ اللَّهُ» (١).

### قصه فدك بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لقد حُرمت ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العزيزة فاطمه من ملكها الخالص (فدك) بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأله و سلم لأغراض سياسية خاصه، وأخرجوا عمالها من تلك الأرض، فعمدت إلى إثبات حقها واسترداد ملكها من جهاز الخلافة عن طريق القانون.

ففي الدرجة الأولى كانت قريه فدك في يدها، واليد دليل الملك، ولكن جهاز الخلافة طلب منها مع ذلك دليلاً على كون فدك ملكها، خلافاً لكل الموازين القضائية الإسلامية.

إذ لا يُطلب من أي واحد له يد على شيء (أي يكون ذلك الشيء تحت تصرفه) أن يقيم دليلاً على ملكيته لذلك الشيء، ولكن جهاز الخلافة لم يُعز ليد الزهراء على «فدك» أهميه، بل طالبها بأن تأتي بشاهد على ملكيتها.

ولهذا اضطرت فاطمه الزهراء عليها السلام إلى أن تأتي للشهادة على ذلك بشخصية ذات مكانه هامه كعلى عليه السلام وامرأه تدعى أم أيمن التي شهد لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنها

ص: ٤٨٣

وبعيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «رباح» حسب روايه البلاذرى (٢)، ولكن جهاز الخلافه لم يعر اهتماماً لشهاده هؤلاء الشهود، وكرم ابنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ملكها الذى وهبه إياها والدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد كانت «الزهراء» و«على» وابناهما الحسن والحسين عليهم السلام مطهرين من كل رجس كما صرح بذلك قوله تعالى:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (٣).

ولو أنّ هذه الآيه شملت نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت فاطمه الزهراء من أوضح مصاديقها قطعاً و يقيناً، ولكن الخلافه تجاهلت - مع الأسف - حتى هذا الدليل، واعتبر الخليفه ادعاءها ادعاءً غير مشروع.

وفى المقابل يرى علماء الشيعة أنّ الخليفه الأول أذعن فى نهايه الأمر لصحة رأى الزهراء وصحة ادعائها وشرعيته، وكتب كتاباً يصرح بأنّ فدكاً ملك خالص للزهراء وأعطاه ذلك الكتاب، ولكن رفيق الخليفه وصاحبه لما صادف الزهراء فى أثناء الطريق وعرف بأنّها حصلت على اعتراف صريح من الخليفه بملكيتها لفدك أخذ منها ذلك الكتاب وأتى به إلى الخليفه الأول وقال معترضاً على شهاده على عليه السلام وأُمّ أيمن لها: إنّ علياً يجزئ إلى نفسه وأُمّ أيمن امرأه.

ثم عمد إلى الكتاب فمحاه وخرقه (٤).

١- لاحظ: الاصابه: ٣٥٩/٨ برقم ١١٩٠٢؛ الطبقات الكبرى: ٢٢٤/٨.

٢- لاحظ: فتوح البلدان: ٣٥/١ برقم ١١٤.

٣- الأحزاب: ٣٣، راجع كتاب: آيه التطهير فى أحاديث الفريقين: ج ١ و ٢.

٤- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٣٧٤/١٦.

هذا ويروى الحلبي في سيرته هذه الحادثه بصوره أخرى إذ يكتب قائلاً: إنَّ أبا بكر كتب لفاطمه بفدك، ودخل عليه عمر فقال: ما هذا؟ فقال: كتاب كتبه لفاطمه بميراثها من أبيها، فقال: ممّاذ تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كماترى؟! ثم أخذ عمر الكتاب فشقه (١).

وما ذكره ابن أبي الحديد عن أحد متكلمي الشيعة قال: قلتُ لمتكلم من متكلمي الإماميه يُعرف بعلي بن تقى من بلده النيل: وهل كانت فدك إلّا نخلاً يسيراً وعقاراً ليس بذلك الخطير! فقال لي: ليس الأمر كذلك، بل كانت جليله جداً، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفه الآن من النخل، وما قصد أبوبكر وعمر بمنع فاطمه عنها إلّا ألا يتقوى عليّ بحاصلها وغلتها على المنازعه في الخلافه، ولهذا أتبع ذلك بمنع فاطمه وعلى وسائر بني هاشم وبني المطلب حقهم في الخمس، فإنَّ الفقير الذي لا مال له تضعف همته ويتصاغر عند نفسه، ويكون مشغولاً بالاحتراف والاكتساب عن طلب الملك والرئاسه (٢).

ويكتب هذا الكاتب في موضع آخر من كتابه أيضاً: سألت علي بن الفارقي مدرّس المدرسه الغريبه ببغداد، فقلت له: أكانت فاطمه صادقته؟ قال: نعم، قلت:

فلم لم يدفع إليها أبوبكر فدكاً وهي عنده صادقته؟ فتبسّم، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسنًا مع ناموسه وحُرمته وقله دعابته، قال: لو أعطاه اليوم فدكاً بمجرّد دعواها لجاأت إليه غداً، وأدعت لزوجها الخلافه، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقه بشيء، لأنّه يكون قد سجّل على نفسه على أنّها صادقته فيما تدعى كائناً ما كان من غير حاجه إلى بينه ولا شهود. وهذا كلام صحيح، وإن كان

ص: ٤٨٥

١- . السيره الحلبيه: ٣٩١/٣.

٢- . شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ٢٣٦/١٦-٢٣٧.

أخرجه مخرج الدُّعابه والهزل(١).

لقد بدأ منع بنى الزهراء من فدك فى عهد الخليفه الأوّل، وبعد أن قضى على عليه السلام وتسلم معاويه زمام الأمر، وزع فدكاً بين ثلاثة هم: (مروان بن الحكم، وعمرو بن عثمان، وابنه يزيد).

ولمّا ولى الأمر «مروان» سيطر على فدك بصورة كامله، ووهبها لابنه عبدالعزيز، وأعطاهها عبدالعزيز لولده «عمر بن عبدالعزيز»(٢).  
وحيث إنّه كان حاكماً معتدلاً السيره بين خلفاء بنى أمّيه لهذا فإنّ أوّل بدعه أزاحها كان هو اعاده فدك إلى بنى فاطمه، ثم انتزعتها الخلفاء الذين توالوا بعده من أيدي بنى هاشم، وكانت بأيديهم حتّى يوم انقرضت فيه حكومه الأمويين.

وقد اضطرب أمر فدك اضطراباً عجيباً أيام الخلافة العباسيه، فلّمّا ولى أبو العباس السفّاح ردها على عبداللّه بن الحسن بن الحسن، ثم قبضها أبو جعفر من بنى الحسن، ثم ردها محمّد المهدي ابنه، على وُلد فاطمه عليها السلام، ثم قبضها موسى الهادى بن المهدي وهارون أخوه، لأسباب سياسيه خاصّه، حتّى وصل الدور إلى المأمون فردها على الفاطميين أصحابها الشرعيين ضمن تشريفات خاصّه وبصوره رسميه.

ثم اضطرب أمر فدك من بعده أيضاً فربما سلبت من أصحابها وربما رُدّت إليهم. وهكذا تراوحت بين السلب والرد.

ولقد استغلّت فدك فى عهد الأمويين والعباسيين فى أغراض سياسيه بحثه قبل أن تستغلّ فى أغراض اقتصاديه.

ص: ٤٨٦

١- . شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٢٨٤/١٦.

٢- . لاحظ: شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ٢٧٨/١٦.

فلقد كان الخلفاء في صدر الإسلام يحتاجون إلى عائدات فدك الماليه، مضافاً إلى أنهم انتزعوها من يد عليّ لغرض سياسي، ولكن في العصور المتأخره عن ذلك كثرت ثروه الخلفاء وزادت زياده هائله بحيث لم يكونوا بحاجة إلى عائدات فدك، ولهذا فإن عمر بن عبدالعزيز لمّا أعاد فدكاً إلى بني فاطمه احتجّ عليه بنو أميّه واعترضوا قائلين: هجّنت فعل الشيخين،... فإن أبيت إلّاهذا فأمسك الأصل وأقسم الغلّه(١).

### فدك في محكمه التاريخ

إنّ دراسته وتقييم ملفّ «فدك» تثبت بوضوح أنّ منع ابنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حقّها المشروع كان عملاً سياسياً بحتاً، أي أنّه ما كان يستند إلى أي مبرر شرعي مطلقاً، وإنّ المسأله كانت أوضح من أن تخفى على خليفه العصر.

وقد أوضحت الصديقه الطاهره فاطمه الزهراء عليها السلام هذه الحقيقه في خطابها الساخن البليغ إذ قالت:

هذا كتابُ الله حكماً عادلاً وناطقاً فصلاً يقول: «يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» (٢)، «و وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ» (٣) وبيّن عزّوجلّ في ما وزّع من الأقساط وشرع من الفرائض والميراث(٤).

إنّ البحث حول دلالة الآيتين على وراثه أبناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنه، والحديث العذّي رواه الخليفه وحده يوجب إطاله الكلام، وفي إمكان من يحبّ التوسّع أن

ص: ٤٨٧

١- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ٢٧٨/١٦.

٢- مريم: ٦.

٣- النمل: ١٦.

٤- الاحتجاج للطبرسي: ١٤٤/١.

## السيطره على وادى القرى

إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَضَعْ نَهَائِهِ لِنَشَاطِ الْقَوَى الْمُضَادَّةِ لِلْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْمُنْطَقَةِ (خَيْبَرَ) فَقَطْ، بَلْ رَأَى أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى وَادِي الْقُرَى الَّتِي كَانَ يَشْكُلُ مَرَكْزاً آخَرَ مِنْ مَرَاكِزِ الْيَهُودِ. فَحَاصَرَ بِنَفْسِهِ حِصُونَهُمْ عِدَّةَ أَيَّامٍ، حَتَّى فَتَحَهَا، ثُمَّ عَقَدَ بَعْدَ الْفَتْحِ مَعَاهِدَهُ مَعَ أَهْلِهَا عَلَى غَرَارِ مَعَاهِدِهِ «خَيْبَرَ».

وبهذا طهرت أرض الحجاز من فتنه اليهود الأوغاد، وقد جردوا من أسلحتهم ووضعوا تحت حماية المسلمين ومراقبتهم الدقيقة(١).

ص: ٤٨٨



## ٤٧ عمره القضاء (١)

كان يحقّ للمسلمين بعد التوقيع على معاهده صلح الحديبيه أن يدخلوا بعد عام واحد من تاريخ يوم التوقيع، مكّه، ثم يغادروها بعد ثلاثه أيام يقيمون فيها شعائر العمره، وكان عليهم بموجب الاتفاق أن لا يحملوا معهم إلسلاح الراكب:

السيف فى القرب، ليس غير.

والآن مضى عام واحد على يوم التوقيع على المعاهده المذكوره، وآن الأوان ليستفيد المسلمون من هذه الماده فى تلك الاتفاقية، وأن يتوجه المسلمون المهاجرون الذين مضى عليهم سبعة أعوام ابتعدوا فيها عن بيوتهم ووطنهم ومسقط رؤوسهم، ورجحوا الحياه فى الغربه، وتحمل متاعها على العيش فى الوطن للمحافظه على عقيدته التوحيد.

ص: ٤٨٩

١- . العمره أعمال خاصه ومناسك معينه يمكن للمرء الإتيان بها طوال أشهر السنه على العكس من أعمال الحج التى يجب أدائها فقط فى شهر ذى الحجه، وقد توجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكّه فى يوم الاثنين السادس من شهر ذى القعده من السنه الهجرية السابعه. وسميت هذه العمره عمره القضاء لأنها كانت بدلاً عن العمره التى منع النبى والمسلمون عنها فى عام الحديبيه.

يتوجّه مثل هؤلاء مرّة أخرى إلى زياره بيت الله الحرام ولقاء الأحباب والأقرباء وتفقد المنازل والبيوت التي ولدوا فيها وترعرعوا في رحابها.

ولهذا عندما أعلن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يستعد من حُرْم من العمره في العام الماضي للعمرة، دبّ شوق عجيب في نفوس المسلمين، واغرورقت عيونهم بدموع الفرح، فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألفا شخص بدل ألف وثلاثمائة وهم عدد الذين خرجوا معه في السنه الماضيه.

وكان بين الخارجين مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع كبير من شخصيات المهاجرين والأنصار البارزه الذين كانوا يلازمون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طول سيره ملازمه الظل لصاحب الظل.

وساق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه العمره ستين بدنه وقد قلدها(1)، وأحرم من مسجد المدينة واتبعه الآخرون، وخرج ألفان وهم يلبون مرتدين أثواب الاحرام يقصدون مكّه.

ولقد كان هذا الموكب العظيم من الجلال والمغزى المعنوى بحيث لفت نظر الكثير من المشركين إلى حقيقه الإسلام ومعنويته الرائعه.

ولو قلنا: إنّ هذا السفر كان - في حقيقته - سفراً تبليغياً، وإنّ المشتركين فيه كانوا - في حقيقه الأمر - طلائع التبليغ والدعوه لما قلنا جزافاً، فإن آثار هذا السفر المعنوى ظهرت للتو، فقد انبهر بمنظر سلوكهم وعبادتهم ونظامهم اللد أعداء الإسلام أمثال «خالد بن الوليد» بطل معركة أحد وعمرو بن العاص داهيه العرب فرغبوا في الإسلام، وأسلموا بعد قليل.

ص: ٤٩٠

---

١- . البدنه الناقه تنحر بمكه والجمع بُدُن، وتقليد البدنه أن يجعل في عنقها نعلًا فيُعَلَم أنّها هدى.

وحيث إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن آمناً من غدر قريش فقد كان يحتمل أن يباغتوه ويباغتوا أصحابه في أرض مكّة، ويسفكوا دماء جماعه منهم وهم لا يحملون معهم إلاّ سلاح الراكب، إذ لم يكن مسموحاً للمسلمين - حسب المعاهده - أن يأخذوا معهم سلاحاً غير ذلك.

من هنا عمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحسباً لأى طارئ إلى تكليف مائتى رجل من المسلمين بالتسلّح الكامل، وأمر عليهم «محمّد بن مسلمة» وحملهم على مائه فرس سريع، وأمرهم بالتوجّه صوب مكّة أمام القافلة الكبرى، والاستقرار فى منطقته «مرّ الظهران» قرب الحرم، ينتظرون ورود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه.

فعرف عيون قريش الذين كانوا يراقبون تحرّكات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقضيه الفرسان المسلّحين المائتين، واستقرارهم فى وادى «مرّ الظهران»، وأخبروا سادة قريش بالأمر.

فبعثت قريش «مكرز بن حفص» إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليكلّموه فى هذا الإجراء فأتى مكرز إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلّمه اعتراض قريش قائلاً: يا محمد والله ما عرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر! تدخل بالسلاح الحرم على قومك وقد شرطت ألاّ تدخل إلاّ بسلاح المسافر السيوف فى القرب.

فأجابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَا نَدْخُلُهَا إِلَّا كَذَلِكَ».

وقد أفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكرزاً بهذه العبارة بأنّ قريش لو استغلّت عدم حمل النبى وأصحابه للسلاح الثقيل فباغتتهم أدركتهم هذه القوه الاحتياطيه المسلّحه القويه المستقرّه على مقربه من الحرم، ومدّوهم بالسلاح والعتاد.

فعاد «مكرز» وأخبر قريشاً بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأدركت قريش حنكه رسول الإسلام وبُعد نظره، وحسن تقديره للأُمور، ففتحت أبواب مَكَّة في وجه المسلمين، وخرج رؤوس المشركين وأهلوههم ومن تبعهم إلى رؤوس الجبال، وخلّوا مَكَّة، وقالوا: لا ننظر إلى محمّد ولا إلى أصحابه، ولكنهم كانوا يراقبون المشهد من بعيد!!(١).

### النبى يدخل مَكَّة

دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو على راحلته القصواء وأصحابه متوشّحو السيوف محذقون به يلثون وهم أَلْفان، فدوّى صوتهم الموحّد بالتلبية في أرجاء مَكَّة، وكانت نغمه هذه التلبية الكبرى من الجلال والجمال بحيث بهرت كلّ سكّان مَكَّة، وسحرت قلوبهم وعطفها نحو المسلمين، وفي نفس الوقت أَرعب اتّحاد المسلمين، ونظامهم، والتفافهم حول النبى قلوب المشركين، ولم يقطع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلبيته حتّى استلم الركن.

فلَمّا انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى البيت وهو على راحلته وابن رواحه أخذ بزمامها وقد صف له المسلمون حين دنا من الركن حتّى انتهى إليه استلم الركن بمحجنه... (٢) أنشد عبدالله بن رواحه يقول:

خَلُّوا بَنَى الْكُفَّارِ عَن سَبِيلِهِ إِنِّى شَهِدْتُ أَنَّهُ رَسُوْلُهُ

حَقًّا وَكُلَّ الْخَيْرِ فِي سَبِيلِهِ نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ

كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَن مَقِيلِهِ

ص: ٤٩٢

١- . لاحظ: المغازى: ٧٣٤/٢؛ إمتاع الأسماع: ٣٣١/١.

٢- . المحجن: عصا معقفه الرأس كالصولجان. النهاية لابن الأثير: ٣٤٧/١، مادة «حجن».

وطاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالبيت المعظم على راحلته، وهنا أمر صلى الله عليه وآله وسلم ابن رواحه ان يردّد هذا الدعاء بلحن ونغم خاص؛ وأن يتبعه المسلمون:

«لا إله إلا الله وحده وَحَدَهُ، صَدَقَ وَعَدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ».

كانت مكّة بجميع مشاعرها في ذلك اليوم تحت تصرّف المسلمين، المسجد، الكعبة، الصفا، المروه، وغيرها. وقد كانت هذه الشعارات التوحيدية الساخنة في مكان كان طوال سنين مديده مركزاً للوثنية، والشرك توجّه ضربات روحه قويه إلى نفسيه ساده المشركين، وأتباعهم، ممّا كان يُوحى بغلبه «محمّد» صلى الله عليه وآله وسلم على كلّ أرجاء الجزيره العربيه حتماً و يقيناً.

ولمّا قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تُسكّه دخل البيت فلم يزل فيه حتّى حان الظهر، فصعد بلال الذي طالما عُدّب في هذا البلد بسبب إسلامه فوق ظهر الكعبة بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأذن لصلاه الظهر.

ولقد كان لهذا المنظر مردود عجيب في نفوس المشركين، فبلال واقفٌ في نقطه طالما عُيِدّت فيها الشهاده بالتوحيد وبرساله محمّد، ذنباً لا يُغتفر، وجريمه لا ينجو صاحبها من العذاب، يردّد ويردّد معه المسلمون ما يردّد من فصول الأذان فصلاً فصلاً في خشوع وروحانيه بالغه.

لقد أزعج أذان بلال المشركين وأعداء التوحيد، حتى قال «صفوان بن أميّه»:

الحمْدُ لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا، وقال خالد بن أُسيد: الحمدُ لله الذي

أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم، حين يقوم بلال ابن أم بلال ينهق فوق الكعبه!!

وأما «سهيل بن عمرو» ورجال معه فحين سمعوا ذلك غطوا وجوههم. (١)

إنهم لم يتزعجوا من صوت «بلال» بل أخرجتهم مضامين فصول الأذان التي كانت ضد ما يحملونه من المعتقدات الباطله الموروثة، وجعلتهم يعانون بسبب ذلك من عذاب روحى شديد.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أراد السعى بين الصفا والمروه سمع بأن قريشاً تحدت بينها أن محمداً وأصحابه فى عسره وجهد وشده، وأن الذين هاجروا معه إلى المدينه مرضى، وأنهم صفوا له عند دار الندوه لينظروا إليه وإلى أصحابه، فهول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هروله فى المكان المعلم الآن فى المسعى، وتبعه المسلمون وقد قال لهم قبل ذلك: «رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوه» (٢).

وذلك لىبطل ما أشاعته قريش حول المسلمين المهاجرين من الضعف والهزال بسبب ظروف المهجر. وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على أمرين:

أولاً: جواز القيام بالأعمال السياسيه فى موسم الحج.

ثانياً: أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان حذراً جداً فكان يبطل كل خطط العدو أولاً بأول.

يقول صاحب زاد المعاد: أمر النبى بذلك ليرى المشركون جلدتهم وقوتهم، وكان يكايدهم (أى يبطل كيدهم) بكل ما استطاع (٣).

ص: ٤٩٤

١- . المغازى: ٧٣٨/٢؛ إمتاع الأسماع: ٣٣٣/١؛ السيره الحلبيه: ٧٨٤/٢.

٢- . لاحظ: تاريخ الطبرى: ٣٠٩/٢؛ زاد المعاد: ١٥٢/٢.

٣- . زاد المعاد: ١٥٢/٢. ولنا رساله فى هذا المجال تحت عنوان: «الحج: موسم عبادى وملتقى

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن فرغ من السعي نحر البدن، ثم قصّر من شعره، ثم خرج من إحرامه، وتبعه المسلمون في كل ما فعل.

ثم أمر صلى الله عليه وآله وسلم مائتين من أصحابه بعد أن طافوا بالبيت وانتهوا من مناسك العمرة أن يذهبوا إلى أصحابه بمزّ الظهران فيقيموا على السلاح فيأتي الآخرون فيقضوا مناسكهم، ففعلوا.

انتهت أعمال العمرة ونسكها، وذهب المهاجرون إلى منازلهم التي هجروها قبل سبعة أعوام، ليجددوا اللقاء بذويهم وأقربائهم بعد طول فراق، واستضافوا جماعه من الأنصار في بيوتهم وفاء لجميلهم وتقديراً لخدماتهم حين قدموا عليهم المدينة بعد الهجرة، فأسكنوهم وأكرموهم في منازلهم وخدموهم سنيماً عديده.

### النبى صلى الله عليه وآله وسلم يغادر مكة

تركت أحوال المسلمين وأوضاع الإسلام وجلال الموكب النبوى وعظمته أثراً بليغاً وعجيباً في نفوس سكان مكة المشركين، فقد تعرّفوا على نفسه المسلمين النبيله الطيبه فى هذه الزياره أكثر من أى وقت مضى، وكاد ذلك أن «يفعل» فعلته، ويحدث انقلاباً روحياً فى تلك البيئه.

ولما رأى زعماء المشركين أن توقّف النبى وأصحابه فى مكة سيؤثر فى عقائد أهل مكة ويضعف تمسكهم بوثنيتهم، ويوجد علاقات المحبّه بينهم وبين المسلمين، لهذا بعثوا أحدهم وهو حويطب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - بعد انقضاء

المدّة المقرّره للإقامه فى مكّه فى المعاهده - ليطلب منه مغادره مكّه قائلاً: إنّه قد انقضى أجلك فاخرج عنا.

فانزعج بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم من مقاله مبعوث قريش هذا، ولكنّ النبى لم يكن بالذى يخالف ما تعهّد به، ولهذا أمر بأن ينادى فى المسلمين بالرحيل، فترك هو والمسلمون مكّه فوراً.

ولقد تأثرت «ميمونه» أختُ أمّ الفضل زوجه العباس، بما شهدت من مشاعر المسلمين وروحانيتهم فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق عمّه العباس أنّها ترغب فى الزواج برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فوافق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١) وتزوّجها، وبهذا قوى علاقته مع قريش.

إنّ رغبه فتاه فى الزواج بمن يكبرها بسنين عديده لدليل واضح على مدى التأثير الروحى والمعنوى الذى تركه النبى والمسلمون فى النفوس حتّى أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم لمّا طلب من مبعوث قريش بأن يمهلوه بعض الوقت ليعرس بين أظهرهم، ويصنع لهم طعاماً يحضروه، أبوا إمهاله خوفاً من تعاضم تأثيره فى النفوس، وقالوا له: لا حاجه لنا فى طعامك فاخرج عنّا (٢).

فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يخرج المسلمون من مكّه فى منتصف النهار ولم يبق بمكّه إلى وقت الظهر، وخلف أبا رافع ليحمل إليه زوجته «ميمونه» حين يمسى، فأقام أبو رافع حتّى أمسى، فخرج بميمونه ومن معها فلقوا عناء من سفهاء المشركين، ولاموا «ميمونه» على فعلها، ولكن كلامهم لم يؤثر قط فى نفسها، فقد رغبت فى الزواج برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدافع الرغبه فى خلقه وسموّ أخلاقه.

ص: ٤٩٤

١- . حياه محمد: ٤٠١.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٨٢٩/٣؛ تاريخ الخميس: ٦٢/٢-٦٥.



وهكذا تحققت رؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصادقة التي رآها قبل سنه واحده بأنه دخل البيت، وحلق رأسه، ونزلت بعد هذه الوقائع الآيه ٢٧ من سوره الفتح تتحدث عن تحقق هذا الوعد حيث أخبرت ضمناً عن فتح قريب، - هو فتح مكه - الذي تحقق في السنه الثامنه من الهجره إذ يقول سبحانه:

«لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسِهِمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا». (١)

ص: ٤٩٧

١- . الفتح: ٢٧.

انقضت السنه الهجرية السابعة، واستطاع المسلمون بفضل معاهده صلح الحديبيه أن يزوروا معاً بيت الله المعظم ويعتصموا في أمان، ويردّوا في مركز حكومه الوثنيين شعارات قويه لصالح عقيدتهم التوحيديه إلى درجه أنهم استطاعوا أن يستميلوا نحو الإسلام قلوب جماعه من سراه قريش وزعماء المشركين أمثال: «خالد بن الوليد»، «وعمر بن العاص»<sup>(١)</sup> و «عثمان بن طلحه»، فلم يلبثوا أن جاءوا طائعين راغبين إلى المدينة، واعتنقوا الإسلام وقطعوا علاقاتهم بحكومته مكّه الوثنيه المشركه التي لم يبق منها إلّا جسم من دون روح، وهيكل من دون حياه<sup>(٢)</sup>.

وذكر بعض المؤرخين إسلام خالد أو ابن العاص في السنه الخامسه من الهجره<sup>(٣)</sup>.

ص: ٤٩٨

١- . لقد ذكر الواقدي في مغازيه: ٧٤٣/٢ عله إسلام عمرو بصوره أخرى.

٢- . لاحظ: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢٥٢/٤-٢٦١.

٣- . لاحظ: الإصابه: ٢١٥/٢ برقم ٢٢٠٦؛ سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي: ٦٧/١٢.

ولكن هذا غير صحيح قطعاً لأن «خالداً» كان يقود في الحديدية مائتين من فرسان قريش، ونحن نعلم أن إسلام هذين الرجلين تم في وقت واحد.

كان ثمه أمن نسبي يسود أكثر مناطق الحجاز في أوائل السنه الثامنه، وكان نداء الإسلام قد وصل إلى أكثر النقاط ولم يبق من نفوذ اليهود شيء، ولم تعد قريش تهدد المسلمين من ناحيه الجنوب، ولهذا فكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أن يركّز دعوته على سبكان المناطق الحدوديه للشام، ويستميل إلى الإسلام قلوب أولئك الأقباط التي كانت في تلك الأيام تعاني من ظلم السلطات الروميه.

ولهذا الغرض وجه «حارث بن عمير الأزدي» مع كتاب إلى «الحارث بن أبي شمر الغساني» ملك «بصري» الذي كان حاكم الشامات المطلق يومذاك، وكان يحكم من جانب قيصر.

فلما نزل مبعوث النبي مؤته، عرف به شرحيل وكان حاكم المناطق الحدوديه، فقبض عليه، وحقق معه، فاعترف له بأنه يحمل كتاباً من جانب رسول الإسلام إلى حاكم الشامات المطلق (الحارث الغساني)، فأمر بأن يوثق وقدمه وضرب عنقه صبراً مخالفاً بذلك كل الأعراف العالميه القاضيه باحترام السفراء وحصانتهم.

فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك وغضب لمقتل رسوله بشده وندب الناس فأخبرهم بمقتل سفيره ومن قتله، ودعا المقاتلين المسلمين إلى الخروج للاقتصاص من قاتل «الحارث».(1)

ص: ٤٩٩

واتفق أن وقعت في نفس الأيام حادثة أخرى أفجع من الأولى، أكّدت عزم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على تأديب سكان المناطق الحدودية الشاميه الذين سلبوا دعاه الإسلام حريه العمل والدعوه، وقتلوا دون رحمه، وغدراً سفير النبي، وجماعه الدعوه والتبليغ، وإليك مفصل الحادته الثانيه:

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كعب بن عمير الغفاري في شهر ربيع الأول سنه ثمان من الهجره في خمسه عشر رجلاً- إلى منطقه «ذات أطلاق» من أرض الشام، خلف وادي القرى لدعوه الناس إلى الإسلام، فخرجوا حتى انتهوا إلى تلك المنطقه فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً فدعوههم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنبل، فلما رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك قاتلوهم أشد القتال، حتى قتلوا (مؤثرين عز الشهاده على ذل الأسر) وأفلت منهم رجلٌ جريح في القتلى، فلما جنّ عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره الخبر، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. (١)

فتسبب العدوان على دعاه الإسلام وقتلهم في أن يصدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمراً بالخروج إلى الجهاد في شهر جمادى، ووجه جيشاً قوامه ثلاثه آلاف مقاتل لتأديب المتمردين، و مزاحمى دعاه الإسلام.

فتجمع ثلاثه آلاف بعد الأذان بالجهاد في معسكر خارج المدينه يُدعى «الجرف» فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه إلى ذلك المعسكر، وخطب في المقاتلين خطاباً، هذا نصّه:

ص: ٥٠٠

«اغزوا بسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام، وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين الناس، فلا تعرضوا لهم، وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف، ولا تقتلنَّ أمراً، ولا صغيراً ولا مرضعاً، ولا كبيراً فانياً، لا تغرقنَّ نخلاً، ولا تقطعنَّ شجراً، ولا تهدموا بيتاً» (١).

ثم قال: جعفر بن أبي طالب أمير الناس، فإن قُتِلَ فزيدُ بن حارثة، فإن أُصِيبَ زيدُ فعبد الله بن رواحه، فإن أُصِيبَ عبد الله بن رواحه فليرتضى المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم.

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المقاتلين بالتحرك نحو الهدف، وخرج فشيعهم مع جماعه من أصحابه حتى «ثنيه الوداع» وهناك ودّعهم وكان المسلمون المشيعون يقولون: دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين.

فأجابهم عبد الله بن رواحه قائلاً:

لكنني أسأل الرحمن مغفره وضربه ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنه ييدى حران مجهزه بحربه تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقال إذا مرّوا على جدثي أرشده الله من غاز وقد رشد (٢)

وأنت أيها القارئ الكريم يمكنك أن تعرف من خلال هذه الأبيات عمق إيمان هذا الفارس القائد وحبّه للشهادة في سبيل الله.

ثم إنَّ الناس رأوا عبد الله بن رواحه لما ودّع من ودّع بكى، فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحه؟ فقال: أما والله ما بي حبُّ الدنيا، ولا صباة بكم، ولكنني سمعت

ص: ٥٠١

١- المغازي: ٢/٧٥٨.

٢- لاحظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٣/٨٣٠؛ الطبقات الكبرى: ٢/١٢٨.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار:

«وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا» (١).

فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود (٢).

### خلاف حول من هو الأمير الأول؟

لقد كتب بعض المؤرخين: إن الأمير الأول كان هو زيد بن حارثة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالتبني، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبدالله بن رواحه، ولكن محققى الشيعة يرون عكس هذا فهم يعتبرون جعفر بن أبي طالب قائد الجيش وزيداً وعبدالله معاوين أو خليفتين له على الترتيب، فيجب أن نرى أى الرأى يوافق الحقيقة.

لتحصيل الحقيقة فى هذا المجال هناك طريقتان:

١. أن زيد بن حارثة لم يكن يعادل من ناحية التقوى والعلم والمكانة الاجتماعية جعفر بن أبي طالب (جعفر الطيار).

يقول ابن الأثير عنه: جعفر بن أبي طالب كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلقاً وخلقاً، أسلم بعد إسلام أخيه عليّ بقليل. روى أن أبا طالب رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعليّاً رضى الله عنه يصليان وعليّ عن يمينه، فقال لجعفر: صلّ جناح ابن عمك وصلّ عن يساره (٣).

وجعفر رأس المهاجرين إلى الحبشه الذين هاجروا إليها حفاظاً على دينهم وعقيدتهم من الفتنة، وهو الذى استمال قلب النجاشى بما تكلم به عنده من الحجّه،

ص: ٥٠٢

١- . مريم: ٧١.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٨٣٠/٣.

٣- . أسد الغابه: ٢٨٧/١.

وقرأ عليه آيات من القرآن عن المسيح عليه السلام وأمه مريم، وأثبت كذب مبعوثي قريش لاستعادتهم إلى أرض الحجاز، وهو الذي وُفق لأن يخطب ودَّ النجاشي ويكسب حمايته للمهاجرين الملاحقين إلى درجه أنه طرد مندوبي قريش (١).

إنَّ جعفرًا هو الشخصيه البارزه التي لَمَّا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم خيبر وقد عاد من الحبشه مشى إليه (١٢) خطوه وعانقه وضمَّه وقبل ما بين عينيه وبكى من فرط الشوق إليه وقال في حقّه:

«ما أدرى بأى الأمرين أنا أسرّ بقدوم جعفر أم بفتح خيبر» (٢).

إنّه هو ذلك الرجل العظيم الذي كان يذكره عليّ عليه السلام بعد استشهاده ويثني على شجاعته وبسالته، فعندما سمع عليّ عليه السلام بمبايعه عمرو بن العاص لمعاويه، وتقرّر أن يوكل معاويه حكومه مصر إلى عمرو إذا غلبا عليًّا، غضب عليّ عليه السلام من هذا الأمر وتذكر شجاعه عمّه حمزه وأخيه جعفر وقال:

لو أنّ عندى يابن حرب جعفرًا أو حمزه القرم الهمام الأزهرا

رأت قريشُ نجمَ ليلٍ ظُهِر (٣)

فهل مع هذه المواصفات والجهات التي نقلنا قسماً منها هنا فقط يجوز العقل أن يفوّض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قيادة القوات إلى زيد ويجعل جعفر معاونه أو خليفته الأوّل.

٢. أنّ الأشعار التي أنشدها شعراء الإسلام الأفاضل في رثاء هؤلاء القاده بعد استشهادهم حاكيه عن أنّ القائد الأعلى في هذه المعركه الكبرى (مؤته) كان

ص: ٥٠٣

١- . لاحظ: أسد الغابه: ٢٨٦/١، ترجمه جعفر بن أبي طالب، وغيره من المصادر في هذا المجال.

٢- . المعارف لابن قتيبه الدينورى: ٢٠٥؛ أسد الغابه: ٢٨٧/١؛ بحار الأنوار: ٢٩٤/٣٨.

٣- . وقعه صفين: ٤٤.

«جعفر» وكان أمر المعاونه والخلافه يرتبط بالرجلين الآخرين، فهذا «حسان» شاعر عصر الرساله أنشد شعراً بعد أن بلغه استشهاد أولئك القاده بصورته المفجعه قال فيه:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤته منهم ذو الجناحين جعفر

وزيدٌ وعبدالله حين تتابعوا جميعاً وأسباب المنيه تخطر(١)

فكلمه تتابعوا تشهد بجلاء على أن مقتل هؤلاء القاده الذين ذكرهم تم على النحو الذى جاء ذكرهم، يعنى أن جعفرأ كان أول الشهداء ثم تلاه فى قياده الجيش الإسلامى ثم الشهاده زيد، ثم ابن رواحه.

وإن أوضح الأدله على ذلك قصيده «كعب بن مالك» فى رثاء شهداء مؤته، التى يصرح فيها بأن جعفرأ كان هو القائد الأول، وقد كان صاحب هذه الأبيات ممن شاهد تفويض أمر القيادة العليا للجيش من جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جعفر.

يقول كعب فى قصيدته:

إذ يهتدون بجعفر ولوائه قدام أولهم فنعم الأول(٢)

إن هذه القصائد الرثائية التى أنشدت فى أعقاب استشهاد أولئك القاده، وسلمت من يد التحريف، أقوى شاهد على أن ما كتبه مؤرخو السنه حول هذا المطلب يخالف الحقيقه، وأن الرواه اختلقوا هذا الترتيب لدوافع وأغراض سياسيه لا مجال لذكرها، وبيانها هنا، وقد تبعهم فى ذلك كتاب السير وأدرجوه فى كتبهم من دون تمحيص وتحقيق.

ص: ٥٠٤

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٨٣٧/٣.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٨٣٨/٣.



والعجب أنّ ابن هشام الّذى نقل كلّ هذه الأبيات والقصائد قال: إن جعفرأ كان المعاون الأوّل لزيد بن حارثه، وليس القائد الأعلى للجيش(١)، وهو كما ترى تناقض مكشوف!!

### جيش الإسلام والروم يتواجهان

كانت «الروم» قد أُصيبت يومذاك - نتيجة الحروب العديده والطويله مع منافستها إيران - بالفوضى، والهرج والمرج الشديدين. فمع أنّ قادة الروم كانوا سكارى من نشوه الانتصار على إيران إلّا أنّهم قد بلغهم شىء كثير عن شجاعه المسلمين وبسالتهم النابعه من إيمانهم والّتى كسبوا عن طريقها أمجاداً عظيّمه، وكانوا يراقبون على الدوام تحرّك جنود الإسلام ونشاطاتهم العسكريه. ولهذا لما بلغ هرقل قيصر الروم بموعده توجّه جنود الإسلام إلى ناحيه الشام لتأديب عميله شرحبيل الغسانى، أرسل جيشاً عظيماً وقويّاً لمواجهه جنود الإسلام البالغ عددهم ثلاثه آلاف.

وقد أعدّ «شرحبيل» حاكم أرض الشام وحده مائه ألف فارس من مختلف القبائل القاطنه فى الأراضى الشاميه ووجهه إلى حدود الشام لإيقاف تقدّم الجيش الإسلامى، وقد أعدّ قيصر قبل ذلك مائه ألف جندى رومى فنزل فى منطقه تدعى «مآب» من مدن البلقاء، واستقرّ هناك كقوه احتياطيه تتدخّل عند اللزوم(٢).

ولقد كان تجميع هذا القدر الهائل من الجنود والمقاتلين لمواجهه جيش

ص: ٥٠٥

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٨٢٩/٣.

٢- . لاحظ: المغازى: ٧٦٠/٢، السيره النبويه لابن هشام: ٨٣١/٣.

يقلّ عدداً بكثير عن هذا القدر نابعاً من الأنباء التي بلغت قادة الروم والشام عن فتوحات المسلمين وانتصاراتهم الساحقه وعن الوقوف على شجاعتهم وبسالتهن التي ذاع صيتها، وإلا فإنّ عشر هذا العدد، (أى عشرون ألف) يكفي لمواجهه ثلاثة آلاف مقاتل مهما كانت شجاعه هؤلاء.

كما أنّه عند المقارنه بين العسكرين كان الجيش الإسلامى أضعف من جيش الروم بكثير، سواء من ناحيه العتاد، أو من ناحيه المعرفه بفنون القتال وتكتيكاته العسكريه، لأنّ القاده العسكريين الروم كانوا قد كسبوا خبره حربيه واسعه نتيجة المشاركه فى الحروب العديده والطويله التي دارت بين الروم وبين إيران، وعرفوا بالتالى مفاتيح الانتصار، بينما كانت معلومات الجيش الإسلامى الناشئ معلومات بدائيه وبسيطه فى هذا المجال.

هذا مضافاً إلى عدم وجود التكافؤ بين الجيش الإسلامى والجيش الرومانى فى نوعيه المعدات الحربيه والأجهزه القتاليه ووسائل النقل وماشابه ذلك.

وفوق هذا وذاك فإنّ القوه الإسلاميه كانت تحارب فى أرض غريبه عليها، وتقوم بدور المهاجم، بينما كان الرومان يقاتلون فى بلادهم دفاعاً وهم يتمتعون بجميع مستلزمات القتال ومتطلبات الحرب.

وفى مثل هذه الحاله يجب أن تكون القوه المهاجمه قويه جداً، بحيث يمكنها تلافى سلبيات الظروف غير المساعده.

ومع هذا فإنّنا سنرى عمّا قريب كيف أنّ قادة الجيش الإسلامى قاوموا وآثروا الصمود والقتال على الهروب والفرار مع أنّهم كانوا يرون الموت على بعد أقدام معدوده منهم، وبهذا أضافوا إلى أمجادهم أمجاداً أخرى، وسطّروا أسطراً أخرى فى سبيل بطولاتهم.

منذ أن ورد المسلمون المناطق الحدودية للشام عرفوا باستعدادات العدو العريضة، وحجم قدراته العسكرية الواسع فشكّلوا من فورهم شورى عسكريه فقال البعض: نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنخبره الخبر، فإمّا يردّنا وإمّا يزيدنا رجلاً. فبينما الناس على ذلك من أمرهم جاءهم ابن رواحه فشجّعهم ثم قال: «والله ما كنّا نقاتل الناس بكثرة عدد، ولا بكثرة سلاح، ولا بكثرة خيول، إلّا بهذا الدين الّذى أكرمنا الله به، انطلقوا، والله لقد رأيتنا يوم بدر ما معنا إلّا فرسان، ويوم أحد فرس واحد، وإنّما هي إحدى الحسنين: إمّا ظهورٌ عليهم، فذلك ما وعدنا الله ووعدنا نبينا، وليس لوعده خُلف؛ وإمّا الشهاده فنلحق بالإخوان نرافقهم في الجنان».(١)

فقوت هذه الخطبه الحماسيه الصادقه معنويات المقاتلين المسلمين وبثت فيهم روح البساله والمقاومه.

ثم تواجه الجيشان في منطقه تُدعى «مشارف» ولكن جنود الإسلام تأخروا وانسحبوا قليلاً لبعض العلل، ونزلوا في مؤته. فقسم جعفر بن أبي طالب قائد الجيش، جنود الإسلام إلى أقسام: مختلفه، وأمّر على كلّ قسم أميراً، ثم بدأت المبارزه الفرديه على نحو ما كان متعارفاً في حروب العرب، فكان على جعفر أن يأخذ اللواء بيده ويوجه صفوف المقاتلين المسلمين، ويقااتل في نفس الوقت.

ثم إنّنا نكتشف مدى الشجاعه الروحيه وثبات الإراده لتحقيق الهدف من خلال الرجز الّذى أنشده «جعفر» خلال القتال فقد أخذ يرتجز ويقول:

يا حنّدا الجنه واقترابها طيبه وبارداً شرابها

ص: ٥٠٧

علَى إِذْ لاقِيَتْها ضِرابها(١)

ولقد قاتل قائد الجيش الأعلى (جعفر) قتالاً عظيماً، فلمّا حاصره الأعداء في ساحه القتال وأيقن بالشهادهِ وثب إلى الأرض ثمّ عقر فرسه في الحال لكي لا- ينتفع به العدوُّ وأخذ يقاتل، وهو آخذ باللواء يمينه، فقطعت يمينه فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضُ ديه حتّى لا- يسقط لواء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الأرض حتّى قتل وقد وُجدَ به ثمانون جراحه أو تزيد!!(٢).

فلمّا قُتِل «جعفر» أخذ الرايه «زيدُ بن حارثه» معاونه الأوّل فقاتل ببسالهِ عظيمهِ حتّى قتل برماح القوم.

فأخذ الرايه «عبدالله بن رواحه» معاونه الثاني، ثم تقدّم بها وهو على فرسه، فجعل يقاتل ويرتجز، فأحسّ بالجوع أثناء القتال، وألحّ عليه، فأتاه رجل بعرق من لحم ليزيل به جوعه ويشدُّ به صلبه، فلم يأكل منه شيئاً حتّى سمع صوت هجوم العدو، فألقى الطعام من يده، ثم أخذ سيفه فتقدّم فقاتل حتّى قُتِل.

### حيره المقاتلين المسلمين بعد مقتل القائد

وهنا بدأت حيره المقاتلين المسلمين، فقد قُتِل القائد الأعلى للجيش ومعاوناه وعلى الترتيب الذي ذكر.

ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد تحسّب لهذه الحاله، وترك أمر اختيار القائد في

ص: ٥٠٨

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٨٣٣/٣.

٢- . لاحظ: المغازي: ٧٦١/٢-٧٦٢، وقد أثابه الله بذلك جناحين في الجنّه يطير بهما، وسُمّي في ما بعد بجعفر الطيار، راجع

السيره النبويه لابن هشام: ٨٣٣/٣.

مثل هذا الوضع إلى الجنود أنفسهم، فأخذ الرايه «ثابت بن أرقم أخو بني العجلان» وقال: يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم. فقالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطَلَحَ على «خالد بن الوليد»<sup>(١)</sup> الذي كان حديث عهد بالإسلام آنذاك.

ولقد كانت الساعه التي أُنيط فيها قياده إلى خالد ساعه خطيره وحساسه جداً، حيث قد تغلب الخوف والرعب على المسلمين كافه.

فعمد القائد الجديد إلى استخدام تكتيك عسكري لم يعرف له مثيل، فقد أمر بالعسكر إذا جنّ الليل أن يحدث بعض التغييرات في صفوفه من دون ضجيج فتنتقل الميسره إلى الميمنه، والميمنه إلى الميسره، وتتأخر المقدمه إلى مكان القلب، ويتقدم القلب إلى موضع المقدمه. ففعل المسلمون ذلك، واستمرت هذه التغييرات حتى طلوع الفجر.

كما أنه أمر جماعه من المسلمين المقاتلين أن يخرجوا من الجيش ليلاً ويذهبوا إلى مكان بعيد فإذا أسفر الصبح التحقوا بالمسلمين سريعاً وهم يكبرون حتى يظن العدو وصول إمدادات عسكريه بشريه جديده إلى المقاتلين المسلمين، وقد تسبب هذا التكتيك بنفسه في أن يحجم الجيش الكافر عن مهاجمه المسلمين واستئصالهم، بعد أن قتل خيره قادتهم.

فلما كان الصبح ورأى العدو وجوهاً جديده، كما رأوا إمداد المسلمين بمجموعه عسكريه جديده قالوا: قد جاءهم مدد. فرعبوا وانهزموا فقاتلهم المسلمون، وقتلوا منهم مقتله عظيمه، وقُتل في هذه الأثناء أحد الجنود المسلمين.

ثم ساد الموقف صمتٌ رهيبٌ، فاستفاد من هذا الصمت والأمن الذي كان

ص: ٥٠٩

---

١- السيره النبويه لابن هشام: ٨٣٤/٣.

يخيم على الجيش فرجعوا من حيث أتوا.

إنَّ أكبر انتصار للمسلمين هو أنَّ قوه قليلة محدوده واجهت جيشاً عظيماً منظماً ثلاثة أيام، وبالتالي نجوا بأنفسهم، وكان تدبير القائد الجديد تدبيراً حكيماً خلَّص المسلمين من موت محتم، فعادوا سالمين إلى المدينة، وكان هذا ممياً يشكرون عليه، ويستحقون والثناء(١).

### الجنود يعودون إلى المدينة

وقبل أن يقدم جنود الإسلام من «مؤته» المدينة كانت قد وصلت إلى المسلمين أنباء انسحابهم وأنباء سيئه عن وضع الجيش، من هنا ذهب المسلمون إلى منطق الجرف لاستقبالهم.

ومع أنَّ عمل القائد الجديد كان تكتيكاً حكيماً، إلّا أن مثل هذا الصنيع حيث إنه كان يتنافى مع ما حقَّقه المسلمون من أمجاد مشرقه وينافى مشاعرهم وبسالتهم الذاتيه والأصيله لذلك استقبلوهم بشعارات نايه وانتقادات جارحه، وألقوا بالتراب والحجاره فى وجوه المقاتلين العائدين، وقالوا: يا فُرَّار، أفررتم فى سبيل الله؟(٢)

وقد كانت رده فعل بعض المسلمين قويه جداً إلى درجه أنه اضطر بعض الشخصيات التى شاركت فى تلك المعركه إلى أن يقعد فى بيته، ولا يظهر فى الملاء، فكان الناس - إذا خرجوا - يشيرون إليهم بالأصابع ويقولون: ألا تقدمت مع أصحابك؟(٣).

ص: ٥١٠

١- لاحظ: المغازى: ٧٦٣/٢-٧٦٤.

٢- السيره النبويه لابن هشام: ٨٣٦/٣.

٣- لاحظ: المغازى: ٧٦٥/٢، إمتاع الأسماع: ٣٤١/١.

ولقد كانت ردّه فعل المسلمين تجاه عمليه انسحاب جنود الإسلام الذكيه، كاشفه عن روح الشهامه والجهاد التي أوجدها الإيمان بالله والإيمان بيوم القيامه في نفوسهم بحيث صاروا يعدّون القتل والشهاده في سبيل الله، أفضل من الانسحاب والتأخر.

### أسطوره بدل التاريخ الصحيح

حيث إنّ الإمام على بن أبي طالب عليه السلام قد اشتهر بين المسلمين بأسد الله، لذلك أراد البعض أن ينحتوا تجاه هذا القائد قائداً آخر، ويمنحونه لقب سيف الله، ولم يكن ذلك إلّا خالد بن الوليد من هنا قالوا: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقب خالد بن الوليد بعد رجوعه من معركه «مؤته» بسيف الله (1). ولو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منح مثل هذا اللقب لخالد في مناسبه أخرى لما كان للبحث والنقاش مجال.

ولكنّ الأوضاع بعد معركه «مؤته» ما كانت توجب بل ولا تسمح بأن يعطيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل هذا اللقب، فهل من يرأس فريقاً يُسمّيه المسلمون الفُرّار، ويحثون في وجوههم التراب يحسن أن يُعطى في مثل هذه المناسبه لقب سيف الله؟ أجل؛ لو أنّ خالداً كان مظهراً لسيف الله في غزوات ومعارك أخرى أمكن القبول بذلك، أمّا في هذه المعركه فلم يكن مظهراً لسيف الله، ولم يصدر منه بعد تقليده إماره الجيش إلّا تكتيك عسكري حكيم، ولما وصف هو ومن معه بالفراريين، خاصّه أنّ ابن سعد يكتب قائلاً: فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فأخذ اللواء، وانكشف الناس، فكانت الهزيمه فتبعهم المشركون فقتل من قتل من

ص: ٥١١

١- . لاحظ: صحيح البخارى: ٢١٨/٤؛ باب مناقب خالد، و ج ٨٧/٥، باب غزوه مؤته؛ السيره الحلبيه: ٧٨٩/٢.

إنّ مختلقى هذه الأسطوره أضافوا لتأكيد مطلبهم هذه الجملة أيضاً: قال خالد: لقد اندقّ يومئذ (أى يوم مؤته) فى يدى سبعة أسياف فما ثبت بيدي إلا صفيحه يمانيه (٢).

إنّ مختلق هذه الكذبه غفل تماماً عن أنّ خالداً وجنوده لو كانوا أبدوا فى هذه المعركه مثل هذه البساله، ولو أنجزوا فى هذه الحرب مثل هذا العمل العظيم فلماذا سمّاهم أهل المدينه بالفرّار؟! ولماذا حثوا التراب فى وجوههم؟! ولماذا وقع الناس فى خالد بعينه؟! (٣) إذ كان من اللازم فى هذه الصوره أن يزرعوا طريقهم بالورود، ويقربوا بين أيديهم القرابين إبتهاجاً بعودتهم الضافره، وإعجاباً بعملهم الجبار!!

### النبي يكي بشده لمقتل جعفر

لقد بكى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على مقتل ابن عمه «جعفر» بشده، ولكى تعرف زوجته أسماء بنت عميس بمصرع زوجها دخل عليها، فقال لأسماء: إيتينى بينى جعفر.

فجاءت بهم إليه فضمّهم وشمّهم، ثم ذرفت عيناه ثم بكى، فعرفت أسماء بمصرع زوجها فصاحت وبكت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى أهله وقال:

«لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم» وكان كلما تذكّر جعفرًا وزيد بن حارثه بكى (٤).

ص: ٥١٢

١- . الطبقات الكبرى: ١٢٩/٢، إمتاع الأسماع: ٣٤١/١.

٢- . أسد الغابه: ٩٤/٢.

٣- . لاحظ: السيره الحلبيه: ٧٩٣/٢ وغيره.

٤- . بحار الأنوار: ٥٤/٢١؛ المغازى: ٧٦٦/٢، السيره الحلبيه: ٧٩٠/٢، إمتاع الأسماع: ٣٦٥/١٣.



## إشاره

منذ أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، وأصبحت «المدينة» مركز الإسلام وقاعدته، وموضع تمرکز المسلمين وعاصمتهم، ظلّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يراقب أوضاع أعداء الإسلام، ويرصد تحرّكاتهم، ومؤامراتهم، وكان يولى مسأله تحصيل المعلومات المفصّله عن المتآمرين من المشركين وغيرهم إهتماماً كبيراً، ويعمد دائماً إلى اختيار أفضل العناصر لإرسالهم - بمختلف الحجج - إلى نواحي مكّه، وبثّهم في القبائل المشركه المختلفه لتجنّس أخبارهم، والتعرّف على نواياهم، وتدابيرهم.

ولقد استطاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفضل الاطلاع المبكّر والدقيق على المؤامرات التي كانت تحاك ضده أن يُفشل الكثير من خططهم.

فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يباغت العدو، ويحاصره قبل أن يتحرّك من مكانه، عن طريق المجموعات العسكريه التي كان يقودها بنفسه، أو التي كان يؤمّر عليها أحد أركان جيشه ويوجّهها صوب مكان تجمع العدو، فيفترقون جمعهم، ويشتتون شملهم، ويقضون على المؤامره في مهدها، وبهذا كان الكيان الإسلامي في أمن من خطر الأعداء، وكان هذا العمل وهذا التدبير يجنّب الطرفين المزيد من إراقه الدماء

إنَّ الاطِّلاعَ المبكِّرَ على أسرار العدوِّ العسكريِّ، ومعرفة حجم طاقاته، ومبلغ استعداداته، واكتشاف خططه، وتكتيكاته يُعدُّ من العوامل الجوهرية، والمؤثِّره في الظفر والانتصار.

فللِّدول الكبرى اليوم أجهزةٌ طويلةٌ وعريضةٌ، وتشكيلاتٌ واسعةٌ، ومعقَّدةٌ لإعداد وتخريج الجواسيس البارعين، وإرسالهم إلى النقاط والمراكز المطلوب اكتشاف أسرارها، والتعرُّف على أوضاعها وخصوصياتها، وترصد هذه الدول ميزانيات ضخمة لهذا الغرض (١).

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوَّل من ابتكر في تاريخ الإسلام هذا العمل في صورته المنظَّمة، وتبعه في ذلك الخلفاء الذين جاءوا من بعده، وبخاصَّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي كان يستعين بجواسيس وعيون كثيرين في مجالات مختلفة، عسكريه، وإداريه.

فكان عليه السلام إذا نصب والياً على بلد، جعل عليه عيناً يراقب أعماله وتصرفاته، ويخبر الإمام بها أولاً بأوَّل، فكان الإمام يكتب إلى ذلك الوالي، ويوبِّخه على تصرفاته وانحرافات إن بلغه شيءٌ من ذلك (٢).

ولقد كلَّف رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الثانية ثمانية رجال من المهاجرين، بالتوجُّه تحت إمره «عبدالله بن جحش» إلى موضع معيَّن، والنزول فيه، للتعرف

١- راجع: كتاب: المخابرات والعالم وغيره.

٢- راجع: نهج البلاغه قسم الرسائل والكتب، رقم ٣٣ و ٤٥ وكتاب الغارات. هذا وقد بحثنا موضوع الاستخبارات والتجسس في النظام الإسلامي بصورة مسهبه في موسوعتنا: مفاهيم القرآن: ٥٤٠/٢-٥٥٨. ويبحث هذا الجزء عن: معالم الحكومه وأركانها وبرامجها، فراجع.

وقد كان عدم مفاجأه قريش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في معركة «أحد» وخروجه المبكر من المدينة بقواه، وجنوده، والنزول في منطقته مناسبة عسكرياً خارجياً، وحفره المبكر أيضاً للخندق المعروف في شمال المدينة، والذي منع العدو (جيش الاحزاب) من اقتحام المدينة المنورة، كل ذلك كان نابعاً من معرفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسبقه والدقيقه بأسرار العدو، ونواياه، وحجم قواته، وبالأرض، وذلك عن طريق عيونهم وجواسيسه الأذكياء اللبقيين، اليقظين الذين كانوا يرصدون - بدقه وباستمرار - أوضاع العدو، وتحركاته، وينقلون معلوماتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبذلك كانوا يقومون بواجبهم الديني في مجال الحفاظ على عقيدته التوحيد، وصيانتها من خطر السقوط.

إنّ هذا التدبير الذكي، والطريقه الحكيمه التي ابتكرها وأخذ بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تُعتبر أكبر درس للمسلمين اليوم، ودائماً.

ولهذا يتوجب على قادة المسلمين المخلصين أن يعرفوا بكل ما يُحاك - في بلاد الإسلام أو في غيرها من بلاد العالم - من مؤامرات ضد المسلمين، وما يدبر من خطط لتقويض دعائم الإسلام ويبادروا إلى إطفاء شرارات الفتن في مهدها، وقبل اشتعالها، وأن يسلكوا نفس المسلك الذي سلكه رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم ليحصلوا على ذات النتيجة، ولا شك أنّ مثل هذا العمل لا يتيسر من دون أجهزه مناسبه، ومن دون تشكيلات خاصه.

ولقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوه: «ذات السلاسل» الذي هو موضوع بحثنا الآن، أن يطفى نار الفتنة عن طريق استخدام المعلومات الدقيقه التي حصل عليها عن العدو.

ولو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أغلق على نفسه هذا الباب لتحمل خسائر لا- تُجبر، ولتعرضت الكثير من جهوده المباركة في سبيل نشر الدعوة الإسلامية لخطر الفشل والإخفاق.

### تفاصيل هذه الغزوة

لقد أبلغ العيون وعناصر المخبرات الإسلامية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ آلاًفاً من الناس قد تحالفوا وتعاهدوا في ما بينهم في منطقته تُدعى ب: «وادي اليبس» على التوجه إلى المدينة المنورة للقضاء على الإسلام بكلّ ما لديهم من قوة، فإنّما أن يُقتلوا في هذا السبيل، أو يقتلوا «محمّداً» أو فارسه البطل الفاتح «علي بن أبي طالب»!!

ويقول علي بن إبراهيم في تفسيره: «نزل جبرئيل على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بقصّة تهم، وما تعاهدوا عليه وتواتقوا»<sup>(١)</sup>.

غير أنّ شيخ الشيعة ومحقّقهم الكبير المرحوم «الشيخ المفيد» (المتوفّى عام ٤١٣ هـ) ذكر: بأنّ أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبره باجتماع قوم من العرب بوادي الرمل<sup>(٢)</sup> للتآمر عليه، وعلى الإسلام، (وأضاف) بأنهم يعملون على أن يبيتوه بالمدينة<sup>(٣)</sup>.

ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُطّلع المسلمين على هذا الأمر، فأمر مؤذنه بأن ينادي: الصلاة جامعة، وهي جملة كان يراد منها اجتماع الناس للصلاة واستماع أمر

ص: ٥١٦

١- . تفسير القمّي: ٢/٤٣٤، تفسير سورة العاديات.

٢- . يحتمل أن يكون وادي الرمل هو وادي اليبس نفسه. وذلك للمناسبة بين الوصفين.

٣- . الإرشاد للمفيد: ١/١١٤.

مهمّ وذى بال.

فعلا مؤذّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكاناً مرتفعاً ونادى: الصلاة جامعته، فسارع المسلمون إلى الاجتماع فى مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم رقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنبر وقال فى ما قال:

«أيتها الناس، إنّ هذا عدوّ الله وعدوّكم قد عمل على أن يبيّتكم فمنّ لهم؟» (١).

فانتدب جماعته أنفسهم لهذا الأمر، وأمر عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبابكر، فتوجّه أبوبكر بتلك المجموعه إلى قبيله «بنى سليم»، ولما سار بهم مسافه واجه أرضاً خشنه وكانت قبيله «بنى سليم» تسكن فى شعب واسع، فلما أراد المقاتلون المسلمون أن ينحدروا إلى الشعب عارضهم بنوسليم وقاوموهم، فلم ير قائد المجموعه بُدأً من الانسحاب بمجموعته والرجوع بهم من حيث أتى!!

يقول على بن إبراهيم فى تفسيره: قالوا (أى بنى سليم لأبى بكر): ما أقدمك علينا؟

قال: أمرنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أعرض عليكم الإسلام فإن تدخلوا فيما دخل فيه المسلمون لكم مالهم، وعليكم ما عليهم، وإلا فالحربُ بيننا وبينكم. (٢).

فهذّه زعماء تلك القبيله - وهم يباهون بكثرة رجالهم ومقاتليهم - بقتله وقتل من معه، فأرعب لتهديدهم وعاد بجماعته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رغم أنّ أفراده كانوا يصرون على مقاتله بنى سليم تنفيذاً لأوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم!!

ولقد أزعجت عوده الجيش الإسلامى بهذه الصوره المهينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

ص: ٥١٧

١- . بحار الأنوار: ٧٧/٢١.

٢- . تفسير القمى: ٤٣٥/٢.

فأمر عمر بن الخطاب أن يتولّى قياده تلك المجموعه ويتوجّه بها إلى «وادي اليابس»، ففعل عمر ذلك.

ولكنّ العدوّ كان قد ازداد - هذه المره - يقظه وتحسّياً فكمن عناصره عند فم الوادي، واختبأوا وراء الأحجار والأشجار بحيث يرون المسلمين، ولا يراهم من المسلمين أحدّ.

ولهذا خرجوا على المسلمين بغتهّ عندما حلّ الجيش الإسلامي بذلك الوادي، وقابلوهم ببسالة وشجاعه، فأمر قائد المجموعه الإسلاميه أفراده بالانسحاب، وعاد بهم إلى المدينه مهزوماً مدعوراً كسابقه، فلقى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لقيه صاحبه من قبل من الاستياء، والكراهيه. وهنا قال عمرو بن العاص - وكان من دهاه العرب وساسته الماكرين، وقد كان يومئذ قريب عهد بالاسلام -: إبعثنى يا رسول الله إليهم، فإنّ الحرب خدعه، فلعلّى أخدعهم!

فأنفذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع جماعه ووصّياه فلتمّيا صار إلى الوادي خرج إليه بنو سليم فهزموه، وقتلوا من أصحابه جماعه! (١)

### الإمام عليّ ينتدب لقياده العمليه

هذه الهزائم المتلاحقه أزعجت المسلمين وأحزنتهم بشده، فعمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى تنظيم مجموعه جديده واختار لقيادتها «عليّ بن أبي طالب»، وأعطاه رايه.

وطلب عليّ عليه السلام من زوجته «فاطمه» بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تأتي له

ص: ٥١٨

بالعصابه التي كان يشدها على جبينه في اللحظات الصعبة، فتعصّب بها، فحزنت «فاطمه» لمنظر زوجها وهو يتوجّه بمثل هذه الصورة إلى «وادي اليبس» للقيام بأمر خطير، وبكت إشفافاً عليه، فسأها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهداها، ومسح الدموع عن عينيها(١).

ثم إنّه صلى الله عليه وآله وسلم شيع علياً حتّى بلغ معه مسجد الأحزاب، وعليّ راكب على فرس أبلق، وقد لبس بردين يمايين، وحمل رمحاً هندياً بيده.

ثم توجه على عليه السلام بأفراده نحو الهدف، إلّا أنّه سلك طريقاً غير الطريق المعروفه ليعتمى على العدو، حتّى أنّ الذين خرجوا معه تصوّروا أنّه يقصد العراق، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في على عليه السلام حينما وجهه لهذه المهمّة:

«أرسلته كراراً غير فرار»(٢).

إنّ تخصيص «عليّ» عليه السلام بهذه الجملة يكشف عن أنّ القاده الذين سبقوه في هذه الحادته لم ينسحبوا فقط، بل كان انسحابهم مقروناً بالهزيمه القبيحه.

\*\*\*

### عوامل انتصار الإمام عليّ في هذه الموقعه

هذا ويمكن أن نلخص عوامل انتصار الإمام عليّ عليه السلام في هذه الموقعه في ثلاثه أمور أساسيه هي:

١. أنّه عليه السلام أخفى مسيره ووجهته على العدو، فلم يشعر العدو بوجهته ومقصده، لأنّه غير مسيره حتّى لا يعرف العدو به بواسطه الأعراب من سكان

ص: ٥١٩

١- بحار الأنوار: ٨١/٢١؛ الإرشاد: ١١٥/١.

٢- إرشاد المفيد: ١٦٣/١؛ بحار الأنوار: ٧٨/٢١.

٢. أنه عليه السلام أتبع مَبْدَأً هَامَأً من مبادئ العمل العسكري، واستخدم تكتيكاً مهتماً من التكتيكات الحربية وهو: مبدأ الكتمان والتستر، فقد كان عليه السلام يسير بأفراده ليلاً، ويكمن نهاراً، يستريح خلاله.

وهكذا حتّى دنا من أرض العدو، وقبل أن يصل فم الوادى أمر جنوده بالنزول والاستراحة لاستعادة نشاطهم من جهه، ولكى لا يحسّ العدو بمجيئهم من جهه أخرى.

ولهذا السبب الأخير نفسه أمر عليه السلام جنوده بأن يكتموا أفواه خيولهم حتّى لا يشعر العدو بوجودهم بصهيلها.

وعند الفجر صلّى «عليّ» عليه السلام بجنوده صلاه الصبح، ثم صعد بهم الجبل حتّى وصل إلى القمه، ثم انحدر بهم - بسرعه فائقه - إلى الوادى حيث يسكن «بنو سليم» فأحاطوا بهم وهم نيام، فلم يستيقظوا إلّا وقد حاصرهم المسلمون، فأسروا منهم فريقاً، وفرّ آخرون.

٣. شجاعه «عليّ» عليه السلام وبسالته النادره فهو العذى قتل الشجعان الأربعة المعروفين فى تلك الموقعه فأرعب العدو إرعاباً شديداً فقد معه القدره على المقاومه فى وجه عليّ عليه السلام، ففرّ تاركاً وراءه شيئاً كثيراً من الغنائم. ولقد عاد بطل الإسلام الضافر إلى المدينه بفتح لا سابق له، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى جماعه من أصحابه لاستقباله، واستقبال من معه من جنود الإسلام.

وما أن وقعت عينا القائد الفاتح على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى ترجّل من فرسه فوراً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يربت على كتفه:

«إركب فإنّ الله ورسوله عنك راضيان».



وفى هذه اللحظه بالذات اغرورقت عينا «علی» عليه السلام بالدموع استبشاراً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى شأن «علی» عليه السلام قولته المعروفه:

«يا علی لولا- أتى أشفق أن تقول فيك طوائف من أمتى ما قالت النصارى فى المسيح لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرُّ بملاً من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك»<sup>(١)</sup>.

ولقد بلغت تضحيه «علی» عليه السلام وبسالته، وشجاعته فى هذه الواقعه من الأهميه بحيث نزلت فيها سوره كامله هى سوره العاديات التى يقول سبحانه فيها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا \* فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا \* فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا \* فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا \* فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا»<sup>(٢)</sup>.

إنَّ القسم بخيول الغزاه المغيرين صباحاً، والمشعلين بحوافرها شرارات الفتح والانتصار، إنَّ هذا القسم الحماسى الجميل لهو تكريمٌ رائعٌ لبطولات جنود الإسلام فى هذه العمليه الضافره، وإكبارٌ بروحهم القتاليه العالیه.

### إعتراض وجواب

هذا ولقد اعترض بعض الملحدین ذات مره على هذا النوع من الأيمان والأقسام فى القرآن الكريم وقال ساخرًا: وماذا يعنى القسم بالخيول الضابحه، العاديه، والشرارات المنقده من حوافرها؟!

ولقد غاب عن هذا الملحد أن القسم بخيول الغزاه المجاهدين أو القسم بالشرارات المنقده من حوافرها بسبب احتكاكها بالصخور فى أرض المعركه

ص: ٥٢١

١- . الارشاد: ١٦٥/١.

٢- . لاحظ: تفسير السوره فى: تفسير فرات: ٥٩١-٦٠٣؛ مجمع البيان: ٢٥٣/١٠.

إنما هو إشعارٌ بأهميه الجهاد ضدّ الظالمين أعداء البشريه.

إنّ مثل هؤلاء الجنود البواسل ليسوا وحدهم الذين يحظون - فى نظر الإسلام - بمنزله رفيعه ومكانه عاليه، بل خيولهم التى تحملهم فى هذا الجهاد المقدّس، وكذا الشرارات التى تنفدح من حوافرها تحظى بالقداسه والأهميه أيضاً.

وأيه قيمه - ترى - أعلى من محاربه الظالمين الجائرين، وإنقاذ البشريه من براثن ظلمهم وجورهم، ومن حيفهم وعسفهم؟

إنّ مثل هؤلاء وما يمكنهم من أهدافهم من الأدوات، والوسائل مقدّسون جميعاً، لأنهم يحزرون - بجهادهم - الإنسان من قيود الطغاه، الظالمين، ويمهدون لحاكميه الله فى الأرض، وأى هدف أعلى وأعظم قدسيه من هذا الهدف؟

ولقد دعا القرآن الكريم المؤمنين - من خلال تقديس خيول المجاهدين وضبحها وعدوها وشرارات حوافرها - إلى العناية بالجهاد دائماً، وإلى تجميع قواهم، والاستعداد لكسر القيود التى تزرع على أيدى البشريه وأرجلها وعقولها، وإلى تحطيم القلاع التى ضربها الطغاه على الشعوب المغلوب على أمرها. أجل؛ إنّ فرق التحرير والجهاد الإسلاميه لا تستحقّ وحدها التقديس والاكبار بل تستحقّ خيولها ومراكبها، وشرارات حوافرها التقديس كذلك.

ولقد استبدلت تلك الخيول هذا اليوم بالدبابات والطائرات فهى مقدّسه أيضاً، كما كانت خيول الغزاه والمجاهدين فى عصر الرساله، كما وأنّ أزيز محرّكاتها، هو الآخر يحظى بالتقديس كما كانت أنفاس الخيول تحظى بالتقديس فى عصر الرساله؛ لأنها تحقّق ذات الهدف، ونفس الغايه المقدّسه وهى: تحرير الإنسان من براثن الظلم والطغيان.

هذا هو ملخص غزوه «ذات السلاسل» التى سجّلها وضبطها مفسّرو الشيعة،

ومؤرّخوهم، ورَوّوها بأَسناد صحيحه.

غير أنّ مؤرّخى أهل السنّه - كالطبرى - (١) رووا هذه الواقعه بنحو آخر يختلف عمّا ذكرناه هنا، اختلافاً شاسعاً.

ولا يبعد أن يكون «ذات السلاسل» اسماً لغزوتين نقل كل واحد من الفريقين: «السنّه والشيعه» واحده منها، وأعرض عن ذكر الأخرى لأسباب خاصّه.

ص: ٥٢٣

---

١- . المغازى: ٧٦٩/٢-٧٧٤؛ تاريخ الطبرى: ٣١٥/٢، السيره الحلييه: ١٩٨/٣ و ١٩٩.

قَصَّه «فتح مكَّه» من قضايا التاريخ الإسلامى الجديره بالمطالعه والتأمل، لما تنطوى عليه هذه الحادثه من دروس وعبر، ولكونها تعكس - بصدق وجلاء - أهداف رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم المقدَّسه، كما تكشف عن أخلاقه العالیه، وسيرته الحسنه، وأسلوبه الإنسانى مع الصديق، والعدو.

ففى هذا الفصل من التاريخ يتجلَّى ما كان يتحلَّى به خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم من صدق ووفاء، كما يتبين صدق أصحابه، ووفائهم، واحترامهم لكل ماتعهدوا، والتزموا به للخصم فى معاهده «صلح الحديبيه»، بينما يتضح من جانب آخر نفاق المشركين من قريش، وخيانتهم فى تنفيذ بنود اتفقيه الصلح، وبالتالى نقضهم للعهد، وبالتالى عدم احترامهم لأيشىء من الالتزامات!!

إنَّ دراسه هذا الفصل تثبت لنا حنكه النبى، وحسن تدبيره، وسياسته الحكيمه فى فتح أصعب وآخر قلعه من قلاع العدو الكافر، المتصلب فى شركه، وكفره، والتمتادى فى عناده وتعسيفه، وكأنَّ هذا الرجل الإلهى قد أمضى شطراً من حياته فى إحدى المعاهد العسكريه العلياء، فهو يخطط أفضل من أى قائد محنك قدير، للفتح، ويكون تخطيطه من الدقه والمتانه، والعمق والحكمه، بحيث يصيب

المسلمون فتحاً عظيماً بأقل قدر من المتاعب والمشاكل.

وبالتالى يتجلى فى هذا القسم من التاريخ الإسلامى الوجه الإنسانى الرحيم الذى كان يتسم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى كان يحرص على دماء أعداء الرساله الألداء، وأموالهم، ويسعى إلى حفظها وصيانتها، كما لو كانوا أصدقاء لا أعداء.

فهو يعفو بمروءه كبيره، وبُعد مدى واسع، ورؤيه مستقبليه عميقه عن قريش، ويغفر لهم جرائمهم وأذاهم ويُصدر عفواً عاماً لم يعرف له تاريخ الفاتحين نظيراً فى أسبابه، وعلله، وفى ظروفه وملايساته.

وإليك تفاصيل هذه الحادثه الكبرى من بدايتها إلى نهايتها.

### تفاصيل فتح مكه

لقد قرأنا فى ما مضى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عقدَ فى السنه السادسه معاهدته صلح مع قريش، نصّت الماده الثالثه منها على: أنّ لكلّ من قريش والمسلمين أن يتحالفوا مع من شاءوا من القبائل. فتحالفت «خزاعه» مع المسلمين، وتعهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لخزاعه فى هذا التحالف بأن يدافع عن أرضهم وأموالهم وأنفسهم كلّما تعرّضوا لخطر، وطلبوا ذلك.

وتحالفت قبيله «بنى كنانه» - وكانوا من أعداء خزاعه التقليديين - مع قريش.

ولقد تمّ كلّ هذا فى ضوء عقد معاهده صلح مدتها عشر سنوات تعهد فيها الطرفان بالحفاظ على الأمن الاجتماعى، والسلام الشامل فى كافه أرجاء الجزيره العربيه.

ولقد تعهد الطرفان - فى هذه المعاهده - بأن لا يقوم أى واحد منهما بعمليات عسكريه وتحركات عدائيه، لاضد الآخر، ولا ضد حليف الطرف الآخر،

كما لا يحرك حليفه ضد حليف الطرف الآخر.

ولقد انقضت سستان من تاريخ التوقيع على هذه المعاهده، وعاش الجانبان فى هذه الفتره فى سلام ورفاه، وأمن واستقرار إلى درجه أن المسلمين، استطاعوا بعد مضي سنه واحده من التوقيع على تلك المعاهده، أن يزوروا - بكامل حرّيتهم - بيت الله الحرام، فى مكّه المكرّمه، ويؤدّوا مناسك العمره أمام عُيون الآلاف من أعدائهم الوثنيين، وهى العمره التى سُمّيت بعدئذ بعمره القضاء كما عرفت.

\*\*\*

ولقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى شهر جمادى الأولى من السنه الثامنه للهجره كتيبه قوامها ثلاثه آلاف مقاتل بقياده ثلاثه فرسان من أركان جيشه، إلى تخوم الشام وحدودها، لمعاقبه وتأديب المتمرّدين والجناه من ولاه الروم وعَمّالهم فيها، وبالضبط أولئك الذين قتلوا دعاه الإسلام - الذين ابتعثهم صلى الله عليه وآله وسلم للدعوه والتبليغ - من دون ذنب أو جرم.

والجيش الإسلامى وإن استطاع أن ينجو بنفسه من هذه المعركه، ويخرج منها بسلام، من دون أن تكلفه تلك المواجهه خسائر كبرى فى الأرواح سوى ثلاثه هم قاده الجيش - على ما مرّ فى قصّه غزوه مؤته - إلّا أنّه ما عاد بانتصار باهر كان يأمله جنود الإسلام المجاهدون، بل كانت العمليه فى هذا المعركه أشبه ما تكون بعمليه الكرز والقرز.

وقد أوجب انتشار هذا النبا جرأه ساده قريش وسراتها، فقد تصوّروا أن المسلمين تضاءلت فيهم (أو انعدمت) روح الفروسية والإقدام، وروح الشجاعه واليساله.

من هنا قرّرت قريش أن تخلّ بالأمن والهدوء اللذين استتبّا بعد اتّفاقه

ص: ٥٢٤

الحديبيه، فبادرت - أولاً - إلى توزيع الأسلحة على قبيله «بنى بكر» من كنانه، وإلى تحريضهم على أن يبيتوا «خزاعه» المتحالفين مع المسلمين، فيغيروا عليهم ليلاً، ويقتلوا فريقاً، ويأسروا آخرين!!

بل لم تكتف قريشُ بهذا، إنما اشترك جماعه من رجالها في هذا العمل الغادر بصورة مباشرة، وبذلك نقضوا عهدهم الذى أعطوه فى الحديبيه، وأحلوا عملياً بالأمن والسلام، وأحلوا الفوضى والقتال، مكان الاستقرار والهدوء اللذين سادا الجزيره خلال عامين فى أعقاب عقد معاهده الحديبيه! أجل، لقد حملت «بنوبكر» ومن ساعدهم من رجال قريش بتحريك من زعامة مكه على «خزاعه» ليلاً، وكان بعضهم نياماً، والبعض الآخر يتهجد ويعبد الله ليلاً، فقتلوا من خزاعه جماعه، وأسروا آخرين، وغادر - منهم - فريق منازلهم تحت جناح الظلام، ولجأوا إلى مكه التى كانت للعرب يومئذ منطقه أمن لا يجيزون الاعتداء فيها على لاجئ إليها، ودخل الذين لجأوا إلى الحرم دار «بديل بن ورقاء»<sup>(١)</sup> وشكوا إليه ما حل بهم على أيدي رجال قريش، وحلفائهم من بنى كنانه ليلاً، من قتل وأسر وتشريد!!

كما وَعَدَ المظلومون من خزاعه إبلاغ مظلمتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأرسلوا رئيسهم: «عمرو بن سالم» فقدم المدينه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوقف عليه وهو صلى الله عليه وآله وسلم جالس فى المسجد بين ظهرايى الناس، وأخبره بما لحق بحلفائه من خزاعه على أيدي بنى بكر من كنانه بتحريك وتحريض من قريش، وأنشد أبياتاً يستغيث فيها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال:

ص: ٥٢٧

١- . كان بديل من شخصيات «خزاعه» من ذوى السن والشرف فيهم، وكان يعيش فى مكه، وكان له من العمر آنذاك ٩٧ عاماً (أمالى الطوسى: ٢٣٩).

يا ربِّ إِنِّي ناشدُ مُحَمَّدًا حَلَفَ أبينا وأبيه الاتلدا  
فأنصُرَ هداك اللهُ نصرًا أعتدا وأدعُ عبادَ الله يأتوا مددا  
فيهم رسولُ الله قد تجردا إن سيمَ حَسفًا وجهُهُ ترَبدا  
فى فيلقُ كالبحرِ يجرى مزبدا إنَّ قريشًا أخلفوك الموعدا  
وَنَقَضُوا ميثاقَكَ المؤكدا وجعلوا لى فى كداء رصدا  
هم يبتونا بالوتير هُجدا وقتلونا رُكعًا وسُجداً

وقد كان «ابن سالم» يعيد البيت الأخير ويكرّره لإثارة لمشاعر المسلمين، ويكرّر عبارته: قُتلنا وقد أسلمنا.  
فانزعج رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم من قريش لغدرها ونقضها للعهد، ووعد «خزاعه» بالنصره، وقال:  
«نصرت يا عمرو بن سالم»<sup>(١)</sup>.

وقد أفاض هذا الوعد القاطع والقوى حالة من الطمأنينه على قلب مبعوث خزاعه: «عمرو بن سالم» إذ قد تيقن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سينتقم لخزاعه ممن غدروها بها وبيتوها، وفتكوا بأبنائها، وبخاصه من قريش التي حرّضت بنى بكر على خزاعه، وأشعلت شراره هذه الفتنة، وبالتالي كانت السبب الحقيقي وراء هذه الجريمة النكراء، ولكن ابن سالم ما كان يظن أن هذه المسأله ستنتهى بفتح مكّه، وتقويض دعائم الحكومه الوثنيه الجاهليه، والقضاء عليها إلى الأبد!!

ولم يلبث أن قدم المدينه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «بُدَيْل بن ورقاء» فى جماعه من «خزاعه»، وأخبروه بما فعلته قريش وبنوبكر من قتل فتيان خزاعه، ثم عادوا

ص: ٥٢٨

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٨٥٤/٤-٨٥٥.



### قريش تنجس خيفه من ردّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ندمت قريش بشدّه على ما صنعت من تأليب بنى بكر على خزاعه ومساعدتهم العمليه فى العدوان على الأخيره، وأدركت للتوّ، بأنّ هذا الذى صنعتّه هو نقضٌ للعهد الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لن يدع هذه الجريمة النكراء تمرّ دون ردّ قاطع وحاسم، ولهذا بادرت إلى إيفاد زعيمها «أبى سفيان بن حرب بن أميه» إلى المدينه المنوره لتطيب خاطر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتسكين غضبه وتأكيد إحترام قريش لمعاهده الصلح.

فتوجه أبو سفيان إلى المدينه، والتقى فى «عسفان» بديل بن ورقاء الخزاعيّ وهو عائد من المدينه، فسأله: من أين أقبلت يا بديل؟ وظن أنّه قد أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: تسيرت فى خزاعه فى هذا الساحل، وفى بطن هذا الوادى.

قال: أو ما جئت محمداً؟

قال: لا. فلمّا راح بديل إلى مكّه، قال أبو سفيان: لئن كان جاء بديل المدينه لقد علف بها النوى، فأتى مبرك راحلته، فأخذ من بعرها ففتّه، فرأى فيه النوى، فقال:

أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً. (٢)

ثمّ خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، المدينه فدخل على ابنته «أمّ حبيبه» زوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلمّا ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ص: ٥٢٩

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٨٥٥/٤.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٨٥٥/٤.

طوته (أم حبيبه) عنه، فقال: يا بتيه ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟!!

قالت: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. (١)

وفى «إمتاع الأسماع»: ثم قام أبو سفيان فدخل على ابنته أم حبيبه، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طوته دونه وقالت: أنت امرؤ نجس مشرك!

فقال: يا بنيه! لقد أصابك بعدى شر.

قالت: هداني الله للإسلام، وأنت يا أبتى سيد قريش وكبيرها، كيف يسقط عنك دخولك للإسلام وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر!! قال: يا عجباه! وهذا منك أيضاً! أترك ما كان يعبد آبائي، وأتبع دين محمد؟! (٢)

أجل هذا هو منطق ابنه رجل حاك مؤامرات عديده وقاد جيوشاً ضد الإسلام طيله عشرين عاماً تقريباً، وكانت تربطه بأم حبيبه رابطة الأبوة والبنوه الوثيقه، ولكن حيث إن تلك المرأه ترعرت فى مهد الإسلام، ونشأت فى مدرسه التوحيد، حصلت لها مشاعر دينيه قويه جداً حتى أنها رجحت المشاعر الدينيه على المشاعر العاطفيه الشخصيه، مقاومه فى هذا السبيل رغباتها الذاتيه، وميولها الشخصيه.

لقد أنزعج أبو سفيان من سلوك ابنته التي كان يتصور أنها ملجأه وملاذه الوحيد فى المدينه، فخرج من منزلها فوراً، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكلّمه حول

ص: ٥٣٠

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٤/٨٥٥-٨٥٦.

٢- . إمتاع الأسماع: ١/٣٤٩.

تجديد العهد، واستمراره، فلم يردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كناية عن عدم اعتناؤه به.

فذهب إلى بعض أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم يطلب منهم أن يشفعوا له عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن يُقنعوه بتجديد ميثاق الصلح، ولكن دون جدوى.

وأخيراً دخل على «علي بن أبي طالب» وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعندها الحسن غلام يدب بين يديها، فقال: يا علي، أنك أمس القوم بي رحماً، وإنّي جئت في حاجه فلا أرجعنّ كما جئتُ خائباً، فاشفع لى إلى رسول الله.

فقال عليّ عليه السلام: ويحك يا أبا سفيان، والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه.

فالتفت إلى فاطمه - وهو يحاول إثارتها عاطفياً - فقال: يا بنت محمّد هل لك أن تأمرى بئتيك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟

(ولمّا كانت فاطمه عليها السلام تعرف بنوايا أبي سفيان الشريره لذلك) قالت: والله ما بلغ بُنى ذاك أن يجبر بين الناس، وما يجبر أحد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال أبو سفيان: يا أبا الحسن إنّي أرى الأمور قد اشتدت عليّ، فانصحنى.

قال عليّ عليه السلام: والله ما أعلم لك شيئاً يغنى عنك شيئاً، ولكنك سيد بنى كنانه، فقم فأجر بين الناس (أى تعطى الأمان للمسلمين) ثم إلحق بأرضك.

فقال أبو سفيان: أوترى ذلك مُغنياً عنى شيئاً؟ قال: لا والله، ما أظنّه، ولكنى لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان فى المسجد - وكان يثق بصدق عليّ فى نصيحته - فقال: أيّها الناس؛ إنّي قد أجرّت بين الناس. (1)

ص: ٥٣١

ثم ركب بعيره، وانطلق راجعاً إلى مكّه، وأخبر سادة قريش بما صنع، وذكر نصيحه «عليّ» إياه، فقال: إنّ عليّاً نصحني أن أجير الناس، فنأديت بالجوار. قالوا:

فهل أجاز ذلك محمّداً؟

قال: لا.

قالوا: ويلك والله إن زاد الرجل (ويقصدون عليّاً) على أن لعب بك، فما يغني عنك ما قلت. لأنّ النبي لم يجر أمانه، وما لا يجيزه الطرفان لا- قيمه له في ميزان العهود. ثم إن سادة قريش عقدوا مجلساً من فورهم للتشاور في ما يطفئ غضب المسلمين، ويشنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عزمه (1).

### جاسوسٌ يكتشف!

إنّ تاريخ رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم يكشف عن أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يسعى دائماً إلى أن يُقنع العدوّ بالحقّ، ويجعله يستسلم لمنطق الدين، ولم يكن يهدف قط الانتقام من العدوّ وإبادته.

ففي الكثير من الغزوات والمعارك التي شارك فيها صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه أو السرايا التي بعثها كان الهدف الأساسي هو القضاء على مؤامره العدو، وإفشالها، وتشتيت شملها، وتفريق اجتماعه قبل أن يقوم بعمل يضرّ بالإسلام والمسلمين، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعرف جيداً أنّه لو أزيلت الموانع ورُفعت عن طريق الدعوة الإسلامية لترك منطق الدين الحنيف أثره في المجتمع الحرّ، وكان يعلم بأنّ الذين يعقدون

ص: ٥٣٢

١- . لاحظ: المغازي: ٧٨٠/٢-٧٩٤؛ السيرة النبوية لابن هشام: ٨٥٤/٤-٨٥٧؛ بحار الأنوار: ١٠٢/٢١.

الاجتماعات، و يقيمون التحالفات العسكريه ليحولوا دون تقدّم الإسلام وانتشاره، لو جُرّدوا من أسلحتهم، وأنهيت حاله الحرب بينهم وبين الإسلام وتركوا فكره التغلّب على الإسلام عن طريق القوه العسكريه، وسمعوا منطق الإسلام فى جوّ بعيد عن صخب القتال، لانجذبوا إلى عقيدته التوحيد بدافع الفطره وهدايتها، ولاستجابوا لنداء الضمير، وصاروا من أنصار الإسلام ومؤيديه المخلصين الأوفياء.

ولهذا السبب كانت الجماعات والأقوام التى يتغلّب عليهم جنود الإسلام ثم يتسنى لهم مناخ التفكير الحرّ فى العقيدته والتعاليم الإسلاميه الساميه فى جوّ بعيد عن الضوضاء والصخب، تنجذب إلى الإسلام وترغب فيه، وتعتنق بل تشمّر عن ساعد الجدّ لنشر العقيدته الإسلاميه التوحيديه.

وقد تجلّت هذه الحقيقه فى موضوعنا الراهن وهو فتح مكّه بصوره أكمل وأقوى، فقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يدرك جيداً لو أنه فُتحت مكّه، وجُرد العدو من السلاح ووُفرت أجواء حرّه آمنه بعيده عن الكبت والاضطهاد فإنه لم يلبث أن يصبح هذا الفريق المعادى والمناهض للإسلام بشدّه، من أنصار هذا الدين، ومن المجاهدين الصادقين، الساعين فى نشره.

ولهذا يجبُ التغلّب على هذا العدو، وكسر شوكته، ولكن يجب عدم إفنائه وإبادته، بل ينبغى تجنب إراقه الدماء، وإزهاق الأرواح ما أمكن.

ولأجل الوصول إلى هذه الغايه المقدسه (الغلبه على العدو من دون إراقه الدماء) استخدم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أسلوب مباحته العدو.

فقبّل أن يفكر العدو فى الدفاع عن نفسه، ويجمع قواه، ويستعدّ للمواجهه، كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يحاصر العدو فى أرضه، ويجرّده من سلاحه، ويجهض محاولته،

على أن مبدأ «مباغته العدو» إنما يمكن الاستفادة منه إذا بقيت جميع الأسرار العسكريه للجانب المباغت طي الكتمان، وتمت الترتيبات اللازمه في سريه كامله، بحيث لم يعرف بها العدو، بل لا يعرف العدو أساساً هل ينوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الهجوم عليه، أو لا، وعلى فرض أنه ينوي ذلك لا يخبر أحداً شيئاً عن موعد تحرك الجيش الإسلامى، ووجهته، إذ فى غير هذه الصوره لا يمكن الاستفادة من مبدأ «مباغته العدو». ولقد أعلن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن التعبئة العامه لفتح مكه، وتحطيم أقوى قلعه من قلاع الوثنيه وإزاله حكمه قريش الظالمه التى كانت تمثل أقوى مانع فى طريق تقدم الدعوه الإسلاميه وانتشارها وتوسيعها، وقد طلب من الله سبحانه فى دعائه أن يعمى على عيون قريش وجواسيسهم فلا يعرفوا شيئاً عن حركه المسلمين ومقصدهم إذ قال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها» (١).

أو قال: «اللهم خذ على قريش أبصارهم، فلا يرونى إلا بغيته، ولا يسمعون بى إلا فجأه» (٢).

فاجتمع فى مطلع شهر رمضان ناسٌ كثيرون من مختلف المناطق خارج المدينه، وداخلها.

ويذكر المؤرخون جدولاً تفصيلياً بالطوائف والقبائل التى شاركت فى هذا الفتح العظيم، وإليك ما ذكره:

ص: ٥٣٤

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٨٥٧/٤.

٢- . المغازى: ٧٩٦/٢.

المهاجرون: سبعمائه مع ثلاثمائة من الخيل.

الأنصار: أربعة آلاف مع خمسمائة من الخيل، وألويه كثيره.

قبيله مزينه: ألف مع مائه فرس، ومائه درع، وثلاثه ألويه.

قبيله جهينه: ثمانمائه مع خمسين فرساً، وأربعة ألويه.

قبيله بنى كعب: خمسمائه مع ثلاثه ألويه.

وكانت بقيه الجيش من قبائل غفار، وأشجع، وبنى سليم (١).

ويقول ابن هشام: كان جميع من شهد فتح مكه من المسلمين عشره آلاف:

من بنى سليم سبعمائه، ويقول بعضهم: ألف، ومن بنى غفار أربعمائه، ومن أسلم أربعمائه، ومن مزينه ألف وثلاثمائه شخص، وسائرهم من قريش، والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم، وقيس وأسد (٢).

ولتحقيق مبدأ المباغته والكتمان وضعت جميع الطرق المؤديه إلى مكه تحت المراقبه الشديده من قبيل عناصر الحكومه الإسلاميه، كما روقب بشده تردد الماره والمسافرين بواسطه الحرس (٣).

وبينما كان جيش الإسلام يتهيأ للتحرك باتجاه مكه، نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بأن أحد البسطاء من المسلمين أقدم على إرسال كتاب إلى قريش، يخبرهم فيه بتوجه النبي وأصحابه إلى مكه، وأنه أعطى ذلك الكتاب إلى امرأه تدعى «ساره» - وكانت مغنيه من مغنيات مكه - لتوصله إلى مكه لقاء مال تقبضه.

ص: ٥٣٥

١- المغازي: ٨٠٠/٢؛ شرح نهج البلاغه: ٢٥٩/١٧.

٢- السيره النبويه لابن هشام: ٨٧٧/٤.

٣- لاحظ: بحار الأنوار: ١٣٠/٢١، إمتاع الأسماع: ٣٥٢/١.

ولقد كانت «ساره» - كما أسلفنا - مغنّيه بمكّه، تغنّي لأهل مكّه، وربما شاركت في مجالس العزاء في قريش أيضاً، وقد تعطل عملها بعد معركة «بدر»، ومقتل جماعه من رجال قريش، ودخول الحزن في كل بيوت مكّه، فلم تعدّ تستطيع أن تغنّي وتطرب، من ناحيه، ومن ناحيه أخرى كان أبوسفیان قد أمر الناس بأن لا يبكوا، ولا يقيموا المآتم والمناحات على قتلى بدر حتى لا يذهب غيظهم على «محمّد» صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الذين قتلوا رجالاً من قريش في بدر.

من هنا تركت «ساره» مكّه بعد عامين وقدمت المدينة، وعندما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمجيئها إلى المدينة سألتها: هل أسلمت؟ فقالت: لا، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ولم أتيت إلى المدينة؟ فقالت: إني مولاتكم، وقد أصابني جهدٌ، وأتيتكم أتعرضُ لمعروفكم(1). فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكسيت وحمّلت وجهّزت.

ومع أنّ هذه المرأة قد شملها الإسلام بلطفه ورحمته ولكنّها خانت النبي والمسلمين عندما تطوّعت للقيام بعملية جاسوسية ضد الإسلام والمسلمين بأخذ كتاب «حاطب بن أبي بلتعه» وإخفائه في شعر رأسها لتبلغه إلى قريش لقاء عشرة دراهم، مفشيه بذلك سراً للمسلمين، تضييع - على أثره - جهود النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتفشل خطته!!

ولمّا عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الأمر إثر خبر من السماء بعث ثلاث رجال من فرسانه الأشاوس، هم: عليّ والمقداد والزبير، ليدركوا المرأة الخائنه، على طريق مكّه ويأخذوا منها ذلك الكتاب الذي يحذر قريشاً ممّا أجمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه.

ص: ٥٣٦



فخرج الرجال الثلاثة في طلبها مجدين حتى أدركوها في منطقته تدعى «روضه خاخ»<sup>(١)</sup> فاستنزلوها، وفتشوا عن الكتاب في رحلها فلم يجدوا شيئاً، فسألوها عنه فأنكرت، فقال لها عليّ عليه السلام.

«إني أخلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا كذبتنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك»<sup>(٢)</sup>.

ولما رأت تلك المرأة هذا الجِدَّ من علي عليه السلام وكانت تعرف أنّ عليّاً لا يتركها حتى ينفذ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: إعرض، فأعرض عليّ، فحلّت ضفائر شعرها فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فانزعج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفعل «حاطب» وكان من المسلمين السابقين، فدعاه من فوره وقال له عاتباً ومستفهماً: يا حاطب ما حملك على هذا؟

فحلف حاطب بالله وبرسوله أنّه لم يقصد شراً، وقال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت ولا يبدلت، ولكنني كنت امرءاً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيره، وكان لي بين أظهرهم ولدٌ وأهلٌ، فصانعتهم عليهم!!

ويستفاد من اعتذار حاطب هذا أنّ أسياذ قريش كانوا يضغطون على من تخلف في مكّه من أقارب المهاجرين وعوائلهم، ويؤذونهم، ولا يتركون أذاهم إلّا إذا حصلوا منهم على أسرار المسلمين بالمدينه.

وهذا الاعتذار وإن كان غير وجيه؛ لأنّ ذلك لا يبرّر إفشاء أسرار المسلمين لأعدائهم الحاقدين، غير أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عفا عنه، وخلق سبيله لمصالح معينه

ص: ٥٣٧

١- . وقال ابن هشام في سيرته: فأدركوها بالخليقة (لاحظ: ج ٤/٨٥٨).

٢- . السير النبويه لابن هشام: ٨٥٨/٤، وذكر ابن هشام شخصين فقط هما: الإمام علي والزبير.

ولكى لا يتكرّر مثل هذا العمل الخطر والأثم أنزل الله سبحانه قرآناً بهذا الشأن فى عدّه آيات إذ يقول: بسم الله الرحمن الرحيم

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ \* إِنْ يَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا يُفَصِّلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهِ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ \* قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ \* رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُ عَنَّا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ \* عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَبَادِئًا وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ \* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ

ص: ٥٣٨

وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (١).

### النبى صلى الله عليه وآله وسلم يتحرك باتجاه مكة

أخذاً بمبدأ «المباغته» كتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موعد الحركة، ووجهتها، فلم يكن أحدٌ يعرف أين يريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على وجه التحديد (٢).

وفى اليوم العاشر من شهر رمضان من السنة الثامنة أصدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوامره بالخروج، وكان قد أصدر أوامره للمسلمين كافة من قبل بالاستعداد والتهيؤ للخروج.

ثم إنه استخلف على المدينة رجلاً من بنى غفار يُدعى «أبارهم» ثم استعرض جيشه خارج المدينة على عادته.

ثم لما كان صلى الله عليه وآله وسلم بمكان يُدعى «الكديد» طلب شيئاً من الماء أمام المسلمين، وأفطر به فى تلك الساعة من النهار، وأمر الجند بأن يفطروا اقتداءً به أيضاً.

فأفطر أكثر المسلمين، وأمسك البعض ولم يفطر ظناً بأنَّ الجهاد فى حالة الصوم أفضل، وأكبر أجراً، ولم يعرف هؤلاء السدج غير المفطرين، بأنَّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى أمر بالإفطار فى شهر رمضان فى تلك الحال، هو نفسه الذى أمر بالصوم أيضاً.

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائد حقّ ودليل سعادته فإنه - فى كلتا الحالتين - يريد

ص: ٥٣٩

١- . الممتحنه: ١-٩، راجع السيره النبويه لابن هشام: ٨٥٨/٤-٨٥٩؛ مجمع البيان: ٤٤٦/٩.

٢- . المغازى: ٨٠٢/٢، إمتاع الأسماع: ٣٥٢/١، قال: وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس بالجهاز وطوى عنهم الوجه الذى يريد،.. فظاناً يظنُّ أنه يريد الشام، وظاناً يظنُّ ثقيفاً، وظاناً يظنُّ هوازن.

سعادته الناس، وينشد خيرهم، فلا معنى إذن لأن يطاع في أمره، ولا يطاع في نهيه.

ولهذا غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لامتناع ثلثه من المسلمين عن الإفطار كما أمر وقال عنهم: «أولئك العصاة!!» (١).

وأمرهم بأن يفطروا قائلاً: «إنكم مُصبحو عدوكم، والفطر أقوى لكم».

إن مثل هذا التقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتجاهل أمره ما هو في الحقيقة إلا نوع من الانحراف عن الحق، وهو يكشف عن ضعف في إيمان الجماعة العاصية، المتمردة عن أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولهذا نزل فيه قرآن يلومهم، ويوبخهم على عصيانهم إذ قال سبحانه:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ». (٢)

هذا وقد كان «العباس بن عبدالمطلب» من المسلمين الذين بقوا، في مكة بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليتجسس له الأخبار، ويطلع على نوايا قريش، وخططهم أولاً بأول.

وقد تظاهر العباس - بعد فتح خيبر - بإسلامه، ولكنه بقي محافظاً على علاقاته بساده قريش وزعمائها، فقرر أخيراً أن يكون آخر من يهاجر من بيوت المسلمين، فغادر مكة متوجهاً إلى المدينة، وصادف خروجه مسير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة، فالتقى ببعض الطريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد كان بقاء العباس بن عبدالمطلب في مكة بعد هجره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ص: ٥٤٠

١- المغازي: ٨٠٢/٢؛ إمتاع الأسماع: ٣٥٥/١؛ السيرة الحلبية: ١٥/٣.

٢- الحجرات: ١.

مفيداً للجانبين: (قريش والمسلمين) فلو لم يكن العباس، ونشاطاته السياسيّه الذكيّه، لما تيسّر فتح مكّه من دون مقاومه قريش، ومن دون إراقه دماء وإزهاق نفوس.

من هنا لا يبعد أن يكون خروج العباس من مكّه في تلك اللحظات والظروف الخطيره قد كان هو الآخر بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكي يستطيع القيام بدوره الإصلاحي، الذي سنأتى على ذكره قريباً.

### العفو عند المقدره

لقد كانت سوابق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشرفه، وأخلاقه الحميده، وصدقه وأمانته، طوال حياته من الأمور الواضحه المعلومه عند أقربائه، وأبناء عشيرته.

فقد كان الجميع يعلم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يرتكب طيله حياته الشريفة إثماً، ولم يفكر في ذنب، ولم ينو الاعتداء على أحد، ولم يقل بلسانه سوءاً ولا قبيحاً، ولا خان في أمانه، ولا أفسى سرّاً ولا تخلف عن فضيله.

ولهذا استجاب لدعوته - في الأيام الأولى من دعوته العامه - الأكثرية الساحقه من قبيلته (بنى هاشم)، والتفؤوا حوله، وتحملوا الدفاع عنه، ودعم موافقه.

ولقد أشار أحد المستشرقين المنصفين إلى هذه الحقيقه، واعتبرها دليلاً على طهاره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصدقه ونزاهته، فهو يقول: مهما كان المرء متكثماً متسترأ على أعماله وأفكاره، فإنه لا يستطيع بحال أن يخفى تفاصيل حياته عن ذويه وأقربائه، ولو كان لمحمد حالات نفسيه أو أفعال سيئه لما خفيت على أقربائه، ولما

كانوا ينقادون إليه بمثل هذه السرعة(١).

نعم يُستثنى من بنى هاشم عدّه أشخاص أحجموا عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاستجابة لدعوته، ويمكن الإشارة - في هذا المجال - بعد أبي لهب المعروف بل والمصرّح بعداوته في القرآن، إلى «أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب» و«عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة» اللذين خاصما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعارضا دعوته بشدّه، ولم يكتفيا بعدم الإيمان برسالته، بل منعا من انتشار الحقّ، وآذيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشدّ الأذى وألّبا عليه أكثر من أيّ شخص آخر.

ولقد كان أبوسفيان هذا ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخاه من الرضاعة، وكان يألف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة، ولكنّه اختلف مع النبي بعد ابتعائه بالرسالة، وبني على مخالفته ومعاداته(٢).

وأما عبدالله بن أبي أمية فهو أخو أمّ سلمة ابنه عاتكة عمّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابنه عبدالمطلب.

ولقد حدا انتشار الإسلام في كلّ أنحاء الجزيرة العربية بهذين الرجلين إلى أن يخرجوا من مكّه ويلتحقا بالمسلمين.

فقد خرجا قبيل الفتح من مكّه، فلقيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في أثناء الطريق، وعلى وجه التحديد في نقطه تُدعى بثيّه العقاب، والنبي قاصد مكّه، فاستأذنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليدخلا عليه، وأصرّا على ذلك، فأبى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأذن لهما.

وقد وسّطا أمّ سلمة، وطلبا منها بلهجه عاطفيه أن تشفع لهما عند رسول

ص: ٥٤٢

١- راجع كتاب: «الأبطال»: ل: توماس كارليل الانجليزي، وقد ترجمه إلى العربية محمد أفندي السباعي المصري.

٢- لاحظ: المغازي: ٨٠٦/٢ و ٨٠٧.

اللّٰهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُمَا، فَكَلَّمْتَهُ، فِيهِمَا، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَبِي وَقَالَ:

«لَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا، أَمَّا ابْنُ عَمِّي فَهَتَّكَ عَرَضِي، وَأَمَّا ابْنُ عَمَّتِي وَصَهْرِي فَهُوَ الَّذِي قَالَ بِمَكِّهِ مَا قَالَ» (١).

وَلَمَّا كَانَ «عَلِيٌّ» عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْرَفَ النَّاسَ بِنَفْسِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَخْلَاقَهُ، وَبَطْرِيْقَهُ اسْتِعْطَافَهُ، فَقَدْ كَلَّمَهُ أَبُو سَفْيَانَ فِي الْأَمْرِ، فَعَلَّمَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَيَقُولُ:

«قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ» (٢).

فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَيَجِيبُهُ بِمَا قَالَهُ يُوسُفُ لِأَخَوْتِهِ إِذْ قَالَ لَهُمْ:

«قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» (٣).

لِأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا يَرْضَى بِأَنْ يَتَفَوَّقَ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي حَسَنِ الْقَوْلِ.

فَفَعَلَ أَبُو سَفْيَانَ هَذَا مَا أَشَارَ عَلَيْهِ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَخَلَ مِنَ الطَّرِيقِ الْعَدِيِّ بَيْنَهُ لَهُ، فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا فَعَلَ يُوسُفُ بِأَخَوْتِهِ، فَأَنْشَدَ أَبُو سَفْيَانَ قَصِيدَهُ أَرَادَ بِهَا أَنْ يُكْفِّرَ عَمَّا سَبَقَ مِنْهُ، قَالَ فِيهَا:

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَحْمَلُ رَايَهُ لِيَتَغَلَّبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ

فَكَالْمُدْلَجِ الْحِيرَانَ أَظْلَمَ لَيْلُهُ فَهَذَا أُوَانِي حِينَ أُهْدَى فَأَهْتَدَى (٤)

وَيَكْتُبُ الْوَأَقْدَى فِي مَغَازِيهِ قَائِلًا: قَالَ أَبُو سَفْيَانَ وَمَعَهُ ابْنُهُ، لَمَّا أَعْرَضَ رَسُولُ

ص: ٥٤٣

١- . فَهُوَ مَمَّنْ اقْتَرَحَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَكِّهِ أُمُورًا غَيْرَ مَعْقُولَةٍ، وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ هَذِهِ الْمَقْتَرِحَاتِ فِي الْآيَاتِ: ٩٠-٩٣ مِنْ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ. رَاجِعْ: مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٤٣٩/٦؛ وَأُسْدُ الْغَابَةِ: ٢١٣/٥ وَ ٢١٤.

٢- . يُوسُفُ: ٩١.

٣- . يُوسُفُ: ٩٢.

٤- . الْإِصَابَةُ: ١٥٢/٧؛ أُسْدُ الْغَابَةِ: ٢١٤/٥؛ السِّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ: ٨٦٠/٤.

اللّٰهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ وَأَبِي أَنْ يَأْذَنَ لَهُ: وَاللّٰهُ لَيَقْبَلُنِي، أَوْ لَأُخَذْتُ بِيَدِ ابْنِي هَذَا فَلَأَذْهَبَنَّ فِي الْأَرْضِ حَتَّى أَهْلِكَ عَطْشًا وَجُوعًا وَأَنْتِ أَحْلَمُ وَأَكْرَمُ النَّاسِ مَعَ رَحْمِي بِكَ (١).

وقد سبق أن قالت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد كلمته في أبي سفيان: بأبي أنت و أمي يا رسول الله ألم تقل: إن الإسلام يجب ما كان قبله؟ فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إسلامه (٢).

## تكتيك رائع لجيش الإسلام

تقع «مَرَّ الظهران» على بُعد عدّه كيلومترات من مكّه المكرمه، وقد قاد رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم جيشه العظيم (وقوامه عشرة آلاف) حتّى مشارف مكّه بمهاره بالغه.

ومع أنّ عيون قريش وجواسيسها كانت تتجسس الأخبار وكان هناك من يعمل لصالح قريش، ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يعرفوا شيئاً عن نوايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهدفه.

ولمّا وصل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مشارف مكّه، عمد - لإرعاب أهل مكّه حتّى يتركوا مقاومه المسلمين عند دخول مكّه وفتحها، ويتسنى لهم تحطيم صرح الوثنيه من دون إراقه الدماء - إلى إصدار أمر لجنوده بإشعال النيران فوق الجبال والتلال، وللمزيد من تخويف سكان مكّه والإظهار بمظهر القوه أمر بأن يُشعل كلُّ واحدٍ من الجنود النار وحده، في شريط طويل على الأرض.

كانت قريش وحلفاؤها يغطّون في نوم عميق آنذاك من جهه، بينما كانت النيران من جهه أخرى قد غطت كلّ المرتفعات المشرفه على مكّه، فلم تستيقظ إلّا

ص: ٥٤٤

١- المغازي: ٨١١/٢.

٢- بحار الأنوار: ١١٤/٢١ و ١١٥.



على منظر أربع قلوبهم، ولفت أنظارهم.

وفى هذه الأثناء كان بعض سادة قريش ك: «أبي سفيان بن حرب» و «حكيم بن حزام» وغيرهما قد خرجا من مكة يتجسسون الأخبار.

ففكر «العباس بن عبدالمطلب» الذي لازم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من منطقه الجحفة، فكر في نفسه بأنه إذا ما اتفق أن واجه جنود الإسلام مقاومه من قريش عند دخول مكة لأذى ذلك إلى أن يقتل جمع كبير من قريش، ولهذا فإن من الأفضل أن يقوم بدور عملي لصالح الطرفين، ويقنع قريشاً بالتسليم، وعدم المقاومه.

فركب بغله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البيضاء وتوجه صوب مكة ليخبر قريشاً بمحاصره مكة من قبل جنود الإسلام، ويخبرهم بكثرة عددهم، وبمبلغ شجاعتهم وإصرارهم على تحقيق أهداف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقنعهم بأنه لا مناص من التسليم للأمر الواقع.

فبينما هو كذلك إذ سمع صوت أبي سفيان وبديل بن ورقاء يتحدثان في جوف الليل فيقول أبو سفيان: ما رأيت كالليله نيراناً قط ولا عسكرياً، فيقول بديل:

هذه والله خزاعه حمشتها الحرب.

فيقول أبو سفيان: خزاعه أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

فصاح العباس بأبي سفيان وقال: يا أبا حنظله. فعرف صوتي فقال (أبو سفيان): أبو الفضل؟ قلت: نعم. قال: مالك فداك أبي وأمي؟

فقال العباس: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله في الناس، واصباح قريش والله.

فارتعد أبو سفيان لما سمعه من العباس حول عظمه القوه الإسلاميه، فقال وهو يرتجف، وتصطك أسنانه من الفزع، فما الحيله فداك أبي وأمي؟!

فقال العباس:.... إركب في عَجْز هذه البغلة حتّى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستأمنه لك.

فركب أبو سفيان خلف العباس، ورجع صاحبه (حكيم وبديل) إلى مكّه. (١)

ولقد كان مسعى العباس - كما ترى - في مصلحة الإسلام كلّها، فقد أربع شيطان قريش، وزعيمها وعقلها المدبّر أبو سفيان، وكان موفقاً في هذه الخطوه جداً بحيث لم يعد يفكر أبو سفيان إلّا في التسليم، وإلقاء السلاح والكفّ عن المقاومة، بل ومنعه العباس من العوده إلى مكّه، في نفس الليله (ليه فتح مكّه) وأخذه معه إلى معسكر المسلمين بغيه تقييده، ومنعه من العوده إلى مكّه، إذ كان من المحتمل جداً أن يقع فريسه أفكار المتطرفين في الزعامه المكيه فيدبّرون معاً خطه لمواجهة جيوش الإسلام فيقع - حينئذ - ما لا يُحمد عقباه، من سفك الدماء، وذهاب الأنفس والأرواح.

### العباس يصطحب أبو سفيان إلى خيمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم

دخل العباس - وهو على بغله بيضاء وقد أردف خلفه أباسفيان - في معسكر المسلمين، وهو يقصد خيمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خلال نيران المسلمين التي أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإشعالها، وكان كلما مرّ بنار من نيرانهم قالوا: عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا - يمنعون من مروره، حتّى إذا لقي عمر بن الخطاب في الأثناء ورأى عمر أبو سفيان خلف العباس على عجز البغله همّ بقتله في المكان، ولكن عمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أجاز أبو سفيان في الحال، ومنع بذلك عمر من إلحاق الأذى به، وهو في جواره.

وأخيراً وصل العباس برفقه أبي سفيان إلى خيمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فترجّلاً،

ص: ٥٤٦

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٨٦١/٤؛ السيره الحلبيه: ١٦/٣.

فاستأذن العباسُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم للدخول مع أبي سفيان عليه فأذن لهما، فوَقعت مشادةً كلاميةً شديدةً بين العباس وعمر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حول أبي سفيان، وكان عمر يقول: أبوسفيان عدوُّ الله فلا بد أن يُقتل، ولكن العباس كان يقول:

يا رسول الله إني قد أجرتَه، فقطع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دابر هذه المناقشه عندما قال:

«إذهب به يا عَبَّاسُ إلى رَحْلِكَ، فإذا أصبحتَ فَأَتِنِي به».

فذهب العباسُ بأبي سفيان إلى رحله، فبات عنده ليلته كما أمر، فلما أصبح غدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. (1)

### أبوسفيان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لما مثل أبوسفيان عند الصباح بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خيمته قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«ويحك يا أبا سفيان؛ ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟».

قال أبوسفيان: بأبي أنت وأُمِّي ما أحلمك، وأكرمك، وأوصلك، والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله آله غيره، لقد أغنى عني شيئاً بعد.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله؟»

قال: بأبي أنت وأُمِّي ما أحلمك، وأكرمك، وأوصلك، أما هذه والله فإنَّ في النفس منها حتى الآن شيئاً!!

ص: ٥٤٧

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٤/٨٦٢؛ السيره الحلبيه: ٣/١٧.

فقال له العباس: ويحك، أسلم واشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك.

فشهد أبو سفيان شهادته الحق، فأسلم. (١)

إن إسلام أبي سفيان الذي حصل في جو من الرعب والتهديد وإن لم يكن بالإسلام الذي كان يريده رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم ويطلبه دينه الحنيف، ولكن مصالح معيَّنه كانت توجب أن يدخل أبو سفيان في عداد المسلمين كيفما كان ليرتفع بذلك أكبر سد، وينزاح أكبر مانع من طريق الدعوة الإسلامية، لأن رجلاً مثل «أبي سفيان» و«أبي جهل» و«عكرمه» و«صفوان بن أمية» وغيرهم، كانوا قد أوجدوا جوّاً من الرعب والخوف في مكة استمرّ أعواماً عديده، فلم يكن يجرؤ أحد من المكّيين في مثل هذا الجوّ المشحون بالخوف أن يفكر في الإسلام، أو يظهر رغبته في اعتناقه، والانضواء تحت لوائه.

فإذا لم يكن إسلام أبي سفيان الظاهري والسطحي مفيداً من حيث الواقع، ولكنه كان مفيداً جداً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وللذين كانوا تحت سيطرته أبي سفيان ونفوذ زعامته من جماهير مكة، وبالتالي لمن كانت له علاقات قُربى معه.

ومع ذلك لم يسمح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإخلاء سبيل أبي سفيان؛ لأنه لم يكن آمناً - وحتى مع إظهاره الإسلام - من جانبه قبل أن يتم فتح مكة، ولهذا أمر صلى الله عليه وآله وسلم عمّه العباس بأن يحبسه بمضيق الوادي عند ممّر الجنود ليُبصر عظمه القوات الإسلامية وكتافتها قائلاً:

«يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل (أي انفه) حتى تمرّ به

ص: ٥٤٨

١- السير النبويه لابن هشام: ٨٦٢/٤؛ السيره الحلبيه: ١٨/٣.

ثم إنَّ العباس. قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله إنَّ أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئاً.

واستجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهذا الطلب، ومع أنَّ أبا سفيان كان قد عادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وألب ضده طيله عشرين عاماً، وأثار في وجه دعوته الحروب والفتن الكثيره، ووجه بذلك ضربات كثيره إلى الإسلام والمسلمين، فمنحه - رغم ذلك ولمصالح خاصه - مقاماً، وقال كلمته التاريخيه في حقه... تلك الكلمه التي تكشف عن عظمه أخلاق رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم وسمو روحه، وعمق حكمته إذ قال:

«مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفِيَانَ فَهُوَ آمِنٌ.

وَمَنْ أَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ.

وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ.

وَمَنْ طَرَحَ السَّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ».(٢).

\*\*\*

### مكة تستسلم من دون إراقة دماء

تقدّم جيشُ التوحيد العظيم نحو مكة، حتّى أصبح على مقربه منها.

ص: ٥٤٩

١- السيره النبويه لابن هشام: ٨٦٣/٤؛ البدايه والنهايه: ٣٣٢/٤.

٢- السيره النبويه لابن هشام: ٨٦٤/٤. ولاحظ الخبر عن فتح مكة في: مجمع البيان: ٤٦٨/١٠-٤٧٣؛ المغازي: ٨١٦/٢-٨١٨، شرح نهج البلاغه الحديدي: ٢٦٨/١٧؛ تاريخ الطبري ٣٢٣/٢؛ الكامل في التاريخ: ٢٣٩/٢؛ إمتاع الأسماع: ٣٥٤/١.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عازماً على أن يفتح مكة من دون إراقه دماء، وإزهاق أرواح، وأن يسلم العدو من دون أيه شروط.

وكان من العوامل التي ساعدت على تحقيق هذه الغاية - مضافاً إلى عامل التكتّم والتستّر ومبدأ المباغتة - أنّ العباس عمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم توجه إلى مكة كداعيه صلح ووسيط سلام بن قريش والنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكان أن أتى بأبي سفيان إلى معسكر الإسلام كما أسلفنا، وبذلك توصل إلى تحييد أبي سفيان، ولم يكن في مقدور سادة قريش أن يتخذوا قراراً حاسماً من دون أبي سفيان.

وعندما خضع أبو سفيان أمام عظمه رسول الإسلام الفريده وأظهر الإسلام رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يستفيد منه لإرعاب المشركين أكثر قدر ممكن، فأمر العباس بأن يحبسه عند مضيق الجبل ليرى بأّم عينيه حشود المجاهدين من المسلمين - كما أسلفنا - في وضح النهار مع كامل عدّتهم وأسلحتهم، ونظامهم وقوتهم، فيخبر قريشاً بذلك، فيزيدهم خوفاً ورهبة، فينصرفوا عن فكره مقاومه الجيش الإسلامي عند دخوله إلى مكة.

وفعل العباس ما أمره الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فحبس أبا سفيان حيث أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فمرّت القبائل مع راياتها أمام أبي سفيان، وكانت بعض قطعات الجيش الإسلامي على النحو التالي:

١. كتيبة قوامها ألف مقاتل من بني سليم بقياده خالد بن الوليد، وفيها لواءان، أحدهما مع «عباس بن مرداس»، والآخر مع «المقداد».

٢. فوجان قوامهما خمسمائة مقاتل بقياده «الزبير بن العوام» الهمذلي كان يحمل معه لواء أسود، وكان أكثر أفراد هذا الفوج من المهاجرين.

٣. فوج قوامه ثلاثمائة مقاتل من بنى غفار بقيادة «أبي ذر الغفاري» وكان لواءه معه.

٤. فوج قوامه أربعمائة مقاتل من بنى سليم بقيادة «يزيد بن الخصيب» ومعه لواءه.

٥. فوجان قوامهما خمسمائة مقاتل من بنى كعب بقيادة «بشر بن سفيان» ورايته معه.

٦. كتيبة قوامها ألف مقاتل من بنى مزينة، فيها ثلاثة ألوية، لواء مع النعمان بن مقرن، ولواء مع بلال بن الحارث، ولواء مع عبدالله بن عمر.

٧. كتيبة قوامها ثمانمائة مقاتل من جهينه، فيها أربعة ألوية، لواء مع «معبد بن خالد» و «سويد بن صخره» و «رافع بن مكيث» و «عبدالله بن بدر».

٨. فوجان قوامهما مائتا مقاتل من بنى كنانة، وبنى ليث وضمرة، بقيادة «أبي واقد الليثي»، وكان لواءهما معه.

٩. فوج قوامه ثلاثمائة مقاتل من بنى أشجع، وفيها لواءان أحدهما بيد «معقل بن سنان» والآخر مع «نعيم بن مسعود»<sup>(١)</sup>.

وعندما كانت هذه القبائل والقطعات تمرّ، سأل أبو سفيان العباس عن اسمها، وخصوصياتها، فكان العباس يوضح له كلّ ذلك.

واللهي كان يزيد هذا الجيش المنظم جلالاً وعظمة أنّ قاده هذه الأفواج والكتائب كانوا إذا مروا على العباس وأبي سفيان كبروا ثلاثاً بأعلى أصواتهم

ص: ٥٥١

---

١- . لقد سجّل المؤرّخ الإسلامي الشهير «الواقدي» عدد أفراد هذه القطعات في تاريخه «المغازي»: ٨٠٠/٢ و ٨٠١ و ٨١٩ بشكل دقيق، وقد نقلها عنه ابن أبي الحديد في ج ٢٧٠/١٧ و ٢٧١.

وبشكل منظم، وكبر من ورائهم جنودهم بصوت واحد ومنظم أيضاً كأكبر شعار إسلامي.

ولقد كان لهذه التكييرات الهادره التي كانت تدوى في وديان مكه، وترددها الجبال والوديان، أكبر الأثر في نفوس الأصدقاء والأعداء، فكانت تزيد بهيبتها وجلالها من محبه الأصدقاء للنظام الإسلامى العظيم، بينما ترهب أعداء الله، وتغرقهم في خوف ورعب شديدين.

هذا وكان أبو سفيان ينتظر بفارغ الصبر عبور الكتيبه التي فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا كان يسأل العباس كلما مرّت قطعته من قطعات الجيش الإسلامى:

أفيها محمّد؟ أو ما مضى بعد محمّد؟!

فيقول العباس: لم يمض بعد، لو رأيت الكتيبه التي فيها محمّد صلى الله عليه وآله وسلم رأيت الحديد والخيل والرجال وما ليس لأحد به طاقة.

وبينما هما كذلك إذ طلعت كتيبه عظيمة قوامها خمس ألف مقاتل، فيها ألفا دارع فقط، فيها الرايات والألويه الكثيره، فيها المهاجرون والأنصار، مع كل بطن وقبيله من قبائل الأنصار رايه ولواء، وكانت تُسمى كتيبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخضراء؛ لأن أفرادها كانوا في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق، وقد ركبوا الخيول العربية الأصيله، والحمر من الإبل، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وسطها ركب على ناقته القصواء، وقد أحرق به كبار الشخصيات من المهاجرين والأنصار، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم يحدّثهم.

فارعبت عظمه هذه الكتيبه أبو سفيان، بشده، حتى أنه قال للعباس من دون اختيار: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقه يا أبا الفضل! والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداه عظيمًا.



فقال له العباس - بنبره موبّخه -: ويحك يا أبا سفيان ليس بملك إنّها النبوه. (1) فليست هذه العظمه والجلال من أثر المملك المادى الدينوى إنّما هو فعلُ الرساله الإلهيه، إنّهُ جلال النبوه، وإنّه بالتالى من فضل الله عزّوجلّ الّذى أدخل الاسلامَ فى قلوب هذه الجماهير المؤمنه، وهذه الجموع المجاهده فى سبيل الله.

### أبو سفيان يرجع إلى مكّه

إلى هنا قام العباس بدوره على أفضل صورته، فقد أربّ أبو سفيان من قوه الإسلام العسكرىه الكبرى، ولهذا رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يخلّى سبيله ليذهب إلى مكّه قبل دخول جنود الإسلام فيها، فيخبر أهلها بعظمه وقوه الجيش الإسلامى القادم إليهم، ويحدّثهم من مغبه المقاومه والمواجهه، ويدلّهم على طريق الخلاص والنجاه، وهو التسليم للأمر الواقع، وإلقاء السلاح، والاستسلام من دون قتال ومقاومه، ومن دون قيد وشرط، لأنّ بمجرّد تخويف أهل مكّه من دون إرشادهم إلى طريق الخلاص ما كان ليحقّق هدف النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الفتح من دون دماء.

فدخل أبو سفيان مكّه، وقد بات الناس ليلتهم فى رعب شديد، وترقّب رهيب حتّى أصبحوا، ولم يكن بإمكانهم أن يقزّروا شيئاً من دونه، فلما رأوه قادماً أحاطوا به، فأخذ يشير إلى ناحيه المدينه، وقد اصفرّ وجهه، وانهارت قواه وصرخ بأعلى صوته، يا معشر قريش، هذا محمّد قد جاءكم فيما لا قبّل لكم به، أو قال: هذا محمّد فى عشره آلاف فمّن دخل دار أبى سفيان فهو آمن. ومّن ألقى السلاح فهو آمن، ومّن دخل المسجد فهو آمن، ومّن أغلق بابه فهو آمن.

ص: ٥٥٣

١- . لاحظ: المغازى: ٨٢٢/٢؛ السيره النبويه لابن هشام: ٨٦٣/٤.

على أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكتف بهذا بل أضاف إلى الأماكن الثلاثة التي أعلنها للجوء الناس إليها حتى يأمنوا من القتل، موضعاً آخر، حيث عقد لأبي رويحه «عبدالله بن عبد الرحمن الخثعمي» لواء وأمره أن ينادى:

«من دخل تحت لواء أبي رويحه فهو آمن»<sup>(١)</sup>.

وقد تسبب أبو سفيان بنذائه في إضعاف المعنويات عند أهل مكه بشده حتى أنهم انصرفوا عن فكره المقاومه، لو كانت، وأثمرت جهود العباس ومساغيه في الليله الفائته، وأصبح فتح مكه من دون مقاومه في نظر أهل الرأي وعند من ينظر إلى واقع الأمور، أمراً مسلماً وقطعياً.

ففرع الناس، وتفزقوا، ولجأ بعضهم إلى دورهم، والبعض الآخر إلى المسجد، وأسدى أعدى أعداء الرساله، ونعنى أبا سفيان، ونتيجه لتدبير رسول الله الحكيم، أكبر خدمه لجنود الإسلام حيث مهد لهم - بما أوجده في نفوس المكيين وقلوبهم من هزيمه نفسه - طريق الفتح العظيم بسلام، ومن دون مشاكل تُذكر، اللهم إلاً «هند» زوجه أبي سفيان التي كانت تحرض الناس على المقاومه، وراحت تشتم زوجها وتسبّه بأقذع الشتائم والسباب، وتتهمه بالجبن والذل<sup>(٢)</sup>.

بيد أن الأمر كان قد قُدر، ولم تعد تنفع أيّه محاوله معاكسه، ولم تكن تلك الكلمات والأعمال المعارضه سوى هباء في شبك!

ونظير هذا الذي فعلته هند، ما فعله وقام به بعض الزعماء المتطرفين مثل «صفوان بن أميه» و«عكرمه بن أبي جهل» و«سهيل بن عمرو» ممثل قريش في صلح الحديبيه، الذين تحالفوا فيما بينهم على أن يعملوا على منع قوات الإسلام من

ص: ٥٥٤

١- . إمتاع الأسماع: ٣٨٧/١.

٢- . لاحظ: إمتاع الأسماع: ٣٨٣/١؛ السيره النبويه لابن هشام: ٨٦٤/٤.

دخول مكة، وانخدع بهم فريق من البسطاء والمغفلين، فشهبوا السلاح في وجه أول قطعه من قطعات الجيش الإسلامي، وسدوا بذلك الطريق عليها في محاوله يائسه لتحقيق ما يريدون. (١)

### القوات الإسلامية تدخل مكة

وقبل أن تدخل قوات الإسلام مكة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد دعا جميع قادة وأمرائه جيشه وقال لهم بأنه يريد أن يفتح مكة من دون إراقة أيه دماء، ولهذا أمرهم أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنه أمر بقتل عشره وإن وجدوا تحت أستار الكعبة وهم: «عكرمة بن أبي جهل» و«هبار بن الأسود» و«عبدالله بن أبي سرح» و«مقيس بن حبابه الكندي» و«الحويرث بن نقيذ» و«عبدالله بن خطل» و«صفوان بن أمية» و«وحشى بن حرب» قاتل حمزه. و«عبدالله بن الزبير» و«حارث بن طلاله» وأربع نسوه، وكان كل واحد من هؤلاء قد قتل أحداً أو ارتكب جنايه أو شارك في مؤامره أو حرب ضد الإسلام والمسلمين. (٢)

وقد بلغ الأمراء والقادة هذا الأمر إلى جنودهم كافة، ومع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرف مسبقاً بمعنويات المكئين المنهارة، وعدم قدرتهم على المقاومة، إلا أنه مع ذلك لم يترك جانب الاحتياط والحذر الذي يفرضه العمل العسكري، عند دخول مكة، حيث رسم لدخولها خطه دقيقه.

ص: ٥٥٥

١- لاحظ: إمتاع الأسماع: ٣٨٥/١؛ السيره النبويه لابن هشام: ٨٦٥/٤-٨٦٦.

٢- لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٨٦٧/٤-٨٦٨؛ تاريخ الخميس: ٩٠/٢-٩٤، وقد ذكر صاحب تاريخ الخميس تفاصيل ما ارتكبه هذه الجماعه المهدوره دماؤها وما آل إليه أمرهم بعد فتح مكة.

قد وصل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بجيشه كَلَّه إلى «ذى طوى» (وهو موضع مرتفع كانت تُرى منه بيوت مكَّه و منازلها) وهو فى كتيبه قوامها خمسـه آلاف، فلَمَّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منازل مكَّه اغرورقت عيناه بدموع الشوق والحين، فانحنى تواضعاً لله تعالى وشكراً، حتَّى رأى ما رأى من فتح الله وكثره المسلمين، حتَّى مسَّت لحيته الشريفه واسطه الرحل أو يقرب منه.

ومراعه لجانب الحذر والاحتياط فَرَّق صلى الله عليه وآله وسلم جنوده فأمر البعض بأن يدخلوا مكَّه من أسفلها، وأمر البعض بأن يدخلوها من أعلاها، ولم يكتف بهذا بل أمر وحدات من الجيش بأن تدخل من جميع المداخل والطرق المؤدِّيه إلى داخل مكَّه.

فدخلت جميع وحدات الجيش الإسلامى وقطعاته وكتائبه وفرقه مكَّه من دون قتال ومن دون أن تلقى من أهلها مقاومه، فقد كانت جميع الأبواب مفتحه فى وجوههم إلَّا المدخل الذى دخل منه «خالد بن الوليد» بفرقه، فقد عمد جماعه من المكَّيين بتحريض من «عكرمه» و «صفوان» و «سهيل» على شهر أسلحتهم فى وجوه المسلمين، ورموهم بالنبل لمنعهم من دخول مكَّه، ووقع قتال بين الجانبين، ولكن محرّضى هذه الجماعه اختفوا بعد شىء من القتال والمقاومه، وفرّ الآخرون بعد أن قتل منهم المسلمون اثنى عشر أو ثلاثه عشر شخصاً. (١)

ومرّه أُخرى قام أبوسفيان و من حيث لا يشعر بعمل آخر لصالح الإسلام فى هذه الحادثه، فإنّه كان لا يزال مرعوباً ممَّا رأى من كثره الحشود العسكريه الإسلاميه

ص: ٥٥٦

---

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٨٦٥/٤-٨٦٦. وحسب المغازى: ٨٢٥/٢-٨٢٦ قُتل ثمان وعشرون رجلاً.

وقوتها وكان يعلم أنّ المقاومه لا تجدى نفعاً ولا تجزّ على أهل مكّه إلّا الضرر، ولهذا نادى بأعلى صوته - حقناً للدماء -: يا معشر قريش علام تقتلون أنفسكم؟ من دخل داره فهو آمن، ومن وضع السلاح فهو آمن....(١)

فكان لنداء أبي سفيان هذا أثره فى نفوس الناس فجعلوا يقتحمون الدور، ويغلقون عليهم، ويطرحون السلاح فى الطرقات حتّى يأخذها المسلمون، بينما لجأ بعضهم إلى المسجد.

ولمّا ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على «ثنيه أذاخر» نظر إلى لمعان السيوف وهى تصعد وتهبط فقال: «ما هذه البارقه؟ ألم أنه عن القتال؟»

فقال: يا رسول الله، خالد بن الوليد قوتل، ولو لم يُقاتل ما قاتل. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قضى الله خيراً». (٢)

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل مكّه من ناحيه أذاخر، وهى أعلى نقطه فى مكّه فى موكب عظيم جليل، فضربت له قبه من آدم بالحجون (عند قبر عمّه العظيم أبى طالب) ليستريح فيها، وقد أصروا عليه صلى الله عليه وآله وسلم بأن ينزل فى بعض بيوت مكّه فأبى صلى الله عليه وآله وسلم (٣).

### كسر الأصنام وغسل الكعبه

لقد استسلمت مكّه التى كانت مركزاً رئيسياً للشرك والوثنيه طوال أعوام عديده ومديده، أمام قوات التوحيد الضافره، وسيطر جنود الإسلام على جميع

ص: ٥٥٧

١- . المغازى: ٨٢٦/٢.

٢- . المغازى: ٨٢٦/٢.

٣- . لاحظ: إمتاع الأسماع: ٣٨٨/١.

ولقد استراح رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في الخيمه التي ضربوها له في الحجون بعض الوقت.

ثم إنّه صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن اطمأنّ واغتسل ركب راحلته «القصواء» وتوجّه إلى المسجد الحرام لزياره بيت الله المعظم والطواف به، بينما كان يحمل معه السلاح، والمغفر على رأسه، وتحيط به هاله من العظمه والجلال، ويحدق به المهاجرون والأنصار، وقد صفّ له الناس من المسلمين والمشركين، بعضٌ يغمره الفرخ والسرور، وآخرون يكادون ينفجرون من الغيظ.

ولما انتهى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكعبه فرآها ومعها المسلمون تقدّم على راحلته، ولم يترجّل منها لأسباب خاصه فاستلم الركن بمحجنه بدل استلامه بيده، وكبر فكبر المسلمون لتكبيره، ورَجَعوا التكبير حتى ارتجّت مكّه لتكبيرهم ودوى صوتهم في الجبال والوهاد، وسمعهم المشركون الذين كانوا قد تفرّقوا فوق الجبال ينظرون إلى ذلك المشهد وقد بلغ من هياج المسلمين، وهم يطوفون بالبيت من شدّه سرورهم حداً كاد أن يمنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الطواف بالبيت بفكر هادئ، فأشار إليهم صلى الله عليه وآله وسلم أن اسكتوا، فسكت الجميع بأمره، وساد الصمت كلّ أرجاء المسجد الحرام، فطاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالبيت على راحلته، وقد أخذ بزمامها «محمّد بن مسلمه» وفيما احتبست الأصوات في الصدور، واتجهت الأبصار إليه صلى الله عليه وآله وسلم فوقعت عيناه الشريفتان - في الشوط الأوّل من طوافه - على الأصنام الكبرى «هبل» و«إساف» و«نائله» منصوبه فوق الكعبه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلما مرّ بصنم منها يشير بقضيب في يده ويقول: «جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً» فيقع الصنم

وأمر صلى الله عليه وآله وسلم بهبل أكبر أصنام المشركين فحطم وكسر في مرأى من المشركين، ولقد كان هذا الصنم الكبير يهيمن على عقول الجاهليين في الجزيرة العربية، ويسيطر على أفكارهم أعواماً عديدة.

ولما كسر المسلمون ذلك الصنم قال الزبير لأبي سفيان وكان ينظر إلى ذلك المشهد: يا أبا سفيان قد كُسر هُبل، أما إنك قد كنت منه يوم «أحد» في غرور، حين تزعم أنه قد أنعم.

فقال أبو سفيان: دُع هذا عنك يا ابن العوام فقد أرى لو كان مع إله محمّد غيره لكان غير ما كان. (٢)

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من طوافه بالبيت انصرف فجلس ناحية من المسجد، والناس حوله، ثم أرسل بلالاً إلى «عثمان بن طلحة» يأتيه بمفتاح الكعبة، وكان عثمان يومذاك سادن الكعبة، وقد كانت السدانه تُتوراث جيلاً بعد جليل.

فجاء بلال إلى عثمان فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمرك أن تأتي بمفتاح الكعبة، فاستجاب عثمان، إلا أن أمه منعتة عن ذلك، وكان المفتاح يومئذ عندها وقالت له: أُعيدك بالله أن تكون الذي تذهب مأثرة قومته على يديه.

فقال لها عثمان: فوالله لتدفعنه إليّ، أو ليأتينك غيرى فيأخذ منك، فسلمته إياه. (٣)

١- . المغازى: ٨٣٢/٢.

٢- . المغازى: ٨٣٢/٢.

٣- . المغازى: ٨٣٣/٢.

ففتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به باب الكعبة ودخل البيت، ودخل من بعده صلى الله عليه وآله وسلم أسامه بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة، ثم أمر النبي بإغلاق باب الكعبة، ووقف خالد بن الوليد على الباب يذبُّ الناس عن الباب.

وكانت جدران الكعبة من الداخل مغطاه بصور الأنبياء والملائكة وغيرهم، فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمحوها جميعاً، وغسلها بماء زمزم.

### عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى كَيْفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

روى المحدثون والمؤرخون عن علي عليه السلام قال: انطلقت أنا والنبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اجلس، وصعد علي منكبي، فذهبت لأنهض به فرأى مني ضعفاً، فنزل وجلس لي النبي الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال:

«إصعد علي منكبي». قال: فصعدت علي منكبيه، قال: فنهض بي، قال: فإنّه يخيل إلي أنني لو شئت لنت أفق السماء، حتى صعدت علي البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اقدف به، فقدفت به فتكسر كما تتكسر القوارير....

وقد أنشد شاعر الحلة الشهير بابن العرندس، وهو من شعراء القرن التاسع الهجري قصيده ذكر فيها هذه الفضيله بقوله:

وَصُوعُدُ غَارِبِ أَحْمَدٍ فَضْلٌ لَهُ دُونَ الْقِرَابَةِ وَالصَّحَابَةِ أَفْضَالًا (١)

ص: ٥٦٠

---

١- . مسند أحمد بن حنبل: ٨٤/١ باسناد صحيح؛ السيره الحليه: ٢٩/٣؛ تاريخ الخميس: ٨٦/٢ و ٨٧؛ مستدرک الحاكم: ٣٦٧/٢ و ج ٥/٣؛ مجمع الزوائد: ٢٣/٦. وراجع بقيه المصادر في موسوعه الغدير: ١٠/٧-١٣.



ثم إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بأن يُفتح باب الكعبة فوقف على الباب، وأخذ بعضادتي الباب فأشرف على الناس بطلعته المنيره ومحياه الجميل وقال:

«الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده».(١)

ولقد كان الله سبحانه قد وعد نبيه الكريم في آية من آيات الكتاب العزيز بأن يعيده إلى مسقط رأسه إذ قال:

«إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ».(٢)

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحمده هذا عن تحقّق وعد الله له، وبرهن مره أخرى على صدقه، وصحّه دعواه.

وفي ما كان الصمّت يخيم على أرجاء المسجد الحرام، وفي ما كانت الأنفاس محتبسه في الصدور، وتجول في رؤوس الحاضرين وأنفسهم أفكاراً مختلفه، وخواطر شتى، ويتذكر أهل مكّه المشركون ما ألحقوه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأتباعه من الأذى والعذاب الشديد، فتذهب بهم تصوّراتهم مذاهب شتى!!

إنّ الذين سبق لهم أن أشعلوا حروباً كثيره ضد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقتلوا خيره شبابه وأصحابه، بل وتمادوا في غيهم وعدوانهم حتّى أنّهم تآمروا لاغتياله بالهجوم عليه في منزله ليلاً وأرادوا تقطيعه بالسيوف إرباً إرباً، هاهم الآن يرون أنفسهم أسرى في قبضته، وهو صلى الله عليه وآله وسلم قادر على أن ينتقم منهم كيفما شاء!!

إنّ من الطبيعي أن يتحدّث أهل مكّه في أنفسهم وهم يتذكرون معاداتهم

ص: ٥٦١

١- . المغازي: ٨٣٥/٢؛ السيره النبويه لابن هشام: ٨٧٠/٤.

٢- . القصص: ٨٥.

الشديده والطويله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجرائمهم الكبرى بحقه، وبحقّ دعوته ويقول بعضهم: إنه سيقتلنا حتماً، أو يقتل فريقاً منا، ويحبس آخرين، ويسبى ذريتنا ونساءنا، جزاء ما فعلنا.

وبينما كانوا - فى تلك اللحظات - فريسه هذه الأفكار والتصورات الشيطانيه، كسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جدار الصمت الرهيب الذى يخيم على أرجاء المسجد الحرام وقال سائلاً:

«ماذا تقولون... وماذا تظنون؟!».

فقال أهل مكه: نقول خيراً، ونظن خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، وقد قدرت.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (وقد سمع هذه العبارات العاطفيه):

«فإِنِّى أَقولُ لَكُمْ كما قال أخى يوسف: «قال لا تُثْرِبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» (١).

وكان أهل مكه قد أطمأنوا، إلى عفو النبى وصفحه قبل ذلك نوعاً ما عندما رأوا ردّ فعله الشديد على أحد قادة جيشه عندما أخذ ينادى حين دخول مجموعته العسكريه مكه من إحدى مداخلها:

اليومَ يومَ المَلحَمه اليَوْمَ تُسبى الحُرْمه

فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهذا الشعار وقال ردّاً عليه:

«اليومَ يومَ المرحمه» (٢)

كما أنه أمر - لغرض تأديب من أطلق هذا الشعار - بأخذ اللواء منه، وأعطاه

ص: ٥٦٢

١- . المغازى: ٨٣٥/٢؛ بحار الأنوار: ١٠٧/٢١ و ١٣٢، والآيه هي ٩٢ من سوره يوسف.

٢- . المغازى: ٨٢١/٢ و ٨٢٢.

إلى شخص آخر، وقيل إنه صلى الله عليه وآله وسلم عزله عن قياده المجموعه، وأمر ابنه مكانه، وكان هذا الأمير هو سَعْد بن عباده رئيس الخزرج.

وقد دفع هذا النوع من اللطف والموقف الإيجابي الذي لاحظته أهل مكّه المشركون أن يأمل الناس المغلوبون في العفو العام إلى درجه كبيره، خاصه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد آمن من دخل المسجد الحرام أو بيت أبي سفيان، أو ألقى السلاح، أو أغلق على نفسه باب منزله.

كل هذه الأمور كانت قد فتحت على أهل مكّه بصيصاً من الأمل في العفو الشامل.

### النبى صلى الله عليه وآله وسلم يعلن عن العفو العام

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلن عن العفو العام عن جميع أهل مكّه بقوله:

«ألا لبسَ جيرانُ النبى كنتم، لقد كذبتم، وطردتم، وأخرجتم، وآذيتهم، ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادى تقاتلوننى إذهبوا فأنتم الطلقاء»<sup>(١)</sup>.

### بلال يرفع الأذان على سطح الكعبه

ثم حان وقتُ صلاه الظهر، فعلا مؤذن الإسلام «بلال» الحبشى سطح الكعبه المعظمه، ورفع فى الحاضرين وبصوت عالٍ نداء التوحيد والرساله (الأذان)، فكان كل واحد من المشركين يقول كلاماً، غضباً وحنقاً على بلال. فمنهم من قال: الحمد لله الذى أكرم أبى فلم يسمع هذا اليوم...

ص: ٥٦٣

١- بحار الأنوار: ١٠٦/٢١؛ مجمع البيان: ٤٧٢/١٠؛ إعلام الورى: ٢٢٦/١. ولاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٨٧٠/٤.

وقال أبو سفيان: أما أنا فلا أقول شيئاً، لو قلت شيئاً لأخبرته هذه الحصباء!!<sup>(١)</sup>.

إن هذا العجز الخرف المعاند الذي لم يشرق في قلبه نور الإسلام حتى آخر لحظه من حياته، خلط بين مسأله الإطلاع على الغيب، وتلقى الحقائق عن طريق الوحي، وبين مسأله التجسس الذي يعتمده جبابره العالم وطغاته.

إن مسأله إطلاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قضايا الغيب أمرٌ يحصل بطرق غير عادية ولا متعارفه، في حين تحصل معرفه جبابره العالم بمجريات الأمور في بلادهم عن طريق استخدام عناصر بشرية، أو من يسمون برجال المخبرات والأمن. وعلى كل حال فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى بالمسلمين صلاة الظهر ثم دعا «عثمان بن طلحه» وردَّ إليه مفتاح الكعبه، وقال له:

«هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء»<sup>(٢)</sup>.

وروى أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«خذوها يا بنى أبى طلحه تالده خالده لا ينزعها منكم أحدٌ إلّا ظالم»<sup>(٣)</sup>.

ولم يكن غير هذا بمتوقع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فإن النبي الذي بعثه الله سبحانه إلى الناس ليدعوهم إلى أداء الأمانه - فيما يدعوهم إليه - وليبلغهم قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» من المسلم أن يكون أول من يلتزم بهذا التعليم الإلهي، فيعيد مثل تلك الأمانه

ص: ٥٦٤

١- . المغازى: ٨٤٦/٢؛ إمتاع الأسماع: ٣٩٦/١.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٨٧٠/٤.

٣- . المغازى: ٨٣٨/٢، الطبقات الكبرى لابن سعد: ١٣٧/٢.

الكبرى إلى صاحبها.

إنه لم يكن بالذى يهضم حقوق الناس ويدوسها، فى ظلّ ما أوتى من قوه، ويقول للناس بكلّ صراحه: «خُذوها يا بنى أبى طلحه، تالده خالده، لا ينزعها منكم أحدٌ إلّا ظالم».

ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألغى جميع مناصب الكعبه الّتى كانت فى الجاهليه إلّا ما كان نافعا للناس كالسدانه والحجابه (وهى القيام بشؤون أستار الكعبه) وسقايه الحجيج (١).

### النبى صلى الله عليه وآله وسلم يتحدّث إلى أقرابه

ولكى يعرف أقرباء النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنّ وشيجه القربى الّتى تربطهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ترفع عن كاهلهم أيّه مسؤوليه من المسؤوليات، بل تزيد من مسؤوليتهم، ألقى فيهم خطاباً خاصاً بيّن فيه أنّ رابطه القربى مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا- تبرّر لأحد من أقرائه بأن يتجاهل قوانين الحكومه الإسلاميه، ويتخذ من انتسابه إلى زعيم هذه الحكومه ذريعه وغطاء لارتكاب ما لا يحلّ للآخرين كما هو الحال فى أنظمه الحكم البشريه.

ولقد شجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى خطابه هذا الذى خطبه فى اجتماع ضمّ رجال بنى هاشم وبنى عبدالمطلب، كلّ تمييز، وتفضيل غير صحيح، ودعا إلى لزوم العدل ومراعاة المساواه، بين جميع الطبقات إذ قال:

«يا بنى هاشم، يا بنى عبدالمطلب، إننى رسول الله اليكم، وإنّى شفيقٌ عليكم، لا تقولوا: إنّ محمداً منّا، فوالله ما أوليائى منكم ولا من غيركم إلّا المتقون، فلا

ص: ٥٤٥

أعرفكم تأتونى يومَ القيامة تحملون الدنيا على رقابكم ويأتى الناس يحملون الآخرة.

ألا وإتى قد أعذرت فيما بينى وبينكم، وفيما بين الله عزوجل وبينكم وإن لى عملى ولكم عملكم»(١).

## خطابُ النبي التاريخى فى المسجد الحرام

### إشارة

كان الاجتماع الذى شهده المسجد الحرام يوم فتح مكّة اجتماعاً عظيماً جداً.

المسلمون والمشركون، والصديق والعدو حضروا بأجمعهم فى ذلك الاجتماع، وكانت تجلُّ هالة من عظمة الإسلام وعظمه نبّيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم رحاب ذلك المكان المبارك، وكان الصمت والهدوء، وحاله من الانتظار والترقب، تخيم على أجواء مكّة.

لقد آن الأوان - الآن - لأن يكشف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للناس عن الملامح الحقيقية لدعوته المباركة ويوقف ذلك الحشد الهائل المتعطّش على معالم رسالته العظمى، ومبادئ دينه الحنيف، وبالتالي أن يكمل حديثه الذى بدأه قبل عشرين عاماً ولكنّه لم يُوفق لإتمامه بسبب مضايقات المشركين، ومعارضتهم، وبسبب ما أوجدوه من عقبات وعراقيل فى طريقه.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن تلك المنطقة، وتلك البيئه، ولهذا كان عارفاً - تمام المعرفة - بأمراض المجتمع العربى، وأدوائه، وعلاج تلك الأدواء ودوائها.

لقد كان يعرف صلى الله عليه وآله وسلم علل انحطاط المجتمع المكيّ وأسباب تخلفه عن ركب الحضاره والمدنيه، وعن اللحاق بقافله التكامل البشرى الصاعد. من هنا رأى أن

ص: ٥٦٦

يضع يده على مواضع الداء في ذلك المجتمع المريض، وأن يعالج أمراض البيئه العربيه بشكل كامل، وكأى طبيب حاذق، وحكيم ماهر.

ونحن هنا ندرج أبرز المقاطع فى الخطاب التاريخى الذى ألقاه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم على الحشود الكبيره المتجمعه فى ذلك اليوم عند بيت الله المعظم.

تلك المقاطع التى يعالج كل واحد منها مرضاً اجتماعياً خاصاً من أمراض المجتمع فى ذلك العصر وحتى فى عصرنا الحاضر.

### ١. التفاخر بالنسب

كان التفاخر بالنسب والقبيله والعشيره من الأمراض المستحكمه المتجذره فى البيئه العربيه الجاهليه، وكان من أكبر أمجاد المرء أن ينتسب إلى قبيله معروفه، ويتفرع نسبه عن عشيره بارزه كقريش مثلاً.

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى خطابه المذكور لإبطال هذه السنه الجاهليه المقيته:

«أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوه الجاهليه وتفاخرها بآبائها.

ألا إنكم من آدم، وآدم من طين.

ألا إن خير عباد الله عبدٌ إتقاه».

لقد عمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى خطابه - لإفهام العالم البشرى بأن ملاك الشخصيه والتفوق إنما هو (التقوى) والورع فقط - إلى تصنيف الناس إلى صنفين لا ثالث لهما، وأعطى الفضيله والمنزله لأهل التقوى والورع خاصه.

وبهذا التصنيف الواقعى فى ملاكاته أبطل جميع المعايير الخياليه والملاكات

والمقاييس المصطنعه إذ قال:

«إنّما الناسُ رجلانُ:

مؤمنٌ تقىّ كريمٌ على الله.

وفاجرٌ شقىّ هينٌ على الله».

## ٢. التفاضل بالقوميه العربيه

لقد كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يعلم جيداً أنّ هذه الجماعه من البشر تعتبر (العربيه) والانتساب إلى العرق العربى من المفاسر الكبرى، وكانت النخوه العربيه قد ترسّخت فى قلوب تلك الجماعه وعروقها كداء دفين ومرض مزمن، فقال فى خطابه لمعالجه هذا الداء الخبيث و تحطيم هذا الصرح الموهوم:

«إنّ العربيه ليست بأب والذ، ولكنها لسان ناطق، فمن قصّر به عمله لم يبلغه حسبه». وهل نجد كلاماً أعمق مغزى، وأوضح مراداً، وأقوى وقعاً فى النفوس من هذا الكلام؟!

## ٣. لجميع أبناء البشر لا بعض دون بعض

لقد قال داعيه الحريه الحقيقيه، ورائد حقوق الإنسان الواقعى بهدف تقويه ودعم مبدأ المساواه بين الأفراد والجماعات البشريه:

«إنّ الناس من آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربى على العجمى، ولا للأحمر على الأسود إلّ بالتقوى».

وقد ألغى رسول الإنسانية الأعظم بهذا البيان الصريح كلّ أنواع التمييز

ص: ٥٦٨



الظالمه، وكل ألوان التشدد مع الآخرين، وفعل وبين في ذلك العصر ما لم يفعله ولم يبينه ميثاق حقوق الإنسان مع كل هذه الضجّة الإعلامية التي نشهدها في عالمنا الحاضر.

#### ٤. الحروب الطويله والأحقاد القديمه

لقد نشأت الأقوام العربيه - نتيجة اشتغالها المستمر بالحروب الداخليه المتلاحقه والطويله - على الحقد والضغينه.

فقد كانت نيران الحروب مشتعله في المجتمعات العربيه على قدم وساق ومن دون انقطاع.

ولقد واجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد سيطرته الكامله على الجزيره العربيه هذه المشكله.

فقد كان يتوجب عليه - بغية إقرار الأمن والهدوء والحفاظ عليهما في البيئه الإسلاميه - أن يبادر إلى وضع نهايه لهذه المعضله، وأن يعالج هذا الداء المزمن، فلم يجد دواء لهذا الداء إلّا أن يطلب من الناس كافّه أن يتنازلوا عمّا لهم من دماء في أعناق الآخرين سيفكت في العهد الجاهلي، وأن تعتبر جميع ملفات العهد القديم باطله، ومنتھيه، ليتمكن عن هذا الطريق الحيلوله دون إراقه الدماء التي تُعرض المجتمع الإسلامى الناشئ للخطر، وحتّى ينتزع من أذهانهم ونفوسهم فكره الإغاره والقتل العشوائى الذى كان يُتمّ بحجّه القصاص فى حين كان من الممكن أن يتمّ بشكل القصاص الحقيقى العادل، فقال صلى الله عليه وآله وسلم للوصول إلى مثل هذه الغايه الساميه:

«ألا إنّ كلّ مال ومأثره ودم فى الجاهليه تحت قدميّ هاتين».

ولقد ارتبط قسمٌ من خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك الحشد العظيم بمسأله اتحاد المسلمين ووحده كلمتهم، وحقّ المسلم على أخيه المسلم.

وقد كان مقصودُهُ صلى الله عليه وآله وسلم من بيان هذه الحقوق المتبادله بين المسلمين التي تعتبر من مميزات الدين الإسلامي الحنيف، هو أن يرغّب غير المسلمين في الإسلام إذا هم سمعوا ورأوا مثل هذه الحقوق، ومثل هذه العلاقات المتينه بين المسلمين.

فقد قال في هذا الصعيد:

«المُسلِمُ أخو المُسلِم، والمسلمون إخوةٌ، وهم يدٌ واحده على من سواهم، تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمتهم أدناهم»<sup>(١)</sup>.

### معاقبه المجرمين

ليس من شك في أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان مظهراً كاملاً للإنسانيه والرحمه ومثلاً أعلى في العفو والصفح، فهو رغم مشاعر بعض المتطرفين الملتهبه، أصدر عفوه العام عن أهل مكّه كافه.

بيد أنه كان هناك بين المكّيين عدّه أشخاص تجاوزوا الحدّ في معاداتهم للنبي ومعارضتهم للرسول، وارتكبوا في هذا السبيل جرائم لا تغتفر، فلم يكن من الصالح - مع كلّ ما تسبّبوه من فجاجع وفضائع - أن يعيشوا بين المسلمين في أمان

ص: ٥٧٠

---

١- . لقد نقلنا هذه المختارات من: روضه الكافي: ٢٤٦/٨، السيره النبويه لابن هشام: ٨٧٠/٤؛ المغازي: ٨٣٦/٢، بحار الأنوار: ١٠٥/٢١ و ١٣٨ و ج ٣٤٨/٢٢؛ شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ٢٨١/١٧.

وراحه، إذ كان من الممكن أن يسيئوا استخدام العفو النبوي فيعودوا إلى مشاغبته، وتآمرهم ضدّ الإسلام مرّة أخرى ويتسببوا في ظهور مشاكل أمنيّه جديده لا يُعرف مداها، وتبعاتها.

وقد قُتِلَ بعض هؤلاء المجرمين على أيدي المسلمين في الطرقات، ولجأ اثنان منهم إلى بيت «أمّ هانئ» بنت أبي طالب أُخت الإمام علي عليه السلام، فلاحقهما «عليٌّ» وهو غارق في الحديد لا يُعرف، فدخَلَ بيت أمّ هانئ يطلبهما (١) فواجهت أمّ هانئ فارساً لا يُعرف فقالت: أنا امرأه مسلمه وقد أجزتُ هذين، وجوار المسلمه محترم.

وفي أكثر المصادر أنّها قالت: يا عبدالله أنا أمّ هانئ ابنه عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأختُ علي بن أبي طالب، انصرف عن داري.

وهنا عمّد الإمام علي عليه السلام إلى الكشف عن هويته لتعرفه، فنزع المغفر عن رأسه، واسفر عن وجهه.

فما أن وقعت عيننا أمّ هانئ على أخيها «علي» بعد فراق طال سنيناً عديده ومديده إلا وانحدرت منهما دموع الشوق والفرحه، واعتنقت أخاها، ثم توجّها معاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليعطى رأيه في أمانها، وجوارها، فأمضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جوار تلك المرأه المسلمه، وأمانها قائلاً:

«قد أجزنا من أجزتِ وأمّنا من أمّنتِ فلا يقتلها» (٢).

ص: ٥٧١

١- . يقول ابن هشام إن الرجلين هما: «الحارث بن هشام» و «زهير بن أبي أميّه بن المغيره» (السيره النبويه لابن هشام: ٨٦٩/٤).

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٨٦٩/٤؛ الطبقات الكبرى: ١٤٤/٢ و ١٤٥.

وقد كان عبد الله بن سرح العذى أسلم ثم ارتدّ عن الإسلام أحد العشرة الذين أمر النبي بقتلهم، ولكنّه نجا من القتل بشفاعه عثمان له.

## قصه عكرمه وصفوان

### إشاره

ولقد فرّ «عكرمه بن أبى جهل» أحد كبار مشيرى الحروب ومشعلى الفتن ضد الإسلام والمسلمين، إلى اليمن، إلّا أنّه نجا من القتل هو الآخر بشفاعه زوجته، فى قصه مفصّله.

وأمرًا «صفوان بن أمية» فإنّه مضافاً إلى جرائمه الفادحة، كان قد قتل مسلماً انتقاماً لأبيه «أمية بن خلف» العذى قُتِل على أيدي المسلمين فى بدر، وذلك عندما صلّبه أمام حشد كبير من أهل مكّه فى وضح النهار، ولهذا أهدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دمّه، فعزم أن يخرج من الحجاز عن طريق البحر فراراً من القتل، وبخاصّه عندما علم بأنّه من جملة العشرة الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتلهم وأهدر دمهم.

فطلب «عمير بن وهب» من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعفو عنه، فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شفاعته، وأعطاه عمامتة ليدخل بها مكّه كعلامه أمان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويصطحب معه إلى مكّه «صفوان بن أمية»، فذهب عمير إلى جدّه، وأخبر صفوان بذلك، وقدم به مكّه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلمّا وقعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كبير المجرمين - بل أكبرهم يومئذ - قال له ردّاً عليه - لَمّا سأله قائلاً: إنّ هذا (عمير) يزعم أنّك قد أمنتني؟ -:

«صدق».

ثم دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام فقال: فاجعلنى بالخيار شهرين، فقال

ص: ٥٧٢

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أنت بالخيار فيه أربعة أشهر»<sup>(١)</sup>.

وبهذا أمهله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعة أشهر كفرصه يفكر فيها في الإسلام، ودعوه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

إنّ دراسته إجماليه وسريعه لهذا الموقف تكشف القناع عن حقيقته مسلّمه في الإسلام وفي تاريخه العظيم يحاول المستشرقون المغرضون إنكارها وإخفاءها، وهو أنّ رؤوس الشرك كانوا أحراراً في اختيار العقيدة الإسلامية واعتناقها.

فهم اختاروها واعتنقوها بمحض إرادتهم من دون إكراه أو إجبار، ولا- إرعاب أو تخويف؛ بل كانت القيادة الإسلامية تسعى دائماً إلى أن يتمّ اعتناق عقيدة التوحيد عن طريق التدبّر والتفكير الصحيح، لا عن طريق الإرعاب والتخويف.

هذا هو أبرز حوادث فتح مكّه وأكثرها عبره، وبقي أن نتعرّض لذكر حادثتين جديرتين بالاطّلاع والتأمّل استكمالاً لهذه الدراسة.

وتانك الحادثتان هما:

#### ١. مبايعه النبي نساء مكّه

بعد بيعه «العقبه» كانت هذه هي المرّه الأولى التي أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البيعه من النساء بشكل ظاهريّ ورسميّ، ولقد بايعنه على الأمور التاليه:

١. أن لا يُشركنَ بالله شيئاً.

ص: ٥٧٣

---

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٨٧٥/٤؛ المغازي: ٨٥٤/٢.

٢. ولا يسرقن.

٣. ولا يزنين.

٤. ولا يقتلن أولادهنَّ.

٥. ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهنَّ وأرجلهنَّ.

٦. ولا يعصينك في معروف.

ولقد تَمَّت هذه البيعه بالكيفية التالية وهي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بقُدْح من ماء ثم ألقى في الماء شيئاً من الطيب والعطر ثم أدخل يده فيه وتلا الآية (١) التي وردت فيها الأمور المذكورة، ثم نهض من مكانه وقال صلى الله عليه وآله وسلم للنساء:

«مَنْ أَرَادَتْ أَنْ تَبَاعِ فَلْتَدْخُلْ يَدَهَا فِي الْقُدْحِ فَإِنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ» (٢).

وكانت العلة في أخذ مثل هذه البيعه - الخاصّة في موادها وبنودها - من نساء مكّة هي وجود عدد كبير من النسوة الفاسدات بينهن، فلو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يُقَدِّم على أخذ مثل هذه البيعه منهن لكان من المحتمل أن تستأنف تلك النسوة الفاسدات عمَلهنَّ القبيح حتّى في السرّ.

وكانت «هند» زوجة أبي سفيان بن حرب، وأمّ معاوية ذات السوابق السوداء والفاضحة من بين تلك النسوة.

وقد كانت هذه المرأة لفضاضة في طبعها وخشونة في سلوكها، تهيمن على عقليه زوجها أبي سفيان، ولطالما فرضت عليه آراءها، حتّى أنّها يوم قرّر أبو سفيان الاستسلام للأمر الواقع، ورغب أهل مكّة في السلام حرّضت الناس على القتال

ص: ٥٧٤

١- . الممتحنه: ١٢.

٢- . بحار الأنوار: ١١٣/٢١.

وسفك الدماء ومواجهه جنود الإسلام.

إنَّ تحريضات هذه المرأة بالذات هي التي أشعلت نيران الحرب في «أحد»، تلك النيران التي كلَّفت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم سبعين شهيداً كان أبرزهم «حمزه» الذي بقرت تلك المرأة الفاسده الفاجره الحاقده وبمتهى القسوه والفضاضه بطنه، وشقَّت صدره، واستخرجت كبده، ولاكته بأسنانها.

لم يكن لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بدُّ من أخذ هذا النوع من البيعه من هذه المرأة وأمثالها في مرأى ومسمع من الناس.

وقد تلا- رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ما نزل من قوله تعالى من شروط البيعه عليهن، فلمَّا بلغ إلى قوله: «ولا تسرقن» نهضت هند - وكانت آنذاك متنقِّبه متنكِّره - وقالت:

إنَّ أبا سفيان رجلٌ ممسكٌ وإني أصبت من ماله هنات، فلا أدري أيحل لي أم لا؟

فقال أبوسفيان: ما أصبت من مالي فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال.

فضحك رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وعرفها فقال لها: «وإنك لهند بنت عتبة»!

قالت: نعم، فاعفُ عمَّا سلف يا نبي الله عفا الله عنك!

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «ولا تزنين».

فقال هند: أو تزني الحرة؟!

لقد كان هذا الدفاع يعدُّ - من منظار علم النفس - نوعاً من كشف القناع عمَّا في السريره والإفصاح عمَّا في الضمير. وحيث إنَّ هنداً كانت تعرف أنها كانت فيما مضى تفعلُ مثل هذا، وكانت واثقه من أنَّ الناس عند سماع هذه العبارة سيلتفتون بأنظارهم إليها لذلك سارعت فوراً - وبهدف صرف الأنظار عن نفسها - إلى القول:

وهل تزني إلا الأمه دون الحرّه.

ومن الصدف أنه كان من الرجال في ذلك المجلس بعض من سبقت له معها علاقات غير مشروعه في العهد الجاهلي فتعجب من إنكارها، فضحك حتى استغرق في الضحك، وتسبب دفاع هند عن نفسها في المزيد من افتضاها(1).

## ٢. هدم بيوت الأصنام بمكة وما حولها

كانت في مكة وضواحيها بيوتٌ عديدةٌ وكثيرةٌ للأصنام التي كانت تقُدُّسها، وتحترمها القبائل المختلفة القاطنة في تلك المناطق، وحتى يقضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جذور الوثنية في أرض مكة قام بإرسال فرق عسكريه متعدده إلى تلك المناطق لهدم تلك المعابد، والبيوت، وإزالة الأصنام والأوثان.

كما أنه صلى الله عليه وآله وسلم أعلن في مكة نفسها أن من كان في بيته صنم فليكسره، وفي هذا السياق أرسل عمرو بن العاص «لتحطيم صنم «سواع» و «سعد بن زيد» لهدم صنم «مناه».

وتوجه «خالد بن الوليد» على رأس فرقه عسكريه إلى «تهامه» لدعوه بني «جذيمه بن عامر» إلى الإسلام وهدم صنم «عزى»، وقد نهاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين كلفه بهذه المهمه عن القتال وإراقه الدماء وبعث معه «عبدالرحمن بن عوف» ليعينه على ذلك.

وكانت قبيلة بني جذيمه قد قتلت عمَّ خالد بن الوليد(2) ووالد عبدالرحمن

ص: ٥٧٦

١- لاحظ: مجمع البيان: ٤٥٧/٩.

٢- هو الفاكه بن المغيره بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، راجع للوقوف على أصل هذه الوقعه: السيره النبويه لابن هشام: ٨٨٤/٤، تاريخ يعقوبى: ٦١/٢.



لدى رجوعهما من اليمن فى أيام الجاهليه وصادرت أموالهما، ولهذا كان «خالد» يحقد عليهم.

فلما التقى «خالد» بنى جذيمه فى أرضهم، وجدهم قد أخذوا السلاح، وتهيبوا لقتاله فأمنهم وقال لهم: ضَعُوا السلاح فإنَّ الناس قد أسلموا.

فرأى زعماء القوم أن يضع الناس السلاح، ويسلموا لجنود الإسلام ولكن رجلاً من القوم يقال له: جحدم أدرك بفطنته سوء نيه خالد، فقال لزعماء القبيله:

ويلكم يا بنى جذيمه! إنَّه خالد والله! ما بعد وضع السلاح إلَّا الأستار، وما بعد الأستار إلَّا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحى أبداً، فأخذه رجال من قومه فقالوا:

يا جحدم أتريد أن تسفك دماءنا؟ إنَّ الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح، ووضع الحرب، وأمن الناس، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم السلاح لقول خالد.

فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك، فكتفوا، ثم عرضهم على السيف، فقتل من قتل منهم، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، رفع يديه إلى السماء، ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك ممَّا صنع خالد بن الوليد. (١)

ونتيجة لهذه الجريمة النكراء فقد غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على خالد غضباً شديداً، ودعا عليّاً من فوره، وأعطاه مبلغاً كبيراً من المال وأمره بالتوجه إلى بنى جذيمه، وأن يدفع ديه من قتل أو جرح خالد من رجالهم، وثمان كلِّ ما خسروه أو فقدوه من أموالهم بدقّه وعنايه كاملتين.

فخرج عليٌّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فودى لهم

ص: ٥٧٧

الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى إنه ليدي لهم ميلغه الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه، وبقيت معه بقيه من المال، فقال لهم على عليه السلام حين فرغ منهم: هل بقي لكم من دم أو مال لم يود لكم؟

فقالوا: لا.

فقال عليه السلام: فإنني أعطيتكم هذه البقيه من المال احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممّا يعلم ولا تعلمون.

ففعّل ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره الخبر، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أصبت وأحسنت».

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى أنه ليرى ما تحت منكبيه يقول:

«اللهم إنني أبرأ ممّا صنع خالد بن الوليد».

قالها ثلاث مرات (١).

لقد تلافى على عليه السلام جميع الخسائر المادية والروحية التي لحقت ببني جذيمه، وقد أعطى شيئاً من ذلك المال لمن ارتاع، وفرع من صنع خالد و جنوده، وطيب خواطرم وقال: وهذه لروعه القلوب.

وعندما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصنيع عليّ عليه السلام وإجراءاته العادلة والإنسانية مع بني جذيمه المنكوبين قال في حقّه:

«والله ما يسرّني يا عليّ أنّ لي بما صنعت حُمر النعم» (٢).

ص: ٥٧٨

١- السير النبويه لابن هشام: ٨٨٣/٤-٨٨٤. ولاحظ: الكامل لابن الاثير: ٢٥٥/٢-٢٥٦؛ إمتاع الأسماع: ٦/٢-٧.

٢- الخصال: ٥٦٢.

وفى حديث آخر قال صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام فى آخره: «... أرضيتنى رضى الله عنك، يا على أنت هادى أمتى، ألا إن السعيد كل السعيد من أحبك وأخذ بطريقتك، ألا إن الشقى كل الشقى من خالفك ورغب عن طريقتك إلى يوم القيامة»(١).

## جرائم أخرى لخالد

لم تقتصر جرائم خالد التى ارتكبها طيله حياته الإسلاميه فى ظاهرها على ما ذكر؛ بل لقد ارتكب جريمه أخرى فى أيام حكمه «أبى بكر» أكبر وأفضع ممّا مرت، وإليك خلاصه هذه الواقعه:

رفضت بعض القبائل بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الاعتراف بخلافه أبى بكر، وامتنعت عن أداء الزكاه إليه، فبعث أبوبكر فرقاً عسكريه مختلفه لقمع هذه القبائل المعترضه.

وقد بعث خالد بن الوليد على رأس فرقه عسكريه إلى قبيله «مالك بن نويرة» لمقاتلتها بحجّه الارتداد، وما كان «مالك» وجميع أفراد قبيلته مستعدّين للقتال، وكانوا يقولون: نحن مسلمون، فلا معنى لمقاتلتنا.

فمكر بهم خالد على نحو مكره بنى جذيمه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمنهم، وطلب منهم إلقاء اسلحتهم، فلمّا وضعوا أسلحتهم، أمر بحبسهم، ثم قتلهم وقتل زعيمهم المسلم الصالح «مالك بن نويرة» واعتدى على زوجته فى نفس الليله(٢).

ص: ٥٧٩

١- . أمالى الطوسى: ٤٩٨ برقم ١٠٩٣، المجلس ١٧؛ بحار الأنوار: ١٤٣/٢١، الحديث ٦.

٢- . لاحظ: أسد الغابه: ٢٩٥/٤، تاريخ ابن عساكر: ٢٥٦/١٦-٢٥٨؛ البدايه والنهايه: ٣٥٤/٦؛ تاريخ الخميس: ٢٣٣/١.

فهل يصح أن يوصفَ هذا الرجل - على هذه السوابق السوداء، ومع هذا الملفّ المخزى - بسيف الله، وأن يُعدَّ من أمراء الإسلام  
المجاهدين الصالحين؟! (١).

ص: ٥٨٠

---

١- . لقد وَرَدَ ذِكْرُ هَذِهِ الْحَادِثَةِ فِي كِتَابِ التَّارِيخِ فِي حَوَادِثِ السَّنَةِ الْأُولَى مِنْ حُكُومِهِ «أَبِي بَكْرٍ» بِصُورِهِ مَفْصَّيْلَهُ وَقَدْ ذَكَرْنَاهَا  
مُلَخَّصَةً. وَلِلْوُقُوفِ عَلَى تَحْلِيلِ هَذِهِ الْقَضِيَةِ الْمُؤَسَّفَةِ رَاجِعْ كِتَابَ: النَّصِّ وَالْإِجْتِهَادِ: ١٠٨-١٣٨، تَحْقِيقَ أَبُو مَجْتَبَى، قَم، ط ١-  
١٤٠٤ هـ.

كانت طريقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند فتح أيه منطقه من المناطق هي أن يقوم بنفسه بإداره شؤونها السياسيه والدينيه مادام هو فيها، فإذا أراد أن يغادرها عتین أفراداً صالحين للقيام بتلك الأمور، وشغل تلك المناصب؛ لأنّ الناس في تلك المناطق كانوا قد اعتادوا على النظام السابق، ولم يكن لهم معرفه بالنظام الجديد، هذا من جهه، ومن جهه أخرى فإنّ الإسلام دينٌ متكامل، ونظامٌ سياسى، اجتماعى، أخلاقى، معنوى يستمد قوانينه من منبع الوحي الطاهر، ويحتاج إيقاف الناس على تلكم القوانين والتعاليم، وتطبيقها العملى إلى أفراد صالحين متمرسين ومدربين على التثقيف والتطبيق الصحيحين، ليتمكنهم إيقاف الناس في تلك المناطق على مبادئ الإسلام وأصوله الصحيحه، وتنفيذ البرنامج السماوى الإسلامى في حياتهم على النحو الصحيح.

وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا عند فتح مكّه، فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن قرّر مغادره مكّه والمسير إلى قبيلتي «هوازن» و«ثقيف» عتین «معاذ بن جبل» ليعلم الناس القرآن، وأحكام الإسلام، و«عتاب بن أسيد» الذى كان رجلاً مؤهلاً، لإداره الأمور، والصلاه بالناس جماعه، ثم غادر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكّه بأصحابه بعد أن مكث فيها

خمسة عشر يوماً متوجّهاً إلى أرض هوازن(١).

### جيش قليل النظير

كان الجيش الذي سار به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى هوازن يبلغ (١٢) ألفاً من الجنود المسلّحين: عشرة آلاف هم الذين صحبوه من المدينة، وشاركوا في فتح مكّة، وألفان من رجال وشباب قريش الذين أسلموا بعد الفتح، وقد أوكل النبي صلى الله عليه وآله وسلم قيادتهم إلى أبي سفيان(٢).

ولقد كان مثل هذا الجيش العظيم والجمع الكبير قليل النظير، ونادر المثل في تلك العصور، وقد صارت هذه الكثرة ذاتها سبباً في هزيمته في مبدأ الأمر، فقد أعجب أفراد هذا الجيش بكثرتهم - على خلاف ما مضى - فتجاهلوا التكتيكات العسكريه الدقيقه، وغفلوا عن خطط العدو ونواياه فكان ذلك داعياً إلى هزيمتهم!!

فقد قال أبو بكر لما رأى كثره المسلمين: لو لَقِينَا بنى شيبان ما بَالَيْنَا، ولا يَغْلِبُنَا اليومَ أحدٌ من قَلِّه(٣).

ولكنّه لم يكن يعرف أنّ الانتصار ليس هو بكثره الأفراد وضخامه الجيش، بل أنّ هذا العامل غير مهمّ بالقياس إلى بقية العوامل.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة إذ قال تعالى:

«لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ

ص: ٥٨٢

١- . لاحظ: الطبقات الكبرى: ١٣٧/٢، والمغازي: ٨٨٩/٢.

٢- . لاحظ: الطبقات الكبرى: ١٣٩/٢، المغازي: ٨٨٩/٢.

٣- . المغازي: ٨٨٩/٢.

عَنْكُمْ شَيْئًا وَ ضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ» (١).

### الحصول على المعلومات العسكريه

بعد فتح مكه دبّت حركة خاصه فى قبائل هوازن وثقيف، و جرت اتصالات مكثفه بينها، وكان حلقه الاتصال، والمدبر الحقيقى لهذه التحركات، شابٌ عُرف بالفروسيه والشجاعه يُدعى «مالك بن عوف النصرى».

وقد تقرّر بعد سلسله من الاتصالات والمداولات بين زعماء هوازن وثقيف أن تبادل القبيلتان المذكورتان إلى توجيه ضربه قويه إلى جيش الإسلام عبر خدعه عسكريه، قبل أن يغزوها جنود الإسلام فى عقر دورها.

فقد اختارت لقياده هذه المهمه شاباً متهوراً فى العقد الثالث من عمره هو «مالك بن عوف النصرى» الذى أشرنا إليه عمّا قريب، واشترك فى هذه الغزوه جميع قبائل هوازن وثقيف بصوره موحد.

فكان من تدبير هذا القائد أن اقترح على جيشه أن يجعلوا النساء والأطفال والأموال وراء ظهورهم، وعندما سألوه عن عله ذلك الإجراء قال: أردتُ أن أجعل خلف كلّ رجل أهله وماله وولده ونساءه حتى يقاتل عنهم (٢).

فقبل المشتركون فى تلك العمليه بأمر قائدهم هذا بالإجماع، وجعلوا أموالهم وأهليهم خلفهم.

وقد خالف شيخٌ مجربٌ حنكته الحروب منهم يُدعى «دريد بن الصمّه» هذه الخطه عندما سمع رغاء البعير، وثغاء الشاه، وحوار البقر، وبكاء الصغير، وجادل فيها مالكا، واعتبرها خطه فاشله من الناحيه العسكريه وقال للناس: يا معشر

ص: ٥٨٣

١- . التوبه: ٢٥.

٢- . المغازى: ٨٨٧/٢-٨٨٨.

هوازن والله ما هذا لكم برأى، هذا فاضحكم فى عورتكم، وممكن منكم عدوكم. (1)

ولكن مالكا لم يعر كلام هذا الشيخ ونصيحته اهتماما وقال - وهو يتهمه بالجهل بفنون القتال الحديثه -: أنك قد كبرت وكبر علمك، وحدث بعدك من هو أبصر بالحرب منك.

ولقد أثبت المستقبل صحه ما قاله ذلك الشيخ المحنك فإن إشراك النساء والأطفال والأنعام فى الحرب، وإخراجهم إلى ساحه القتال أحدث لمقاتلى ثقيف وهوازن مشاكل كثيره، فيما بعد.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لَمَّا سمع بتحرّكات هاتين القبيلتين بعث «عبدالله بن حدرد الأسلمى»، وأمره أن يدخل فى هوازن وثقيف فيقيم فيهم حتى يعرف بنواياهم وخططهم، ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق الرجل إليهم ثم عاد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأخبارهم.

وكان «مالك بن عوف» قائد هوازن وثقيف قد بعث بدوره ثلاثه جواسيس ليتجسسوا له على المسلمين، ويأتوه بأخبارهم، فعادوا بأجمعهم فرعين ممّا شاهدوه من قوه المسلمين وكثرتهم.

فقرر قائد العدو أن يُجبر ضعف جنوده وقتلهم باستخدام الخدع العسكريه، والتوسل بأسلوب المباغته ليفرق - بهجوم مفاجئ - صفوف المسلمين، ويهدم نظامهم وانسجامهم، ويصيبهم بالهرج والمرج، والفوضى والحيره ليختل باختلال الجيش أمر القيادة، فلا تتمكن من ضبط الأمور، وتحقيق انتصار على المسلمين.

ص: ٥٨٤



ولتحقيق هذا الهدف هبط «مالك بن عوف» بجيشه في واد ينحدر إلى منطقه «حنين»، وأمر بأن يختفى الجنود والمقاتلون خلف الصخور والأحجار، وفي شغاف الجبال، وكلّ ما ارتفع من ذلك الوادى ونشز، حتّى إذا انحدر جنود الإسلام في هذا الوادى فى غفله من هذا التدبير خرج رجالُ هوازن وثقيف من مكائهم، وكمائهم، ورموا المسلمين الغافلين عن خطّه العدو، بالحجاره والنبال، ثم يخرج إليهم فريق فى أسفل الوادى ويضربونهم بالسيوف!!

### تجهيزات المسلمين

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عارفاً بقوة العدو وعناده فدعا «صفوان بن أمية» قبل مغادره مكّه، واستعار منه مائه درع بأداتها كامله عاربه مضمونه، ولبس رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه درعين كما لبس المغفر والبيضه، وركب بغلته البيضاء وسار خلف جيشه وسار حتّى دنوا جميعاً من الوادى فاستراحوا ليلتهم عند فم الوادى، ومع غلس الصبح انحدرت كتيبته «بنى سليم» بقياده «خالد بن الوليد» فى وادى «حنين»، وبينما دخل أكثر جنود الإسلام ذلك الوادى حمل عليهم رجالُ هوازن من كمائهم فى مضيق الوادى وشعبه حمله رجل واحد، وأخذوا يرشقونهم بالأحجار والنبال، فألقت أصواتُ الأحجار والنبال فرعاً شديداً فى قلوب المسلمين الذين مُطروا بالسهم والنبال والأحجار من جانب، بينما احتوشهم فريقٌ آخر من هوازن بسيوفهم ووقعوا فيهم ضرباً وقتلاً.

أجل لقد فعلت مكيدته هوازن فعلتها فى قلوب المسلمين، فقد أوحشتها، وأصابت المسلمين بالفوضى، وخلخت صفوفهم فلاذوا بالفرار من دون اختيار، وقد أخلّوا هم بنظامهم أكثر ممّا فعله العدو بهم.

ففرح المنافقون فى جيش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهذا الحادث، وسرّوا به سروراً

عظيماً حتّى قال أبوسفيان شامتاً: لا- تنتهي هزيمتهم دون البحر، وقال آخر: ألا بطلَ السحرُ اليوم، وقال ثالثٌ: لا يجتبرها محمّد وأصحابه، وعزم رابعٌ على اغتيال رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك الوضع المضطرب وإطفاء شعله رسالته المقدّسه(١).

### صمود النبي ومَن ثبَّت من أصحابه

لقد أزعج فرارُ المسلمين الذي كان نابغاً - في الدرجة الأولى - من الفزع والفوضى التي أصابتهم، رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم، وأدرك صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه لو تأخّر لحظه واحده عن فعل ما يجب أن يفعله لتغيّر وجهُ التاريخ ولتبدّل مسار البشرية، ولحطّم جيش الشرك جيش التوحيد.

من هنا صاح بأعلى صوته وهو على بغلته:

«يا أنصار الله وأنصار رسوله أنا عبدُ الله ورسوله».

قال هذا واندفع ببغلته إلى ساحة القتال في المكان الذي جعله «مالك» وجنوده مسرحاً لمهاجمة المسلمين ومباغتتهم وقتالهم، ومشى معه من لآزمه في تلك اللحظات وثبتوا معه كعلي بن أبي طالب عليه السلام والعباس بن عبدالمطلب، والفضل بن العباس، وأبي سفيان بن الحارث - الذين لم يغفلوا عن رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم منذ بدء القتال لحظه واحده -، وأمر رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم و آلّه وسلم عمّه العباس الذي كان صاحب صوت عظيم أن ينادى في المسلمين الذين كانوا يواصلون فرارهم، ولا يلوون على شيء:

«يا معشر الأنصار، يا أصحاب السّمرة»(٢).

ص: ٥٨٤

١- المغازي: ٩٠٩/٢-٩١١؛ السيره النبويه لابن هشام: ٨٩٤/٤-٨٩٥؛ إمتاع الأسماع: ١٧/٢.

٢- تاريخ الطبري: ٣٤٨/٢. ولقد ذكر صاحب المغازي في: ج ٩٠٢/٢ جانباً من بطولات علي عليه السلام وتضحياته في هذه المواقع.

ويقصد من السمره الشجره الّتي كانت عندها بيعه الرضوان، فكان هذا النداء تذكيراً بتلك البيعه الّتي تعهدوا فيها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن ينصروه حتّى الموت.

فبلغت صرخاتُ العباس مسامع المسلمين فثارت حميتهم، وأخذوا يثوبون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم يقولون: لبيك لبيك.

لقد أوجبتُ نداءاتُ العباس المتلاحقه الّتي كانت تخبر وتنبئ في الحقيقه عن سلامه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تعود الجماعات الهاربه من ساحه القتال إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي نادمه على فرارها ندماً شديداً، ونظّموا صفوفهم أمام العدو من جديد أفضل ممّا مضى، ثم حملوا حملة رجل واحد على العدو الغادر بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لغسل ما لحق بهم من عار الفرار، واستطاعوا في أقصر مدّه من الوقت أن يجبروا العدو على الانسحاب والفرار، والرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم يقول تشجيعاً لهم، وتقويه لمعنوياتهم:

«أنا النبي لا كذب

أنا ابن عبدالمطلب».

وقد تسبّب استخدام هذا التدبير العسكري الحكيم في إرعاب رجال هوازن ومن ساعدهم من ثقيف المقاتلين، بشدّه بحيث انهزموا أمام هجوم المسلمين هذا هزيمة قبيحه ومنكره، تاركين وراءهم أموالهم ونساءهم وصبيانهم الذين أتوا بهم إلى ساحه المعركه، وجعلوهم خلف ظهورهم بناء على أوامر قائدهم مالك - كما أسلفنا - وفروا بعد أن قُتِلَ منهم جماعه إلى منطقه أوطاس ونخله، وقلاع الطائف.

ص: ٥٨٧

لقد بلغت خسائر المسلمين من الارواح فى هذه المعركة ثمانيه أشخاص فى مقابل أسر سته آلاف نفر من العدو.

كما وأن المسلمين غنموا فى هذه الوقعه أربعة وعشرين ألف بعير، وأربعين ألف رأس غنم، وأربعة آلاف أوقيه (١) من الفضة.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أمر بأن يؤخذ الأسرى والغنائم إلى منطقته تُدعى الجعرانه (وهى ماء بين الطائف ومكّه) وكلف أشخاصاً معينين بحراستها وحفظها وجعل الأسرى فى بيوت خاصّه، كما أمر بأن تُحفظ الغنائم من دون أن يتصرّف فيها أحدٌ فى ذلك المكان، ريثما يرى فيها رأيه، بعد أن يلاحق فلول العدو الذى فرّ إلى أوطاس ونخله والطائف (٢).

### لقطتان من الخلق النبوى العظيم

وينبغى أن نشير هنا إلى قصّتين تدلّان على سمو الأخلاق النبويه، وعمق الرحمه الإسلاميه:

١. بعد أن أعاد النبى المسلمون الهاريين إلى ساحه المعركة فكروا على هوازن وهزموهم هزيمة نكراء، قالت أمّ سليم بنت ملحان للنبى صلى الله عليه و آله و سلم: يا رسول الله! ما رأيت هؤلاء الذين أسلموا وفرّوا عنك وخذلوك!! لا تعف عنهم إذا أمكنك

ص: ٥٨٨

١- . الرطل ٢٥٦٤ غراماً، والأوقيه ١/١٢ من الرطل فعلى هذا تكون الأوقيه ٢١٣ غراماً، وأربعة آلاف أوقيه تساوى ٨٥٢ كيلو غراماً.

٢- . كتب ابن هشام فى سيرته أنّ عدد القتلى فى هذه المعركة كان أربعة أشخاص، ولكن معركة واسعه مثل هذه يتوقع أن يكون قتلها أكثر من هذا العدد.

اللّٰه منهم، تقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين!

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا أمّ سليم! قد كفى الله، عافيه الله أوسع (١).

وهكذا نجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعفو عن أصحابه الهاربين الذين خذلوه في تلك الموقعة.

٢. حنق المسلمون على المشركين في وقعه حين فقتلوهم حتى أخذوا في قتل الذرية، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما بال أقوام ذهب بهم القتل حتى بلغ الذرية! ألا لا تقتل الذرية.

فقال أسيد بن الحضير: يا رسول الله أليس إنما هم أولاد المشركين!

فقال: أو ليس خياركم أولاد المشركين؟! كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها، وأبواها يهودانها أو ينصرانها (٢).

ص: ٥٨٩

---

١- . إمتاع الأسماع: ١٥/٢.

٢- . إمتاع الأسماع: ١٥/٢-١٦.

«الطائف» من مصايف الحجاز ومن المناطق الخصبه، الكثيره الزرع فيها، وتقع الطائف في الجنوب الشرقي من مكه على بعد (١٢) فرسخاً منها، وقد كانت ولا تزال بسبب مناخها اللطيف، وبساتينها المثمره، ونخيلها الكثير مقصداً بل مركزاً وموطناً لطلاب اللذه والراحه من أهل الحجاز.

وقد كانت قبيله ثقيف التي كانت تُعدُّ من القبائل العربيه القويه الكثيره العدد تسكن في هذا البلد.

وكانت أعراب ثقيف من الذين شاركوا في معركة «حنين» ضد الإسلام والمسلمين، ثم لجأوا بعد الهزيمه المنكره التي لحقت بهم على أيدي جنود الإسلام الضافرين إلى بلدهم الذي كان لهم فيه آنذاك حصن قوياً ومنيع.

ولتكميل الانتصار الإسلامي أمر الرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم بملاحقه الهاربين المنهزمين في معركة حنين.

من هنا كلف صلى الله عليه وآله وسلم أبا عامر الأشعري وأبا موسى الأشعري وفريقاً من جنود الإسلام بملاحقه من لجأ منهم إلى «أوطاس» فقُتِل القائد الأول في هذه الواقعه،

واستطاع الثاني أن يحرز انتصاراً كبيراً على العدو ويفرّق جمعه (١).

وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه فقد توجه بالبقية من جيشه الى الطائف (٢)، ومّر في طريقه على حصن «مالك بن عوف النصرى» مشير فتنه «حنين» ورأس المؤامرة، فهدمه وسوّاه بالأرض.

على أنّ تهديم حصن «مالك» لم يكن بدافع انتقامي، بل كان لأجل أن لا يترك وراءه نقطة اعتماد وملجأ للعدوّ.

تحركت أعمده الجيش الإسلامي الواحد تلو الأخرى، واستقرت حول مدينه الطائف.

كان حصن الطائف حصناً منيعاً، مرتفع الجدران، قوى البنيان، فيه أبراج للمراقبه مهيمنة على خارج الحصن سيطره كامله.

ومنذ أن استقر الجيش الإسلامي خارج الطائف بدأ حصاره لها، غير أنّ الحصار لم يتكامل بعد حتى عمّد العدو إلى رمي المسلمين للحيلولة دون تقدّمهم نحو المواقع المرسومة لهم، فقتل بهذا جماعه من المسلمين في بدايه هذه الوقعه.

فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجيش بالانسحاب والتراجع التكتيكي إلى نقطه بعيده عن مرمى العدو، والتمركز فيها ريثما تصدر الأوامر الجديده.

وهنا اقترح «سلمان الفارسي» الذي سبق له أن اقترح حفر الخندق في معركة الأحزاب، وكان ذا خبره بفنون القتال، اقترح على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يرمى

ص: ٥٩١

---

١- . المغازي: ٩١٥/٢ و ٩١٦.

٢- . بحار الأنوار: ١٦٣/٢١.

الحصن بالمنجنيق(١)، وهذا الجهاز الذي كان يُستخدم في حروب تلك الأعصر يؤدي نفس دور الدبابه في الحروب الراهنه.

فقام أمراء الجيش الإسلامي بنصب المنجنيق بإرشاد وتوجيه من سلمان، وأخذوا يرمون الحصن المذكور وأبراجه الشاهقه بالحجاره طوال عشرين يوماً متواليه.

ولكن العدو لم يسكت تجاه هذه العمليات القويه التي بدأها المسلمون، فزاد من رميه واستمر في ذلك، فوَقعت بين المسلمين بعضُ الإصابات نتيجته ذلك(٢).

والآن يجب أن نرى كيف حصل المسلمون على جهاز المنجنيق، هذا؟

يرى البعض أن سلماًناً هو الذي صنع هذا الجهاز وعلم المسلمين كيفية استخدامه في هذه الغزوه(٣).

ويرى آخرون أن المسلمين حصلوا على هذا الجهاز وغنموه من اليهود في خيبر عند فتح قلاعهم وحصونهم واصطحبوه معهم إلى الطائف واستخدموه في غزوها.

ولا يبعد أن الصحابي الجليل سلمان الفارسي قد ادخل بعض التحسينات على ذلك المنجنيق الذي جلبه المسلمون من خيبر، وعلم المسلمين كيفية نصبه واستخدامه في القتال، فإنه يستفاد من التاريخ أن المنجنيق لم يكن منحصراً في المنجنيق الذي حُصل عليه من يهود خيبر، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث الطفيل بن عمرو

ص: ٥٩٢

١- لاحظ: إمتاع الأسماع: ٢١/٢.

٢- الطبقات الكبرى: ١٥٨/٢.

٣- لاحظ: إمتاع الأسماع: ٢١/٢ و ٢٣ و ج ٢٦٦/٩.



الدوسى لتحطيم أصنام لقبيله «دوس» فى وقت مترامن مع خروجه إلى معركة حنين ثم الطائف فعاد الطفيل فاتحاً مع من خرجوا تحت إمرته من جنود الإسلام الأربعمائه، وكانوا برمتهم من أبناء قبيلته، فقد قدم الطائف على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع آله منجنيق واحده وعربتين حربيتين خاصتين، وقد استخدمت هذه الآليات فى غزوه الطائف.

### شدخ جدار الحصن بالمنجنيق

كان لابد لإخضاع العدو ودفعه إلى الاستسلام من القيام بحملات واسعة ومن مختلف الأطراف والنواحي، ولهذا تقرر أن يقوم جنود الإسلام، مضافاً إلى رمى الحصن بالمنجنيق، بإيجاد ثغره فى الجدار فواجهوا مشكله كبرى، لأن السهام والأحجار، والنيران كانت تنصب على رؤوس المقاتلين المسلمين كالمطر، ولم يكن فى مقدور أحد منهم الاقتراب والدين من جدار الحصن، فكان أفضل وسيله لتحقيق هذا الهدف هو استخدام الدبابه التى كانت فى جيوش العالم الكبرى فى تلك العصور فى صورتها البدائية.

وكانت الدبابه آنذاك تُصنع من الخشب وتُغطى بجلود البقر، ويدخل تحتها جماعة من الجنود الأقوياء ثم تتحرك نحو الحصن حتى تدنو إليه، ويقوم الجنود بعملية إيجاد ثغره أو نقب فى جدار الحصن، فاستخدم نفر من جنود الإسلام الشجعان الأشداء هذا الجهاز بالطريقة المذكوره، بيد أن العدو قد حال دون هذا العمل إذ ألقى على الدبابه سلك الحديد المحماه بالنار فأخرب سقفها، واضطر أفرادها إلى الخروج منها، فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلت منهم رجلاً واحداً ولم يؤثر، ولم ينجح هذه التكتيك القتالى، ولم يتحقق أى نجاح فى هذا المجال، فأنصرف

## ضغوط اقتصادية ونفسية

إن تحقيق الانتصار لا ينحصر في مجرد استخدام الطرق والتكتيكات العسكريه، بل للقائد الحكيم أن يستخدم - لإضعاف قوه العدو وكسر صموده - الضربات والضغوط الاقتصاديه ويجبره على الاستسلام.

وقد تكون الضربه النفسيه والاقتصاديه أقوى مفعولاً بدرجات أى إن أثرها يفوق بمراتب عديده أثر الضربه العسكريه، والإضرار البدني الذي يلحق بجنود العدو وأفراده.

ولقد كانت أرض الطائف أرض زراعه، ونخيل وأعناب، وكانت معروفه في الحجاز بخصبها، وكثره محاصيلها وخيراتها، لأن أهلها كانوا يجهدون كثيراً في تنميه نخيلهم وأعنابهم ورعايتها، ويولون الحفاظ عليها اهتماماً كبيراً، ويعطون هذا الأمر القسط الأكبر من جهودهم.

فأعلن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتهديد المتمردين اللاجئين إلى الحصن، والمعتصمين به، بأنه سيعمد إلى قطع أعناب ثقيف، وإفناء مزارعها إذا واصل المعتصمون بالحصن مقاومتهم ولم يسلموا للمسلمين.

فلم يكثرث العدو بهذا التهديد؛ لأنه لم يك يتصور أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وهو النبي الذي عرف برحمته ورأفته - يستخدم مثل هذه الطريقه.

وفجأه وجدت «ثقيف» أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصدر أوامره بقطع الأعناب، وإتلاف المزارع وتحريقها، فوقع المسلمون فيها يقطعون ويحرقون.

ص: ٥٩٤

فَعَجَّت «ثَقِيفٌ» لذلك وضجت، واستغاثت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقسمت عليه بالرحم والقرباه أن يكف عن ذلك، فتركها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احتراماً لوشيجه القربى التي كانت بينه وبين «ثقيف».(١)

إنَّ المعتصمين بحصن الطائف وإن كانوا من مثيرى معركة حنين والطائف، وتلك الغزوتان اللتان كلفنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكثير من الخسائر والمتاعب غير أنه صلى الله عليه وآله وسلم قبل مع ذلك التماس العدو وطلبه هذا، فأبدى ولمره ثانيه وجه الإسلام الرحيم وكشف عن إنسانيته فى التعامل مع العدو اللدود فى ميدان القتال، وأمر أصحابه بالكف عن قطع الأعناب وتحريقها.

ثم إنَّ مع ما نعرفه ونعهدُه من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأساليبه الإنسانيه فى مجال التعامل مع العدو، يمكننا أن ندرك بسرعه أنَّ الامر بقطع الأعناب وتحريق المزارع كان مجرد تهديد ومحاولة ضغط على العدو بحيث إذا لم تنجح هذه الطريقه معه لكف عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتماً.

\*\*\*

### آخر محاوله لفتح حصن الطائف

كانت قبيله «ثقيف» جماعه ثريه، وذات مال كثير، وعبيد وإماء كثيرين، ولكى يحصل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على معلومات دقيقه عن الأوضاع فى داخل الحصن، ويعرف بالتالى حجم إمكانات العدو ومدى استعداداته من جهه، ويوجد الاختلاف فى صفوفه من جهه أخرى، أمر أن يعلن عن القرار التالى: و ينادى: أى عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حرٌّ.

ص: ٥٩٥

وَنَفَعَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ إِلَى حَدِّ مَا، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الحِصْنِ بِطَرِيقِهِ مَا هَرَهُ حِوَالِي بَضْعِهِ عَشْرَ رَجُلًا مِنْ عِبِيدِ ثَقِيفٍ وَرَقِيقِهِمْ، وَالتَّحَقُّوا بِصَفُوفِ المُسْلِمِينَ فَعَرَفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ خِلَالِ التَّحْقِيقِ مَعَهُمْ أَنَّ المَعْتَصِمِينَ بِالحِصْنِ لَا- يَنْوُونَ الِاسْتِسْلَامَ، وَأَنَّهُمْ مُسْتَعِدُونَ لِلْمَقَاوِمَةِ حَتَّى لَوْ طَالَ الحِصَارَ عَامًا وَاحِدًا، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَعَدُّوا لِمِثْلِ هَذَا الحِصَارِ الطَّوِيلِ الطَّعَامَ الكَافِيَ، وَلَنْ يَقَعُوا فِي أَرْزَمِهِ بِسَبَبِ طَوْلِ الحِصَارِ.

### جيشُ الإسلامِ يَعودُ إلى المَدِينَةِ

استَخدمَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الغَزْوَةِ جَمِيعَ الأسَالِيبِ وَالتَّكْتِيكَاتِ العَسْكَرِيَّةِ المَادِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ ضِدَّ العَدُوِّ، وَقَدْ أُثْبِتَتِ التَّجْرِبَةُ أَنَّ فَتْحَ الحِصْنِ يَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الصَّبْرِ وَالعَمَلِ، عَلَى حِينٍ لَمْ تَكُنْ ظُرُوفُ الجَيْشِ الإِسْلَامِيِّ وَإِمْكَانَاتِهِ - يَوْمَئِذٍ - لِتَسْمَحَ بِذَلِكَ القَدْرِ مِنَ الصَّبْرِ وَالتَّرَقُّبِ، وَالِانْتِظَارِ وَالتَّوَقُّفِ، أَكْثَرَ ممَّا تَوَقَّفَ وَمَكَثَ فِي تِلْكَ المَنْطِقَةِ وَذَلِكَ:

أَوَّلًا: لِأَنَّهُ قُتِلَ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ المَحَاصِرِ (١٢) مُسْلِمًا سَبْعَةً مِنْهُمْ مِنْ قَرِيشٍ، وَأَرْبَعَةً مِنَ الأَنْصَارِ، وَرَجُلًا وَاحِدًا مِنْ قَبِيلِهِ أُخْرَى.

هَذَا مُضَافًا إِلَى مَنْ اسْتَشْهَدَ مِنَ المُسْلِمِينَ فِي وَادِي «حَنِينٍ» إِثْرَ هِجُومِ العَدُوِّ الغَادِرِ، وَانْفِرَاطِ صَفُوفِ الجَيْشِ الإِسْلَامِيِّ، وَالَّذِينَ لَمْ يَذْكَرِ التَّارِيخُ - مَعَ الأَسْفِ - أَسْمَاءَهُمْ، وَخُصُوصِيَّاتِهِمْ، وَلِهَذَا كَانَ قَدْ دَبَّ نَوْعٌ مِنَ التَّعَبِ فِي نَفُوسِ جُنُودِ الإِسْلَامِ لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّالِحِ تَجَاهُلُهُ.

وَثَانِيًا: أَنَّ شَهْرَ شِوَالٍ قَدْ انْتَهَى، وَبَدَأَ شَهْرُ ذِي القَعْدَةِ الَّذِي كَانَ مَعْدُودًا عِنْدَ العَرَبِ مِنَ الأشْهُرِ الحُرْمِ، وَقَدْ آتَى الإِسْلَامَ فِيهَا بَعْدَ هَذِهِ السَّنَةِ، وَأَكَّدَ حَرْمَهُ الأشْهُرِ الحُرْمِ.

من هنا كان من الضروري - حفاظاً على هذه السنّة - (١) إنهاء الحصار في أقرب وقت لكي لا تتهم عربٌ ثقيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمخالفة السنّة الصالحة وخرقها.

أضف إلى ذلك دُنُوّ حلول موسم الحج، مع العلم بأنّ إداره ذلك الموسم ومناسكه كانت في ذلك العام للمسلمين، بعد أن كانت - قبل ذلك - تُدار بواسطة المشركين وبرعايتهم.

ولا شك أنّ موسم الحج الذي كان سبباً لحصول اجتماع بشريّ عظيم من سكان الجزيرة العربية كان يوفّر أكبر وأفضل فرصه لتبليغ الإسلام وبيان حقيقه التوحيد، وكان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يستغل هذه الفرصه العظيمه التي أُتيحت له لأوّل مره، في مجال الدعوه، ويستفيد منها أكبر قدر ممكن ويولي اهتمامه لقضايا أُخرى أكثر أهميه وخطوره من فتح حصن واقع في منطقه نائيه.

مع أخذ هذه الظروف بنظر الاعتبار ترك الرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم حصار الطائف وعاد بجيشه إلى الجعرّانه التي جعلها محلاً لحفظ أسرى حنين وغنائمها.

### حوادث ما بعد الحرب

انتهت حوادث معركة «حنين» و «الطائف» وعاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دون تحقيق نتيجه قطعيه إلى «الجعرّانه» لتقسيم غنائم معركة «حنين».

ص: ٥٩٧

١- . ويدلُّ على هذا الأمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك مكّه متوجّهاً إلى الطائف في الخامس من شهر شوال واستغرقت مدّة الحصار عشرين يوماً، وصرفت بقيه الأيام (وهي خمسّه) في المسير إلى حنين، وفي المعركه. وقولنا بأنّ الحصار طال عشرين يوماً يستند إلى روايه نقلها ابن هشام، إلّا أنّ ابن سعد ذكر مدّه الحصار أربعين يوماً (الطبقات الكبرى: ١٥٨/٢).

والغنائم التي حصل عليها المسلمون في معركة «حنين» كانت من أكبر الغنائم التي غنموها طوال المعارك الإسلامية كلها، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم قدم «الجعرانة» كان هناك ستة آلاف أسير، و (٢٤) ألف من الإبل وأكثر من (٤٠) ألف رأس غنم و (٨٥٢) كيلو غراماً من الفضة يحافظ عليها في مركز الغنائم (١)، وكان من الممكن أن تسدّد القيادة من هذه الغنائم قسماً كبيراً من ميزانية الجيش الإسلامي.

لقد مكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في «الجعرانة» ثلاثة عشر يوماً، وفي هذه المدّة قسّم تلك الغنائم بطريقة خاصّة ملفته للنظر وجديره بالتأمل والدراسة.

فقد خلّى سبيل بعض الأسرى، وتركهم لذويهم، وخطّط لإخضاع (أو بالأحرى إسلام) مالك بن عوف النصرى مثير معركة حنين والطائف الهارب، كما أظهر تقديره وشكره لمواقف الأشخاص في هاتين الغزوتين وخدماتهم، وجذب بسياسته الحكيمه أعداء الإسلام ورغبتهم في عقيدته التوحيد الشريفه، وأنهى نقاشاً حدث بينه وبين جماعه الأنصار حول طريقه تقسيم الغنائم بخطبه جميله.

وإليك تفصيل الكلام في المواضيع المذكوره:

١. لقد دأب رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم على احترام حقوق الأفراد، وتثمين جهودهم مهما ضوّلت ودقّت، وعلى أن لا يبخس أحداً عمله، فإذا أحسن إليه أحدٌ قابل إحسانه بما يزيد عليه أضعافاً مضاعفه. وكان ذلك من أبرز صفاته وأخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد رضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وترعرع في قبيله بنى سعد التي هي من قبائل هوازن، وقد أرضعته امرأة من هذه القبيله تُدعى «حليمة السعديه»، وقد بقى في تلك القبيله خمسة أعوام.

ص: ٥٩٨

وقد شاركت قبيله بنى سعد فى معركة حنين ضدَّ الإسلام فُسببت بعض نساءهم وأطفالهم على أيدي المسلمين، كما وقعت بعضُ أموالهم بأيديهم أيضاً، وقد ندمت على فعلها ندماً شديداً.

وقد كانوا يعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نشأ وترعرع فيهم، ورضع بلبن نساءهم هذا من ناحيه، ومن ناحيه أخرى كانوا يعرفون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ملء قلبه الرحمه والمروءه ومعرفه الجميل، فإذا سَنَحَ لهم أن يذكروه بذلك لأطلق أسراهم حتماً.

فقدّم وفد هوازن وكان فى الوفد عمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاعه قال يومئذٍ: يا رسول الله إنّما فى هذه الحظائر من كان يكفلك من عماتك وخالاتك، وحواضنك، وقد حضناك فى حجورنا وأرضعناك بثدينا، ولقد رأيتك مرضعاً فما رأيت مرضعاً خيراً منك، ورأيتك فطيماً فما رأيت فطيماً خيراً منك، ثم رأيتك شاباً فما رأيت شاباً خيراً منك، وقد تكاملت فيك خلال الخير، ونحن مع ذلك أهلك وعشيرتكم فأمنن علينا من الله عليك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قد استأنيت بكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون وقد قسم السبى وجرت فيهم السهمان. وقدم عليه أربعة عشر رجلاً من هوازن مسلمين وجاءوا بإسلام من وراءهم من قومهم، فكان رأس القوم والمتكلم أبو صرد زهير بن صرد فقال: يا رسول الله... إنّما فى هذه الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كنّ يكفلك، ولو أنّنا ملحننا للحارث بن أبى شمر، أو النعمان بن المنذر، ثم نزلنا منّا بمثل الذى نزلت به رجونا عطفاً وعائدتهما علينا وأنت خير المكفولين.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم:

«إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ أَصْدَقُهُ، وَعِنْدِي مَنْ تَرُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أُمَّ أَمْوَالِكُمْ»؟

قالوا: يا رسول الله خيّرتنا بين أحسابنا وأموالنا وما كُنَّا نعدُّ بالأحساب شيئاً، فَرُدَّ عَلَيْنَا أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«أَمَّا مَا لِي وَلِبْنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ فَهُوَ لَكُمْ وَأَسْأَلُ لَكُمْ النَّاسَ، وَإِذَا صَلَّى الظَّهْرَ بِالنَّاسِ فَقُولُوا: إِنَّا لَنَسْتَشْفَعُ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَإِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ: مَا كَانَ لِي وَلِبْنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ فَهُوَ لَكُمْ وَسَأَطْلُبُ لَكُمْ إِلَى النَّاسِ». فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الظَّهْرَ بِالنَّاسِ قَامُوا فَتَكَلَّمُوا بِالَّذِي أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: إِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمّا ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم.

فقال المهاجرون: فما كان لنا فهو لرسول الله.

وقال الانصارُ: ما كان لنا فهو لرسول الله. (1)

وهكذا وهب الأنصارُ والمهاجرون نصيبهم من الأسرى تبعاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يتأخّر عن ذلك إلا قليلون مثل «الأقرع بن حابس» و«عبينه بن حصن» فقد امتنعا عن أن يهبوا نصيبهما، ويطلقا سراح ما عندهم من السبايا، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: إنّ هؤلاء القوم جاءوا مسلمين وقد استأنيت بهم، فخيّرتهم

ص: ٦٠٠



بين النساء والأبناء، والأموال، فلم يعدلوا بالأبناء والنساء، فَمَنْ كان عندهُ منهنَّ شيء فطابت نفسه أن يردهُ فليسأل، ومن أبى منكم وتمسك بحقه فليردَّ عليهم، وليكن فرضاً علينا ست فرائض (أى سوف أعطيه بدل الواحد ستاً) من أول ما يفىء الله به علينا(١).

فكان لعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا أثرٌ عظيم في نفوس المسلمين حيث خلّوا سبيل جميع من كان في أيديهم من الأسرى والسبايا إلّا امرأةً عجوزاً امتنع «عينه» من ردها إلى ذويها.

وهكذا أثمر عمل صالحٍ غُرسَت شتلاته - قبل ستين عاماً - في أرض قبيله بنى سعد على يدي حليمه السعدي، فأنت أكلها بعد مده طويله وأطلق بفضل ذلك العمل الصالح سراح الأسرى والسبايا من هوازن(٢).

### النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلتقى الشيماء أخته من الرضاعة

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا أخته من الرضاعة «الشيماء»(٣) وبسط لها رداءه وأجلسها عليه، ودمعت عيناه، وسألها عن أمه وأبيه (من الرضاعة)، فأخبرته بموتهما... وخيرها صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أحببت فأقيمي عندي محبته مكرمه، وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك».

فقلت: بل تُمتعني وتردني إلى قومي، فمتعتها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وردها إلى

ص: ٦٠١

١- المغازي: ٩٥٢/٢.

٢- لاحظ: الطبقات الكبرى: ١٥٣/٢ و ١٥٤، السير النبويه لابن هشام: ٩٢٥/٤، والحادثه التاريخيه هذه جسدت مضمون قول الله تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (النحل: ٩٧).

٣- هي الشيماء بنت الحارث بن عبدالعزيز بن رفاعه. الإصابه: ٢٠٥/٨ برقم ١١٣٩٠.

قومها، وأعطاهما غلاماً يقال له مكحول وجاريه، وقيل: بل أعطاهما (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاثه أعبيد وجاريه ونعماً وشاء. (١)

وقد قوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإخلائه سبيل جميع أسرى هوازن وسباياها من رغبة هوازن في الإسلام، فأسلموا من قلوبهم، وهكذا فقدت «الطائف» آخر حليف من حلفائها.

## ٢. اسلام مالك بن عوف

في هذه الأثناء اغتتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفرصه ليعالج مشكلته مع «مالك بن عوف النصرى» مشير حرب حنين، عن طريق وفد بنى سعد وذلك بترغيبه في الإسلام وعزله عن حليفه: «ثقيف».

ولهذا سألهم عن مالك بن عوف ما فعل؟ فقالوا: يا رسول الله هو بالطائف مع ثقيف.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائه من الإبل». (٢)

فبلغ وفد هوازن مالكا كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمانته المشروط، فقرّر مالك الذي كان يرى بأم عينيه تعاظم أمر الإسلام واشتداد أزره كما رأى رحمه النبي ولطفه، أن يخرج من الطائف، ويلتحق بالمسلمين، ولكنه كان يخشى أن تعرف «ثقيف» بتيته فتحبسه في الحصن، ولهذا عمد إلى خطه خاصه للفرار، فقد أمر

ص: ٦٠٢

١- . السيره الحلبيه: ٩٣/٣؛ الإصابه: ٢٠٥/٨.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٩٢٧/٤.

براحلته فهَيَّئَتْ له، وأمر بفرسٍ له فأتى به إلى الطائف، فخرج ليلاً فجلس على فرسه، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس فركبها، فلحق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأدركه بالجعرانه أو بمكّه، فردّ عليه (النبي صلى الله عليه وآله وسلم) أهله وماله، وأعطاه مائه من الإبل كما وعد من قبل، وأسلم فحسُن إسلامه، ثم استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مَنْ أسلم من قومه وقبائل «ثماله» و«سلمه» و«فهم».

وقد أنشد «مالك بن عوف» أبياتاً عندما أسلم يصف فيها أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكريمه، ويمدحه أجمل مديح إذ يقول:

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله في الناس كلهم بمثل محمد

أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ومتى تشأ يخبرك عما في غد

وإذا الكتيبه عزّدت أنيابها بالسهمريّ وضرب كل مهند

فكأنه ليثٌ على أشباله وسط الهباءه خادراً في مرصد

وصار يقاتل بتلك القبائل ثقيفاً لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه، حتى ضيق عليهم لما حصل عليه من مكانه وعزّه في الإسلام، وبعد أن أدرك قبح موقف «ثقيف»<sup>(١)</sup>.

### ٣. تقسيم الغنائم

كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلحون عليه أن يسرع في تقسيم غنائم الحرب، ولكي يدلّل النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على حياده الكامل في تقسيم الغنائم قام إلى بغير فأخذ وبره من سنامه فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها ثم قال:

«أيها الناس والله مالي من فيئكم ولا هذه الوبره إلا الخمس، والخمس مردودٌ

ص: ٦٠٣

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٩٢٧/٤-٩٢٨. وعزّدت أي عوّجت.

عليكم، فأدّوا الخياط والمخيط فإن الغلول (أى الخيانة فى بيت المال) يكون على أهله عاراً، وناراً، وشاراً يوم القيامة» (١).

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسّم أموال بيت المال بين المسلمين، وأمّياً الخمس الذى هو حقّه الخاصّ به فقد وزّعه بين أشرف قريش الحديثى العهد بالاسلام يتألّفهم، ويتألّف بهم قومهم، فأعطى من هذا المال ل: أبى سفيان بن حرب، وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والحارث بن الحارث، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، والعلاء بن جارية، وصفوان بن أمية، وغيرهم ممّن كانوا يعادونه إلى الأمس القريب من رؤوس الشرك ورموز الكفر، لكلّ واحد منهم مائه بعير (٢). وقد كان لهذا العطاء السخى أثره الطيب والبالغ فى نفوس تلك الجماعة التى شملها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برحمته، ولطفه، وعنايته، وكرمه، واشتدت رغبتهم فى الإسلام.

وهذا الفريق هم من يُصطلح عليهم فى الفقه الإسلامى بالمؤلّفه قلوبهم، وهم يشكّلون إحدى مصارف الزكاه بنصّ القرآن الكريم.

ويقول ابن سعد فى «الطبقات الكبرى» بعد أن ذكر قصّه هذا التقسيم الخاص للغنائم: وأعطى ذلك كلّ من الخمس وهو أثبت الأقاويل عندنا (٣).

ولقد شقّ هذا النوع من الأسلوب فى تقسيم الغنائم وهذا النمط من البذل الذى مارسه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، على بعض المسلمين، وبخاصّه الأنصار وقد جهلوا

ص: ٦٠٤

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٩٢٩/٤.

٢- . راجع المحبّر: ٤٧٣، المغازى: ٩٤٤/٢-٩٤٨، السيره النبويه لابن هشام: ٩٢٩/٤-٩٣٢.

٣- . الطبقات الكبرى: ١٥٣/٣.

بالمصالح التي كان يراعيها، والأهداف العليا التي كان يتوخاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا النوع من البذل والعتاء (وهو تخصيص حديثي العهد بالاسلام بأكثر الغنائم).

لقد كانوا يتصورون أنّ التعصّب القبلي هو الذي دفع بالرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يقسم خمس الغنيمه بين أبناء قبيلته حتّى أنّ أحدهم (وهو ذو الخويصره التيمي) قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكل وقاحه: يا محمّد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم، لم أرك عدلت!!

فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كلامه هذا وقال:

«وَيَحْكُ إِذَا لَمْ يَكُنْ الْعَدْلُ عِنْدِي فَعِنْدَ مَنْ يَكُونُ؟!»

فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ألا أقتله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا، دَعُهُ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شِيعَةٌ يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ (أَي يَتَّبِعُونَ أَقْصَاهُ) حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ» (١).

وقد كان هذا الرجل - كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - زعيم فرقه الخوارج في عهد حكمه الإمام على عليه السلام، فهو الذي قاد تلك الفرقة الخطره، غير أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقدم على عقوبته على ما بدر منه فيما بعد؛ لأنّ القصاص أو العقاب قبل الجنايه يخالف قواعد الإسلام.

ولقد رفع «سعد بن عباد» شكوى الأنصار حول كيفية تقسيم الخمس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسعد: إجمّع من كان هاهنا من الأنصار في هذه

ص: ٦٠٥

---

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٩٣٣/٤؛ السيره الحلبيه: ٨٨/٣، وفي المغازي: ٩٤٨/٢: أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال فيه: «دعه إنّ له أصحاباً يحقّر أحدكم صلواته مع صلواتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّه... يخرجون على فرقه من المسلمين». وراجع إمتاع الأسماع: ٣٠/٢، وجاء في السيره الحلبيه: أنّه أصل الخوارج.

فجمع سعدُ الأنصار في تلك الحظيره، فلما اجتمعوا دخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه جلالُ النبوه، وهيبه الرساله، فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو أهله ثم قال:

«يا معشر الأنصار ما مقالهُ بلغتنى عنكم، وجدته وجدتموها فى أنفسكم؟ ألم آتكم ضللاً فهداكم الله، وعاله فأغناكم الله، وأعداء فألف بين قلوبكم؟»

قالوا: بلى الله ورسوله آمن وأفضل!

قال: «ألا تجيبونى يا معشر الأنصار؟»

قالوا: وماذا نجيبك يا رسول الله ولرسول الله المن والفضل؟

قال: «أما والله لو شئتم قلتم فصدقتم أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصيرناك، وطريداً فأويناك، وعائلاً فأسيناك! (1) وجدتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار فى شىء من الدنيا تألفت به قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاه والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟

والذى نفس محمد بيده لولا الهجره لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار».

ثم ترحم على الأنصار وعلى أبنائهم وعلى أبناء أبنائهم فقال:

«اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار».

---

١- . إن هذا يفيد أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما كان ينسى فضل أحد عليه وإن كان هو صلى الله عليه وآله وسلم صاحب الفضل الأكبر على الناس أجمعين.

وقد كانت كلماتُ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هذه من القوّه والعاطفيّه بحيث أثارت مشاعر الأنصار، فبكوا بعد سماعها بكاءً شديداً حتّى اخضلت لحاهمّ وابتلت بالدموع وقالوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قَسَمًا وَحَظًّا!!!

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتفرّقوا(١).

إنّ هذه القصّه تكشف عن عمق حكمه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعن حنكته السياسيّه البالغه، وكيف أنّه كان يعالج المشاكل بأساليب مناسبه وبروح الصدق واللطف.

### رسول الله يعتمر

ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج من الجعزانه معتمراً، بعد أن قسّم الغنائم، فلما فرغ من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينه، فقدم المدينه في أواخر شهر ذى القعده، أو أوائل شهر ذى الحجه(٢).

ص: ٦٠٧

---

١- السيره النبويه لابن هشام: ٩٣٥/٤؛ المغازي: ٩٥٧/٢-٩٥٨.

٢- السيره النبويه لابن هشام: ٩٣٦/٤.

«بانت سعاد...»

فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منتصف شهر ذي القعدة، من السنه الثامنه للهجره من قسمه غنائم حنين في الجعرانه، وكان موسم الحج على الأبواب، وكانت هذه السنه هي السنه الأولى التي كان يتوجب على الحجيج العرب، مسلمين ومشركين، أن يقوموا بمناسك الحج تحت رعايه الحكومه الإسلاميه

وكان اشتراك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الشعائر يزيد الحج عظمه وجلالاً، وكان من الممكن - وبفضل قيادته الحكيمه - أن تتم في ذلك الحشد الهائل والاجتماع العظيم دعوه صحيحه وقويه وواسعه إلى الإسلام، بينما كانت ثمة مسؤوليات في المدينه تنتظر عوده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد مضى على مفارقتة المدينه ما يقرب من ثلاثه أشهر، وكانت الأعمال التي يجب أن يقوم بها هو بنفسه قد تعطلت طوال هذه المده.

وبعد دراسه هذه المسأله من جوانبها المختلفه رأى الرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم أن يكتفى بعمره، يغادر بعدها مكّه ليصل إلى المدينه في أقرب وقت ممكن.

ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم رأى أنه لابد أن يعين شخصاً صالحاً لإداره الأمور السياسيه والدينيه في المنطقه الحديثه العهد بالفتح الإسلامى (نعنى مكّه) حتى لا تحدث في



غيابه أزمه فيها، وحتى تجرى الأمور على النسق الصحيح والمطلوب.

من هنا استخلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم «عتاب بن أسيد» على مكة، وكان عتاب شاباً لبيباً يتسم بالصبر والجلد، وكان له من العمر إذ ذاك عشرون سنة، وقد قرّر له النبي راتباً قدره درهم واحد كل يوم.

وبهذا العمل (أى تعيين شاب حديث العهد بالإسلام والإيمان فى مقتبل العمر، ولكن كفوء، لتسيير الأمور فى مكة، وتفضيله على كثير من الشيوخ وكبار السن) حطّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سداً خيالياً، ومفهوماً باطلاً فى مجال التوظيف والتأثير.

فإنّ جماعه من الناس لما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «عتاباً» على أهل مكة قالوا:

إنّ محمّداً لا يزال يستخفّ بنا حتى ولى علينا غلاماً حدث السنّ ابن ثمانية عشر سنة، ونحن مشايخ ذوو الأسنان، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله فى كتاب كتبه لعتاب:

«لا- يحتجّ محتجّ منكم فى مخالفته بصغر سنّه، فليس الأكبر هو الأفضل، بل الأفضل هو الأكبر، وهو الأكبر فى موالاتنا وموالاه أوليائنا ومعاده أعدائنا، فلذلك جعلناه الأمير عليكم والرئيس عليكم، فمن أطاعه فمرحّباً به ومن خالفه فلا يُبعد الله غيره» (١).

وبهذا أثبت صلى الله عليه وآله وسلم عملياً أنّ حيازه المناصب الاجتماعيه إنّما تدور فقط حول معيار الأهليه والجداره، والكفاءه، وأنّ صغر السنّ لا يمنع من ذلك إذا كان صاحبه يتمتع بكفاءه عاليه.

ص: ٦٠٩

ثم إنَّ «عَتَاباً» قام فخطب في الناس فقال: أَيُّهَا النَّاسُ أَجَاعَ اللَّهُ كَيْدَ مَنْ جَاعَ عَلَى دَرَاهِمٍ، فَقَدْ رَزَقَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلِمَ دَرَاهِمًا كُلَّ يَوْمٍ، فَلَيْسَتْ بِي حَاجَةٌ إِلَى أَحَدٍ (١).

وأحسن رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم الاختيار أيضاً عندما عَيَّن «معاذ بن جبل» ليعلمَ الناس القرآن ويفقههم في الدين، فقد كان معاذ مَمَّن عرف بالفقه، والمعرفة بأحكام القرآن بين أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم حتَّى أن رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم لَمَّا بعثه للقضاء، إلى اليمن سأله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم: بِمَ تَقْضِي إِنْ عَرَضَ قِضَاءٌ؟ فقال: أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ.

قال: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟

قال: أَقْضِي بِمَا قَضَى بِهِ الرَّسُولُ.

قال: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا قَضَى بِهِ الرَّسُولُ؟

قال: أَجْتَهُدُ رَأْيِي وَلَا آلُو.

فضرب النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم صدره، وقال:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لَمَّا يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ» (٢).

### قِصَّةُ كَعْبِ بْنِ زَهْرٍ بْنِ أَبِي سَلْمَى

كان «زهير بن أبي سلمى» من شعراء العرب البارعين في العهد الجاهلي، فهو صاحب إحدى المعلقات السبع التي بقيت منصوبه في الكعبة المعظمة حتَّى

ص: ٦١٠

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٩٣٦/٤. ويكتب الجزري في أسد الغابه: (ج ٣ ص ٣٥٨) كان عتاب رجلاً خبيراً صالحاً فاضلاً.

٢- . الطبقات الكبرى: ٣٤٧/٢ و ٣٤٨.

قُبيل نزول القرآن الكريم، وكانت تفتخر بها العرب، وتبدأ معلقته تلك بقوله:

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَهُ لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانِهِ الدَّرَاجَ فَالْمَتَّلَمَّ

وقد توفي «زهير» قبل عصر الرساله، وخلف ولدين هما: «بجير»، و «كعب» وكان الأول ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونصيره، وأحبه، بينما عادى الثانى (كعب) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشده، وحيث إنه كان ذا قريحه شعريه موروثه قويه، لهذا كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى قصائده وأشعاره ويؤلب الناس ضد الإسلام.

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فى الرابع والعشرين من شهر ذى القعدة كان «بجير» قد شارك مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى فتح مكه، وحصار الطائف، وقد شاهد عن كثب كيف هدّد النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالقتل بعض الشعراء الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويؤلبون الناس ضد الإسلام، وأهدر دماءهم.

فكتب بهذا إلى أخيه (كعب) ونصحه فى آخر كتابه قائلاً: إن كانت لك فى نفسك حاجه فطر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً. (١)

فاطمأن كعب بكلام أخيه، وتوجه من فوره إلى المدينة فدخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتهياً لصلاه الصبح، فصلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأول مره ثم جلس إليه، ووضع يده فى يده، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يعرفه، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسيلاً فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نعم.

ص: ٦١١

قال: أنا يا رسول الله كعبُ بن زهير(١).

ثم أخرج كعبُ قصيدته اللامية العصماء التي مدح فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي كان قد أنشأها من قبل، وأنشدها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد ليتلافى بها ما سبق أن بدر منه من هجاء وطعن في سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم(٢).

وهذه القصيدة الرائعة هي من أفضل قصائد كعب وقد اعتنى المسلمون بحفظها ونشرها منذ أن أنشدها الشاعر المذكور بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد، وقد شرحها علماء الإسلام كثيراً، وعدد أبيات هذه اللامية (أى التي تنتهى قوافيها باللام المضمومه) ٥٨ بيتاً ومطلعها:

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولٌ متيمٌ إثرها لم يُفدَ مكبولُ

لقد بدأ كعب قصيدته هذه - على عادة شعراء العهد الجاهلي (الذين كانوا يبدأون قصائدهم بمخاطبه محبوبتهم أو مخاطبه الأطلال) - بذكر سعاد زوجته وابنه عمه، ولقد خصّها بالذكر لطول غيبته عنها، لهروبه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيقول:

فارتقتني سعادُ فراقاً بعيداً فقلبي اليوم أسقمه الحبُّ، وأضناه، فهو ذليلٌ لغيبتها لم يخلص من الأسر والقيد.

ثم يمضى فى هذا النمط من الكلام حتى يصل إلى أن يعتذر من صنيعه السيئ فقال:

تُبئتُ أن رسولَ الله أوعدنى والعفوُ عند رسولِ الله مأمولُ

ص:٦١٢

---

١- . روى أنه وثب على كعب - فى تلك الحال - رجلٌ من الأنصار فقال: يا رسولَ الله دعنى وعدوَّ الله أن أضرب عنقه، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: دعه عنك فإنه قد جاء تائباً نازعاً (عما كان عليه). لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٩٣٨/٤-٩٣٩.

٢- . السيره الحلبيه: ٢٣٩/٣.

مهلاً هداك الذى أعطاك ناف - له القرآن فيها مواعظٌ وتفصيلٌ

لا تأخذنى بأقوال الوُشاه ولم أذنب ولو كثرت فى الأقاويل

إلى أن قال:

إن الرسول لنورٌ يُستضاء به مُهنّدٌ من سيوف الله مَسلولٌ (١)(٢)

### حُزْنُ قَارِنٍ فَرِحاً

فى أواخر السنه الثامنه للهجره فقد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كُبرى بناته: «زينب»، وقد تزوّجت زينب قبل البعثه بابن خالتهأبى العاص، وآمنت بأبيها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بعد البعثه من دون تأخير، ولكنّ زوجها ظلّ على شركه، وشارك فى «بدر» ضدّ الإسلام والمسلمين، وأُسِرَ فى تلك المعركه فخلّى رسول الله سبيله، شريطه أن يبعث بابتته «زينب» إلى المدينه.

وفعل ابنُ العاص ذلك فجَهَرَ زوجته «زينب» وبعثها برفقه أخيه إلى المدينه، غير أنّ ساده قريش عرفوا بذلك، فكلّفوا من يُعيدّها إلى مكّه، فلحق بها هيار بن الأسود فروّعها وطعن هودجها برمح ففزعت زينب ابنه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وأسقطت حملها من شدّه الفزع، ولكنّها لم تنصرف عن الذهاب إلى المدينه، فقد واصلت سيرها حتى قدّمت المدينه وهى عليه، وقضت بقيه عمرها مريضه حتى

ص: ٦١٣

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٩٣٩/٤-٩٤١.

٢- . يقال: إن كعباً عندما فرغ من إنشاء قصيدته كساه النبى صلى الله عليه و آله و سلم بُرده كانت عليه، فلما كان زمن معاويه أرسل إلى كعب أن بعنا بُرده رسول الله، فقال: ما كنت لأؤثر بثوب رسول الله أحداً، فلما مات كعب اشتراها معاويه من أولاده بعشرين ألف درهم، وهى البرده التى كان يلبسها الخلفاء الأمويون والعباسيون (راجع: الكامل فى التاريخ: ٢٧٦/٢).

توفيت في أواخر السنه الثامنه من الهجره. (١)

ولكن هذا الحزن قارنته فرح وسرور فقد زُرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أواخر نفس ذلك العام ولدأ أسماه «ابراهيم» من زوجته «ماريّه القبطيه» (وهي الجاريه التي أهداها المقوقس حاكم مصر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).  
والجدير بالذكر أنه عندما بشرت سلمى (المولده) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، أعطها هديه ثمينه، وعق له في اليوم السابع من ولادته، وحلق شعره، وتصدق بوزن شعره، فضه في سبيل الله (٢).

ص: ٦١٤

---

١- . لاحظ: الاستيعاب: ١٨٥٤/٤ برقم ٣٣٦٠؛ البدايه والنهايه: ٣/٣٩٩؛ أعيان الشيعة: ٤١/٧.

٢- . تاريخ الخميس: ١٣١/٢.

انقضت السنه الهجرية الثامنه بكلّ حوادثها المُرّه والحُلوه، فقد سقطت أكبر قاعده من قواعد الوثنيه والشرك في أيدي المسلمين، وعاد رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينه ظافراً منتصراً على أعداء الإسلام انتصاراً كاملاً، وقد هيمنت ظلالُ القوه العسكريه الإسلاميه على أكثر أنحاء الجزيره العربيه ونقاطها.

كما أخذت القبائل العربيه المتمرّده التي لم تكن تتصوّر إلى ذلك اليوم أن تتحقّق مثل هذه الانتصارات لدين التوحيد، أخذت تفكّر شيئاً فشيئاً في التقرب إلى المسلمين وقبول معتقداتهم، واعتناق دينهم.

من هنا كانت وفودُ القبائل العربيه المختلفه، وأحياناً مجموعه من أفراد قبيله ما بقياده رئيسها تقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعلن عن إسلامها، وقبولها للرساله المحمديه.

وقد ازداد قدومُ وفود القبائل هذه على عاصمه الإسلام (المدينه المنوره)

فى هذا العام حتّى سمى بعام الوفود(١).

وعندما قدم وفدٌ من قبيله «طى» وفيهم سيدهم «زيد الخيل» على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحادث مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم أعجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعقل زيد وحكمته ووقاره فقال عنه:

«ما ذُكر لى رَجُلٌ من العرب بفضلٍ ثم جاءنى إلارأيتُهُ دونَ ما يُقال فيه، إلّا زيد الخيل، فإنّه لم يبلغ كلّ ما كان فيه».

ثم سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيد الخير(٢).

إنّ دراسه قصه الوفود، والإمعان والتدبّر فى ما دار بينهم وبين رسول الإسلام

ص: ٦١٤

١- . لقد سجّل المؤرّخ المعروف محمّد بن سعد - فى كتابه - خصوصيات وأسماء هذه الوفود وتفاصيل القسم الأكبر ممّا دار بينها وبين النبى صلى الله عليه وآله وسلم وما خصّهم به رسول الإسلام من اللطف لا يسع المجال لذكره هنا، وقد ذكر أسماء ثلاثه وسبعين وفداً من تلك الوفود الّتى وفدت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طوال السنه التاسعه من الهجره أو ما قبلها بقليل (الطبقات الكبرى: ١/٢٩١-٣٥٩).

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٩٩٩/٤. هذا وينبغى الإشاره هنا وبالمناسبه إلى أنّه كان من سيره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يغيّر الأسماء القبيحه الّتى اعتاد الجاهليّون على تسميه أبنائهم بها أشاراً للاسم الحسن، ولأنّ الاسم يورث الاحساس بالشخصيه لدى صاحبه على العكس من الاسم القبيح، وقد ثبت هذا نفسياً، بل ربما غيّر الاسماء الّتى قد يشعر معها الإنسان بالعظمه، والفخر والزهو منعاً من أن تحدث لأصحابها مثل ذلك. فعن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عن أبيه عليهما السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغيّر الأسماء القبيحه فى الرجال والبلدان (قرب الأسناد: ٩٣ برقم ٣١٠) ولهذا غيّر أسماء كثيره لرجال ونساء فغيّر اسم ابنه لعمر كانت يقال لها عاصيه فسماها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميله (صحيح مسلم: ١٧٣/٦، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن) وقد روى أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ أوّل ما ينحل أحدكم ولده الاسم الحسن» (بحار الأنوار: ١٢٢/٢٣).



يفيد بوضوح وجلاء أنّ الإسلام انتشر في شبه الجزيرة العربية عن طريق الدعوة والتبليغ.

على أنّ طواغيت ذلك العصر أمثال أبي سفيان وأبي جهل كانوا يحاولون الحيلولة دون انتشار هذا الدين، فكانت لأجل ذلك حروب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمضافاً إلى أنّ أكثرها كان لإفشال تلك المؤامرات، كان الهدف منها هو قمع أولئك الطواغيت الذين كانوا يصدّون عن سبيل الله ويمنعون من دخول مجموعات الدعوة والتبليغ الإسلاميه إلى مناطق الحجاز ونجد وغيرها.

إنّ من البديهي أن لا يتيسّر انتشار أيّ دين، وتطبيق أي برنامج إصلاحي من دون تحطيم الطواغيت، وإزاله الأشواك من طريقه.

ومن هنا نرى أنّ جميع الأنبياء والرسل - وليس رسول الله فقط - كانوا يجتهدون قبل أي شيء في تحطيم الطواغيت وإزاله السدود والموانع، من طريق الدعوة.

ويتحدّث القرآن الكريم في سورة خاصّه عن قدوم هذه الوفود على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما حقّقه الإسلام من فتح وانتصار ساحق إذ يقول:

«بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ \* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّهِ أَفْوَاجاً \* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً» (١)

وبالرغم من هذا الإقبال المتزايد على الإسلام لدى القبائل وقدوم الوفود المتلاحق على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد قام في السنه التاسعه من الهجره ببعث عدّه سرايا، ووقعت غزوه واحده، وكانت السرايا هذه لأجل إفشال المؤامرات التي

ص: ٦١٧

كانت تحاك ضد الإسلام والمسلمين، وكانت في الأغلب لهدم الأصنام الكبيره التي كانت لا تزال القبائل العربيه المشركه تقدسها وتعبدها، ومن جمله هذه السرايا سريه على بن أبي طالب عليه السلام التي وُجّهت إلى أرض «طى» بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن بين ما وقع في السنه التاسعه يمكن الإشاره إلى غزوه «تبوك».

ففي هذه الغزوه غادر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينه متوجّهاً إلى أرض تبوك، ولكنّه لم يلق فيها أحداً، فعاد من غير قتال، إلّا أنّه مهّد الطريق لفتح البلاد الحدوديه لمن يأتي في المستقبل.

## هدم بيوت الأصنام

لقد كانت الوظيفه الأساسيه الأولى من وظائف النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي: نشر عقيدته التوحيد، واجتثاث جذور كلّ نوع من أنواع الشرك، وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يسلك - لتحقيق هذه الغايه، ولإرشاد الضالين والوثنيين - طريق المنطق والاستدلال، قبل أى شىء فكان يلفت أنظارهم بالأدله الواضحه والبراهين الساطعه إلى بطلان الشرك والوثنيه، فإذا لم يُجد معهم المنطق المبرهن، والإرشاد المستدل، ولجّوا في كفرهم وشركهم سمح لنفسه بأن يتوسّل بالقوه، ويداوى أولئك المرضى روحاً وفكراً والذين يمتنعون عن استعمال الدواء وبمحض اختيارهم، بالمعالجه الجبريه.

فإنّه إذا شاع داء «الكوليرا» في بلد من البلدان مثلاً، وامتنع فريق من الناس عن قبول تلقيحهم بالمصل اللازم لمكافحه ذلك المرض، فإنّ المسؤول في ذلك البلد يرى لنفسه الحقّ في أن يجبر تلك الجماعه الضيقه التفكير التي تعرّض سلامه نفسها وسلامه غيرها للخطر من حيث لا تشعر على الرضوخ لعملية التلقيح المذكوره.

لقد أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ضوء تعاليم الوحي أنّ الوثنيه أشبه شىء بجرثومه «الكوليرا» تهدم فضائل الإنسان، وشرفه، وتقضى على مكارم الأخلاق، وتحطّ من مكانه الإنسان الرفيعه، وتجعله كائناً حقيراً أمام الطين والحجر والموجودات المنحطه.

وعلى هذا الأساس أمر من جانب الله تعالى بأن يجتث جذور الشرك من كيان ذلك المجتمع الموبوء، ويزيل كلّ مظاهر الوثنيه، وكلّ أنواعها وأشكالها، وإذا ما قاومت جماعة هذا العمل، وعارضت هذا الإجراء حطّم مقاومته بالقوه العسكريه، والقبضه الحديدية.

إنّ التفوق العسكري أعطى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرصه بعتّ الفرق العسكريه لتحطيم وهدم كلّ بيوت الأصنام، وأن لا يبقوا في منطقه الحجاز صنماً إلّاهدموه.

### عليّ في أرض طي

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرف من قبل، أن في قبيله طيّ صنماً كبيراً يُقدّس إلى الآن ومن هنا بعث صلى الله عليه وآله وسلم بطل جيشه الشجاع علي بن أبي طالب عليه السلام على رأس مائه وخمسين فارساً إلى أرض طيّ، وأمره بأن يحطّم صنم طيّ، ويهدم بيته.

وقد أدرك قائد هذه السريه أنّ القبيله المذكوره ستقاوم جنود الإسلام، وأنّ الأمر لن يتمّ من دون قتال، ولهذا حمل بأفراده على موضع ذلك الصنم، عند الفجر والناس نيام، فاستطاع أن يأسر جماعه من تلك القبيله ممّن قاوم، وأن يعود بهم وبالغنائم إلى المدينه، وقد فرّ «عدى بن حاتم الطائي» الّذى انضمّ فيما بعد إلى صفوف المسلمين، المجاهدين في سبيل الله، وكان يرأس تلك القبيله، حين سمع بتوجه علي عليه السلام نحوها.

ولنستمع إلى عدى الطائي نفسه وهو يقص علينا قصه هروبه.

### قصة إسلام عدى بن حاتم الطائي

يقول عدى: ما من رجل كان أشد كراهيه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين سمع به، متى.

أمياً أنا فكنتُ امرأً شريفاً، وكنتُ نصرانياً، وكنتُ أسيرُ في قومي بالمرباع (أى أخذ الربيع من الغنائم لأنى سيدهم) فكنتُ في نفسى على دين، وكنتُ ملكاً في قومي لما كان يُصنع بى. فلما سمعتُ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كرهته، فقلتُ لـغلام كان لى عربى، وكان راعياً لإبلى: لا- أبأ لك أعددُ لى من إبلى أجماً ذُللاً سماناً، فاحتبسها قريباً منى، فإذا سمعتُ بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فأذنى؛ ففعل.

ثم إنه أتاني ذات غداه، فقال: يا عدى ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيلُ محمد، فأصنعه الآن، فإنى قد رأيتُ رايات، فسألتُ عنها، فقالوا: هذه جيوش محمد.

قال: فقلت: فقرب إلى أجمالى فقربها، فاحتملتُ بأهلى وولدى، ثم قلتُ:

ألحقُ بأهل دينى من النصرارى بالشام فسلكتُ الجوشيه(1) وخلفتُ بنتاً لحاتم فى الحاضر، فلتياً (وصلت) الشام أقمت بها. وتخالفتنى خيلُ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتصيب (أختى) ابنه حاتم فيمن أصابت، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى سبايا من طى، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هروبى إلى الشام.

فجعلتُ ابنه حاتم فى حظيره بباب المسجد، كانت السبايا يُحبسن فيه، فمَرَّ بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقامت إليه أختى وكانت امرأه جزله، فقالت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هلكتُ الوالد، وغاب الوافد، فأمنن على من الله عليك.

ص: ٦٢٠

١- الجوشيه: جبل للضباب قرب ضريه، من أرض نجد.

قال: ومن وافدك؟

فقال: عدى بن حاتم.

قال: الفار من الله ورسوله؟

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتركنى حتى إذا كان من الغد مرّ بى، فقلت له مثل ذلك، وقال لى مثل ما قال بالأمس. حتى إذا كان من الغد مرّ بى وقد يئست منه، فإشار إلى رجل من خلفه أن قومي فكلّميه، فقامت إليه، وقالت: يا رسول الله هللك الوالد، وغاب الوافد، فامنن على من الله عليك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قد فعلت فلا- تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم أذيني».

تقول أختى: فسألت عن الرجل الذى أشار إلى أن أكلمه فليل: على بن أبى طالب رضوان الله عليه.

وأقمت حتى قدم ركب من بلّى أو قضاعه قالت: وأنما أريد أن آتى أخى بالشام. قالت: فجنّت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لى فيهم ثقة وبلاغ.

قالت: فكسانى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحملنى، وأعطانى نفقه، فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قال عدي: فوالله إنى لقاعد فى أهلى إذ نظرت إلى ظعينة (وهى المرأة فى هودجها) تصوب إلى تؤمنا قال: فقلت ابنه حاتم، قال: فإذا هى هى، فلما وقفت على انسحلت (أخذت فى اللوم) تقول: القاطع الظالم، احتملت بأهلك وولدك، وتركت بقيه والدك عورتك.

فقلت: أى أخيه، لا تقولى إلّا خيراً، فوالله مالى من عذر، لقد صنعت ما

ذكرت، ثم نزلت فأقامت عندي فقلت لها، وكانت امرأه حازمه: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟

قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذلل في عز اليمن، وأنت أنت. فقلت: والله إن هذا الرأي.

قال عدى: فخرجت حتى أقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فدخلت عليه، وهو في مسجده، فسلمت عليه، فقال: من الرجل؟ فقلت: عدى بن حاتم، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه، إذ لقيته امرأة ضعيفه كبيره فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها. فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك.

ثم مضى بي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا دخل بي بيته تناول وساده من آدم محشوه ليفاً فقاذها إلي، فقال: اجلس على هذه، فقلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأرض (وهو عظيم الحجاز) فقلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: إيه يا عدى بن حاتم، ألم تك ركوسياً (وهو دين بين دين النصارى والصابئين)؟

قلت: بلى.

قال: أولم تكن تسيرون في قومك بالمرباع؟

قلت: بلى.

قال: فإن ذلك لم يحل لك في دينك.

قلت: أجل والله، وعرفت أنه نبي مرسل، يعلم ما يُجهل، ثم قال: لعلك يا عدى إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ماترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه

ص: ٦٢٢

ما ترى من كثرة عدوهم وقله عددهم، فوالله ليوشكنَّ أن تسمع بالمرأه تخرج من القادسيه على بعيرها حتى تزور هذا البيت، لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم.

قال عدى: فأسلمت.

وكان عدى يقول: قد مضت اثنتان وبقيت الثالثه والله لتكونن، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأه تخرج من القادسيه على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وأيم الله لتكونن الثالثه، ليفيظن المال حتى لا يوجد من يأخذه(١).

ولقد نقل العلامة الطبرسي في تفسير قوله تعالى: «اتخذوا أخبارهم و رهبانهم أزبأبا من دون الله و المسيح ابن مريم» (٢) اللقاء العدى تم بين عدى ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقول: قال عدى انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقرأ من سورة البراء هذه الآيه: «اتخذوا أخبارهم...» حتى فرغ منها، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، فقال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه، فقلت:

بلى، قال: فتلك عبادتهم(٣).

ص: ٦٢٣

- 
- ١- . المغازى: ٩٨٨/٢ و ٩٨٩؛ السيره النبويه لابن هشام: ١٠٠٠/٤-١٠٠٢؛ الدرجات الرفيعه فى طبقات الشيعة الاماميه: ٣٥٢-٣٥٤؛ السيره الحلييه: ٢٥٧/٣-٢٥٩.
  - ٢- . التوبه: ٣١.
  - ٣- . مجمع البيان: ٤٣/٥-٤٤.

تبوك هي قلعة قويّة، رفيعه الجدران مقامه عند عين ماء على الشريط الحدودى السورى فى طريق «حجر» و «الشام».

وكانت سوريه آنذاك من مستعمرات إمبراطوريه الروم الشرقيه، التى كانت عاصمتها القسطنطينيه.

وكان جميع سكان المناطق الحدوديه للشام نصارى على دين المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وكان أكثر زعمائها ولاء منصوبين من قبل حاكم الشام الذى كان يمثّل هو بدوره إمبراطور الروم، ويمثّل أوامره.

ولقد كان لانتشار الإسلام السريع فى شبه الجزيره العربيه وفتوحات المسلمين المشرقه فى الحجاز صداه فى خارج الحجاز ينعكس بالوسائل الموجوده فى ذلك اليوم، وكان ذلك يُرعبُ الأعداء، ويدفعهم إلى التفكير فى حيله.

ولقد دفع سقوط حومه «مكه» الوثنيه، واعتناق زعماء الحجاز الكبار للدين الإسلامى، وبطولات جنود الإسلام الباهره وبسالتهم وتفانيهم الفريد فى طريق عقيدتهم، بامبراطور الرّوم إلى أن يحشد جموعاً كبيره، ويتهيأ لمهاجمه المسلمين



وغزوهم بغته، لأنّه كان يرى تزلزل سلطانه مع انتشار الإسلام المطّرد، وكانت مخاوفه تزداد يوماً بعد يوم وهو يرى تعاظم القوه الإسلاميه العسكريه، وانتشار نفوذه السياسى.

كانت الروم - آنذاك - المنافسه الوحيده، والقويه لإيران، وكانت تملك أعظم قوه عسكريه، وكانت معتزّه أشد الغرور بنفسها، لما أصابته من فتوحات وانتصارات فى معاركها الكبرى مع إيران، وما ألحقته من هزائم نكراء بإيران فى تلك العصور.

وقد كان جيش الروم يتألف من أربعين ألف فارس وراجل، وكان مجهّزاً بأحدث أسلحه وتجهيزات ذلك العصر، وقد استقرّ هذا الجيش على الشريط الحدودى لأرض الشام، والتحقّت به قبائل عديده تسكن الحدود مثل قبيله:

«لخم»، «عامله»، «غسان»، و «جدام»، وتقدمت طلائع ذلك الجيش حتّى منطقه «البلقاء».

ولقد بلغ نبأ استقرار فريق من جنود الروم على الشريط الحدودى للشام إلى مسامع النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق القوافل التجاريه التى تعمل على طريق الحجاز - الشام، فلم ير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بُيداً من أن يردّ على هؤلاء المعتدين، بجيش عظيم، ويحافظ بذلك على الدين الذى قام بفضل الدماء الزكيه التى أريقّت من أصحابه، وبفضل تضحياته هو صلى الله عليه وآله وسلم وهو الآن على أبواب أن يعمّ العالم نورُه وهُداه، من ضربات العدو المفاجئه.

ولقد بلغ هذا الخبر المقلق أهل المدينه، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، والناس فى زمان عسره، وشده من الحرّ، وجذب من البلاد، وقد طابت الثمار، والناس يحبّون المقام فى ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص

على الحال الذي هم عليه.

ولكن الدوافع المعنوية، وروح الحفاظ على الأهداف المقدّسه، والجهاد في سبيل الله مقدّم عند عباد الله المؤمنين الصالحين على كلّ تلك الأمور.

### تعبئة المقاتلين وتهيئه نفقات الحرب

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرف على نحو الإجمال مدى وحجم استعدادات العدو، وطاقاته، وقدرته على القتال. من هنا كان مطمئناً إلى أنّ الانتصار في هذه المعركة بحاجة - مضافاً إلى الخلفيه المعنويه القويه وهي الإيمان بالله والقتال ابتغاء مرضاته - إلى قوه عسكريه كبيره جداً ولهذا بعث رجالاً إلى مكّه، ونواحي المدينه يدعون المسلمين إلى المشاركه في الجهاد في سبيل الله، ويحثون أهل الغنى والثروه، على تهيئه نفقات الجهاد في سبيل الله من الزكاه.

وأخيراً أعلن ثلاثون ألفاً من المسلمين استعدادهم للمشاركه في هذه الغزوه واجتمعوا في معسكر عند «ثنيه الوداع» وتهيئاً قدر كبير من نفقات القتال عن طريق الزكاه، وكان الجيش الإسلامي يتألف من عشره آلاف فارس، وعشرين ألف راجل.

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تتخذ كل قبيله رايه لنفسها.

### المتخلفون عن القتال

كانت غزوه «تبوك» خير معيّن لمعرفة المجاهدين الصادقين وتمييزهم عن غير الصادقين من أدعياء الإيمان والمنافقين؛ لأنّ التعبئه العامه لهذه الغزوه أعلنت في وقت كان الناس يستعدون فيه للحصاد من جهه، وكان الحرّ على أشده من ناحيه

أخرى، فكشفت تخلفُ البعض - بالأعذار والحجج المختلفه - القناع عن وجههم الحقيقي، ونزلت آياتٌ في ذمهم جميعها في سورة براءه.

لقد تخلفُ البعض عن المشاركة في هذه الغزوه للأسباب والعلل التاليه:

١. عندما قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم للجندِّ بن قيس بن صخر الأنصاري - وكان من الشخصيات ذات المكانه الاجتماعيه المرموقه -:

«أبا وهب هل لك العام تخرج معنا؟»

فقال: أو تأذن لي، ولا تفتني (١) فوالله لقد عرف قومي ما أهدد أشدَّ عجباً بالنساء مني، وإنني لأخشى إن رأيتُ نساء بني الأصفر (الروم) لا أصبرُ عليهنَّ. (٢)

فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن سمع منه ذلك العذر الصياني، وقد نزل فيه قول الله تعالى:

«وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أُنذِرْ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ» (٣)

٢. المنافقون: إن جماعه ممن تظاهروا بالإسلام والإيمان وهم منه خلؤ، أخذوا يثبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوه تبوك، وربما تحججوا بشده الحر فقالوا: يغزو محمد بن الأصفر مع جهيد الحال والحر، والبلد البعيد، إلى ما لا قبيل له به، يحسب محمد أن قتال بني الأصفر اللعب، وناقق بمن معه ممن هو على مثل رأيه، ثم قال: والله لكأني أنظر إلى أصحابه غداً مقرنين في الجبال. (٤) فنزل فيهم قول الله تعالى:

ص: ٦٢٧

١- . أي أخشى الافتتانُ بينات الروم فلا تفتني بهنَّ يا رسول الله.

٢- . إمتاع الأسماع: ٤٨/٢؛ المغازي: ٩٩٢/٢.

٣- . التوبه: ٤٩.

٤- . إمتاع الأسماع: ٥١/٢؛ المغازي: ٩٩٥/٢.

«وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ \* فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَ لِيُبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (١).

## اكتشاف شبكته جاسوسيه في المدينه

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما أسلفنا يولى مسأله تحصيل المعلومات عن العدو وتحركاته اهتماماً كبيراً، وكان أكثر انتصاراته تعود إلى حُسن استخدامه لهذه الوسيله، وبالتالي لمعرفة الدقيقه بتحركات العدو ونشاطاته، وعلى هذا الأساس كان يقضى على الكثير من المؤامرات في مهدها.

ولقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن عدداً من المنافقين يجتمعون في بيت «سويلم» اليهودى،... يشبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوه تبوك، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «طلحه بن عبيد الله» في نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت «سويلم». ففعل طلحه.

فاقتحم الضحاك بن خليفه من ظهر البيت، فانكسرت رجله، واقتحم أصحابه فأفلتوا، فقال الضحاك في ذلك:

كَادَتْ وَبَيْتِ اللَّهِ نَارُ مُحَمَّدٍ يَشِيْطُ بِهَا الضَّحَّاكُ وَابْنُ أَبِي رِيْقٍ

وَظَلَّتْ وَقَدْ طَبَّقَتْ كِبَسَ سَوَيْلِمٍ أَنْوَاءٌ عَلَى رِجْلِي كَسِيْرًا وَمَرْفَقِيْ

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا أَعُوذُ لِمِثْلِهَا أَخَافُ وَمَنْ تَشْمَلُ بِهِ النَّارُ يَحْرَقُ (٢)

٣. البكاؤون: لقد أتى رجال من المسلمين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يرغبون في الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه الغزوه، وطلبوا منه ما يحملهم عليه من دابه

ص: ٦٢٨

١- . التوبه: ٨١-٨٢.

٢- . السيره النبويه لابن هشام: ٩٤٤/٤.

فقد كانوا أهل حاجه فقراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا أجد ما أحملكم عليه».

فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً، ألا يجدوا ما ينفقون. (١)

فإذا كان بين أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجالٌ نافقوا، وتركوا الخروج مع رسول الله متعللين، بالأعذار السخيفه، فقد كان إلى جانب ذلك أيضاً من كان يبكى بكاءً مراً لعدم تمكنه من المشاركة في الجهاد المقدس، حتى عرفوا في التاريخ الإسلامي بالكائين، ونزل فيهم قرآنٌ إذ يقول تعالى:

«وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّاتِمْ لِيَتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ» (٢).

٤. المتخلفون: ولقد أبطأ بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الخروج، وتخلّفوا لا عن شكٍ وارتياب، أو رغبه عن الجهاد في سبيل الله، وقد كانوا أهل صدق لا يُتهمون في إسلامهم، إنما تخلّفوا حتى يلتحقوا بركب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن يفرغوا من الحصاد والقطاف وهم (المخلفون) الثلاثة حسب تعبير القرآن الكريم الذين فاتتهم غزوة تبوك، فوبّخهم الله تعالى وعاقبهم على تخلّفهم ليكون في ذلك عبره لمن سواهم، كما ستعرف تفصيل ذلك عما قريب.

٥. المجاهدون الصادقون: الذين لبوا نداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتهيأوا من فورهم للخروج معه في شوق بالغ، ورغبه عظيمه في الجهاد.

ص: ٦٢٩

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٩٤٥/٤.

٢- . التوبه: ٩٢.

لقد كان من أبرز فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه شارك في جميع المعارك، ولازم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جميع غزواته - وكان هو حاملُ لوائه في تلك المعارك والغزوات - ما عدا تبوك حيث بقي في المدينة بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يشارك في هذا الجهاد المقدس؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يدرك جيداً أنّ بعض المنافقين والمتربّصين، والمتحّين الفرص من رجال قريش سيستغلّون فرصة غيبه النبي القائد عن المدينة (مركز الدولة الإسلامية) فيثرون فيها فتنه، ويجهزون على الحكومة الإسلامية الفتية بانقلاب أو ما شابه ذلك، وأنّ مثل هذه الفرص إنّما تسنح لهم إذا قصد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكاناً نائياً، وانقطع ارتباطه بعاصمه الإسلام (المدينة)!! ولقد كانت «تبوك» أبعد نقطة خرج إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جميع غزواته، فكان يحدث - بقوه - أن تقوم القوى المضادة للإسلام بقلب الأوضاع في غيابه، ويجمعوا من يروا رأيهم ويذهب مذاهبهم من شتى أنحاء الحجاز، ويتحدوا لضرب الدولة الإسلامية والقضاء عليها من الداخل.

ولهذا - رغم أنه استخلف «محمّد بن مسلمه» على المدينة - قال للامام «علي ابن أبي طالب»:

«إنّ المدينة لا تصلح إلّابي أو بك، فأنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي». (١)

ولقد أزعج بقاء عليّ عليه السلام في المدينة، المنافقين الذين كانوا يتربّصون

ص: ٦٣٠

بالإسلام الدوائر، ويتحینون الفرصه، ويفكرون فى انقلاب فى غيبه النبى صلى الله عليه وآله وسلم، لأنهم كانوا يعرفون أنهم لن يعودوا يستطيعون مع وجود على عليه السلام فى المدينه، ومراقبته الدقيقه لتحركاتهم ونشاطاتهم فعل أى شىء مما كانوا ينوون القيام به، ولهذا أرجفوا به، وبثوا شائعات خبيثه حوله، بغيه إجباره على مغادره المدينه فقالوا:

ما خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علينا إلا استتقلاً له، وتخففاً منه، أو: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاه إلى الخروج لتبوك، ولكن علينا امتنع من الخروج بحجبه الحر الشديد، وبعد الطريق وإيثاراً للدعه والراحه والرفاهيه!!

ولإبطال هذه الشائعه الخبيثه، وتكذيب هذا الكلام، أخذ على عليه السلام سلاحه، وخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو نازل بالجرف (وهو موضع على ثلاثه أميال من المدينه) فقال:

«يا نبى الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقتني وتخفت مني».

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينئذ كلمته التاريخيه الخالده التى تعتبر من أبرز الأدله وأقواها وأوضحها على إمامه على بن أبى طالب عليه السلام وخلافته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا فصل:

«كذبوا، ولكننى خلفتكم لما تركت ورائى، فأرجع فأخلفنى فى أهلى وأهلك، أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى»(١).

فرجع على عليه السلام إلى المدينه المنوره، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على سفره(٢).

ص: ٦٣١

١- لاحظ: صحيح البخارى: ١٢٩/٥، باب غزوه تبوك؛ صحيح مسلم: ١٢٠/٧، باب فضائل على عليه السلام.

٢- السيره النبويه لابن هشام: ٩٤٧/٤؛ السيره الحلبيه: ١٠٤/٣؛ الطبقات الكبرى: ٢٣/٣ و ٢٤؛ إمتاع

لقد دأب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - إذ خرج لتأديب قوم يكيّدون بالاسلام، ويمنعون من تقدّمه وانتشاره، أو يقصدون الهجوم على المدينة واجتياحها، أو إيجاد فتن فيها - على أن لا يبوح بمقصده ووجهته لجنوده وأُمرائه جيشه، وأن يسير بالجيش في طريق آخر غير الوجه العدىّ ينويه باطناً، حتّى لا يعرف به العدو فيتهيأ لمواجهته، وبذلك يتسنّى له صلى الله عليه وآله وسلم أن يباغت العدو، ويحقّق الانتصار الساحق عليه(١).

غير أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدل عن هذه السيره في قضيه غزو الروميين الذين اجتمعوا في حدود الشام وهم يتأهبون للهجوم على عاصمه الإسلام.

فقد بين للناس - منذ أعلن التعبئة العامه - الوجهه التي يقصدها، وكان السرّ في ذلك هو أنّ يعرف المجاهدون أهميه هذا السفر وصعوبته، وأن يحملوا الزاد الكافي والعدّه اللازمه.

هذا مضافاً إلى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان مضطراً - لتقويه الجيش الإسلامى إلى أن يستعين بقبائل «تميم» و«غطفان» و«طى» التي كانت تسكن في مناطق بعيدة عن المدينة. وقد عمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهذا الغرض إلى مراسله زعماء تلك القبائل وساداتها، كما كتب إلى «عتاب بن أسيد» أمير مكّه الشاب دعا فيه رجال تلك

ص: ٦٣٢



القبائل، وفتيان مكّه إلى المشاركة في هذا الجهاد المقدس(١).

ومثل هذا النوع من الدعوه الصريحه العامه لا ينسجم مع الكتمان والسريه، لأنه كان لابد أن يخبر صلى الله عليه وآله وسلم رؤساء القبائل في هذا الموضوع، ويذكر لهم أهميته، ليحملوا معهم الزاد والعهده اللازمه الكافيه.

### النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستعرض جيشه

ولما حان موعد تحرك الجيش استعرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جيشه في معسكر المدينة العظيم، المؤلف من المؤمنين الفدائيين الغيارى على الإسلام، والذين فضّلوا المشقّه والموت في سبيل الهدف على الاستراحة في الظلال، والتجاره، وكسب المال واكتناز الثروه، وخرجوا يستقبلون الموت في سبيل الدين بقلوب تفيض إيماناً و يقيناً.

لقد كان هذا المشهد مشهداً جميلاً ورائعاً جداً، وكان له أثر قوي في نفوس المتفرجين.

وفي هذه المناسبه ألقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبه مهمه، لتقويه معنويات المجاهدين، قد شرح فيها هدفه من هذه التعبئه العامه الواسعه.

فبعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله قال:

«أيها الناس! أمّا بعد، فإنّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله وأوثقُ العرى كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَخَيْرُ الْمَلَلِ مَلَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَخَيْرُ السَّنَنِ سَنَةُ مُحَمَّدٍ، وَأَشْرَفُ الْحَدِيثِ ذِكْرُ اللَّهِ، وَأَحْسَنُ الْقَصِيصِ هَذَا الْقُرْآنُ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ عَوَاقِبُهَا، وَشَرُّ الْأُمُورِ مَحَدَّثَاتُهَا، وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَشْرَفُ الْقَتْلِ قَتْلُ الشَّهْدَاءِ».

ص: ٦٣٣

إلى آخر الخطبه التي وردت بكاملها في المصادر التاريخيه والتي أدرج فيها مجموعه كبرى وهامه من التعاليم الإسلاميه الهامه فرغب الناس في الجهاد لما سَمِعُوا هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١) ثم أصدر رسول الله أوامره للجنود بالتوجه إلى ثغور الشام من الطريق الذي عيّنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

### قصة مالك بن قيس

إن مالك بن قيس «أباخيثمه» رجع بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أياماً إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه، قد رشّت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيه ماء، وهيات له فيه طعاماً فلما دخل قام على باب العريش، فنظر إلى امرأته، وما صنعتا له، فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الضح والريح والحَرّ، وأبو خيثمه في ظلّ بارد، وطعام مُهيأ، وامرأه حسناء في ماله مقيم؟ ما هذا بالنصف.

ثم قال: والله لا أدخل عريش واحده منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهيتا لي زاداً، ففعلتا ثم قدّم ناضحه فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمه «عمير بن وهيب الجمحي» يطلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢).

لقد كان هذا الرجل ممن لم يُوفّق - في بدايه الأمر - لمرافقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ أنّه التحق بركبه المقدّس ونال السعاده العظمى بحسن اختياره الذي يستحق

ص: ٦٣٤

١- المغازي: ١٠١٦/٢؛ إمتاع الأسماع: ٥٩/٢؛ بحار الأنوار: ٢١٠/٢١-٢١٢.

٢- السير النبويه لابن هشام: ٩٤٧/٤. وقد ذكر الواقدي في المغازي: ٩٩٨/٢ هذه القصة باختلاف يسير ونسبها إلى عبد الله بن خيثمه.

الإكبار والتقدير، ولم يكن مثل أولئك الذين طلبتهم السعادة ولكنهم رفضوها، وابتعدوا عنها، وآثروا البقاء في ضلالهم وشقائهم.

فهذا «عبد الله بن أبي» رئيس المنافقين وكبيرهم الذي عزم على أن يشارك مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الغزوة أقام خيمته في معسكر المسلمين، ولكنه لخبث سريره، وعدائه الشديد للإسلام ونبية الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بدّل رأيه ساعه رحيل الجيش الإسلامي، وعاد إلى المدينة مع أصحابه ليقوم بالشغب، وحيث إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان على علم بنفاقه، وخبث سريره وكان يدرك جيداً أنّ مشاركة هذا العنصر المنافق وجماعته في ذلك الجهاد لن تعود على المسلمين بفائدة، لذلك لم يهتم صلى الله عليه وآله وسلم بانفصاله عن الجيش الإسلامي ورجوعه إلى المدينة.

### مصاعب الطريق

لقد واجه جيش الإسلام في أثناء الطريق متاعب ومشاقاً كثيرة، ولهذا سُمّي هذا الجيش بجيش «العُسرة» ولكن إيمانهم العميق بالله، وحبهم الشديد للهدف المقدّس سهّل لهم تلك المصاعب، وهوّن عليهم تلك المشاق، التي استقبلوها بصدور رحبه.

لَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحَجْرِ (أَرْضُ ثَمُودَ) سَجَى ثَوْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَاسْتَحْتَّ رَاحِلَتَهُ ثُمَّ قَالَ:

«لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ بَاكُونَ خَوْفًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَهُمْ».(1)

وهو بذلك يحثُّ أصحابه على التدبّر في أحوال مَنْ مضى مِنَ الأَقْوَامِ

ص: ٦٣٥

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٩٤٩/٤.

والشعوب، والتفكر في مصائرهم وما آلوا عليه بسبب عتوهم وعنادهم، وتمردهم على الحق، فإنّ ظلال الموت التي كانت تخيم على تلك الربوع والأطلال الصامته خيرٌ عبره للأجيال والأقوام الأخرى.

ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس عن أن يشربوا من مائها شيئاً، وأن لا يتوضأوا به للصلاه، وأن لا يحاس به حيس، ولا يطبخ به طعام، وأن العجين الذي عُجِنَ به، أو الحيس الذي فُعلَ به يعلفونه الإبل، وأن الطبخ الذي طُبِخَ به يلقى، ولا يأكلوا منه شيئاً<sup>(١)</sup>، ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم إنّ الناس ارتحلوا من تلك المنطقه حتّى إذا مضى من الليل بعضه وصلوا إلى البئر التي كانت تشرب منها ناقه النبي صالح عليه السلام، فنزلوا عليها بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

### تعليمات احتياطيه

ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرف بالرياح الشديده والسامه والعواصف القويه التي كانت تهب في تلك الأرض بين الحين والآخر، وتبلغ من الشده والقوه بحيث ربما تحمل البعير بصاحبه، وتلقيه في واد آخر. ولهذا أصدر صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه تعليمات احتياطيه مشدده فأمرهم بأن يعقلوا إبلهم ولا يخرج أحد منهم في تلك الليله وحده، بل يخرج من خبائه مع صاحبه.

وقد أثبت التجارب والأحداث فيما بعد أنّ التعليمات الاحتياطيه النبويه المذكوره كانت مفيده جداً، لأنّ شخصين من بنى ساعده من الذين كانوا في ركب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تجاهلا هذه التعليمات فخرجا منفردين من خبائهما ليلاً،

ص: ٦٣٦

١- . السيره الحلبيه: ١٠٦/٣؛ السيره النبويه لابن هشام: ٩٤٨/٤.

فاختنق أحدهما لشده الرياح، بينما احتملت الريحُ الرجل الآخر، وضربت به الجبل، ولما علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك انزعج بشده وقال:

«ألم أنهكم أن لا يخرج أحد منكم إلاّ ومعه صاحبه» (١).

هذا وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حرس العسكر «عباد بن بشر» فكان يطوف في أصحابه على العسكر. ثم أصبح الناس ولا ماء معهم، وحصل لهم بسبب العطش ما كاد يقطع رقابهم، حتى حمل ذلك بعضهم على نحر إبلهم ليشقوا أكراشها، ويشربوا ماءها، بينما صبر آخرون، وانتظروا حصول الماء على ظمأ شديد، وقلوب ملتهبه عطشاً. ولقد أعان الله تعالى الذي كان قد وعد نبيه الكريم بالنصر أصحابه المسلمين الأوفياء، مرّه أخرى إذ أرسل سحابه فمطرت حتى ارتوى الناس، واحتملوا ما يحتاجون إليه.

### علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمغيبات

لاشك في أنّ في مقدور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يطلع على الغيب ممّا يخفى على الناس، ويخبر به كما يصرح القرآن الكريم بذلك، إلّا أنّ هذا العلم لا ريب محدودٌ، ويحتاج إلى تعليم الله سبحانه. يقول تعالى:

«عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحداً \* إلاّ من ارتضى من رسولٍ» (٢).

من هنا يمكن أن تخفى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الأحيان، أبسط الأمور، كأن يفقد مفتاحاً، أو يضيع مالاً ولا يعرف بمكانه ومصيره، بينما

ص: ٦٣٧

١- السيره الحلبيه: ١٠٦/٣؛ السيره النبويه لابن هشام: ٩٤٨/٤.

٢- الجن: ٢٦ و ٢٧.

يقدر صلى الله عليه وآله وسلم أن يعلم بأخفى الأمور الغيبية وأشدّها غموضاً فيثير حيره الناس ودهشتهم وعجبهم.

والسبب في كلّ ذلك هو ما ذكرناه، فإنّ مشيئة الله سبحانه لو تعلّقت بأن يعلم نبيّه بشيء من عالم الغيب ويخبر به علم وأخبر، وإلّا كان صلى الله عليه وآله وسلم كغيره من أفراد البشر العاديين.

وفي ضوء هذا البيان لا بد أن ننظر إلى القصّة التاليه:

لمّا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببعض الطريق إلى تبوك ضلّت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها، فقام أحد المنافقين، وقال: أليس محمّد يزعم أنّه نبي، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟!

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يكشف النقاب ببيانه الرائع:

«إنّ رجلاً قال: هذا محمّد يخبركم أنّه نبيّ، ويزعم أنّه يخبركم بأمر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ وإنّي والله ما أعلم إلّا ما علّم الله، وقد دلّني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شعب كذا وكذا، وقد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتّى أتوني بها».

فذهبوا فجاءوا بها(١).

### إخباره بمعيب آخر

لقد تخلف أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ أبطأ به بعيره، فانتظره المسلمون ريثما يقوم بعيره، ولكن دون جدوى فترك أبو ذر البعير، وأخذ متاعه فحملته على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماشياً، ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض

ص: ٦٣٨

١- السيرة النبويه لابن هشام: ٩٥٠/٤؛ المغازي: ١٠١٠/٢.

منازله ونزل المسلمون ليستريحوا فيه بعض الوقت، وفجأه لاح من بعيد رجلٌ، فلَمَّا نظر إليه ناظرٌ من المسلمين قال: يا رسول الله هو والله أبوذر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحَدَهُ وَيَمُوتُ وَحَدَهُ وَيُبْعَثُ وَحَدَهُ»<sup>(١)</sup>.

وقد كشف المستقبل عن صحَّه هذه النبوءه، فقد توفَّى أبوذر في صحراء «الربذه»، وعنده امرأته وغلَامه بعيداً عن الناس في حاله مأساويه<sup>(٢)</sup>.

لقد تحققت نبوءه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في معركة تبوك بعد ثلاثه وعشرين عاماً، فقد نُفِيَ هذا الصحابي المجاهد الصادق إلى الشام ثم إلى الربذه، لا لشيء إلا لأنه جهر بالحق، وطالب بالعدل، وفقد قواه وطاقاته البدنيه شيئاً فشيئاً حتى غدا طريح الفراش، في تلك المنطقه الوعره.

وفيما كان يمضى الدقائق الأخيره من حياته الحافله بالأحداث والتطورات، وامرأته جالسه عندة ترمق محياه المشرق المتعب وقد عرق جبينه، وهي تمسح بيدها العرق وتبكي قال لها: ما يُبكيك؟

فقلت: أبكى أنه لا يد لي بتغييرك (أى ليس لي من يعينى على دفنك) وليس عندى ثوبٌ يسعك كفنًا!

فارتسمت على شفتي أبي ذر ابتسامه مُرّه وقال: لا تبكى علىّ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وأنا عنده في نفر يقول: ليموتنَّ رجلٌ منكم بفلاه من الأرض تشهدُه عصابة من المؤمنين (ثم قال: فكلُّ من كان معي في ذلك المجلس مات في جماعه وقريه، فلم يبق منهم غيري، وقد أصبحت بالفلاه

ص: ٦٣٩

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٩٥١/٤.

٢- . لاحظ: المغازي: ١٠٠٠/٢-١٠٠١.

أموت فراقبي الطريق، فإنك سوف ترين ما أقول لك، فإنني والله ما كذبت ولا كذبتُ.

قال هذا وفاضت روحه المباركه(١).

\*\*\*

ولقد صَدَقَ أبوذر، فقد كانت ثمه قافله من المسلمين تضم شخصيات كبرى مثل «عبد الله بن مسعود» و «حجر بن عدي» و «مالك الأشتر» تتقدم نحو تلك المنطقه.

رأى «عبد الله» من بعيد مشهداً عجيباً... مشهد جسد بلا روح على قارعه الطريق، وعند ذلك الجسد امرأه وصبي وهما يبكيان.

فعطف «عبد الله» زمام راحلته نحو ذينك الشخصين وتبعه من معه في القافله أيضاً، وما أن وقعت عينا عبد الله على ذلك الجسد حتى عرف صاحبه، فهذا هو رفيقه وأخوه في الإسلام أبو ذر!!

فاغرورقت عيناه بالدموع، ووقف عند جثمان أبي ذر، وتذكر نبوءه رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم في غزوه تبوك وقال: «رحم الله أبا ذر يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده».

ثم صلى ابن مسعود على أبي ذر، ثم واره الثرى، وبعد أن فرغ من دفنه، وقف مالك الأشتر عند قبره وقال:

اللهم إن هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبدك في العابدين، وجاهد فيك المشركين، لم يغير ولم يبدل لكنه رأى غريباً منكراً فغيره بلسانه وقلبه، حتى جفني

ص: ٦٤٠

---

١- . أسد الغابه: ٣٠٢/١، الطبقات الكبرى: ٢٣٢/٤-٢٣٣.



وَنَفَى وَحُرْمَ وَاحْتَقَرَ ثُمَّ مَاتَ وَحِيداً غَرِيباً (١).

وقد أشار السبكي في أبيات له إلى هذا كما في السيره الحلبيه:

وعاش أبوذر كما قلتَ وحده ومات وحيداً في بلاد بعيدة (٢).

\*\*\*

### جيش الإسلام في أرض تبوك

حلّ جيش التوحيد في مطلع شهر شعبان سنة تسع من الهجرة في أرض تبوك، ولكن دون أن يرى أثراً لجيش الروم، وكان جنود الروم لمّا علموا بكثرة جنود الإسلام وبشهامتهم وتضحيتهم النادرة التي شهدوا نموذجاً منها عن كذب في معركة «مؤته» رأوا من الصالح أن ينسحبوا إلى داخل بلادهم ولا يواجهوا المسلمين، ويتظاهروا بأنه لم تراودهم فكره الهجوم على المسلمين قط، وأنّ هذا النبأ لم يكن إلّاشائعه لا أكثر، فيثبتوا من هذا الطريق حياتهم بالنسبة للحوادث والوقائع التي تحدث في الجزيره العربيه (٣).

ص: ٦٤١

١- . ذكر المؤرّخون قصّه وفاه أبي ذر ودفنه بصور مختلفه، فيستفاد من بعض المصادر التاريخيه أنّ أباذر كان على قيد الحياه عندما قدمت القافله المذكوره وتحدث مع رجالها، ولكن بعض المصادر الأخرى تنص على أنّه مات قبل قدوم تلك القافله إلى تلك المنطقه، كما أنّه صرح البعض أنّ زوجه أبي ذر وابنه حملاً- جثمانه إلى قارعه الطريق، بينما قال آخرون أنّ زوجته وابنه جلسا على قارعه الطريق ودلّما القافله على محل جثمانه الطاهر، راجع للوقوف على ذلك: الطبقات الكبرى: ٢٣٢/٤-٢٣٥، والدرجات الرفيعه: ص ٥٣.

٢- . السيره الحلبيه: ١٠٩/٣.

٣- . ذكر الواقدي في المغازي: ١٠١٥-٢/١٠١٦: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقام بتبوك عشرين ليله، وذكر أنّ النبي بعد أن صلى الفجر ذات يوم جمع الناس، فخطب فيهم خطبه بليغه ضمّنها مواعظاً وتعاليم عظيمه كثيره، ثم أدرج نص الخطبه.

فى هذه اللحظه جمع رسول الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم قاده جيشه الكبار، وتبعاً للأصل الإسلامى: «وشاورهم فى الأمر» تحدث معهم حول التقدم فى أرض العدو أو الرجوع إلى المدينه وشاورهم فى ذلك.

فكانت نتيجه التشاور هى أن على الجيش الإسلامى الذى تحمّل مشاق كثيره فى هذه السفره، أن يعود إلى المدينه، ليستعيد نشاطه، وقواه، هذا مُضافاً إلى أن المسلمين حقّقوا هدفهم السامى من هذه السفره وهو تفريق جيش الروم وتبديد اجتماعهم بعد إلقاء الرعب الشديد فى قلوبهم، وقد يبقى هذا الرعب فى قلوب الروميين إلى مدّه مدينه بحيث يصرفهم عن فكره تسيير جيش للهجوم على المسلمين، وهذا القدر من النتيجه التى من شأنها أن تضمن أمن الحجاز من ناحيه الشمال ردحاً من الزمن تكفى للمسلمين فعلاً حتّى يقضى الله ما يقضى فى المستقبل.

ولقد أضاف كبار المشيرين - حفاظاً على مكانه الرسول القائد، وإشعاراً بأنّ رأيهم هذا قابل للأخذ والرد - قائلين: إن كنت أمّرت بالسّير فيسر<sup>(١)</sup>.

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

«لو أمرت بالسّير لم أستشركم فيه»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا احترام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم آراء مشاوريه ورضى بالعوده إلى المدينه.

وحيث كان هناك حكامٌ وولايهٌ يعيشون فى المناطق الحدوديه السوريه والحجازيه فساداً ولهم نفوذ كبيرٌ فى قبائلهم ومناطقهم، وكانوا جميعاً نصارى، ولهذا كان من المحتمل بقوه أن يستغل الروم قواهم ضد الإسلام ويحملوا

ص: ٦٤٢

١- . المغازى: ١٠١٩/٢.

٢- . السيره الحلبيه: ١١٩/٣.

بمساعدهتهم على الحجاز.

ولهذا كان يتعين أن يعقد معهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معاهدة عدم اعتداء، ليأمن جانبهم ويحصل على أمن أوسع، فأجرى صلى الله عليه وآله وسلم اتصالات مباشرة مع أولئك الحكام والولاة الذين كانوا يعيشون على الشريط الحدودى على مقربة من تبوك وعقد معهم معاهدات عدم تعرض واعتداء بشروط خاصه، كما أرسل مجموعات إلى النقاط النائيه عن تبوك ليحقق بذلك مزيداً من الأمن للمسلمين.

لقد اتصل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شخصياً بزعماء «أيله» و«أذرح» و«الجرباء»، وتم عقد معاهدة عدم تعرض واعتداء بين الجانبين. و«أيله» مدينه ساحليه تقع على ساحل البحر الأحمر، ولا تبعد عن الشام كثيراً، وكان زعيم تلك المنطقه هو «يوحنا بن رؤبه»، فهو يوم أتى به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليه صليب من ذهب على عاده النصرى، قدم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرساً أبيض، وأعلن عن طاعته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاحترمه النبي وأكرمه، وصالحه، وكساه بُرداً يمانياً.

وقد قبل «يوحنا» هذا، أن يبقى على نصرانيته شريطه أن يدفع للنبي جزيه قدرها ثلاثمائة دينار سنوياً، وعلى أن يُحسن إلى من يمرُّ على أيله من المسلمين؛ وكتب له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتاب أمان وقعه الطرفان، وإليك نص الكتاب المذكور:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا أمانه من الله ومحمد النبي ليوحنا بن رؤبه وأهل أيله، سفينهم وسيارتهم فى البر والبحر، لهم ذمه الله وذمه محمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً، فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وأنه طيب لمن أخذه من الناس، وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقاً يريدونه، من بر أو بحر».

ص: ٦٤٣

هذا الكتاب يكشف عن قاعده مهمه في السياسه الإسلاميه وهى أن أى شعب أراد أن يسالم المسلمين، وفر الإسلام له كل أمن وسلام(١).

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صالح بقية الحكام الحدوديين مثل سادة أقوام «أذرح» و «جرباء» التي كانت تتمتع بأهميه استراتيجيه، وبذلك ضمن أمن المنطقه الإسلاميه من ناحيه الشمال.

### بعث خالد إلى دومه الجندل

على طريق تبوك كانت تقع منطقه عامره خضراء ذات أشجار وزروع ومياه جاربه تضم حصناً منيعاً، وتبعد عن الشام بما يقرب من خمسين فرسخاً، تُسمى «دومه الجندل»(٢) وكان يحكمها يومذاك رجلٌ مسيحيٌ يدعى «أكيدر بن عبد الملك».

وحيث إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يخشى هجوماً آخر من الروم، والاستعانه بحاكم دومه الجندل المسيحي وبهذا يعرضون أمن الحجاز للخطر، لذلك رأى صلى الله عليه وآله وسلم أن يستفيد من قوته الحاضره أكبر قدر ممكن، فبعث مجموعه من المقاتلين بقياده خالد بن الوليد إلى المنطقه المذكوره لتطويعها وتطويع حاكمها.

فتوجه خالد مع فرسانه إلى دومه الجندل حتى اقتربوا إلى حصنها، وكمنا قريباً منه.

وفي تلك الليله خرج «أكيدر» وأخوه «حسان» من الحصن ومعه نفر من أهل بيته للصيد، فلما ابتعدوا عن الحصن حاصرتهم خيل خالد وأسروا «أكيدر» بعد

ص: ٦٤٤

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٩٥٢/٤؛ إمتاع الأسماع: ٦٦/٢؛ بحار الأنوار: ١٦٠/٢١.

٢- . يقول الواقدي في المغازي: ١٠٢٥/٢: تقع دومه الجندل على عشره أميال من المدينه.

قليل من القتال والمواجهه، وقُتل أخوه «حسان» ولجأ البقيه إلى الحصن، واعتصموا به، فصالح خالد «أكيدر» على أن يطلب له ولقومه الأمان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقاء أن يفتح أبواب الحصن في وجوه المسلمين ويلقى أهلها الأسلحة.

فأمر أكيدر العذى كان يثق بصدق المسلمين واحترامهم لوعودهم وعهودهم، أمر قومه أن يفتحوا أبواب الحصن ويسلموا للمسلمين، ويلقوا أسلحتهم ويتركوا القتال، وكانت الأسلحة تبلغ أربعمائه درع، وأربعمائه رمح وخمسائه سيف، ثم توجه خالد بأكيدر وقومه وما حصل عليه من الغنائم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخلب منظرُ الديباج المخوص بالذهب عيون جماعه من طلاب الدنيا. فأخذوا يتلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو لا يكثر بتلك الثياب:

«فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا».

لقد حضر «أكيدر» عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وامتنع عن قبول الإسلام، إلا أنه رضى بأن يعطى الجزية للمسلمين، وصالحه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك وكتب له كتاباً، ثم أهدى له صلى الله عليه وآله وسلم هديه واستعمل على حرسه «عباد بن بشر» ليوصله إلى دومه الجندل سالمًا (1).

### تقييم إجمالي لغزوه تبوك

إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وإن لم يلق في هذا السفر الشاق كيداً ولم يواجه العدو، ولم يقاتل إلا أن هذه السفره عادت عليه بسلسله من الفوائد المعنويه

ص: ٦٤٥

١- . لاحظ: الطبقات الكبرى: ١٦٦/٢؛ المغازي: ١٠٢٥/٢-١٠٢٨؛ السيره النبويه لابن هشام: ٩٥٢/٤؛ بحار الأنوار: ٢٤٦/٢١.

والروحيه هي:

أولاً: صعود مكانه وسمعه الجيش الإسلامى، فقد زاد من عظمته وقوته فى قلوب سكان الحجاز، وحكام المناطق الحدوديه السوريه، وعرف الصديق والعدو أنّ المقدره العسكريه الإسلاميه بلغت من القوه والعظمه بحيث أصبح فى مقدورها أن تواجه أكبر القوى العالميه وتقارعها، وتلقى الرعب والخوف فى قلوبها.

إنّ انتشار هذا الموضوع بين القبائل العربيه التى عُجِنَتْ جِبَّتْهَا بروح التمرد والطغيان، أوجب أن تتخلى عن فكره الطغيان والمعارضه، والتآمر ضدّ الإسلام ردحاً من الزمن، وأن لا تفكر فى هذه الأمور.

ولهذا السبب أخذت وفود القبائل التى لم تخضع للإسلام حتى ذلك اليوم، تفد تبعاً على رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم بعد رجوعه من تبوك إلى المدينه، وتظهر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طاعتها وخضوعها حتى سُمى ذلك العام بعام الوفود، لضخامه عدد تلك الوفود والبعثات التى قدمت المدينه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: ضمن المسلمون عن طريق عقد المعاهدات المختلفه المتعدده مع حكام المناطق الحدوديه الحجازيه والسوريه أمن هذه المنطقه، واطمأنوا بسببها إلى أنهم سوف لن يتعاونوا مع جيش الروم، ولن يدخلوا مع تلك الدوله فى مؤامره ضدّ الإسلام والمسلمين.

ثالثاً: مهّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا السفر الشاق الطريق لفتح الشام، فقد عرف قاده جيشه طرق هذه المنطقه ومشاكلها، وعلمهم كيفيه تجييش الجيوش الكبرى فى وجه القوى العظمى فى ذلك العصر، من هنا كانت الشام وسوريه هى أول منطقته فتحها المسلمون بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ٦٤٦

رابعاً: تميّز المؤمن عن المنافق في هذه التبعئه العامه، وحصلت عمليه تصفيه وفرز كبيره وعميقه في جماعه المسلمين.

### المنافقون يخططون لاغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم

أقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بضع عشره يوماً في تبوك (١) وبعد أن بعث خالداً إلى «دومه الجندل» توجه بالمسلمين إلى المدينة. ولدى العوده تأمر (١٢) منافقاً - ثمانية منهم من قريش والباقي من أهل المدينة - لاغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أثناء الطريق وقبل أن يصل إلى المدينة، وذلك بتغيير ناقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عقبه بين المدينة والشام ليطرحوه في واد كان هناك. وعندما وصل الجيش الإسلامي إلى بدايه تلك المنطقه (العقبه) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للناس:

«من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسع لكم». (٢)

فأخذ الناس بطن الوادي، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ طريق العقبه فيما يسوق «حذيفه بن اليمان» ناقه النبي، ويقودها «عمار بن ياسر» فيبينما هم يسيرون إذ التفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى خلفه، فرأى في ضوء ليله مقمره فرساناً متلثمين لحقوا به من ورائه لينفروا به ناقته، وهم يتخافتون، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وصاح بهم وأمر حذيفه أن يضرب وجوه رواحلهم. قائلاً: إضرب وجوه رواحلهم.

فأرعبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصياحه بهم إرعاباً شديداً، وعرفوا بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علم بمكرهم ومؤامرتهم، فأسرعوا تاركين العقبه حتى خالطوا الناس.

يقول حذيفه: فعرفتهم برواحلهم وذكرتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقلت: يا

ص: ٦٤٧

١- . السيره النبويه لابن هشام: ٩٥٣/٤، وذهب ابن سعد في الطبقات: ١٦٨/٢ أنه مكث بتبوك عشرين يوماً.

٢- . بحار الأنوار: ٢٤٧/٢١؛ الدر المنثور: ٢٥٩/٣.

رسول الله ألا تبعث إليهم لتقتلهم؟ فأجابهُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في لحن ملؤه الحنان والعاطفه:

«إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُعْرَضَ عَنْهُمْ، وَأَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ إِنَّهُ دَعَا أَنَسًا مِنْ قَوْمِهِ وَأَصْحَابِهِ إِلَى دِينِهِ فَاسْتَجَابُوا لَهُ فَقَاتَلَ بِهِمْ حَتَّى ظَهَرَ عَلَى عَدُوِّهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلَهُمْ، وَلَكِنْ دَعَيْتُهُمْ يَا حَذِيفَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَهُمْ بِالْمَرْصَادِ» (١).

وقد أنزل الله سبحانه إثر هذه الحادثة الآية ٦٥ من سورة التوبة التي قال تعالى فيها: «وَلَكِنَّ سَيِّئَاتِهِمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ» (٢).

### التيه تقوم مقام العمل

ليس ثمة مشهد أعظم جلالاً من مشهد جيش فاتح يعودُ إلى أحضان الوطن، كما ليس هناك أمرٌ ألدُّ وأهناً عند الجندي المجاهد من الغلبه على العدو، التي تحفظ أمجاده، وتضمن بقاء كيانه، وسلامته، وقد تجلّى هذان الأمران عند عوده الجيش الإسلامي المنتصر إلى المدينة.

لقد دخل الجيش الإسلامي الفاتح المدينة بجلال عظيم بعد أن طوى المسافه بين «تبوك» و«المدينة»، وكانت تغمر جنود الإسلام فرحةً كبيرة، وتظهرُ على كلماتهم وأعمالهم أماراتُ الاعتزاز بما أحرزوه من غلبه على العدو، ومن أداء لحقّ الجندي، وكان السببُ واضحاً لأنّهم أرعبوا دوله قويه سبق لها أن هزمت الامبراطوريه الإيرانيه، فهم أخافوا الروم التي انسحبت من تبوك قبل وصول

ص: ٦٤٨

١- . الدرجات الرفيعه: ٢٩٨-٢٩٩؛ إرشاد القلوب: ٣٣١/٢؛ بحار الأنوار: ٩٩/٢٨. ولاحظ: المغازی: ١٠٢٢/٢-١٠٢٥؛ إمتاع الأسماع: ٧٤/٢-٧٥.

٢- . راجع: مجمع البيان: ٤٦/٣.



المسلمين إليها، وهم طَوَّعُوا حَكَامَ وزعماء المدن والمناطق الحدودية السورية والحجازيه، وأخضعوهم للدولة الإسلاميه

لا شكَّ أنَّ الغلبه على العدوِّ فخرٌ عظيمٌ أصاب هذا الجيش، وكان طبيعياً أن يفتخر أفرادُ هذا الجيش ويتباهوا على الذين تخلفوا في المدينه من دون عذر، ولكنَّ حيث إنَّ مثل هذا النمط من التفكير وهذه العوده الظافره كان من الممكن أن يوجدَ غروراً لدى البعض فيسيئوا إلى بعض الذين تخلفوا في المدينه الذين بقوا فيها لعذر وقلوبهم مع جنود الإسلام، ويشاركونهم بأفئدتهم في أفراحهم وأتراحهم، لهذا التفتَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وهُم على مشارف المدينه وقد توقَّفوا خارج المدينه بعض الوقت، فقال لهم:

«إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ».

قالوا يا رسولَ الله: وهم بالمدينه؟

قال: «نعم وهم بالمدينه، حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ»(١).

أجل إنَّهم كانوا يتشوقون إلى الجهاد، هذا الواجب الإسلامى الكبير، ولكن العذر منعهم من الاشتراك فيه.

إنَّ النبى الأكرم بهذه العباره المقتضبه أشار - فى الحقيقه - إلى واحد من البرامج الإسلاميه التربويه، وذكر بأنَّ التيه الطيبه والفكر الصالح يقومُ مقام العمل الصالح الطيب، وأن الذين يُحرَمون من القيام بالأعمال الصالحه لافتقادهم القدره عليها أو فقدان الإمكانيات، يمكنهم أن يشاركو الآخرين فى ثواب العمل الصالح إذا نُوِّوا ذلك، واشتاقوا إليه قلبياً.

ص: ٦٤٩

١- . السيره الحلبيه: ١٢٢/٣؛ إمتاع الأسماع: ٣٩٤/٨.

إذا كان الإسلام يهتمُّ بإصلاح الظاهر، فإنه يهتمُّ أكثر بإصلاح القلب والفكر، بإصلاح الباطن والسريره، لأنَّ إصلاح العقيدة وطريقه التفكير هو منبع جميع الإصلاحات، وأعمالنا كُلُّها وليده أفكارنا ونوايانا.

إذا خُفِّفَ النبيُّ الأكرم بقوله هذا من غُلُوِّ المجاهدين وغرورهم، وحفظ مكانه المعذورين من المخلفين فلا يلحق بهم هوانٌ، إلما أنه قُرَّ في نفس الوقت أن يوبَّخ المتخلفين من دون عذر ويلقَّنهـم دَرساً لن ينسِوه، وللنموذج ننقل هنا قصه ثلاثه من المتخلفين.

### أخذ المتخلفين بالعقاب النفسى

يوم أُعلِنَ في المدينة عن التعبئة العامه تخلف ثلاثه من المسلمين في المدينة هم: «هلال بن أميه» و «كعب بن مالك» و «مراره بن الربيع» فقد حضر هؤلاء عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لدى خروجه إلى تبوك واعتذروا إليه بمعاذير عن الاشتراك في الجهاد، فاعتذر أحدهم، بأنَّ الوقت هو وقت إدراك الثمر، وأنهم سيلتحقون بجيش الإسلام إذا فرغوا من الحصاد والقطاف.

إنَّ هؤلاء وأمثالهم ممن يريدون الدين والدينار، وتهمهم مصالحهم الماديه الشخصيه والاستقلال السياسى معاً، يعانون من نظره ضيقه وقصيره تعادل اللذائذ الماديه العابره بالحياه الإنسانيه الشريفه، الّتى تتحقّق تحت لواء الاستقلال الفكرى والسياسى والثقافى، بل ربما رجّحوا الأولى على الثانيه.

ولهذا كان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم - بعد العوده - أن يؤدّب مثل هذه العناصر حتّى لا تسرى عدوى هذه الحاله المرضيه إلى الآخرين.

إنهم لم يتخلفوا عن هذا الجهاد فحسب، بل لم يعملوا بالعهد الذى أعطوه

لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً، فإنهم انشغلوا بالتجاره، وجمع المال حتى فوجئوا بعوده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، فبادروا عند ذلك - لتلافي ما بدر منهم من تخلف - إلى الحضور عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للتسليم عليه وتقديم التهاني إليه كما فعل الآخرون.

إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعرض بوجهه عنهم ولم يكثر بهم، وعندما بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالكلام في ذلك الاجتماع العظيم وسط موجه من الفرح والابتهاج كان أول ما قاله هو: «لا تكلمنَّ أحداً من هؤلاء الثلاثة».

ومع أن عدد المتخلفين كان يقارب التسعين شخصاً، إلا أن أكثرهم حيث كانوا من المنافقين، ولم يكن يتوقع منهم أن يشاركوا المسلمين في جهاد العدو، لهذا تركر ثقل هذه القطيعه على هؤلاء المسلمين الثلاثة الذين كان بعضهم سبق منه أن اشترك في غزوه بدر مثل «مراره» و«هلال»، وكانت لهم شخصيه ومكانه بين المسلمين!!

ولقد تركت سياسه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحكيمه - التي كانت جزءاً لا ينفك من دينه - أثراً عجبياً، فقد تعطلت التجاره والأخذ والعطاء مع المتخلفين، وكسدت بضائعهم، ولم يشترها أحد، وقطع أقرب أقرباء المتخلفين روابطهم وعلاقتهم مع المخلفين المذكورين إتباعاً لأوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتركوا حتى الحديث العابر معهم.

ففعلت مقاطعه الناس للمخلفين فعلتها، وضغط عليهم نفسياً بشده، حتى ضاقت عليهم الأرض على رحابتها في نظرهم كما يقول القرآن الكريم.

«حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ وَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ» (١).

ولكن هؤلاء الثلاثة المعروفين بفراسه كامله أدركوا أنّ العيش في البيئه الإسلاميه لا- يمكن إلّابالالتحاق الحقيقى بصفوف المسلمين، وأنه لا دوام لحياه الأقلّيه الصغيره أمام الأكثرّيه القاطعه، وبخاصّه إذا كانت الأقلّيه تتألف من جماعه مشاغبه ومغرضه.

هذه المحاسبات من جانب، والانجذاب الفطريّ من جانب آخر دفعتُ بهؤلاء المخلفين إلى العوده إلى حظيره الإيمان الواقعي، وأن يظهرُوا ندمهم على فعلهم القبيح بالتوبه إلى الله، والإنابه إليه، وقبل الله تعالى توبتهم، وأخبر نبيّه الكريم بعفوه عنهم فبادرَ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من فوره إلى الإعلان عن عفوه ورفع المقاطعه عنهم (٢).

### قصه مسجد ضرار

كانت «المدينه» و «نجران» تُعتبران بالنسبه إلى أهل الكتاب منطقتين واسعتين ومركزيتين في شبه الجزيره العربيه، فقد كانوا يتمركزون في هاتين المنطقتين أكثر من أى مكان آخر، ولهذا اعتنق فريقٌ من عرب الأوس والخزرج الدين المسيحي واليهودي.

ويبدو أنّ «أبا عامر» والد «حنظله غسيل الملائكه» المستشهد في غزوه أحد،

ص: ٦٥٢

١- التوبه: ١١٨، وتذكر التفاسير كيفيه توبتهم وأنابتهم على وجه التفصيل، فليراجعها من يريد.

٢- لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٩٥٧/٤؛ إمتاع الأسماع: ٧٩/٢؛ تاريخ الطبرى: ٣٧٤/٢. وهذا النوع من المحاربه التى سلكها النبي مع المخلفين علم المسلمين درساً كبيراً ومفيداً فى مقابل الأقلّيات الصغيره، وهو لا يحتاج إلّا إلى الإخلاص والاتحاد والعزم. هذا ويذكر الواقدي فى المغازى: (١٠٤٩/٢-١٠٥٦) قصه هؤلاء المخلفين بصوره أكثر تفصيلاً ممّا ذكرناه هنا.

كان قد رغب في الدين المسيحي في العهد الجاهلي، فأنسلك في صفوف الرُّهبان، فلما ظهر نجم الإسلام من أفق المدينة بعد هجره النبي إليها، واحتوى الدين الجديد الأديان الأخرى انزعج «أبو عامر» من هذه الظاهره بشدّه، فشرع بصدق في التعاون مع منافق الأوس والخزرج. وقد عرّف رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بخطّهم التخريبيه، وأراد اعتقاله، فخرج «أبو عامر» من المدينة إلى مكّه، ومن مكّه إلى الطائف، وهرب من الطائف بعد سقوطها إلى الشام، وأخذ يقود من هناك شبكته تجسّسيّه لحزب المنافقين.

وقد كتب إلى المنافقين في المدينة في إحدى رسائله أن استعدّوا وابنوا مسجداً في قباء في مقابل مسجد المسلمين وصلّوا فيه في أوقات الصلاه ليمنكنكم - تحت غطاء أداء الفرائض - التحدّث حول الأمور المتعلّقه بالإسلام والمسلمين، وكيفيه تنفيذ المؤامرات الحزبيه ضدّهم.

لقد كان «أبو عامر» على غرار أعداء الإسلام في العصر الحاضر يرى أنّ أفضل وسيله لهدم واستئصال الدين في بلد يسوده الدين هو الاستفاده من نفس سلاح الدين، ومن المعلوم أنّه يمكن توجيه الضربه إلى الدين باسم الدين أكثر من أيّ عامل أو وسيله أُخرى.

لقد كان «أبو عامر» يعلم أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يسمح لحزب المنافقين بإقامه مركز لهم مطلقاً إلّا إذا كان لذلك صبغهُ دينيه، وكان تحت عنوان مسجد.

عندما كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يتجهّز إلى «تبوك» أتاه جماعه من المنافقين وطلبوا منه أن يسمح لهم ببناء مسجد في محلّتهم بقاء بحجّه أنّ ذوى العله والحاجه لا يمكنهم أن يقطعوا المسافه بين قباء ومسجد النبي للصلاه معه صلى الله عليه وآله وسلم في الليله المطيره والليله الشاتيه، فأوكل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر النظر في طلبهم إلى ما بعد

غير أنّ حزب النفاق بادروا إلى اختيار نقطه من الأرض في قباء، وأسرعوا في إقامه مركز لهم تحت غطاء المسجد، ولما عاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تبوك حضروا عنده وطلبوا منه أن يصلى فيه ركعتين لئيسبغوا بذلك الشرعيه على مركزهم، وفي هذه الأثناء نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بحقيقه هذا الأمر، وسمّاه في آيات نزل بها على النبي بمسجد ضرار، ووصفه بأنه مركز بني لإيجاد الفرقة بين المسلمين، والتأمر عليهم إذ يقول تعالى:

«وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَكَانُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحُسَيْنِ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ \* لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسَسَّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ». (٢).

فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوراً بإحراق ذلك المسجد وتسويته بالأرض فحرق وهيدم وسوى بالأرض وتحول مكانه إلى مزبله فيما بعد (٣).

إنّ تحريق وهدم مسجد ضرار كانت ضربه قاضيه لحزب النفاق، فمنذ ذلك الوقت تلاشت وشائج وروابط ذلك الحزب الخبيث، وهلك حاميه الوحيد عبد الله بن أبي بعد شهرين من غزوه تبوك.

ولقد كانت غزوه تبوك آخر الغزوات الإسلاميه التي شارك فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ لم يشارك صلى الله عليه وآله وسلم بعدها في أى قتال.

ص: ٦٥٤

١- . لاحظ: المغازي: ١٠٤٦/٢.

٢- . التوبه: ١٠٧ و ١٠٨.

٣- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٩٥٦/٤-٩٥٧؛ بحار الأنوار: ٢٥٣/٢٠.

انتهت غزوه تبوك بكلّ مشاكلها، ومتاعبها الكثيره وعاد جنودُ الإسلام المجاهدون إلى المدينة بأبدان متعبه من وعناء السفر، وبعُد الطريق، ولم يلق جنود الإسلام كيداً ولم تحصل بينهم وبين الجيش الرومي أيّه مواجهه، كما ولم يواجهوا عدواً طوال ذلك الطريق، ولم يغنموا غنيمه. من هنا اعتبر بعض السدّج من المسلمين تسيير هذا الجيش الضخم عملاً لغواً وعبثاً، وذلك لأنّهم لم يعرفوا بالآثار والنتائج غير المرئيه لهذه الحركه العسكريه الواسعه، ولم يمض وقتٌ كبيرٌ إلّا واتّضحت نتائجها، فقد أسلمت على أثر هذه المناوره العسكريه العظمى أشدّ القبائل عداً وعناداً للإسلام، وخضعت لسلطان المسلمين، بإيفاد مندوبيها ووفودها إلى المدينة، وإظهار الطاعه والإسلام عن طريقها، كما أنّها عمدت الى فتح أبواب حصونها الحصينه في وجه المسلمين ليحطّموا أصنامها وأوثانها، وينصبوا على حطامها ألويه التوحيد.

إنّ الجماعات السطحيه التفكير القصيره النظر تهتم - عادة - بالنتائج المرئيه الحاضره، فمثلاً إذا واجه جنودُ الإسلام خلال الرحله عدواً، وقاتلوه وقضوا عليه، وغنموا غنائم من أمواله قالت هذه الجماعه: لقد حققت هذه العمليه العسكريه

ولكن أصحاب الرؤية العميقة والنظرة البعيدة يحلّلون الأمور على غير هذا النمط، فهم يمتدحون أى عمل يخدم الهدف والنتيجة النهائية ويعتبرونه نجاحاً باهراً.

ومن حسن الاتفاق أنّ غزوه تبوك خدمت هدف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو اجتذاب الأقاليم العربية إلى الإسلام - خدمه كبرى - لأنه قد شاع في جميع أنحاء الجزيرة العربية أنّ الروميين (الذين غلبوا الإيرانيين الذين طالما سادوا نصف المعمورة في ذلك الوقت، وحكموا حتى اليمن ومآحولها في آخر حروبهم، واستعادوا منهم صليبيهم وأعادوه إلى بيت المقدس) أُرعبوا بالقوة الإسلامية الكبرى، وانصرفوا عن مقابله جنود الإسلام.

لقد دفع هذا النبأ أشدّ القبائل عناداً، والتي كانت حتى يوم أمس غير مستعدة للتعايش مع الإسلام والخضوع له، دفعها إلى أن تغيّر من مواقفها المتعنتة المتصلّبة، وتفكّر في التعاون والتعايش مع المسلمين، ولكي تسلّم من عدوان القوى الكبرى في ذلك اليوم (إيران والروم) انضوت تحت لواء الإسلام وأعلنت عن إنتمائها إليه.

وإليك فيما يلي نموذج من هذه التطوّرات التي حدثت في مواقف تلك القبائل العربية المعادية للإسلام.

### وقوع الفرقة والاختلاف في قبيلة ثقيف

كانت قبيلة ثقيف معروفة بطغيانها وعنادها العجيب بين القبائل العربية، ولقد قاوموا حصار الجيش الإسلامي لهم مدّة شهر واحد معتصمين بحصونهم في الطائف ولم يسلموا(١).

ص: ٦٥٦

١- . لاحظ: المغازي: ٩٢٢/٢-٩٣٨.



هذا وكان «عروه بن مسعود الثقفي» وهو أحد سادة ثقيف قد علم بانتصار المسلمين الكبير في أرض تبوك، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يدخل المدينة، وأسلم على يديه واستأذنه في أن يذهب إلى الطائف، ليدعو قبيلته إلى دين التوحيد فحدّره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مخاطر هذا العمل؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرف أنّ فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم.

وقال له: إنهم قاتلوك.

فقال عروه: يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم، (أو من أبصارهم)، وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً.

ولقد كان قوم عروه وسائر قاده ثقيف لم يدركوا بعد ما أدركه عروه من عظمه الإسلام، وكان فيهم نخوة وكبرٌ يمنعانهم من الخضوع للحق.

ولهذا قررت أن ترشق بالنبال والسهم أول داعيه أتاها ليدعوها إلى الإسلام... وهكذا رشقوا بالنبال «عروه» في الوقت الذي كان يدعوهم إلى الإسلام، فقال وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة: كرامه أكرمني الله بها، وشهادته ساقها الله إليّ (١).

## وَفَدَّ ثَقِيفٌ

ندم رجالٌ ثقيف - بعد مقتل عروه - على فعلهم هذا بشده وعرفوا بأن الحياه لم تعد ممكنه وميسره لهم في قلب الحجاز الذي رُفعت على جميع مناطقه ألويه التوحيد، وخاصه بعد أن أصبحت جميع المراعى والطرق التجاربه تحت رحمه المسلمين، فقرروا في ندوه مشاوره عقدت لدراسه مشكلاتهم أن يبعثوا مندوباً من قبيلهم إلى المدينه ليتفاوض مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويعلن له عن استعداد قومه لاعتناق

ص: ٦٥٧

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٩٦٤/٤-٩٦٥.

دين التوحيد ضمن شروط معيّنه، واتفقوا على إيفاد «عدياليل» إلى المدينة وإبلاغ رسالتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن «عدياليل» رفض القيام بهذه المهمه وقال:

لست فاعلاً ذلك حتى تُرسلوا معي رجالاً، لأنه كان لا يثق بثبات رأيهم، وكان يخشى أن يصنعوا به ما صنعوا بعروه بن مسعود. فاتفقوا أن يبعثوا معه خمسة رجال من ثقيف ليقوموا جميعاً بالقدوم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتفاوض معه.

توجه هذا الوفد السداسي إلى المدينة، ونزلوا بعد طي مسافه خارج المدينة عند قناه فألفوا عندها «المغيره بن شعبه الثقفي» يري خيولاً لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فلما رأى المغيره زعماء قبيلته وعرف هدفهم وثب يشتد إلى المدينة ليشتر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن ترك الخيول عند الثقفيين، وليخبره بقرار قبيله ثقيف التي طال عنادها، فلقيه أبو بكر قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره المغيره عن ركب ثقيف، فرجاه أبو بكر أن يسمح له بتبشير النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يحدثه المغيره بالأمر، ففعل المغيره فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بقدومهم عليه وأنهم جاءوا ليعتقوا الإسلام بشروط، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإكرامهم، وضرب لهم قبه في ناحيه مسجده، وكلف «خالد بن سعيد» بالقيام بشؤون ضيافتهم.

ثم حضر وفد ثقيف عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع أن المغيره كان قد علمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم حيوه بتحيه الجاهليه تكبراً منهم وغروراً، ثم أخبروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برأى ثقيف وأضافوا أنهم مستعدون لاعتناق الإسلام ضمن شروط خاصه، سوف يُعرضونها عليه في جلسته تاليه.

واستمرت مفاوضات وفد ثقيف مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدّه أيام، وكان «خالد

بن سعيد» هو الذى ينتقل بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه المفاوضات.

## شروط وفد ثقيف

قَبِلَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً من شروط ثقيف حتى أنه ضمن لأهل الطائف - ضمن ذلك العهد - أمن منطقته الطائف وما يرتبط بالطائفتين من أراضٍ، ولكن بعض شروطهم كانت غير صحيحة، ووقفه إلى درجه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غضب بسببها، ولا بأس أن نتعرض لذكر بعض هذه الشروط:

قال وفد ثقيف: إن قبيلة ثقيف مستعدة لأن تعتنق الإسلام شريطة أن يترك بيت أصنامهم على حاله، وأن يعبدوا «اللآت» وهو صنم القبيلة الأكبر مده ثلاث سنين، فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فلما رأوا غضب النبي وإبائه أخذوا يتنازلون عن المده التي ذكروها سنة سنة، وهو يأبى عليهم حتى سألوها شهراً واحداً، فأبى عليهم أن يدعها ولا يوماً.

ولقد كان مثل هذا الطلب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى كان نَشْرُ التوحيد، وهَدْمُ بيوت الأصنام، وتحطيم الأوثان يشكل هدفه الأساسى، كان طلباً مخجلاً جداً، ولقد كان مثل هذا الطلب يكشف عن أنهم كانوا يريدون إسلاماً لا يضر بمصالحهم الماديّة وميولهم الباطنية، أما إذا كان غير هذا فلن يقبلوه ولن يرضوا به.

ولهذا عندما عرف وفد ثقيف بقبح مطلبهم هذا، بادروا إلى التعلل والاعتذار بأنهم إنما أرادوا بذلك إرضاء نسائهم وذراريهم وسفهاء قبيلتهم، حيث إنهم يكرهون أن يروّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام، فإذا أبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم ذلك فليبعث معهم شخصاً من غير قبيلتهم ليهدمها، فوافق النبي صلى الله عليه وآله وسلم على هذا الشرط، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يريد محو وإزالة جميع

المعبودات الباطلة عن الحياه البشريه، سواء أتم هذا على أيدي الطائفتين أم على أيدي غيرهم.

والشرط الآخر هو أن يعفيهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم من الصلاه. فلقد كانوا يتصوِّرون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمكنه التصرّف في الأحكام الإلهيه كما يفعل قاده أهل الكتاب، حسب زعمهم، حيث كانوا يكلفون جماعه بهذه الأحكام، بينما يُعفون جماعه أخرى منها، وذلك غفله منهم عن أنّه صلى الله عليه وآله وسلم يتبع الوحي الإلهي، ولا يمكنه التغيير فيه قيد شعره.

إنّ هذا الشرط كان يكشف عن أنّه لم يكن قد ترسّخت في أفئدتهم روح التسليم المطلق بعد، وأنّ اعتناقهم للإسلام كان نتيجة ظروف ساقتهم إلى إسلام ظاهرى سطحى، وإلّا فلا داعى ولا مبرر للإيمان ببعض ما جاء فى الإسلام دون بعض، فيقبلوا شيئاً ويرفضوا شيئاً آخر.

إنّ الإسلام، والإيمان بالله إن هو إلانوع من التسليم الباطنى الروحى، والخضوع القلبى الذى يقبل المرء فى ظلّه جميع التعاليم والذساتير الإلهيه عن طواعيه ورغبه، وفى مثل هذه الحاله لا غير لاتجد فكره التبويض فى التعاليم الإلهيه طريقاً إلى روح إنسان ومخيلته.

ولأجل هذا قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فى جوابهم:

«لأخير فى دين لا صلاه فيه»(١).

إن المسلم الذى لا يسجد ولا يركع لله تعالى فى اليوم والليله ولا مرّه واحده، ولا يذكر ربّه، لا يكون مسلماً بالمعنى الصحيح.

ص: ٦٦٠

---

١- . المغازى: ٩٦٨/٢؛ السيره النبويه لابن هشام: ٩٦٧/٤؛ السيره الحلبيه: ٢٤٣/٣.

هذا وعندما اتفق الطرفان على شروطهما نظمت معاهده تشمل المواد والشروط المتفق عليها، وقّع عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحينئذ أذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لوفد ثقيف بالعودة إلى قومهم، واختار منهم أحدثهم سنّاً وهو «عثمان بن أبي العاص» المذى كان أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلّم القرآن خلال وجوده بالمدينة فأمره عليهم، وجعله نائباً عنه في قبيله ثقيف وأوصاه - فيما أوصاه - بأن يصلى بالناس جماعه مراعيّاً أضعفهم، قائلاً له:

«يا عثمان تجاوز (١) في الصلاة وأقدر الناس بأضعفهم، فإنّ فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجه».

ثم كلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أبا سفيان بن حرب»، و«المغيره بن شعبه» بالتوجه إلى الطائف مع وفد ثقيف لهدم الأصنام فيها، أجلّ إنّ أبا سفيان الذي كان وحتّى يوم أمس من حفّظه الأصنام وهو الذي أراق في سبيلها أنهرًا من الدماء، يمشى الآن إلى الطائف وهو يحمل فأسه ومعوله لتحطيم الأصنام فيها، ويحوّلها إلى تَلٍّ من الحطب، ويبيع ما يتعلّق بها من ذهب وفضّه وحلّى ليقضى بأموالها ديون «عروه» و«الأسود» حسب أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢).

ص: ٦٦١

١- . تجاوز: أى خفف الصلاة وأسرّع بها.

٢- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٩٦٥/٤-٩٦٧؛ السيره الحلبيه: ٢٤٣/٣-٢٤٤. ولقد وردت قصّه وفد ثقيف في كتاب «أسد الغابه»: ٢١٦/١ وج ٣ ص ٤٠٦ أيضاً.

إشاره

فى أواخر السنه التاسعه من الهجره نزل أمين الوحى جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدّه آيات من سوره التوبه (سوره براءه)، وكلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يبعث بها رجلاً إلى مكّه ليتلوها مع عهد ذى أربعه بنود فى موسم الحج.

ولقد رُفِعَ الأمان فى هذه الآيات عن المشركين، وألغيت جميع العهود (إلما العهود والمواثيق الّتى التزم بها أصحابها ولم ينقضوها)، وأبْلَغَ إلى رؤوس الشرك وأتباعهم أن عليهم أن يوضحوا مواقفهم من الحكومه الإسلاميه الّتى تقوم على أساس التوحيد، وذلك خلال أربعه أشهر، وإذا لم يتركوا الشرك والوثنيه خلال هذه الأشهر الاربعه نُزعت منهم الحصانه، ورفع عنهم الأمان.

عندما ينتهى المستشرقون إلى هذه القصّه وهذا الفصل من التاريخ الإسلامى يصوّبون رماح حملاتهم إلى الإسلام ويعتبرون هذا الموقف الحاسم والحكيم مخالفاً لمبدأ الحريّه الاعتقاديّه، ولكنهم إذا طالعوا صفحات التاريخ الإسلامى من دون أى تعصب وانحياز، ودَرَسوا الدوافع الحقيقيه وراء هذا الإجراء، والّتى ذُكرت

فى هذه السوره، وفى النصوص التاريخيه لسلموا من كثير من هذه الأخطاء، ولصَيِّدَقُوا واعترفوا بأن هذا العمل لا ينافى حريه العقيدته التى يحترمها عقلاء العالم، أبداً، وإليك فيما يأتى الدوافع وراء صدور هذا العهد (البراءه).

١. كان التقليد السائد عند العرب فى العهد الجاهلى هو أنّ على زائر الكعبه أن يعطى الثوب الذى يدخل به إلى مكّه المكرّمه لفقير ويطوف بثوب آخر، وإذا لم يكن له ثوبٌ آخر، فإنّ عليه أن يستعير ثوباً ويطوف به حتّى لا يضطرّ إلى الطواف عرياناً، وإن لم يمكنه أن يستعير ثوباً طاف بالبيت المعظم عارياً، بادی السوأه.

وقد دخلت امرأه ذات جمال كبير، ذات يوم المسجد الحرام، وحيث إنّها لم تكُ تملكُ ثوباً آخر، لذلك اضطرت تبعاً لذلك التقليد الجاهلى الخرافى أن تطوف عاريه بالبيت المعظم، ومن الواضح أنّ مثل هذا الطواف الفاضح، أى الطواف بالجسد العارى، فى أقدس بقعه من بقاع العالم على مرأى من جموع الطائفين بالبيت، ينطوى على نتائج سيئه بالغه السوء.

٢. لقد نزلت الآيات الأولى من سوره التوبه بعد أن انقضت عشرون سنه على بعثه النبى الكريم صلى الله عليه و آله و سلم، وفى هذه المده كان منطق الإسلام القوى حول المنع من الوثنيه والشرك قد بلغ مسامع جميع المشركين فى شبه الجزيره العربيه، فإذا كانت جماعه قليله منهم لا يزالون يُصرّون على الشرك والوثنيه، لم يكن ذلك إلّا عن عصبيه وعناد.

من هنا كان الوقت قد حانَ لأن يستخدم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم آخر علاج لإصلاح ذلك المجتمع المنحرف، وأن يستعين بمنطق القوه لضرب كلّ مظاهر الوثنيه، وأن يعتبرها نوعاً من العدوان على الحقوق الإلهيه والإنسانيه، وبهذه الطريقه يقضى على منبع ومنشأ مئات العادات السيئه فى المجتمع.

ولكن المستشرقين الذين اعتبروا هذا العمل مخالفاً لمبدأ حرية الاعتقاد - الذى هو أساس الدين الإسلامى وقاعده المدنيه الراهنه - قد غفلوا عن هذه النقطة، لأن مبدأ حرية العقيدة محترم مادام لا يضرّ بسلامه الفرد والمجتمع، إذ فى غير هذه الصورة يجب مخالفتها حتماً بحكم العقل وسيره جميع المفكرين.

فإذا كان فى أوربا اليوم مثلاً جماعه من الشباب المنحرفين ينادون بحرية العرى انطلاقاً من أفكار منحرفه فاسده، وقاموا - على أساس أنّ إخفاء بعض الأقسام من الجسد يثير الفضول ويوجب تحريك الغريزه ويسبب فساد الأخلاق - بتشكيل نوادى العرى السريه، فهل يسمح الفكر الإنسانى الرشيد لمثل هذه الجماعه بأن تفعل ما تريد تحت قناع حرية العقيدة، ويقول: إنّ الاعتقاد أمرٌ محترم؟! أو أنّ العقل يقضى بأن نحارب مثل هذه الفكره الحمقاء حفاظاً على سعادته تلك الجماعه نفسها، وسعادته المجتمع وهذا الموقف مما لا يتخذه الإسلام فحسب، بل هو موقف جميع العقلاء فى العالم من جميع الاتجاهات والحركات الهدامه التى تهدد مصالح المجتمع بالخطر، فهم يحاربونها بلا هواده، وهذه الحرب فى الحقيقه هى محاربه المعتقدات الحمقاء لدى الجماعات المنحطه.

إنّ الوثنيه ليست سوى حفته من الأوهام والخرافات التى تستتبع مئات العادات الدنيئه، وقد بذل رسول الإسلام جهوداً كبرى وكافيه فى سبيل هدايتهم، وبعد أن انقضى أكثر من عشرين عاماً من دعوته كان الوقت قد حان لاستئصال جذور الفساد باستخدام القوه العسكريه كآخر وسيله.

٣. ومن جانب آخر فإنّ الحج هو أكبر العبادات والشعائر الإسلاميه، ولم تكن الصراعات والمواجهات التى وقعت بين الإسلام ورؤوس الشرك لتسمح



حتى يوم نزول هذه السوره بأن يعلم الرسول الكريم المسلمين مناسك الحج على الوجه الصحيح وبعيداً عن أى نوع من أنواع الشوائب والزوائد.

من هنا كان يتوجب أن يقوم النبي الكريم بنفسه بالمشاركه فى هذا المؤتمر الإسلامى العظيم، ويعلم المسلمين هذه العباده الكبرى بصوره عمليه، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما كان يمكنه المشاركه فى هذه المراسم والمناسك إذا خلت منطقته الحرم الإلهى ونواحيها من كافة المشركين الذين أعطوا مقام العبوديه والعباده للأصنام الخشبيه، والحجرية، ويطهرها من كل معالم الشرك والوثنيه، ويصبح الحرم الإلهى خالصاً للموحدين والعباد الواقعيين.

٤. إنَّ جهاد النبي لم يك له أى ارتباط بحريه العقيده، فالعقيدته ليست شيئاً يمكن أن يفرض على أحد، ويوجد أو يمحي بالقهر. إنَّ روح الإنسان ونفسه هو مركز الاعتقاد ومقرّه، وظرفه ومكانه، وهو لا يخضع لأى قهر أو تسخير، وإنَّ ظهور العقائد فى منطقته الضمير يتوقف على سلسله من المقدمات والأوليات التى توجب حصول العقيدته، وظهور العقيدته وحصولها من دون تلك المقدمات أمر محال.

وعلى هذا الأساس فإنَّ مسأله الاعتقاد لا تخضع للقهر، ولا تقبل الفرض، بل كان نضال النبي ينحصر فى النضال ضدّ مظاهر هذه العقيدته وهى عباده الأوثان.

من هنا هدم كل بيوت الأصنام، وحطم الأوثان، بينما ترك الانقلاب فى العقائد والضمانر لعامل الزمن الذى كان مروره يستتبع - لا محاله - مثل هذا التطور والتحوّل والانقلاب.

إنَّ العوامل الأربعة المذكوره دفعت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يستدعى أبابكر ثم يعلمه الآيات الأولى من سوره التوبه ويأمره بأن يذهب برفقه أربعين رجلاً من

المسلمين (١) إلى مكّه، ويتلو هذه الآيات التي تتضمّن البراءة من المشركين في يوم الأضحى على مسامح الناس.

فتهياً أبوبكر للقيام بأداء هذه المهمّة، وتوجّه نحو مكّه، إلّا أنّه لم يلبث أن نزل أمين الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برسالة من الله سبحانه وهي:

«إِنَّهُ لَا يُؤَدِّي عَنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ».

ولهذا استدعى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً وأخبره بالخبر ثم قال له: إركب ناقتي العضاء والحقّ أبابكر فخذ براءة من يده، وامض بها إلى مكّه وانبذ بها عهد المشركين إليهم، أي اقرأ على الناس الوافدين إلى منى من شتى أنحاء الجزيرة العربية براءة بما فيها النقاط الأربع التالية:

١. أن لا يدخل المسجد مشركاً.

٢. أن لا يطوف بالبيت غرياناً.

٣. أن لا يحجّ بعد العام مشركاً.

٤. أن من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد فهو له إلى مدّته، أي إنّ محترماً ميثاقه وماله ونفسه إلى يوم انقضاء العهد، ومن لم يكن له عهد ومدّه من المشركين فإلى أربعة أشهر، فإن أخذناه بعد أربعة أشهر قتلناه، وذلك بدءاً من هذا اليوم (العاشر من شهر ذي الحجّة).

إي إنّ على هذا الفريق من المشركين أن يحدّدوا موقفهم من الحكومة الإسلاميّة، فإمّا أن ينضوا إلى صفوف المؤمنين، وينبذوا وراء ظهورهم كلّ مظاهر الشرك ويحطموها، وإمّا أن يستعدوا للقتال مع المسلمين (٢).

ص: ٦٦٦

١- . وقد ذكر الواقدي أنهم كانوا ثلاثمائة (المغازي: ١٠٧٧/٢).

٢- . لاحظ: السير الحلبية: ٢٣٢/٣؛ بحار الأنوار: ٢٧٣/٢١-٢٧٥.

فخرج عليّ عليه السلام على ناقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العضاء مع جماعه منهم «جابر بن عبد الله الأنصاري» حتى أدرك أبا بكر في الجحفة فأبلغه أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فدفع أبو بكر آيات البراءة إلى علي عليه السلام.

ويروى محدّثو الشيعة وجماعه من محدّثي السنّة أنّ الإمام علي بن أبي طالب قال لأبي بكر: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أخيرك بين أن تسير معي أو ترجع إليه، فرجع أبو بكر العوده إلى المدينة على المسير مع علي عليه السلام إلى مكّة فقال: بل أرجع إليه، وعاد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلمّا دخل عليه قال: يا رسول الله إنك أهلتني لأمر طال الأعتاق إليّ فيه، فلمّا توجهت له ردّدتني عنه، مالي أنزل فيّ قرآن؟!!

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا ولكنّ الأمين جبرئيل هبط إليّ عن الله عزّوجلّ بأنّه لا يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منكم، وعليّ منّي، ولا يؤدّي عنّي إلّا عليّ» (١).

إلّا أن بعض روايات أهل السنّة تفيد أنّ أبا بكر أنيط إليه إماره الحجيج في ذلك العام، بينما كلف عليّ عليه السلام وحده بمهمه قراءه آيات البراءة والنقاط الأربعة المذكوره على الناس يوم الحج الأكبر بمنى (٢).

دخل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام مكّة وفي اليوم العاشر من شهر ذي الحجّه، صعد على جمره العقبه وقرأ على الناس الآيات الثلاث عشره من صدر سورة التوبه (براءه) وأذان رسول الله المتضمّن للنقاط الأربعة، رافعاً صوته به، بحيث يسمعه جميع من حضر، وذلك بمنتهى الشجاعه والجرأه، وأخبر المشركين الذين لاعهد ولا مدّه لهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ لهم أن يسيحوا في الأرض أربعه أشهر

ص: ٦٦٧

١- إرشاد المفيد: ٦٥/١-٦٦.

٢- السيره النبويه لابن هشام: ٩٧٠/٤. وراجع للوقوف على المصادر العديده لهذه القضيّه الغدير: ٣٣٨/٦-٣٥٠.

ابتداء من يوم قراءه ذلك الإعلان، فإذا انقضت هذه المده قُتِلُوا إذا وُجِدُوا على الشرك، فعليهم أن يبادروا خلال هذا الأجل المضروب إلى تطهير بيئتهم من كل أنواع الوثنيه وإلا سُلِّيت عنهم الحصانه، ورفع عنهم الأمان.

لقد كان أثر هذه الآيات وهذا الأذان النبويّ هو أنّه لم يمض على قراءتهما أربعة اشهر إلّا وأقبل المشركون على اعتناق عقيدته التوحيد أفواجاً أفواجاً، وهكذا استُصِلت جذور الوثنيه في شبه الجزيره العربيه في أواسط السنه العاشره من الهجره.

### تَعْصَبُ بغيضٌ في تحليل هذا الحدث

لايريب أنّ عزل أبي بكر عن مقام إبلاغ آيات البراءه، وتنصيب علي بن أبي طالب مكانه لأداء تلك المهمه بأمر الله تعالى يُعدُّ من أبرز فضائل علي ومناقبه المسلمه التي لا تقبل الانكار والشك، ولكن جماعه من الكتيّاب المتعصّبين وقعوا في الخطأ والانحراف رغم ذلك، عند تحليل ودراسه هذه الحادثه.

فهذا «الآلوسي البغدادي» يكتب في تفسيره عند دراسه وتحليل هذه الحادثه: النكته في نصب الأمير كرم الله تعالى وجهه مبلغاً نقض العهد في ذلك المحفل وهي أنّ الصّديق رضی الله تعالى عنه لَمَّا كان مظهرًا لصفه الرحمه والجمال كما يرشد إليه ما تقدّم في حديث الإسراء... ولَمَّا كان علي كرم الله تعالى وجهه الذي هو أسد الله مظهر جلاله، فَوَضَّ إليه نقض عهد الكافرين الذي هو من آثار الجلال وصفات القهر(١).

إنّ هذا التفسير النابع من منبع التعصّب لا ينسجم مع كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛

ص: ٦٦٨

١- . روح المعاني: ٤٥/١٠، تفسير سوره التوبه.

لأنه قال عند الإجابة لأبي بكر إن هذه الآي لا يؤدّيها إلّا أنا أو رجلٌ مني، أي لا يصلح لأدائها غير هذين الرجلين، وليس في هذا الكلام أي إشارة إلى الرأفة والشجاعة.

هذا مضافاً إلى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المظهر الكامل للرحمة والرأفة وبناء على ما قاله الآلوسى يجب أن لا يُكلّف حتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بابلاغ هذه الآيات، على حين أنّ الوحي قال: هذه الآيات لا يؤدّيها إلّا أنت أو رجلٌ منك.

ولقد برّر جماعه أخرى هذا المطلب بنحو آخر فقالوا: لقد كان التقليد المتبع عند العرب في نقض العهود مهما كانت هو أن يقدم نفس الموقّع على العهد أو أحد أنسابه على نبذ العهد ونقضه، إذ في غير هذه الصورة كان المتعارف عندهم أن يبقى العهد على حاله، وحيث إنّ علي بن أبي طالب كان من أقرباء النبي لهذا كُلف بإبلاغ هذه الآيات التي تضمّنت نبذ العهد.

ولكن هذا التفسير والتوجيه غير مقنع، لأنه كان ثمة بين أقرباء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هو أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل عمّه العباس، فلماذا لم يكلف بإبلاغ آيات البراءة، ونبذ العهد إلى المشركين؟

ثم لماذا لم يتبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه العادة من أوّل الأمر وهو العارف بتقاليد مجتمعه؟

إذا أردنا أن نقضى في هذه القضية التاريخيه بالقضاء المحايد المنصف وجب أن نقول: إنّ علّه هذا العزل، والنصب لم تكن لا لدافع الرغبة في المقام، والطموح إلى السلطه، ولا لوشيجه القربى مع على عليه السلام، بل كان الغرض من هذا التغيير هو الكشف عملياً عن أهليّه أمير المؤمنين على عليه السلام وصلاحيّته للقيام بالمهام المتعلّقه بالحكومه الإسلاميه وليعلّم الناس أنّه عدلُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الجوانب

الروحيه، وفي مجال الأهلتيه، والصلاحيه.

وإنه إذا ما غابت شمس رساله بعد حين وجب أن تُسَيِّمَ مقاليد الحكم، وأزَمَه التصرُّف في المسائل والأُمور المتعلِّقه بشؤون الخلفه إلى عليّ عليه السلام إذ لا يصلح لهذا العمل الخطير سواه، وإنه يجب أن لا يقع المسلمون بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و سلم في الإشكال والتشَّتت، والاختلاف والحيره في هذا الأمر، لأنَّهم قد رأوا بأُمِّ أعينهم كيف نُصِب «عليّ» من جانب النبي بأمر الله تعالى لنبذ العهود مع المشركين، الذي هو من صلاحيات واختيارات، الحاكم الإسلامي وشؤونه.

ص: ٦٧٠

«يا إبراهيم إِنَّا لَنْ نُغْنِيَ عَنْكَ شَيْئاً» ثم ذرفت عيناه صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «إِنَّا بِكَ يا إبراهيم لمحزونون، تبكى العين ويحزن القلب وَلَا نَقُولُ ما يُشْخِطُ الرَّبَّ».

وفى لفظ: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، ولولا أنه وعِدُّ صادقٌ وموعودٌ جامعٌ فإنَّ الآخرَ منا يتبع الأول، لوجدنا عليك يا إبراهيم وجداً شديداً ما وجدناه».

وفى لفظ: «ولولا- أنه أمر حقٌ ووعد صادق، وأنها سبيل مأتية لحزننا عليك حزناً شديداً أشد من هذا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون».

وفى لفظ: «وإننا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون».(١)

هذه العبارات قالها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى رثاء ولده العزيز «إبراهيم» فى اللحظات التى كان يلفظ فيها أنفاسه الأخيره فى حجر أبيه الرحيم، وبينما كان الوالد العظيم واضحاً شفثيه على خد ابنه، ويودعه بروح ملؤها المشاعرُ

ص: ٦٧١

١- . السيره الحلبيه: ٣/٣٩٤. ولاحظ: الاستيعاب: ١/٥٧، أسد الغابه: ١/٣٩.

والعواطف، من جانب، وراضيه بالتقدير الإلهي من جانب آخر.

إنَّ حَبَّ الأولاد والأبناء من أرفع وأظهر تجليات الروح الإنسانيه، كما أنَّه خير دليل على سلامه الروح ولطفاتها.

لقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول دائماً: «أكرموا أولادكم»<sup>(١)</sup> وذهب إلى أبعد من ذلك إلى درجة أنه اعتبر مودَّة الأبناء والعطف عليهم من مكارم أخلاقه ومحاسن سجايه<sup>(٢)</sup>.

ففى السنين والأعوام الماضيه واجه النبىُّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مصيبه افتقاد ثلاثه من أولاده هم: «القاسم، والطاهر، والطيب»<sup>(٣)</sup> وثلاث من بناته وهن: «زينب» و«رقية» و«أم كلثوم» ولقد حزن لفقدهم حزناً شديداً وكانت «فاطمه» هى البنت الوحيدة التى بقيت له من زوجته الكريمه خديجه.

لقد بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فى السنه السادسه من الهجره سفراء إلى البلاد المختلفه خارج الجزيره العربيه وكان من جمله الكتب التى أرسلها إلى الأمراء والملوك هى رسالته إلى حاكم مصر يدعوه فيها إلى الإسلام، وإلى عقيدته التوحيد، وهذا الحاكم وإن لم يلبَّ نداء النبىِّ فى الظاهر، ولم يقبل دعوته إلَّا أنَّه أجاب على كتاب النبىِّ بإجابته حسنه مضافاً إلى أنه أرسلَ إليه صلى الله عليه وآله وسلم هدايا منها جاريه تدعى «ماريه».

ولقد نالت هذه الجاريه فيما بعد شرف تزوج النبىِّ الكريم بها وولدت له ابناً

ص: ٦٧٢

١- . بحار الأنوار: ٩٥/١٠٤، عن مكارم الاخلاق.

٢- . لاحظ: المحجَّه البيضاء: ٣٦٦/٣.

٣- . بحار الأنوار: ١٦٦/٢٢، ولكن بعض علماء الشيعة قالوا: أولاده الذكور من خديجه اثنان فقطراجع بحار الأنوار: ١٥١/٢٢.



سمّاه «إبراهيم» أحبّه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم حبّاً شديداً.

ولقد خففت ولاده إبراهيم الكثير من الأحزان التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعاني منها بسبب افتقاده لأولاده الستة، واشعلت في نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصيصاً من الأمل، ولكن هذا البصيص من الأمل سرعان ما غاب بعد ثمانية عشر شهراً، وانطفأ.

لقد خرج رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم من بيته ذات يوم لعمل، وعندما عرف بتدهور خطير في صحته ولده الحبيب الوحيد «إبراهيم» عاد من فوره إلى منزله، وأخذ ابنه من حضن أمه، وفيما كانت تملو ملامحه علامات الغم والاضطراب نطق بهذه العبارات.

إنّ حزن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبكائه في موت ابنه «إبراهيم» دليل حيّ على عاطفته الإنسانية التي استمرت حتى بعد وفاه ذلك الولد الحبيب، وإنّ إظهار تلك العواطف والإعراب عن الحزن والأسى كان يكشف عن روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم العاطفية التي كانت تبرز من دون اختيار، فيما دلّ تجنّب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التكلّم بما يسخط الله في هذه المصيبة المؤلمة على إيمانه ورضاه بالتقدير الإلهي الذي لا مفرّ لأحد منه.

### اعتراض غير وجيه

استغرب عبد الرحمن بن عوف الأنصاري من بكاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولده «إبراهيم»، فاعترض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألم تكن نهيته عن البكاء، وأنت تبكي؟» (١)

إنّ هذا المعترض لم يكن جاهلاً بمبادئ الإسلام وقواعده الرفيعة فحسب؛ بل كان غافلاً حتى عن العواطف والمشاعر الإنسانية الخاصّة التي أودعتها يد

ص: ٦٧٣

الخالق في ضميره أيضاً.

إنّ جميع الغرائز الإنسانيه خُلِقَتْ في الكيان البشري لأهداف خاصّه ويجب أن يتجلّى كلّ واحد منها في وقته المناسب وموقعه اللازم، فالشخصُ الّذى لا يحزن لفقد أحبائه وأعزّائه ولا يغتم لفراقهم، ولا تدمع عيناه لذلك، وبالتالي إذا لم يُظهر من نفسه أيّ رده فعل عند فراقهم، لم يكن سوى قطعه من الصخر، ولا يستحق اسم الإنسانيه

ولكن ثمة نقطه مهمّه وجديره بالانتباه، وهي أنّ هذا الاعتراض وإن كان اعتراضاً غير موجّه، إلّا أنّه يكشف عن وجود حريه كامله، وديمقراطيه حقيقيه في المجتمع الإسلامى الحديث التأسيس إلى درجه أنّ شخصاً عادياً من الناس تجرّأ على أن ينتقد عمل قائده بمطلق الحريّه ومن دون خوف أو وجل، وسمع الجواب.

ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا، إنّما هذا رحمه، ومن لا يرحم لا يُرحم»<sup>(١)</sup>.

أو قال:

«لا، ولكنّ نهيت عن صوتين أحمرين فاجرين: صوت عند مصيبه وخمش وجوه وشقّ جيوب ورنه شيطان...»<sup>(٢)</sup>.

ولقد كلّف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام<sup>(٣)</sup> بتجهيز

ص: ٦٧٤

١- . بحار الأنوار: ١٥١/٢٢.

٢- . السيره الحلييه: ٣٩٥/٣. ولاحظ: مستدرک الحاكم: ٤٠/٤.

٣- . بحار الأنوار: ١٥٦/٢٢، وروى في السيره الحلييه: ٣٩٥/٣، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلّف الفضل بن العباس (ابن عم النبي) بتجهيز إبراهيم.

«إبراهيم» وتغسيله وتكفينه وتحنيطه، ثم إنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيعه مع جماعه من أصحابه، ومضى حتّى انتهى به إلى قبره فى البقيع.

ثم إنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى فى قبر «إبراهيم» خللاً فسوّاه بيده ثم قال:

«إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا فَلْيَتَّقِنْ» (١).

### مكافحه الخرافات

عندما مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انكسفت الشمس فتصوّر البعض ممّن جهل سنن الطبيعه وقوانين العالم الطبيعى أنّ الشمس انكسفت لموت إبراهيم.

ولا شك أنّ مثل هذا التصوّر الباطل وإن كان قضيه خياليه ووهماً سخيفاً إلّا أنّه كان من شأنه أن ينفع النبي، ويعزز مكانته فى المجتمع الذى طالما آمن بالخرافه وعشقها.

ولو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قائداً عادياً ومادياً لكان من الجائز أن يؤيّد صحّه هذا التصوّر ليكتسب من وراء ذلك عظمه وقوه.

ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عكس هذا التوقع رقى المنبر، وأطلع الناس على حقيقه الأمر وقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كَسُوفَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ آيَاتُ اللَّهِ، يَجْرِيانَ بِأَمْرِهِ، مَطِيعانَ لَهُ لَا يَنْكَسِفانَ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ» (٢).

ص: ٦٧٥

١- الكافى: ٢٦٣/٣ ح ٤٥؛ بحار الأنوار: ٢٦٤/٢٢.

٢- المحاسن: ٣١٣/٢؛ السيره الحليه: ٣٩٦/٣. ولاحظ: صحيح البخارى: ٢٤/٢، كتاب الكسوف، وصحيح مسلم: ٣٥/٣، باب ذكر النداء بصلاه الكسوف.

إنَّ النبيَّ الكريمَ صلى اللهُ عليه وآله وسلم على عكس ما يفعله النفعيون الوصوليون الذين لا يكتفون بتفسير الحقائق وتجييرها لمصالحهم، واستخدامها لمآربهم، بل طالما يحاولون استغلال جهل الناس ونزوعهم إلى الخرافات لصالحهم.

إنَّ رسولَ الإسلامِ على عكس هذه الجماعة لم يكتفِ الحقيقة، ولم يستفد من جهل الناس وغفلتهم لصالح نفسه.

ولو أنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وآله وسلم كان يُسبغ في ذلك اليوم لباس الصحَّة على مثل هذه الفكرة الباطلة وهذا تصوُّر الخيالي لم يمكنه أن يطرح نفسه قائداً خالداً للبشرية ورسولاً مختاراً من جانب خالق الطبيعة، والمؤسِّس الحقيقي لقوانين العالم المادِّي، في العالم الراهن المذموم كشف فيه القناع عن أسرار الطبيعة، واتَّضحت فيه قوانين العالم المادِّي ونواميسه، وعلل الكسوف والخسوف وغيرهما من الظواهر الطبيعية.

إنَّ دعوته النبيِّ الأكرم لم تكن مختصَّة بجماعه العرب كما أنَّها لا تخضع لحدود زمانيه أو مكانيه، فلو أنَّه كان نبيَّ الأقوام والأجيال الغابرة، فهو كذلك نبيُّ عصر الفضاء، وقائد عصر اكتشاف أسرار الطبيعة ورموزها.

إنَّ أحاديث هذا النبيِّ العظيم، وكلماته من القوة، والامتانة ومن الصحَّة، والاتِّصاف بالواقعية، بحيث لم يتطرَّق إليها أيُّ إشكال حتَّى مع التطوُّرات العلميَّة الأخيرة التي قلبت كثيراً من معارف البشر القديمه رأساً على عقب.

تقع «نجران» بقراها السبعين التابعه لها، في نقطه من نقاط الحجاز واليمن الحدوديه، وكانت هذه المنطقه في مطلع ظهور الإسلام المنطقه الوحيدَه الّتي غادر أهلها الوثنيه لأسباب معيّنَه واعتنقوا المسيحيه (١) من بين مناطق الحجاز.

وقد كتب رسول الإسلام كتاباً إلى أسقف نجران (٢) «أبو حارثه» يدعو أهلها فيه إلى الإسلام يوم كتب كتباً إلى ملوك العالم ورؤسائه.

وإليك مضمون هذا الكتاب:

«بِسْمِ إِلَهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مِنْ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى أَشْقَفِ نَجْرَانَ وَأَهْلِ نَجْرَانَ إِنْ أَسْلَمْتُمْ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ، وَأَدْعُوكُمْ إِلَى وِلَايَةِ اللَّهِ مِنْ وِلَايَةِ الْعِبَادِ، فَإِنْ أَيْتَمَ فَالْجَزِيَه، فَإِنْ أَيْتَمَ فَقَدْ آذَنْتَكُمْ بِحَرْبٍ وَالسَّلَامِ». (٣)

ص: ٦٧٧

- 
- ١- ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان: ٢٦٦/٥-٢٧٧ علل اعتناقهم للمسيحيه.
  - ٢- الأسقف معرب كلمه يونانيه هي ايسكوب وتعني الرقيب والمناظر، وهو اليوم منصب أعلى من منصب القسيس.
  - ٣- بحار الأنوار: ٢١/٢٨٥؛ إمتاع الأسماع: ١٤/٦٧؛ البدايه والنهايه: ٥/٦٤.

وأضافت بعض المصادر التاريخية الشيعية أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كتب في ذلك الكتاب الآية المرتبطة بأهل الكتاب (١) والتي تدعوهم إلى عبادة الله الواحد القهار.

قدم سفير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتابه المبارك إلى أسقف نجران، فقرأ ذلك الكتاب بعنايه ودقّه متناهيه، ثم شكّل جماعه للمشاوره وتداول الأمر واتّخاذ القرار، مكوّنه من الشخصيات البارزه الدينيه وغير الدينيه، وكان أحد أعضاء هذه المجموعه «شرحبيل» الذي عُرف بعقله ونبله، وتدييره وحكمته، فقال في معرض الإجابه عن استشاره الأسقف إيّاه: قد علمت ما وَعَدَ اللهُ إبراهيم في ذريه إسماعيل من النبؤه، فما يؤمنك أن يكون هذا الرجل، ليس لي في النبوه رأى، لو كان أمرٌ من أمور الدنيا أشرتُ عليك فيه وجهدتُ لك.

فقرّر المتشاورون أن يبعثوا وفداً إلى المدينه للتباحث مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودراسه دلائل نبوّته، فاختر لهذه المهمه ستون شخصاً من أعلم أهل نجران وأعقلهم، وكان على رأسهم ثلاثه أشخاص من أساقفتهم هم:

١. «أبو حارثه بن علقمه» أسقف نجران الأعظم والممثل الرسمي للكنائس الروميّه في الحجاز.

٢. «عبد المسيح» رئيس وفد نجران المعروف بعقله ودهائه، وتدييره.

٣. «الأيهم» وكان من ذوى السن ومن الشخصيات المحترمه عند أهل نجران. (٢)

ص: ٦٧٨

١- المراد من تلك الآية هو قوله تعالى: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً» (آل عمران: ٦٤). الإقبال: ٣١١/٢.

٢- لاحظ: إمتاع الأسماع: ٦٥/١٤.

قدمَ هذا الوفد المسيحيّ المدينة ودخلوا المسجد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم يلبسون أزياءهم الكنسيّة ويرتدون الديباج والحريز، ويلبسون خواتيم الذهب ويحملون الصلبان في أعناقهم، فأزعج منظرهم هذا وخاصة في المسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشعروا بانزعاج النبي ولكنهم لم يعرفوا سبب ذلك، فسألوا «عثمان بن عفان» و«عبد الرحمن بن عوف» وكانت بينهم صداقه قديمه، فقال الرجلان لعلي بن أبي طالب: ماترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟

قال: أرى أن يَضَعُوا حُلَّيْهِمْ هذه وخواتيمهم ثم يعودون إليه.

ففعّلوا ذلك ثم دخلوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسلموا عليه فرد عليهم السّلام، واحترمهم، وقبل بعض هداياهم التي أهدوها إليه صلى الله عليه وآله وسلم، ثم إنَّ الوفد قبل أن يبدأوا مفاوضاتهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: إن وقت صلاتهم قد حان واستأذنه في أدائها، فأراد الناسُ منعهم ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أذن لهم وقال للمسلمين: «دعوهم» فاستقبلوا المشرق، فصلّوا صلاتهم (١).

وبذلك أعطى النبي صلى الله عليه وآله وسلم درساً في التسامح الديني يدفع افتراءات أعداء الإسلام على هذا الدين.

### مفاوضات وفد نجران مع النبي

لقد نقل طائفه من كتاب السير، والمحدثين الإسلاميين نصَّ الحوار الذي دار بين وفد نجران المسيحي ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن المرحوم السيد ابن طاووس نقل نصَّ هذا الحوار وقضيه المباهله بنحو أدقّ وأكثر تفصيلاً ممّا ذكره الآخرون من المحدثين والمؤرخين.

ص: ٦٧٩

١- . لاحظ: إمتاع الأسماع: ٦٥/١٤؛ تاريخ الإسلام للذهبي: ٦٩٥/٢.

فقد ذكر جميع خصوصيات المباهله من البدايه إلى النهايه نقلاً عن كتاب «المباهله» لمحمد بن المطلب الشيباني (١). وكتاب «عمل ذى الحجة» للحسن بن إسماعيل (٢)، غير أن نقل جميع تفاصيل هذه الواقعة التاريخيه الكبرى التي قصير حتى في الإشاره إليها إشاره عابره بعض أصحاب السير، أمرٌ خارجٌ عن نطاق هذا الكتاب، ولهذا فإننا نكتفى بنقل جانب من هذا الحوار الذي نقله ورواه الحلبي في سيرته (٣).

عرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على وفد نجران وتلا عليهم القرآن، فامتنعوا وقالوا:  
قد كنّا مسلمين قبلك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كَذِبْتُمْ، يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أن لله ولداً. أى لأن أحدهم قال له صلى الله عليه وآله وسلم: المسيح ابن الله لأنه لا أب له.

وقال له آخر: المسيح هو الله لأنه أحيا الموتى، وأخبر عن الغيوب، وأبرأ من الأدواء كلها، وخلق من الطين طيراً.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم.

فغضبوا وقالوا: إنما يرضينا أن تقول إنه إله... فنزل الوحي بقوله تعالى: «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ» (٤)، وقوله تعالى:

ص: ٦٨٠

- 
- ١- هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن البهلول بن همام بن المطلب المولود عام ٢٩٧ هـ والمتوفى عام ٣٨٧ هـ.
  - ٢- من أراد الوقوف على خصوصيات هذه الواقعة التاريخيه فليراجع كتاب «الإقبال» للمرحوم السيد ابن طاووس: ٣١٠/٢-٣٤٩.
  - ٣- لاحظ: السير الحلبيه: ٢٣٥/٣-٢٣٦.
  - ٤- المائده: ١٧ و ٧٢.



«إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ» (١).

فقال وفد نجران: إنا لا نزدادُ منك في أمر صاحبنا إلتبائناً، وهذا الأمر الذي لا نقرّه لك، فهلمّ فلنلاعنك أيّنا أولى بالحقّ فنجعل لعنه الله على الكاذبين (٢).

فأنزل الله عزّوجلّ آية المباهله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» (٣).

فدعاهم إلى المباهله، فقبلوا، واتفق الطرفان على أن يقوموا بالمباهله في اليوم اللاحق.

### خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمباهله

تعتبر قصه مباحله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع وفد نجران من حوادث التاريخ الإسلامى المشيره والجميله، وهى وإن قصر بعض المفسرين والمؤرخين فى روايه تفاصيلها، وتحليلها، إلّا أنّ ثله كبيره، من العلماء كالزمخشري فى الكشاف (٤)، والفخر الرازى فى تفسيره (٥)، وابن الأثير فى الكامل (٦) أعطوا حقّ الكلام فى هذا المجال، وها نحن ننقل هنا ملخص ما كتبه الزمخشريّ فى هذا

ص: ٦٨١

- ١- . آل عمران: ٥٩.
- ٢- . بحار الأنوار: ٣٢٠/٢١، ولكن آيه المباهله، وكما يستفاد من السيره الحلبيه (: ٢٣٦/٣) تفيد أن النبيّ هو الذى اقترح المباحله ابتداء كما تفيد عبارته: «تعالوا ندع أبناءنا...».
- ٣- . آل عمران: ٦١.
- ٤- . تفسير الكشاف: ٤٣٤/١.
- ٥- . تفسير الرازى: ٨٥/٨-٨٦.
- ٦- . الكامل فى التاريخ: ٢٩٣/٢.

حان وقت المباهله... وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفد نجران قد اتفقا على أن يُجريا المباهله خارج المدينة، في الصحراء... فاختر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المسلمين ومن عشيرته وأهله أربعة أشخاص فقط وقد اشترك هؤلاء في هذه المباهله دون غيرهم، وهؤلاء الأربعة لم يكونوا سوى: علي بن أبي طالب عليه السلام، وفاطمه الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحسن، والحسين؛ لأنه لم يكن بين المسلمين من هو أظهر من هؤلاء نفوساً، ولا أقوى وأعمق إيماناً.

طوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسافه بين منزله، وبين المنطقه التي تقرر التباهل فيها في هيئه خاصه مشيره، فقد غدا محتضناً الحسين (١) آخذاً بيد الحسن وفاطمه تمشى خلفه وعلي خلفها، وهو يقول: إذا دعوت فأمّنوا.

كان زعماء وفد نجران ورؤسائهم قد قال بعضهم لبعض - قبل أن يغدو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المباهله -: انظروا محمداً في غد، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته، وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه ليس على شيء. وهم يقصدون أن النبي إذا جاء إلى ساحه المباهله محفوفاً بأبيه ماديه، وقوه ظاهريه، تحف به قاده جيشه وجنوده فذلك دليل على عدم صدقه، وإذا أتى بولده وأبنائه بعيداً عن أيه مظاهر ماديه وتوجه إلى الله بهم وتضرع إلى جنابه كما يفعل الأنبياء، دل ذلك على صدقه؛ لأن ذلك أكد في الدلاله على ثقته بحاله واستيقانه بصدقته، حيث استجرأ على تعريض أعزته، وأفلاذ كبده، وأحب الناس إليه لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه له، وعلي ثقته بكذب خصمه.

١- . جاء في بعض الروايات أن النبي غدا آخذاً بيد الحسن والحسين تتبعه فاطمه وبين يديه علي (بحار الأنوار: ٣٣٨/٢١).

وفيما كان رجال الوفد يتحدثون في هذه الأمور إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأغصان الأربعة من شجرته المباركة بوجوه روحانيه تيره، فأخذ ينظر بعضهم إلى بعض بتعجب ودهشه، كيف خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بابنته الوحيدة، وأفلاذ كبده وكبدها المعصومين للمباهله، فأدركوا أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم واثق من نفسه ودعوته وثوقاً عميقاً، إذ أنّ المتردد غير الواثق بدعوته لا يخاطر بأحبائه وأعزته ويعرضهم للبلاء السماوي.

ولهذا قال أسقف نجران: يا معشر النصارى إنّي لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة (1).

### إنصاف وفد نجران عن المباهله

لما رأى وفد نجران هذا الأمر (وهو خروج النبي بأحبته وأعزته) وسمعوا ما قاله أسقف نجران تشاوروا فيما بينهم ثم اتفقوا على عدم مباهله النبي صلى الله عليه وآله وسلم، معلنين عن استعدادهم لدفع الجزية للنبي كلّ سنه، لتقوم الحكومه الإسلاميه في المقابل بالدفاع عن أنفسهم وأموالهم، فقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، وتقرّر أن يتمّع نصارى نجران بسلسله من الحقوق في ظلّ الحكومه الإسلاميه لقاء مبالغ ضئيله

ص: ٦٨٣

١- . يروى العالم الشيعي الكبير السيد ابن طاووس في كتاب «الاقبال»: ٣٤٥/٢: أقبل الناس من أهل المدينه من المهاجرين والأنصار، وغيرهم من الناس في قبائلهم وشعارهم من راياتهم وألويتهم وأحسن شارتهم وهيئتهم... ولبث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجرته حتى متع (ارتفع) النهار ثم خرج آخذاً بيد علي والحسن والحسين أمامه، وفاطمه عليها السلام من خلفهم فأقبل بهم حتى أتى الشجرتين فوقف من بينهما من تحت الكساء على مثل الهيئه التي خرج بها من حجرته، ثم أرسل إلى وفد نجران ليباهلهم.

يدفعونها سنوياً، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«أما والذي نفسي بيده لقد تدلّى العذابُ على أهل نجران، ولو لاعتنوني لُمِسَ خُوقرده وخنازير، ولأضرم الوادئ عليهم ناراً، ولاستأصل الله تعالى نجران وأهله».

عن عائشه: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج (أى يوم المباهله) وعليه مرط (١) مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمه، ثم عليّ، ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (٢). (٣)

ثم يقول الزمخشري فى نهايه هذا الكلام: وفيه دليل لاشيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام، وفيه برهان على صحه نبوه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك. (٤)

### صورة العهد النبوي لأهل نجران

سأل وفد نجران النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكتب مقدار الجزية التي اتفق عليه دفعها من قبل أهالي نجران إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى كتاب، وأن يضمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمن نجران فى ذلك الكتاب، فكتب أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب بأمر النبي كتاباً هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما كتب النبي محمد رسول الله لنجران إذا كان له عليهم حكمه فى كل ثمره، وكل صفراء، وبيضاء، وسوداء، ورقيق وأفضل عليهم

ص: ٤٨٤

١- . كساء.

٢- . الأحزاب: ٣٣.

٣- . مستدرک الحاكم: ١٤٧/٣؛ المصنّف لابن أبى شيبه: ٥٠١/٧.

٤- . تفسير الكشاف: ٤٣٤/١.

وترك ذلك كله على: ألفى حله من حلال الأوقى فى كل رجب ألف حله، وفى كل صفر ألف حله، لكل حله أوقيه من الفضه، فما زادت على الخراج أو نقصت على حلال الأوقى فبالحساب، وما قضا من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض أخذ منهم بالحساب، وعلى نجران مؤنه رسلى وتمعنهم ما بين عشرين فدونه ولا- يحسبن رسلى فوق شهر، وعليهم عاريه ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً، إذا كان كيد ومعره وما هلك ممّا أعاروا رسلى من دروع أو خيل أو ركاب فهو ضامن على رسلى حتى يؤدوه إليهم، ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمه محمد النبى على أنفسهم وملتهم، وأراضيهم، وأموالهم، وغائبهم وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم، وأن لا- يغيروا ممّا كانوا عليه، ولا يغير حق من حقوقهم، ولا ملتهم، ولا يغير أسف عن أسقيته، ولا راهب من رهبانته، ولا- واقها من وقياه، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير وليس عليهم دينه، ولا دم جاهليه، ولا يحشرون، ولا يعشرون، ولا- يطأ أراضيهم جيش، ومن سأل فيهم حقاً فيبينهم النصف غير ظالمين، ولا مظلومين بنجران، ومن أكل ربا من ذى قبل فذمتى منه بريئه، ولا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر، وعلى ما فى هذه الصحيفه جوار الله وذمه محمد النبى صلى الله عليه وآله وسلم أبداً حتى يأتى الله بأمره، وما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم. (1)

### أكبر فضيله

تعتبر واقعه المباحله وما نزل فيها من القرآن، أكبر فضيله تدعم موقف الشيعة على مَرّ التاريخ، لأنّ ألفاظ الآيه النازله فى المباحله ومفرداتها تكشف عن مكانه

ص: ٦٨٥

١- . إمتاع الأسماع: ٧٠/١٤؛ دلائل النبوه للبيهقى: ٣٨٩/٥؛ فتوح البلدان: ٧٧/١. ولاحظ: مكاتيب الرسول: ١٥٢/٣.

ومقام من باهل بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذين يتخذهم الشيعة قاده لهم.

فهذه الآيه اعتبرت الحسن والحسين أبناء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمه الزهراء المرأه الوحيدة التي ترتبط برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويصدق عليها عنوان «نساءنا». وقد عبّر عن على عليه السلام بأنفسنا فكان على عليه السلام تلك الشخصيه العظيمه بحكم هذه الآيه بمنزله نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ترى أيه فضيله أعظم وأسمى من أن ترتفع مكانه المرء من الناحيه المعنويه ارتفاعاً وتسمو سمواً عظيماً حتى أنه يوصف صاحبها بأنه بمنزله نفس النبي (1).

أليست هذه الآيه شاهد صدق على أفضليه أمير المؤمنين على عليه السلام على جميع المسلمين.

لقد ذكر الفخر الرازي المذمى عرف الجميع أسلوبه في الأبحاث الكلاميه ومواقفه من القضايا المرتبطه بالإمامه، ذكر استدلال الشيعة بهذه الآيه ثم أورد على هذا الاستدلال اعتراضاً قليل الأهميه ممّا لا يخفى جوابه على أرباب العلم وأهل المعرفه.

هذا ويستفاد من الأحاديث الوارده عن أئمه أهل البيت عليهم السلام أنّ المباهله لا تختصّ بالنبي الأكرم، بل يجوز أن يتباهل كلُّ مُسَلِّم في القضايا الدينيه مع مَنْ يخالفه ويجادلُه فيها، وقد جاءت طريقه المباهله والدعاء المخصوص بها في كتب الحديث، وللوقوف على هذا الأمر يراجع كتاب «نور الثقلين» (2).

ص: ٦٨٦

١- . وقد استند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه الآيه في قوله: «علّي مني كنفسى».

٢- . نور الثقلين: ٣٥١/١-٣٥٢؛ وراجع أيضاً الكافي ج ٥١٣/٢، كتاب الدعاء، باب المباهله. وقد أشار العلامة الطباطبائي في إحدى رسائله إلى هذا الموضوع أيضاً، ويعتبره من معجز الإسلام الخالده.

إنَّ حادثه المباهله من قضايا التاريخ الإسلامى المعروفه المتواتره الّتى جاء ذكرها فى كتب التفسير، والتاريخ والحديث بصوره مبسوطه ومفصّله لمناسبه وأخرى، وتتلخّص هذه القصّه فيما يلى:

لقد كتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - يوم راسل ملوك العالم وأمراءه يدعوهم إلى الإسلام - كتب كتاباً إلى أسقف نجران «أبو حارثه» دعا فيه أهل نجران إلى الإسلام، ولما تسلّم أبو حارثه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاور جماعه من أصحابه، فأشاروا عليه بأن يبعثوا وفداً يمثّلون أهل نجران إلى المدينة، ليتفاوضوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قُرب.

وفعلاً قدم الوفد المذكور المدينة، والتقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد مداوولات ومفاوضات كثيره اقترح النبىُّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك الوفد المباهله بأمر الله سبحانه، بأن يخرج الجميع (الطرفان) إلى الصحراء، ويدعوا كلُّ واحد من الجانبين على الآخر، فرضوا باقتراح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنهم أحجموا عن المباهله لما شاهدوا ما عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حاله معنويه، وروحانيه عظيمه، حيث إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصطحب معه إلى المباهله أربعه أنفار من أفضل أحبته وأعزّته،

وتقرّر أن ينضوى نصارى نجران تحت مظله الحكومه الإسلاميه وهم على دينهم شريطه أن يدفعوا جزيه (وهي مبلغ ضئيل).

هذه هي خلاصه قضيه المباهله التي لا يستطيع إنكارها وإخفاءها أي مفسّر أو مؤرّخ على النحو الذي ذكر، والآن يجب أن نرى متى وفي أي يوم وشهر وعام وقعت هذه الحادثه الإسلاميه الكبرى؟

### عام المباهله حسب المشهور

ذكر مؤلّف كتاب «مكاتيب الرسول» أنّه لاختلاف عند المؤرّخين في أنّ وفودهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكتاب الصلح لهم كان سنه عشر من الهجره، فتكون سنه المباهله نفس هذه السنه أيضاً؛ لأنّ كتاب الصلح هذا إنّما كتب عندما أحجم الوفد النجراني النصراني من مباهله النبي صلى الله عليه وآله وسلم. (١)

وقد أدرج نصّ كتاب الصلح من مصادر عديده. (٢)

### الشهر واليوم الذي وقعت فيه المباهله

إنّ المشهور بين العلماء هو أنّ المباهله وقعت في اليوم الخامس والعشرين من شهر ذي الحجه، وذهب المرحوم الشيخ الطوسي إلى أنّها وقعت في اليوم الرابع والعشرين من ذلك الشهر، وروى في كتابه دعاء خاصاً في هذه المناسبه (٣).

وأما المرحوم السيد ابن طاووس فقد نقل حول يوم المباهله أقوالاً ثلاثه،

ص: ٤٨٨

١- . لاحظ: مكاتيب الرسول: ٤٩٦/٢.

٢- . لاحظ: مكاتيب الرسول: ١٧١-١٥٢/٣.

٣- . مصباح المتهدد: ٧٥٩.



وذكر بأنَّ أصحَّ تلك الأقوال والروايات هو القائل بأنَّ يوم المباهله هو الرابع والعشرون من شهر ذي الحجّه، وقد ذهب البعض إلى أنّه اليوم الواحد والعشرون، بينما ذهب آخرون إلى أنّه اليوم السابع والعشرون(١).

ثم إنّه رحمه الله روى في آخر كتابه(٢) قصّه المباهله بصوره مفصّله لم ترد في أى كتاب أو مؤلّف آخر، ونوّه بأنّ محتويات هذا الباب اقتبست من الكتابين التاليين:

١. كتاب المباهله تأليف أبي المفضل محمّد بن عبد المطلب الشيباني(٣).

٢. كتاب عمل ذي الحجّه تصنيف الحسن بن إسماعيل بن أشناس(٤).

إلى هنا اتّضح أنّ يوم المباهله على المشهور هو اليوم الرابع والعشرون أو الحادى والعشرون أو الخامس والعشرون أو السابع والعشرون من شهر ذي الحجّه.

وأما رأينا حول التاريخ الدقيق لهذه الواقعة من حيث العام والسنه، فهو:

إنّ خلاصه القول هي أنّ هذه الأقوال والآراء حول عام ويوم المباهله لا

ص: ٦٨٩

١- . الإقبال: ٣٥٤/٢.

٢- . الإقبال: ٣١٠/٢.

٣- . لم ينقل المرحوم السيد نسبه بصوره صحيحه، فقد ذكر النجاشى نسبه على النحو التالى: محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبيد الله بن البهلول بن همام بن المطلب وعلى هذا الأساس يكون جده المطلب وليس عبد المطلب، كما أنّه يكون المطلب جده الخامس. وتنبغى الإشاره هنا إلى أنّ لمحمّد بن عبد الله - حسب ما يرى النجاشى - فترتين من الحياه، كان في إحداهما موثوقاً به، وفي الأخرى غير موثوق به، ولهذا يقول: اجتب الروايه عنه إلّا عندما يروى الثقات عنه أيام استقامته وصلاحه (راجع: رجال النجاشى: ٣٩٦ برقم ١٠٥٩).

٤- . جاء ذكره فى اسناد الصحيفه السجاديه وهو من مشايخ الطائفه الإماميه وقد توفى عام ٤٦٠ هـ وقد نقل أحاديث المباهله (راجع الذريعة: ٣٤٤/١٥).

توافق النقول التاريخيه الأخرى الّتى يتّسم بعضها بطابع القطعيه إلى حدّ بعيد، وإليك أدلّتنا على ذلك فيما يلي:

## رأينا حول عام المباهله

١. لقد جاء فى ختام الكتاب الّذى بعثه النبى صلى الله عليه و آله و سلم إلى أُسقف نجران عبارته:

«وإن أبيتُم فالجزية»، وقد جاءت لفظه الجزية فى القرآن الكريم فى سورة التوبه والظاهر أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم استخدم هذه الجملة واللفظه فى الكتاب المذكور اتباعاً للآيه المذكوره، وقد نزلت سورة التوبه قبيل غزوه تبوك بقليل، وقد وقعت هذه الغزوه بعد شهر رجب من السنه التاسعه.

وبناء على هذا يبعد أن يكون رسول الله قد كتب لأهل نجران كتاباً، بعثوا بجوابه إليه صلى الله عليه و آله و سلم بعد عام ونصف العام على يد وفدِهِم.

إنّ هذه الوقعه التاريخيه تحكى عن أنّ هذه الحادثه قد وقعت فى السنه العاشره من الهجره.

٢. اتفق كُتّاب السيره على أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بعث عليّاً عليه السلام إلى اليمن للقضاء وتعليم الأحكام الدينيه، وقد مكث على عليه السلام هناك ردحاً من الزمان لأداء مهامه المخوّله إليه، وعندما علم بتوجه النبى صلى الله عليه و آله و سلم إلى مكّه للحج، خرج هو أيضاً إلى مكّه على رأس جماعه من أهل اليمن، فلقى النبى بمكّه، وقدم إليه ألف حلّه من البز كان قد أخذها من أهل نجران من باب الجزية الّتى فرضت وكتبت عليهم فى معاهده الصلح (١).

إن هذه القضيه التاريخيه تفيد أنّ واقعه المباهله وكتابه العهد لا ترتبط بالسنه

ص: ٦٩٠

---

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ١٠٢١/٤؛ بحار الأنوار: ١١٥/٤١.

العاشره من الهجره، وذلك لأن أهل نجران تعهدوا في وثيقه الصلح أن يدفعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل سنة ألفي حله (مخيطه وغير مخيطه)، ألف حله منها في شهر رجب، وألف حله أخرى في شهر صفر (١).

فاذا سلمنا بأن وثيقه الصلح كتبت في شهر ذى الحجه وحب أن نقول إن المقصود منه هو شهر ذى الحجه من الأعوام السابقه على السنه العاشره.

لأنه كيف يمكن أن نقول بأن كتابه وثيقه الصلح، وتنفيذها بواسطة الإمام على عليه السلام قد تمّ معاً في السنه العاشره.

وإذا ارتضينا القول المشهور حول اليوم والعام الذي كتبت فيهما وثيقه الصلح، أمكن في هذه الصوره أن يكون عقد الصلح قد تمّ في السنه العاشره، ولكن يجب أن نرجع تاريخ كتابته إلى ما قبل شهر رجب؛ لأنّ الفرض هو أنّ الإمام علياً عليه السلام قد استلم أول قسط من الجزيه المقرره في شهر رجب في السنه العاشره.

والخلاصه: أنه مع ملاحظه هذه القضيّه التاريخيه (وهي أنّ الإمام علياً استلم القسط الأول من الجزيه من أهل نجران في شهر رجب وسلمه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكّه في شهر ذى الحجه) وحب أن نختار أحد القولين التاليين:

ألف: إذا سلمنا بأن يوم وشهر تنظيم وثيقه الصلح هو شهر ذى الحجه، وحب أن نقول إن المقصود منه هو أشهر ما قبل السنه العاشره.

ب: إذا تردّدنا في يوم وشهر كتابه الصلح على نحو التردّد في تحديد عامه، أمكن في هذه الصوره أن نقول بأن يوم المباهله وكذا يوم تنظيم وثيقه الصلح يرتبطان بأشهر ما قبل شهر رجب من السنه العاشره للهجره.

\*\*\*

ص: ٦٩١

١- . لاحظ: الطبقات الكبرى: ٣٤٨/١.

إلى هنا اتضح أنه من غير الممكن أن يكون عام المباهله هو السنه العاشره من الهجره حتماً، إلأفى صوره واحده وهى أن نغير رأينا فى اليوم والشهر اللذين تمت فيهما كتابه وثيقه الصلح.

وقد حان الحين الآن لأن نحدّد تاريخ المباهله من حيث اليوم والشهر فى ضوء الأحداث والوقائع التاريخيه، فنقول: إن الشهر واليوم اللذين وقعت فيهما قضيه المباهله هما - حسب ما هو مشهور بين العلماء كما أسلفنا - شهر ذى الحجه واليوم الرابع والعشرون أو الخامس والعشرون وعلى قول: الحادى والعشرون، أو السابع والعشرون من ذلك الشهر.

والآن يجب أن نرى هل تنطبق هذه الأقوال على غيرها من الحوادث التاريخيه القطعيه أم لا؟

إنّ الدراسه التاليه تثبت لنا أنّ قضيه المباهله من غير الممكن أن تكون قد وقعت فى شهر ذى الحجه من السنه العاشره مطلقاً، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد توجه إلى مكّه المكرّمه لتعليم مناسك الحج فى السنه العاشره من الهجره، وفى اليوم الثامن عشر من هذا الشهر (وهو يوم الغدير) نصب فى منطقه غدير خم الّتى تبعد عن الجحفه بميلين (1)، علياً خليفه على المسلمين من بعده.

ص: ٦٩٢

١- . «الجحفه» - على وزن طعمه - تقع على بعد ثلاثه منازل من مكّه وسبعه منازل من المدينه، وتبعد عن البحر الأحمر بسته أميال تقريباً وتقرّب من رابع الّتى تقع الآن على الطريق بين مكّه والمدينه. راجع كتاب التحرير للنووى والتهذيب له أيضاً. هذا ويقول ياقوت الحموى فى «مراصد الاطلاع» ص ١٠٩: إنّ الجحفه تقع على بعد أربعه أميال من مكّه وهى ميقات أهل

ولم تكن حادثه الغدير بالحادثه التي تنتهى ذيوؤها فى يوم واحد ليتابع النبى سفره إلى المدينه فوراً؛ لأنّ النبى - بشهاده التاريخ - أمر بعد نصب على عليه السلام للخلافه أن يجلس على في خيمه، وأن يدخل عليه المسلمون الحاضرون ثلاثه ثلاثه، ويهنئونه بالخلافه والإمره، وقد استمر هذا العمل حتى الليله التاسعه عشره من شهر ذى الحجه، وقد هُنّأت «أمهات المؤمنين» علياً عليه السلام فى نهايه مراسيم التهنئه(١).

من هنا لا- يمكن القول بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غادر أرض غدير خم فى اليوم التاسع عشر، خاصه أنّ تلك المنطقه كانت المحلّ الذى تشعب فيه طرق المدينين والمصريين والعراقيين، وبناء على هذا لا بدّ أنّ الجماعات المختلفه الأوطان التي كانت تريد التوجه إلى أوطانها قد ودّعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا شك أنّ عمليه التوديع هذه قد أوجبت مكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى أرض الغدير مده أطول.

وحتى لو فرضنا - افتراضاً - أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توجه نحو المدينه فى اليوم

ص: ٦٩٣

---

١- . للتعرف على تفصيل مراسيم التهنئه، لاحظ: موسوعه الغدير: ٢٧٠/١-٢٨٣.

التاسع عشر، فهل يمكن أن نقول - في ضوء المحاسبات التي نملكها من التاريخ حول مقدار طي هذه المسافه - أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة في اليوم الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين، وأخذ بمقدمات قضيه المباهله ثم كتب وثيقه الصلح بينه وبين أهل نجران؟، كلاً حتماً، لأن المسافه بين مكّه والجحفه كما ذكرنا في الهامش المتقدم هي ثلث المسافه بين مكّه والمدينه.

ويجب أن نرى الآن كم كان يستغرق من الزمن مجموع سفر القوافل - آنذاك - من مكّه إلى المدينه المنوره؟

لا توجد هنا أيه وثيقه توضح ذلك إلا حديث سفر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم نفسه العذى وضعه التاريخ تحت تصرفنا، فإن التاريخ يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطع هذه المسافه عند هجرته من مكّه إلى المدينه في مده تسعه أيام(١).

كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطع هذه المسافه في مده أحد عشر يوماً(٢).

وسبب التفاوت بين هاتين الرحلتين هو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قطع المسافه المذكوره في الرحله الأولى برفقه شخصين، بينما قطع تلك المسافه في الرحله الثانيه بصحبه جيش قوامه عشره آلاف رجل، ومن الطبيعي أن تتم الحركه في الرحله الثانيه بصوره أكثر بُطناً.

ولنفترض أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غادر أرض «غدیر خم» في اليوم التاسع عشر، فإننا إذا اتخذنا تسعه أيام مقياساً لتقييمنا وجب أن نقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابد أنه

ص: ٦٩٤

١- . غادر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكّه مهاجراً إلى المدينه في الليله الرابعه من شهر ربيع الأول، ووصل إلى محلّه «قبا» حوالي الظهر في اليوم الثاني عشر من نفس ذلك الشهر، وتدلّ القرائن على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطع هذه المسافه بسرعه بسبب ملاحقه قريش له، (الطبقات الكبرى: ١/١٣٥).

٢- . بحار الأنوار: ١٩/٢٢.

قطع المسافه بين الجحفه والمدينه فى ستة أيام؛ لأنّ المسافه بينهما هى ثلثا مجموع المسافه بين مكّه والمدينه، وبالتالى دخل المدينه فى اليوم الرابع والعشرين.

وإذا اعتبرنا الثانى (أى أحد عشر يوماً) أنّه هو المقياس وجب أن يقطع تلك المسافه (أى بين الجحفه والمدينه) فى سبعة أيام ونصف اليوم، فيكون) - حسب القاعده - قد قدم المدينه فى اليوم السادس والعشرين، حوالى الظهر منه.

فهل يمكن القول - فى ضوء هذه المحاسبه - بأنّ قضيه المباهله وقعت فى اليوم الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين أو السابع والعشرين؟!

إنّ بطلان هذا القول، وخلوّه عن الصحّه يتّضح أكثر إذا عرفنا بأنّ وفد نجران قبلوا بالتباهل بعد سلسله من المفاوضات والمداومات، وقد انصرفوا عن التباهل فى المآل ووقّعوا على وثيقه صلح بينهم وبين النّبى صلى الله عليه وآله وسلم، تحت شروط خاصّه.

فإنّ أعضاء الوفد المذكور دخلوا المدينه وهم يرتدون ثياباً راقيه من الديداج والحريه، وفى أيديهم خواتيم من ذهب، وعلى صدورهم صلبان من ذهب، وتوجّهوا فور قدومهم - وعلى هذه الهيئه - إلى مسجد النّبى صلى الله عليه وآله وسلم ولكن النّبى واجههم بالكراهه بسبب الهيئه الّتى دخلوا بها عليه.

فانتهى هذا اللقاء من دون عمل شىءٍ وتفترّق أعضاء الوفد، وهم فى حيره من موقف النّبى صلى الله عليه وآله وسلم فالتقى الوفد علياً عليه السلام وسألوه عن سبب استياء النّبى وإعراضه عنهم، فأخبرهم الإمام عليّ عليه السلام بأنّ عليهم أن ينزعوا تلك الثياب والحليّ عنهم، ويدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثياب عاديه حتّى يرتاح إليهم النّبى ويستقبلهم بوجه منبسط.

فعاد أعضاء الوفد ودخلوا على النّبى صلى الله عليه وآله وسلم ثانيه، ولكن بثياب عاديه خاليه

عن الزينه والحلي، فاستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببشاشه خاصه، ورحب بهم ترحيباً كبيراً، ثم سألو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يؤدوا صلاتهم في المسجد، فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، ثم دخلوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مناظرات ومناقشات مفضّله، ذكرها أكثر المفسّرين والمؤرّخين ومنهم ابن هشام في سيرته (1)، اتّفقوا على أن يحسموا الأمر بالمباهله، وحُدّد يوم المباهله.

ولمّا كان ذلك خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك اليوم مع ابنته الزهراء وصهره عليّ بن أبي طالب، وسبطيه الحسن والحسين، إلى الصحراء للمباهله مع وفد نجران.

ولكن وفد نجران بعد أن رأوا النبي ومن معه وماهم عليه من البساطه والجلال، انصرفوا عن الدخول في المباهله ورضخوا طائعين لدفع جزية سنويه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فهل هذه الوقائع التي استغرقت - كما يقول بعض المؤرّخين - أربعة مجالس يمكن أن تكون قد تمّت في يوم واحد؟!

إنّ المحاسبات تقضى وتفيد بأنّ مراسيم المباهله، وكتابه وثيقه الصلح من غير الممكن أن تكون قد وقعت في اليوم الواحد والعشرين أو الرابع والعشرين، أو الخامس والعشرين أو السابع والعشرين من شهر ذي الحجّه من السنه العاشره للهجره.

هذا مضافاً إلى أنّ «نجران» مدينه حدوديه بين الحجاز واليمن، ولا بد أنّ تردّد القبائل كان من شأنه أن ينقل إلى مسامع النجرانيين أنباء وجود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكّه لأداء مناسك الحج، ولهذا فإنّ من المستبعد أن يكون وفد نصارى

ص: ٦٩٦

١- . لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ٤١٢/٢؛ مجمع البيان: ٣٠٩/٢-٣١٠.



نجران قد أقدم على التوجه إلى المدينة للحضور عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل التأكد الكامل من عودته إلى المدينة والاستقرار الكامل فيها.

### هل كانت قضية المباهلة في السنة التاسعة؟

هنا يمكن أن يقال بأن قضية المباهلة وقعت في شهر ذي الحجة من السنة التاسعة، وقد ذهب إلى هذا الرأي بعض المؤرخين أيضاً<sup>(١)</sup>.

ولكن المحاسبات التاريخية تثبت أيضاً بطلان هذا الرأي، وذلك لأن الإمام علياً عليه السلام العدى كان من الشاهدين لقضية المباهلة، كما أنه هو الذي كتب وثيقه الصلح بيده الشريفه، كان قد كلف في التاسع من شهر ذي الحجة من هذه السنة (التاسعة) من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمهمه إبلاغ آيات البراءة إلى المشركين في يوم الحج الأكبر بمنى، وفي الحقيقة كانت السنة الثانية التي كانت قد أنيطت إماره الحج وإداره أمر الحجيج إلى المسلمين، وكان قد اختير أمير المؤمنين أميراً على الحج فيها.

ونحن نعلم أن مناسك الحج تنتهي في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة، ولاشك أن شخصيه بارزه ومسئوله كالإمام على عليه السلام الذي كان يرأس الحج

ص: ٦٩٧

---

١- . جاء ذكر هذا عند تفسير سوره التوبه. نقل صاحب الغدير: في ج ٦ ص ٣١٨-٣٢١ هذا الرأي من اثنين وسبعين شخصاً من علماء السنه، وكان قضية المباهلة بين النبي ووفد نجران وقعت في آخر هذه السنه (التاسعه)، لأنه ورد أن هذا الأمر قد تم في شهر ذي الحجة بعد فتح مكه، ولا بد أن المراد بذي الحجة ليس هو ذو الحجة من عام حجة الوداع وهي السنه العاشره التي وقعت فيها قضية الغدير، فإذن هو ذو الحجة من السنه السابقه على عام الغدير واستغرقت أربعه مجالس (بتلخيص).

فى ذلك العام، من غير الممكن أن يكون قد غادر مكّه فى اليوم الثالث عشر ويتوجّه إلى المدينه وهو الّذى كانت له أقرباء وأنسباء كثيرون فى مكّه، هذا مضافاً إلى أنّ حركه الحجيج لم تكن فى تلك العصور حركه انفراديه حتّى يستطيع كلُّ واحد منهم أن يقطع الفيافى القفراء والصحارى القاحله الموحشه بمفرده، فكان على من يريدون الحج أن يتوجّهوا بصوره جماعيه إلى مكّه أو يغادروها إلى بلادهم.

ولهذا فإنّ عليّاً عليه السلام مهما أسرع وجدّ فى السير قافلاً إلى المدينه، وقطع المسافه بين مكّه والمدينه بسرعه فائقه، فإنّه من غير الممكن أن يكون قدم المدينه قبل اليوم الرابع والعشرين، ولهذا كيف يمكن أن يقوم بارشاد وفد نجران ودلالتهم على ما يجب أن يفعلوه حتّى يستقبلهم النبى ببشاشه ويرحّب بهم، ويشهد المباهله مع المتباهلين!؟

إنّ الشواهد والأدله التاريخيه تشهد بأنّ النظرية المشهوره حول زمن المباهله (يوماً وشهراً وعاماً) لا تحظى بالاعتبار الكافى، ولا بدّ - لمعرفة زمن هذه الحادته الّتى هى من مسلّمات القرآن والتفسير والحديث - من مزيد التحقيق، ومزيد الدراسه، والتقصّى.

وهنا يبقى سؤال لا بدّ من الإجابة عنه وهو: كيف اختار المشهورون من العلماء مثل هذه النظرية حول يوم المباهله وشهرها وعامها؟

والجواب هو: أنّ المرحوم الشيخ الطوسى اختار هذا القول استناداً إلى روايه مسنده نقلها فى كتابه، ولكن فى سند الحديث المذكور رجالاً غير ثقات فى نظر علماء الرجال، نظراء:

١. محمّد بن أحمد بن مخزوم - أستاذ التلعكبرى فى الحديث - فهو ممّن لم

٢. الحسن بن علي العدويّ وقد ضعّفه العلامه (٢).

٣. محمّد بن صدقه العنبري وقد وصفه الشيخ الطوسي بالغلو (٣).

وقد ذكر المرحوم السيد ابن طاووس في كتاب «الاقبال» أموراً تتعلّق بالمباهله نقلاً عن كتاب أبي المفضل، وقد ذكرنا في الهامش (ص ٦٨٩) أنّ أبا المفضل له فترتان في حياته، فهو موثق في حال وغير موثق في حال آخر، ولا يُدري في أي حال من الحالين كتب أبو المفضل قضايا المباهله، وأخذها عنه العلماء.

كما أنّ السيد استند في كتابه المذكور على حديث مرفوع (وهو ما فيه نقص في رجال سنده)، وذكر في ضوئه أنّ يوم المباهله هو اليوم الرابع والعشرون، في حين لا تقوم مثل هذه الروايه بإثبات المدّعى.

ص: ٦٩٩

---

١- وإن حاول المامقاني توثيقه في تنقيح المقال: ٧٤/٣ برقم ١٠٣٤٩ حيث قال: وظاهره كونه إمامياً وكونه شيخ إجازة بدرجه في الحسان.

٢- رجال العلامه: ٢١٥ برقم ١٦، الباب الأوّل من الفصل السادس، القسم الثاني.

٣- رجال الشيخ الطوسي: ٣٤٣ برقم ٥١٠٧.

إشاره

تركت البراءة القويه التي أعلنها أمير المؤمنين على عليه السلام في موسم الحج في السنه التاسعه بمنى بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي أعلن فيها بصراحه وبصوره رسميه:

إنَّ الله ورسوله بريئان من المشركين والوثنيين، وأنَّ على المشركين أن يضعوا حدًّا لشركهم خلال أربعة أشهر فإمَّا أن يسلموا ويكفوا عن عباده الأصنام ويهجروها، وإمَّا أن يستعدوا لمواجهه شامله.

لقد ترك إعلان هذه البراءة الصريحه أثره العميق والسريع، فقد ارتبكت القبائل العربيه القاطنه في شتى أنحاء الجزيره العربيه التي كانت بسبب عنادها ولجاجتها ترفض الخضوع لمنطق القرآن والاستجابه لنداء التوحيد وتصرَّ على المضى في عاداتها الشنيعه، والعكوف على الاوهام والخرافات وعباده الأصنام والأوثان.

لقد ارتبكت هذه القبائل، على أثر تلك البراءة الصريحه القويه، فعمدت إلى إيفاد وفود ومندوبين من جانبها إلى المدينة عاصمه الإسلام، وقد دار بين كل واحد

من هذه الوفود وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حوار خاص.

وقد ذكر ابن سعد في «الطبقات الكبرى»<sup>(١)</sup> مواصفات وخصوصيات اثنين وسبعين وفداً من تلك الوفود.

إن توافد هذه البعثات والوفود العجيب وخاصه في أعقاب إعلان البراءة يكشف عن أنّ مشركى العرب فقدوا في السنه العاشره من الهجره كلّ حصن يمنعهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإلّا لكانوا يلجأون إليه، ويتظاهرون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولم تنته المده المضروبه (أربعة أشهر) بعد إلّاودخلت كلّ مناطق الحجاز وكلّ أقوامها تحت رايه التوحيد، ولم يبق في الحجاز بيت تعبد فيه الأصنام والأوثان ظاهراً حتى أن فريقاً من سكان اليمن والبحرين واليمامة انتبهوا إلى الإسلام فأقبلوا عليه واعتنقوه.

### محاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم

عُرفت قادة بنى عامر من بين القبائل العربيه - يومئذ - بالشرّ والطغيان، وقد اعترم ثلاثه اشخاص منهم، هم: «عامر» و «أربد» و «جبار» على أن يدخلوا المدينه على رأس وفد من بنى عامر، ويتظاهروا بالتفاوض مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يغدروا به في المجلس ويغتالوه.

وكانت الخطه تقضى: بأن يتحدّث «عامر» إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويفاوضه، وفيما هو يفعل ذلك يبادر «أربد» إلى ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسيفه.

ولم يخبر بقيه أعضاء الوفد بنوايا هؤلاء الثلاثة وخطّتهم، ولهذا أعلنوا

ص: ٧٠١

لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن رغبتهم الصادقة في الإسلام، ووفائهم لشخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن «عامراً» أحجم عن أى نوع من أنواع التظاهر بالإسلام في ذلك المجلس، وكان يصبر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يخلو به في مكان آخر ليتحدث معه على انفراد تمهيداً لتنفيذ الخطه المشؤومه، وهو ينظر إلى «أربد» و ينتظر منه ما كان أمره به واتفقا عليه، ولكن لا يزداد نظراً إلى «أربد» إلا ويزداد «أربد» حيره ودهشه، هذا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعامر كلما قال: خالني: لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له.

فلما أيس «عامر» من «أربد»، وكان «أربداً» كلما عزم أن يجرده سيفه ويهجم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هاب النبي، ومنعته عظمتة ومهابته، فانصرف عن نيته، قال عامر وهو يترك مجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً، وهو بذلك يكشف عن عناده وعتوه.

فقابله رسول الله بحلم كبير، ولم يرد على كلامه وتهديده وإنما اكتفى بأن دعا عليه وعلى صاحبه بعد أن غادرا مجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد استجاب الله لدعاء نبيه سريعاً، فقد خرج هو وصاحبه راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانا في أثناء الطريق بعث الله الطاعون في عنق «عامر» فقتله ذلك المرض الوبيء في بيت امرأه من بنى سلول في صوره فضيعه، وحاله سيئه.

وأما «أربد» فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقه وهو في الصحراء فأحرقتهما، وقد تسببت هاتان الحادثتان الفضيعتان اللتان أصابتا عدوين لدودين من أعداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أن يزداد تعلق بنى عامر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتضاعف حبهام له صلى الله عليه وآله وسلم. (١)

ص: ٧٠٢

١- . لاحظ: السير النبويه لابن هشام: ٩٩١/٤-٩٩٢؛ السير الحلبيه: ٢٤٥/٣.

لقد مكّن إقبال أهل الحجاز على الإسلام وأمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جانب القبائل العربية، مكّن النبي من العمل على مدّ شعاع الإسلام إلى البلاد المتاخمة للحجاز.

فكان أوّل ما فعل صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الصعيد هو بعث أحد أصحابه العلماء وهو «معاذ بن جبل» إلى اليمن ليبلّغ إلى أهلها نداء التوحيد ويشرح لهم معالم الإسلام وتعاليمه المقدّسه، وقد أوصاه بوصايا كثيره ومفصّله منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يَسِّرْ وَلَا تَعَسِّرْ، وَبَشِّرْ وَلَا تُنْفِرْ، وَإِنَّكَ سَتَقْدِمُ عَلَيَّ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَسْأَلُونَكَ مَا مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ: فَقُلْ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» (١).

ويبدو أنّ معاذاً رغم أنّه كان ملماً بالكتاب العزيز والسنة النبويه وتعاليمها وأحكامها، إلّا أنّه لما سأله أمرأه عن حقّ الزوج على الزوجه لم يملك لها جواباً مقنعاً، ولهذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يوجّه إلى اليمن تلميذه المتميّز «علي بن أبي طالب» عليه السلام حتّى يتمكّن في ضوء دعوته الدائبه، وأحاديثه المبرهنه، وما يمتلك من شجاعه أدبيه نادره، وقوه عقليه متميّزه من نشر الإسلام العظيم في تلك الربوع.

هذا مضافاً إلى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد بعث «خالد بن الوليد» إلى اليمن من قبل ليزيل المشكلات التي كانت تعرقل تقدّم الإسلام في تلك الديار، ولكنّه لم يُوفّق في مده بقائه لعمل شيء في هذا المجال (٢).

ص: ٧٠٣

١- السيره النبويه لابن هشام: ١٠١٠/٤.

٢- لاحظ: صحيح البخارى: ١١٠/٥، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن؛ البدايه والنهايه: ١٢٠/٥.

فاستدعى النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام وأخبره بأنه يريد أن يذهب إلى اليمن ليدعو أهلها إلى الإسلام، وليختم ركازهم، ويعلمهم الأحكام، ويبيّن لهم الحلال والحرام، وإلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم، فقال عليّ عليه السلام بتواضع بالغ:

«يا رسولَ الله تبعثنى وأنا شابُّ أفضى بينهم ولا أدري ما القضاء؟» أى ما فعلته قبل هذا.

فضرب رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده فى صدر عليّ عليه السلام وقال:

«اللَّهُمَّ أَهْدِ قَلْبَهُ وَتَبِّثْ لِسَانَهُ». (١)

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا عليّ لا تقاتلنَّ أحداً حتّى تدعوه، وأيمُ الله لئن يهدى الله على يديك رجلاً خيراً لك ممّا طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا عليّ». (٢)

ثم أوصاه صلى الله عليه وآله وسلم بوصايا أربع هامّة إذ قال:

يا عليّ أوصيك:

١. بالدُّعاء فإنّ معه الإجابة.

٢. وبالشكر فإنّ معه المزيد.

٣. وإيتاك أن تخفّر عهداً أو تعين عليه.

٤. وأنهاك عن المكر، فإنّه لا يحقُّ المكر السيئ إلّابأهله، وأنهاك عن البغى،

ص: ٧٠٤

١- الطبقات الكبرى: ٣٣٧/٢؛ إمتاع الأسماع: ٢٩٤/١١؛ بحار الأنوار: ٣٦٠/٢١.

٢- الكافي: ٢٨/٥ ح ٤؛ بحار الأنوار: ٣٦١/٢١ ح ٣.



فإنه من بُغِيَ عليه لينصرته الله» (١).

ولقد بقي على عليه السلام يقوم بالقضاء طيله أيام إقامته في اليمن بصوره عجيبه محيره، وقد دُوت أكثر أفضيته في كتب التاريخ والحديث.

هذا ويروي «البراء بن عازب» وكان من الذين صحبوا علياً عليه السلام في سفره هذا إلى اليمن أنه لما انتهى علي عليه السلام ومن معه إلى أوائل أهل اليمن، وبلغ القوم الخبر، فخرجوا إليه، صفّ علي عليه السلام الجنود الذين كانوا قد استقروا هناك من قبل بقيادة خالد بن الوليد، ثم صلى بهم صلاه الفجر، ثم دعا قبيله همدان كلها، وكانت أكبر القبائل اليمنيه، ليقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قرأ على القوم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلمت همدان كلها في يوم واحد متأثره بجلال المشهد، وحلاوه البيان، وعظمه المنطق النبوي؛ فكتب أمير المؤمنين عليه السلام بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما قرأ كتابه استبشر وابتهج وخرّ ساجداً شكراً لله تعالى، ثم رفع رأسه وجلس وقال:

«السلام على همدان» يقوله ثلاثاً.

ثم تتابع - على أثر إسلام همدان - أهل اليمن على الإسلام (٢).

ص: ٧٠٥

١- . أمالي الطوسي: ٥٩٧ برقم ١٢٣٩؛ بحار الأنوار: ٣٦١/٢١ ح ٤.

٢- . لاحظ: الكامل في التاريخ: ٣٠٠/٢، بحار الأنوار: ٣٦٠/٢١-٣٦٣.

تُعتبر مراسيم الحج ومناسكته من أعظم العبادات الإسلامية الجماعية التي يؤدّيها المسلمون، جلالاً وأُبّهة؛ وذلك لأنّ أداء مراسيم الحج ومناسكته في كلّ سنة مره واحده، يُمثّل بالنسبة للأُمَّة الإسلامية أكبر مظاهر الاتّحاد، والوحده ودليلاً كاملاً على الترفّع عن المناصب والدرجات وتكونُ نموذجاً بارزاً للمساواه بين جميع أبناء البشر، وسبيلاً إلى تقويه أو اصر الأخوه المتينه بين المسلمين، فإذا كان المسلمون لا ينتفعون بهذه المائدة الكبرى التي منحها ربُّهم لهم، وإذا كانوا لا يستفيدون من هذا المؤتمر الإسلامي السنوي العظيم (الذي يمكنه بحقّ أن يجيبَ ويعالج الكثير من مشكلاتنا الاجتماعيه، ويكون نقطه تحوّل عميق في حياتنا) استفاده كامله لائقه، فإنّ ذلك ليس - وبدون ريب أو شك - ناشئاً من قصور في القانون الإسلامي، بل هو دليلٌ على قصور قاده المسلمين وتقصير حُكّامهم الذين لا يُولون هذه المراسم وهذا الموسم العظيم اهتماماً مناسباً، ولا يفكّرون في استغلاله على الوجه المطلوب.

فمنذ أن فرغ إبراهيم الخليل عليه السلام من إقامه صرح الكعبه المعظمه ودعا الموحّدين إلى زيارتها، والحج إليها لم تزل هذه البنيه الشريفه كعبه القلوب،

ومطاف الشعوب والأقوام والجماعات الموحّده التي تأتي إليها كلّ عام من شتى نقاط العالم، ومن مختلف أنحاء الجزيرة العربية، ويؤدّون عندها المناسك التي علّمها إياهم النبيّ العظيم إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا السّلام.

ولكن تقادّم العهد، وانقطاع شعب الحجاز عن قياده الأنبياء، وأنانيه قريش، وسياده الوثنيه على عقول العرب أوجب أن تتعرّض مراسم الحج ومناسكه - من حيث الزمان والمكان - لعملية تحريف وتغيير، وأن تفقد صبغتها الحقيقيه ووجهها الواقعيّ.

لهذه الجهات أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السنه العاشره من الهجره، ومن قبل الله سبحانه أن يشارك في مراسم الحج شخصياً، ويقوم بتعليم مناسك الحج للناس، ويوقّفهم على واجباتهم في هذه العباده الكبرى عملياً، كما يقوم بإزاله كلّ ما علّق بها من زوائد طيله السنوات الغابره، ويعيّن حدود «عرفات» و «منى» ويوم الإفاضه منها، ولهذا فإنّ السفر كان سفرأً ذا طابع تعليمي، قبل أن يكون ذا طابع سياسي واجتماعي.

أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الشهر الحادي عشر من العام العاشر للهجره (أى شهر ذى القعدة) بأن ينادى في المدينه وبين القبائل بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقصد مكّه للحج هذا العام، فأحدث هذا الإعلان شوقاً وابتهاجاً عظيماً في نفوس جمع كبير من المسلمين، فتهيّأ عددٌ هائلٌ منهم لمرافقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وضربت مضارب وخيم كثيره خارج المدينه المنوره بانتظار حركه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وتوجّهه إلى مكّه (1).

وفي اليوم السادس والعشرين من شهر ذى القعدة خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من

ص: ٧٠٧

---

١- . لاحظ: المغازي: ١٠٨٨/٢؛ السيره الحلييه: ٣٠٧/٣.

المدینه متوجّهاً إلى مكّه، وقد استخلف مكانه فى المدینه أبا دجانة الأنصارى، وقد ساق معه ما يزيد عن ستين بدنه.

وعندما بلغ الموكب النبوى العظیم إلى «ذی الحلیفه» (وهی نقطه فیها مسجد الشجره أيضاً) أحرم بلبس قطعین عادیتین من القماش الأبیض من مسجد الشجره، ودخل الحرم، ولّی عند الإحرام قائلاً:

«لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ».

وهو بذلك يلبى نداء إبراهيم، كما أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يكرّر هذه التلبية كلّما شاهد راكباً، أو علا مرتفعاً من الأرض، أو هبط وادياً.

ولما شارف مكّه قطع التلبية المذكوره.

وفى اليوم الرابع من شهر ذى الحجه، دخل صلى الله عليه وآله وسلم مكّه المكرمه وتوجه نحو المسجد الحرام رأساً، ثم دخله من باب بنى شيبه وهو يحمد الله ويشنى عليه ويصلى على إبراهيم عليه السلام.

ثم بدأ من الحجر الأسود فاستلمه (1) أولاً، ثم طاف سبعة أشواط حول الكعبه المعظمه، ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم، وعندما فرغ من صلاته سعى

ص: ٧٠٨

---

١- . المراد من الاستلام هو مسح الحجر الأسود باليدين قبل الشروع بالطواف، وفلسفه هذا العمل هي أنّ هذا الحجر كان يقف عليه إبراهيم لدى بناء جدران الكعبه وإقامتها ورفعها، واستلامه نوع من تجديد الميثاق مع الخليل عليه السلام والعمل على نصره عقيدته التوحيد على نحو ما فعل إبراهيم. ولقد اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الفتره المدنيه مرتين: إحداهما فى السنه السابعه والأخرى فى السنه الثامنه بعد فتح مكّه، وكانت هذه ثالث عمره يقوم بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الحج (الطبقات الكبرى: ١٧٤/٢).

بين الصفا والمروه (1) ثم التفت إلى حجاج بيت الله الحرام وقال:

«مَنْ لَمْ يَسُقْ مِنْكُمْ هَدِيًّا فَلْيُحِلِّ وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَهُ (أى فليقتصر، أى يأخذ من شعره وظفره فيحلّ له ما حرم عليه بالإحرام) وَمَنْ سَاقَ مِنْكُمْ هَدِيًّا فَلْيَقِمْ عَلَى إِحْرَامِهِ».

وقد كره البعض هذا واعتذروا بأنه يعزُّ عليهم (أو لا- يلدُّ لهم) أن يخرجوا من الإحرام فيحلّ لهم ما يحرم على المحرم فيلبسوا الثياب ويقربوا النساء ويتدهنوا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إحرامه أشعث أغبر.

وربما قالوا: لا يصحّ هذا، كيف تقطر رؤوسنا من الغسل (2) ونحن زوّار بيت الله؟

فالتفت النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى عمر وكان ممّن بقى على إحرامه وقال له: مالي أراك يا عمر مُحْرَمًا؟ أسقتَ هدياً؟ قال عمر: لم أسق.

فقال النبي: فلم لا تحلّ وقد أمرت من لم يسق بالإحلال؟

قال عمر: والله يا رسول الله لا أحللت وانت محرم (3).

فغضب النبي لموقف الناس المتلكئ هذا وقال:

«لو كنت استقبلت من أمرى ما استدبرت لَفَعَلْتُ كما أمرتكم».

ص: ٧٠٩

- 
- ١- الصفا والمروه جبلان على مقربة من المسجد الحرام، والسعى هو المشى بينهما ابتداء من الصفا وانتهاء بالمروه.
  - ٢- هذه العبارة كناية عن مقاربه الأزواج وغسل الجنابه؛ لأنّ مقاربتهم هي إحدى محرّمات الإحرام وترتفع هذه الحرمة بالتقصير وهو أخذ شيء من شعر الرأس أو اللحية أو تقليم الظفر.
  - ٣- لاحظ: إرشاد المفيد: ١٧٣/١-١٧٤؛ بحار الأنوار: ٣٨٥/٢١-٣٨٦.

وهو صلى الله عليه وآله وسلم يعني: أنتى لو كنت أعلم بالمستقبل، ولو عرفت بموقف الناس المتردد وخلافهم هذا من قبل لما سقت الهدى، ولفعلت ما فعلتموه من عدم سوق الهدى، ولكن ماذا عساي أن أفعل الآن وقد سقت الهدى، ولا يمكننى الإحلال من الإحرام، فيجب على أن أبقى على إحرامى «حتى يبلغ الهدى محلّه» أى أنحر هديى بمنى كما أمر الله سبحانه، وأما أنتم فمن لم يسق الهدى منكم فإن عليه أن يحل إحرامه، واحسبوا عمره، ثم أحرموا للحج مره أخرى(١).

### الإمام على عليه السلام يعود من اليمن

لما علم على عليه السلام بتوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة للمشاركة فى مراسم الحج، خرج هو وجنوده وقد ساق معه (٣٤) هدياً للمشاركة فى الحج، واصطحب حُللاً من بز اليمن وحريرها قد أخذها من أهل نجران، وهى الجزية التى تقرّر دفعها إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد تعجل على عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستخلف على جنده الذين خرجوا معه إلى الحج رجلاً من أصحابه لقيادتهم حتى مكة، فالتحق برسول الله ولقيه على مشارف مكة، فسّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به، وبما أحرزه من نجاحات فى مهمته التى بعثه بها إلى أرض اليمن، وقد أخبر بها النبى صلى الله عليه وآله وسلم على وجه التفصيل.

فلما فرغ من الخبر عن سفره قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انطلق فطف بالبيت، وحل كما حل أصحابك.

ص: ٧١٠

١- . وهذه القصة توقفنا على تعنت فريق من الصحابة وتمردهم على تعليمات النبى وأوامره الأكيدة، وهم يعلمون أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، وثمة شواهد وموارد أخرى كثيرة على الموضوع، وقد جمعها المغفور له العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين العاملى فى كتاب أسماه «النص والاجتهاد».

فقال على عليه السلام: يا رسول الله إنني أهلت كما أهلت.

فقال: ارجع فاحلل كما حل أصحابك.

فقال على عليه السلام: يا رسول الله إنني قلت حين أحرمت: اللهم إني أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فهل معك من هدى؟

قال على: لا.

فأشركه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هديه، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى فرغا عن الحج ونحر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الهدى عنهما. (١)

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر علياً عليه السلام بأن يرجع إلى جنوده الذين فارقهم، ويصطحبهم إلى مكه، فلما رجع على عليه السلام إليهم وجد أن الرجل العذى استخلفه على أولئك الجنود قد عمد فكسا كل رجل من القوم حله من البز العذى كان قد أخذه على من أهل نجران ليسلمها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فانزعج من هذا التصرف غير المشروع وقال له: ويلك ما هذا؟

قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس بمكه، فقال على عليه السلام:

ويلك! أنزع قبل أن تنتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فانزع ذلك الرجل الحلل من الجنود، وردّها إلى مكانها مع الأشياء الأخرى من جزية أهل نجران.

فانزعج جماعة من أولئك الجنود ممن يزعجهم العدل والنظام دائماً، ويريدون أن تسيّر الأمور وفق أهوائهم ومشترياتهم وإن خالفت سنن

ص: ٧١١

---

١- السيره النبويه لابن هشام: ١٠٢١/٤؛ السيره الحلبيه: ٣١٨/٣. إن هذا يدل على أنّ النيه الإجماليه كافيّه، ولا يلزم وقوف الناوي على تفاصيل العمل وجزئياته.

الحق ومبادئ العدالة، وأبدوا شكواهم من ما صنع بهم من استرداد الحُلل والثياب.

ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة اشتكوا علياً عليه السلام فقام رسول الله خطيباً في الناس وقال:

«أيها الناس، لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشن في ذات الله (أو في سبيل الله) من أن يشكى»<sup>(١)</sup>.

### شروع مراسم الحج

انتهت أعمالُ عمره، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكره أن ينزل ويمكث في دار أحد في المدة التي بين عمره والحج، ولهذا أمر بأن تُضرب له خيمه خارج مكة.

لقد حلَّ اليوم الثامن من شهر ذي الحجة، فخرج زوار بيت الله الحرام في ذلك اليوم من مكة إلى أرض عرفات ليقفوا في اليوم التاسع وهو يوم عرفه من ظهر ذلك اليوم وحتى الغروب منه.

وقد قصَّ يد النبي عرفات أيضاً في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة (الذي يُدعى يوم الترويه أيضاً) من طريق منى، وتوقف في «منى» إلى طلوع الشمس من اليوم التاسع ثم ركب بعيره، وتوجه نحو عرفات، ونزل في خيمه كانت قد ضربت له في مكان يُدعى «نمره».

وقد ألقى في ذلك الاجتماع الهائل خطاباً تاريخياً هاماً وهو على ناقته.

ص: ٧١٢

---

١- . لاحظ: السير النبويه لابن هشام: ١٠٢٢/٤. وفي بحار الأنوار: ٣٨٥/٢١: أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم منادياً أن ينادى في الناس: «ارفعوا ألسنتكم عن عليٍّ فإنه خشنٌ في ذات الله غير مدهن في دينه».



... في ذلك اليوم الّذى كانت عرفات تشهد فيه اجتماعاً عظيماً وحشداً بشرياً هائلاً، لم يشهد مثله شَعْبُ الحجاز من قبل حتّى ذلك اليوم، كان نداءً التوحيد وشعار الإسلام يدوّى فى ربوع تلك المنطقه الّتى كانت فيما مضى من الزمان موطن المشركين ومسكن الوثنيين، ولكنّها قد تحوّلت الآن إلى قاعده الموحّدين، وملتقى عباد الله المؤمنين.

فى هذه المنطقه بالذات (أى أرض عرفات) نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلى الظهر والعصر وهو يؤمّ مائه ألف، ثم خطب فيهم خطاباً التاريخي وهو راكب على راحلته، وكان أحد أصحابه - وكان رفيع الصوت قويه - وقيل: هو ربيعه بن أميّه بن خلف(1)، قال: يقول له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

«قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: هَلْ تَدْرُونَ أَيَّ شَهْرٍ هَذَا؟»

فيقولون: الشهر الحرام. فيقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لربيعه:

«قُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ إِلَى أَنْ تَلْقُوا رَبَّكُمْ كَحَرَمِهِ شَهْرَكُمْ هَذَا».

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم لربيعه:

«قُلْ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: هَلْ تَدْرُونَ أَيَّ بَلَدٍ هَذَا؟».

فأجابوا جميعاً: البلد الحرام. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لربيعه:

«قُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ إِلَى أَنْ تَلْقُوا رَبَّكُمْ كَحَرَمِهِ بَلَدَكُمْ هَذَا».

ص: ٧١٣

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم لربيعة:

«قُلْ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: هَلْ تَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟».

فأجابوا بأجمعهم: يوم الحج الأكبر.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لربيعة:

«قُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ إِلَى أَنْ تَلْقُوا رَبَّكُمْ كَحَرَمِهِ يَوْمَكُمْ هَذَا».(١)

وفى روايه أخرى:.... فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ(٢) عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقُوا رَبَّكُمْ كَحَرَمِهِ يَوْمَكُمْ هَذَا، وَكَحَرَمِهِ شَهْرَكُمْ هَذَا.

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، وَقَدْ بَلَغْتُ، فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ أَيْمَنَ عَلَيْهَا.

وَإِنَّ كُلَّ رِبَاٍّ مَوْضُوعٌ وَلَكِنْ لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظَلَّمُونَ.

قضى الله أنه لا ربا، وإنَّ ربا العباس بن عبد المطلب موضوعٌ كلُّه، وإنَّ كلَّ دم كان فى الجاهليه موضوع، وإنَّ أوَّل دماءكم أضع دم ابن ربيعه بن الحارث بن عبد المطلب - وكان مسترضعاً فى بنى ليث، فقتلته هذيل - فهو أوَّل ما أبدا به من دماء الجاهليه.

ص: ٧١٤

١- . السيره النبويه لابن هشام: ١٠٢٣/٤-١٠٢٤.

٢- . فى الخصال: ٤٨٧/٢ بزياده: وأعراضكم.

أَمَّا بَعْدَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَسُّ مِنْ أَنْ يُعَيِّدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا، وَلَكِنَّهُ إِنْ يُطْعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ فَقَدْ رَضِيَ بِهِ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ (أَوْ رَضِيَ مِنْكُمْ بِمَحَقَّرَاتِ الْأَعْمَالِ)، فَاحذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ النَّسِيءَ (١) زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ، يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحَلِّونَهُ عَامًا وَيَحْرُمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَيُحْرَمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ثَلَاثَةٌ مِثْوَالِيه: (ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَشَهْرُ الْمُحَرَّمِ) وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ.

أَمَّا بَعْدَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِهِنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا:

لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوَاطِنَ فُرْشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ (أَيُّ لَا يَضِيْفُنَ فِي بَيْوتِكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَهُ).

وعليهن أن لا- يأتين بفاحشه مبينه، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان لا- يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانه الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولي فإنني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً أمراً بيناً: كتاب الله وسنه نبيه (٢).

ص: ٧١٥

- ١- . شرحنا النسيء في ص ٥٧ من الجزء الأول من هذا الكتاب فراجع.
- ٢- . لقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمة في هذه الخطبة التاريخيه بالكتاب والسنة، ولكنه أوصى في خطبه الغدير وفي أخريات حياته بالكتاب والعترة، وحيث إن هذين الحديثين وردا في واقعتين فلا تنافي بينهما، لأنه يصح أن يجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم السنة عدلاً للكتاب في واقعه،

أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي وَاعْقِلُوا، تَعَلَّمَنَّ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ، فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرٍ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا مَا أُعْطِيَ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فَلَا تَظَلِّمَنَّ أَنْفُسَكُمْ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ؟ فَذَكَرَ لِي أَنَّ النَّاسَ قَالُوا اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ اشْهَد. (١)

\*\*\*

وَلَقَدْ مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي عَرَفَاتٍ حَتَّى غَرَبَ الْيَوْمَ التَّاسِعَ، وَعِنْدَمَا اخْتَفَى قَرَصُ الشَّمْسِ عَنِ الْأُفُقِ، وَاطْلَمَّ الْفُضَاءُ بَعْضَ الشَّيْءِ رَكَبَ نَاقَتَهُ، وَأَفَاضَ إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ، وَأَمْضَى فِيهَا شَطْرًا مِنَ اللَّيْلِ وَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا مِنَ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي الْمَشْعَرِ، ثُمَّ تَوَجَّهَ فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ إِلَى «مِنَى» وَأَدَّى مَنَاسِكَهَا مِنْ رَمَى الْجِمَارِ وَالذَّبْحِ وَالتَّقْصِيرِ، ثُمَّ تَوَجَّهَ نَحْوَ مَكَّةَ لِأَدَاءِ بَقِيَةِ مَنَاسِكِ الْحَجِّ.

وَهَكَذَا عَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ مَنَاسِكَ الْحَجِّ بِصُورِهِ عَمَلِيَّةً، وَحَدَّدَ أَوْ أَكَّدَ عَلَى مَشَاعِرِهِ بِصُورِهِ دَقِيقَةً.

وَيُطَلَّقُ عَلَى هَذِهِ الْحَجَّةِ التَّارِيخِيَّةِ فِي كِتَابِ التَّارِيخِ وَالْحَدِيثِ «حَجَّةُ الْوَدَاعِ» تَارَةً، وَ«حَجَّةُ الْبَلَاغِ» أُخْرَى، وَ«حَجَّةُ الْإِسْلَامِ» ثَالِثَةً، وَإِنَّمَا يُطَلَّقُ كُلُّ عَنَوَانٍ مِنْ هَذِهِ

ص: ٧١٦

---

١- . السيرة النبوية لابن هشام: ١٠٢٢/٤-١٠٢٣. ولاحظ: الخصال: ٤٨٧؛ وبحار الأنوار: ٣٨١/٢١ باختلاف.

العناوين على هذه الحجّة لمناسبه لا تخفى على القارئ البصير(١).

هذا ونلفتُ نظر القُرّاء الكرام في خاتمه هذا الفصل إلى أنّ المشهور بين محدّثين هو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألقى هذا الخطاب التاريخي الخالد في يوم عرفه ولكن يذهبُ بعض المؤرّخين إلى أنّ هذه الخطبة أُلقيت في اليوم العاشر من شهر ذي الحجّة، ويرى آخرون أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطب خطباً عديده في هذه الحجّة مستغلاً كلّ فرصه سانحه لإبلاغ مبادئ رسالته الإلهيه(٢).

هذا وقد وقعت في أثناء هذه الرحله المقدّسه قضايا ووقائع لطيفه وجديره بالدرس والتأمّل والتملّي، وقد تركنا ذكرها هنا رعايه للاختصار(٣).

ص: ٧١٧

١- . راجع: السيره النبويه لابن هشام: ١٠٢٥/٤؛ إمتاع الأسماع: ١٠٢/٢. هذا ولعلّ الوجه في تسميه هذه الحجّة بالوداع؛ لأنّها آخر حجّة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبالبلّاغ هو نزول قوله تعالى: «يا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» في أعقابها وبالتمام والكمال هو نزول قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَانْتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي».

٢- . راجع: المغازي: ١١١١/٢، إمتاع الأسماع: ١١٨/٢، بحار الأنوار: ١١٣/٣٧.

٣- . راجع: بحار الأنوار: ٣٧٨/٢١-٤١٣، إمتاع الأسماع: ١٠٢/٢-١٢١.

الخلافة حسب عقيدة علماء الشيعة الإمامية منصبٌ إلهي يعطى من قبل الله تعالى لأفضل أفراد الأئمة، وأصلحهم، وأعلمهم، والفرق الواضح بين الإمام والنبى هو: أن النبى مؤسسٌ قواعد الشريعة، وهو الذى يوحى إليه وينزل عليه الكتاب من السماء، والإمام وإن كان لا يتمتع بأى واحد من هذه الشؤون إلا أنه مضافاً إلى شؤون الحكومه والقياده هو المبيّن لما جاء به رسول الله من الدين ممّا لم يوفق - بسبب الظروف المعاكسه أو عدم الفرص المناسبه - لبيانه أو إظهاره، وترك مهمه بيانه على عاتق أوصيائه وخلفائه.

وعلى هذا الأساس فإنّ الخليفة - من وجهه نظر عقيدة الشيعة الإمامية - ليس مجرد حاكم زمنى للمسلمين وليس المطبق لقوانين الشريعة المقدسه والحافظ للحقوق الاجتماعيه، والحارس لثغور المسلمين وحدود بلادهم المدافع عنها، فحسب، بل هو علاوه على كلّ ذلك الموضح لما خفى من معالم الدين، والمكمل المبيّن لذلك الجانب من أحكام الشريعة وقوانينها الذى لم يُبيّن من قبل مؤسس الشريعة لبعض الأسباب.

أمّا الخلافة فى عقيدة أهل السنّه فهى منصبٌ عادى وليس الهدف منها إلّا

حفظ الكيان الظاهري والشؤون المادية للأمة الإسلامية، والخليفة لا- ينصبُ إلّا باختيار الناس وانتخابهم أحداً لشغل منصب الحكم والقضاء وإداره الأمور السياسيّة والاقتصاديّة وماشابهها، وذكر تفصيل ما بيّنه صاحبُ الشريعة من الأحكام على نحو الإجمال.

وأما بيان ما لم يوفق النبي لبيانه لأسباب خاصّه فهو يرتبط بعلماء الإسلام وفقهاء المسلمين فهم يعالجون ما يستجد للناس من مشكلات فقهية ودينية من هذا النوع عن طريق الاجتهاد، والرأى.

وعلى أساس هذا الاختلاف في الموقف من قضية الخلافه وحقيقتها والنظره إليها انشطرت الأمة الإسلاميّه إلى طائفتين واتجاهين لا يزالان باقيين إلى هذا اليوم.

وبناء على النظرية الأولى يكون الإمام مشاركاً للنبي في بعض شؤونه، فيشترط في الإمام أيضاً ما يشترط في النبي. وإليك الشرائط المعتمده في النبي، التي تشترط في الإمام أيضاً:

١. يجب أن يكون النبي معصوماً، يعنى أن لا يحوم حول الإثم والمعصيه طول حياته أبداً، ولا يزلّ أو يخطأ في بيان أحكام الدين وحقائقه، وعند الإجابة عن أسئلة الناس واستفساراتهم الدينيه، ويشترط في الإمام ذلك أيضاً، والدليل في الموردين واحد.

٢. يجب أن يكون النبي أعلم الناس بالشريعة، ويجب أن لا يخفى عليه شيء من مسائل الشريعة مُطلقاً؛ وهكذا يجب أن يكون الإمام أعلم الناس بأحكام الدين ومسائله لكونه مكتملاً أو مبيّناً لما لم يبيّن من مسائل الشريعة في زمن النبي.

٣. إن النبوه منصبٌ تعينى وليس منصباً انتخابياً، بمعنى أنّ النبى لا يكون نبيّاً إلّا إذا عيّنه الله وابتعثه، ونُصِبَ فى مقام النبوه من جانبه سبحانه؛ لأنّه تعالى دون سواه يميّز المعصوم عن غير المعصوم، وهو سبحانه دون غيره يعلم من بلغ درجه العصمه عن الخطأ والمعصيه فى ظل العنايه الربانيه الغيبيه الخاصّه، بحيث يعرف كلّ تفاصيل الدين وجزئياته.

إنّ هذه الشرائط الثلاثه كما هى معتبره فى النبى، كذلك هى معتبره ومشرطه فى خليفته والقائم مقامه.

ولكن بناء على النظرية الثانية لا يشترط أى شىء من هذه الشروط المعتبره فى النبى، فى الخليفه فلا تجب العصمه، ولا العدالة، ولا يجب العلم والإحاطه بالشريعه، ولا يشترط فيه التعيين من جانب الله، والارتباط بعالم الغيب، بل يكفى فى استحقاق الخلافه أن يكون الشخص قادراً فى ظلّ ذكائه، ومشوره المسلمين على حفظ الكيان الإسلامى، وقادراً على إقرار الأمن فى البلاد بتطبيق قوانين الشريعه الجزائيه، كما ويتمكّن من توسيع رقعه الأرض الإسلاميه فى ظلّ الدعوه إلى الجهاد.

وعلىنا الآن أن نعالج هذه المسأله (أى هل الخلافه والامامه منصبٌ تنصيصى أو انتخابى؟ وهل على النبى أن يعين نفسه من يخلفه، أو يوكل الأمر إلى الأُمّه لتختار من تريد؟) وندرسها فى ضوء المحاسبات الاجتماعيه ليلمس القارئ بوضوح أنّ الأحوال والظروف الاجتماعيه كانت توجبّ أن يقوم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بتعيين خليفته فى حياته، ويحلّ بذلك مشكله الخلافه من بعده، ولا يوكل الأمر إلى الأُمّه.

واليك توضيح هذا القسم وبيانه:



اشاره

لاشك في أن الدين الإسلامي دين عالمي، وشريعته خاتمه، وقد كانت قيادة الأمة الاسلاميه من شؤون النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مادام على قيد الحياه، وكان عليه أن يوكل مقام القيادة من بعده إلى أفضل أفراد الأمة وأكملهم. إن في هذه المسأله - وهي أن منصب القيادة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هل هو منصب تنصيبي تعيني أو أنه منصب انتخابي؟ - اتجاهين:

فالشيعة يرون أن مقام القيادة منصب تنصيبي ولا بد أن يتعين خليفه النبي من جانب الله سبحانه.

بينما يرى أهل السنه أن هذا المنصب منصب انتخابي جمهوري، أي أن على الأمة أن تقوم بعد النبي باختيار فرد من أفرادها لإداره البلاد.

إن لكل من الاتجاهين المذكورين دلائل ذكرها أصحابهما في الكتب العقائديه، إلا أن ما يمكن طرحه هنا هو تقييم ودراسه المسأله في ضوء دراسه وتقييم الظروف السائده في عصر الرساله، فإن هذه الدراسه كفيلاً بإثبات صحه هذا الاتجاه أو ذاك.

إن تقييم الأوضاع السياسيه داخل المنطقه الإسلاميه وخارجها في عصر الرساله يقضى بأن خليفه النبي كان لا بد أن يعين من جانب الله تعالى، ولا يترك الأمر من دون مثل هذا التعيين الإلهي، فإن المجتمع الإسلامى كان مهتداً على الدوام من جانب الخطر الثلاثى (الروم - إيران - المنافقون) بشن الهجوم الكاسح، وإلقاء بذور الفساد والاختلاف بين المسلمين.

كما أن مصالح الأمة كانت توجب أن توحد صفوف المسلمين في مواجهه

الخطر الخارجى وذلك بتعيين قائد سياسى من بعده، وبذلك يسد الطريق على نفوذ العدو فى جسم الأمة الإسلاميه والسيطره عليها، وعلى مقدراتها.

وإليك بيان وتوضيح هذا المطلب:

لقد كانت الامبراطوريه الروميه أحد أضلاع المثلث الخطر الذى يحيط بالكيان الإسلامى ويتهدده من الخارج والداخل.

وكانت هذه القوه الرهيبه تتمركز فى شمال الجزيره العرييه، وكانت تشغل بال النبى القائد على الدوام حتى إن التفكير فى أمر الروم لم يغادر ذهنه وفكره حتى لحظه الوفاه، والالتحاق بالرفيق الأعلى.

وكانت أول مواجهه عسكريه بين المسلمين، والجيش المسيحى الرومى وقعت فى السنه الهجرية الثامنه فى أرض فلسطين وقد آلت هذه المواجهه إلى مقتل القاده العسكريين البارزين الثلاثة وهم: «جعفر الطيار»، و «زيد بن حارثه»، و «عبد الله بن رواحه».

ولقد تسبب انسحاب الجيش الإسلامى بعد مقتل القاده المذكورين إلى تزايد جراه الجيش القيصرى المسيحى فكان يخشى بصوره متزايدة أن تتعرض عاصمه الإسلام للهجوم الكاسح من قبل هذا الجيش.

من هنا خرج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى السنه العاشره للهجره على رأس جيش كبير جداً إلى حدود الشام ليتصدى بنفسه إلى أيه مواجهه عسكريه يقوم بها العدو، وقد استطاع الجيش فى هذه الرحله الصعبه والمضنيه أن يستعيد هيبتة الغابره ويجدد سلطته السياسيه.

غير أن هذا الانتصار المحدود لم يقنع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فأعد قبيل مرضه جيشاً كبيراً من المسلمين وأمر عليهم «أسامه بن زيد»، وكلفهم بالتوجه إلى حدود

الشام، والحضور في تلك الجبهه.

أما الضلع الثاني من المثلث الخطير الذي كان يتهدد الكيان الإسلامي فكان الامبراطوريه الإيرانيه (الفارسيه) وقد بلغ من غضب هذه الامبراطوريه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعاداتها لدعوته أن أقدم امبراطور إيران: «خسرو پرويز» على تمزيق رساله النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتوجيه الإهانه إلى سفيره باخراجه من بلاطه والكتابه إلى واليه وعميله باليمن بأن يوجه إلى المدينه من يقبض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو يقتله إن امتنع!!

و «خسرو» هذا وإن قُتِلَ في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن موضوع استقلال اليمن - التي رزحت تحت استعمار الامبراطوريه الإيرانيه ردحاً طويلاً من الزمان - لم يغب عن نظر ملوك إيران آنذاك، وكان غرور أولئك الملوك وتجبرهم، وكبرياؤهم لا يسمح بتحمل منافسه القوه الجديده (القوه الإسلاميه) لهم.

والخطر الثالث كان هو خطر حزب النفاق الذي كان يعمل بين صفوف المسلمين - في صوره الطابور الخامس - على تفويض دعائم الكيان الإسلامي من الداخل إلى درجه أنهم قصدوا اغتيال رسول الله، في طريق العوده من تبوك إلى المدينه.

فقد كان بعض عناصر هذا الحزب الخطر يقول في نفسه: إن الحركه الإسلاميه سينتهى أمرها بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورحيله وبذلك يستريح الجميع (١).

ولقد قام أبوسفیان بن حرب بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكيدته مشؤومه لتوجيه ضربه إلى الأمة الإسلاميه من الداخل، وذلك عندما أتى علياً عليه السلام وعرض

ص: ٧٢٣

١- قال سبحانه: «أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ» الطور: ٣٠.

عليه أن يبايعه في مقابل من عينه رجالُ السقيفه، ليستطيع بذلك تشطير الأُمّة الإسلاميّه الواحده إلى شطرين متحارِبين متقاتلين فيتمكّن من التصيّد في الماء العكر.

ولكن الإمام علياً عليه السلام أدرك بذكائه البالغ نوايا أبي سفيان الخبيثه، فرفض مطلبه وقال له كاشفاً عن دوافعه ونواياه الشريره:

«والله إنك ما أردت بهذا إلا الفتنه، وإنك والله طالما بغيت للإسلام شراً...»

لاحاجه لنا في نصيحتك!!(١).

ولقد بلغ دورُ المنافقين التخريبي من الشدّه بحيث تعرّض القرآن لذكورهم في سُور عديده هي آل عمران، والنساء، والمائده، والأنفال، والتوبه، والعنكبوت، والأحزاب، ومحمّد، والفتح، والمجادله، والحديد، والمنافقين، والحشر.

فهل مع وجود هؤلاء الأعداء الخطرين والأقوياء الذين كانوا يتربّصون بالاسلام الدوائر، ويتحينون الفرص للقضاء عليه يصحّ أن يترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أُمّته الحديثه العهد بالإسلام، الجديده التأسيس من دون أن يعين لهم قائداً دينياً سياسياً؟

إنّ المحاسبات الاجتماعيه تقول: إنّه كان يتوجب أن يمنع رسول الإسلام بتعيين قائد للأُمّه، من ظهور أيّ اختلاف وانشقاق فيها من بعده، وأن يضمن استمرار وبقاء الوحده الإسلاميّه بإيجاد حصن قوى وسياج دفاعى متين حول تلك الأُمّه.

إنّ تحصين الأُمّه، وصيانتها من الحوادث المشؤومه، والحيلولة دون حدوث ظاهره مطالبه كلّ فريق الزعامه لنفسه دون غيره، وبالتالي التنازع على مسأله

ص: ٧٢٤

الخلافة والزعامه لم يكن ليتحقق إلابتعيين قائد للأُمَّه، وعدم ترك الأمور للقدر.

إنَّ المحاسبه الاجتماعيه تهدينا إلى صحَّه نظريه «التنصيب على القائد بعد رسول الله»، ولعلَّ لهذه الجبهه، ولجهات أُخرى طرح رسول الإسلام مسأله الخلافه فى الأيام الأولى من ميلاد الرساله الإسلاميه وظلَّ يواصل طرحها والتذكير بها طول حياته حتى الساعات الأخيره منها حيث عيَّن خليفته ونصَّ عليه بالنص القاطع الواضح الصريح فى بدء دعوته، وفى نهايتها أيضاً.

واليك بيان كلا هذين المقامين:

### ١. النبوه والإمامه توأمان

بغضَّ النظر عن الأدله العقليه على صحَّه المحاسبه الاجتماعيه التى تثبت حقانيه الرأى الأول بصوره قطعيه، هناك أخبار وروايات وردت فى المصادر المعبره تثبت صحَّه الموقف والرأى الذى ذهب إليه علماء الشيعه، وتصدَّقه، فقد نصَّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم على خليفته من بعده فى الفتره النبويه من حياته مراراً وتكراراً، وأخرج موضوع الإمامه من مجال الانتخاب الشعبى، والرأى العام.

فهو لم يعيّن (ولم ينصَّ على) خليفته ووصيّه من بعده فى أخريات حياته فحسب، بل بادر إلى التعريف بخليفته ووصيّه فى بدء الدعوه يوم لم ينضو تحت رايه رسالته بعدُ سوى بضع عشرات من الأشخاص، وذلك يوم أمر من جانب الله العلى القدير أن ينذر عشيرته الأقربين من العذاب الإلهى الأليم، وأن يدعوهم إلى عقيدته التوحيد قبل أن يصدع برسالته للجميع ويبدأ دعوته العامه للناس كافه.

فجمع أربعين رجلاً من زعماء بنى هاشم وبنى المطلب ثم وقف فيهم خطيباً فقال:

«أَيْكُمْ يُؤَاذِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَوَصِيي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ».

فأحجم القوم، وقام على عليه السلام وأعلن مؤازرته وتأييده له، فأخذ رسول الله برقبته والثفت إلى الحاضرين وقال:

«إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ»<sup>(١)</sup>.

وقد عُرِفَ هذا الحديث عند المفسرين والمحدثين ب: «حديث يوم الدار» و «حديث بدء الدعوه».

على أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكتف بالنص على خليفته في بدء رسالته، إنما صرَّح في مناسبات شتى، في السفر والحضر، بخلافه على عليه السلام من بعده ولكن لا يبلغ شيء من ذلك في الاهميه والظهور والصراحة والحسم ما بلغه حديث الغدير.

## ٢. قصه الغدير

لما انتهت مراسيم الحج، وتعلم المسلمون مناسكه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرحيل عن مكّه، والعوده إلى المدينه، فأصدر أمراً بذلك.

ولما بلغ موكب الحجيج العظيم إلى منطقه «رابغ»<sup>(٢)</sup> التي تبعد عن «الجحفه»<sup>(٣)</sup> بثلاثه أميال (أى ما يعادل ٤/٨٣ كيلومتراً) نزل أمين الوحي جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنطقه تُدعى «غدير خم» وخاطبه بالآيه التاليه: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ

ص: ٧٢٦

١- تاريخ الطبرى: ٦٣/٢؛ الكامل فى التاريخ: ٦٢/٢-٦٣.

٢- رابغ تقع الآن على الطريق بين مكّه والمدينه.

٣- من مواقيت الإحرام وتنشعب منها طرق المدينين والمصريين والعراقيين.

إنَّ لسان الآيه وظاهرها يكشف عن أنَّ الله تعالى ألقى على عاتق النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسؤوليه القيام بمهمه خطيره، وأى أمر أكثر خطوره من أن ينصب علياً عليه السلام لمقام الخلافه من بعده على مرأى ومسمع من مائه ألف شاهد.

من هنا أصدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره بالتوقف، فتوقفت طلائع ذلك الموكب العظيم، والتحق بهم من تأخر.

لقد كان الوقت وقت الظهيره، وكان الجو حاراً إلى درجه كبيره جداً، وكان الشخص يضعُ قسماً من عباءته فوق رأسه والقسم الآخر منها تحت قدميه، وصيغ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مظلةً وكانت عبارته عن عباءه ألقيت على أغصان شجره (سمره)، وصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحاضرين الظهر جماعه، وفيما كان الناس قد أحاطوا به صعده صلى الله عليه وآله وسلم على منبر أُعدَّ من أحجاج الإبل وأقتابها، وخطب في الناس رافعاً صوته وهو يقول: «الحمد لله ونسبته تعينه وتؤمن به وتتوكل عليه وتعود به من شُرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن ضلَّ ولا مُضِلَّ لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلا هو وأنَّ محمداً عبده ورسوله.

أمياً بعيد، أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف الذي قبله، وإنى أوشك أن أدعى فأجيب، وإنى مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً، قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ جنته حق،

ص: ٧٢٧

وَ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّارِيبَ فِيهَا، وَ إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ؟

قالوا: بلى نشهدُ بذلك.

قال صلى الله عليه و آله و سلم:

«اللَّهُمَّ اشْهَدْ».

ثم قال صلى الله عليه و آله و سلم:

«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا».

فنادى مناد: بأبي أنت و أمي يارسول الله، وما الثقلان؟

فقال صلى الله عليه و آله و سلم:

«كِتَابُ اللَّهِ سَيَبِّبُ طَرْفَ بَيْدِ اللَّهِ وَ طَرْفَ بَأْيَدِيكُمْ فَتَمَسُّكُوا بِهِ، وَ الْآخِرُ عِترتي؛ وَ إِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ تَبَأْنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَلَا تَقْدَمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا، وَلَا تَقْصُرُوا عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوا».

وهنا أخذ بيد «علي» عليه السلام و رفعها حتى رأى بياضَ آباطهما و عرفه الناس أجمعون ثم قال:

«أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟».

قالوا: الله و رسوله أعلم.

فقال صلى الله عليه و آله و سلم:

«إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ وَ أَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنَا أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ (1)، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَ انصُرْ مَنْ نصره، وَ اخذل

ص: ٧٢٨

١- . لقد كَرَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سلم هَذِهِ الْعِبَارَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ دَفْعًا لِأَيِّ التَّبَاسِ أَوْ اشْتِبَاهِ.



من خذله، وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه، وأدر الحق معه حيث دار»(١).

## واقعه الغدير خالده إلى الأبد

لقد تعلقت المشيئة الربانية بأن تبقى واقعه الغدير التاريخيه فى جميع القرون والعصور كتاريخ حى يجتذب القلوب والأفئده، ويكتب عنه الكتاب الإسلاميون فى كل عصر وزمان ويتحدثون حوله فى مؤلفاتهم المتنوعه فى مجال التفسير والتاريخ والحديث والعقائد، كما يتحدث حوله الخطباء فى مجالس الوعظ ومن فوق صهوات المنابر، ويعتبرونها من فضائل الإمام «على» الذى لا يتطرق إليها أى شك أو ريب.

ولم يقتصر هذا على الكتاب والخطباء بل استلهم الشعراء من هذه الواقعة الكبرى التى فجرت بالتفكير حول هذه الحادته، وبالإخلاص لصاحب الولاية يناييع التعبير فى وجودهم فأنشأوا أروع القصائد، وجادت قرائحهم بأنواع مختلفه من القصيد الجميل، وخلفوا لمن بعدهم وبلغات مختلفه آثاراً أدبيه ولائيه خالده.

ولهذا قلما نجد حادته تاريخيه حظيت فى العالم البشرى عامه وفى التاريخ الإسلامى والأمة الإسلاميه خاصه بمثل ما حظيت به واقعه الغدير، وقلما استقطبت

ص: ٧٢٩

١- . ورد حديث الغدير فى كتب أهل السنه وصحاحهم بأسانيد معتبره وطرق متعدده وألفاظ مختلفه ومضمون واحد: لاحظ مسند أحمد: ٢٨١/٤ و ٣٧٢ و ج ٣٦٦/٥ و ٣٧٠؛ سنن ابن ماجه: ٤٥/١ برقم ١٢١؛ سنن الترمذى: ٢٩٧/٥ برقم ٣٧٩٧؛ مستدرک الحاكم: ١٠٩/٣-١١٠ و ص ٥٣٣؛ مجمع الزوائد: ١٠٣/٩-١٠٩، باب قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من كنت مولاه فعلى مولاه» وغيرها كثير. وراجع للوقوف الكامل على مصادر هذا الحديث المتواتر موسوعه الغدير للعلامة الأمينى.

اهتمام الفئات المختلفه من المحدّثين والمفسّرين والكلاميين والفلاسفه، والشعراء والأدباء، والكتّاب والخطباء، وأرباب السير والمؤرّخين كما استقطبت هذه الحادّثه، وقلّما اعتنوا بشيء مثلما اعتنوا بها.

إنّ من أسباب خلود هذه الواقعه الكبرى و دوام هذا الحديث هو: نزول آيتين من آيات القرآن الكريم فيها(١)، فما دام القرآن الكريم باقياً مستمراً يتلى آناء الليل وأطراف النهار تبقى هذه الحادّثه فى الأذهان والنفوس ولا يُمحى ذكرها من العقول والقلوب.

وحيث إنّ المجتمع الإسلامى فى العصور الغابره وكذا الطائفه الشيعيه كانوا يعتبرون هذا اليوم عيداً كبيراً من الأعياد الدينيه، وكانوا يقيمون فيها ما يقيمونه من المراسيم فى الأعياد الإسلاميه، لهذا فإنّ هذه الحادّثه التاريخيه (حادّثه الغدير) قد اتّخذت طابع الأبدية والخلود الذى لا يُمحى ذكرها من الأذهان والخواطر.

هذا ويُستفاد من مراجعه التاريخ بوضوح أنّ اليوم الثامن عشر من شهر ذى الحجّه الحرام كان معروفاً بين المسلمين بيوم عيد الغدير وكانت هذه التسميه تُحظى بشهره كبيره إلى درجه أنّ ابن خلكان يقول حول «المستعلى بن المستنصر»: وبويع فى يوم غدیر خمّ، وهو الثامن عشر من شهر ذى الحجّه سنه ٤٨٧(٢).

وقال فى ترجمه المستنصر بالله العبيدى: وتوفى ليله الخميس لاثنتى عشره ليله بقيت من ذى الحجّه سنه سبع وثمانين وأربعمائه، قلت: وهذه هى ليله عيد

ص: ٧٣٠

١- . المائده: ٣ و ٤٧.

٢- . وفيات الأعيان: ١٨٠/١.

الغدِير، أعنى: ليله الثامن عشر من شهر ذى الحِجَّة، وهو غدِير خم (١).

وقد عدّه أبو ریحان البيرونى فى كتابه «الآثار الباقية» ممّا استعمله أهل الإسلام من الأعياد (٢).

وليس ابن خلّكان وأبو ریحان البيرونى، هما الوحيدان اللذان صرّحا بكون هذا اليوم هو عيد من الأعياد، بل هذا الثعالبى قد اعتبر هو الآخر ليله الغدير من الليالى المعروفة بين المسلمين (٣).

إنّ عهد هذا العيد الإسلامى وجذوره ترجع إلى نفس يوم «الغدِير»؛ لأنّ النّبى صلى الله عليه وآله وسلم أمر المهاجرين والأنصار، بل أمر زوجاته ونساءه فى ذلك اليوم بالدخول على «علّى» عليه السلام وتهنّته بهذه الفضيله الكبرى.

يقول زيد بن أرقم: كان أول من صافق النّبى صلى الله عليه وآله وسلم وعلياً: أبو بكر وعمر وعثمان وطلحه والزبير وباقي المهاجرين والانصار وباقي الناس (٤).

### الدلائل الأخرى على أصدبه الغدير

ويكفى فى أهميته هذا الحدث التاريخى أنّ هذه الواقعة التاريخيه رواها مائه وعشره صحابى، على أن هذه العبارة لاتعنى أنّ روايه هذه الواقعة اقتصرّت على هؤلاء المائه والعشره من ذلك الحشد الهائل، بل يعنى أنّ هؤلاء جاء ذكرهم فى كتب أهل السنّه ومصنّفاتهم.

صحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألقى خطابه المذكور الذى تضمّن نصب علىّ عليه السلام

ص: ٧٣١

١- . وفيات الأعيان: ٢٣٠/٥.

٢- . الآثار الباقية فى القرون الخاليه: ٣٣٤، نقلاً عن الغدير: ٢٦٧/١.

٣- . ثمار القلوب: ٥١١، ط القاهره، نقلاً عن الغدير: ٢٦٨/١.

٤- . راجع مصدره فى الغدير: ٢٧٠/١ (حديث التهنّته).

للخلافه فى مائه ألف أو يزيدون من الناس، ولكن كثيراً منهم كانوا قد أتوا من مناطق نائية من الحجاز، ولهذا لم يرو عنهم هذا الحديث، كما أن كثيراً من الذين حضروا ذلك المشهد التاريخى العظيم رووا ونقلوا للآخرين هذا الحديث ولكن التاريخ لم يوفق لذكر أسمائهم، أو إذا تم ذلك لكن لم يصل إلينا.

ثم إنه روى هذا الحديث فى القرن الثانى الإسلامى وهو عصر التابعين تسعة وثمانون تابعياً.

وقد بلغ عدد من روى حديث «الغدير» فى القرون اللاحقه فى كتابه من علماء أهل السنه وفضلائهم ثلاثمائة وستون شخصاً، وصححه جمع كبير منهم واعترفوا بتواتره.

وفى القرن الثالث رواه اثنان وتسعون عالماً.

وفى القرن الرابع رواه أربعة وأربعون.

وفى القرن الخامس رواه أربعة وعشرون.

وفى القرن السادس رواه عشرون.

وفى القرن السابع رواه واحد وعشرون.

وفى القرن الثامن رواه ثمانية عشر.

وفى القرن التاسع رواه ستة عشر.

وفى القرن العاشر رواه أربعة عشر.

وفى القرن الحادى عشر رواه اثنا عشر.

وفى القرن الثانى عشر رواه ثلاثة عشر.

وفى القرن الثالث عشر رواه اثنا عشر.

وفى القرن الرابع عشر رواه عشرون عالماً.

ولم يكتف البعض بنقل وروايه هذا الحديث في كتبهم ومؤلفاتهم بل ألفوا حوله رسائل أو كتباً مستقلة.

وقد ألف المؤرخ الإسلامي الكبير «الطبري» كتاباً في هذا المجال أسماه «الولايه في طرق حديث الغدير» روى فيه هذا الحديث عن النبي بخمس وسبعين سنداً.

ولقد روى «ابن عقده» في رساله «الولايه» هذا الحديث بمائه وخمسين سنداً.

وروى أبو بكر محمّد بن عمر البغدادي المعروف بالجمعاني هذا الحديث بخمس وعشرين سنداً.

كما روى من علماء الحديث هذه الواقعة نظراء:

أحمد بن حنبل الشيباني ب: ٤٠ سنداً.

ابن حجر العسقلاني ب: ٢٥ سنداً.

الجزري الشافعي ب: ٨٠ سنداً.

أبو سعيد السجستاني ب: ١٢٠ سنداً.

الأمير محمّد اليميني ب: ٤٠ سنداً.

النسائي ب: ٢٥٠ سنداً.

أبو العلاء الهمداني ب: ١٠٠ سند.

أبو العرفان الحبان ب: ٣٠ سنداً.

وبلغ عدد من ألف رساله خاصه أو كتاباً مستقلاً حول هذه الواقعة وخصوصياتها وتفصيلها ٢٦ شخصاً، ولعلّ هناك غيرهم ممن ألف كتاباً أو رساله مستقله حول هذا الحدث التاريخي الهامّ لم يذكر التاريخ أسماءهم، أو ضاعت

مؤلفاتهم بسبب الحوادث والمصائب التي طرأت على الأمة الإسلامية وضيّعت الكثير من تراثها الفكرى خلال عمليات الإغارة والنهب أو الهدم والإحراق (ولقد اقتبسنا كل هذه الإحصاءات من كتاب الغدير). (١)

ولقد كتب علماء الشيعة كتباً قيّمة حول هذه الواقعة أجمعها وأشملها كتاب «الغدير» بقلم العلامة الجليل والكاتب الإسلامى القدير المرحوم آية الله الشيخ الأمينى رضى الله عنه والذي يقع فى أحد عشر مجلداً فى ما يقرب من ستة آلاف صفحة، وقد استفدنا كثيراً من تلك الموسوعة فى تنظيم الفصل الحاضر.

ثم إنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يلبث أن نزل عليه قوله تعالى بعد نصبه علياً لإمره المسلمين فى تلك الواقعة:

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا». (٢)

فكبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بصوت عال ثم أضاف قائلاً:

«الحمد لله على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الربّ برسالتي، وولايه على بن أبى طالب من بعدى».

ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك المنبر المصنوع من أحداج الإبل وأمر أمير المؤمنين علياً عليه السلام أن يجلس فى خيمه وأمر كافه الناس وكلّ من حضر المشهد من أمته، ومنهم الشيخان ومشايخه قريش ووجوه الأنصار، كما أمر أمّهات المؤمنين بالدخول على أمير المؤمنين عليه السلام وتهنئته على تنصيبه لمنصب الإمامه والخلافه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ٧٣٤

١- . راجع: الغدير: ١٤/١-١٥٩.

٢- . المائدة: ٣.

ففعّل الناس ذلك وانكبوا على «علي» عليه السلام بأيديهم وكان أوّل من صافق وهناً عليّاً أبوبكر وعمر واصفين إياه بالولاية.

وهنا قام «حسان بن ثابت الأنصاري» شاعر الإسلام واستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أن ينشد شعراً بهذه المناسبة، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: قل على بركة الله.

فقام حسان وقال:

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيُّهُمْ بِخُمْ وَأَسْمِعْ بِالنَّبِيِّ مَنَادِيًّا

وقد جاءه جبريلُ عن أمرِ ربِّه بأنَّكَ معصومٌ فلا تُكُ وانيا

وَبَلِّغُهُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ رَبُّهُمْ إِلَيْكَ وَلَا تَخْشَ هُنَاكَ الْأَعَادِيَا

فقام به إذ ذاك رافع كفه بكف عليّ معلن الصوت عالياً

فقال فمن مولاكم ووليكم فقالوا ولم يُبدوا هناك تعاميا

إلهك مولانا وأنت ولىنا ولن تجدنّ فينا لك اليوم عاصيا

فقال له: قم يا عليّ فإنني رضيتك من بعدى إماماً وهاديا

فمن كنت مولاة فهذا وليه فكونوا له أنصار صدق مواليا

هناك دعا اللهم وال وليه وكن للذي عادى علياً معادياً

فيارب انصر ناصريه لنصرهم إمام هدى كالبدر يجلو الدياجيا(1)

ولقد كان هذا الحديث على مدى التاريخ الإسلامي أكبر دليل على أفضلية علي عليه السلام على جميع صحابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كافة، حتى أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام احتج به مراراً فقد احتج به في مجلس الشورى الذي عقد لتعيين الخليفة عقيب وفاه الخليفة

ص: ٧٣٥

١- . لاحظ: الغدير: ٣٩/٢ (غديره حسان بن ثابت).

الثانى، وفى أيام خلافة عثمان، وفى أيام خلافته عليه السلام أيضاً، كما أنّ شخصيات كثيرة من وجه المسلمين احتجوا به على منكرى حقّ علىّ وأفضليته وكان ذلك دأبهم دائماً وأبداً.

ص: ٧٣٦



١٦٤. المتنبئون كذباً (١)٢. التفكير في أمر الروم

بعد الانتهاء من مراسم تعيين الخليفه في «غدير خم» انفصلتُ جُموعُ الحجيج المشاركه في مراسم «حجّه الوداع» من الوافدين من الشام ومصر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أرض الجحفه والذين شاركوا في هذه المراسم من «حضر موت» و «اليمن» انفصلوا عنه في هذه النقطه أو في نقطه سابقه وقلوا راجعين إلى أوطانهم.

ولكنَّ العشره آلاف الذين خَرَجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عادوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينه، ووصلوها قبل أن تأتي السنه العاشره من الهجره على نهايتها.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون فرحين جداً لانتشار الإسلام في شتى نقاط

ص: ٧٣٧

---

١- . كانت مراسله مسيلمه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في نهايات السنه الهجرية العاشره، وكذا ادعاء الأسود العنسى للنبوّه، وقد دمجنا ذكرهما في حوادث الفصل الرابع والستين تقليلاً لفصول هذا الكتاب.

الجزيره العربيه، ولانتهاه عهد الحاكميه الوثنيه والشرك في كل مناطق الحجاز، وبالتالي لزوال جميع الموانع والعراقيل التي كانت تحول دون نفوذ الإسلام وانصواء الناس تحت لوائه المبارك.

لم يكن شهر ذى الحجه من السنه العاشره قد انتهى بعد يوم قدم نفران من «اليمامه» المدينه، وسلما كتاباً من مسيلمه الذى عرف فيما بعد ب «مسيلمه الكذاب» إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ففتح أحد كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرساله وقرأها عليه، فكان مضمونها أنّ شخصاً باليمامه يدعى «مسيلمه» يدعى النبوه ويشرك نفسه مع رسول الإسلام فى أمر الرساله، ويريد من خلال كتابه أن يبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ويعرفه بنبوته.

وقد أثبتت كتب السير والتواريخ الإسلاميه نصّ الكتاب المذكور. ويوحى أسلوب الرساله المذكوره بأن صاحبها أراد تقليد الأسلوب القرآنى فى البيان والتعبير، ولكن محاولته باءت بالفشل، فلم يستطع تقليده، وأتى بعبارات خاويه خاليه من الروح، يفوقها الكلام العادى فى القوه بدرجات.

فلقد كتب «مسيلمه» فى كتابه هذا: (١).

أما بعد، فإننى قد أشركت فى الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون.

قال نعيم بن مسعود الأشجعى: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لهما حين قرأ كتابه: فما تقولان أنتما؟ قالوا: نقول كما قال، فقال: «أما والله لولا أن الرُّسُلَ لا تُقتل لضربت أعناقكما».

ص: ٧٣٨

١- . ومن شدّه جهله أنّه لم يبدأ كتابه باسم الله، بل ولم يفعل ما فعله حتى المشركون فى العهد الجاهلى.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أملى على كاتبه كتاباً إلى مسيلمه قصير المحتوى، مفحم المفاد. واليك نص رساله النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

من محمد رسول الله إلى مسيلمه الكذاب السلام على من اتبع الهدى.

أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبه للمتقين»(١).

### لمحه عابره عن هويه مسيلمه

كان مسيلمه من الأشخاص الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة في السنه العاشره من الهجره وأسلم في من أسلم، ولكنه بعد أن عاد إلى موطنه ادعى النبوه، وأجابه طائفه من السذج والبسطاء، وربما من المتعصبين من قومه.

ولم يكن نجاح دعوته الباطله في «اليمامه» دليلاً على شخصيته الواقعيه، بل التف حوله فريق ممن تبعه تعصباً وحميه مع أنهم علموا بكذبه، وزيف دعوته، إذ كانوا يقولون: «كذاب ربيعه أحب إلينا من صادق مضر» وقد قال هذه العبارة أحد أتباعه لما سأل مسيلمه ذات مره: من يأتيك؟ قال: رحمان، قال: أفي نور أو في ظلمه؟ فقال: في ظلمه، فقال: أشهد أنك كذاب وأن محمداً صادقاً، ولكن كذاب ربيعه أحب إلينا من صادق مضر(٢).

إن من المسلم أن الرجل قد ادعى النبوه، وتبعه على ذلك فريق من قومه،

ص: ٧٣٩

١- . السيره النبويه لابن هشام: ١٠١٩/٤؛ إمتاع الأسماع: ٢٢٩/١٤-٢٣٠. وتكفي مقارنته بسيطه بين نص الكتابين في معرفه حقيقه الشخصين.

٢- . تاريخ الطبري: ٥٠٨/٢؛ إمتاع الأسماع: ٥٢٩/١٤. ويقصد بالأول مسيلمه، وبالثاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولكنه لم يثبت قط أنه تصدّى لمعارضه القرآن، وما أثر عنه - فى النصوص التاريخيه - من عبارات وجمل فى معارضه القرآن، لا يمكن أن تكون من كلام رجل فصيح كمسيلمه؛ لأن عباراته العاديه وأحاديثه الأخرى فى غايه البلاغه والإتقان، فكيف تصدر منه هذه العبارات الضعيفه؟!

ولهذا يمكن القول بأن ما نقل عنه - على غرار ما نُقل عن معاصره «الأسود بن كعب العنسى» الذى ادعى النبوه معه فى اليمن - إنما هى أمورٌ نُسبت إليه، وألصقت به إصاقاً لأسباب خاصه؛ لأن عظمه القرآن وبلاغته الفائقه فى حد لا يجزؤ معها أحدٌ على التفكير فى معارضه القرآن ومقابلته، ويعلم كلُّ عربىٍّ بحكم فطرته الإلهيه أن هذا الأسلوب الجذاب وأن عظمه المعانى القرآنيه وسموها تجعل القرآن الكريم فوق حدود الطاقه البشريه، فكيف يحاول أحد معارضته ومقابلته؟!

ثم إن مواجهه المرتدّين من العرب كان أوّل ما قام به الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولهذا حوصرت منطقته «مسيلمه» من قبل جنود الإسلام، وضيق عليه الحصار شيئاً فشيئاً، حتى إذا اتّضحت هزيمه ذلك الكذاب، قال له بعض أتباعه السدج: أين ما كنت تعدّنا (من النصر الإلهي)؟ فقال مسيلمه: أما الدين فلا، قاتلوا عن أحسابكم.

ولكنّ الدفاع عن الأحساب والكرامه لم يُفد مسيلمه ولا أتباعه شيئاً، فقد قُتل هو وفريق منهم فى بستان على أيدي المسلمين، وانتتهت بذلك خرافه نبوته المدّعا(1).

إنّ هذه العبارة القصيره تكشف عن أنّه كان رجلاً فصيحاً وناطقاً بليغاً، كما

ص: ٧٤٠

---

١- . لاحظ: تاريخ الطبرى: ٥١٤/٢-٥١٦.

أنها تفيد أنه لم يكن صاحب تلك العبارات الباردة الخاويه التي نُسبت إليه - في التاريخ والسيره - في معارضه القرآن الكريم.

## التفكير في أمر الرُّوم

مع أن ظهور مثل هؤلاء المتبئين الكذبه في شتى مناطق الحجاز كان خطراً على وحده أهلها الدينيه، فإن التفكير في أمر الروم - الذين كانت الشامات وفلسطين من مستعمراتهم آنذاك - كان يستأثر باهتمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من غيره؛ لأنه كان يعلم بأن القاده اللاتنيين في اليمامه واليمن قادرين على مواجهه المتبئين، ولهذا قضى على «الأسود العنسى» وهو رجلٌ آخر ادعى النبوه كذباً في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك بعد يوم من وفاه النبي، على يد والى اليمن.

لقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم متيقناً وواثقاً من أن الدوله الروميه التي تلاحظ اتساع رقعه النفوذ الإسلامى الصاعد، والتي رأت كيف أن رسول الإسلام استطاع أن يقتلع جذور اليهوديه من الحجاز، وفرض الجزيه على فريق النصارى يدفعونها للحكومه الإسلاميه، غاضبه لذلك أشد الغضب.

لقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ أمد بعيد يعتبر خطر الروم خطراً جدياً لا يمكن التغاضى عنه واحتقاره، ولهذا السبب نفسه وجه في السنه الثامنه من الهجره جيشاً كبيراً قوامه ثلاثه آلاف بقياده «جعفر بن أبى طالب» و «زيد بن حارث» و «عبد الله بن رواحه» إلى تخوم الشام حيث يسيطر الروم، وقد استشهد في هذه المعركه القاده الثلاثه، وقفل الجيش الإسلامى راجعاً إلى المدينه من دون انتصارات بتدبير من خالد بن الوليد.

وفي السنه التاسعه عندما بلغه نبأ استعداد الروم لمهاجمه الحجاز - وهو آنذاك في المدينه - خرج صلى الله عليه وآله وسلم بشخصه على رأس جيش قوامه ثلاثون ألفاً إلى

تبوك، وعاد من دون مواجهه إلى المدينة.

ولهذا كان هذا الخطر جدياً في نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هنا فإنه صلى الله عليه وآله وسلم لمّا عاد من «حجّه الوداع» إلى المدينة هياً جيشاً من المهاجرين والأنصار أشرك فيه أشخاصاً معروفين بارزين مثل أبي بكر وعمر وأبي عبيده وسعد بن أبي وقاص... وأمر بأن يشارك فيه كل من هاجر إلى المدينة خاصّه (١).

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولأجل تحريك مشاعر المجاهدين، عقد بيده (٢) لواء لأسامه بن زيد الذي أمره على ذلك الجيش. وقال له:

«سِر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتكَ هذا الجيش، فأغر صباحاً على أهل أُبْنِي» (٣).

فأعطى «أسامه» اللواء إلى «بريده» وعسكر بالجرف (٤) ليلتحق به جنود الإسلام أفواجاً أفواجاً، ولتحرّك الجميع في وقت واحد.

لقد اختار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقياده هذا الجيش شاباً في مقتبل العمر، وأمره على طائفه كبيره من شيوخ الأنصار والمهاجرين، ولقد أراد صلى الله عليه وآله وسلم من فعله هذا

ص: ٧٤٢

١- السير الحلبيه: ٢٢٧/٣؛ النص والاجتهاد: ٣٠-٣٢.

٢- يذهب كتاب السنّه إلى أنّ النبي عقد اللواء المذكور في ٢٦ صفر، وحيث إنّ وفاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم حسب روايتهم كانت في ١٢ ربيع الأول، لهذا فإنّ من الممكن أن تقع الحوادث التي سيأتى ذكرها مستقبلاً تدريجاً في مده ١٦ يوماً، ولكن حيث إنّ الشيعة يرون تبعاً لما رواه عتره النبي أنّ وفاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت في ٢٨ صفر لهذا يجب أن يكون عقد اللواء قدتمّ قبل ٢٦ صفر بمره ليتمكن وقوع كلّ هذه الحوادث الكثيره في هذه المده.

٣- «أبْنِي» من مناطق اللقاء وتقع في الأراضى السوريه وقرب مؤته بين «عسقلان» و «الرملة».

٤- الجرف: منطقته واسعه على بعد ثلاثه أميال (٤/٨٣ كيلومتراً)، وهى مدينه من جانب الشام.

أميرين:

أولاً: أن يجبر - من خلال ذلك - ما لحق من المصيبة بأسامه بسبب مقتل والده «زيد بن حارث» الذي استشهد في معركة مؤتة مع الروم، ويرفع من شخصيته.

ثانياً: أراد أن يؤكد قانونه في مجال التوظيف وتوزيع المناصب والمسؤوليات ويجعل ذلك على أساس الكفاءة والشخصية القيادية، أن المناصب والمسؤوليات الاجتماعية لا تحتاج إلى غير الكفاءات والمؤهلات، ولا ترتبط بحال بالعمر والسن. لقد فعل النبي ذلك حتى يهيئ الشباب الذين يتمتعون بالمؤهلات الكافية لتسلم المسؤوليات الاجتماعية الثقيلة ويعلموا أن المناصب والمهام - في النظام الإسلامي - ترتبط ارتباطاً مباشراً بالكفاءة والمؤهلات القيادية، لا العمر والسن.

ثم إن الإسلام الواقعي هو الانضباطية الشديدة والانقياد الكامل تجاه التعاليم الإلهية السامية، والمسلم الحقيقي هو من ينقاد لتعاليم الله تعالى وأوامره وتعاليمه ويقبل بها من كل قلبه كجندى في ساحه القتال، سواء أكانت له فيها نفع أم لا، وسواء أكانت تضر به أم لا، وسواء أكانت مطابقه لأهوائه ومطامحه أم لا.

ولقد بين الإمام علي عليه السلام حقيقة الإسلام في عبارته موجزه ولكن بليغه ومعبره إذ قال: «الإسلام هو التسليم»<sup>(1)</sup>.

إن الذين يؤمنون ببعض تعاليم الإسلام دون بعض، كلما واجهوا ما لا يوافق أهواءهم الباطنية منها، اعترضوا عليه وحاولوا التملص من المشاركة في تنفيذه بشتى المعاذير والحجج.

ص: ٧٤٣

---

١- . نهج البلاغه: قصار الحكم، برقم ١٢٥.

لاشك أن هذا الفريق يفتقر إلى روح الانضباطيه، والتسليم الواقعي، والانقياد الكامل الذي يمثل روح الإسلام وأساسه.

لقد كان تأمير قائد شاب يُدعى «أسامه بن زيد» الذي لم يكن يتجاوز يومذاك العشرين عاماً<sup>(١)</sup> شاهد صدق على ما نقول؛ لأنّ تأميره على ليف من الصحابه يكبرون عنه في العمر أضعافاً، شقّ على البعض، لأنّهم اعترضوا على الإجراء، وطعنوا في أسامه، وأطلقوا عبارات تكشف جميعها عن افتقارهم لروح الانقياد والطاعة والتسليم الذي يجب أن يتحلّى بها الجندى المسلم تجاه قائد الإسلام الأعلى (النبي)، وأوامره وتعييناته.

ولقد كان محور كلامهم هو أنّ النبي أمر شاباً صغير السنّ على شيوخ من الصحابه<sup>(٢)</sup>.

وقد غفلوا عن المصالح والأهداف التي توخّاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا الإجراء، وكانوا يقدّرون كلّ عمل بعقولهم الضيّقه المحدوده، وقيسونه بمقاييسهم الشخصيه.

فرغم أنّهم لمسوا من قريب كيف أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحرص على تعبئه هذا الجيش وبعثه، ولكن عناصر مشبوّهه أخّرت حركة الجيش المذكور من معسكر «الجرف» وتوجهه إلى النقطة المطلوبه، وكانت تسعى لعرقله هذه المهمه.

وبعد يوم من عقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللواء لأسامه، مرض صلى الله عليه وآله وسلم بشدّه وأصابه

ص: ٧٤٤

---

١- . ذهب البعض إلى أنّه كان في السابعة عشر من عمره، وذهب آخرون إلى أنّه كان في الثامنة عشر من عمره. المهم أنّهم اتّفقوا على أنّه لم يتجاوز العشرين سنه. لاحظ: السيره الحلييه: ٢٢٧/٣.

٢- . لاحظ: الطبقات الكبرى: ١٩٠/٢.



صداعٌ شديدٌ تركه طريح الفراش، واستمر هذا المرض عدّه أيام حتى قضى (صلوات الله عليه).

وقد علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه أنّ هناك من تخلف عن جيش أسامه، وأنّ هناك من يعرقل توجهه نحو المنطقه التي عينها، وأنّ هناك بالتالي من يطعن في أسامه، فغضب صلى الله عليه وآله وسلم لذلك غضباً شديداً، وخرج وهو يلتحف قطيفه، وقد عصّب جبهته بعصابه إلى مسجده ليتحدّث إلى المسلمين من قريب، ويحدّثهم من معبّه هذا التخلف، فصعد المنبر على ما هو عليه من حمى شديده وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال:

«أما بعد أيّها الناس فما مقالهُ بلغتنى عن بعضكم في تأميري أسامه، ولئن طعنتم في إمارتي أسامه لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وأيم الله إن كان للإماره لخليقاً، وإنّ ابنه من بعده لخليق للإماره، وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ، وإنهما لمخيلان(١) لكلّ خير، واستوصوا به خيراً فإنّه من خياركم».

ثم نزل صلى الله عليه وآله وسلم ودخل بيته... (واشتدت به الحمى)، فجعل يقول لمن يعود من أصحابه:

«أنفدوا بعث أسامه»(٢).

ولقد بلغ من إصرار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بعث جيش أسامه أنّه كان يقول وهو في فراش المرض:

«جهّزوا جيش أسامه، لعن الله من تخلف عنه»(٣).

ص: ٧٤٥

١- . فلان مخيل للخير: أي خليق له. صحاح الجوهري: ١٦٩٢، ماده «خيل».

٢- . الطبقات الكبرى: ١٩٠/٢.

٣- . الملل والنحل للشهرستاني: ١٣/١، المقدّمه الرابعه.

وقد تسببت هذه التأكيدات في أن يحضر جماعه من المهاجرين والأنصار عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للتوديع والخروج عن المدينة تلقائياً والالتحاق بجيش أسامه في معسكره بالجرف.

وفيما كان أسامه يتهيأ للتوجه بجيشه إلى حيث أمره الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بلغ بعض الصحابه الحاضرين في الجيش أنباء عن تدهور صحه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتسببت في عدولهم عن الحركة حتى كان يوم الاثنين، فحضر أسامه عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليودعه، فرأى آثار التحسن باديه على ملامح النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاثاً إياه على المبادرة والمسارعه في الخروج:

«أغدُ على بركه الله»(١).

فعاد أسامه إلى المعسكر وأمر بالتحرك فوراً، ولكن الجيش لم يكن قد غادر «الجرف» بعد، حتى جاء نبأ من المدينة بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحتضر، فعمد من كانوا يبحثون عن حجه للتخلف عن جيش أسامه، والذين حاولوا خلال سته عشر يوماً أن يعرفوا توجهه بشتى المعاذير والحجج إلى التوسيل هذه المره بقضيه احتضار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعادوا إلى المدينة فوراً، وعاد الجيش برمته هو الآخر إلى المدينة متجاهلين - جميعاً - أوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج.

ولم يتحقق أحد آمال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في أيام حياته بسبب الانضباطيه التي أبداهها فريق من شيوخ القوم وأعيان الجيش.

### الأعذار غير المقبوله

إنَّ خطأً كبيراً كهذا ارتكبه بعض من تسلّم أمور الخلافه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ص: ٧٤٤

١- . لاحظ: الطبقات الكبرى: ١٩٠/٢.

وسمّوا أنفسهم خلفاء النبي لا يمكن أن يبرّر أبداً.

ولقد أراد بعض علماء السنّه أن يبرّروا هذا التخلّف بطرق ووجوه مختلفه إلّا أنّهم عجزوا - رغم ذلك - أن يُخرجوا عذراً مقبولاً ودليلاً مرضياً لأولئك المتخلّفين عن جيش أسامه.

وللاطلاع على ما نُحِت لذلك من أعدار سقيمه راجع «المراجعات» (١)، و«النص والاجتهاد» (٢).

### الاستغفار لأهل البقيع

كتب فريقٌ من أصحاب السيره أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج في الليلة التي توفّي في صبيحتها مع أبي مويهبه خادمه إلى البقيع مع ما كان عليه من شدّه الحمّى والوجع ليستغفر لأهل البقيع (٣).

ولكنّ المؤرخين الشيعة يرون أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحسّ بالوجع أخذ بيد «عليّ» عليه السلام وخرج معه إلى البقيع وخرج خلفه جماعه فقال لمن خرج معه:

«إنّنى قد أمرتُ أن استغفر لأهل البقيع».

فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم فقال:

«السلامُ عليكم أهل القبور، ليهنئكم ما أصبحتم فيه ممّا أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً، يتبع آخرها أولها».

ثم استغفر ودعا لأهل البقيع طويلاً وأقبل على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقال:

ص: ٧٤٧

١- المراجعات: ٣٦٥ و ٣٧٠، المراجع ٩٠ و ٩١.

٢- النص والاجتهاد: ٣٦-٣٧.

٣- لاحظ: الطبقات الكبرى: ٢٠٤/٢.

«إنَّ جبرئيل كان يعرضُ عليَّ القرآنَ سنه مرّه، وقد عرضهُ عليَّ العام مرّتين ولا أراه إلّا لحضور أجلى».

ثم قال: يا عليّ إنّي خُيّرت بين خزائن الدُّنيا والخلود فيها أو الجنة فاخترت لقاء ربّي والجنّه».(١)

إنّ الذين ينظرون إلى الكون من المنظار المادّي البحت ويحصرون كلّ الوجود في إطار الماده وآثارها، فالوجود عندهم يساوق الماده قد يتردّدون في قبول هذا الأمر، ويقولون: كيف يمكن مخاطبه الأرواح؟! وكيف يمكن الاتّصال بهم؟! كيف يمكن أن يعرف المرء بموته وأجله؟!

ولكنّ الذين كسروا جدار المادّيّه هذا واعتقدوا بوجود الروح المجرّده عن البدن المادّي العنصرى لا ينكرون مسأله الارتباط والاتّصال بالأرواح(٢)، ويعتبرونه أمراً ممكناً وواقعياً.

ثم إنّ النبيّ الذي يتحلّى بالعصمه في مجال ارتباطه بعالم الوحي والعوالم المجرّده من الماده، يمكنه - على وجه القطع واليقين - أن يخبر عن حلول أجله بأمر الله وإذنه وإخباره إيّاه.

ص: ٧٤٨

- ١- . لاحظ: إرشاد المفيد: ١٨١/١؛ بحار الأنوار: ٤٦٦/٢٢؛ الطبقات الكبرى: ٢٠٤/٢.
- ٢- . طبعاً نحن لانعرف بكلّ ما يدّعيه أدعياء الاتّصال بالأرواح، فإنّ لذلك طريقه الصحيح، وأسلوبه المشروع.

تُعَدُّ الأيام الأخيره من حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أكثر فترات التاريخ الإسلامى أهميته وحساسيه ودقه.

لقد مرَّ الإسلام والمسلمون فى تلك الأيام بساعات مؤلمه، وحرجه.

إنَّ مخالفه بعض الصحابه الصريحه لأوامر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتخلّفهم عن جيش أسامه، كلُّ ذلك كان يكشف عن نشاطات سرّيه تنبئ عن عزمهم المؤكّد على الاستيلاء على زمام الحكومه والإماره والقياده السياسيه فى المجتمع الإسلامى بعد رحيل النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وإزاحه الخليفه الذى نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الغدير للإماره عن مسند الحكم.

ولقد كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم نفسه عارفاً بنواياهم على نحو الإجمال، ولهذا كان يصرّ على خروج جميع أعيان الصحابه فى جيش أسامه ومغادره المدينه فوراً لمقاتله الروم، لكى يعطل بذلك خطّتهم.

ولكن دهاه السياسه اعتذروا عن الخروج مع أسامه بحجج ومعاذير معيّنه،

لكى يستطيعوا تنفيذ خططهم بل وعرقلوا مسير الجيش المذكور حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فعادوا إلى المدينة - بعد توقف دام ١٦ يوماً - على أثر تدهور صحّة النبي واحتضاره، فلم يتحقّق ما كان يريده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تفرّغ المدينة منهم، فلا يكون أحدٌ منهم فيها يوم وفاته ليستطيع خليفته المنصوب للإمامه يوم غدٍ رخم (نعنى الإمام علياً) تسلّم زمان الحكم دون منازع ومزاحم من المعارضين السياسيين.

إنّهم لم يكتفوا فقط بالعوده إلى المدينة بل حاولوا أن يحولوا دون أى عمل من شأنه أن يؤدّى إلى دعم وتثبيت منصب الإمام على وخلافته لرسول الله بلافضل، فحاولوا منع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصرفه عن البحث فى هذه المسألة بشتّى الوسائل، والسبل.

فعمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى عرف بنشاط بعض زوجاته من بنات بعض أولئك الصحابه، المشين، عمد إلى الخروج إلى المسجد مع ما كان عليه من الحمى والوجع، ووقف إلى جانب المنبر وقال للناس بصوت عالٍ سُمع خارج المسجد: «أيها الناس سُبِعَت النار، وأقْبَلَت الفتن كقِطْع الليل المظلم، وإني والله ما تمسكون عليّ بشيء، إني لم أُحَلِّ إلّا ما أحلّ القرآن، ولم أُحرّم إلّا ما حرّم القرآن»<sup>(١)</sup>.

إنّ هذه العبارة تكشف عن القلق الشديد الذى كان يحمله النبي صلى الله عليه وآله وسلم على مستقبل الإسلام بعد وفاته، فما هو المقصود - يأتري - من النار التي سعرت؟

ص: ٧٥٠

---

١- . السيره النبويه لابن هشام: ١٠٦٨/٤؛ الطبقات الكبرى: ٢١٥/٢ و ٢١٦؛ السيره الحلبيه: ٤٦٧/٣.

أليس هي فتنة الاختلاف والافتراق التي كانت تنتظر المسلمين، والتي اشتعلت بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعالى لهيبتها، ولا يزال ذلك اللهب مشتعلًا، وتلك النار مستعرة؟!!

### إيتونى بقلم وقرطاس

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرف بما يجرى من نشاطات خارج منزله للسيطره على الحكم، ولهذا قرّر - بغرض الحيلولة دون انحراف مسأله الخلافه من محورها الأصلى والحيلولة دون ظهور الاختلاف والافتراق - أن يدعم مكانه على ويعزز امارته وخلافته وخلافه أهل بيته، وذلك بأن يثبت الأمر فى وثيقه حيّه وخالده تضمن بقاء الخلافه فى خطها الصحيح.

فقد روى البخارى فى صحيحه باسناده عن ابن عباس قال: لما اشتدّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وجعه قال:

«إتوني بكتاب اكتب (1) لكم كتاباً لاتضلّوا بعده».

قال عمر: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا.

فناقش الحاضرون رأى الخليفه، فخالفه قومٌ وقالوا: هاتوا الدواء والصحيحه ليكتب النبي ما يريد، وناصر آخرون عمرَ وحالوا دون الإتيان بمطالبه النبي، ووقع تنازع بينهم وكثر اللغظ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشده لتنازعهم ولما وجه إليه من كلمه مهينه، وقال:

«قوموا عنى ولا يبغي عندى التنازع»

ص: ٧٥١

١- . طبعاً لم يكن الهدف من «اكتب» أن يكتب النبي بيده ذلك الكتاب فالنبي لم يكتب شيئاً فى حياته أبداً كما هو مبحوث فى أبحاث أميه النبي، بل المقصود هو الإملاء على كتّابه.

فخرج ابن عباس يقول: إنّ الرزيثه كلّ الرزيثه ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين كتابه. (١)

إنّ هذه الواقعة التاريخيه قد نقلها فريق كبير من محدّثي الشيعة والسنة ومؤرّخيهم، وتعتبر روايتها - حسب قواعد فنّ الدرايه والحديث - من الروايات المعبره الصحيحه، غايه مافى الأمر أنّ أغلب محدّثي أهل السنة نقلوا كلام «عمر» بالمعنى لا باللفظ، ولم يورد نص الكلمات الجارحه الناييه التي نطق بها في ذلك المجلس المقدّس.

ولا يخفى أنّ الإحجام عن نقل نصّ عبارته ليس لأجل أنّ العبارات التي تفوّه بها تعدّ إهانته لمقام النبوه، بل أنّ هذا التصرف لأجل الحفاظ على مقام الخليفه ومكانته حتى لا يسيء الآخرون النظره إليه إذا عرفوا بما قاله في حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

من هنا عندما بلغ أبو بكر الجوهري مؤلّف كتاب «السقيفه» في كتابه إلى هذا الموضوع من القضيّه قال عند نقل كلام عمر هكذا: وقال عمر كلمه معناها أنّ الوجع قد غلب على رسول الله (٢).

ولكن بعضاً آخر عندما يريد نقل مقاله الخليفه لا يصرّح باسمه حفظاً لمقامه

ص: ٧٥٢

١- . صحيح البخارى: ٣٧/١، باب كتابه العلم، و ج ١٣٧/٥، باب مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم، و ج ٩/٧، باب قول المريض قوموا عني؛ صحيح مسلم: ٧٦/٥، باب ترك الوصيه لمن ليس له شىء يوصى به؛ مسند أحمد: ٢٢٢/١ و ٣٣٦ و ٣٥٥؛ صحيح ابن حبان: ٥٦٢/١٤؛ الطبقات الكبرى: ٢٤٢/٢ و ٢٤٤؛ الملل والنحل للشهرستاني: ٢٢/١؛ إمتاع الأسماع: ١٣٢/٢؛ السيره الحليه: ٤٥٦/٣.

٢- . شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ٥١/٦.



فيقول: فقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يهجر. (١) وفي روايه أخرى: فقالوا: ما شأنه أهجر؟! (٢)

إن من المسلم أن مثل هذه العبارة الجارحة النابيه لو صدرت عن أى شخصيه مهما كان مقامها لعدت ذنباً لا يغتفر؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن مصوناً من أى نوع من أنواع الخطأ والاشتباه والهديان فهو لا ينطق إلا بالوحي.

إن اختلاف الصحابه لدى رسول الله الطاهر المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم وفي محضره كان عملاً سيئاً، ومشيناً إلى درجه أن إحدى أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم اعترضت على هذه المخالفه وقالت من وراء حجاب: ألا تسمعون النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعهد اليكم؟ إئتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحاجته.

فقال عمر: اسكتن فإنكن صواحبه إذا مرض عصرتن أعينكن، وإذا صح أخذتن بعنقه (٣).

إن بعض المتعصّيين وإن التمسوا لمخالفه الخليفه لطلب النبي أعداراً (٤) فى الظاهر إلا أنهم خطأوا كلامه الذى قال فيه «حسبنا كتاب الله»، واعتبروه كلاماً غير صحيح، وصرحوا جميعاً بأن الركن الأساسى للإسلام هو السنّه النبويه، ولا يمكن

ص: ٧٥٣

- 
- ١- صحيح مسلم: ٧٦/٥، باب ترك الوصيه لمن ليس له شىء يوصى به؛ مسند أحمد: ٣٥٥/١؛ الكامل فى التاريخ: ٣٢٠/٢.
  - ٢- لاحظ: صحيح البخارى: ١٣٧/٥، باب مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ صحيح مسلم: ٧٥/٥، باب ترك الوصيه لمن ليس له شىء يوصى به؛ مسند أحمد ٢٢٢/١.
  - ٣- كنز العمال: ٢٤٣/٧ برقم ١٨٧٧١؛ الطبقات الكبرى: ٢٤٤/٢. وفى الطبقات: أن النبي قال (فى الرد على عمر) هن خير منكم.
  - ٤- رد العلامه المجاهد السيد شرف الدين فى كتاب المراجعات المراجعه ٨٦ جميع هذه الأعدار بصوره رائعه.

أن يغنى كتابُ الله الأئمة الإسلاميه عن أحاديث رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم وأقواله.

ولكن الأءعجب من كل ذلك أنّ الدكتور «هيكل» مؤلف كتاب «حياه محمّد»<sup>(١)</sup> ضمن دفاعه عن الخليفه كتب يقول: ما فتى ابن عباس بعدها يرى أنّهم أضاعوا شيئاً كثيراً بأن لم يسارعوا إلى كتابه ما أراد النبي إملأه. أما عمر فظلّ ورأيه أن قال الله في كتابه الكريم: «ما فرطنا في الكتاب من شيء»<sup>(٢)</sup>.

فلو أنّه لاحظ ما قبل هذه الجملة القرآنيه وما بعدها لما فسّرها بمثل هذا التفسير، ولما أيد الخليفه في مقابل نصّ النبي المعصوم المطاع، لأنّ المقصود من الكتاب في الآيه هو الكتاب التكويني، وصفحات الوجود، فإنّ لكل نوع من الانواع في عالم الوجود صفحه من كتاب الصنع، وتشكل كل الصفحات غير المعدوده كتاب الخليفه والوجود واليك نص الآيه:

«وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ»<sup>(٣)</sup>.

وحيث إنّ ما قبل الجملة التي استدلّ بها، يرتبط بخلقه الدواب والطيور، ويرتبط ما بعدها بموضوع الحشر في يوم القيامة، يمكن القول بصوره قاطعه بأنّ المراد من الكتاب في الجملة المستدلّ بها والذى لم يفرط فيه من شيء هو الكتاب التكويني، وصفحه الخلق.

ثم إنّنا لو قبلنا بأنّ المقصود من الكتاب هو القرآن الكريم فإنّ من المسلم أنّ فهم هذا الكتاب - وبحكم تصريحه - يحتاج إلى بيان النبي وهدايته كما يقول:

ص: ٧٥٤

١- . حياه محمّد: ٥٠١.

٢- . الأنعام: ٣٨.

٣- . الأنعام: ٣٨.

«وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» (١).

تأمل فى هذه الآيه فإنها لا تقول «لتقرأ» بل تقول بصراحه: «لتبين».

وعلى هذا الأساس إذا كان كتاب الله كافياً لم نحتاج إلى توضيح النبى وبيانه احتياجاً شديداً (٢).

ولو كان حقاً أن الأمة الإسلاميه لا تحتاج إلى النبى فلماذا كان حبر الأمة وعالمها الكبير ابن عباس يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس!! ثم جعل تسيل دموعه حتى رؤيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ وقال: قال رسول الله: إئتونى بالكتف والدواه (أو اللوح والدواه) أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يهجر. (٣)

فمع هذا الحزن الذى كان يبديه ابن عباس، مضافاً إلى الإصرار الذى أظهره رسول الله، كيف يمكن القول بأن القرآن يغنى الأمة الإسلاميه من هذه الوصيه (أو الكتاب) الذى كان النبى يريد كتابته.

والآن إذا كان النبى لم يوفق لكتابه الكتاب وإملائه فهل يمكن أن نحسد - فى ضوء القرائن القطعيه - ماذا كان ينوى النبى كتابته فى هذه الرساله؟

### ماذا كان الهدف من الكتاب؟

إن الطريقه الجديده والقويمه فى تفسير القرآن الكريم التى أصبحت اليوم موضع عنايه المحققين والعلماء فى هذا العصر هو رفع إبهام الآيه

ص: ٧٥٥

١- . النحل: ٤٤.

٢- . أن بيان مدى حاجه القرآن إلى بيان النبى خارج عن نطاق هذا الكتاب، فاطلبه فى محله.

٣- . صحيح مسلم: ٧٦/٥، باب ترك الوصيه لمن ليس له شىء يوصى به؛ مسند أحمد: ٣٥٥/١.

وإجمالها في موضوع معيّن بواسطة آيه أُخرى تتحدّث عن الموضوع ذاته ولكنّها أوضح من الأولى دلالة ومفاداً، وبعبارة أُخرى: الاستعانة في تفسير آيه بآيه أُخرى.

إنّ هذه الطريقة لا تختصّ بتفسير آيات القرآن بل تنسحب على الأحاديث والروايات الإسلاميّة أيضاً إذ يمكن رفع الإجمال عن حديث بحديث مشابه، لأنّ القاده الكبار يتحدّثون في موضوع مهمّ وخطير بصورة مؤكّده ومكزّره لاتشابه ولا تتحد في دلالتها، فقد تكون دلالتها على الآية واضحة، وقد يكون بيان المقصود فيها بالإشارة والكنايه حسب المقتضيات.

قلنا: إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم طلب من أصحابه وهو في فراش المرض دواه وصحيفه يملى عليهم شيئاً لا يضلّون بعده أبداً، ثمّ تسبّب التنازع الذي حدث بين الحاضرين في أن ينصرف من كتابه ما أراد.

يمكن أن يسأل سائل: ما هو الشيء الذي كان يريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتابته في ذلك الكتاب؟

إنّ الاجابه عن هذا السؤال واضحة؛ لأنّه مع أخذ الأصل الذي ذكرناه في مطلع البحث بنظر الاعتبار يجب القول بأنّ هدف النبي لم يكن إلّا تعزيز الوصيّه ودعم خلافة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وإمرته والتأكيد على لزوم اتّباع أهل بيته الذي صرّح به النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الغدير وغيره.

وهذا المطلب يستفاد من حديث الثقلين المتفق عليه بين محدّثي السنّه والشيعة، لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في شأن الكتاب الذي نوى كتابته: إنّهُ يتغى كتابه شيء لا يضلّون بعده أبداً. وقد جاءت هذه العبارة بعينها في حديث الثقلين إذ يقول

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معتبراً عدم الضلال بعده معلولاً لاتباع الكتاب والعترة إذ قال:

«يا أيها الناس إنى تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتى أهل بيتي»<sup>(١)</sup>.

ألا يمكن بعد ملاحظته هذين الحديثين والتشابه الموجود بينهما الحدس - بصوره قطعيه - بأن ما كان يهدفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من طلب الدواه والصحيفه هو مفاد كتابه حديث الثقلين، أو ما هو أعلى ممّا يفيد حديث الثقلين، وهو تعزيز ودعم ولايه الإمام على عليه السلام وخليفته مباشره وبلا- فصل وهو الذى عينه للإماره والخلافه فى الثامن عشر من شهر ذى الحجه عند مفترق طرق الحجاج المدنين والعراقيين والمصريين والحجازيين، وأعلن عن ذلك بصوره شفاهيه.

هذا مضافاً إلى أنّ مخالفه من شكّل شورى الخلافه فى سقيفه بنى ساعده بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورشح رفيقه القديم للخلافه بصوره خاصه بعد رحيل رسول الله إلى ربّه، وحصل هو بدوره على أجرته عند موت الأول بصوره نقديّه وعينه للخلافه خلافاً لجميع القواعد والأصول، خير شاهد على أنّ القرائن التى كانت فى مجلس النبى وكلامه كانت تكشف عن أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يريد أن يملى على كاتبه أمراً يتعلّق بخلافه المسلمين والإماره والقياده التى أثبتتها لعلى وأهل بيته الطاهرين فى احاديثه وخطبه.

ولهذا خالف القوم الحضور هذا المطلب بشدّه وحالوا دون الإتيان بالقلم والقرطاس بوقاحه، وخالفوا كتابه شىء، وإلّا فلماذا أصروا على المخالفه...

وارتكبوا ما ارتكبوا.

ص: ٧٥٧

١- . سنن الترمذى: ٣٢٨/٥ ح ٣٨٧٤؛ جامع الأصول: ١٨٧/١. وراجع: المراجعات: المراجعة: ٨.

## لماذا لم يصِرَ النبي على كتابه الكتاب؟

كان في إمكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رغم معاكسات جماعه من أصحابه أن يطلب كاتبه ويكتب الكتاب الذي كان يريد، فلماذا لم يتصرّف هكذا، ولم يستغل مكانته القويّة؛ بل امتنع عن ذلك؟

إنّ الاجابه عن هذا السؤال واضحه: فلو أنّ النبي كان يصرّ على كتابه الكتاب لأصرّوا في الإساءه إلى النبي الذي قالوا عنه أنّه غلبه الوجد أو هجر، ولعمد أنصارهم إلى إشاعه وبثّ هذا الأمر الرخيص، وصنعوا لإثباته الأفاعيل، فكانت تتسع رقعه الإساءه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الحاله وتستمرّ، فتفقد الرساله أثرها المنشود.

من هنا عندما قال البعض للنبي - تلافياً لما لحق به من الأذى - : ألا نأتيك بدواه وكتف يا رسول الله؟ فقال:

«أبعد الذي قلت؟ لا ولكنّي أوصيكم بأهل بيتي خيراً» (١).

## تلافي الأمر وتداركه

إنّ مخالفه بعض الصحابه الصريحه وإن صرفت النبي عن الكتابه إلّا أنّه بلغ مقصوده من طريق آخر، فهو - بشهاده التاريخ - بينما كان يعاني من المرض، والوجد الشديدين، خرج إلى المسجد وهو متوكئ على «عليّ بن أبي طالب» و «ميمونه» مولاته فجلس على المنبر ثم قال:

«يا أيّها الناس إنّني تارك فيكم الثقلين».

ص: ٧٥٨

١- . بحار الأنوار: ٤٦٩/٢٢، نقلاً عن إرشاد المفيد: ١٨٤/١.

وسكت، فقام رجل فقال: يا رسول الله ما هذان الثقلان؟ فغضب حتى احمرَّ وجهه ثم سكن، وقال:

«ما ذكرتهما إلا وأنا أريد أن أخبركم بهما ولكن رُبوتُ فلم استطع، سببُ طرفه بيد الله، وطرفُ أيديكم، تعملون فيه كذا وكذا، ألا وهو القرآن، والثقل الأصغر أهل بيتي».

ثم قال:

«وأيُّمُ الله إنِّي لأقولُ لكم هذا ورجالٌ في أصلاب أهل الشرك أرجى عندي من كثير منكم».

ثم قال:

«و الله لا يحبُّهم عبداً إلا أعطاه الله نوراً يومَ القيامة حتى يرد على الحوض، ولا يبغضُهُم عبداً إلا احتجب الله عنه يومَ القيامة» (١).

هذا وقد روى ابن حجر العسقلاني تدارك مافات بصوره أخرى، ولا تنافى بين الصورتين، إذ يمكن وقوع كليهما.

إنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه وقد امتلأت بهم الحجره وهو في مرضه الذي قبض فيه:

«أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً، فينطلق بي، وقد قدّمت إليكم القول معذره إليكم ألا إنني مخلفٌ فيكم كتاب الله ربي عزّ وجلّ، وعترتي أهل بيتي».

ثم أخذ بيد علي عليه السلام فرفعها فقال:

ص: ٧٥٩

---

١- بحار الأنوار: ٤٧٦/٢٢، نقلاً عن مجالس المفيد: ١٣٥ برقم ٣، المجلس ١٦.

«هذا عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليٍّ، لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض فاسألُهُما ماذا خلّفت فيهما»<sup>(١)</sup>.

فمع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر حديث الثقلين<sup>(٢)</sup> قبل مرضه في مواضع متعدّده وبألفاظ مختلفه، ولفّت نظر الناس إلى أهمّيته هذين الثقلين، ولكنّه لفت الأنظار مرّة أُخرى وهو في فراش المرض أمام جمع من أصحابه الذين حالوا دون كتابه ما أراد إلى عدم افتراق القرآن والعترة، يمكن الحدسُ بأنّ الهدف من التكرار هو تدارك ما فات من كتابه الكتاب الذي لم يُوفّق لكتابته.

### تقسيم الدنانير

دأب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مجال بيت المال أن يوزع أمواله في أقرب فرصه سانحه بين الفقراء والمحتاجين. وعندما كان في فراش المرض تذكّر أنّ هناك دنانير عند إحدى زوجاته فطلبها فوراً، فأحضرتها عنده فأخذها صلى الله عليه وآله وسلم بيده وقال:

«ماظنُّ محمّد بالله لولقى الله وهذه عنده؟ أنفقيها»<sup>(٣)</sup>.

وفي روايه: أمر عليّاً عليه السلام فتصدّق بها<sup>(٤)</sup>.

ص: ٧٦٠

- ١- الصواعق المحرقة: ١٢٦، الباب ٩ من الفصل الثاني؛ كشف الغمه: ٣٥/٢.
- ٢- حديث الثقلين من الروايات المتفق عليها بين الشيعة والسنة وقد نقل عن الصحابه بأكثر من ٦٠ طريقاً كما يقول ابن حجر العسقلاني في الصواعق ص ١٣٦، وقد خصص المرحوم مير حامد حسين الهندي قسماً من موسوعته «العبقات» بذكر اسناد حديث الثقلين ودلالته. وقد طبعت في ستة أجزاء مؤخراً.
- ٣- مسند أحمد: ١٨٢/٦؛ الطبقات الكبرى: ٢٣٨/٢؛ إمتاع الأسماع: ٢٩٢/٢.
- ٤- لاحظ: الطبقات الكبرى: ٢٣٩/٢.



لَمَّا كَانَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمِيْسٍ وَهِيَ مِنْ قَرِيْبَاتِ «مِيْمُونَةَ» زَوْجَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالَّتِي أَقَامَتْ أَيَّامَ الْهَجْرَةِ زَمَنًا فِي الْحَبْشَةِ تَعَلَّمَتْ مِنْ أَهْلِهَا صِنْعَ عَقَارٍ مَرْكَبٍ مِنَ النَّبَاتَاتِ وَالْأَعْشَابِ الْمَخْتَلِفَةِ، فَلَمَّا اشْتَكَى وَأُغْمِيَ عَلَيْهِ تَصَوَّرَتْ أَنَّ الَّذِي دَهَاهُ هُوَ دَاءٌ: «ذَاتُ الْجَنْبِ»، وَكَانُوا فِي الْحَبْشَةِ يَدَاوُونَ هَذَا الْمَرَضَ بِذَلِكَ الْعَقَارِ، فَعَمِدَتْ إِلَى مَعَالِجَتِهِ بِذَلِكَ الدَّوَاءِ، بِصَبِّ شَيْءٍ مِنْهُ فِي فَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَمَّا أَفَاقَ وَعَرَفَ بِمَا صَنَعُوا غَضِبَ وَقَالَ:

«كَمْ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ كَانَ يَسَلِّطُ عَلَيَّ ذَاتَ الْجَنْبِ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَجْعَلَ لَهَا عَلَيَّ سُلْطَانًا...»(١).

### وداع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أصحابه

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي أَيَّامِ مَرَضِهِ إِلَى مَسْجِدِهِ مَرَارًا يَصَلِّي بِالنَّاسِ، وَيَذْكُرُهُمْ أُمُورًا.

وَذَاتَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ مَرَضِهِ أُخْرِجَ إِلَى مَسْجِدِهِ مَعْصُوبَ الرَّأْسِ مَتَّكِنًا عَلَيَّ «عَلِيٌّ» عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَمِينِي يَدِيهِ وَعَلَيَّ «الْفَضْلُ» بِالْيَدِ الْأُخْرَى، فَصَعِدَ الْمَنْبِرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

«أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ قَدْ حَانَ مِنِّي خُفُوقٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ، فَمَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدِي عِدَةٌ فَلْيَأْتِنِي أَعْطِهِ إِيَّاهَا، وَمَنْ كَانَ لَهُ عَلَيَّ دِينَ فَلْيُخْبِرْنِي بِهِ».

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي عِنْدَكَ عِدَّةً، إِنِّي تَزَوَّجْتُ فَوَعَدْتَنِي

ص: ٧٤١

(أن تعطيني) ثلاثه أواق.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «انحلها إياه يا فضل» ثم نزل. (١)

فلما كان يوم الجمعة - ثلاثه أيام قبل وفاته - صعد المنبر فخطب وقال فيما قال:

«أى رجل منكم كانت له قبيل محمدٍ مظلّمه إلّاقام فليقتص منه، فالقصاص فى دار الدنيا أحبّ إلّى من القصاص فى دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء».

فقام إليه رجلٌ من أقصى القوم يقال له سواده بن قيس فقال له: فداك أبى وأمى يا رسول الله، إنك لما أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء وبيدك القضيب الممشوق فرفعت القضيب وأنت تريد الراحله فأصاب بطنى، فلا أدرى عمداً أو خطأً. فقال: معاذ الله أن أكون تعمّدت. ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم يا بلال: قم إلى منزل فاطمه فأتتنى بالقضيب الممشوق....

إن طلب النبى صلى الله عليه وآله وسلم هذا بأن يقتص منه من له ذلك لم يكن مجرد مجامله أخلاقه، بل كان صلى الله عليه وآله وسلم يريد أن يتبّه الناس إلى أهميه مثل هذه الحقوق جداً. (٢)

ولما أتى بالقضيب إلى رسول الله قال صلى الله عليه وآله وسلم: أين الشيخ؟ قال سواده: ها أناذا يا رسول الله بأبى أنت وأمى، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «تعال فاقتص منى حتى ترضى».

فقال سواده: فاكشف لى عن بطنك يا رسول الله....

ص: ٧٤٢

١- إعلام الورى: ٢٤٤/١؛ شرح نهج البلاغه: ١٨٣/١٠؛ بحار الأنوار: ٤٦٧/٢٢.

٢- هذا مضافاً إلى أن ضرب بطن سواده بالقضيب من قبل النبى لم يكن عمداً، ولهذا لم يكن له الحق إلّافى أخذ الديه دون القصاص، مع ذلك أراد النبى أن يلبى طلبه لما قال أريد أن اقتص.

ثم إنه وسط دهشه الصحابه وحزنهم وعمهم وبكائهم تقدم سواده إلى النبي وقال: أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك؟ فأذن له، فقال: أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله، وقبيل بطن النبي وصدره الشريف.... فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال:

«اللهم اعف عن سواده بن قيس كما عفا عن نبيك محمد»<sup>(1)</sup>.

ص: ٧٦٣

---

١- . أمالي الصدوق: ٧٣٤، المجلس السادس والسبعون.

كان القلق والاضطراب يلفُّ المدينة المنوره بأسرها، فصحابه النبي يحيطون ببيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعيون باكية وقلوب حزينة ليطلعوا على صحته، وكانت تخرج من منزله بين الحين والآخر أخبار عن اشتداد مرضه، وتفاقم وجعه، لتقضى على كل أمل بتحسين حالته، وتجعل الناس على يقين بأنه لم يبقَ من حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلّا سويقات قلائل، وأنه سرعان ما تنطفئ الشعلة المقدسه، التي أنارت العالم بضئائها.

كان فريق من الصحابه يودون أن يزوروا نبيهم وقائدهم من قريب ولكن تدهور صحته ما كان يسمح بذلك، فلم يكن من الممكن أن يتردد على غرفته إلّا أهل بيته خاصه. ولقد كانت ابنته الكريمه ووديعته الوحيده فاطمه الزهراء عليها السلام جالسه عند فراش أبيها، تنظر إلى وجهه المشرق، كانت ترى كيف أنّ عرق الموت يتحدر على جبينه وخده مثل حبات اللؤلؤ، فراحت تردّد أبياتا من الشعر وقلبها يعتصره الحزن، ويملاً عيونها دموع الأسى والحزن ويكاد تخنقها الغصه:

وَ أبيضُ يُستسقى الغمامُ بوجهه ثمالَ اليتامى عصمهُ للأرامل

وفى هذه اللحظات بالذات فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عينيه وقال لابنته الزهراء بصوت خافت:

يا بتيه هذا قول عمك أبي طالب لا تقولي له ولكن قولي:

«وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» (١). (٢)

### النبى صلى الله عليه وآله وسلم يتحدث مع ابنته الزهراء

لقد كشفت التجربة عن أن عواطف الشخصيات الكبرى تجاه أبنائهم تتضاءل أثر تراكم النشاطات وتزايد الاهتمامات والهموم، لأن الأهداف الكبرى، والاهتمامات العاليه تشغل بالهم وفكرهم إلى درجه لا تترك لهم مجالاً لمشاعرهم العاطفيه بالظهور والتجلى، بيد أنه يستثنى الشخصيات الروحانيه والمعنويه الكبرى من هذه القاعده، فهم مع ما يشغل بالهم من الأهداف الكبرى، والاهتمامات العاليه، والشواغل اليوميه الكثيره يمتلكون روحاً كبرى ونفسيه طيبه ساميه فلا يمنعهم عملٌ عن آخر، ولا يشغلهم شغلٌ عن آخر، فلا مكان للضمور العاطفى والإنسانى عندهم فى حياتهم الاجتماعيه والعائليه.

إن محبه النبى صلى الله عليه وآله وسلم لابنته الوحيده فاطمه كانت من أبرز التجليات العاطفيه الإنسانيه فى شخصيه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ولهذا لم يُعهد أن يسافر رسول الله من دون أن يودع ابنته، كما لم يُعهد أن يرجع إلى المدينه من دون أن يزور ابنته قبل أى أحد، كما كان يحترمها عند زوجاته احتراماً لاثقاً بها ويقول لأتباعه:

ص: ٧٤٥

١- . ال عمران: ١٤٤.

٢- . إرشاد المفيد: ١/١٨٧؛ بحار الأنوار: ٢٢/٤٧٠.

«فاطمه بَضَعَهُ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي» (١).

كما أنّ رؤيه فاطمه كانت تذكّره بأشد نساء العالمين طهراً ووفاءً، وعطفاً ولطفاً، (خديجه) التي تحمّلت في سبيل أهداف زوجها المقدّس متاعب كبيره، وبذلت ثروتها كلّها في سبيل تلك الأهداف بإخلاص ورغبه.

كانت فاطمه الزهراء عليها السلام تلازم فراش والدها النبي صلى الله عليه وآله وسلم طوال أيام مرضه، ولا تفارقه لحظه واحده، وفجأه أشار النبي إلى ابنته يطلب منها أن تقرب رأسها إلى فمه ليحدّثها، فانحنت فاطمه حتى صار رأسها قريباً من فمه الشريف ثم راح النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحادثها بصوت ضئيل ولم يعرف من كان هناك ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابنته الطاهره في تلك النجوى؟ وإنّما شاهدوا الزهراء تبكي بشدّه لَمّا انتهى والدها من حديثه وسالت دموعها بغزاره، ولكنهم شاهدوا أنّ النبي أشار إليها مره أخرى وحدّثها بشيء فسرت فاطمه وتهلّلت أسارير وجهها، وتبسّمت مستبشره.

فأثارت هاتان الحالتان المتضادتان المتزامنتان الحضور وبعثتهم على التعجّب والدهشه، فلَمّا سألوها عن سرّ ذلك الحزن، وهذه الفرحة، وطلبوا منها أن تذكر لهم علّه هاتين الحالتين المتضادتين قالت:

«ما كنت لأفشي سرّه».

ثم بعد أن قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كشفت الزهراء عليها السلام عن الحقيقه بناء على إصرار عائشه وقالت: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه يُقبض في وجعه هذا، فبكيّت،

ص: ٧٦٦

١- . صحيح البخارى: ٢١٠/٤، باب مناقب قرابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنقبه فاطمه عليها السلام؛ و ص ٢١٩، باب مناقب فاطمه عليها السلام.

ثم أخبرني أنني أول أهله لحاقاً به فضحكتُ (١).

### مسواكُ النبي قبيل وفاته

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستاك كل ليلة قبل النوم كما كان يستاك بعد أن يستيقظ من نومه، وكان مسواكُ النبي من شجره الأراك التي تنفع جداً في تقوية اللثة، وإزالة الأوساخ وبقايا الطعام عن الأسنان.

وذات يوم دخل أخو عائشه عبد الرحمن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليعوده ويده مسواكُ أخضر، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه - وهو في يده - نظراً عرف أنه يريد فقال عبد الرحمن: يا رسول الله تريد أن أعطيك هذا السواك؟ فقال: نعم، فقدّمه إلى النبي فوراً، فأخذه صلى الله عليه وآله وسلم واستنّ به كأشد ما رأيتَه يستن بسواك قط، ثم وضعه (٢).

### وصايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبيل رحيله

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلال فتره مرضه ووجعه يولى إعطاء التعاليم والتذكير بما فيه هداية الناس اهتماماً بالغاً، فقد كان يوصى بالصلاة ورعايه الرقيق في الأيام الأخيره من حياته الشريفه ويقول:

«الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم...».

وفي روايه أخرى قال صلى الله عليه وآله وسلم: «اللّٰه الله فيما ملكت أيمانكم، ألبسوا ظهورهم،

ص: ٧٤٧

١- الطبقات الكبرى: ٢/٢٤٧؛ الكامل في التاريخ: ٢/٣٢٣؛ إمتاع الأسماع: ١٤/٤٢٢.

٢- لاحظ: الطبقات الكبرى: ٢/٢٣٤، السيره النبويه لابن هشام: ٤/١٠٦٩.

وأشبعوا بطونهم، وألینوا لهم القول»(١).

وقد سأل كعب الأحبار عمر بن الخطاب بعد وفاه رسول الله وفي إيام خلافه الأخير: ما كان آخر ماتكلم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال عمر: سلّ علياً. قال: أين هو؟ قال: هو هنا، فسأله.

فقال على عليه السلام:

«أسندته إلى صدرى فوضع رأسه على منكبى فقال: الصلاة الصلاة.

فقال كعب: كذلك آخر عهد الأنبياء، وبه أمروا، وعليه يبعثون(٢).

وقد فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم عينيه في آخر لحظه من حياته الشريفه وقال:

«أدعوا لى أخى».

فعرف الجميع بأنه يريد علياً عليه السلام فدعوا له علياً فقال:

«أدن منى».

فدنا منه على عليه السلام فاستند إليه فلم يزل مستنداً إليه يكلمه(٣).

فلم يلبث أن بدت عليه صلى الله عليه وآله وسلم علامات الاحتضار.

سأل رجل ابن عباس: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توفى ورأسه فى حجر أحد؟ قال: توفى وهو لمستند إلى صدر على.

فقال السائل: قلت: فإن عروه حدّثنى عن عائشه أنّها قالت: توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين سخرى ونخرى.

ص: ٧٦٨

١- . الطبقات الكبرى: ٢٥٤/٢.

٢- . الطبقات الكبرى: ٢٦٢/٢-٢٦٣.

٣- . الطبقات الكبرى: ٢٦٣/٢.



فقال ابن عباس: أتعقل؟! والله لتُوفَى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه لمستند إلى صدر عليّ، وهو الذي غسّله، وأخى الفضل بن عباس (١).

وقد صرّح بذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام في إحدى خطبه حيث قال:

«وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَيْدِرِي. وَلَقَدْ سَيَّأَلَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي، فَأَمْرُتُهَا عَلَيَّ وَجْهِي. وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي» (٢).

وينقل بعض المحدثين أنّ آخر جملة قالها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في آخر لحظه من حياته الشريفه هي جملة: «بل الرفيق الأعلى» (٣)، وكان ملك الموت خيره عند قبض روحه الشريفه في أن يصح من مرضه ويبقى أو يلبي دعوه ربه، ويلتحق بالرفيق الأعلى، فعبر بجملة هذه عن رغبته في اللحاق بربه، ليعيش مع الذين أشار إليهم قوله سبحانه:

«فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» (٤).

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا ولفظ أنفاسه الشريفه (٥).

## يوم الوفاه

في منتصف يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر صفر (٦) عرجت روح

ص: ٧٦٩

- ١- . الطبقات الكبرى: ٢/٢٦٣.
- ٢- . نهج البلاغه: الخطبه ١٩٧.
- ٣- . لاحظ: تاريخ الطبري: ٢/٤٤١؛ الكامل في التاريخ: ٢/٣٢١ و ٣٢٢؛ إمتاع الإسماع: ١٤/٥٠٠ و ٩/٥٠.
- ٤- . النساء: ٦٩.
- ٥- . لاحظ: إعلام الوري: ١/٢٦٩؛ الطبقات الكبرى: ٢/٢٣٠.
- ٦- . وهو ما اتفق عليه محدثو الشيعة ومؤرّخوهم، ونقل في السيره النبويه لابن هشام: ٤/١٠٦٩ بصوره: قيل.

النبى الأكرم المقدّسه إلى بارئها، وإلى جنان الخلد، فسجى بئرد يمانى، ووضع فى حجرته بعض الوقت، وارتفعت صرخات العيال، وعلا بكاء الأقارب، فعرف من كان خارج المنزل أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد قضى، فلم يلبث أن انتشر نبأ وفاته فى كلّ أنحاء المدينه التى تحوّلت بسرعه إلى مناحه كبرى، ومأتم عظيم.

فصاح الخليفه الثانى خارج البيت ولأسباب خاصه أنّ النبى لم يمّث إنّما عرج بروحه كما عرج بروح موسى، وأنّه لايموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! وأصرّ على هذا الموقف وهدد كلّ من يخالف ذلك، وكاد أن يوافق عليه فريق من الناس لولا أن أبا بكر تلا عليه قول الله سبحانه:

«وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ». (١)

حتى فرغ من الآيه، فسحب عمر موقفه، مستغرباً من وجود مثل هذه الآيه قائلاً: هذا فى كتاب الله؟ (٢)

ثم قام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام بتغسيل جسد النبى الطاهر وكفنه، لأنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان قد قال: «يغسلنى أقرب الناس إلىّ» ولم يكن ذلك سوى على عليه السلام.

ولما فرغ «علىّ» من تغسيل النبى صلى الله عليه وآله وسلم كشف الإزار عن وجهه صلى الله عليه وآله وسلم وقال والدموع تنهمر من عينيه الشريفتين:

«بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النَّبِيِّ وَالْإِنْبِيَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ. خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ،

ص: ٧٧٠

١- آل عمران: ١٤٤.

٢- لاحظ: الطبقات الكبرى: ٢٦٧/٢؛ السيره النبويه لابن هشام: ١٠٦٩/٤-١٠٧٠.

وَعَمَّتْ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً. وَلَوْلَمَا أَنْكَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ، لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَيَاءَ الشُّؤُونِ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا، وَالْكَمِيدُ مُحَالِفًا، وَقَلَّا لَمَكَ! وَلَكِنَّهُ مَا لَا يُمْلِكُ رُدُّهُ، وَلَا يُسَدِّ تَطَاعُ دَفْعُهُ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ! (١).

ثم إنَّ الإمام أمير المؤمنين «علي بن أبي طالب» عليه السلام كان أوَّل مَنْ صَلَّى عَلَى جِثْمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ جَمَاعَةً جَمَاعَةً، ثُمَّ تَقَرَّرَ دَفْنُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي حَجْرَتِهِ الْمُبَارَكَةِ.

فَقَامَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْجِرَاحِ وَزَيْدُ بْنُ سَهْلٍ بِحَفْرِ قَبْرِ لَهْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَإِعْدَادَهُ ثُمَّ دُفِنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي تِلْكَ الْحَفْرَةِ عَلَى يَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَاعِدِهِ فِي ذَلِكَ الْفَضْلِ وَالْعَبَاسِ. (٢)

وهكذا غربت شمس أعظم شخصيه غيرت مسار التاريخ البشرى بتضحياته الكبرى وجهوده المضنيه، وأعظم رسول إلهي فتح أمام الإنسانيه صفحات جديده ومشرقه من الحضاره والمدنيه.

ولكن ظهرت على الساحة برحيله مشكلات عديده كان لها أثرٌ في استمرار رسالته، ومواصله أهدافه التي من أهمها مسأله الخلافه وموضوع القيادة في المجتمع الإسلامى، وقد بدت بعضُ بوادر الاختلاف في الأوساط الإسلاميه حتى قبل رحيله.

غير أن هذا القسم وإن كان قسماً مهماً وخطيراً من تاريخ الإسلام، إلّا أنه خارجٌ عن إطار بحثنا هذا (وهو دراسه وتحليل الشخصيه المحمديه وحياه النبى

ص: ٧٧١

١- نهج البلاغه: الخطبه ٢٣٥.

٢- لاحظ: السيره النبويه لابن هشام: ١٠٧٦/٤ وما بعدها.

الرساليه والسياسيه والعسكريه).

من هنا فإننا نختم حديثنا هذا بالشكر لله تعالى على هذه النعمه الكبرى، والحمد لله رب العالمين(1).

جعفر السبحاني

شعبان المعظم ١٣٩٠ هـ

قم المقدسه - الحوزه العلميه

ص: ٧٧٢

---

١- . تم تدوين هذه المحاضرات وتوثيقها وتحقيقها في شهر شعبان المعظم عام ١٤٠٩ هجريه في مدينه قم والحمد لله رب العالمين. جعفر الهادي

الموضوع الصفحة

مقدمه المؤلف: مُميزات النهضه الإلهيه وخصائصها... ٧

خصيصه «الخلود» والعمق فى شخصيه رسول الإسلام... ٧

المصادر الأولى والأصليه للكتابه عن سيره النبى صلى الله عليه وآله وسلم... ١٠

حوادث السنه الأولى من الهجره... ١٤

٢٧

أول عمل إيجابى للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المدينه

عقد ميثاق تعايش بين المسلمين وغيرهم... ١٤

مع عمّار بن ياسر فى بناء المسجد النبوى... ١٧

ضئّر أراف من والده!!... ٢٢

التآخى أعظم معطيات الإيمان... ٢٤

منقبتان عظيمتان... ٢٥

منقبه أخرى لعلّى عليه السلام... ٢٦

معاهده الدفاع المشترك بين المسلمين ويهود يثرب... ٢٧

أعظم معاهده تاريخيه... ٢٩

ممارسات اليهود الإجهاضيه... ٣٥

ص: ٧٧٣

الموضوع... الصفحة

إسلام عبدالله بن سلام... ٣٦

خطه يهوديه أُخرى للقضاء على الحكومه الإسلاميه... ٣٧

حوادث السنه الثانيه من الهجره... ٤١

٢٨

مناورات عسكريه

واستعراضات حربيه

تهديد خطوط قريش التجاريه... ٤٢

النبي صلى الله عليه و آله و سلم يلاحق قريشاً بنفسه... ٤٥

ما هو الهدف من المناورات العسكريه؟... ٥٠

نظريه المستشرقين... ٥١

٢٩

تحويل القبله

من بيت المقدس إلى الكعبه... ٥٦

كرامة علميه لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم... ٦١

٣٠

معركة بدر الكبرى

النبي صلى الله عليه و آله و سلم يتوجه إلى منطقه ذفران... ٦٤

المشكلة التي كانت تواجهها قريش... ٦٧

النبي صلى الله عليه و آله و سلم يعقد شوري عسكريه... ٦٩

إخفاء الحقائق وكتمانها... ٧٠

قرار الشورى الحاسم أو رأى زعيم الأنصار... ٧٢

جمع المعلومات حول العدو... ٧٣

ص: ٧٧٤

الموضوع... الصفحة

كيف هربَ أبو سفيان؟... ٧٦

علم المسلمين بإفلات قافله قريش... ٧٧

إختلاف قريش فى القتال... ٧٧

«العريش» أو غرفه القيادة... ٨٠

نظره إلى مسأله «العريش»... ٨٠

تحرك قريش باتجاه بدر... ٨٣

قريش تتشاور فى القتال... ٨٣

اختلاف قاده قريش فى أمر القتال... ٨٤

ما هو الأمر الذى حتم القتال؟... ٨٧

المبارزات الفرديه أولاً... ٨٧

أى القولين هو الأصح؟... ٨٩

الهجومُ العامُ... ٩٠

رعايه الحقوق... ٩٢

مصرع أميه بن خلف... ٩٢

خسائر بدر فى الأرواح والأموال... ٩٣

«ما أنتم بأسمع منهم»... ٩٤

الشعر يخلد هذه القصه... ٩٥

بعد معركة بدر... ٩٧

قتل أسيرين فى أثناء الطريق... ٩٩



بشائر النبي إلى المدينة... ١٠١

المكيون يعرفون بمقتل أسيادهم... ١٠١

اشتراك العباس عم النبي في بدر... ١٠٢

ص: ٧٧٥

المنع من النوح والبكاء في مكة... ١٠٣

رسول الإسلام ومكافحه الأُمِّيَّة... ١٠٤

ما ورد في السيره حول مصير الأسرى... ١٠٥

كلام لابن أبي الحديد في المقام... ١٠٧

القرآن يتحدّث عن معركة بدر... ١٠٩

٣١

زواج سيده النساء فاطمه بنت رسول الله

مشاكل الزواج في العصر الحاضر... ١١٥

رسول الإسلام يكافح هذه المشاكل عملياً... ١١٦

جهاز فاطمه... ١٢٠

مراسم الزواج تقام ببساطه... ١٢٣

محاولات يائسه للنيل من علي وفاطمه عليهما السلام... ١٢٦

العلامة الأميني يرد على افتراءات المستشرق النصراني الحاقد... ١٢٧

العقاد والنيل من فاطمه عليها السلام... ١٣٧

٣٢

جرائم «بنى قينقاع»

لهيب الحرب يبدأ من شراره... ١٤٢

تقارير جديده تصل إلى المدينه... ١٤٦

قريش تغيّر مسير تجارتها... ١٥٠

حوادث السنه الثالثه من الهجره... ١٥٢

ص: ٧٧٤

الدفاع عن الحرّيه

غزوه أحد أو الدفاع عن الحرّيه عند جبل أُحد... ١٥٢

إغتيال مفسد آخر... ١٥٦

قريش تتكفّل نفقات الحرب... ١٥٦

الاستخبارات ترفع تقريراً إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم... ١٥٩

جيش قريش يتحرك باتجاه المدينه... ١٥٩

منطقه «أحد»... ١٦١

المشاوره في كيفية الدفاع... ١٦٢

المشاورات العسكريه... ١٦٣

الاقتراع من أجل الشهاده!!... ١٦٤

حصيله الشورى... ١٦٦

النبيّ يلبس لامه الحرب... ١٦٧

النبيّ يخرج من المدينه... ١٦٨

جنديان فدائيان... ١٦٩

العسكران يصطفّان... ١٧٣

رفع معنويات الجنود وتقويه عزائمهم... ١٧٥

العدوّ ينظّم صفوفه... ١٧٦

الإثارة النفسيه وإلهاب الحماس... ١٧٦

بدايه القتال... ١٧٨

المقاتلون بدافع الشهوه!!... ١٨١

الهزيمه بعد الانتصار... ١٨٢

ص: ٧٧٧

شائعه مقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم... ١٨٥

هل يمكن إنكار فرار بعض الصحابه من أرض المعركة؟... ١٨٦

القرآن يكشف عن بعض الحقائق... ١٨٨

التجارب المرّه... ١٩٠

خمسّه يتحالفون على قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم... ١٩٢

الدفاع الموفق أو النصر المجدّد... ١٩٦

بقيه أحداث واقعه «أحد»... ٢٠٧

العدوُّ يحاول استغلال الفرصه... ٢٠٨

نهايه المعركه... ٢١٠

آخر ما نطق به سعد بن الربيع... ٢١٣

النبيّ يعود إلى المدينه... ٢١٤

ذكريات مثيره عن امرأه مؤمنه... ٢١٧

نموذج آخر من النسوه المجاهدات... ٢١٧

لابد من ملاحقه العدو... ٢٢٠

حمراء الأسد... ٢٢٣

لا يُخدع مؤمن مرّتين... ٢٢٥

ميلاد الإمام الحسن السبط... ٢٢٦

حوادث السنه الرابعه من الهجره... ٢٢٧

فاجعه فريق المبلّغين

خطّه ماكره للفتك بالمبلّغين ... ٢٢٨

الغدر بالدعاه إلى الإسلام وقتلهم... ٢٣٠

ص: ٧٧٨

الموضوع... الصفحة

جريمه بئر معونه... ٢٣٤

كيدُ المستشرقين وجفاؤهم... ٢٣٦

المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين... ٢٣٧

٣٥

غزوه «بنى النضير»

بماذا يجب أن تقابل هذه الجريمة؟... ٢٤١

المستشرقون و دموع التماسيح... ٢٤٣

دور حزب النفاق أيضاً... ٢٤٤

مزارع بنى النضير تقسم بين المهاجرين فقط... ٢٤٧

٣٦

تحريم الخمر، ذات الرقاع، بدر الصغرى

تحريم الخمر... ٢٥٠

وقفه عند «البيان الشافى»... ٢٥٥

روايه مختلقه... ٢٥٦

غزوه ذات الرقاع... ٢٦١

مواقف خالده فى هذه الغزوه... ٢٦٣

الحُرَّاس الصامدون... ٢٦٣

غزوه بدر الصغرى... ٢٦٤

ولادة السبب الأصغر لرسول الله... ٢٦٦



حوادث السنه الخامسه من الهجره... ٢٦٧

ص: ٧٧٩

من أجل تحطيم التقاليد الخاطئه

من هو زيد بن حارثه؟... ٢٦٨

زيد يتزوج بابنه عمه النبي... ٢٦٩

زيد يطلق زوجته... ٢٧٠

زواج النبي بمطلقه متبناه لإبطال سنه جاهليه أخرى... ٢٧١

المستشرقون وقضيه زواج النبي بزینب... ٢٧٥

توضیح عبارتين... ٢٨٠

غزوه الأحزاب

١. غزوه دومه الجندل... ٢٨٦

٢. غزوه الخندق (الأحزاب)... ٢٨٧

استخبارات المسلمين ترفع تقريراً للقيادة... ٢٩١

القولہ النبویہ الخالده فی شأن سلمان... ٢٩٤

مقاتلو العرب واليهود يحاصرون المدينة... ٢٩٥

العدد الدقيق لقوات الطرفين... ٢٩٥

خطر البرد، وتناقص الغذاء والعلف... ٢٩٦

حيى بن أخطب يدخل حصن بنى قريظه... ٢٩٧

النبي يعرف بنقض بنى قريظه للعهد... ٢٩٩

تجاوزات بني قريظه الأوليه... ٣٠٠

الإيمانُ في مواجهه الكفر... ٣٠٢

أبطالٌ من العرب يَعْبُرُونَ الخندق... ٣٠٤

تصاؤل البطلين... ٣٠٨

ص: ٧٨٠

قيمه هذه الضربه... ٣٠٩

لماذا التنكر لهذا الموقف؟... ٣١٠

مروءه علي عليه السلام وشهامته... ٣١٢

جيش العرب يتفرق في موقفه... ٣١٣

العوامل التي فرقت كلمه «الأحزاب»... ٣١٥

مبعوثو قريش يمشون إلى بنى قريظه... ٣١٧

آخر العوامل لهزيمة الكفار... ٣١٨

القرآن الكريم و معركة الأحزاب... ٣١٩

حوادث السنه الخامسه من الهجره... ٣٢٥

٣٩

سقوط آخر أوكار الفساد والمؤامره

قوات الإسلام تحاصر بنى قريظه... ٣٢٦

اليهود يتشاورون حول الموقف... ٣٢٧

خيائنه أبي لبابه... ٣٣٠

إلى أى مدى ذهب الطابور الخامس فى مشاغبته؟... ٣٣٣

تقييم ما استند إليه سعد فى حكمه... ٣٣٥

حوادث السنه السادسه من الهجره... ٣٤١

٤٠

أعداء الإسلام تحت المراقبه المشدده

أهل الرأى من قرىش يهاجرون إلى الحىشه... ٣٤٣

الوقايه من تكرار التجارب المرّه... ٣٤٥

غزوه ذى قرد... ٣٤٦

ص: ٧٨١

الموضوع... الصفحة

النذر غير المشروع... ٣٤٧

٤١

تمرد بني المُصطَلِق

غزوه بني المُصطَلِق... ٣٥٠

أول خلاف بين المهاجرين والأنصار... ٣٥١

مناقح حاول إشعال الموقف... ٣٥٢

صراع بين الإيمان والعاطفه... ٣٥٥

الزواج المبارك... ٣٥٨

الفاسق يفتضح... ٣٥٩

٤٢

قصه الإفك

المنافقون يتهمون شخصاً نقي الجيب... ٣٦٢

أبرز النقاط في آيات «الإفك»... ٣٦٤

الزيادات في هذه القصه... ٣٦٦

١. منافاتها لمقام النبوه والعصمه... ٣٦٦

٢. سعد بن معاذ توفي قبل حادثه «الإفك»... ٣٦٨

الروايه الأخرى في سبب النزول... ٣٧٠

٤٣

رحله سياسيه ديتيه

مندوبو قريش عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم... ٣٧٧

رسول الله يبعث مندوباً إلى قريش... ٣٨٠

النبي يبعث سفيراً آخر إلى قريش... ٣٨١

بيعه الرضوان... ٣٨٣

ص: ٧٨٢

الموضوع... الصفحة

سهيلُ بن عمرو يفاوضُ رسولَ الله... ٣٨٤

التاريخ يعيد نفسه... ٣٨٧

نصُّ صلح الحديبيه... ٣٨٨

نشيد الحريره... ٣٨٩

آخر الجهود للحفاظ على عمليه الصلح... ٣٩١

تقييم عاجل لصلح الحديبيه... ٣٩٤

قريش تصرُّ على إلغاء بنود المعاهده... ٣٩٨

النساء المسلمات لا يُسلمن إلى قريش... ٤٠١

حوادث السنه السابعه من الهجره... ٤٠٢

٤٤

النبي يعلن عن رسالته العالميه

الرساله المحمديه كانت عالميه... ٤٠٤

آيات تدلّ على عالميه الرساله المحمديه... ٤٠٥

رُسل الإسلام إلى المناطق النائية... ٤٠٦

أوضاع العالم أيام إبلاغ الرساله العالميه... ٤٠٨

رسولُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أرض الروم... ٤٠٩

قيصر يحقّق حولَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم... ٤١١

أثر رساله النبي إلى قيصر... ٤١٤

سفير النبي في البلاط الإيراني... ٤١٥



نظريه يعقوبى... ٤١٧

أوامر «خسرو» إلى واليه على اليمن... ٤١٨

سفير النبى فى أرض مصر... ٤٢١

المقوقس يكتب كتاباً إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم... ٤٢٤

ص: ٧٨٣

المغیره بن شعبه فى البلاط المصرى... ٤٢٥

سفير النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى أرض الذكريات «الحبشه»... ٤٢٧

محاورة بين سفير النبى وحاكم الحبشه... ٤٢٩

رسالة النجاشى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... ٤٣٠

تقييم سريع لمراسله النبى صلى الله عليه وآله وسلم قاده العالم... ٤٣١

كتاب رسول الله إلى أمير الغساسنه (بالشام)... ٤٣٤

سادس السفراء فى أرض اليمن... ٤٣٦

رسائل أخرى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... ٤٣٨

٤٥

قلعه خيبر أو بؤره الخطر

إحتلال النقاط والطرق الحساسه ليلاً... ٤٤٤

متاريس اليهود تتهاوى... ٤٤٦

التقوى فى ظروف المخمسه الشديده... ٤٤٩

فتح الحصون الواحد تلو الآخر... ٤٥١

الانتصار الكبير فى خيبر... ٤٥٤

تحريف الحقائق... ٤٥٧

ثلاث نقاط مشرقه فى حياه على عليه السلام... ٤٦٠

عوامل الانتصار... ٤٦١

١. التخطيط والتكتيك العسكرى الدقيق... ٤٦٢

٢. تحصيلُ المعلومات حول العدو... ٤٦٣

٣. تفانى امير المؤمنين عليه السلام... ٤٦٥

الرحمه فى ساحه القتال... ٤٦٥

مصرع كنانه بن الربيع... ٤٦٦

ص: ٧٨٤

الموضوع... الصفحة

تقسيم غنائم الحرب... ٤٦٧

قافله من أرض الذكريات... ٤٦٨

حجم الخسائر وعدد القتلى... ٤٧٠

العفو بعد الانتصار... ٤٧٠

سلوك اليهود المتعجرف... ٤٧٣

حيله مُجازه... ٤٧٦

٤٦

قَصَّه فَدَكَ

حكم الأراضي المفتوحة بلا قتال... ٤٨٠

قَصَّه فَدَكَ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... ٤٨٣

فدك في محكمه التاريخ... ٤٨٧

السيطره على وادى القُرى... ٤٨٨

٤٧

عمره القضاء

النبي يدخل مكّه... ٤٩٢

النبي صلى الله عليه وآله وسلم يغادر مكّه... ٤٩٥

أحداث السنه الثامنه من الهجره... ٤٩٨

٤٨

معركه مؤته

حادثة أفجع من السابقه... ٥٠٠

خلافٌ حول مَنْ هو الأمير الأول؟... ٥٠٢

جيشا الإسلام والروم يتواجهان... ٥٠٥

حيره المقاتلين المسلمين بعد مقتل القاده... ٥٠٨

ص: ٧٨٥

الموضوع... الصفحة

الجنود يعودون إلى المدينة... ٥١٠

أسطوره بدل التاريخ الصحيح... ٥١١

النبي يبكى بشده لمقتل جعفر... ٥١٢

٤٩

غزوه ذات السلاسل

تفاصيل هذه الغزوه... ٥١٦

الإمام عليّ ينتدب لقياده العمليه... ٥١٨

عوامل انتصار الإمام عليّ في هذه الموقعه... ٥١٩

إعتراض وجواب... ٥٢١

٥٠

فتح مکه

تفاصيل فتح مکه... ٥٢٥

قريش تتوجس خيفه من ردّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم... ٥٢٩

جاسوس يُكتشف!... ٥٣٢

النبي يتحرّك باتجاه مکه... ٥٣٩

العفو عند المقدره... ٥٤١

تكتيك رائع لجيش الإسلام... ٥٤٤

العباس يصطحب أبا سفيان إلى خيمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم... ٥٤٦

أبوسفيان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... ٥٤٧

مكّه تستسلم من دون إراقه دماء... ٥٤٩

أبو سفيان يرجع إلى مكّه... ٥٥٣

القوات الإسلامية تدخل مكّه... ٥٥٥

ص: ٧٨٤

كسْرُ الأصنام و غسل الكعبه... ٥٥٧

علِيٌّ عليه السلام على كَيْفِ النبي صلى الله عليه و آله و سلم... ٥٦٠

النبيُّ صلى الله عليه و آله و سلم يعلنُ عن العفو العام... ٥٦٣

بلالٌ يرفعُ الأذان على سطح الكعبه... ٥٦٣

النبيُّ صلى الله عليه و آله و سلم يتحدثُ إلى أقاربه... ٥٦٥

خطابُ النبي التاريخي في المسجد الحرام... ٥٦٦

١. التفاخر بالنسب... ٥٦٧

٢. التفاضل بالقوميه العربيه... ٥٦٨

٣. لجميع أبناء البشر لا لبعض دون بعض... ٥٦٨

٤. الحروب الطويله والأحقاد القديمه... ٥٦٩

٥. الأخوه الإسلاميه... ٥٧٠

معاقبه المجرمين... ٥٧٠

قصه عكرمه وصفوان... ٥٧٢

مبايعه النبي نساء مكّه... ٥٧٣

هدمُ بيوت الأصنام بمكّه وما حولها... ٥٧٦

جرائم أخرى لخالد... ٥٧٩

٥١

معركه حنين

جيشٌ قليل النظير... ٥٨٢



الحصول على المعلومات العسكريه... ٥٨٣

تجهيزات المسلمين... ٥٨٥

صمود النبي ومَن ثَبَّتَ من أصحابه... ٥٨٦

غنائم الحرب... ٥٨٨

ص: ٧٨٧

لقطتان من الخلق النبوي العظيم... ٥٨٨

٥٢

غزوه الطائف

شدخُ جدار الحصن بالمنجنيق... ٥٩٣

ضغوطُ اقتصاديه ونفسيه... ٥٩٤

آخر محاوله لفتح حصن الطائف... ٥٩٥

جيشُ الإسلام يعود إلى المدينه... ٥٩٦

حوادث ما بعد الحرب... ٥٩٧

النبي صلى الله عليه و آله و سلم يلتقى الشيماء أخته من الرضاعه... ٦٠١

اسلام مالك بن عوف... ٦٠٢

تقسيم الغنائم... ٦٠٣

رسول الله يعتمر... ٦٠٧

٥٣

لامية كعب بن زهير المعروفه «بانت سعاد...»

قصه كعب بن زهير بن أبي سلمى... ٦١٠

حزنُ قارن فرحاً... ٦١٣

حوادث السنه التاسعه من الهجره... ٦١٥

٥٤

عليُّ بن أبي طالب في أرض طيِّ

عام الوفود... ٦١٥

هدم بيوت الأصنام... ٦١٨

علئ فى أرض طئى... ٦١٩

قصة إسلام عدى بن حاتم الطائئى... ٦٢٠

ص: ٧٨٨

غَزْوُهُ تَبُوكَ

تعبئةُ المقاتلين وتهيئته نفقات الحرب... ٦٢٦

المتخلفون عن القتال... ٦٢٦

اكتشافُ شبكته جاسوسيه في المدينة... ٦٢٨

عدمُ مشاركته «علي» عليه السلام في غزوه تبوك... ٦٣٠

جيش الإسلام يتحرك نحو تبوك... ٦٣٢

النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يستعرض جيشه... ٦٣٣

قصة مالك بن قيس... ٦٣٤

مصاعب الطريق... ٦٣٥

تعليمات احتياطيه... ٦٣٦

علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمغيبات... ٦٣٧

إخباره بمغيب آخر... ٦٣٨

جيش الإسلام في أرض تبوك... ٦٤١

بعث خالد إلى دومه الجندل... ٦٤٤

تقييم إجمالي لغزوه تبوك... ٦٤٥

المنافقون يخططون لاغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم... ٦٤٧

التيه تقوُّم مقام العمل... ٦٤٨

أخذ المتخلفين بالعقاب النفسى... ٦٥٠

قَصّه مسجد ضرار... ٦٥٢

٥٦

وَفد ثقيف فى المدينه

وقوع الفرقة والاختلاف فى قبيله ثقيف... ٦٥٦

ص: ٧٨٩

الموضوع... الصفحة

وَفْدُ تَقِيفٍ... ٦٥٧

شروط وفد تقيف... ٦٥٩

٥٧

إعلان البراءة من المشركين في منى

تعصّب بغيض في تحليل هذا الحدث... ٦٦٨

حوادث السنة العاشرة من الهجره... ٦٧١

٥٨

في رثاء الولد العزيز

اعتراض غير وجيه... ٦٧٣

مكافحه الخرافات... ٦٧٥

٥٩

وفد نجران في المدينه

مفاوضات وفد نجران مع النبي... ٦٧٩

خروج النبي صلى الله عليه و آله و سلم للمباهله... ٦٨١

إنصراف وفد نجران عن المباهله... ٦٨٣

صورة العهد النبوي لأهل نجران... ٦٨٤

أكبر فضيله... ٦٨٥

٦٠

تاريخ المباهله عاماً وشهراً ويوماً

عام المباهله حسب المشهور... ٦٨٨

الشهر واليوم الذى وقعت فيه المباهله... ٦٨٨

رأينا حول عام المباهله... ٦٩٠

زمن المباهله يوماً وشهراً... ٦٩٢

ص: ٧٩٠

هل كانت قضيه المباحله فى السنه التاسعه؟... ٦٩٧

٦١

١. تقييم البراءه من المشركين

٢. وفود القبائل فى المدينه

محاولة اغتيال النبى صلى الله عليه و آله و سلم... ٧٠١

أمير المؤمنين فى ربوع اليمن... ٧٠٣

٦٢

حجّه الوداع

الإمام على عليه السلام يعود من اليمن... ٧١٠

شروع مراسم الحج... ٧١٢

خطاب النبى التاريخى فى حجّه الوداع... ٧١٣

٦٣

إكمال الدين الإسلامى بتعيين الخليفه

اقتضاء المحاسبات الاجتماعيه فى مسأله الخلافه... ٧٢١

١. النبوه والإمامه توأمان... ٧٢٥

٢. قصه الغدير... ٧٢٦

واقعه الغدير خالده إلى الأبد... ٧٢٩

الدلائل الأخرى على أباديه الغدير... ٧٣١

٦٤



١. المتتبعون كذباً

٢. التفكير في أمر الروم

لمحه عابره عن هويه مسيلمه... ٧٣٩

ص: ٧٩١

الموضوع... الصفحة

التفكير فى أمر الرُّوم... ٧٤١

الأعداؤُ غير المقبوله... ٧٤٦

الاستغفار لأهل البقيع... ٧٤٧

حوادث السنه الحاديه عشره من الهجره... ٧٤٩

٦٥

الكتابُ الذى لم يُكتب

إيتونى بقلم وقرطاس... ٧٥١

ماذا كان الهدف من الكتاب؟... ٧٥٥

لماذا لم يصرُّ النبىُّ على كتابه الكتاب؟... ٧٥٨

تلافى الأمر وتداركه... ٧٥٨

تقسيم الدنانير... ٧٦٠

غضب النبى من الدواء الذى سقى... ٧٦١

وداع النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع أصحابه... ٧٦١

٦٦

اللحظاتُ الأخيره

النبىُّ صلى الله عليه وآله وسلم يتحدّث مع ابنته الزهراء... ٧٦٥

العاطفيه بالظهور والتجلّى، بيد أنه يُستثنى الشخصيات الروحانيه

والمعنويه... ٧٦٥

مسواكُ النبى قبيل وفاته... ٧٦٧

وصايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبيل رحيله... ٧٦٧

يوم الوفاء... ٧٦٩

فهرس المحتويات... ٧٧٣

ص: ٧٩٢

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ  
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الالكترونى : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
اصبهان  
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

